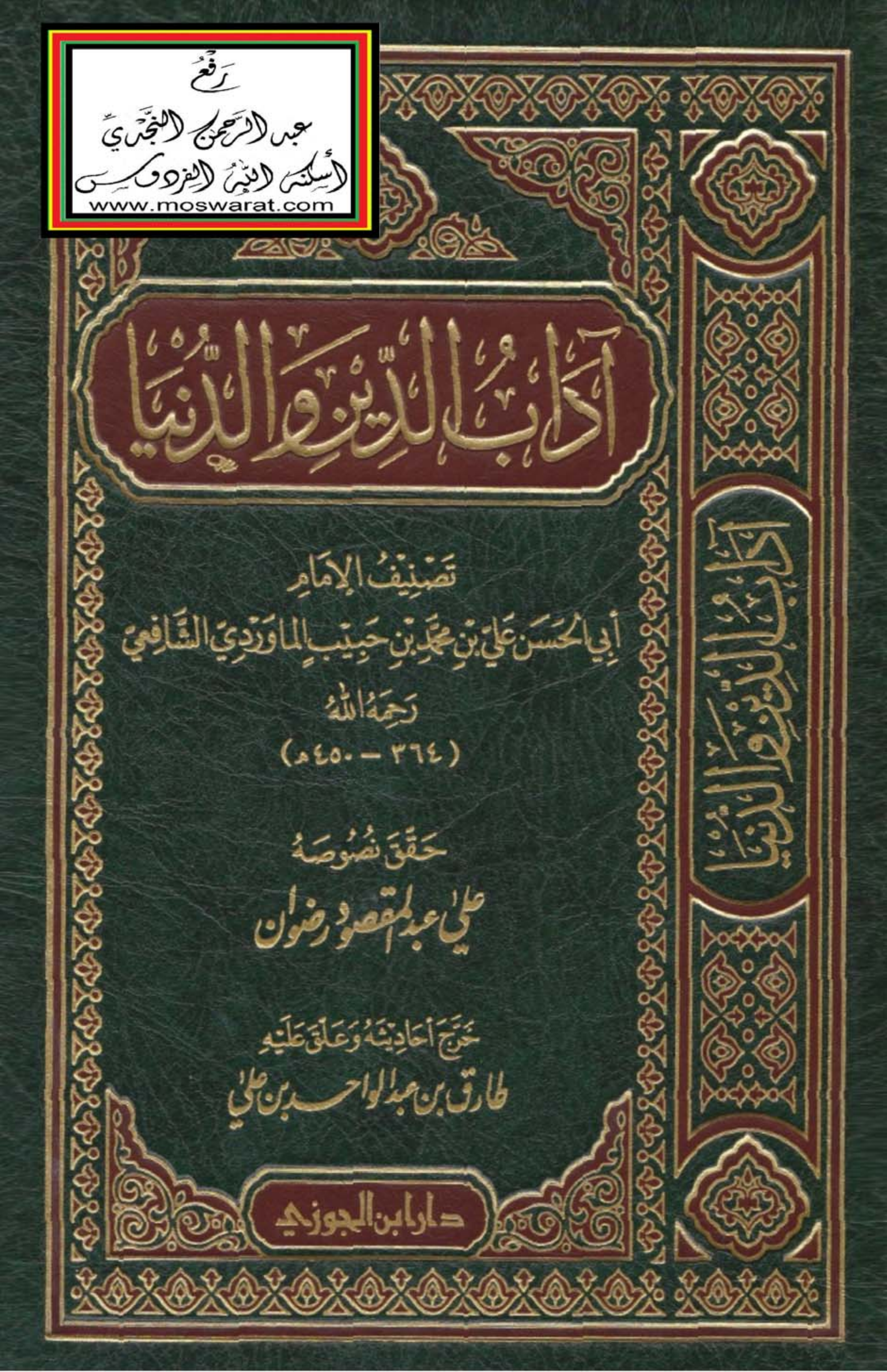

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
آداب الدين والدنيا
تصنيف الإمام
أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي
رحمه الله
(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)
حقق نصوصه
علي عبد المقصود رضوان
خرج أحاديثه وعلق عليه
طارق بن عبد الواحد بن علي
دار ابن الجوزي



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



آداب الدين والدنيا



جميع الحقوق محفوظة لدار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢

الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - **بيروت** - هاتف:

٨٦٩٦٠٠/٠٣ - فاكس: ٦٤١٨٠١/٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس:

٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - **الإسكندرية** - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com





آداب الدين والدنيا

تصنيف الإمام

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي

رحمه الله

(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)

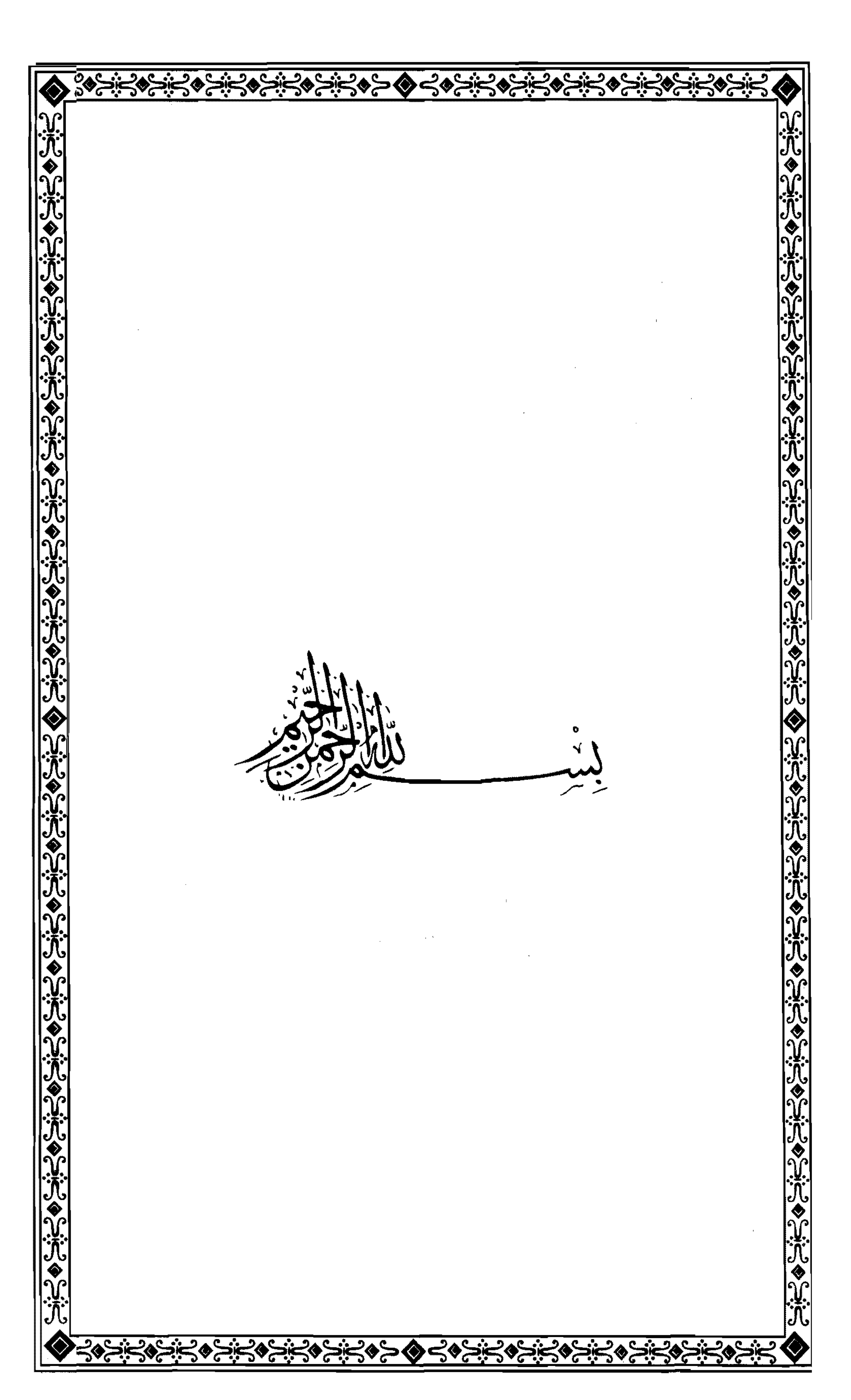
حقق نصوصه

علي عبد المقصود رضوان

خرج أحاديثه وعلق عليه

طارق بن عبد الواحد بن علي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمةُ المحقِّق

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين؛ نحمده ـ سبحانه ـ حَمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ونسأله من فضله العظيم أن يُلهمَنا الهدى والرشاد، وأن يوفقنا ـ بمنِّه وكرمه ـ إلى الصَّواب والسداد، وأن يفتح علينا فتحه على الصالحين من عباده، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسَنه، وأن يجعل ما نسمعه وما نعلمه حُجةً لنا ونورًا في بصائرنا، وهدايةً في قلوبنا، وسكينةً في نفوسنا، كما نضرعُ إليه سبحانه أن يهدينا لما اختلف الناس فيه من الحق بإذنه، فإنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ونصلِّي ونسلم على خاتم أنبيائه، وإمام رسله، وصفوته من خلقه، نبي الرحمةِ وشفيع الأمة، الناطق بوحيه، والصادع بأمره، سيدنا محمد صلَّى اللَّه وسلم وبارك عليه صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين[(١)].

وبعد:

فهٰذه طبعةٌ جديدةٌ لكتاب «**آداب الدِّين والدنيا**»، وهي طبعةٌ منقحة ومزيدة، قامت بها «دار ابن الجوزي» بالدمَّام، راجين من اللَّه تعالى أن يتقبَّل منَّا صالح الأعمال، وأن يرزقها القبول، وأن تكون أنفع الطبعات.

وقد بدأت فكرةُ تحقيق هٰذا الكتاب أثناء عملي بتحقيق كتاب «فيض القدير»، تلك الموسوعة التي تضمُّ ما يزيد عن عشرة آلاف حديث، مع الشرح المستفيض، وكان صاحب الشرح ـ الإمام المُناوي ـ ينقل آراءَ وعباراتٍ من كتاب «أدب الدنيا والدين»، فكان العثور عليها من الصعوبةِ بمكان، وذٰلك لأن المطبوع من هٰذا

---

(١) من مقدمة أستاذنا الفاضل العجمي دمنهوري خليفة، لكتابه: «اللباب في البر والصلة والآداب».

الكتاب ـ المحقَّق منه وغير المحقق ـ لا يحتوي على فهارس تُعين الباحث أو القارئ في العثور على بُغيته، سواءٌ كان ما يبحث عنه معنى آيةٍ قرآنية، أو حديثٍ نبوي، أو حكمة، أو قول مأثور، أو بيتِ شعر، أو غير ذٰلك.

فدفعني ما سبق إلى تحقيق ذٰلك الكتاب، وأيضًا لما يحتويه هٰذا الكتابُ من آداب إسلامية، وحكم وأمثال وأشعار، تُعين المسلم المتدينَ على فهم أخلاق هٰذا الدينِ القيم، دين الإسلام.

ولهٰذا الكتاب عدةُ طبعات ما بين تحقيق، وتعليق، وعناية، وشرح ألفاظ، وترتيب فقرات، وطباعتِه في حلة أنيقة جديدة... إلخ؛ كل تلك الطبعات خلت من التحقيق العلمي، بالرجوع إلى الأصولِ المخطوطة لهٰذا الكتاب والمطابقةِ بينها، والخروج بصورة للكتاب أقربَ ما تكون إلى نسخة المؤلف.

مما دعاني إلى البحث عن أصول هٰذا الكتاب في دور الكتب، وتم بحمد اللّٰه العثور على ثلاثِ مخطوطات في «دار الكتب المصرية» يأتي وصفها.

توجد طبعة لهٰذا الكتاب تُعتبر من أقدم الطبعات وأدقِّها، فقد طُبعت عام (١٩١٤م) بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، بعناية وزارة المعارف العمومية.

وطبعة ثانية، طبعت عام (١٩٥٥م)، وهي طبعة محققة على أصول خطية، كما أشار محققها الأستاذ مصطفى السقا رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]. وقد اعتبرتُهما نسختين يُعتمد عليهما، وقمت بعمل مقارنة بينهما وبين الأصول الخطية، وأثبت ذٰلك في الحواشي، وأشرت لهما بـ«المطبوعة».

وقام بشرح الكتاب أويس وفا بن محمد بن أحمد بن خليل بن داود الأرزنجاني، العريف بخان زاده ـ رحِمه اللّٰه تعالى، وجزاه خيرًا ـ والمطبوع في الآستانة عام (١٣٢٨هـ)، وسماه «منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين»، وقد استفدت من هٰذا الشرح، في نقل بعض المعاني والألفاظ المحتاجة إلى شرح.

(١) الأستاذ مصطفى محمد صالح يوسف السقا، من مواليد القاهرة عام (١٨٩٥م)، تخرج في كلية دار العلوم، وعمل بالتدريس بكلية الآداب جامعة القاهرة، توفي عام (١٩٦٩م).

اسم الكتاب:

اشتُهر هٰذا الكتاب باسم: «أدب الدنيا والدين»، وطُبع أكثر من مرة، سواءً محققًا أو غير محقق، وما اعتنى بِهٰذا الموضوع أحد، إلا ما كان من الأستاذ مصطفى السقا، الذي أشار في مقدمة الطبعة الذي قام بتحقيقها إلى أنه يوجد على إحدى النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها، اسم الكتاب: «المراتب العليا في آداب الدين والدنيا»، ومع ذٰلك سمَّى الكتاب باسم «أدب الدنيا والدين».

قال الإمام السبكي في «طبقات الشافعية» (٥/ ٢٦٧) ـ في ترجمة الإمام الماوردي ـ: «صاحب الحاوي، والإقناع، في الفقه، وأدب الدين والدنيا».

وقال عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ٤٩٩): «من تصانيفه: أدب الدين والدنيا».

وخالف ابن العماد في «شذرات الذهب» (٥/ ٢١٨) فسماه: «أدب الدنيا والدين».

فآثرت الاسم الذي اتفقت عليه النسخُ الثلاث التي اعتمدت عليها في التحقيق، واللّٰه المستعان.

منهج التحقيق:

مع مراعاة متطلبات التحقيق العلمية، من مقابلة النسخ المخطوطة والمطبوعة، وضبط النص، ووضع علامات الترقيم، وتقسيم النص، وغير ذٰلك، فقد قمت بما يلي:

١ ـ استعان المؤلف ـ كغيره من الأدباء والفقهاء، الذين ليس لهم عناية بحفظ الأحاديث النبوية ـ بأحاديثَ كثيرةٍ لا أصل لها، أو موضوعة، أو ضعيفة جدًّا، أو يروي الحديث بالمعنى، وقد قام أخونا الشيخ طارق بن عبدالواحد بإخراج الأحاديث تخريجًا علميًّا ونقل آراء وأحكام العلماء السابقين والمعاصرين عليها صحةً وضعفًا، فجزاه اللّٰهُ خيرًا.

٢ ـ قمتُ بتخريج الأقوال والحكم والأمثال والأشعار بقدر المستطاع، فكثيرًا منها يُنسب لأكثر من قائل، وهٰذا التخريجُ يزيد من قيمة التحقيق، فهو تحقُّقٌ لما ينقله المؤلف عن الآخرين؛ فإن كان ينسبه إلى قائله، فتصحح العبارة إن كان فيها خلل، وإن لم ينسبها، أنبه على ذٰلك في الحاشية بأن هٰذا المعنى ينسب إلى فلان.

وهٰذا المنهج اتبعتُه في جميع أعمالي في التحقيق؛ كتحقيق كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، وتحقيق كتاب «فيض القدير»، للإمام المُناوي[(١)]، فهو وإن كان جهدًا زائدًا، وعملًا مضنيًا، ولٰكنه توثيق أعمق للعمل، وقد اتبعت في هٰذا المنهج علماء أجلاءَ سبقونا في هٰذا المجال، فجزاهم اللَّهُ خيرًا.

٣ ـ قمت بالترجمة لجميع أصحاب الأقوال والحكم والأشعار الموجودين بالكتاب ترجمةً مختصرة، ثم التعقيب بمصادر الترجمة، لمن أراد الاستزادة، وهٰذه الترجمة لها أثر ـ أيضًا ـ في توثيق النص، وفي صحة التأكُّد من أصحاب هٰذه النصوص.

٤ ـ قمت بعمل الفهارس التالية:

ـ فهارس للآيات القرآنية.

ـ فهارس للأحاديث النبوية.

ـ فهارس للآثار والحِكَم والأمثال.

ـ فهارس للأشعار.

ـ فهارس للرجال المترجم لهم.

ـ فهرس للموضوعات.

---

(١) يسر اللَّهُ إتمامهما على خير، فالأول تم الانتهاء من تحقيقه على ثلاث نسخ خطية قديمة، والرجوع إلى الأصول المنقول منها الكتاب، بتحقيق وتعليق لم أسبق إليه ـ فيما أعلم ـ والحكم على الأحاديث، ومقارنتها بـ«صحيح وضعيف الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحمد للَّهِ رب العالمين.
والثاني قد تم منه مجلدان، سرتُ فيهما على هٰذا النهج في التحقيق والرجوع بالنصوص إلى المصادر المنقول منها، ونقل آراء وأحكام العلماء في الحكم على الحديث قديمًا وحديثًا. اللهم أتم علينا فضلك بالتوفيق يا كريم. آمين.

واللَّه المستعان على إتمام هٰذا العمل على خير وجهٍ، وأن يتقبله المولى ﷻ، وأن ينتفع به كُل من اطلع عليه واعتنى به، وأن يجعله في صحيفة حسناتي يوم القيامة، وفي صحائف كُل من أعانني بنصيحة، أو أسدى إليَّ معروفًا.

وأخص بالذكر والشكر فضيلة الأستاذ الدكتور: العجمي دمنهوري خليفة، أستاذ الحديث وعلومهِ بجامعة الأزهر، والذي تفضَّل مشكورًا بمراجعة تحقيق الكتاب، فجزاه اللَّه خيرًا.

وكذٰلك أتوجه بالشكر لكل من أعان وساهم في ظهور هٰذا الكتاب.

وصلِّ اللَّهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وأنصاره، وآل بيته، وحَمَلة علمه، كُلَّما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وكتبه

أبو عبدالرَّحْمٰن

علي عبدالمقصود رضوان

الجيزة: ٠١٠٩٧١١١٩٧ /٠١١٤٤٩٩٦٤٦

مقدِّمة مخرِّج الأحاديث والمُعلِّق على الكتاب

ـ عفا اللَّهُ عنه ـ

الحمدُ للَّهِ كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيم سلطانِه، والصلاةُ والسلام على حبيبنا محمدٍ وأصحابه وآلِه، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ ينتهي كلُّ عبدٍ إلى مصيرِه ومآلِه.

أما بعد:

فهٰذا هو كتاب «**آداب الدِّين والدنيا**»، للإمام الكبير عليِّ بنِ محمد بن حبيب الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ، نقدِّمُه اليوم في طبعةٍ جديدة؛ آمِلين من اللَّهِ تعالى أن تكون خالصةً لوجهه الكريم، وأن نكونَ قد وفِّقنا في خدمتها على الوجه اللائق بمكانةِ الكتاب وقيمتِه العلمية، وأن تكون ذُخرًا لنا يوم تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار.

أريدُ في هٰذه المقدمةِ إبرازَ النهج المتَّبع في التعليق على هٰذا الكتاب القيِّم؛ ليكونَ القارئُ الكريمُ على بيِّنةٍ من أمره، وليوافيَني بما يراه من ملاحظاتٍ حول عملي الضئيل؛ ليتمَّ التعديلُ إلى الأصلح في الطبعاتِ القادمة ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ .

لقد اطلعتُ على المطبوعات السابقةِ لطبعتنا هٰذا، وتأملتُ فيها ـ خاصةً من ناحيةِ تخريج الأحاديث ـ ؛ وكنتُ أَعجَبُ غايةَ العجب من هٰذا التقصير الشديدِ في الاعتناء بحديثِ النبيِّ ﷺ؛ بل إن بعضَ المحققين الأفاضلِ أو الذين اعتَنوا بِهٰذا الكتاب كانوا يذكُرون في مقدماتِهم أنهم تركوا تخريجَ الأحاديث عمدًا حتى لا يحصُلَ إثقالٌ في الحواشي!!! في الوقت الذي رأيناهم أثقلوا الحواشي فعليًّا بتراجم كلِّ من مرَّ بهم، أو بغير ذٰلك من التعليقات! وهٰذا خيرٌ لا بأس به، لٰكن من المعلوم عند أهل العلم والإنصاف أن تخريجَ حديثِ رسول اللَّه ﷺ والاعتناءَ به أهمُّ بكثير من تلك الأمور؛ لأن أحاديثه ﷺ تشريعٌ للأمة، فينبغي أن يُعرف صحيحُها من سقيمها، وثابتُها من باطلها، حتى يسيرَ الناسُ على بصيرةٍ من دينهم.

وكانت حُجةُ بعضِ الأفاضل الآخرين في عدم الاعتناءِ بتخريج أحاديث النبيِّ ﷺ أن الكتابَ كتابُ «أدب»!! وهٰذه كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل، فليس معنى أنه

كتابُ أدب أن يُهمَلَ أهمُّ ما فيها ـ وهو كلامُ الصادق الأمين ﷺ ـ ، وإلا فلو اتبعنا هٰذا المنهجَ في جميعِ كتب الآداب لمَا رأينا كتابًا منها يخرجُ محقَّقًا تحقيقًا علميًّا؛ بل ويتصدَّى له جهابذَةُ النقاد ـ كما هو مشهورٌ معلوم ـ ، بل ولترَكْنا بيانَ الحقِّ في كتب «الأدب» إذا كان فيها انحرافاتٌ عقديةٌ أو سلوكية، وهٰذا مما يأباه اللَّهُ ﷻ ورسولُه ﷺ والمنصِفون من أهل العلم.

وكذٰلك رأيتُ في بعض الطبعاتِ تخريجًا مخلًّا جدًّا بالأحاديثِ النبوية، فقد يكون الحديثُ في أحد الكتب السِّتة ـ أو عند الجماعة ـ ، ثم نرى المُخرِّج قد أبعدَ النُّجعة، وعزاه لبعض كتب الموضوعاتِ أو غير ذٰلك، وأحيانًا قد يكتفي المخرِّج بذكر مصدرِ التخريج مع رقم الحديث؛ دون ذكر أقوال أئمةِ الحديث حولَه تصحيحًا وتضعيفًا، ومعلومٌ أن الغرضَ الرئيس من التخريج ـ كما قال أئمة الحديثِ المحققون ـ هو معرفةُ درجةِ الحديث وثبوتِه من عدمه، خاصةً وأن القارئ إنما يريدُ الكتابَ الذي يوفِّرُ عليه الوقتَ والجهدَ في معرفة درجةِ الحديثِ وبعضِ من خرَّجه ـ إن كان من المعتَنِين بِهٰذا العلم الشريف ـ ، خاصةً وأن تخريج الحديث ومعرفةَ درجته ـ في هٰذا العصر ـ تيسَّر إلى حدٍّ بعيد، عن طريق الفهارس الميسِّرة وأجهزةِ الحاسب الآلي وغير ذٰلك[1].

وليُعلَم ـ علم ربِّي ـ أنني لا أغمِزُ ولا أطعَنُ بتلك الكلماتِ السابقةِ الأساتذةَ الأفاضلَ الذين خدموا هٰذا الكتابَ النفيس من قبلُ، فليس هٰذا ـ بحمد اللَّه ـ مَبدئي ولا منهجي، لٰكنني أردتُ ـ فقط ـ بيانَ حقيقةٍ لمستُها تُجاه كلام رسول اللَّه ﷺ الوارد في الطبعات السالفة لهٰذا الكتاب، واللَّهُ تعالى الهادي إلى سواءِ السبيل.

ومن هنا يمكن تلخيصُ عملي المتواضع في النقاط التالية:

* ***أولًا: فيما يتعلق بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة:***

١ ـ خرَّجتُ أحاديثه ﷺ تخريجًا وسطًا بين التقصير المُخِل والتطويل المُمِل،

(١) ليس معنى كلامي أن الحاسب الآلي كافٍ في العمليات العلمية، نعم هو ميسِّرٌ إلى حدٍّ كبير؛ لٰكن لا يغني هٰذا عن الرجوع إلى الكتب المحققة لأهل العلم الثقات، وكذٰلك هو لا يبني طالبَ علم؛ بل لابد من تلقِّي العلم بالطرق الصحيحة؛ مع الحفظ والتكرار والإتقان.

ولا ينافي هٰذا أن يَرى القارئُ الكريمُ بعضَ الأحاديث قد أخذ تخريجُها بضعةَ أسطر، فإن هٰذا ـ أيضًا ـ من التوسُّط الذي أُحبُّ أن أقدِّمَه للقارئ الكريم الذي لا يكتفي ـ بل لا يقنعُ ـ بمجرد سطرٍ واحدٍ في التخريج، وكذٰلك لا يُحبُّ أن يرى تخريجًا بلغ عدةَ صفحاتٍ طوالٍ كما هو منهجُ بعض الأساتذةِ الأفاضل.

وأُذكِّرُ ـ أيضًا ـ أن بعض مَن أُخرِّج الحديثَ عندهم قد يتَّحدُ لديهم مَخرجُ الحديث، وقد يختلف، ولا ريب أن هٰذا لا يخلُو من فوائد، لا سيَّما عند أهل التخصُّص في هٰذا العلم السامي.

٢ ـ اهتممتُ ـ قدرَ طاقتي ـ ببيان درجةِ الحديثِ من خلال أقوالِ أئمتِه قديمًا وحديثًا، ومن باب التيسير والتقريب لطبقاتِ القرَّاءِ الكرام ـ وخاصةً الذين يُريدون فقط معرفةَ درجة الحديث[١] ـ، فإنني صدَّرتُ كلَّ حديثٍ بحُكمه، ثم أتبعتُ هٰذا بذكر بعضِ مَن خرَّجه من أئمةِ الحديث، وأقوالِ مَن صحَّح أو ضعَّف[٢].

وهٰذا أصلٌ عامٌّ أسيرُ عليه دومًا في جميع أعمالي، حتى لو كان الحديثُ في «الصحيحين» ـ أو أحدهما ـ، فإنني أقولُ في بدايته: «صحيح»، ثم أذكرُ مُخرِّجه ورقم الحديث، وهٰذا منهجٌ مختارٌ عند الكثير من أئمة الحديثِ وأهله في القديم والحديث، وليس من باب الإنصاف ـ أحبابي ـ أن يُحجِّرَ مَن لا يرى تصدير أحاديثِ «الصحيحين» ـ أو أحدهما ـ بذكر درجةِ الصحة على من يرى هٰذا، فما وَسِعَ سلفَنا وأئمتَنا يسعُنا، والأمرُ يسير، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٥].

٣ ـ عندما أقولُ في بعض الأحاديث: «لا أعلمُ له أصلًا»، فهٰذا نفيٌ لعلمي القاصر، وليس ادعاءً للنفي المُطلَق ـ اللهمَّ إلَّا إذا نقلتُه عن عَلَمٍ من أعلام هٰذا

---

(١) فهناك طائفةٌ من طلبة العلم المبتدئين، والذين يهتمُّون بمعرفة الصحيح من حديثه ﷺ من غيره، إنما يحبُّون فقط أن يعرفوا درجة الحديث، ولا يهتمون كبير اهتمام بذكر من خرَّجه، فكان في تصدير كلِّ حديث بذكر درجته توفيرًا عليهم من قراءة أسطر التخريج كافةً.

(٢) ولا يخفى على القارئ الكريم وجودُ طبعاتٍ جديدةٍ لبعض كتب الحديث، قد تختلفُ فيها الترقيمات، وقد أرجع ـ لسببٍ أو آخر ـ لأكثر من طبعةٍ للكتاب الواحد، والأمرُ يسير ـ إن شاء اللّٰه تعالى ـ، والوصولُ للحديث في الكتب أصبح سهلًا ميسورًا بحمده تعالى.

الشأن ـ؛ فليس أمثالي ممن يحقُّ لهم مثل تلك الدعاوى المطلقةِ التي خصَّ اللَّهُ بها جهابذةَ علمِ الحديثِ وأئمَّته.

أحاولُ جاهدًا ذِكرَ أقوال من وقفتُ عليهم من أهل الحديث ـ قُدامى ومعاصرين ـ، حتى لو اختلفت آراؤهم، فأذكُر ـ في الحديث الواحد ـ مَن صحَّحه ومن ضعَّفه ـ حتى لو صدَّرتُ الحديثَ بحكمِ أحدهم دون الآخر ـ، فإنَّ منهجي الذي اخترتُه في هٰذا الأمر أن أحترمَ جميعَ الآراء، وأتركَ النقدَ والتحقيقَ وفصلَ النزاع بين المختلفين لأهل الاختصاص في هٰذا الفنِّ العظيم، وقد تعلمتُ ـ فيما علَّمني اللَّهُ تعالى ـ أن أحترمَ علماءنا جميعًا، وأقدِّر منزلتَهم وجهودَهم، ولا أحبُّ أن أكون مثلَ بعض الأفاضل ممن يجعلون من قولِ عالِمٍ ما كأنه قرآنٌ يُقبل مباشرةً بلا ردٍّ ولا نقد؛ فإن هٰذا ـ من وجهةِ نظري المتواضعة ـ منهجٌ ضارٌّ جدًّا على العلم وأهلِه، فلا أدَّعي لأحدٍ العصمة، ولا أُهدرُ مكانةَ عالِم مشهودٍ له بالمتانة في علمه ـ حتى لو انتقده بعضُ أقرانِه، أو غَمَزه بغامزةٍ ـ، فهٰذا الأمرُ بينهم وبين بعضهم البعض من ناحيةٍ، وبينهم وبين ربِّهم ﷻ من ناحيةٍ أخرى، أما قيمتُهم العلمية فمصونةٌ لديَّ وأُقدِّر الكلَّ، وأنْهلُ من معينِ الجميع، ونسأل اللَّهَ تعالى أن يغفرَ لهم، وأن يرفع في الدنيا والآخرة أقدارَهم.

وأنبِّهُ ـ كذٰلك ـ إلى أنني إذا ذكرتُ قولَ عالِمٍ في التصحيح والتضعيف، ولم أذكر بجواره مكانَ التصحيح والتضعيف، فهٰذا معناه أنه في أحدِ الكتب التي ذكرتُها في التخريج بأرقامِها قريبًا، والتي قام هٰذا العالِمُ بالحكم على أحاديثها، فمثلًا أقول: صحيح، رواه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم كذا)، وابن حبان (برقم كذا)... إلخ، ثم أقول ـ مثلًا ـ: «وصححه الشيخ الألباني»، فهٰذا معناه أنه صححه في هٰذين المصدرين المذكورين أو أحدهما، ولا يلزم أن أقول: «وصححه الشيخ الألباني في «الأدب المفرد» رقم كذا» اكتفاءً بالرقم السابق.

٥ ـ في الأحاديث التي لا تثبُتُ ـ خاصةً ـ قد أذكرُ ـ بعد بيان حالها ـ بعضَ ما يُغني عنها مما هو في معناها.

٦ ـ سيلاحظ القارئ الكريم أن الإمام الماورديَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا ما يورد الحديث بالمعنى ـ لا باللفظ ـ ، وأحيانًا قد يلفِّقُ بين حديثين في حديثٍ واحد، فأبيِّن ذٰلك بحمد اللَّهِ تعالى، وكان من الجليِّ جدًّا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَعتني بانتقاءِ الثابت من غيره؛ لذا رأينا في هٰذا الكتاب الكثيرَ من الضعيفِ والموضوعِ وما لا أصل له.

هٰذه هي أهمُّ الأمور التي تتعلقُ بتخريج أحاديث الحبيب ﷺ.

* ***ثانيًا: فيما يتعلقُ بالتعليق على الكتاب وتنسيقه:***

١ ـ بيَّنتُ معاني المفردات والجُمَل قَدْرَ طاقتي؛ توفيرًا على القارئ الكريم من الرجوع للشرح أو المَعاجم المختصَّة[١].

٢ ـ نقَدتُ ما رأيتُ أنه يحتاجُ إلى نقدٍ مما أورده المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ خاصةً فيما يتعلق بعقيدتِهِ الأشعريَّة، أو فيما أورده من أخبارٍ رأيتُ أن فيها بعضَ المخالفات الشرعية، كما يراه القارئُ الفاضلُ في موضعه، ولا ريبَ أنه قد يفوتُني مواضعُ أخرى لقلةِ علمي وضيقِ نظري.

٣ ـ عملتُ على ترقيم أخبارِ الكتاب جميعًا ـ أحاديثِه وآثاره ـ ، ورأيت هٰذا من باب حُسن التنسيق والتقريب لمادَّتِه، وهو أمرٌ لم أرَ أحدًا سبق إليه في الطبعات السالفة، فأرجو أن يكون عملًا نافعًا.

٤ ـ اهتممنا ـ فضيلةُ الشيخ المحقِّق وأنا ـ بضبطِ النصِّ بالشكل بصورةٍ معتدلة؛ فلم نستحسِنْ أن يكون التشكيلُ كاملًا على كلِّ حرفٍ؛ بل جعلنا التشكيلَ يُعينُ القارئ على الاسترسال في القراءةِ دون تعثُّرٍ أو توقُّفٍ ـ بعون اللَّه تبارك وتعالى ـ .

٥ ـ وضعتُ عناوينَ بين معقوفتين [ ] تقرِّب ما تحتها من مضامين الكتاب، وكذٰلك وضعتُ ترقيماتٍ للتقسيمات والتنويعات التي أوردها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من باب التيسير وربط أقسام الكتاب بعضِه ببعض، وأحيانًا ـ كما سيلحظ القارئ الكريم ـ كانت تقسيماتُ الإمام مرهقةً عسِرةً متداخلة، فحاولت ـ قدر الطاقة ـ

(١) وقد اخترتُ أن يكون بيان المعاني مما تبدَّى لي من سياق الكلام أو غير ذٰلك، ولم أرجع إلى الشرح ـ «منهاج اليقين» ـ إلا نادرًا، وقد بيَّنت المواضعَ التي رجعتُ إليه فيها في الحواشي.

وضع الترقيماتِ الصحيحة لتلك التقسيمات، فلو وجد القارئُ الكريمُ خطأً في ترقيماتي فلْيَلتمس لأخيه عذرًا.

٦ ـ أحيانًا قليلةً أضعُ من عندي كلمةً بين معقوفتين [ ] لإتمام معنى السياق.

٧ ـ ميَّزتُ تعليقاتي عن تعليقاتِ فضيلة الشيخ المحقِّق بذكر الحرف [ط] ـ هٰكذا بين معقوفتين ـ في نهاية كلِّ تعليق[1]، وهٰذا ما أستحسنُه دومًا في الأعمال المشتركة، وهو ما سبقَنا إليه الكثيرُ من الأكابر وغيرهم، حتى لا يُنسبَ أمرٌ لأحدٍ ـ خاصةً عند النقد ـ وهو بريءٌ منه، وقد رأينا مثل هٰذه النسبةِ عند بعض العلماء الذين اشتركوا في تحقيق بعض الكتب العلمية، فعند النقد قد يُنسب قولٌ ما للعالِم الفلاني، ويكون هٰذا الكلامُ المنتقَدُ إنما هو للعالِم الآخر الذي اشتَرك معه في الكتاب، فإذا كان هٰذا في العلماء، فما البال مع أمثالي من الأغمار؟! وهٰذا الأمر ـ أيضًا ـ قد استشرتُ فيه بعض الناصحين، فأشار عليَّ ـ وأكَّد ـ بأهميةِ تمييز العملين عن بعضهما، وهو ما شُرح له صدري ـ بحمد اللّٰه تعالى ـ.

٨ ـ قد يجدُ القارئ الكريمُ تفاوتًا في تعليقاتي على الكتاب، فأحيانًا ـ وهٰذا نادرٌ جدًّا ـ أُسهب في التعليق ـ كما في مسألةِ التحسين والتقبيح العقليين ـ، وذٰلك لأهميةِ المسألة وخطورتِها على حياةِ الأمة، وأحيانًا ـ وهو الأكثر ـ تكون تعليقاتي مختصرةً إلى حدٍّ كبير، وفي مواضعَ أخرى لا أُعلِّق إلا ببيان المعاني المشكِلة، فليست المسألةُ في جميع الكتاب على وتيرةٍ واحدةٍ، إنما الأمرُ عندي «كان تابعًا للحاجة»، وعلى حسب الأمر الذي يَحتاجُ إلى تعليق؛ فليستِ الأمرُ لديَّ شغفًا بتسطير التعليقاتِ وإثقال الحواشي، واللّٰهُ المستعان.

فهٰذه هي أهمُّ النقاط التي دار عليها عملي، وقد يكونُ هناك أمورٌ غاب عن ذهني إيرادُها، قد يلمحُها القارئ الكريم أثناء تفضُّلِه بالاطلاع على عملي الضئيل، وصدري منشرحٌ دومًا لكلِّ نقدٍ بناءٍ ونُصحٍ مهذَّب.

---

(١) فالأصل أن كل هامش ـ من أوَّله لآخره ـ إما أن يكون للشيخ المحقق وإما لي، وأحيانًا يضعُ الشيخ تعليقًا، ثم أريد إضافةً من عندي عليه، فأقول تحته: «قلتُ» ـ بالخط الأحمر ـ، وأُنْهي تعليقي بالحرف [ط].

وهنا ملاحظةٌ أخيرةٌ أحبُّ لفتَ نظرِ القارئ الفاضل إليها، وهو أنني ذكرتُ أنني علَّقتُ على الكتابِ وبيَّنتُ معانيَه، وأحيانًا قد يرى القارئُ معنًى من وضع الشيخ المحقق ـ حفظه اللَّه ـ ، أو تعليقًا ما، وهٰذا لأن عمَلنا المشترَك لم يبدأ معًا، بل كان الشيخُ المحقق ـ جزاه اللَّهُ خيرًا ـ قد أتمَّ عمله وأنهاه تمامًا، ولمَّا اطلع فضيلةُ الشيخ «سعد بن فوَّاز الصُّميل» ـ صاحب دار ابن الجوزي ـ على عملي في نسختي ـ ولم أكن أعلمُ أن الكِتاب عُرض عليه بالفعل من قِبَلِ الشيخ المحقِّق ـ ، لما رأى الشيخ «سعدٌ» عملي ورأى فيه بعضَ النفع، عرض عليَّ أن يُجمع بين عملي وعمل فضيلة الشيخ المحقِّق، فكان أن وضعتُ عملي المتواضعَ وأكملتُه بعد انتهاء الشيخ من عمله، نسألُ اللَّهَ تعالى القبول منَّا جميعًا.

وأخيرًا فما كان من توفيقٍ فمن اللَّهِ تبارك وتعالى، وما كان من زلل أو خطإٍ أو نسيان، فهو مما جنت يداي، ويعفو اللَّهُ تعالى عن كثير، وأسألُه ﷻ أن يتقبَّل هٰذا العمل مني وسائرَ أعمالي، وأن تكونَ خيرَ ذُخرٍ لي يومَ العرض عليه، فالخيرُ كله بيديه، والشرُّ ليس إليه.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات].

وكتبه
أبو شُعيب
طارق بن عبدالواحد بن علي
ـ عفا اللَّهُ عنه برحمته ـ
جُمهورية مصر العربية: هاتف/ ٠١١١١٣٨٥٣٩٥

❁ ❁ ❁



وصفُ المخطوطات[1]

للكتاب ثلاث نسخ خطية بدار الكتب المصرية، وهٰذا وصفها:

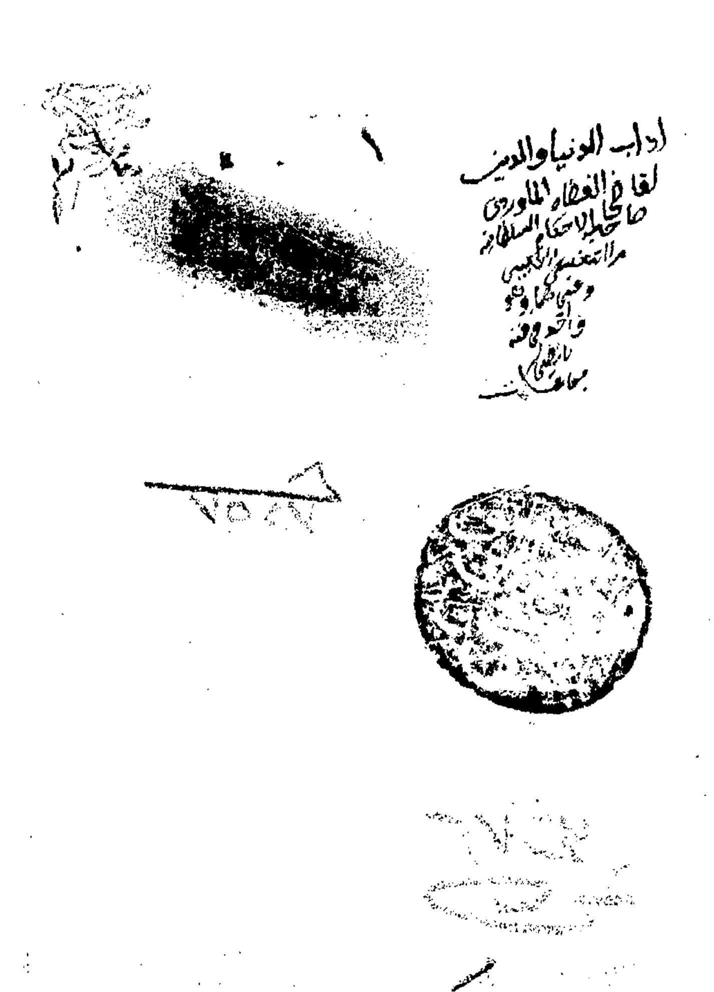
(١) نسخة (١١٨ تصوف/ م)، رقم الميكروفيلم (٤٦٨٨)، عدد أوراقها (٢١٦) ورقة، بكل ورقة صفحتان، بكل صفحة (١٩) سطر، عنوان النسخة: «آداب الدنيا والدين، لقاضي القضاة الماوردي، صاحب الأحكام السلطانية». وتاريخ نسخها (٥٥٨ هـ)، وناسخها هو سعيد بن عبد المنعم هبة اللّٰه بن عليٍّ الثقفي العامري. وقد ضبطت بالتشكيل، ورمزت لها بالرمز (أ)، واتخذتُها أصلًا، وذٰلك لقدم نسخها، ووضوح خطها، واكتمالها، ومقابلتها، كما قال ناسخها في آخرها.

(٢) نسخة (٧٧٨ أدب تيمور)، رقم الميكروفيلم (٢٧٩٤٧)، عدد أوراقها (١٤٨) ورقة، بكل ورقة صفحتان، بكل صفحة (٢٦) سطرًا، تاريخ نسخها بعد الألف من الهجرة، اسم الكتاب ـ كما في صورة الغلاف ـ : «كتاب المراتب العليا في آداب الدين والدنيا، تأليف العلامة الشهير الماوردي»، وكتب أعلى الصفحة: هٰذه النسخة هي المراتب العليا، وقد تسمى البغية ـ أفاده بعض العلماء ـ ، وقد تداولت بين العلماء، وعليها تملكات، وكان آخرهم ـ كما يظهر في صورة الغلاف ـ الشيخ محب الدين الخطيب، عام (١٣٣٧)، وهي نسخة جيدة مقروءة، ومصححة، وضبطت بعض كلماتِها بالتشكيل، ولٰكن بكل أسف أصابتها الرطوبة في كثير من صفحاتِها، كما يظهر في الصور، ورمزت لها بالرمز (ت) نسبة إلى (تيمور).

(٣) نسخة (١٠٢٨ تصوف طلعت)، رقم الميكروفيلم (٦٨٦٨)، عدد أوراقها (١٩٨) ورقة، بكل ورقة صفحتان، بكل صفحة (٢١) سطرًا، تاريخ نسخها (١٠٥١هـ) ، وناسخها هو أحمد بن موسى الملطاني، اسم الكتاب: «آداب الدين والدنيا»، وهي نسخة مقروءة، ولٰكن ليس عليها أي آثار للمقابلة، أو التصحيح، ورمزت لها بالرمز (ط) نسبة إلى (طلعت).

(١) من هنا إلى نهاية المقدمة من عمل فضيلة الشيخ المحقق. [ط]

نماذج من صور المخطوطات



صورة الغلاف من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله عدة للقائه
قال أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماوردي رضي الله عنه ٥ الحمد لله ذي الطول
والآلاء وصلى الله على محمد خاتم الرسل والأنبياء وعلى آله
وصحابته الأتقياء أما بعد فإن شرف المطلوب بشرف
نتائجه وعظم خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه
تجب العناية به وباختيار العناية به والاجتهاد يكون اجتناء
ثمره وأعظم العلوم خطرا وقدرا وأعمها نفعا ورفدا ما
استقام به الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولى
لأن باستقامة الدين تصح العبادة وبصلاح الدنيا والآخرة
تتم السعادة وقد توخيت بهذا الكتاب الإشارة
إلى آدابهما وتفصيل ما أجمل من أحوالهما على أعدل الأمرين
من إيجاز وبسط ما جمع فيه بين تحقيق الفقهاء وترقيق الأدباء
فلا ينبو عن فهم ولا يدق عن وهم مستشهدا من كتاب الله
تعالى بما يقتضيه ومن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يضاهيه ثم متبعا ذلك بأمثال الحكماء وآداب البلغاء
وأقوال الشعراء لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة وتسأم
الفن الواحد وقد قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه
إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكمة ٥

صورة الصفحة الأولى من النسخة (أ)

ثم يقول اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد روي أن رجلا جاء إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذروها وهي ذميمة وليس هذا منه على وجه الطيرة لكن على طريق التبرك بما فارق وترك ما استوحش منه إلى ما أنس به. فأما الفأل ففيه تقوية للعزم وباعث على الجد ومعونة على الظفر فقد تفاءل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته وحروبه.

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمة فأعجبته فقال أخذنا فألك من فيك. فينبغي لمن تفاءل أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن سبيلا على نفسه قال النبي عليه السلام إن البلاء موكل بالمنطق. وحكي أن يوسف عليه السلام شكا إلى الله سبحانه طول الحبس فأوحى الله إليه يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت رب السجن أحب إلي ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت. وحكي أن المؤمل بن أميل الشاعر لما قال:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

١٥٤

عمي فأتاه آت في منامه فقال له هذا ما طلبت. وحكي أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما في المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده. نعوذ بالله من البغي ومصارعه والشيطان ومكايده وهو حسبنا وعليه توكلنا.

الفصل السابع
في المروءة

إن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم والمروءة هي مراعاة الأحوال أن تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق. روي عن الرسول عليه السلام أنه قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته. وقال بعض البلغاء إن من شرائط المروءة أن يتعفف عن الحرام ويتصلف عن الآثام

نماذج من النسخة (أ)

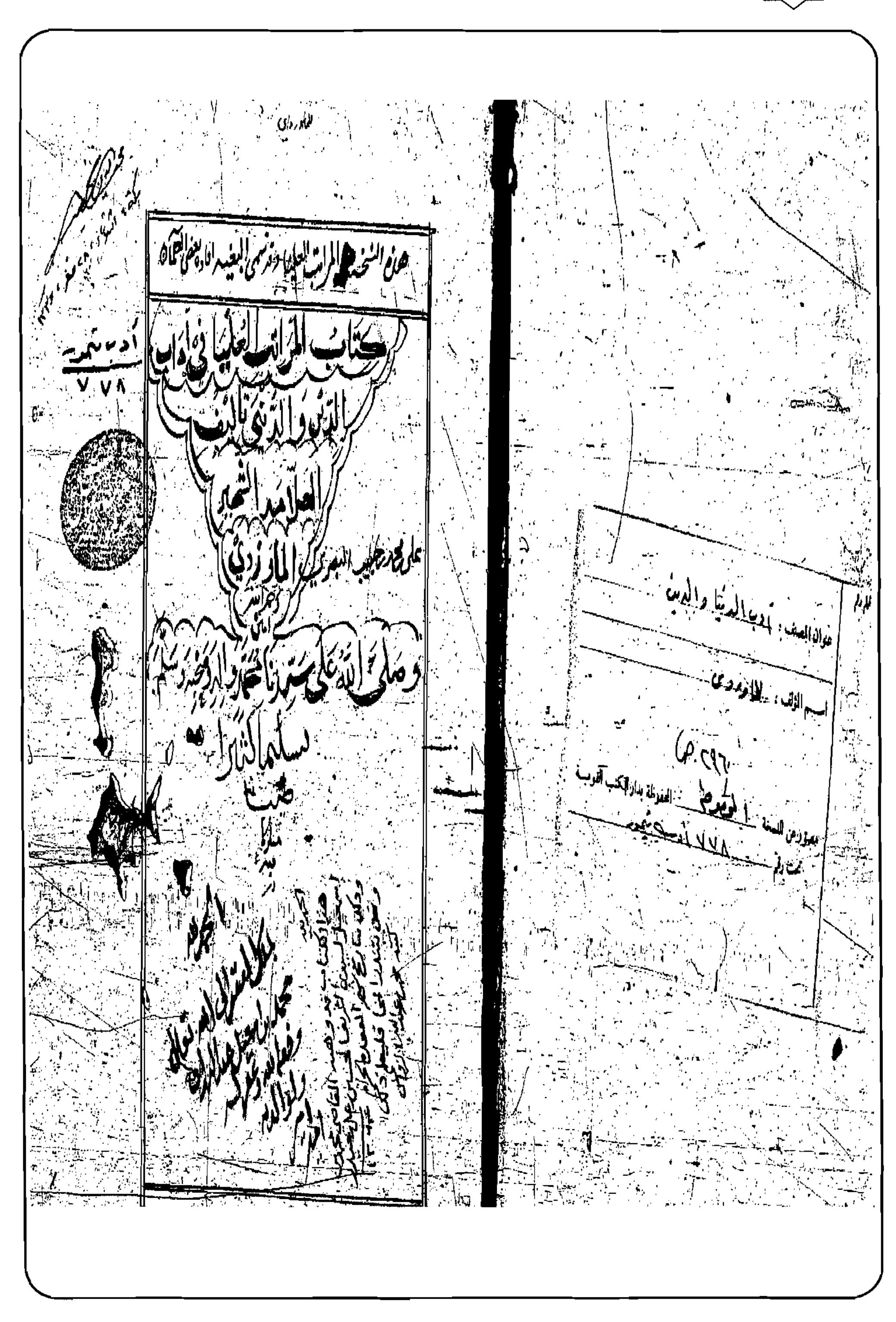
الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

صورة الغلاف من النسخة (ط)

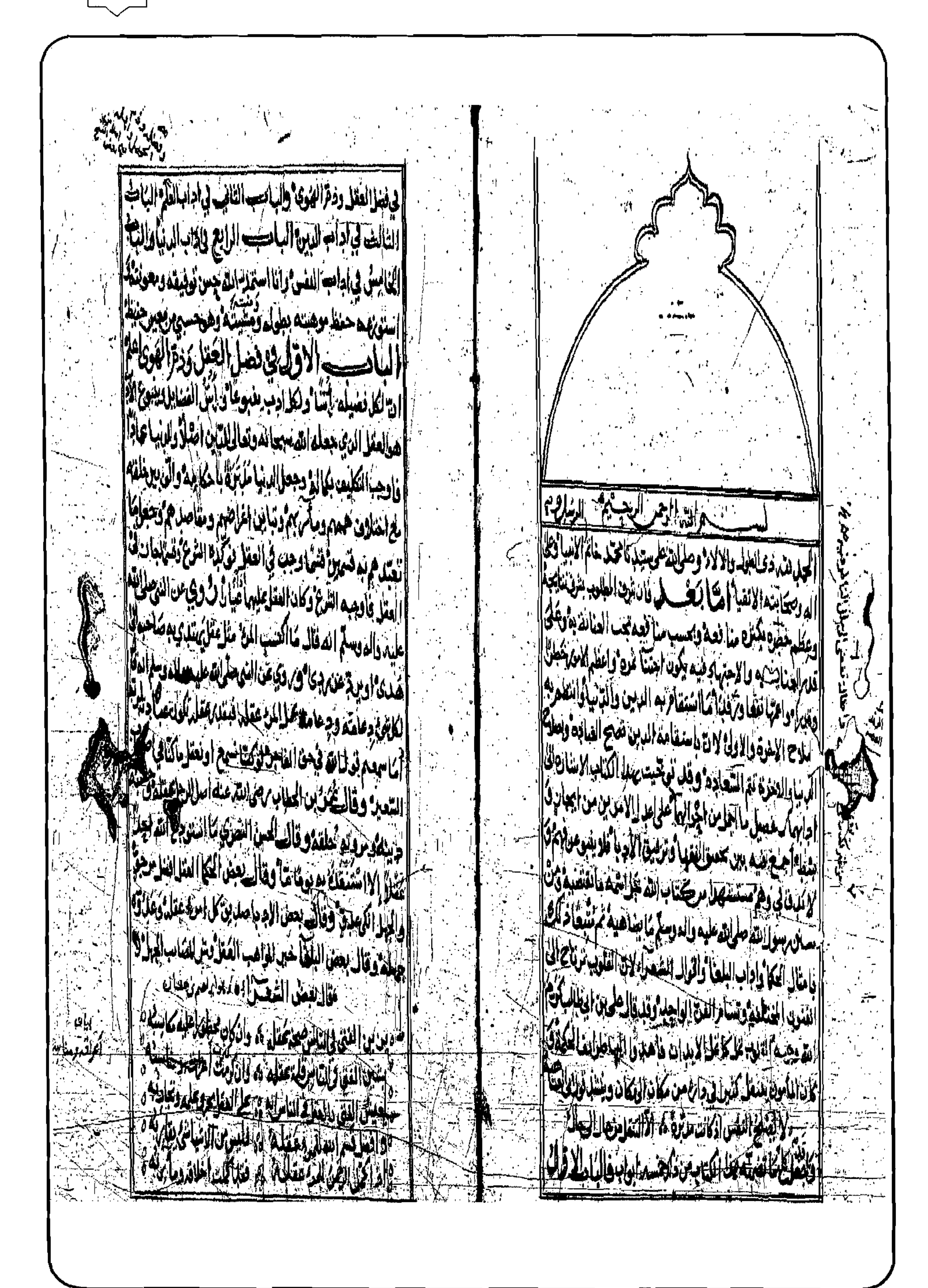
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ط)

صورة الصفحة قبل الأخيرة من النسخة (ط)

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ط)



صورة الغلاف من النسخة (ت)



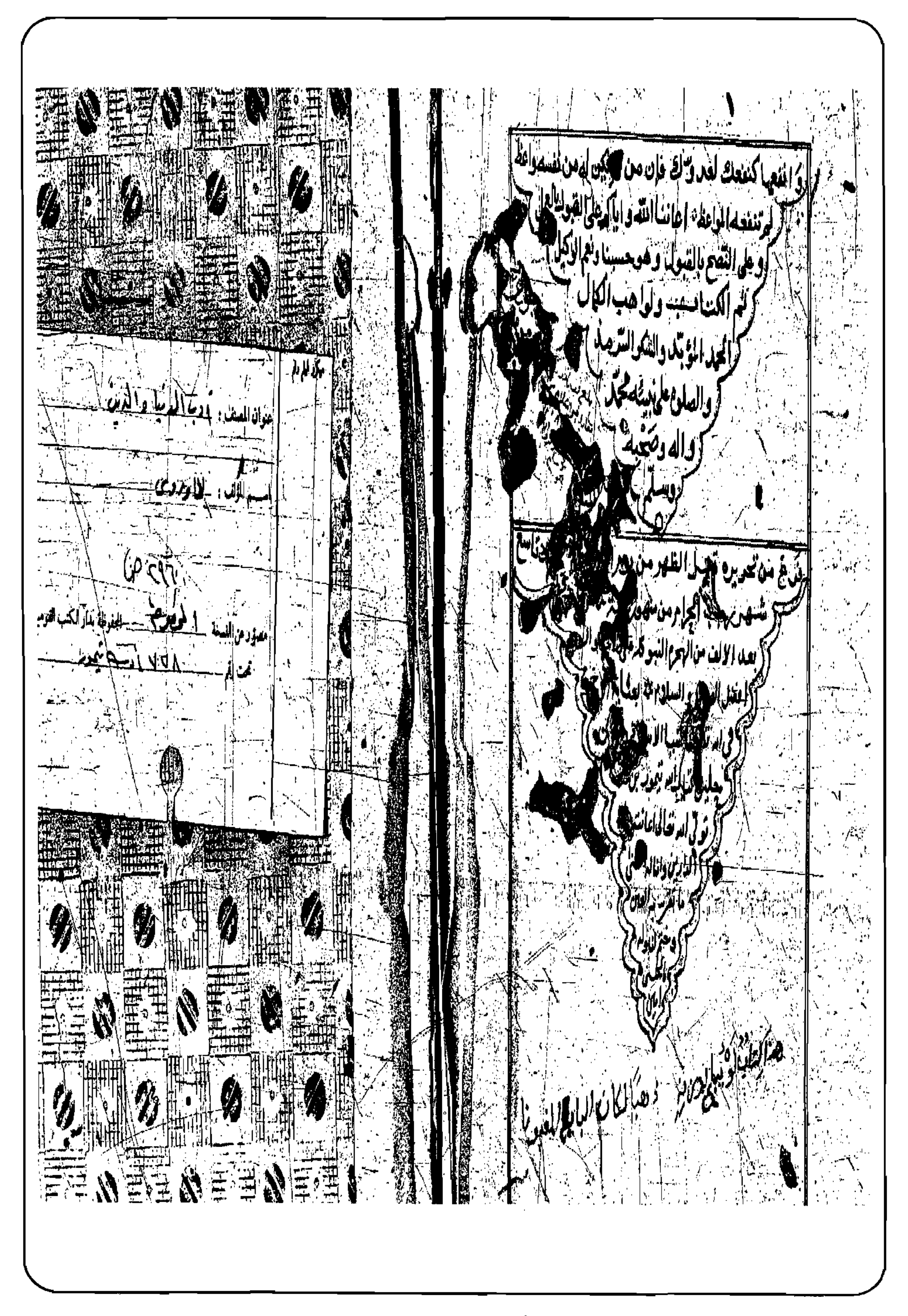
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الطول والآلاء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحابته الأتقياء أما بعد

الباب الأول في فضل العقل وذم الهوى

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ت)

صورة الصفحة قبل الأخيرة من النسخة (ت)



صورة الصفحة الأخيرة والغلاف من النسخة (ت)

[خاتمة]

فكن أيها العاقل مُقبلا على شانك ، راضيا عن زمانك ، سِلْما لأهل دهرك ، جاريا على عادة عصرك ، منقادا لمن قدّمه الناس عليك ، متحننا على من قدمك الناس عليه ، ولا تباينهم بالعُزلة عنهم فيمقتوك ، ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك ، فإنه لاعيش لممقوت ، ولا راحة لمعادًى . وأنشد بعض أهل الأدب لبعضهم :

إذا اجتمعَ الناس فى واحدٍ   وخالفهم فى الرِّضا واحدُ
فقــد دلَّ إجماعهم دونه   على عقلهِ أنه فاســـدُ

واجعلْ نُصْح نفسك غنيمة عقلك ، ولا تُداهنها بإخفاء غيبك ، وإظهار عُذرك ، فيصير عَدُوُّك أحظى منك فى زجر نفسه ، بإنكارك ومجاهرتك من نفسك ، التى هى أخص بك ، لإغرائك لها بأعذارك ومساءتك ، فحسْبُك سُوءا رجل ينفع عدوّه ، ويضر نفسه . وقال بعض الحكماء : أصلحْ نفسك لنفسك ، يكن الناس تبعا لك . وقال بعض البلغاء : مَن أصلح نفسه ، أرغم أنف أعاديه ، ومن أعمل جِدَّه بلغ كُنهَ أمانيه . وقال بعض الأدباء : من عرف مَعابه ، فلا يلم من عابه . وأنشدنى أبو ثابتٍ النحوىّ لبعض الشعراء :

ومَصروفةٍ عيناه عن عيب نفسهِ   ولو بان عيبٌ من أخيه لأبصَرَا
ولو كان ذا الإنسانُ يُنصِف نفسَه   لأمسكَ عن عيبِ الصديقِ وقصَّرَا

فهذِّب أيها الإنسان نفسك ، بافتكار عيوبك ، وانفعها كنفعك لعدوّك ، فإن من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .

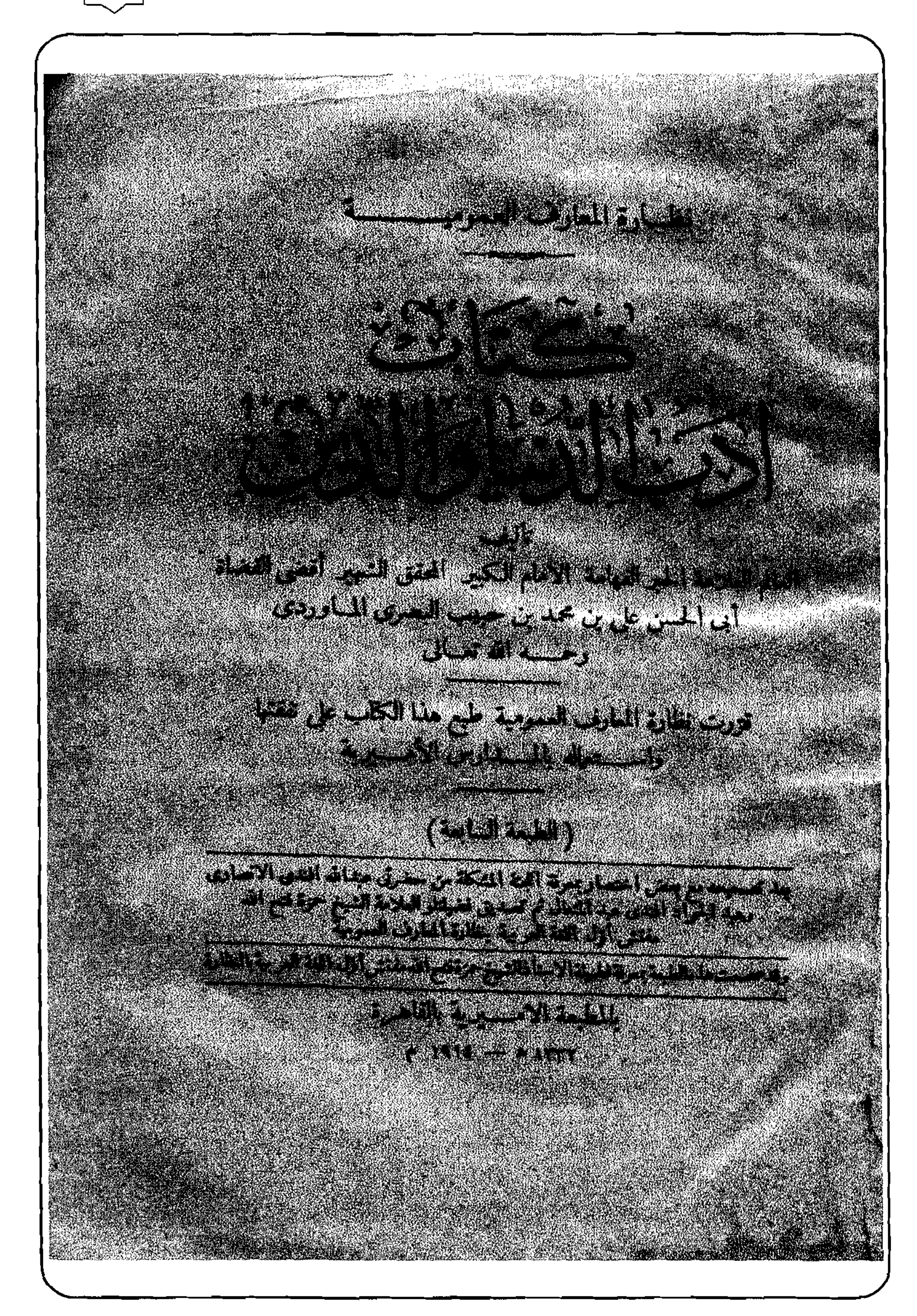
أعاننا الله وإياك على القول بالعمل ، وعلى النصح بالقبول ، وحسبُنا الله وكَفى .

تم طبعه مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

القاهرة فى ٢١ ربيع ثان ١٣٧٥ هـ — ٦ ديسمبر ١٩٥٥ م
[١٩٥٥/٣٠٠٠/١٢/٥٢]

ملاحظ المطبعة   مدير المطبعة
محمد أمين عمران   رستم مصطفى الحلبى

صورة الصفحة الأخيرة من مطبوعة الأستاذ مصطفى السقا



نظارة المعارف العمومية

كتاب أدب الدنيا والدين

تأليف

العالم العلامة الحبر الفهامة الإمام الكبير المحقق الشهير أقضى القضاة

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي

رحمه الله تعالى

قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها

واستعماله بالمدارس الأميرية

(الطبعة السابعة)

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٢هـ — ١٩١٤ م

صورة الغلاف من مطبوعة نظارة المعارف

(أدب الدنيا والدين) ٣٦٨

يجد من بين الرشد من الغي ولم يفرط في الكتاب من شي

تم كتاب أدب الدنيا والدين للعلامة أبي الحسن علي الماوردي البصري بهجة المحققين وهو الكتاب الجامع لفرائد الآداب الغني بشهرته عن المدح والاطناب الجدير بنشر عرفه على عموم البريه لتتخلق بما فيه من الاخلاق المرضيه ولذا رغبت نظارة المعارف العمومية اعادة طبعه (بعد تصحيحه مع بعض اختصار بمعرفة حضرتي عبد الجواد افندي عبد المتعال وعبد الله افندي الانصاري ثم تصديق صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية) محبة لعموم نفعه بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه في ظل من ازدهت به المعارف ورفل في ظلال رياضها كل لبيب عارف حامي حمى الديار المصريه ونخبة سلالة الأسرة المحمديه الذي ليس له في معاليه مداني (افندينا عباس باشا حلمي الثاني) لازالت ألوية المعارف بحسن التفاته منشوره ومساعيه الخيرية في رفع منار العوارف مشكوره مالاح بدر التمام وفاح مسك الختام وذلك في سنة ألف وثلثمائة وسبع وعشرين من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

أما هذه الطبعة فقد صححت بمعرفة الفقير اليه عز شأنه حمزة فتح الله وفرغ من تصحيحها مساء يوم الاثنين ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ من الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية و٢٢ ابريل سنة ١٩١٢

(م-م-١٥٠٠/١٩١٤/٢١٢٩)

صورة الصفحة الأخيرة من مطبوعة نظارة المعارف



الحمد لله الذي ارسل رسوله رحمة للعالمين ٭ فانار مناهج الحق وسبل اليقين ٭ واظهر الدين ببدائع
بيانه ٭ وبين مكارم الاخلاق بآيات فرقانه ٭ فهدي الانام بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات
والعمليات ٭ وكمل النفوس البشرية باشخاصهم وسياساتهم العائدة الى الجماعات ٭ والصلاة والسلام
على سيدنا محمد المؤيد ببينات وحجج ٭ قرآنا عربيا غير ذي عوج ٭ وعلى آله واصحابه المستمسكين
بالعروة الوثقى ٭ والمتأدبين بآداب الدين والدنيا ٭ وبعد فيقول الفقير اويس وفا بن محمد بن احمد
بن خليل بن داود الارزنجاني العريف بخان زاده ٭ اكرمهم الله تعالى بالحسنى وزيادة ٭ لما كان كتاب
ادب الدنيا والدين للامام الهمام اقضى القضاة ابي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي جامعا
لآداب الدنيا والدين ببيان شاف واختصار كاف ومعنى سديد لم يزل فقيرا اليه كل مفيد ومستفيد ٭
الا انه كان كما قيل ٭ كم من رياض لا انيس بها ٭ تركت لان طريقها وعر ٭ لم يكن له بد من
شرح يوضح صعابه ٭ ويكشف عن وجهه نقابه ٭ سرحت طرفي في كتب المتقدمين واتعبت
خاطري في استنباط نتائج آراء المتأخرين من التفسير والحديث والاخلاق والسياسة والبلاغة
والكتابة والمحاضرة والعروض وسائر العلوم العربية من الفروع والاصول فجاء بحمد الله تعالى
ما يشفي العليل ويروي الغليل ويكون تبصرة للمبتدي وتذكرة للمنتهي وانا اسأل الله تعالى
ان يليق به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الاجر في الآخرة ٭ ضارعا الى من ينظر ان يستر عثاري
وزللي ويسد بسداد فضله خللي ويصلح ما طغى به القلم وزاغ عنه البصر وقصر عنه الفهم وغفل
عنه الخاطر فان الانسان محل النسيان وان اول ناس هو اول ناس . وقد انشد الاصمعي .
وكيف فتى لم يعرف السابح قبلها . تجور يداه في الاديم وتجرح ٭ على ان الجمع والتأليف كان في ايام
كما قال ابو تمام ٭ عندي من الايام ما لو انه ٭ اضحى بشارب مرقد ما غمضا ٭ فصبر جميل وحسبنا الله
ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى اقتداء بالكتاب الكريم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
بحث البسملة مشهور الا ان الشارحين اولوا بقولهم ان وصفه تعالى بالرحمة مجاز عن الانعام
او ارادته لانها من الاعراض النفسانية المستحيلة عليه تعالى قال الامام الرازي اذا وصف الله

(تعالى)

صورة الصفحة الأولى من الشرح

٥٦٨

من المتقارب ﴿ اذا اجتمع الناس فى واحد. وخالفهم فى الرضا واحد ﴾ قوله فى واحد اى فى تقدمه او فضله ﴿ فقد دل اجماعهم دونه . على عقله انه فاسد ﴾ ضمير دونه وعقله راجع الى واحد الثانى وهو المخالف ﴿ واجعل لصح نفسك غنيمة عقلك ولاتداهنها باخفاء عيبك واظهار عذرك فيصير عدوك احظى منك فى زجر نفسه ﴾ عن المساوى ﴿ بالتكارك ﴾ لئلا تجدله ما تذكره بسوء وبجاهرتك من نفسك ما انكرته من عدوك ﴿ التى هى اخص بك ﴾ واحز لديك ﴿ لاغرائك لها باعذارك ومسامحتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه . وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعالك وقال بعض البلغاء من اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ﴾ اى اذلهم بتقدمه وسده باب ذكر مساويه قال بعض الشعراء ❊ عدوك بالتقى والعلم فاقهر ❊ فانت بذا وذاك عليه تقوى ❊ فما قرن الفتى شيئا بشئ . كمثل العلم يقرنه بتقوى ﴿ ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه ﴾ اى غاية مايتمناه ﴿ وقال بعض الادباء من عرف معابه ﴾ بالفتح اى عيبه ﴿ فلا يلم من عابه ﴾ لانه صادق فيه ولالوم على صادق مالم يرد الشناء اغتياب او نميمة او سعاية ﴿ وانشدنى ابو ثابت النحوى لبعض الشعراء ❊ ومصروفة عيناه عن عيب نفسه . ولو بان عيب من اخيه لابصرا ﴾ الواو واورب ومصروفة بالجر مبتدأ وخبره محذوف اى لقيته او ابصرته وتنكير عيب للتحقير كما ان تعريف الاول بالاضافة للتعظيم ﴿ ولو كان ذا الانسان ينصف نفسه . لامسك عن عيب الصديق وقصرا ﴾ اى بذالتحقير بدنو منزلته ومفعول امسك وقصر محذوف اى لامسك بصره عن ابصار عيب غيره وقصر لسانه عن ذكر مثالبه لاشتغاله بعيوب نفسه وقال آخر ❊ قبيح من الانسان ينسى عيوبه . ويذكر عيبا فى اخيه قد اختفى ❊ فلوكان ذاعقل لما عاب غيره . وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى (٢) ﴿ فهذب ايها الانسان نفسك بانكار عيوبك وانفها كنفيها لعدوك ﴾ بلومه وتعييره ﴿ فان من لم يكن من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ﴾ لان ابواب الحصون لاتفتح الا من بطونها وقال ابو نواس ❊ لاترجع النفس عن غيها . مالم يكن منها لها زاجر ﴿ اعاننا الله واياك ﴾ ايها الطالب المسترشد ﴿ على القول بالعمل وعلى النصح بالقبول وحسبنا الله وكفى ﴾ ونسأل الله تعالى قبول بضاعتنا المزجاة بجوده وامتنانه . ويفيض لنا الاجر برحمته واحسانه . انه جواد كريم . رؤف رحيم . وهذا آخر ماتيسر ايراده فى هذا التأليف .

والحمد لله على الكمال والتمام . والصلاة والسلام على افضل الرسل الكرام . محمد سيد الانام وعلى آله واصحابه الذين شيدوا لنا اركان الدين وقواعد الاسلام . وقدتم بفضله تعالى نقل هذا الشرح من السواد الى البياض فى دار الخلافة العلية . صانها الله تعالى عن الآفات والبلية . على يد مؤلفه اويس وفا ابن محمد الارزنجانى الحنفى يوم الاحد الحادى والعشرين من رجب لسنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف من هجرة من له العز والشرف

اللهم اجعله لنا ذخرا نافعا وخيرا باقيا بحرمة الانبياء والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

آمين

(٢) ترجمه. آلچق آدم كندينك عيبلرلونش ايليوب . ديكرك عيب نهانك ذكره ايلر اجترا. عاقل اولسه غيرى لعيب ايلز چون كنديندك . برچوق عيبى وار كوررد آنلره ايلر اكتفا منه

صورة الصفحة الأخيرة من الشرح

ترجمة الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

هو أبو الحسن، عليُّ بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، الإمام الجليل القدر، الرفيع الشأن، صاحب «الحاوي»، و«الإقناع» في الفقه، و«آداب الدين والدنيا»، و«التفسير»، و«دلائل النبوة»، و«الأحكام السلطانية»، و«قانون الوزارة وسياسة الملك»، وغير ذٰلك.

روى عنه أبو بكر الخطيب وجماعة.

تفقه بالبصرة على الصَّيْمَري، ثم رحل إلى الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد، وكان إمامًا جليلًا رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، والتفنن التام في سائر العلوم.

قال الشيخ أبو إسحاق: درَّس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة، وله مصنفاتٌ كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والآداب، وكان حافظًا للمذهب.

وقال الخطيب: كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه، وغير ذٰلك، وجُعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة.

وقال ابن خيرون: كان رجلًا عظيم القدر، مقدَّمًا عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلم، بينه وبين القاضي أبي الطيب في الوفاة أحد عشر يومًا.

---

(١) مصادر الترجمة:
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٣/ ٥٨٧).
- سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٨/ ٦٤).
- ميزان الاعتدال، للذهبي (٣/ ١٥٥).
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٥/ ٢٦٧)، والترجمة أعلاه منقولة منها.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٤٠).
- معجم الأدباء، للحموي (٥/ ١٩٥٥).
- وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٨٢).
- شذرات الذهب، لابن العماد (٥/ ٢١٨).

ومن كلام الماوردي الدال على دينه ومجاهدته لنفسه، ما ذكره في كتاب «أدب الدين والدنيا» قال: «ومما أُنذركَ بـه مـن حـالي: أنني صنفتُ كتابًـا في «البيوع»، جَمعتُ فيـه ما استطعتُ من كُتب الناس، وأجهدتُ فيه نفسي، وكددتُ فيه خاطري، حتى إذا تَهذَّبَ واستكمل، وكدتُ أُعجب به، وتصورتُ أنني أشدُّ الناس اضطلاعًا بعلمه، حضرني ـ وأنا في مجلسي أعرابيان ـ ، فسألاني عن بيعٍ عقَداهُ في البادية، على شروطٍ تضمنت أربعَ مسائل، لم أعرف لواحدةٍ منهن جوابًا، فأطرقتُ مفكرًا وبحالي وحالِهما معتبِرًا، فقالا: ما عندك فيما سألناك جواب؛ وأنت زعيمُ هٰذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: واهًا لك! وانصرفا، ثم أتيا مَن قد يتقدمُه في العلم كثيرٌ من أصحابي، فسألاه فأجابَهما مسرعًا بما أقنعهما، وانصرفا عنه راضيَينِ بجوابه، حامدَينِ لعلمه، فبقيتُ مرتبكًا، وبحالهما وحالي معتبِرًا، وإني لعلى ما كنتُ عليه في تلك المسائل إلى وقتي؛ فكان ذٰلك زاجرَ نصيحةٍ، ونذيرَ عِظة، تَذَلَّلَ بهما قيادُ النفس، وانخفض لهما جَناحُ العجب»[1].

قال ابن الصلاح: «هٰذا الماوردي ـ عفا اللَّه عنه ـ يُتَّهم بالاعتزال، وقد كنت لا أتحقق ذٰلك عليه، وأتأول له وأعتذر عنه في كونه يُورد في تفسيره في الآيات التي يختلف فيها أهل التفسير، تفسير أهل السنة، وتفسير أهل المعتزلة، غير متعرض لبيان ما هو الحق منها، وأقول: لعل قصده إيراد كل ما قيل من حق أو باطل، ولهٰذا يورد من أقوال المُشبِّهة أشياء، مثل هٰذا الإيراد، حتى وجدته يختار في بعض المواضع قول المعتزلة، وما بنوه على أصولهم الفاسدة.

وتفسيره عظيم الضرر، لكونه مشحونًا بتأويلات أهل الباطل، تلبيسًا وتدسيسًا، على وجه لا يفطن له غير أهل العلم والتحقيق، مع أنه تأليف رجل لا يتظاهرُ بالانتساب إلى المعتزلة، بل يجتهد في كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق، ثم هو ليس معتزليًّا مطلقًا، فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم ـ مثل خلقِ القرآن ـ ، ويوافقهم في القَدَر، وهي البلية التي غلبت على البصريين، وعِيبوا بها قديمًا» اهـ .

---

(١) آثرنا أن ننقل النص من كتابِنا المحقق هٰذا على النسخة التي رجع إليها ذاكر هٰذا الكلام.

ابن الصلاح[١].

قال الخطيب: كتبتُ عنه وكان ثقة، مات في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمئة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب، وصليت عليه في جامع المدينة، وكان قد بلغ ستًّا وثمانين سنة. اهـ.

رحم اللَّه الإمام أبي الحسن الماوردي، وجزاه عن عمله هٰذا خير الجزاء، آمين.

❀ ❀ ❀

(١) **قلت**: والإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واضحٌ من توجهه أنه أشعريُّ العقيدة، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

[مقدِّمةُ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ]

قال أقضى القضاة(٢) أبو الحسن عليُّ بن محمدِ بن حبيبٍ الماوردي، رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمدُ للَّهِ ذي الطَّولِ(٣) والآلاء، وصلَّى اللَّهُ على سيدنا محمدٍ خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحابته(٤) الأتقياء.

أما بعد:

فإنَّ شرفَ المطلوب بشَرف نتائجه، وعِظَمُ خَطَره(٥) بكثرةِ منافعه، وبحسب منافعهِ تجبُ العنايةُ به، وعلى قدر(٦) العناية بِهِ يكون اجتناءُ ثَمَره(٧).

وأعظم العلوم(٨) خطرًا وقدْرًا، وأعمُّها نفعًا ورِفدًا(٩)، ما استقام به الدينُ والدنيا، وانتظم به صلاحُ الآخرة والأولى؛ لأن باستقامةِ الدين تصحُّ العبادة، وبصلاح الدنيا تتمُّ السعادة.

---

(١) زاد في (أ): لا إلٰه إلا اللَّه، عدة للقائه، وزاد في (ط): وبه ثقتي.

(٢) في المطبوعة: قال القاضي أبو الحسن، والباقي سواء. وهٰذه المقدمة ليست في (ت)، و(ط)، والشرح.
قلت: وعلى ما أُثبت أعلاه فقد اختلف أهلُ العلم في إطلاق هٰذا اللفظ على العباد؛ حيث ذهب كثيرون إلى منعه، وأجازه البعض؛ والأولى تركُه كليَّةً. انظر: «معجم المناهي اللفظية»، للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٤، ٤٣٤). **[ط]**

(٣) **الطَّول**: الإنعام. **[ط]**

(٤) في المطبوعة والشرح: وأصحابه.

(٥) **الخَطَر**: القيمة والقدْر. **[ط]**

(٦) في (أ): وباختيار، وما أثبته فمن (ت)، (ط)، وهو يوافق ما في المطبوعة.

(٧) في المطبوعة والشرح: ثمرته.

(٨) في المطبوعة والشرح: الأمور.

(٩) **الرِّفْدُ**: العطاء والصِّلة، اللسان (٣/ ٩٦).

وقد توخَّيتُ بِهٰذا الكتاب الإشارةَ إلى آدابهما، وتفصيلَ ما أُجمل من أحوالِهما على أعدل الأمرين، من إيجازٍ وبسطٍ، أجمعُ فيه بين تحقيق الفقهاء، وترقيق الأدباء، فلا يَنبُو[١] عن فَهْم، ولا يَدِقُّ عن[٢] وهْم؛ مستشهدًا من كتاب اللَّه تعالى بما يقتضيه، ومن سُنن رسولِ اللَّه ﷺ ما يُضاهيه[٣]، ثم مُتبِعًا ذٰلك بأمثال الحكماء، وآداب[٤] البُلَغاء، وأقوالِ الشعراء، لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة، وتسأمُ الفنَّ الواحد.

(١) وقد قال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان، فأَهْدُوا إليها طرائفَ الحكمة»[٥].

(٢) وكان المأمونُ[٦] يتنقلُ كثيرًا ـ في داره ـ من مكانٍ إلى مكان، ويُنشد قول أبي العتاهية[٧]:

لا يُصلِحُ النَّفسَ إذ كانت مُدبِّرةً ... إلا التَّنقُّلُ مِن حالٍ إلى حالِ[٨]

---

(١) ينبو: يتجافَى ويتباعد، الصحاح (١٠١٤).

(٢) في المطبوعة: في وهم.

(٣) يُضاهيه: يُشابِهه. [ط]

(٤) في الأصل : وبجواب.

(٥) العبارة في: الجامع لأخلاق الراوي (١٣٨٩)، والتمثيل والمحاضرة (١٧٤)، ونهج البلاغة (٩/ ٣٩٦)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢٤١)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٣٣).

(٦) هو عبداللَّه بن هارون أمير المؤمنين، أبو العباس المأمون بن الرشيد بن المهدي، ولد سنة (١٧٠)، وتُوفِّي سنة (٢١٨)، قرأ العلم في صغره، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عُني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة، فجره ذٰلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وعلمًا وحلمًا ورأيًا ودهاء وشجاعة.
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣)، فوات الوفيات (٢/ ٢٣٥).

(٧) هو إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي، المعروف بأبي العتاهية، شاعر، ولد بعين تمر، ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد، وتُوفِّي بها عام (٢١١)، كان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك وعدل عن ذٰلك إلى الشعر في الزهد، وأكثر شعره حكم وأمثال.
ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦)، وفيات الأعيان (١/ ٨٩)، الوافي بالوفيات (٩/ ١٨٥)، الأغاني (٤/ ٥ ـ ٨٧).

(٨) البيت في ديوانه (٤٤٦)، ولفظه: لن يُصلح النفس إن كانت مُدبرة، والباقي سواء.

وجعلتُ ما تضمَّنه هٰذا الكتابُ من ذٰلك خَمْسةَ أبواب:

فالباب الأول: في فضل العقل، وذم الهوى.

والباب الثاني: في أدب العلم.

والباب الثالث: في أدب الدين.

والباب الرابع: في أدب الدنيا.

والباب الخامس: في أدب النفس.

وأنا أستمدُّ من اللَّه تعالى حُسنَ معونته، وأستودعُه حِفاظَ[١] موهبتِه ـ بحوله[٢] ومشيئته ـ، وهو حسبي من مُعِينٍ وحفيظ[٣].

(١) **الحِفاظ**: الحفظ. [ط]

(٢) في الأصل: بطوله.

(٣) في (أ): وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب الأول

فَضلُ العقل، وذمُّ الهوى



[الباب الأول]

بابُ: فضلِ العقل، وذمِّ الهوى

اعلم أن لكلِّ فضيلةٍ أُسًّا، ولكل أدبٍ يَنْبوعًا، وأُسُّ الفضائل، ويَنبوعُ الآداب هو العقلُ[1] الذي جعله اللَّهُ ﷻ للدين أصلًا، وللدنيا عمادًا، فأوجب التكليف بكمالِه، وجَعل الدنيا مُدبَّرةً بأحكامه، وألَّف به بين خَلقِه، مع اختلاف هِممهم ومآربِهم، وتبايُنِ أغراضهم ومقاصدِهم، وجَعل ما تعبَّدهم به قسمين:

- قسمًا وجب بالعقل، فوَكَّدَه الشرع.
- وقسمًا جاز في العقل، فأوجبه الشرع.

وكان العقل عليهما عِيارًا[2].

(٣) رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما اكتَسب المَرءُ مِثلَ عقلٍ يَهدِي صاحبَه إلى هدى، أو يَرُدُّه عن رَدى**[3]»[4].

---

(١) يقرِّرُ أهلُ العلم أن الأخلاقَ الشريفة لها ثلاثةُ منابعَ رئيسة: الدِّينُ المنزَّل، والعقلُ السديد، والأعرافُ الطاهرة، وبما أن اللَّهَ تعالى هو منزِّلُ الدين، وخالقُ العقل، وهو الذي نَشر الخير في الأرض، فيكون أصلُ كلِّ خُلقٍ نظيف نابعٌ من دينِ رب العالمين. [ط]

(٢) في المطبوعة: فكان العقل لهما عمادًا.
قلت: **والعِيار**: الميزان. وما قاله المصنف ـ عفا اللَّهُ عنه ـ تابعٌ لمذهب الأشاعرة وغيرهم في مسألة التحسين والتقبيح، وسيأتي الكلامُ عليها قريبًا. [ط]

(٣) **الرَّدى**: الهلاك. [ط]

(٤) موضوع: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨١٣)، من رواية «داود بن المُحبَّر» في كتاب «العقل»، وذكرة الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٠٥٩)، والحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٧٥٥)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. التذكرة (٣/ ٢٣). و«ابن المحبَّر» متروكٌ وضَّاع.
تنبيهٌ هام: قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (٦٦): «**أحاديث العقل كلُّها كذب**».
وقال الإمام العراقي رحمه الله: الأحاديثُ التي ذكرها المصنِّفُ ـ يعني الغزَّالي ـ في العقل **كلُّها** =

(٤) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «لكلِّ شيءٍ دِعامةٌ[(١)]، ودِعامةُ عمل المرءِ عقلُه، فبقَدرِ عقلِه تكونُ عبادتُه لربِّه، أما سمعتُم قولَ الفُجَّار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [المُلك]»[(٢)].

(٥) وقال عمر بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أصلُ الرجل عقلُه، وحَسَبُه دينُه[(٣)]، ومروءتُه خُلُقه»[(٤)].

(٦) وقال الحسنُ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما استَودع اللَّهُ أحدًا عقلًا إلا استنقذه به يومًا ما»[(٥)].

(٧) وقال بعضُ الحكماء: «العقلُ أفضلُ مَرْجُو، والجهلُ أنكى عدُو».

(٨) وقال بعضُ الأدباء: «صديقُ كلِّ امرئٍ عقلُه، وعدوُّه جهلُه».

= ضعيفة، وتعبيرُ المصنِّف في بعضها بصيغة «الجزم» مما يُنكَرُ عليه، وبالجملة فقد قال غيرُ واحد من الحفاظ: «إنه لا يصحُّ في العقل حديثٌ» اهـ. ذكره الإمام الزبيدي في خاتمة كتاب «العلم» من «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٧٨٧). وقال الحافظ ابن حجر عن أحاديث «العقل» التي رواها «داود بن المُحبَّر»: «أودعها الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، **وهي موضوعةٌ كلها**، لا يَثبت منها شيء» اهـ «المطالب العالية» (٣/ ١٣). وقال الزيلعي ـ عن «جزء داود بن المحبَّر» في العقل ـ: «هو جزءٌ لطيف، رواه بإسناده المذكور، ورأيت في حاشيةٍ عليه بخط بعض الفضلاء: قال عبدالغني: قال الدَّارَقُطْني: كتابُ «العقل» **وضعه** أربعة: وضعه مَيْسرة بن عبدربِّه، ثم سرقه دوادُ بنُ المُحبَّر منه، فركَّبه بأسانيدِ غيرِ ميسرة، وسرقه عبدُالعزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيدَ أُخَر، ثم سرقه سليمانُ بن عيسى السِّجزي، وركبه بأسانيدَ أُخَر». وقال الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان عن «كتاب العقل» لداود: «**وهو كتابٌ مكذوب**». انظر: «المجالسة» للدِّينَوَري (٢/ ١٢٥). [ط]

(١) **الدِّعامة**: الأصل.

(٢) **موضوع**: رواه الحارث في «مسنده» (٨٤٠)، وفيه ابن المحبَّر، وانظر التعليق السابق. [ط]

(٣) وبِهٰذا يُلفِتُ الفاروقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنظارَنا إلى أن المؤمنَ الصادق لا ينتسبُ ولا يعتزُّ بشيءٍ سوى دينِه الذي أخرجه به ربُّه ﷻ من الظلماتِ إلى النور؛ فانتسابُنا للإسلام؛ لا لقومية، ولا لوطنية، ولا لفرعونية، ولا لطورانية، ولا لغير ذٰلك من دعاوى الضلال التي غَرِقت فيها أمَّتُنا الجريحة، نسأله تعالى الثبات والسلامة وصلاح الأحوال. [ط]

(٤) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان (٤٦٥٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.

(٥) العبارة في روضة العقلاء (ص١٨) منسوبة إلى حاتم بن إسماعيل، وفي التذكرة الحمدونية (١/ ٣٦١)، وربيع الأبرار (٣/ ١٣١) مرفوعة إلى النبي ﷺ.

(٩) وقال بعضُ البلغاء: «خيرُ المَواهِبِ العقل، وشرُّ المصائبِ الجهل».

(١٠) وقال إبراهيمُ بن حسَّان[(١)]:

يَزينُ الفتى في الناسِ صِحَّةُ عقلِهِ ... وإنْ كان مَحظورًا عليه مكاسِبُهْ

يَشِينُ الفتى في الناسِ قِلَّةُ عقلِهِ ... وإن كَرُمَتْ أعراقُهُ ومَناسِبُهْ[(٢)]

يَعيشُ الفتى بالعقلِ في الناس إنهُ ... على العقلِ يَجري عِلمُه وتَجارِبُهْ

وأفضلُ قَسْمِ اللَّهِ للمرءِ عَقلُهُ ... فليس مِنَ الأشياء شيءٌ يُقارِبُهْ

إذا أكمَلَ الرَّحْمٰنُ للمرءِ عَقلَهُ ... فقد كمُلت أخلاقُه ومآرِبُهْ

واعلمْ أن بالعقل تُعرفُ حقائقُ الأمور، ويُفصَلُ بين الحسنات والسيئات[(٣)].

---

(١) لم أجده. وفي روضة العقلاء (ص١٧) نسب هٰذه الأبيات إلى عبداللَّه بن عِكراش، وفي التذكرة (١/ ٣٦٣) نسبها إلى الخليل.

(٢) يَشين: يعيب. **أعراقُه ومناسبه**: عروقُه وأحسابه. [ط]

(٣) في هٰذا الكلام تفصيل، وإنما ذكر المصنف ـ عفا اللَّهُ عنه ـ هٰذا تبعًا لعقيدته الأشعرية، وهٰذه هي مسألة التحسين والتقبيح العقليين، وإليك خلاصتُها ـ على بعض الطول ـ لأهميتها في حياةِ الأمة المسلمة ـ:

انقسمت هٰذه المسألة بين أهل السنة والجماعة وغيرهم إلى جوانب اتفاق، وجوانب اختلاف:

أولًا: جوانب الاتفاق: أن العقل يُدرِكُ الحُسن والقبح فيما هو ملائمٌ للطبع أو مضادٌّ له، فإذا لاءَمَ الغرضُ الطبعَ فحسنٌ ـ كاللذة والحلاوة ـ، وإذا نافره فهو قبيحٌ ـ كالألم والمرارة ـ، وهٰذا القدْرُ معلومٌ بالحسِّ والعقل والشرع، مُجمَعٌ عليه بين الأوَّلين والآخرين، بل هو معلومٌ عند البهائم ـ كذا قال أهل العلم ـ.

ثانيًا: محلُّ الافتراق والتنازع: فهو في الحُسن والقبح المتعلِّق بالشرع، بمعنى كونِ الفعل سببًا للذمِّ والعقاب، أو المدح والثواب، وهل يُعلمُ ذٰلك بالعقل أم لا يُعلم إلا بالشرع، أم يُعلم بهما معًا؟.

* **وحاصلُ أقوال الناس في هٰذه المسألة ـ إجمالًا ـ ثلاثةُ أقوال أساسية:**

القول الأول: إن الأفعالَ لا تتصفُ بصفاتٍ تكون بها حسنةً ولا سيئةً ـ البتة ـ، وكونُ الفعل حسنًا أو سيئًا، إنما معناه أنه منهيٌّ عنه، أو غيرُ منهيٍّ عنه، وهٰذه الصفةُ «إضافيةٌ» لا تثبُت إلا بالشرع.

أي أنهم ينفُون الحُسنَ والقبح العقليين ويقولون: إن ذٰلك لا يُعرف إلا بالشرع فقط. =

= وهٰذا هو قولُ جهمٍ والأشعريِّ ومَن تابعه من المنتسبين إلى السُّنة وأصحاب مالك والشافعي وأحمد ـ كالقاضي أبي يعلى، وأبي الوليد الباجي، وأبي المعالي الجويني... وغيرهم ـ ، وهو قول عموم الأشاعرة.

ويلزمُ من هٰذا القول الكثيرُ من اللوازم الفاسدة، مثل: جوازِ أن تظهرَ المعجزةُ على يد الكذاب، وأنه ليس بقبيح، وأنه يجوزُ نسبةُ الكذب إلى أصدق الصادقين، وأنه لا يقبُح منه، وأنه يستوي التثليثُ والتوحيد قبل ورود الشرع، وأنه لا يقبُحُ الشركُ، ولا عبادةُ الأصنام، ولا سبُّ المعبود ﷻ، وأنه لا يقبُحُ الزواجُ من الأم والبنت... إلى غير ذٰلك من لوازمَ قبيحةٍ ذميمة. بل إن من أعجب تناقضاتِهم هنا: أنهم ـ كما سلف ـ قدموا العقل على الوحي، وجعلوه حاكمًا عليه، والوحيُ ـ عند التعارض مع العقل ـ إما مردود، وإما مؤول؛ وكل هٰذا بالعقل؛ في الوقت الذي قالوا: إن العقل لا يُدرك الحُسن والقبح البتة!!! فكيف يُرجِّحُ العقل، وهو ـ عندهم ـ لا يستطيع الترجيح أصلًا؟!!!.

القول الثاني: إن الحُسن والقُبح عقليان، ولا يُتوقفُ في معرفتهما وأخذهما على الدليل السمعي، والحُسن والقبح صفاتٌ ذاتيةٌ للفعل لازمة له، وما الشرعُ إلا «كاشف» عن تلك الصفات، وليس «سببًا» لشيءٍ من الصفات.

وهٰذا هو مذهب المعتزلة ـ على اختلافٍ بينهم في التفصيلات ـ ، وكثيرٍ من أصحاب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد ترتَّب على قولهم هٰذا لوازمُ فاسدةٌ ـ أيضًا ـ ، مثل: كونِ القبيح في العقل يترتبُ عليه الذمُّ والعقابُ في الشرع، والحَسَنُ في العقل يترتبُ عليه المدحُ والثوابُ في الشرع، وأن اللَّهَ ﷻ «يجبُ عليه» أن يفعل ما استحسنه العقل، و«يحرُم عليه» أن يفعلَ ما استقبحه العقل، وأن المصلحة تنشأ من الفعل المأمور به فقط ـ كالصِّدق والعفَّة والإحسان والعدل ـ ، فإن مصالحها ناشئةٌ منها... إلى غير ذٰلك من الأمور الفاسدة الظاهرة.

القول الثالث: أن الحُسن والقبح يدرَكانِ بالعقل، ولٰكن ذٰلك لا يستلزم حكمًا في فعل العبد، بل يكون الفعلُ صالحًا لاستحقاق الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والحكيمُ الخبير ﷻ لا يأمرُ بنقيض ما أدرك العقلُ حُسنَه، ولا يَنهى عن نقيضِ ما أدرك العقلُ قُبحه، لأن ما أدرك العقلُ حُسنَه أو قُبحَه راجحٌ، ونقيضُه مرجوح، بمعنى أن صفة «الحُسن» في الفعل تُرجِّحُ جانبَ الأمر به على جانب الأمر بنقيضه القبيح، وصفةُ «القبح» ترجِّحُ جانبَ النهي عنه على جانب النهي عن نقيضه الحَسَن، عملًا في ذٰلك بمقتضى الحكمةِ التي هي صفةٌ من صفات اللَّهِ ﷻ ـ التي يُنكرُها أو يؤوِّلُها الأشاعرة ـ ، فلا حُكمَ إلا من الخطاب الشرعي، ولا أمرَ ولا نهيَ إلا من قِبَل الشارع الحكيم.

وهٰذا هو قولُ عامةِ السلف وأكثرِ المسلمين. وأهلُ هٰذا القول:

ـ يوافقون «الأشاعرة» في أنه لا حُكمَ بالثواب والعقاب والأمر والنهي في الفعل إلا من جهةِ الوحي ـ لا بمجرد العقل ـ ، وأن الحُجَّةَ إنما تقوم على العباد بالرسالة، وأن اللَّهَ لا يُعذِّبُهم =

وقد ينقسُم قسمين: غَريزي، ومكتسَب.

[١] **فالغريزي**: هو العقلُ الحقيقي(١)، وله حدٌّ يتعلق به التكليف، لا يتجاوزُه إلى زيادةٍ، ولا يقصُرُ عنه إلى نقصانٍ، وبه يمتازُ الإنسان عن سائر الحيوان، فإذا تم في الإنسان سُمِّي «عاقلًا»، وخرج به إلى حد الكمال.

(١١) كما قال صالحُ بن عبدِالقدُّوس(٢):

إذا تـمَّ عقـلُ المرءِ تَمَّـت أمـورُه ... وتَمَّـت أمانـيهِ وتـم ثـناؤهُ(٣)

(١٢) ورُوي عن الضَّحَّاك في قوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ [يس:٧٠]: «أي: من كان عاقلًا»(٤).

[اختلاف الناس في حقيقة العقل وصِفته]:

واختلف الناس فيه، وفي صِفته على مذاهب شتى:

= قبل بعثةِ الرسل، ولا يطالبُهم إلا بما بلَّغهم من أمرٍ، ولا يُعاقبُهم إلا على ارتكاب ما نهاهم عنه.
ـ ويوافقون «المعتزلة» في أن العقل يحكُم بحسن الشيء أو قبحِه، وأن الحُسنَ والقُبحَ صفاتٌ ثبوتيةٌ للأفعال، معلومةٌ بالعقل والشرع، وأن الشرع جاء بتقرير ما هو مستقرٌّ في الفطرِ والعقولِ من تحسين الحَسَن والأمر به، وتقبيحِ القبيح والنهي عنه، وأنه لم يجئ بما يُخالفُ العقلَ والفطرة. ويوافقونهم ـ أيضًا ـ في إثباتِ الحكمةِ للَّهِ تعالى، وأنه سبحانه لا يفعلُ فعلًا خاليًا عن الحكمة، بل كلُّ أفعاله مقصودةٌ لعواقبها الحميدة وغاياتها المحبوبة.
انظر: «حقيقة البدعة وأحكامها»، للشيخ سعيد الغامدي (٢/ ١٣٠ : ١٣٢)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، للعلامة عبدالرَّحْمٰن المحمود (٣/ ١٣١٩، ١٣٨١)، و«معالم أصول الفقه عند أهل السنة»، للعلامة محمد بن حُسين الجيزاني (٣٢٦)، و«موقف السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل»، للشيخ جابر بن إدريس (١/ ١٣٧). [ط]

(١) يقصد الذي يُخلق في أغلب العباد، ولا يخلو منه إلا المجانين. [ط]

(٢) هو صالح بن عبدالقدوس أبو الفضل البصري، كان شاعرًا حكيمًا من المتكلمين، ومن الوعاظ بالبصرة، اتُّهم عند المهدي بالزندقة، فقتله ببغداد عام (١٦٠هـ).
ترجمته في وفيات الأعيان (٢/ ٤٩٢)، معجم الأدباء (٤/ ١٤٤٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٣).

(٣) في روضة العقلاء والمطبوعة: وتمت أمانيه وتم بناؤه، وهٰذه الأبيات نسبها في روضة العقلاء (ص١٩) إلى عبد العزيز بن سليمان الأبرش.

(٤) التفسير في عيون الأخبار (١/ ٣٩٤)، وشُعب الإيمان (٤٦٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٨٥).

١ ـ **فقال قومٌ**: هو جوهرٌ لطيفٌ[١]، يُفصَلُ به بين حقائقِ المعلومات.

ومن قال بِهٰذا القول اختلفوا في مَحِلِّه:

[أ] فقالت طائفةٌ منهم: محلُّه الدِّماغ؛ لأن الدماغَ مَحِلُّ الحِس.

[ب] وقالت طائفةٌ أخرى منهم: محلُّه القلب؛ لأن القلبَ مَعدِنُ الحياة، ومادةُ الحواس.

وهٰذا القول في العقل «بأنه جَوهرٌ لطيف»، فاسدٌ من وجهين:

أحدهما: أن الجواهرَ مُتماثلةٌ[٢]، فلا يصحُّ أن يوجِبَ بعضُها ما لا يوجبُه سائرها، ولو أوجب سائرُها ما يوجبُه بعضُها لاستغنى العاقلُ بوجودِ نفسِه عن وجود عقله.

---

(١) **الجوهر**: مصطلحٌ كلاميٌّ فلسفيٌّ محض ـ لا أصلَ له في الشريعة ـ ، وهو الشيءُ الماديُّ المتناهي في الصِّغر؛ والذي لا يَقبلُ الانقسامَ والتجزُّؤ ـ لا في الواقع ولا في الوهم ـ ؛ وجَميعُ الأجسام المخلوقة تتكوَّنُ من اجتماع عدةِ جواهرَ بعضِها إلى بعض. انظر: «التعريفات»، للجُرجاني (٧٩)، و«الوسيط» (١/ ١٤٩)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ٩٨٣)، و«منهج ابن تيمية في مسألة التكفير»، للشيخ عبدالمجيد المشعبي (١/ ٣٨)، و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» (١٨٨). **[ط]**

(٢) إنما قال بتماثُل الجواهر ـ أو الأجسام ـ المعتزلة وطائفةٌ من الأشاعرة ومن نحا نحوَهم، وهي من البدع التي جرَّتْهم إلى نفي صفاتِ الباري تبارك وتعالى، بحجةِ الخوف من التشبيه والتمثيل! ومعنى تماثُل الأجسام عند هٰؤلاء أنهم قرَّروا أنه لا فرقَ في الحقيقة بين الأجسام كلِّها؛ فلا فرق بين جسم النار وجسم الماء، ولا بين جسم الذهب وجسم الخشَب، ولا بين المِسكِ والرَّجيع!! وإنما تفترقُ بصفاتِها وأعراضِها؛ مع تماثُلِها في الحد والحقيقة!! انظر: «شفاء العليل»، للعلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٥٠). وقد نقل شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن سينا وأمثاله أنهم يقولون: إن النفوس الناطقةَ متماثلةٌ بحسب الحقيقة؛ وإنما اختلفت باعتبار أبدانِها؛ فهي كماءٍ واحدٍ وضعتَه في آنيةٍ مختلفة، فاختلف لاختلاف الأوعية! «الرد على المنطقيين» (ص٤٨٣). وكلامُ هٰؤلاء من أفسد الكلام عقلًا ونقلًا، وصدقَ الإمامُ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا قال: «إنَّ أكثر كلام أهل الكلام في هٰذه الأمور بلا علمٍ ولا عقلٍ ولا شرع». «الرد على المنطقيين» (٣١١).

ولمزيدٍ من معرفةِ هٰذه البدعة انظر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية الآتية: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٨٨، ٥١٦) و(٢/ ٩٦)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٧٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٥٥)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٧١)، و«الصفدية» (٢/ ١٠). **[ط]**

والثاني: أن الجوهرَ يصحُّ قيامُه بذاته، فلو كان العقلُ جوهرًا لجاز أن يكونَ عقلٌ بغير عاقل، كما جاز أن يكون جسمٌ بغير عقل! فامتُنع بِهٰذين أن يكون العقلُ جوهرًا(١).

٢ ـ **وقال آخرون**: العقلُ هو المُدرِكُ للأشياءِ على ما هي عليه مِن حقائق المعنى.

وهٰذا القول ـ وإن كان أقربَ مما قبله ـ ، فبعيدٌ من الصواب من وجهٍ واحدٍ، وهو أن الإدراكَ من صفات الحيِّ، والعقلُ عَرَضٌ(٢)، يستحيلُ ذٰلك منه، كما يستحيلُ منه أن يكون ملتذًّا وآلِمًا ومشتهِيًا.

٣ ـ وقال آخرون من المتكلمين: العقل هو جُملةُ علومٍ ضروريَّة.

وهٰذا الحدُّ غيرُ محصورٍ(٣)، لِمَا تَضمنَّه من الإجمال، وتناوَلَه(٤) من الاحتمال، والحد إنما هو بيانُ المحدودِ بما يَنفي عنه الإجمالَ والاحتمال.

٤ ـ وقال آخرون ـ وهو القولُ الصحيح ـ : إن العقلُ هو العلم بالمدَركاتِ الضرورية، وذٰلك نوعان:

أحدهما: ما وقع عن درَكِ الحواسِّ.

والثاني: ما كان مبتدَأً في النفوس(٥).

[أ] فأمَّا ما كان واقعًا عن دَرَك الحواس، فمِثلُ المرئيات المُدرَكةِ بالنظر، والأصوات المُدرَكةِ بالسمع، والطُّعومِ المدرَكةِ بالذَّوق، والروائحِ المُدرَكةِ بالشم، والأجسامِ المُدرَكةِ باللمس.

فإذا كان الإنسان ممَّن لو أدرَكَ بحواسِّه هٰذه الأشياءَ، ثبت له هٰذا النوعُ من العلم؛ لأن خروجَه في حال تغميض عينيه من أن يُدرِكَ بهما ويَعلم، لا يُخرِجُه من

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للأصبهاني (ص١٦٧).
(٢) **العَـرَض**: الموجود الذي يحتاجُ في وجوده إلى موضع؛ أي: يَحتاج إلى محلٍّ يقوم به، كالصفات. انظر: «التعريفات» للجُرجاني (١٤٨)، و«المعجم الوسيط» (١/ ١٤٩). [ط]
(٣) أي: ليس منحصرًا في معرَّفِه؛ كما تقتضيه قواعدُ الحدود والتعريفات. [ط]
(٤) في الأصل: ويتأوله.
(٥) وهو ما يُسمى بالعلم الضروري. وسوف يمثِّل الإمام للنوعين. [ط]

أن يكون كاملَ العقل؛ من حيث عَلِم من حاله أنه لو أدرَكَ لَعَلِمَ.

[ب] وأمَّا ما كان مبتدأً في النفوس، فكالعلمِ بأن الشيءَ لا يخلُو من وجودٍ أو عدم، وأن الموجودَ لا يخلو من حُدُوثٍ أو قِدَم، وأن من المُحالِ اجتماعَ الضِّدَّين، وأن الواحدَ أقلُّ من الاثنين.

وهٰذا النوعُ من العلم لا يجوزُ أن يَنتفيَ عن العاقل ـ مع سلامةِ حاله، وكمالِ عقله ـ، فإذا صار عالمًا بالمدرَكاتِ الضرورية من هٰذين النوعين فهو كاملُ العقل.

وسمِّي بذٰلك تشبيهًا بعَقْل الناقة[1]؛ لأن العقلَ يمنعُ الإنسانَ من الإقدام على شهواتِه إذا قبُحت، كما يمنعُ العِقالُ الناقةَ من الشُّرودِ إذا نفَرت[2].

(١٣) ولذٰلك قال عامرُ بن عبدالقيس[3]: «إذا عَقَلَك عَقلُكَ عما لا ينبغي، فأنت عاقل»[4].

وقد جاءت السُّنَّةُ بما يؤيِّدُ هٰذا القولَ في العقل:

(١٤) وهو ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**العقلُ نُورٌ في القلب، يفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل**»[5].

وكلُّ مَن نَفى أن يكون العقلُ جوهرًا، أثبت محِلَّه في القلب، لأن القلبَ محلُّ العلوم كلها، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ** ﴾ [الحج:٤٦]، فدلَّت هٰذه الآيةُ على أمرين:

أحدهما: أن العقل عِلم.

---

(١) العَقْل: الرَّبْط. [ط]

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٧٨)، لسان العرب (٤/ ٣٩٤) ـ باب (عقل).

(٣) هو عامر بن عبد اللَّه المعروف بابن عبد قيس بن ثابت التميمي، ثقة، من كبار التابعين، كان غاية في الزهد.
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ٨٧)، تاريخ دمشق (٢٦/ ٣ ـ ٦١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥).

(٤) العبارة في: الحكم والأمثال (ص٣٢٨)، وشُعب الإيمان (٤/ ١٦٩)، وتاريخ دمشق (٢٦/ ٢٧).

(٥) ليس بحديث، إنما ورد في تعريف العقل من كتاب التعريفات للجُرجاني (ص١٩٦).
قلت: راجع ما سلف عن أحاديث العقل تحت الحديث رقم (٣). [ط]

والثاني: أن محلَّه القلب.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ﴾ تأويلان:

أحدهما: يعلمون بها.

والثاني: يعتبرون بها.

فهٰذه[١] جُملةُ القول في العقل الغريزي.

[ب] **فأما العقل المكتسَب**: فهو نتيجةُ العقل الغريزي، وهو نهايةُ المعرفة، وصحةِ السياسة[٢]، وإصابةِ الفكرة، وليس لهٰذا حدٌّ، لأنه ينمو[٣] إن استُعمل، وينقص إذا أُهْمل، ونماؤه يكون بأحد وجهين:

[**الوجه الأول**]: إما بكثرةِ الاستعمالِ إذا لم يكن يعارضُه مانعٌ من هوًى، ولا صادٌّ من شهوة، كالذي يحصُلُ لذوي الأسنانِ من الحِنكةِ وصِحَّةِ الرؤيةِ[٤] بكثرةِ التجارب، وممارسةِ الأمور.

(١٥) ولذٰلك حَمِدتِ العربُ آراءَ الشيوخ، حتى قالوا: «المشايخُ أشجارُ الوقار، ومنابعُ الأخبار، لا يَطيشُ لهم سَهم، ولا يسقطُ لهم وَهْم[٥]، إن رأَوك في قبيحٍ صدُّوك، وإن أبصروك على جميلٍ أمدُّوك[٦]».

(١٦) وقالوا: «عليكم بآراء الشيوخ، فإنهم إن فَقدوا ذكاءَ الطبع، فقد مرَّت على عيونِهم وجوهُ العِبَر، وتصدَّت لأسماعهم آثارُ الغِيَر[٧]»[٨].

(١٧) وقيل في منثور الحكم: «مَن طال عمرُه نَقَصت قوةُ بدنه، وزادت قوةُ عقله».

---

(١) في الأصل: فهٰذا.

(٢) أي: هو من ثمرات الخبرة بسياسة الخلق ومعرفةِ الأمور. [ط]

(٣) في الأصل: ولٰكنه ينمي.

(٤) في المطبوعة: الرويَّة.

(٥) **الوَهْم**: الخيال والتصور، والمراد ـ هنا ـ: الفراسة. [ط]

(٦) أي: أمدُّوك بالعون والرأي الصائب. [ط]

(٧) الغِيَر: تغيُّر الأحوال. [ط]

(٨) العبارة في محاضرات الأدباء، للراغب (١/ ٥٤).

(١٨) وقيل فيه: «لا تدَعُ الأيامُ جاهلًا إلا أدَّبَتْه»[(١)].

(١٩) وقال بعض الحكماء: «كفي بالتجارب تأديبًا[(٢)]، وبتقلُّبِ الأيام عِظةً».

(٢٠) وقال بعضُ البُلَغاء: «التجربةُ مِرآةُ العقل، والغِرَّةُ[(٣)] ثمرةُ الجهل»[(٤)].

(٢١) وقال بعضُ الأدباء: «كفى مخبِرًا عمَّا بَقِيَ ما مضى[(٥)]، وكفى عِبَرًا لأولي الألباب ما جرَّبوا».

(٢٢) وقال بعضُ الشعراء[(٦)]:

ألم تـرَ أن العقـلَ زيـنٌ لأهلـهِ ... ولٰكـنَّ تمامَ العقـلِ طولُ التجارِبِ

(٢٣) وقال آخر:

إذا طـال عُمـرُ المـرءِ في غيـر آفـةٍ ... أفـادت لـه الأيـامُ في كَـرِّها عقـلَا[(٧)]

وأما الوجه الثاني: فقد يكونُ بفَرطِ الذَّكاء، وحُسنِ الفطنة، وذٰلك جَودةُ الحَدْس ـ في زمانٍ غيرِ مُمْهِلٍ للحَدْس[(٨)] ـ، فإذا امتزج بالعقل الغريزي، صارت نتيجتُهما نمُوَّ العقل المكتسَب، كالذي يكونُ في الأحداثِ مِن وفورِ العقل، وجَودةِ الرأي.

---

(١) ولٰكن لا ينتفعُ بعِبَرِ الأيام والسِّنين إلَّا من أنعم اللَّهُ تعالى عليه بدين صحيح، فلكم رأينا الحياةَ ضربت لنا من أمثال، وتوالت فيها العبرُ والعظات، لٰكن أكثرَ الناس أمواتٌ في صورة أحياء، لا ينتفعون بعِظة، ولا يفقهون سُنة ربِّهم ﷻ في الحياة؛ بل يعيش أكثرهم تبعًا لهواهم وشهواتِهم حتى لو كان فيها هلاكُهم وشقاؤهم؛ إلا قليلًا ممن عقل عن اللَّهِ تعالى رسالاته؛ جعلنا اللَّهُ تعالى منهم. [ط]

(٢) في الأصل: تأدبًا.

(٣) **الغِرَّة**: الانخداع أو الجهل. [ط]

(٤) العبارة في الحكم والأمثال، للعسكري (ص٣٢٨).

(٥) أي: كفى بك ـ لتفهمَ سُننَ الحياةَ جيدًّا ـ أن تتأملَ فيما مضى من وقائع، لتعرف كيف سيكون ما يتبقى منها؛ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر]. [ط]

(٦) الأبيات في روضة العقلاء (ص٢٢) منسوبة إلى المنتصر بن بلال الأنصاري، وغير منسوبة في الحكم والأمثال (ص٣٢٨).

(٧) **الكَرُّ**: المرور والتتابع. [ط]

(٨) **الحَدْس**: الظن، والمقصود: الفراسة. والمعنى: أن جَودةَ العقل ـ على هٰذا الوجه ـ قد تكونُ بفرط الذكاء الذي يُثمرُ الفراسة ومعرفة الأمور سريعًا بلا كثيرِ رويَّةٍ وتأمُّل. [ط]

(٢٤) حتى قال هرِمُ بن قُطْبة[١] ـ حين تنافَرَ[٢] إليه عامر بن الطفيل، وعلقمةُ ابن عُلاثة ـ: «عليكم بالحديثِ السنِّ، الحديدِ الذِّهن[٣]»[٤].

ولعلَّ هرمًا أراد أن يدفعَهما عن نفسه، فاعتذر بما قال، لٰكن لم ينكرَا قوله إذعانًا للحق، فصارَا إلى أبي جهلٍ ـ لحداثةِ سِنِّه، وحدَّةِ ذهنِه ـ، فأبى أن يحكم بينهما، فرجعا إلى هرم، فحكم بينهما[٥].

(٢٥) وفيه يقول لَبيدٌ[٦]:

يـا هَـرِمَ ابـنَ الأكـرمين مَنـصِبَا ... إنـك قـد أُوتِـيتَ حُكْمًا مُعجَـبًا[٧]

(٢٦) وقد قالت العرب: «عليكم بمُشاوَرةِ الشباب، فإنهم يُنتِجون رأيًا لم يَنَلْهُ[٨] طُولُ القِدَم، ولا استولَتْ عليه رُطوبةُ الهَرَم».

(٢٧) وقال الشاعر[٩]:

---

(١) هرم بن قُطْبة بن سيار، من قضاة العرب في الجاهلية، له صحبة، عده الجاحظ من الخطباء البلغاء، توفي بعد سنة ١٣هـ . ترجمته في: البيان والتبيين (١/ ٣٦٥)، المعارف (ص٨٣)، الإصابة (٦/ ٤٤٧ ـ ترجمة ٩٠٦٥).

(٢) **المُنافرة**: المحاكمة في الحسب. والغالب هو النافر، والمغلوب هو المنفور. كذا في «الصحاح». [ط]

(٣) **الحديد**: القوي. أي: صاحب الذهن الذكي الوقَّاد. [ط]

(٤) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٥٤).

(٥) الخبر في سرح العيون، لابن نباتة (ص١٦٣).

(٦) لبيد بن ربيعة بن عامر العامري، أبو عقيل، الشاعر الفحل، كان فارسًا شجاعًا، شاعرًا سخيًّا، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع، مات سنة (٤١).
ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥٤٠)، الإصابة (٩/ ٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٠).

(٧) الأبيات في البيان والتبيين (١/ ١٠٩).

(٨) في الأصل: يقله.

(٩) هو الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي، المعروف بالخالع، أحد كبار النحاة، كان إمامًا في النحو واللغة والأدب، توفي عام (٣٨٨).
ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١١٤٦) والأبيات في ترجمته. وفي جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٦١) غير منسوبة.

رأيــتُ العقــلَ لم يكــنِ انــتهابًا ... ولـم يُقسَـمْ على عَـددِ السِّنينَا[١]

ولـــو أنَّ الـــسِّنين تقاسَـــمَتْه ... حــوى الآبــاءُ أنـصِبَةَ البنيـنَا[٢]

(٢٨) حكى الأصمعيُّ[٣] قال: «قلتُ لغلامٍ حَـدَثٍ مـن أولاد العرب كان يحادثني، فأمتَعَني بفصاحتِه ومَلاحته: أيسُرُّكَ أنْ يكون لك مِئةُ ألفِ دِرهمٍ وأنك أحمقُ؟ قال: لا ـ واللَّهِ ـ! فقلت: ولِمَ؟ قال: أخافُ أن يَجنيَ عليَّ حُمقي جنايةً تذهبُ بمالي، ويَبقى عليَّ حُمقي»[٤].

فانظر إلى هٰذا الصبيِّ كيف استخرج بفَرْط ذكائه، واستنبط بجَودة قريحته ما لعلَّه يَدِقُّ على مَن هو أكبرُ منه سِنًّا وأكثرُ تجرِبةً!!.

(٢٩) وأحسنُ من هٰـذا الذكـاء والفطنـة: ما حكى ابـنُ قُتيبـة[٥]: «أن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرَّ بصبيانٍ يَلعبون ـ وفيهم عبدُاللَّه بن الزُّبير ـ، فهربوا منه إلا عبدُاللَّه، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما لكَ لم تَهرَبْ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أكن على ريبةٍ[٦] فأخافَك، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأوسِّعَ لك»[٧].

فانظر ما تضمَّنه هٰذا الجـوابُ مـن الفِطنـة، وقُـوَّةِ المُنَّة[٨]، وحُسنِ البديهة!

---

(١) **الانتهاب**: الغصب. والمراد: بقوة الجسد. [ط]

(٢) **الأنصِبة**: جَمع «نصيب». [ط]

(٣) هو عبدالملك بن قريب الباهلي، أبـو سعيـد الأصمعـي، صاحب اللغـة والنحـو والغريب والأخبار، تُوُفِّي عام (٢١٦).
ترجمته في: المعارف (٥٤٣)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٥٧)، تاريخ دمشق (٣٧/ ٥٥)، تهذيب الكمال (١٨/ ٣٨٢).

(٤) الخبر في الحكم والأمثال (٩٣) غير منسوب، وفي التذكرة (٣/ ٢٦٤) منسوب إلى تمام الطائي.

(٥) أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدِّينَـوَري، عالِم مشارك في أنواع من العلوم كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار وأيام الناس، توفي عام (٢٧٦).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٩٧).

(٦) **الرِّيبة**: المعصية. [ط]

(٧) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٢٢١ ـ خبر: ٣١٦٩)، ومحاضرات الراغب (١/ ٥٦)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢١٨)، وربيع الأبرار (١/ ٣٧٥).

(٨) **المُنَّة**: العزيمة. [ط]

كيف نَفى عنه اللوم، وأثبت له الحُجة، فليس للذكاء غاية، ولا لجودة القريحة نهاية.

(٣٠) وحُكي أن سليمان بن عبدِالملك أمر الفرَزْدق[١] بضَرْبِ أعناقِ أُسارَى من الروم، فاستعفاه الفرزدق، فلم يفعل، وأعطاه سيفًا لا يَقطع شيئًا، فقال الفرزدق: «بل أضربُهم بسيف أبي رغوان مُجاشع ـ يعني سيفَ نفسه ـ . فقام فضرب به عنقَ رومي منهم، فنبا السيف عنه، فضحك سليمان ومَن حوله، فقال الفرزدق:

أَيَعجَبُ الناسُ أن أضحَكتُ سيدَهم ... خليفةَ اللّٰهِ يُستسقى به المطرُ!

لم ينْبُ سيفي من رُعبٍ ولا دهَشٍ ... عن الأسير ولٰكن أخَّر القَدَرُ

ولن يقدِّمَ نَفسًا قبلَ مِيتتِها ... جَمْعُ اليدين ولا الصَّمصامةُ الذَّكَرُ[٢]

ثم غمد سيفه وهو يقول:

ما إنْ يُعابُ سيدٌ إذا صبا ... ولا يُعابُ صارمٌ إذا نبا

ولا يُعابُ شاعرٌ إذا كَبا[٣]

ثم جلس وهو يقول: كأني بابن المَراغة[٤] قد هجاني، فقال:

بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضرب بسيفِ ابنِ ظالِمِ

ثم قام فانصرف، وحَضر جريرٌ[٥]، فخُبِّر بالخَبَر، ولم يُنشَد له الشعر، فأنشأ

---

(١) اسمه هَمَّامُ بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، يُكنى أبا فراس، شاعر مشهور، توفي عام (١١٠).
ترجمته في: معجم الشعراء (٥٣٧)، وفيات الأعيان (٦/ ٨٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٥٥).

(٢) **الصَّمصامة الذَّكَر**: السيف البتار. [ط]

(٣) **صبا**:مال. **صارمٌ**: سيف. **نبا**: انحرف. **كبا**: سقط. [ط]

(٤) يقصد جريرًا.
قلت: **والمَراغة**: أنثى الحِمار التي لا تمنعُ مَن طلبها من الفحول! كذا في ط: دار ابن كثير (٢٠). ومثلُ هٰذا السبِّ والطعن لا يجوزُ في شِرعتنا الطاهرة. [ط]

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة البصري، أشعر أهل زمانه، ولد ومات باليمامة، وعاش عمره =

يقول:

بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضرب بسيفِ ابنِ ظالِمِ

ثم قال: يا أمير المؤمنين، كأني بابن القَين[١] وقد أجابني، فقال:

ولا نَقتُلُ الأَسرى ولٰكنْ نفكُّهم إذا أثقل الأعناقَ حَمْلُ المغارمِ

فاستحسن سليمانُ حَدْسَ الفرزدق على جرير، ثم أُخبر الفرزدقُ بشِعر جريرٍ ولم يُخبَر بحَدْسِه، فقال الفرزدق[٢]:

كذاك سيُوفُ الهِندِ تنبُو ظُباتُها وتقطعُ أحيانًا مناطَ التمائمِ

ولن نقتلَ الأسرى ولٰكن نَفُكُّهُم إذا أثقل الأعناقَ حَملُ المغارمِ

وهل ضربةُ الروميِّ جاعلةٌ لكم أبًا عن كليبٍ أو أخًا مثلَ دارمِ!

فشاع حديثُ الفرزدق بهٰذا[٣]، حتى حكي أن المهديَّ أُتي بأسرى من الروم، فأَمر بقَتلهم، وكان عنده شَبيب بن شَيبة[٤]، فقال له: اضرِبْ عنقَ هٰذا العِلج[٥]، فقال: يا أمير المؤمنين، قد عرفتَ ما ابتُلي به الفرزدقُ، فعُيِّر به قومُه[٦] إلى اليوم، فقال: إنما أردتُ تشريفَك، وقد أعفيتُك، وكان أبو الهول[٧] ـ الشاعر ـ حاضرًا،

= كله يناضل شعراء زمنه، ويساجلهم، تُوُفِّي هو والفرزدق في عام واحد (١١٠).
ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٥٥).

(١) يقصد الفرزدق.
قلت: والقين: هو الحَدَّاد. ولعله يقصد: الكذَّاب، نسبةً إلى «سعد القين»، وقد ضرب مثلًا في الكذب. انظر: «الصحاح» (مادة: قين). **[ط]**

(٢) شرح ديوان الفرزدق (ص٨٥٨).

(٣) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٢٦)، الأغاني (١٥/ ٢٣٢).

(٤) شَبيب بن شيبة بن عبد اللّٰه بن الأهتم، أبو معمر، المنقري البصري، كان له لسان وفصاحة. تُوُفِّي عام (١٦٢).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٧)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٨)، تهذيب الكمال (١٢/ ٣٦٢).

(٥) **العِلْجُ**: الرجل من كفار العجم، الصحاح (ص٧٣٤).

(٦) في الأصل: فعيرته قومه.

(٧) اسمه عامر بن عبدالرَّحْمٰن الحِميَري، شاعر مقل، له مدائح في المهدي والهادي والرشيد =

فقال:

جَـزِعتَ مـن الرومـيِّ وهـو مُقـيَّـدٌ فكـيف ولـو لاقيـتَهُ وهـو مُطلَـقُ!

دعـاك أميـرُ المؤمنـين لقـتلِهِ فكـاد شَـبيبٌ عـند ذلـك يَفـرَقُ[١]

تـنحَّ شـبيبًا عـن قِـراعِ كتيـبةٍ وادْنُ شـبيبًا مـن كـلامٍ يُلفَّـقُ».

وليس العجبُ مِن خبر الفرزدق ـ إن صحَّ مِن جودة القريحتين ـ، ولٰكن مِن اتفاق الخاطرين.

(٣١) ولمثل ذٰلك قالت الحكماء: «آيةُ العقل سرعةُ الفهم[٢]، وغايتُه إصابةُ الوَهْم[٣]».

وليس لمن مُنح جَودةَ القريحةِ وسرعةَ الخاطرِ عَجزٌ عن جوابٍ ـ وإن أُعضَل[٤] ـ.

(٣٢) كما قيل لعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كيف يحاسِبُ اللَّهُ العبادَ على كثرةِ عددهم؟ فقال: كما يرزقُهم على كثرةِ عددهم».

(٣٣) وقيل لعبداللَّه بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أين تذهبُ الأرواحُ إذا فارقتِ الأجساد؟ فقال: أين تذهبُ نارُ المصابيح[٥] عند فَناء الأَدْهان[٦]؟»[٧].

= والأمين، وهجا خلقًا كثيرًا، ترجمته في: تاريخ بغداد (١٤/ ١٥٥).

(١) يَفْرَقُ: يخاف. [ط]

(٢) في هٰذا نظر؛ لأن الأفهام تتفاوت ـ عند أكمل الناس عقلًا ـ، ولنا عبرةٌ بسلف الأمة من علمائها وعُبَّادِها؛ فقد زخرت تراجِمُهم بأن منهم من كان يتفكَّرُ في الأمر من الأمور أيامًا وليالِيَ حتى يُهدَى فيها إلى الحقِّ وسواء السبيل، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) **الوَهْم**: الفراسة ـ كما سلف ـ [ط]

(٤) أي: لا يعجزُ مَن لديه جودةُ خاطر وسرعةُ بديهةٍ عن الأجوبة المُسكِتة المُفحِمة، وإن حاول مَن أمامه تعجيزَه بشتى الأمور؛ كالأسئلةِ المخجِلةِ ـ مثلًا ـ. [ط]

(٥) في الأصل: المصباح.

(٦) **الأدهان**: زيوت المصابيح. [ط]

(٧) إن صحَّ هٰذا الأثر فهو كلامٌ مع مَن يجادل في دين اللَّهِ تعالى بغير علمٍ ولا هدًى ولا كتابٍ منير، وإلا فقد بيَّن لنا الشرع المطهَّر ـ في أحاديثَ عدةٍ ـ أن أرواحَ المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار؛ هٰذا إن كان مقصودُ السائل بعدَ الموت، أما إن كان يقصدُ أين تذهب =

وهٰذان الجوابان جوابا إسكاتٍ، تضمنا دليلَيْ إذعانٍ، وحُجَّتَيْ قهر.

(٣٤) ومِن غير هٰذا الفنِّ[١] ـ وإن كان مُسكِتًا ـ : ما حُكي عن إبليس ـ لعنه اللَّه ـ : «أنه حين ظهر لعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: ألستَ تقول: إنه لن يصيبَك إلا ما كتبه اللَّهُ عليك؟ قال: نعم، قال: فارْمِ بنفسك من ذُروةِ هٰذا الجبل، فإنه إن يُقدَّرْ لك السلامةُ تَسْلَمْ! فقال له: يا ملعون، إن للَّهِ أن يَختبرَ عبادَه، وليس للعبد أن يختبرَ ربَّه»[٢].

ومثل هٰذا الجوابِ لا يُستغربُ من أنبياء اللَّه تعالى، الذين أمدَّهم بوحيه، وأَيَّدهم بنصره، وإنما يُستغربُ ممن يلجأ إلى خاطره، ويُعوِّلُ[٣] على بديهته.

(٣٥) ورَوى قُثَمُ بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قيل لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوةٌ مستجابة، فقيل له: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرةُ يومٍ للشمس»[٤].

فكان هٰذا السؤالُ من سائله إما اختبارًا وإما استبصارًا، فصَدَر عنه من الجوابِ ما أَسكت.

فأما إذا اجتمع هٰذانِ الوجهانِ في العقل المكتسَب ـ وهو ما يُنمِّيهِ فرطُ الذكاءِ بجَودة الحدسِ، وصحةُ القريحةِ بحُسن البديهة، مع ما ينمِّيهِ الاستعمالُ بطول التجاربِ، ومرور الزمان بكثرة الاختبار ـ : فهو العقلُ الكاملُ على الإطلاق، في الرجل الفاضلِ بالاستحقاق.

= الأرواح عند النوم، فمعلومٌ أن الأرواح لا تفارقُ الأجساد حال نومها مفارقتَها حال موتِها، وإن كان اللَّهُ تعالى سمَّى كلتا الحالتين وفاةً ـ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] ـ، لٰكن هٰذه وفاةٌ غير تلك ـ كما هو معلومٌ عند كافةِ العقلاء ـ، وانظر ـ لزامًا ـ «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٨٤). [ط]

(١) الفَن: النوع. [ط]

(٢) اللَّهُ أعلمُ بصحة هٰذا الأثر الإسرائيلي ـ الذي لا نصدقه ولا نكذبه ـ ؛ والردُّ الأقوى ـ في شرعنا العظيم ـ أن إلقاءَ النفس من عَلٍ ليس ممَّا أَمر اللَّهُ تعالى به عباده، والمؤمنُ وقَّاف عند أمرِ مولاه جَلَّ جَلَالُهُ. [ط]

(٣) **يُعوِّل**: يعتمد. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٢٣١)، وربيع الأبرار (١/ ٣٧٦)، وأمالي المرتضى (١/ ٢٧٣).

(٣٦) رَوى أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أُثني على رجلٍ عند رسول اللَّه ﷺ بخيرٍ، فقال: «**كيف عقله؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه، إن من عبادته... إن من خُلُقه... إنَّ من فضله... إنَّ من أدبه... فقال: «**كيف عقلُه؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه، نُثني عليه بالعبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الأحمقَ العابدَ يُصيبُ بجَهله أكثرَ منْ فُجورِ الفاجر، وإنما يَقرُبُ الناسُ من ربِّهم بالزُّلَفِ**(١)**، على قدْرِ عقولِهم**»(٢).

[هل زيادةُ العقل المكتسَب فضيلةٌ أم لا؟!]:

واختلف الناسُ في العقل المكتسَب إذا تناهَى وزاد: هل يكون فضيلةً أم لا؟:

١ ـ **فقال قومٌ**: لا يكون فضيلةً؛ لأن الفضائلَ هيئاتٌ(٣) متوسطةٌ بين خصلتين ناقصتين(٤) كما أن الخيرَ توسُّطٌ بين رذيلتين، فما جاوَزَ التوسُّطَ خرج عن حدِّ الفضيلة.

(٣٧) وقال قالت الحكماء للإسكندر: «أيُّها الملِك، عليك بالاعتدالِ في كل الأمور؛ فإن الزيادةَ عَيب، والنقصانَ عَجْز».

(٣٨) هٰذا مع ما وردت به السُّنةُ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**خيرُ الأمورِ أوساطُها**»(٥).

---

(١) **الزُّلَف**: الدرجات المقرَّبة منه تبارك وتعالى. [ط]

(٢) **موضوع**: أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٥٧)، والحارث بن أسامة في «مسنده» (٨٢٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٣١)، وداود بن المحبَّر في كتاب «العقل»، كما في إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٥٧)، وقال المعلِّق على «كنز العمال» (٣/ ٣٨١): «هٰذا الحديث في «الموضوعات الصغرى» للقاري (٤٥٦)»، ونقل الحكمَ **بالوضع** عن الحافظ ابن حجر. وانظر: «كشف الخفا» (٢/ ٢٣٠٨) و«تذكرة الموضوعات» للفتَّني (١/ ١٩٧). وراجع ما سلف عن أحاديث العقل تحت الحديث رقم (٣). [ط]

(٣) هيئات: صفات. [ط]

(٤) في الأصل: هبات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين.

(٥) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٨/ ٢٧٥)، وفي «السنن الكبرى» (٣/ ٢٧٣)، **وضعَّفه** الإمام البيهقي ـ مشيرًا لإرساله ـ، وكذا الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٣٥)، وعزاه في «الدرر المنتثرة» (٢٢٧) إلى ابن السمعاني في «تاريخه» عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: =

(٣٩) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خيرُ هٰذه الأمَّةِ النَّمَطُ[١] الأوسط، إليهم يَرجِعُ الغالي، وبهم يَلحَقُ التالي»[٢].

(٤٠) قال الشاعر:

لا تَذهَبَنَّ في الأمور فَرَطَا لا تَسألَنَّ إن سألتَ شططَا[٣]
وكُنْ من الناس جميعًا وسطَا

قالوا: ولأنَّ زيادةَ العقل تُفضي بصاحبها إلى الدَّهاءِ والمَكر، وذٰلك مذموم، وصاحبه ملوم.

(٤١) وقد أَمر عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يَعزِلَ زيادًا عن ولايته، فقال زيادٌ: «يا أميرَ المؤمنين، أعن مَوْجِدةٍ[٤] أم عن خيانة؟ فقال: لا عن واحدةٍ منهما، ولٰكنْ خِفتُ أن أحملَ على الناس فَضلَ عقلِك»[٥].

(٤٢) ومِن أجل هٰذا المَحكيِّ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما قيل قديمًا: «إفراطُ العقل مضرٌّ بالجَد[٦]»[٧].

= «**بسندٍ فيه من لا يعرف حاله**». وكذا قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ـ كما في «كشف الخفا» (١٢٤٧) ـ، ونقل **تضعيفه** ـ أيضًا ـ عن ابن الغرس. وعزاه ـ كذٰلك ـ للديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس مرفوعًا ـ **بلا سند** ـ. وانظر: «الفوائد المجموعة»، للشوكاني (٢٥١)، و«تذكرة الموضوعات» (١/ ١٥٢٢) ـ **مقرًّا** كلام البيهقي ـ، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٥٢). [ط]

وقد أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٦٦٠١) عن مطرِّفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قوله ـ.

(١) **النمَط**: الطريق، والمقصود: أصحابه. [ط]

(٢) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٤٧).

(٣) الأبيات في البيان والتبيين (١/ ٢٥٥) غير منسوبة.

قلت: **والشَّطط**: الأمرُ بعيد المنال. [ط]

(٤) **المَوجِدة**: الغضب. [ط]

(٥) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٤٦٨ ـ خبر: ١٨٣١).

قلت: ولا أظنُّه يصحُّ عن عمر، وليست هٰذه طريقةَ الصحابة في الحكم على الناس. [ط]

(٦) في طبعة «دار ابن كثير» وردت الكلمة الأخير بلفظ: «الجسد»؛ ذٰلك لأن الإفراطَ في العقل يدفعُ العبد للإقدام على عظائم الأمور، وقد يَهلِكُ دون الوصول إليها. [ط]

(٧) العبارة في الحكم والأمثال (ص٧٥)، وعيون الأخبار (١/ ٤٦٨)، والتذكرة الحمدونية =

(٤٣) وقد قال بعضُ الحكماء: «كفاكَ مِن عَقلِك ما دَلَّك على سبيل رُشدِك».

(٤٤) وقال بعضُ البلغاء: «قليلٌ يَكفي خيرٌ من كثيرٍ يُطغي».

٢ ـ **وقال آخرون** ـ وهو أصحُّ القولين ـ : زيادةُ العقل فضيلةٌ، لأن المكتسَبَ غيرُ محدودٍ، وإنما تكونُ زيادةُ الفضائلِ المحدودةِ نقصًا مذمومًا لأن ما جاوَزَ الحَدَّ لا يُسمَّى فضيلةً، كالشُّجاع إذا زاد على حدِّ الشجاعةِ نُسب إلى التهوُّر، والسَّخيُّ إذا زاد على حد السَّخاءِ نُسب إلى التبذير، وليس كذٰلك حالُ العقل المكتسَب؛ لأن الزيادةَ فيه زيادةُ علمٍ بالأمور، وحُسنُ إصابةٍ بالظنون، ومعرفةُ ما لم يكن على ما يكون[1]، وذٰلك فضيلةٌ لا نقصٌ.

(٤٥) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضلُ الناس أعقلُ الناس**»[2].

(٤٦) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**العاقلُ[3] حيث كان أَلُوفٌ مألوفٌ**»[4].

(٤٧) وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]: «أي: بحَسَبِ عقله»[5].

(٤٨) وقال القاسمُ بن محمد[6]: «كانت العربُ تقول: مَن لم يكن عقلُه أغلَبَ

= (٣/ ٢٦٩).

(١) أي: بقياس الآتي على الماضي ـ كما سلفت إشارة ـ . [ط]

(٢) **موضوع**: رواه الحارثُ في «مسنده» (٨٣٧)، وفيه داود بن المُحبَّر، وهو متروك ـ كما سلف ـ . وانظر: «كشف الخفا» (٢/ ٥٠٦)، و«تذكرة الموضوعات» (١/ ١٩٧). [ط]

(٣) في الأصل: العقل، والصواب ما أثبته. واللّٰه أعلم.

(٤) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللّٰهُ تعالى أعلم. وقد سلف أن أحاديث العقل لا تثبت تحت الحديث رقم (٣). **والألوف**: هو المُحِبُّ للناس، **والمألوف**: المحبوب منهم. [ط]

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٠)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ١٦٤)، والكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٣) وليس هٰذا المعنى عند أحدٍ إلا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.
قلت: الوارد في التفاسير السلفية أن «الشاكلة» هي الطبيعة والناحية ـ كذا قالوا ـ ، والمعنى: أن كلَّ عبدٍ يعمل على ما تُمليه عليه طبيعتُه، وعليه فلا يكون ما أورده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بعيدًا؛ لأن العقلَ إنما يُسيِّرُ الإنسانَ بناءً على ما فيه من عقيدةٍ ومبادئ عاش وتربَّى عليها، وبِهٰذا نعلمُ أن الدين والعقيدة هي التي تحكمُ العقول، واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]

(٦) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الإمام، أحد الفقهاء السبعة، تُوُفِّي عام (١١٢). ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ١٨٣)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧)، شذرات الذهب (٢/ ٤٤).

خِصالِ الخير عليه، كان حَتفُهُ في أغلب خصالِ الخير عليه»[١].

(٤٩) وقيل في منثور الحكم: «كلُّ شيءٍ إذا كثُر رخُص إلا العقل؛ فإنه إذا كثُر غلا»[٢].

(٥٠) وقال بعض البُلغاء: «إن العاقلَ مِن عَقلِه في إرشاد، ومِن رأيِهِ في إمداد، فقولُه سديد، وفِعلُه حَميد. والجاهلُ مِن جَهلِه في إغواء، ومِن هواه في إغراء[٣]، فقولُه سقيم، وفِعلُه ذميم».

(٥١) وأنشدني ابنُ لَنْكَك[٤] لأبيه:

مَن لم يكن أكثرُهُ عَقلَهُ   أهلكـه أكثـرُ مـا فيـهِ

وأمَّا الدهاءُ والمكرُ فهو مذموم؛ لأن صاحبه صَرَف فضلَ عقله إلى الشر، ولو صَرَفه إلى الخير لكان محمودًا.

(٥٢) وقد ذَكر المغيرةُ بنُ شعبة عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «كان ـ واللَّهِ ـ أفضلَ مِن أن يَخدَع، وأعقلَ من أن يُخدَع»[٥].

(٥٣) وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لستُ بالخِبِّ[٦]، ولا يخدعُني الخِبُّ»[٧].

[مَن صَرَف فَضلَ عقلِه إلى الشرِّ، هل يسمَّى: عاقلاً؟]:

واختلف الناسُ فيمـن صَـرَف فضلَ عقلـه إلى الشـرِّ ـ كزيادٍ[٨] وأشباهِه من

(١) العبارة في التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٣٣)، وربيع الأبرار (٣/ ١٣٤) منسوبة إلى أردشير، وفي عيون الأخبار (١/ ٤٧٠)، وروضة العقلاء (ص٢٢)، ومحاضرات الأدباء (١/ ١٨) غير منسوبة.

(٢) العبارة في الحكم والأمثال (٣٢٧)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٠).

(٣) أي: يُغريه هواه بما يجلبُ له المعاطب. [ط]

(٤) ابن لَنْكَك ـ بكافين بعد النون واللام ـ: محمد بن محمد بن جعفر، أبو الحسن، من أهل البصرة، كان من النحاة الفضلاء والأدباء النبلاء، توفي عام (٣٦٠).
ترجمته في: معجم الأدباء (٦/ ٢٦١٩)، الوافي بالوفيات (١/ ١٥٦ ـ ترجمة ٧٦).

(٥) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٩٤).

(٦) **الخِب**: المخادع. [ط]

(٧) العبارة في الحكم والأمثال (٧٥)، وعيون الأخبار (١/ ٣٢٧) منسوبة لإياس.

(٨) هو زياد بن أبيه المستلحق، كان يضرب بدهائه المثل. شذرات الذهب (١/ ٢٥٢).

الدُّهاة ـ، هل يسمَّى الداهيةُ منهم عاقلًا أم لا؟.

ـ فقال بعضهم: أسمِّيه «عاقلًا»، لوجود العقل فيه.

ـ وقال آخرون: لا أسمِّيه «عاقلًا»؛ حتى يكون ديِّنًا خيِّرًا، لأنَّ الخير والدين مِن موجِبات العقل، فأما الشريرُ فلا أسميه «عاقلًا»، وإنما أسمِّيه صاحب رَوِيَّةٍ وفكرٍ.

(٥٤) وقد قيل: «إن العاقلَ مَن عَقَل عن اللَّهِ أمرَه ونَهْيَه»[١].

(٥٥) حتى قال أصحابُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فيمن أوصى بثُلُثِ ماله لأعقل الناس ـ : «إنه يكون مصروفًا في الزهَّاد، لأنهم انقادُوا للعقل[٢]، ولم يغترُّوا بالأمل».

(٥٦) ورَوى لقمانُ بن عامرٍ، عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يا عُوَيمر**[٣]**، ازدَدْ عقلًا تزدَدْ من ربِّك قُرْبًا، وبه عزًّا**»، قلت: فداكَ أبي وأمي، مَن لي بالعقل؟ قال: «**اجتنِبْ محارِمَ اللَّه، وأدِّ فرائضَه تكن عاقلًا، ثم تنفَّلْ**[٤] **بصالحاتِ الأعمال تزدَدْ في الدنيا عقلًا، وتزدَدْ من ربِّك قُرْبًا**»[٥].

(٥٧) وأنشدني بعضُ أهل الأدب هٰذه الأبيات، وذكر أنها لعليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٦]:

إن المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ ... فالعقلُ أوَّلُها والدينُ ثانيها[٧]

---

(١) وهٰذه أعظم فوائد العقل على الإطلاق ـ إذا تبعها العمل ـ. [ط]

(٢) نعم؛ للعقل الشرعيِّ الذي وقف عند أوامر ربِّه تبارك وتعالى. [ط]

(٣) وهو اسم أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٤) تنفَّل: تقرَّب. [ط]

(٥) موضوع: أخرجه الحارث بن أسامة (٨٣٧)، وداود بن المحبر في كتاب «العقل»، كما في «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٧٦٦). وراجع تخريج الحديث رقم (٣). [ط]

(٦) الأبيات في سراج الملوك، للطُّرطُوشي (ص١٦٢)، منسوبة إلى عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي روضة العقلاء (١/ ١١٦) منسوبة لعليِّ بن محمد البسامي.

(٧) بل الدين أوَّلُها؛ وأيُّ عقلٍ لمن لا دينَ له؟! [ط]

والعلـــمُ ثالـــثُها والحِلـــمُ رابعُهـــا والجُـودُ خامسُها والعُـرفُ ساديها[(١)]
والبِـــرُّ ســـابعُها والـــصَّبرُ ثامـــنُها والـشُّكرُ تاسـعُها واللـينُ عاشـيها
والـــنفسُ تعلـــمُ أني لا أُصـــدِّقُها ولـستُ أَرشُـدُ إلَّا حـين أَعـصِيها
والعَـينُ تَعلـمُ في عَينـي مُحـدِّثِها مَـن كـان مِـن حِـزْبِها أو مِـن أعـاديها
عيـناكَ قـد دلَّـتا عينـيَّ مـنكَ على أشـياء لـولاهمـا مـا كـنتُ أدرِيها

[العقل المكتسَبُ لا ينفردُ عن العقل الغريزي]:

واعلمْ أن العقل المكتسَبَ لا ينفَكُّ عن العقل الغريزي ـ لأنه نتيجةٌ منه ـ، وقد ينفكُّ العقلُ الغريزي عن العقل المكتسَب، فيكونُ صاحبُه مسلوبَ الفضائل، موفورَ الرذائل؛ كالأنوك[(٢)] الذي لا تجدُ له فضيلةً، والأحمقُ الذي قلَّما لا تخلُو منه رذيلة.

(٥٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأحمقُ أبغضُ خَلقِ اللَّهِ إليه، إذ حَرَمه أعزَّ الأشياءِ عليه**»[(٣)].

(٥٩) ورُوي عـن النبـيِّ ﷺ أنـه قـال: «**الأحمـقُ كالفَخَّـار، لا يُـرقَّـعْ ولا يُشعَبْ**[(٤)]»[(٥)].

(٦٠) وقال بعضُ الحكماء: «الحاجةُ إلى العقل أقبحُ من الحاجة إلى المال»[(٦)].

(٦١) وقال بعض البلغاء: «دَولةُ الجاهل عبرةُ العاقل[(٧)]».

---

(١) العُرف: فعل المعروف. [ط]

(٢) الأنوك: الأحمق. [ط]

(٣) لا أعلم له أصلًا. والعلم عند ربي. [ط]

(٤) يُشعَب: يُلصق طرفاه. [ط]

(٥) لا أعلم له أصلًا. والعلم عند ربي. [ط]

(٦) نعم؛ فالذي يحتاجُ المالَ قد يتعبُ قليلًا ثم يحصلُ عليه؛ أما العقل فيحتاجُ إلى سنواتٍ طوال، وبعد ذٰلك لا يدري المرءُ هل يحصِّلُه أم لا؟! [ط]

(٧) الدَّولة: الغلبة والعلوُّ. والمقصود: أن الجاهلَ إذا نال من الدنيا نصيبًا، فإن العاقل يعتبرُ بِهٰذا، ويعلمُ أن هٰذا محضُ قضاءٍ وقدَر، وليس بسبب عقلٍ نظيفٍ نال به ما نال! وهٰكذا ينبغي أن =

(٦٢) وقال أنوشِرْوان لبُزُرْجَمِهْر[١]: «أيُّ الأشياء خيرٌ للمرء؟ قال: عقلٌ يعيش به، قال: فإن لم يكن؟ قال: فإخوانٌ يستُرُون عيبَه، قال: فإن لم يكن؟ قال: فمالٌ يتحبَّبُ به إلى الناس، قال: فإن لم يكن؟ قال: فعِيٌّ صامت[٢]، قال: فإن لم يكن؟ قال: فموتٌ جارف[٣]».

(٦٣) وقال سابُور بن أرْدَشِير[٤]: «العقلُ نوعان، أحدُهُما مطبوعٌ، والآخر مسموعٌ[٥]، ولا يصلُح واحدٌ منهما إلا بصاحبه».

(٦٤) فأخذ ذٰلك بعض الشعراء، فقال[٦]:

رأيتُ العقلَ نوعَينِ ... فمَسموعٌ ومطبوعُ
ولا ينفعُ مسموعٌ ... إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشمسُ ... وضوءُ العين مَمْنوعُ

(٦٥) وقد وَصف بعضُ الأدباء العاقلَ بما فيه من الفضائل، والأحمقَ بما فيه من الرذائل، فقال: «العاقل إذا والَى بَذَل في المودَّةِ نَصْرَه، وإذا عادَى رَفع عن

= ينظر كلُّ مؤمنٍ فطنٍ إلى ما يناله الجهال والعصاة في هٰذه الحياة الزائلة، وأنه ـ غالبًا ـ ما يكون استدراجًا. [ط]

(١) **بُزُرْجَمِهْر بن البختكان**: حكيم فارسي، انظر: حاشية البيان والتبيين (١/ ٧)، والعبارة في روضة العقلاء (ص١٧).

(٢) **العي**: الجهل. والمقصود: أن مَن جهل شيئًا فسكت خيرٌ ممن يُظهر العلم والفطنةَ بما هو جاهل به. [ط]

(٣) **الجارف**: الكاسح الماحق. [ط]

(٤) ملك من ملوك العجم قبل الإسلام، المعارف لابن قتيبة (ص٦٥٤).

(٥) **العقل المطبوع**: هو الغريزي الذي يُخلق مع الإنسان. **والمسموع**: المكتسب من السماع وتجارب الحياة. [ط]

(٦) الأبيات في التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٣٥)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص٥٧٨)، وإتحاف السادة المتقين (١/ ٧٦٥)، منسوبة إلى عليٍّ بن أبي طالب، وهي في ديوانه (ص١٢١)، وفي روضة العقلاء (ص١٧) منسوبة إلى محمد بن إسحاق بن حبيب.
قلت: وهٰذه الأبيات في نسبتها لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شكٌّ كبير، وهي أشبهُ بكلام الفلاسفة والمتكلِّمين، وليس عليها بَهجةُ كلام السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

الظُّلم قَدْرَه، فيَسعَدُ مُواليهِ بعقله، ويعتصمُ معاديه بعَدله. إن أحسَنَ إلى أحدٍ ترك المطالبةَ بالشُّكر، وإن أساءَ إليه مسيءٌ سبَّب له أسبابَ العُذر، أو مَنَحة الصَّفحَ والعفو.

والأحمقُ ضالٌّ مُضِل، إن أُونِسَ[1] تكبَّر، وإن أُوحِشَ تكدَّر[2]، وإنِ استُنطِق تخلَّف[3]، وإن تُرِكَ تكلَّف[4]، مجالستُه مَهْنة[5]، ومعاتبتُه مِحنةٌ[6]، ومُحاورتُه تَغُر[7]، وموالاتُه تَضُر[8]، ومقاربتُه عَمًى، ومقارنتُه شَقًا.

وكانت ملوكُ الفُرس إذا غضِبت على عاقلٍ حبَسَتْه مع جاهل!.

والأحمقُ يُسيءُ إلى غيره ـ ويظنُّ أنه قد أحسن إليه ـ فيُطالبُه بالشكر، ويُحسن إليه، فيظنُّ أنه قد أساء إليه، فيطالبه بالوَتَر[9]، فمَساوئُ الأحمق لا تنقضي، وعيوبُه لا تتناهَى، ولا يقفُ النظرُ منها إلى غايةٍ إلا لوَّحَتْ ما وراءها بما هو أدنى منها وأردى، وأَمرُّ وأدهى[10]، فما أكثرَ العِبرَ لمن نظر، وأنفعَها لمن اعتبر»[11].

(٦٦) وقال الأحنف بن قَيس[12]: «مِن كل شيءٍ يُحفظ الأحمقُ، إلا من نفسه!»[13].

---

(١) أي: إن شَعَر بالتفاف الناس حوله. [ط]

(٢) أي: وإن ابتعد الناس عنه غضب وضاقت نفسُه. [ط]

(٣) أي: وإن طُلب منه الكلام عجز. [ط]

(٤) أي: وإن لم يطلب منه الحديث تكلَّف أيَّ كلام يظهر به نفسه. [ط]

(٥) **المَهْنة**: الحقارة. [ط]

(٦) أي: عذابٌ وهمٌّ؛ لأنه لن يرجع عن حماقتِه. [ط]

(٧) في الأصل: ومعاينته محنة، ومجاورته تغر.

(٨) أي: ومصاحبتُه تضُرُّ صاحبه. [ط]

(٩) **الوَتَر**: الثأر. [ط]

(١٠) أي: كلما ظنَّ الناظرُ إلى الأحمق أن مساوئَه انتهت، ظهرت من ورائها بلايا أخرى هي أشد قبحًا وأعظمُ نُكرًا. [ط]

(١١) العبارة في روضة العقلاء (١١٨ ـ ١٢٤).

(١٢) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر البصري، أدرك زمان النَّبي ﷺ ولم يره، عداده في التابعين، توفي عام (٦٧).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٢/ ٢٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٢).

(١٣) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ١٣) غير منسوبة.

(٦٧) وقال بعضُ البلغاء: «إن الدنيا ربما أقبَلت على الجاهل بالاتفاق[١]، وأدبرتْ عن العاقل بالاستحقاق[٢]! فإن أتتك منها سُهْمَةٌ[٣] مع جهل، أو فاتتك منها بُغيةٌ مع عقل، فلا يحمِلنَّك ذٰلك على الرغبة في الجهلِ والزهدِ في العقل، فدولةُ الجاهل من الممكِنات[٤]، ودولـةُ العاقـل مـن الواجبات[٥]، وليس من أمكنه شيءٌ من ذاته، كمَن استوجبه بآلتِه وأدواته».

وبعدُ، فدولةُ الجاهل كالغريبِ الـذي يحِنُّ إلى القَفْلَـة[٦]، ودولةُ العاقل كالنَّسيب الذي يحنُّ إلى الوُصْلة، فلا يفرحُ المرءُ بحالةٍ جليلةٍ نالها بغير عقل، أو منزلةٍ رفيعةٍ حلَّها بغير فضل؛ فإنَّ الجهل يُنزِلُه منها، ويُزيلُه عنها، ويحطُّه إلى رتبتِه، ويَرُدُّه إلى قيمتِه؛ بعدَ أن تظهر عيوبه، وتكثُرَ ذنوبُه، ويصيرَ مادحُه ذامًّا هاجيًا، ووليُّه معاديًا.

واعلم أنه بحسَبِ ما يُنشر من فضائل العاقل، كذٰلك يَظهرُ من رذائلِ الجاهل، حتى يَصيرَ مَثَلًا في الغابريـن[٧]، وحديثًـا في الآخِـرين، مع هَتْكِه في عصره[٨]، وقُبحِ ذِكرِه في دَهره.

(٦٨) كالذي رواه عطاءٌ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان في بني إسرائيل رجلٌ له حِمارٌ، فقال: يا رب، لو كان لك حِمارٌ لعلفتُه مع حماري. فهَمَّ به نبيٌّ من أنبياء اللَّه، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه: إنما أُثيبُ كلَّ إنسانٍ على قدْرِ عقلِه»[٩].

---

(١) أي: قضاءً وقدَر. [ط]
(٢) أي: وقد تبعد عن العاقل بالرغم من استحقاقِه لها، ولا ينفي هٰذا أن يكون ـ أيضًا ـ قضاءً وقدَر. [ط]
(٣) **السُّهْمة**: النصيب. [ط]
(٤) أي: فَوزُه وعلوُّهُ مشكوكٌ فيه؛ قد يحصل وقد لا يحصل. [ط]
(٥) أي: لابد أن يحصل له الغلبةُ والفوز ـ بإذن اللَّه ـ. [ط]
(٦) في المطبوعة: النقلة. وهي الرحيل.
قلت: القَفْلة: الرجوع. والمقصود: أن ما يناله من نعم ورفعةٍ سيزول سريعًا، كما أن الغريب يعود سريعًا إلى وطنه. [ط]
(٧) **المَثَل**: العِبرة. **الغابرين**: الماضين. [ط]
(٨) أي: مع فضيحته في زمانه. [ط]
(٩) الخبر في عيون الأخبار (٢/ ٤٨ ـ خبر: ٢١٧٤)، ربيع الأبرار (١/ ٣٧١).

(٦٩) واستعمل معاويةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا من كَلْب[1]، فذُكر المجوسُ يومًا عنده، فقال: «لعن اللَّهُ المجوس، يَنكِحون أمَّهاتِهم! واللَّهِ لو أُعطيتُ عشَرةَ آلافِ درهمٍ ما نكحتُ أمي!! فبلغ ذٰلك معاويةَ، فقال: قبَّحه اللَّه، أترَونَه لو زادُوه فعل؟! وعَزَلَه»[2].

(٧٠) ووَلِيَ الربيعُ العامريُّ ـ وكان من النَّوكى[3] ـ منابرَ اليمامة[4]، فأقادَ كَلْبًا بكلبٍ[5]! فقال فيه الشاعر[6]:

شهدتُ بأن اللَّهَ حقٌّ لقاؤُهُ ... وأن الربيعَ العامريَّ رقيعُ[7]

أقادَ لنا كلْبًا بكلبٍ ولم يَدَعْ ... دماءَ كلابِ المسلمينَ تضيعُ».

وليس لمَعَارِّ[8] الجهل غاية، ولا لمَضارِّ الحُمق نهاية.

(٧١) وقد قال الشاعر[9]:

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ بهِ ... إلَّا الحماقةَ أعيَتْ مَن يُداويها[10]

❁ ❁ ❁

---

(١) كَلْب: اسم قبيلة من عرب اليمن سكنت بين الشام والعراق. [ط]

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٢/ ٥٦) خبر (٢٢٣٠)، التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٨٨).

(٣) النَّوك: الحمق، وجَمعُه: النوكى: الحمقى، الصحاح (ص١٠٧٩)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٨٣) باب: (نوك).

(٤) في المطبوعة: سائر اليمامة.

(٥) أي: قتل كلبٌ كلبًا، فقَتل العامريُّ الكلبَ القاتلَ قِصاصًا!! [ط]

(٦) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ٥٨).

(٧) رقيع: أحمقُ سفيهٌ. [ط]

(٨) المَعَارُّ: الفضائح؛ جَمعُ «مَعرَّة». [ط]

(٩) البيت في محاضرات الأدباء (١/ ٢٣)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٦٨)، وربيع الأبرار (١/ ٣٦٩).

(١٠) وبعد كلِّ هٰذا يمكنُ وضع خلاصةٍ لما سلف ـ أحبابي ـ بأن نعلمَ أن العقلَ الممدوح شرعًا هو الوقَّاف عند أوامر فاطرِه العظيم ﷻ؛ المتَّبعُ لهَدي نبيِّه الكريم ﷺ، فإذا انقلب هٰذا الميزان النظيف، فصاحبه ليس بعاقلٍ ولو شهِد له الناس أجمعون. [ط]

فصل

[في الهوى]

فأمَّا الهوى؛ فهو عن الخير صادّ، وللعقل مُضَادّ، لأنه يُنتِجُ من الأخلاق قبائحَها، ويُظهِرُ من الأفعال فضائحَها، ويَجعلُ سِترَ المروءةِ مهتوكًا، ومَدخَلَ الشر مسلوكًا.

(٧٢) قال عبداللَّه بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الهوى إلٰهٌ يُعبدُ من دون اللَّه تعالى. ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]»[١].

(٧٣) وقال عكرمةُ ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ـ: «يعني: بالشهوات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ يعني: بالتوبة ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ يعني: في أمر اللَّه ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ يعني: بالتسويف ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعني: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد] يعني: الشيطان»[٢].

(٧٤) ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «**طاعةُ الشَّهوةِ داء، وعصيانُها دواء**»[٣].

(٧٥) وقال عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقدَعوا[٤] هٰذه النفوس عن شهواتِها، فإنها طَلَّاعةٌ[٥]، تَنزِعُ[٦] إلى شرِّ غايةٍ، إن هٰذا الحقَّ ثقيلٌ مَرِيّ[٧]، وإن الباطل خفيفٌ وَبِيّ[٨]، وتركُ الخطيئة خيرٌ من معالجةِ التوبة، [و]رُبَّ نظرةٍ زَرعت شهوةً، وشهوةِ ساعةٍ أورثت حُزنًا طويلًا»[٩].

(٧٦) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أخافُ عليكم اثنتين: اتباعُ الهوى،

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٦٤)، والبيان والتبيين (١/ ٢٣٥)، والتذكرة (١/ ٣٦٦).
(٢) الأقوال في النكت والعيون، للماوردي (٥/ ٤٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤٩).
(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
(٤) **اقدَعوا**: كفُّوا واكبحُوا. [ط]
(٥) **طلاعة**: تتطلع إلى الشهوات. [ط]
(٦) **تَنزِع**: تميل. [ط]
(٧) **مَرِيٌّ**: طيب مستساغ. وهٰذا لا يكون إلا عند القلوب الطاهرة. [ط]
(٨) **وَبِيٌّ**: مُهلِك. [ط]
(٩) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٣٢١)، ولسان العرب (٥/ ٢١٢) منسوبة إلى الحسن.

وطولُ الأمل؛ فإن اتباع الهوى يصُدُّ عن الحقِّ، وطولُ الأمل يُنسِي الآخرة»[١].

(٧٧) وقال الشَّعبيُّ[٢]: «إنما سُمِّي الهوى هوًى، لأنه يَهوِي بصاحبه»[٣].

(٧٨) وقال أعرابيٌّ: «الهوى هوانٌ، ولٰكن غُلِط باسمه»[٤].

(٧٩) فأخذه الشاعر فقال[٥]:

إن الهوانَ هو الهوى قُلِبَ اسمُهُ ... فإذا هَوِيتَ فقد لقيتَ هوانًا

(٨٠) وقيل في منثور الحِكَم: «مَن أطاع هواه أعطى عدوَّه مُناه».

(٨١) وقال بعضُ الحكماء: «العقل صديقٌ مقطوع[٦]، والهوى عدوٌّ متبوع».

(٨٢) وقال بعضُ البلغاء: «أفضلُ الناس مَن عصى هواه، وأفضلُ منه من رَفض دنياه[٧]».

(٨٣) وقال هشامُ بن عبدِالملِك بن مروان[٨]:

---

(١) العبارة في نهج البلاغة (٧١)، والتذكرة (١/ ٦٤).

(٢) عامر بن شراحيل، الشعبي، أبو عمرو الكوفي، الإمام الحبر العلامة، توفي عام (١٠٥).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٣)، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨)، تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٣٥ ـ ٤٣٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣١٩)، شذرات الذهب (٢/ ٢٤)، حلية الأولياء (٤/ ٣١٠)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٧).

(٣) العبارة في مسند الدارمي (٤١١)، وحلية الأولياء (٤/ ٣٢٠).

(٤) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٩٥)، والتذكرة (١/ ٣٦٦).

(٥) الأبيات في محاضرات الأدباء (١/ ٣٠).

(٦) أي: مقطوعٌ بسداده وصوابه. [ط]

(٧) هٰذه العبارةُ مجملةٌ وفيها تفصيل، والمتأملُ في نصوصِ الكتاب والسُّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمة وأحوالِهم يَعلمُ أن الشرعَ لم يأمرِ العبدَ بالانقطاع عن متاع الدنيا إلا بشرطٍ واحد: ألَّا ينسى العبدُ ربَّه والعملَ لدينه؛ فإن تعارضت الدنيا مع الدين نبذنا الرخيصَ من أجل النفيس، أمَّا أن يكون مجردُ الانقطاع عن الدنيا لأجل الانقطاع ـ فحسب ـ حتى ولو لم تؤثِّر على دين العبد، فهٰذا فيه نظرٌ بيِّن؛ كيف وقد استعاذ النبيُّ ﷺ من الفقر والذلِّ والحاجةِ للعباد؟! نعم؛ مَن ترك الدنيا ـ التي لم تُبعِدْه عن الآخرة ـ لمزيدِ قُربٍ من ربِّه وإقبالٍ على طاعته؛ فهٰذا من السابقين العقلاء؛ لٰكن لا يجعلْ حالَه ميزانًا ثابتًا لا تجوزُ مخالفته، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٨) هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو الوليد، الخليفة الأموي، ولد في دمشق، بويع بالخلافة =

إذا أنت لم تَعصِ الهوى قادَكَ الهوى ... إلى كلِّ ما فيهِ عليكَ مَقالُ[١]

قال ابن المعتز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يقُل هشام بن عبدالملِك غير[٢] هٰذا البيت».

(٨٤) وقال الشاعر:

إذا ما رأيتَ المرءَ يَقتادُهُ الهوى ... فقد ثَكِلَتْه عندَ ذاك ثواكِلُهْ[٣]

وقد أَشْمَتَ الأعداءَ جهلًا بنفسِهِ ... وقد وَجدت فيه مقالًا عَواذِلُهْ[٤]

وما يَردَعُ[٥] النَّفسَ اللَّجُوجَ عن الهوى ... مِنَ الناس إلا حازمُ الرأي كامِلُهْ

ولمَّا كان الهوى غالبًا، وإلى سبيل المهالِك مُورِدًا، جُعل العقلُ عليه رقيبًا مجاهدًا، يلاحِظُ عَثْرةَ غَفلتِه، ويَدفَعُ بادرةَ سطوتِه، ويوضِّحُ خِداعَ حِيلتِه؛ لأن سلطانَ الهوى قوي، ومَدخَلَ مَكرِه خَفي، ومن هٰذينِ الوجهين يُؤتى العاقلُ حتى تَنفُذَ أحكامُ الهوى عليه! أعني بأحد الوجهين: قوةَ سلطانه، وبالآخر: خفاءَ مَكرِه.

فأما الوجهُ الأول: فهو أن يَقوَى سلطانُ الهوى بكثرةِ دواعيه، حتى يستوليَ عليه مغالبةُ الهوى والشهوات، فيَكِلُّ[٦] العقلُ عن دفعها، ويضعُفُ عن مَنْعها، مع وضوح قُبحِها في العقل المقهورِ بها، وهٰذا يكونُ في الأحداثِ[٧] أكثرَ من الكهول، وعلى الشباب أغلبَ، لقوةِ شهواتِهم، وكثرةِ دواعي الهوى المتسلِّطةِ عليهم،

= بعد موت أخيه يزيد، توفي عام (١٢٥).
ترجمته في: شذرات الذهب (٢/ ١٠٢)، مروج الذهب (٣/ ٢١٧).

(١) في الأصل: يقال. والبيت في اعتلال القلوب، للخرائطي (ص٤١)، وشذرات الذهب (٢/ ١٠٢)، والحكم والأمثال (ص٤٤٠)، والبيان والتبيين (٣/ ١٦٩)، وعيون الأخبار (١/ ٦٤)، والوافي بالوفَيات (٢٧/ ٤٠٨).

(٢) في المطبوعة: سوى.

(٣) **الثواكل**: جَمع «ثكلَى» ـ وهي التي فقدت أعزَّ الناس لديها ـ، والمقصود: أن من اتبع الهوى أوقع نفسه في المهالك، فقامت عليه الثواكل. [ط]

(٤) **العواذل**: الأعداء اللائمون. [ط]

(٥) في الأصل: ما يزغ، **والرَّدْعُ**: الكف عن الشيء (اللسان ٣/ ٥٨).

(٦) **يَكِلُّ**: يعجز. [ط]

(٧) **الأحداث**: الشباب. [ط]

وأنهم ربما جَعلوا الشباب عذرًا لهم.

(٨٥) كما قال محمد بن بَشيرٍ[١]:

كـلٌّ يـرى أن الـشبابَ لـه ... في كـلِّ مـبلغِ لـذَّةٍ عُـذرُ

(٨٦) ولذلك قال بعضُ الحكماء: «الهوى ملكٌ غشُوم[٢]، ومتسلِّطٌ ظلوم».

(٨٧) وقال بعضُ الأدباء: «الهوى عسُوف[٣]، والعدلُ مألوف[٤]».

(٨٨) وقال بعض الشعراء:

يـا عـاقلًا أردى الهـوى عقلَـهُ ... مـا لـكَ قـد سُدَّتْ عليك الأمورُ؟!

أتَجعَـلُ العقـلَ أسـير الهـوى ... وإنمـا العقـلُ علـيهِ أميـرُ؟!

وحسمُ ذٰلك: أن يستعينَ العقلُ بالنفس النفُورة[٥]؛ فيُشعِرَها ما في عواقب الهوى من شدةِ الضرر، وقُبح الأثر، وكثرةِ الإجرام، وتراكُم الآثام.

(٨٩) فقد قال النبيُّ ﷺ: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكارِه، وحُفَّتِ النارُ بالشهوات**»[٦].

فأخبر أن الطريقَ إلى الجنة احتمال المكاره، والطريقَ إلى النار اتباع الشهوات.

(٩٠) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وتحكيمَ الشهوات على أنفسكم[٧]؛ فإنَّ عاجلَها ذَميم، وآجِلَها وَخيم، فإن لم ترَها تنقادُ بالتحذير

(١) محمد بن بشير بن عبدالله بن عقيل الخارجي المدني، من بني خارجة، وليس من الخوارج، يكنى أبا سليمان توفي عام (١٢٠).
ترجمته في معجم الشعراء (٧٦٢)، الأغاني (١٦/ ١١٢).

(٢) **غشُوم**: ظالِمٌ عنيد. [ط]

(٣) **عسُوف**: ظلوم منحرف. [ط]

(٤) **مألوف**: محبوب. [ط]

(٥) **النفُورة**: الشاردة المتفلِّتة. [ط]

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٦٠)، والبخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣)، وابن حِبَّان (٧١٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٧) إلى هنا العبارة في الحكم والأمثال (٤٤٠)، منسوبة إلى الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والإرهاب[١]، فسوِّفْها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبةَ والرهبةَ إذا اجتمعتا على النفس ذلَّت لهما وانقادت».

(٩١) وقد قال ابنُ السمَّاك[٢]: «كُنْ لهواك مسوِّفًا[٣]، ولعقلِك مُسعِفًا، وانظر ما تسوءُ عاقبتُه فوطِّنْ نفسك على مجانبته؛ فإن تركَ النفس وما تَهوَى داؤها، وتركَ ما تَهوَى دواؤها، فاصبر على الدواء كما تخافُ من الداء».

(٩٢) وقال الشاعر[٤]:

صبرتُ على الأيامِ حتى تولَّتِ ... وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرَّتِ[٥]

وما النفسُ إلا حيث يَجعلُها الفتى ... فإن أُطمِعت تاقتْ وإلا تسلَّتِ[٦]

فإذا انقادتِ النفسُ للعقل بما قد أُشعِرَتْ من عواقب الهوى، لم يلبثِ الهوى أن يصيرَ بالعقل مزجورًا، وباليقين مقهورًا[٧]، ثم له الحظُّ الأوفي في ثواب الخالق، وثناءِ المخلوقين.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ[٨] وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

---

(١) **الإرهاب**: التخويف. [ط]

(٢) محمد بن صبيح بن السماك، أبو العباس، الواعظ، توفي عام (١٨٣).
ترجمته في: حلية الأولياء (٨/ ٢٠٣)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٧)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٠١)، شذرات الذهب (٢/ ٣٧٦).

(٣) **مسوِّفًا**: مؤخِّرًا. [ط]

(٤) الأبيات في محاضرات الأدباء (٢/ ٣٣٤) منسوبةً إلى الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي في ديوانه (٥٢).

(٥) أي: ثبتت على الصبر. [ط]

(٦) **تاقت**: اشتاقت. **تسلَّت**. نَسِيَتْ. [ط]

(٧) في المطبوعة: بالعقل مدحورًا، وبالنفس مقهورًا.

(٨) ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «النكت والعيون» أن هٰذه الآية فيها قولان: **أحدهما**: أنه يخاف من ربِّه عند مواقعة الذنب في الدنيا. **والثاني**: أنه يخافُ من وقوفه يوم القيامة أمام ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وكلا الأمرين متلازمان ـ بلا ريب ـ. [ط]

(٩٣) وقال الحسنُ البصري[١]: «أفضلُ الجهاد جهادُ الهوى».

(٩٤) وقال بعضُ الحكماء: «أعزُّ العِزِّ: الامتناعُ من تملُّكِ الهوى».

(٩٥) وقال بعضُ البلغاء: «خيرُ الناس مَن أخرَجَ الشَّهوةَ من قلبه، وعصى هواه في طاعةِ ربه».

(٩٦) وقال بعضُ الأدباء: «مَن أمات شهوتَه، فقد أحيا مروءتَه»[٢].

(٩٧) وقال بعض العلماء: «ركَّب اللَّهُ الملائكةَ من عقلٍ بلا شهوة، وركَّب البهائمَ من شهوةٍ بلا عقل، وركَّب ابنَ آدم مِن كليهما، فمن غَلَب عقلُه شهوتَه فهو خيرٌ من الملائكة، ومَن غلبت شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم».

(٩٨) وقيل لبعض الحكماء: «مَن أشجعُ الناس وأحراهم بالظفَر في مجاهدته؟ قال: مَن جاهد الهوى طاعةً لربه، واحترَس من ورود خواطرِ الهوى على قلبه[٣]».

(٩٩) وقال بعضُ الشعراء:

قد يُدركُ الحازمُ ذو الرأي المُنى ... بطاعةِ الحزمِ وعصيانِ الهوى

وأما الوجه الثاني: فهو أن يُخفِيَ الهوى مَكْرَه، حتى تتموَّهَ[٤] أفعالُه على العقل، فيتصوَّرَ القبيحَ حسنًا، والضررَ نفعًا، وهٰذا يدعو إليه أحد شيئين:

١ ـ إمَّا أن يكون للنفس ميلٌ إلى ذٰلك الشيء، فيَخفَى عنها القبيحُ بحُسن ظنِّها، وتتصوَّرُه حَسَنًا لشدةِ ميلها إليه.

(١٠٠) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**حبُّك الشيءَ يُعمِي ويُصِمُّ**»[٥].

---

(١) الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، الإمام الزاهد، توفي عام (١١٠).
ترجمته في: الحلية (٢/ ١٣١)، تهذيب الكمال (٦/ ٩٦)، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٠٦).

(٢) العبارة في الحكم والأمثال (٤٤٠).

(٣) ورودُ الخواطر ليس بيد العبد، ولو كان هٰذا بيده لاستراح من وسوسة الشيطان! [ط]

(٤) تتموَّه: تختلُّ، فلا يُعلم صوابُها من خطئها. [ط]

(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٥/ ١٩٤)، وعبدُ بن حُميد (٢٠٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧) و(٣/ ١٧١)، وأبو داود (٥١٣٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٥٦)، وفي «مسند الشاميين» (١٤٦٨)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١١٥) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، =

أي: يُعمِي عن الرُّشد، ويُصِمُّ عن الموعظة[١].

(١٠١) وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: «الهوى عمى».

(١٠٢) قال الشاعر:

.... حَسَنٌ في كلِّ عينٍ مَن تَوَدُّ[٣]

(١٠٣) وقال عبداللَّه بن معاوية بن عبداللَّه بن جعفر بن أبي طالب[٤]:

ولستَ بـراءٍ عيبِ ذي الودِّ كلِّه ... ولا بعضٍ ما فيه إذا كنتَ راضيَا

فعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... ولٰكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبدِي المساويا

٢ ـ أما السبب الثاني: فهو استثقالُ الفِكر في تمييزِ ما اشتَبه، وطلبُ الراحةِ في اتباع ما يَسهُل، حتى يَظُنَّ أن ذٰلك أوفقُ أمرَيهِ، وأحمدُ حالَيه؛ اغترارًا بأن الأسهلَ محمودٌ، والأعسرَ مذموم! فلن يَعدِمَ أن يتورَّطَ بخُدَعِ الهوى، وزينةِ المكرِ في كل مخوفٍ حذِر، ومكروهٍ عسِر.

= وضعَّفه الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني.
وأخرجه ـ موقوفًا على أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧)، وعلَّقه في (٣/ ١٧٢)، والبيهقي في «الشُّعب» (٤١٢)، وصحَّحه الشيخ شعيب الأرنؤوط، كما في «تحقيق سنن أبي داود» (٧/ ٤٤٨). [ط]

(١) قال الإمام المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٣/ ٣٧٣): «أي: يجعلُك أعمى عن عيوبِ المحبوب أصمَّ عن سماعها؛ حتى لا تُبصِرَ قبيحَ فِعلِه، ولا تسمعَ فيه نَهْيَ ناصح؛ بل ترى القبيحَ منه حسنًا، وتسمعُ منه الخَنا (الفحش) قولًا جميلًا، أو يُعمي ويُصِمُّ عن الآخرة، أو عن طُرق الهدى، وفائدتُه النهيُ عن حُبِّ ما لا ينبغي الإغراقُ في حبه» اهـ. [ط]

(٢) محاضرات الأدباء (١/ ٢٨)، ولفظه: الهوى شريك العمى، واتباع الهوى أوكد أسباب الردى.

(٣) هٰذا عجزُ بيتٍ لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، وصدره:
فتضاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ....
مستفاد من طبعة دار ابن كثير (ص٣٩). [ط]

(٤) توفي عام (١٣٠)، والأبيات في ترجمته من تاريخ دمشق، وفي ديوانه (٩٠).
ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٠٩ ـ رقم ٣٥٨١)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٦٢٩)، المعارف (٢٠٧).

(١٠٤) ولذٰلك قال عامرُ بن الظَّرِب[١]: «الهوى يَقظان، والعقلُ راقِد، فمِن ثَم غلب»[٢].

(١٠٥) وقال سليمانُ بنُ وهْب[٣]: «الهوى أمتع، والرأي أنفع».

(١٠٦) وقيل في المثَل: «العقل وزيرٌ ناصح، والهوى وكيلٌ فاضح».

(١٠٧) وقال الشاعر[٤]:

إذا المـرءُ أعطـى نفسَه كلَّ ما اشتهت ... ولـم يَـنْهَهَا تاقـت إلى كـلِّ باطـلِ

وسـاقت إلـيه الإثـمَ والعـارَ بالـذي ... دعـتْه إلـيه مـن حـلاوةِ عاجـلِ

وحسمُ السبب الأول: أن يَجعلَ فِكرَ قلبه حَكَمًا على نظر عينه؛ فإن العينَ رائدةُ الشهوة، والشهوةُ من دواعي الهوى، والقلبُ رائدُ الحق، والحقُّ مِن دواعي العقل.

(١٠٨) وقد قال بعضُ الحكماء: «نظرُ الجاهل بعينِه وناظرِه، ونظرُ العاقل بقلبِه وخاطره».

ثم يتَّهمُ نفسَه في صواب ما أحبَّت، وتحسينِ ما اشتهَت؛ ليصحَّ له الصواب، ويستبينَ له الحقُّ؛ فإن الحقَّ أثقلُ مَحمَلًا، وأصعبُ مَركبًا. فإن أُشكل عليه أمرانِ اجتَنب أحبَّهما إليه، وترك أسهَلَهما عليه[٥]؛ فإن النفسَ عن الحقِّ أنفر، وللهوى

(١) حكيم العرب. ترجمته في: التذكرة (٧/ ٤٩)، المعارف (٥٥٣).

(٢) العبارة في: مجمع الأمثال (١/ ٢٩٧)، والتذكرة (٨/ ٢١٧)، وعيون الأخبار (١/ ٦٤).

(٣) سليمان بن وهب، الوزير، ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٤١٨).

(٤) هو الحسين بن محمد بن عبدالوهاب، المعروف بالبارع البغدادي، كان لغويًّا نحويًّا مقرئًا، توفي عام (٥٢٤) والأبيات في ترجمته من معجم الأدباء (٣/ ١١٤١).

(٥) ليست هٰذه قاعدةً مضطردةً؛ بل الأصل أن يَعمَلَ الإنسانُ ما خفَّ عليه وسَهُل ـ ما لم يكن معصيةً ـ ؛ وقد ثبت عن أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «ما خُيِّر رسول اللَّه ﷺ بين أمرين ـ أحدُهُما أيسرُ من الآخر ـ إلا اختار أيسرَهُما ـ ما لم يكن إثمًا ـ ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه». **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧)، فالضابط ـ إذن ـ وجودُ الطاعة والمعصية، والشريعةُ المباركةُ جاءت برَفع الحرج، ولم يَقصِدِ اللَّهُ تعالى منَّا ابتداءً إيقاعَ المشقةِ والمتاعب بأنفسنا؛ وإنما قد تأتي هٰذه الأمورُ إذا لم يكن هناك حيلةٌ في دفعِها؛ بأن كانت متعلِّقةً بالطاعة ـ كالجهادِ ومشقَّةِ السَّفر للحجِّ ونحو ذٰلك ـ . وعلى ما ذكرناه يخرَّج =

آثر[١].

(١٠٩) وقد قال العباس بن عبدالمطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا اشتبه عليك أمرانِ، فدَع أحبَّهُما إليك، وخُذْ أثقلَهما عليك»[٢].

وعِلَّةُ هٰذا القول: هو أن الثقيل تبطئُ النفسُ عن التسرُّعِ إليه، فيتَّضحُ ـ مع الإبطاء وتطاولِ الزمان ـ صوابُ ما استَعجم، وظهورُ ما استَبهم[٣].

(١١٠) وقد قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن تفكَّر أبصر».

والمحبوبُ السهلُ تُسرِعُ النفسُ إليه، وتَعجَلُ بالإقدام عليه، فيَقصُرُ الزمانُ في تصفُّحه، ويفوتُ استدراكُه لتقصِّي فِعلِه[٤]؛ فلا ينفعُ التصفُّحُ بعد العمل، والاستدراكُ بعد الفَوْت.

(١١١) وقد قال بعض الحكماء: «من كان عنك معرضًا، فلا تكنْ له[٥] متعرِّضًا».

(١١٢) وقال الشاعر:

أليسَ طِلَابُ ما قد فاتَ جهلًا ... وذِكرُ المرءِ ما لا يستطيعُ[٦]

(١١٣) ولقد وصف بعضُ البلغاء حالَ الهوى وما يقارنُه[٧] من مِحَن الدنيا،

= جميعُ ما ورد من آثار كالآتي قريبًا، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. وانظر ـ لزامًا ـ تفصيلًا مهمًّا في «الموافقات»، للعلامة الشاطبي (٢/ ٢٠٤ : ٣٠٥) مع تحقيقات وتعليقات الشيخ مشهور حسن آل سلمان. [ط]

(١) العبارة في روضة العقلاء (ص١٩).

(٢) العبارة في اعتلال القلوب، للخرائطي (ص٤١)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٩) منسوبة إلى بعض الحُكَماء، وفي التذكرة (١/ ٣٦٨) منسوبة إلى ابن المقفع، وفي عيون الأخبار (١/ ٦٤) منسوبة إلى بُزُرْجَمِهر.

(٣) **استعجم واستبهم**: غمُضَ وخفيَ. [ط]

(٤) أي: يفوت النظر فيه والتأمل في عواقبه. [ط]

(٥) في الأصل: به.

(٦) أي: ومحاولته أن يتذكر ما عجز عن تذكُّرِه من الجهل ـ أيضًا ـ، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٧) في الأصل: يقاربه.

فقال: «الهوى مطيَّةُ[١] الفتنة، والدنيا دارُ المِحنة، فاترُكِ الهوى تَسْلَم، وأعرِض عن الدنيا تَغنَمْ، ولا يغرَّنَّك هواك بطِيب المَلاهي، ولا تفتننَّك دنياك بحُسن العواري[٢]، فمُدَّةُ اللهو تنقطع، وعاريَّةُ الدهر تُرتجَع، ويَبقى عليك ما ترتكبُه من المحارم، وتكتسبُه من المآثم».

(١١٤) وقال عليُّ بن عبدالله الجَعفري[٣]: «سمعَتْني امرأةٌ في الطواف وأنا أُنشد:

أهوى هوى الدين واللذاتُ تُعجبُني ... فكيفَ لي بِهوى اللذاتِ والدِّينِ؟!

فقالت: هما ضَرَّتان، فذَرْ أيَّتَهما شئتَ وخذِ الأخرى».

[الفرقُ بين الهوى والشهوة]:

فأمَّا فرقُ ما بين الهوى والشهوة ـ مع اجتماعِهما في العِلَّةِ والمعلول، واتفاقهما في الدِّلالةِ والمدلول[٤] ـ: فهو أن الهوى مختصٌّ بالآراءِ والاعتقادات، والشهوةُ تختص[٥] بنَيل المستلذَّات؛ فصارت الشهوةُ من نتائج الهوى ـ وهي أخصُّ ـ، والهوى أصلٌ ـ وهو أعم ـ.

ونحن نسألُ اللّهَ تعالى أن يَكفيَنا دواعيَ الهوى، ويصرفَ عنا سُبلَ الرَّدَى، ويجعلَ التوفيق لنا قائدًا، والعقلَ لنا مرشدًا.

(١١٥) فقد حُكي أن اللّهَ تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: «عِظْ نفسك؛ فإنِ اتعظتَ فعِظِ الناس، وإلا فاستَحْيِ منِّي[٦]».

---

(١) المَطيَّة: الدابة المركوبة. [ط]

(٢) العواري: جَمْعُ «عارية»، وهي ما يقترضه الإنسان، ثم يُعيده لصاحبه. [ط]

(٣) عليُّ بن عبدالله بن جعفر السعدي المديني، محدث مؤرخ، كان حافظ عصره، توفي عام ٢٣٤هـ.
ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٢/ ١٥)، الأعلام (٤/ ٣٠٣).

(٤) فهما يتفقان في أن كلاهُما نابعٌ من رغبةِ النفس في نيل مشتهاها. [ط]

(٥) في المطبوعة: مختصة.

(٦) هذا الأثرُ الإسرائيلي ـ على فرض ثبوتِه ـ إنما فيه التحذير من ترك العمل بالعلم، وليس فيه النهيُ عن وعظِ الناس بالحق ـ حتى ولو لم يَعمل به الآمِرُ الناهي ـ؛ فإنَّ الذي عليه المحقِّقون =

(١١٦) وقال محمدُ بن كُناسة[1]:

مـا مَـن رَوَى أدبًـا ولم يَعمَـلْ بـهِ ... ويكـفَّ عـن زيغِ الهوى بأديبِ[2]
حتـى يكـونَ بمـا تعلَّـم عـاملًا ... مِـن صـالحٍ فـيكونَ غيـرَ مَعيبِ
ولقلَّمـا تُغنـي إصـابةُ صـائبٍ ... أفعالُـهُ أفعـالُ غيـرِ مُـصيبِ

(١١٧) وقال آخر[3]:

يـا أيُّهـا الـرجلُ المعلِّـمُ غيـرَه ... هـلَّا لنفـسِكَ كـان ذا التعلـيمُ!
تَـصِفُ الدواءَ لذي السَّقامِ وذي الضَّنَى ... كـيما يـصحُّ بـه وأنـت سـقيمُ!
ابـدأْ بنفـسِكَ فانْهَهَـا عـن غَـيِّها ... فـإذا انـتهتْ عـنه فأنـت حكـيمُ
فهـناكَ تُعـذَرُ إنْ وَعظـتَ ويُقـتدَى ... بالقـولِ مـنك ويُقـبَلُ التعلـيمُ
لا تَـنْهَ عـن خُلُـقٍ وتأتِـيَ مِـثلَه ... عـارٌ علـيك إذا فعلـتَ عظـيمُ

(١١٨) حكى أبو فروة أن طارقًا ـ صاحب شرطة خالد بن عبداللَّه القَسْري ـ مرَّ بابن شُبرُمة ـ وطارقٌ في موكبه ـ، فقال ابن شبرمة:

أراهـا وإن كانـت تُحَـبُّ كـأنهـا ... سـحابةُ صـيفٍ عـن قليلٍ تقشَّعُ[4]

= أن العبدَ عليه أن يأمرَ وينهى ـ حتى ولو لم يكن هو ملتزمًا بأمر الشرع ـ، حتى قال بعضهم: واجبٌ على شاربي الخمر أن يتناهَوا فيما بينهم. وتفاصيل هٰذا في مباحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتب الفقه والرِّقاق. [ط]

(١) محمد بن عبداللَّه بن عبدالأعلى بن عُبيداللَّه، أبو يحيى، شاعر من شعراء الدولة العباسية، توفي عام (٢٠٧).
ترجمته في: محاضرات الأدباء (١/ ٢٦٩)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٩٩)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٩٢).

(٢) الأديب: المؤدَّب المهذَّب. [ط]

(٣) الأبيات في التذكرة (١/ ٢٨٤) منسوبةً إلى المتوكل الليثي، وقال د. إحسان عباس: وقد نسبت هٰذه الأبيات إلى شعراء آخرين.

(٤) في المطبوعة: قريب، بدل «قليل».

اللهم لي ديني، ولهم دنياهم.

فاستُعمل ابنُ شبرمةَ بعد ذٰلك على القضاء، فقال له ابنه أبو بكرٍ: أتذكُرُ قولَك يوم كذا، إذ مرَّ بك طارقٌ في موكبه! فقال: يا بني، إنهم يَجِدُون مثلَ أبيك، ولا يجدُ أبوك مثلهم، إن أباك أَكَل من حَلوائهم، فخَبَط[(١)] في أهوائهم»[(٢)].

أما ترى هٰذا الدَّيِّنَ الفاضلَ كيف عُوجل بالتقريع، وقُوبل بالتوبيخ مِن أخص ذَوِيهِ ـ ولعله مِن أبرِّ بَنِيه ـ ! فكيف بنا ونحن أطلقُ منه عِنانًا، وأقلقُ منه جَنانًا، إذا رمَقَتْنا أعيُنُ المتتبِّعين، وتناولَتْنا ألسُنُ المتعنِّتين، هل نجدُ غيرَ توفيق اللّٰه تعالى ملاذًا، وسوى عِصمتِه مَعاذًا؟!.

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل: فحبط.

(٢) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٩٣ ـ خبر ٢٩٢)، والبيان والتبيين (٣/ ١٤٦)، وربيع الأبرار (٥/ ٢١٦).

الباب الثاني

أدبُ العِلْم



[الباب الثاني]

بابُ: أدبِ العلم

اعلم أنَّ العلم أشرفُ ما رَغِبَ فيه الراغب، وأفضلُ ما طلبَه وجَدَّ فيه الطالب، وأنفعُ ما كسَبَهُ واقتناه الكاسِب، لأنَّ شرفه يَنُمُّ(١) على صاحبه، وفضله يَنْمِي(٢) عند طالبه.

قال اللَّـه تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فمَنَع ـ سبحانه ـ المساواةَ بين العالِم والجاهل، لِمَا قد خُصَّ به العالِمُ من فضيلةِ العِلم.

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]، فنفى أن يكون غيرُ العالِم يعقِل عنه أمرًا، أو يفهَم عنه زَجْرًا.

(١١٩) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أَوحَى اللَّهُ إلى إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني عليمٌ أُحِبُّ كُلَّ عليم**»(٣).

(١٢٠) ورَوى أبـو أمامـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: سُئِـلَ رسـولُ اللَّـه ﷺ عن رجُلين، أحدُهُما عَالِمٌ، والآخرُ عابدٌ، فقال ﷺ: «**فَضْلُ الْعالِم على الْعَابِدِ، كَفَضْلي على أدْناكُمْ**(٤)»(٥).

---

(١) في المطبوعة والشرح: يثمر.

(٢) **ينمي**: يكثر ويزيد.

(٣) **باطل**: ذكره ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١/ ٢١٩) بغير سند، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٨ ـ بعنايتي): «**لم أظفر له بإسناد**»، وعليه فيكون الخبر **باطلًا**، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٤) معنى الحديث: نِسبةُ شرف العالِمِ إلى شرف العابد، كنسبة شرف الرسول ﷺ إلى شرف أقلِّ رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١١)، والحارث في «مسنده» (٣٩)، وتمَّام في «الفوائد» (٤٣)، **وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٣)**.
وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٤/ ٦٢٠): «**محتمل للتحسين**». [ط]

(١٢١) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الناسُ أبناءُ ما يُحْسِنون[١]».

(١٢٢) وقال مُصْعَب بنُ الزُّبَير[٢] لابنه: «تعلَّمِ العِلمَ؛ فإنْ يكُ لك مالٌ كان لكَ جمالًا، وإن لم يكن لك مالٌ كان لك العلمُ مالًا».

(١٢٣) وقال عبدُالملك بن مَرْوان[٣] لبنيه: «يا بَنِيَّ، تعلَّموا العِلمَ، فإنْ كنتُم سادةً فُقْتُمْ، وإنْ كنتُم وسَطًا سُدْتُمْ، وإنْ كنتُمْ سُوقَةً[٤] عشتُمْ»[٥].

(١٢٤) وقال بعضُ الحُكماء: «العلمُ شَرفُ مَن لا قَدْرَ له[٦]، والأدبُ مالٌ لا خوف عليه».

(١٢٥) وقال بعضُ الأدباء: «العلمُ أفضلُ خَلَف، والعملُ به أكملُ شَرف».

(١٢٦) وقال بعضُ البلغاء: «تعلَّمِ العِلم؛ فإنه يُقوِّمُكَ ويسدِّدُكَ صغيرًا، ويقدِّمُك ويُسوِّدُك[٧] كبيرًا، ويُصلِحُ زَيغك[٨] وفاسِدَك، ويُرغِمُ[٩] عدوَّك وحاسِدَك، ويُقوِّمُ عِوجَكَ ومَيْلَك، ويُصحِّحُ هِمَّتَكَ وأَمَلَك».

(١٢٧) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قيمة كُلِّ امرئٍ ما يُحسِنه»[١٠].

---

(١) أي: إنما يَنسب الإنسان إلى ما يحسنُه ـ خيرًا كان أو شرًّا ـ. [ط]

(٢) هو مصعب بن الزبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد، أبو عبدالله، كان من أحسن الناس وجهًا، وأشجعهم قلبًا، وأسخاهم كفًا، توفي عام (٧٢).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٥/ ١٢٨)، تاريخ دمشق (٥٨/ ٢١٠ ـ ٢٥٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠).

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الأموي، أبو الوليد، توفي عام (٨٦).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨)، تاريخ دمشق (١٠/ ٥٠٢)، الوافي بالوفَيات (١٩/ ٢٠٨).

(٤) **السُّوقة**: الأراذل. [ط]

(٥) العبارة في جامع بيان العلم (٢٨٢).

(٦) في الأصل: لا قديم له.

(٧) **يُسوِّدُك**: يصيِّرُك سيدًا مطاعًا. [ط]

(٨) في المطبوعة والشرح: زيفك، بالفاء.

(٩) **يُرغمُ**: يُذِلُّ. [ط]

(١٠) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٦٢)، والجامع لأخلاق الراوي (١٠٧٧)، والحكم والأمثال =

(١٢٨) فأخذهُ الخليل، فنَظَمه شِعرًا، فقال:

لا يكُـــونُ العلِـــيُّ مِـــثْلَ الدَّنِـــيِّ لا ولا ذُو الــذَّكاءِ مِـــثْلَ الغَبِـــيِّ
قـيمَةُ المـرءِ قَـدْرُ مـا يُحْسِنُ المـرْ ءُ قَـــضاءٌ مِـــنَ الإمـــامِ علـــيِّ

[من أعظمِ مصائب الجهلاء]:

وليس يجهلُ فَضلَ العِلْم إلَّا أهلُ الجهل، لأنَّ فضلَ العِلم إنما يُعرفُ بالعلم، وهو[1] أبلغُ في فضله؛ لأنَّ فضله لا يُعلَم إلَّا به، فلمَّا عَدِمَ الجُهَّالُ العِلمَ الذي به يتوصَّلُون إلى فَضلِ العِلْم جَهِلُوا فَضْلَه، واسترذلُوا أهلَه[2]، وتوهَّمُوا أنَّ ما تميلُ إليه نفوسُهم منَ الأموال المقتَناة، والطُّرَفِ[3] المشتهاة أَوْلى أن يكونَ إقبالُهم عليها، وأحْرَى أن يكون اشتغالُهم بها.

(١٢٩) وقد قال ابن المُعتز[4] في منثور الحِكَم: «العالِمُ يعرفُ الجاهِلَ لأنه كان جاهلًا، والجاهلُ لا يعرِفُ العالِمَ لأنَّه لم يكُن عالمًا».

وهٰذا صحيح؛ ولأجله انصرَفُوا عن العلم وأهلِه انصرافَ الزَّاهدين، وانحرفوا عنه وعنهم انحرافَ المعانِدين، لأنَّ مَن جَهِلَ شيئًا عادَاه.

(١٣٠) وأنشدني ابن لَنْكَكَ لأبي بكر بن دُريد[5]:

= (ص٣٤٧)، وعيون الأخبار (٢/ ١٣٦)، وربيع الأبرار (٣/ ١٧٠).

(١) في المطبوعة: وهٰذا.

(٢) أي: رأوهم أرذال لا قيمةَ لهم. [ط]

(٣) **الطُّرَف**: النفائس. [ط]

(٤) اسمه عبدالله بن المعتز، يكنى أبا العباس، كان غزير الأدب، وافر الفضل، نفيس النفس، حسن الخلق، وقد أخذ من كل فن من العلوم بنصيب، توفي عام (٢٩٦).
ترجمته في: معجم الأدباء (٤/ ١٥٢٠)، تاريخ بغداد (١١/ ٣٠٢)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٤٤٧)، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٦). والعبارة في ترجمته في الوافي بالوفيات.

(٥) اسمه محمد بن الحسن، ابن دريد الأزدي، أبو بكر، أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، توفي عام (٣٢١).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٢/ ٥٩٤)، معجم الشعراء (ص٤٩١)، معجم الأدباء (٦/ ٢٤٨٩)، الوافي (٢/ ٣٣٩).

جهِلْتَ فعادَيْتَ العُلومَ وأَهلَها ... كذاكَ يُعادي العِلمَ مَن هو جاهِلُهْ
ومَن كان يَهْوَى أَنْ يُرَى متصَدِّرًا ... ويكرَهُ «لا أدري» أُصِيبَتْ مقاتِلُهْ

(١٣١) وقيل لبُزُرْجَمِهْر: «العلمُ أفضلُ أم المالُ؟ فقال: بل العِلم، قيل: فما بالُنا نَرى العلماءَ على أبوابِ الأغنياء، ولا نكادُ نَرى الأغنياءَ على أبواب العلماء؟ فقال: ذٰلك لمعرفة العلماءِ بمنفعة المال، وجهلِ الأغنياء بفضلِ العلم»[1].

(١٣٢) وقيلَ لبعض الحكماء: «لِمَ لا يَجتمعُ العلمُ والمالُ؟ فقال: لعزِّ الكمال»[2].

(١٣٣) وأُنشِدْتُ لبعض أهل العصر[3]:

وفي الجَهلِ قبلَ الموتِ مَوتٌ لأهلِهِ ... فأجسامُهُمْ قَبلَ القُبورِ قُبورُ
وإنَّ امْرأً لم يَحْيَ بالعِلْمِ ميِّتٌ ... فليس له حتَّى النُّشورِ نُشُورُ

(١٣٤) ووقف بعضُ المتعلِّمين بباب عالِم، ثم نادى: «تصدَّقوا علينا بما لا يُتعِبُ ضِرسًا، ولا يُسقِمُ نفسًا. فأُخْرِجَ له طعامٌ ونفقة، فقال: فاقَتي[4] إلى كلامكم أشدُّ من حاجتي إلى طعامكم، إني طالبُ هُدى لا سائلُ نَدى[5]! فأذِن له العالِم، وأفادَه مِن كلِّ ما سأل عنه، فخرجَ جَذْلًا فرِحًا، وهو يقول: علمٌ أَوْضَحَ لَبْسًا خيرٌ من مالٍ أغنى نَفْسًا».

[لا يمكن الإحاطة بسائر العلوم]:

واعلم أنَّ كلَّ العُلوم شريفة، ولكُلِّ عِلمٍ منها فضيلة، والإحاطةُ بجميعها محالٌ.

---

(١) العبارة في عيون الأخبار، لابن قتيبة (١/ ١٣٧).
(٢) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ٢٧١) منسوبةً لأرسطاطاليس.
(٣) معجم الأدباء (٥/ ١٩٥٦) وفيه: قال ياقوت الحموي: هٰذان البيتان منسوبان إلى الماوردي. أي المصنف.
(٤) الفاقة: الاحتياج والفقر. [ط]
(٥) النَّدَى: النوال والعطية. [ط]

(١٣٥) قيل لبعض الحُكماء: «مَن يعرف كُلَّ العلم[١]؟ فقال: كلُّ الناس[٢]».

(١٣٦) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ ظَنَّ أنَّ للعِلْم غايةً، فقد بَخَسَهُ حقَّه، ووضَعَهُ في غير منزلتِه التي وَضعه[٣] اللَّهُ بها؛ حيثُ يقول:** ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء]»[٤].

(١٣٧) وقال بعضُ العلماء: «لو كنَّا نطلبُ العلمَ لنبلغَ غايتَه، لٰكنَّا قد بدأنا العِلْمَ بالنقيصة[٥]، ولٰكنَّا نطلبُه لنَنقُص في كلِّ يومٍ من الجهل، ونزدادَ في كلِّ يومٍ من العلم».

(١٣٨) وقال بعضُ العلماء: «المتعمِّقُ[٦] في العلم كالسَّابح في البحر؛ ليس يرى أرضًا، ولا يعرِفُ طولًا ولا عَرضًا».

(١٣٩) وقيل لحمَّاد الرَّاوية[٧]: «أمَا تشبَعُ من هٰذه العلوم؟ فقال: استفرَغْنا فيها المجهود، فلم نبلُغ منها المَحدود[٨]، فنحنُ كما قال الشاعر:

.... **إذا قطعْنا عَلَمًا بَدَا عَلَمُ**[٩]».

---

(١) في المطبوعة: العلوم.

(٢) وهٰذا الكلام ـ وأمثاله ـ نُهديه لأصحاب التعصُّب المقيت ـ للمذاهب والآراء والأشخاص ـ، الذين ظنُّوا في مشايخهم العلمَ كلَّه؛ فإذا ما ردَّ عليهم رادٌّ أوسعوه من التوبيخ والتقريع والكلام البذيء ما تتفطر له الأكباد؛ وكأن أئمتهم لا يُخطئون ولا ينسون ولا يزلُّون؛ بل لعلَّهم يعتقدون أنهم أحاطوا بسائر العلوم!! فنسأله تعالى العافيةَ وصلاح القلوب. [ط]

(٣) في المطبوعة: وصفه.

(٤) **لا أعلم له أصلًا**. والعلم عند ربي. [ط]

(٥) أي: لو كنَّا نطلبُ العلم لنبلغ غايته، لكانت بدايتُنا فاشلة. [ط]

(٦) **المتعمِّق**: الغائص. [ط]

(٧) هو حمَّادُ بن أبي ليلى، أبو القاسم الكوفي المعروف بالراوية، كان إخباريًّا علامة، خبيرًا بأيام العرب ووقائعها وشعرها، وكان غير موثوق به، كان ينحل شعر الرجل غيره، ويزيد في الأشعار، وهو أول من جَمع شعر العرب، توفي عام (١٦٥).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١٣/ ١٣٧)، معجم الأدباء (٣/ ١٢٠١)، تاريخ دمشق (١٥/ ١٥٠).

(٨) **المحدود**: القليل. [ط]

(٩) **العَلَم**: الجبل. والمقصود: كلما قطعنا شوطًا بدت لنا أشواط. [ط]

(١٤٠) وأنشد الرشيدُ عن المَهديِّ بيتين، وقال أراهُما[١] له:

يا نَفسُ خُوضي بُحورَ العِلمِ أو غُوصي ... فالنـاسُ مـا بـينَ مَعمُـومٍ ومَخصُوصِ
لا شـيءَ في هٰـذه الدُّنـيا نُحـيطُ بـهِ ... إلَّا إحاطَـةَ مَـنْقُوصٍ بمـنقُوصِ

[عِلمُ الدِّين أولى ما صُرفت فيه الأنفاس]:

وإذا لَم يكُن إلى معرفة جميعِ العلوم سبيل، وجَبَ صرفُ الاهتمام إلى معرفة أهمِّها، والعنايةِ بأولاها وأفضلها، وأَولَى العلوم وأفضلُها علم الدِّين؛ لأنَّ النَّاس بمعرفته يرْشُدُون، وبجهله يَضِلُّون، إذ لا يصحُّ أداءُ عبادةٍ جَهِلَ فاعلُها صفاتِ أدائها، ولم يعلَمْ شروط إجزائها.

(١٤١) ولذٰلك قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**فَضلُ العِلمِ خيرٌ مِن فَضلِ العِبادة**»[٢].

وإنَّما كان كذٰلكَ لأنَّ العلمَ يَبعثُ على فعل العبادة، والعبادةُ ـ مع خلوِّ فاعلها من العلم بها ـ قد لا تكون عبادةً، فلزمَ علْمُ الدِّين كلَّ مكلَّف.

(١٤٢) وقد قال النبيُّ ﷺ: «**طَلَبُ العلمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسلِم**»[٣].

---

(١) في المطبوعة: أظنهما.

(٢) حسن: أخرجه البزار (١٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٦٠)، والحاكم (١/ ٩٢)، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١١)، والبيهقي في «المدخل» (٤٥٥)، وأشار إليه في «الشعب» (٣/ ٢٢٦)، وضعَّفه الإمام الترمذي في «العلل» (٦٣٣)، بينما **صحَّحه** الإمام الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٤).
وأخرجه الحاكم (١/ ٩٢)، والبيهقي في «المدخل» (٤٥٤)، وفي «الآداب» (٨٣٠)، وفي «الزهد الكبير» (٨٢١)، والشاشي في «مسنده» (٧٥)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحيح بما قبله، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٣٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩)، وتمَّام الرازي في «الفوائد» (٧٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٩١)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ١٥٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٦٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، بينما **حسَّنه** الحافظ المِزِّي ـ كما قال الإمام السيوطي ـ، وكذا **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (١/ ١٥١)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني. [ط]

وفيه تأويلان:

أحدهما: عِلْمُ ما لا يَسَعُ جهلُه من العبادات.

والثاني: جُملةُ العلمِ إذا لم يَقُمْ بطلبِه مَنْ فيه كفاية؛ وإذا كان علْمُ الدِّين قد أوجَبَ اللَّه تعالى فَرضَ بعضِه على الأعيان، وفرضَ جَميعِه على الكفاية، كان أولى ممَّا لم يجب فرضُه على الأعيانِ ولا على الكفاية.

قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

(١٤٣) ورَوى عبدُاللَّه بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ دَخل المسجِدَ، فإذا هو بمجلِسَيْن، أحدهما يذكرون اللَّه تعالى، والآخرُ يتفقهون، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**كلا المجلِسَيْنِ على خيرٍ، وأحدُهما أَحَبُّ إليَّ مِنْ صاحبه؛ أمَّا هٰؤلاءِ فيَذكُرون اللَّهَ تعالى ويسألونَه، فإنْ شاءَ أعطاهم، وإنْ شاء منعَهُم، وأمَّا المجلِسُ الآخَرُ فيتعلَّمُون الفقْهَ، ويعلِّمُون الجاهِلَ، وإنَّما بُعثْتُ مُعلِّمًا**»، وجلَسَ إلى أهل الفِقْه[1].

(١٤٤) ورَوَى مَرْوان بنُ جَناح، عن يونُس بن مَيْسرة، عن رسولِ اللَّه ﷺ أنه قال: «**الخَيرُ عادَة، والشَّرُّ لَجَاجة، ومَن يُرِدِ اللَّهُ به خيرًا يفقِّهْهُ في الدِّين**[2]»[3].

---

(١) **ضعيف جدًّا:** أخرجه ابن ماجه (٢٢٩)، والطيالسي (٨٢)، والدارمي (٣٦١) عن عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٢) قال الإمام المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٣/ ٥١٠): «**(الخيرُ عادة)** لعَودِ النفس إليه وحرصِها عليه من أصل الفطرة، **(والشرُّ لَجاجة)**، لِما فيه من العِوَج وضِيقِ النفس والكرْب، والعادةُ مشتقةٌ من العَوْد إلى الشيء مرةً بعد أخرى، قال العامري في «شرح الشهاب»: وأكثر ما تَستعمل العربُ العادةَ في الخير وفيما يسُرُّ وينفع، واللَّجَاجُ أكثرُ ما يُستعمل في المراجعة في الشيء المضِرِّ بشُؤم الطبع بغير تدبر عاقبةٍ، ويسمَّى فاعلُه لجوجًا؛ كأنه أُخذ من لُجَّةِ البحر ـ وهي أخطرُ ما فيه ـ، فزَجَرهم المصطفى ﷺ عن عادةِ الشر بتسميتِها «لَجاجةً»، وميَّزها عن تعوُّدِ الخير بالاسم للفرق. فعلى مَن لم يُرزق قلبًا سليمًا من الشر أن يروِّض نفسَه على الخير والكفِّ عن الشر، ويُلزِمَها المداومةَ على ذٰلك، وإنما يؤتى العبدُ من الضَّجَر والمُلال والعجلة» اهـ. **[ط]**

(٣) **حسن:** رواه ابن ماجه (٢٢١)، وابن حِبان (٣١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٠٤)، و«مسند الشاميين» (١١٠٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، **وجوَّده** الشيخ =

(١٤٥) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خِيارُ أُمَّتي عُلماؤُها، وخِيارُ عُلمائها فُقَهاؤُها**»(١).

(١٤٦) ورَوى مُعاذُ بن رفاعة، عن إبراهيم بن عبدالرَّحْمٰن العُذْرِي(٢)، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يَحمِلُ هٰذا العلمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، يَنفُونَ عنه تحريفَ الغَالين**(٣)**، وانتحالَ المُبْطِلين**(٤)**، وتأويلَ الجَاهِلين**»(٥).

(١٤٧) ورُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**عَليَّ بخلفائي**»، قالوا: ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يُحْيُون سُنَّتي، ويعلِّمُونَها عِبادَ اللَّه**»(٦).

= شعيب الأرنؤوط. [ط]

(١) **موضوع**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨٨)، والخطيب في «التاريخ» (٢/ ٤٠)، وفي «موضِّح أوهام الجمع» (٢/ ١١٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٧٦)، وابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (٥٨/ ٢)، وفي «التاريخ» (٥٦/ ١١٨)، والشجري في «الأمالي» (١/ ٥٢، ٦٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «**وخيارُ عُلمائِها رُحَماؤها**»، وقد حكم عليه **بالنكارة** الخطيب في «تاريخه»، وحكم عليه **بالبطلان** الذهبيُّ في «الميزان» (ترجمة ٧٢٠٥)، **وأقرَّه** الحافظ ابن حجر في «اللسان» (ترجمة ٥٣٢)، وكذا حكم عليه **بالبطلان** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٦٧)، **وبالوضع** في «ضعيف الجامع» (٢٨٦٨). [ط]

(٢) في الأصول: العدوي، والتصحيح من كتب التخريج.

(٣) **الغالين**: المتطرفين في الأمور دون حدِّ الوسط. [ط]

(٤) **الانتحال**: الكذب. [ط]

(٥) **حسن**: أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٣٤)، وفي «شرف أصحاب الحديث» (١١)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في مقدِّمة «الجرح والتعديل» (٢/ ١٧)، والعُقيلي في «الضعفاء» (١/ ٩)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩٩)، وتمَّام في «الفوائد» (٨٩٩)، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣٤١)، وذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ١٣٥)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «المشكاة» (٥١). وانظر كلام العلامة ابن القيم عليه وتعليقات الشيخ عليٍّ الحلبي عليه في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٩٧ ـ ط: دار ابن عفان)، وكذا كلام الشيخ عبدالرَّحْمٰن قائد في طبعته من «المفتاح» (١/ ٤٦٣ : ٤٦٧ ـ ط: عالَم الفوائد) [ط]

(٦) **ضعيف**: رواه ابن عبدالبَر (١/ ٢٠٧)، وابن عساكر (٥١/ ٦١)، والسِّجزي في «الإبانة» ـ كما في «كنز العمال» (١٠/ ٤١٥، ٤٧٤) ـ ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٥٢)، الشيخ أبو الأشبال في «جامع العلم»؛ وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٧٧) عن ابن عباس ـ كما في «المَجمع» (١/ ٣٣٥) ـ ، **وفي إسناده كذاب** ـ كما قال الإمام الهيثمي ـ ، وحكم عليه الشيخ الألباني **بالوضع** في «ضعيف الترغيب» (٧٤). [ط]

(١٤٨) ورَوَى حُميدٌ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «**الفِقْهُ في الدِّين فرضٌ على كُلِّ مسلمٍ، أَلَا فتعلَّمُوا وعلِّموا وتفقَّهوا، ولا تَموتوا جُهَّالًا**»[١].

(١٤٩) وروَى سُليمانُ بن يَسَار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما عُبِدَ اللَّهُ بشيءٍ أفضلَ مِن فِقْهٍ في الدِّين، ولَفقِيهٌ واحِدٌ أَشدُّ على الشَّيطانِ مِن ألفِ عابدٍ، ولِكُلِّ شيءٍ عِمادٌ، وعمادُ الدِّين الفِقْهُ**»[٢].

[ذمُّ من قدَّم العلوم العقلية على العلوم الشرعية]:

وربما مالَ بعضُ المتهاونين بالدِّين إلى العلوم العقلية، ورأى أَنَّها أحقُّ بالفضيلةِ وأولى بالتَّقدِمة، استثقالًا لِمَا تضمَّنه الدِّين من التكليف[٣]،

---

(١) **لم أجده بلفظه**: وليس من كلامه ﷺ قطعًا. وأخرج ابن السني ـ كما في «كنز العمال» (٢٨٧٥٠) ـ عن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يرفعه: «**قلبٌ ليس فيه شيءٌ من الحكمة كبيتٍ خَرِب، فتعلَّموا وعلِّموا وتفقَّهوا، ولا تَمُوتُوا جهالًا...**»، وهو **ضعيف**، وأورده الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٠٧).
ويُغني عن مطلع الحديث اللفظ السالف: «**طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**»، وقد جاء في روايةٍ للخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (رقم١١٨ ـ تهذيبي): «**طلبُ الفقهِ فريضةٌ على كلِّ مسلم**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩١٣)، وكذا الشيخ عادل العزازي في تحقيق «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٩). **[ط]**

(٢) **موضوع**: رواه الدَّارَقُطْني (٣/ ٧٩)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (١٥٨٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦١٦٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٢٧)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٧٠٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٠٦)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٢٧): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه يزيد بن عياض، وهو كذاب»، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص٢٠)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥١٠٤) و«الضعيفة» (٢٦٥١)، وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**إسناده ضعيف جدًّا، ومتنه تالف**». **[ط]**

(٣) قال العلَّامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنَ المنتشر في كلام أهلِ العلم تسميةُ أوامر الدين «تكليفًا»، إذ دِينُ اللَّه تعالى أمرٌ ونَهيٌ، والأمر نوعان: **أحدهما**: مقصودٌ لنفسه، **والثاني**: وسيلةٌ إلى المقصود. والنهي نوعان: **أحدهما**: ما يكونُ النهيُ عنه مفسدةً في نفسه، **والثاني**: ما يكونُ وسيلةً إلى المفسدة. والتكليفيُّ ينقسمُ خمسةَ أقسام «واجب، ومندوب، ومُحرَّم، ومكروه، ومباح». والتكليفي قسيمُ «الوضعي»، وهو ما قُسِّم إلى «سبب، وشرط، ومانع..» وهٰكذا. =

واسترذالًا[١] لِمَا جاء به الشَّرْعُ من التعبُّدِ والتوقيف! والكلامُ مع مثل هٰذا في أصلٍ لا يتَّسعُ له هٰذا الفصل[٢]، ولن يُرى ذٰلك فيمن سلِمت فِطرتُه[٣]، وصحَّت رَوِيَّتُه[٤]؛ لأنَّ العَقْلَ يمنعُ من أن يكونَ النَّاسُ هَمَلًا ـ أو سُدًى ـ يعتمِدُون على آرائهم المختلِفة، وينقادون لأهوائهم المُتشعِّبة، لِمَا تؤولُ إليه أمورهُم من الاختلاف والتنازع، وتُفْضِي إليه أحوالُهم من التبايُنِ والتقاطع، فلم يستغنُوا عن دينٍ يأتلِفون[٥] به، ويتَّفقون عليه، ثم العقلُ موجبٌ له، أو تابعٌ[٦] له. ولو تَصوَّر هٰذا المختلُّ التصوُّرُ أنَّ الدِّين ضرورةٌ في العقل، وأنَّ العقلَ للدِّين أصلٌ[٧]، لقصَّرَ

= وابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ وإن كان أطلقَ هٰذه العبارةَ «التكليف» و«الحكم التكليفي» في بعض كُتبه، لٰكنا نَجِدُه في مواضعَ أخرى مِن كُتبه لا يرتضي هٰذه التسميةَ، ويقرِّرُ أنَّ اللَّهَ سبحانه لم يُسمِّ أوامرَه ووصاياه وشرائعَه «تكليفًا» قطُّ، بل سمَّاها: «رُوحًا، ونورًا، وشِفاءً، وهُدًى، ورحمةً، وحياةً، وعَهدًا، ووصيَّةً» ونحو ذٰلك، وأنه لم تأت تسميتُها «تكليفًا» إلَّا في مَجال النَّفي، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقوله ﷻ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾، ويُقرِّرُ ـ أيضًا ـ أن تسميتَها «تكليفًا» في مَجالِ الإثبات إنما كان نتيجةً لمذهب نُفاةِ الحِكمةِ والتعليل (كالأشاعرة ونحوهم) الذين يَردُّونَ الأمر إلى مَحضِ المشيئة وصِرْفِ الإرادة، وأنَّ القيامَ بالمأمورات ليس إلَّا لمجرَّد الأمرِ ـ من غيرِ أن تكون سببًا للنجاة في المعاش والمعاد ـ ، فليس للأمر صفةٌ اقتضت حُسْنَ الأمرِ به، كما أن النهيَ ليس النهيُ عنه لصفةٍ اقتضَت النهيَ عنه، لهٰذا سَمَّوُا الأوامرَ «تكليفًا»، أي: قد كُلِّفوا بها.
فهٰذا الاصطلاحُ ـ إذن ـ يكونُ في إطلاقه مُجاراةٌ لأهل البدع في أهوائهم واصطلاحاتهم. هٰذا ما يُمكنُ على حدِّ ما قرَّره الإمامُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التأمُّل والبحث، فنَلفِتُ الأنظارَ إليه» انتهى. انظر: «فقه النوازل» (١/ ١٣٩). [ط]

(١) استرذالًا: انتقاصًا. [ط]
(٢) إذ ينبغي أن يُصحِّحَ إسلامه للَّهِ تعالى أولًا. [ط]
(٣) في المطبوعة: فطنته.
(٤) الرَّويَّة: الفكر. [ط]
(٥) في المطبوعة: يتآلفون.
(٦) في المطبوعة: أو مانع له.
(٧) في الأصل: فأضل وضل.
قلت: هٰذا الكلام الأخير من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فيه تفصيل:
١ ـ فإن كان يقصد أن العقلَ الكامل ـ والذي يخالفُ الصِّغرَ والجنونَ ـ هو أصلٌ لقبول الدين وقيام ميزانِ الثواب والعقاب، فكلامُه صحيح.
٢ ـ وإن كان يقصدُ أن العقلَ هو الحاكمُ على الشرع ـ كما هو أحد أصولِ الأشاعرة الفاسدة ـ ، =

عن التقصير، وأذعَنَ للحقِّ، ولٰكن أهملَ نفسَه فضَلَّ وأَضَل.

[أهمُّ العلوم المتعلّقة بالدِّين]:

وقد يتعلَّق بالدِّين علومٌ؛ قد بيَّن الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] فضيلةَ كُلٍّ واحدٍ منها.

(١٥٠) فقال: «مَن تعلَّم القرآن عظُمَتْ قيمتُه، ومَن تعلَّم الفِقهَ نَبُلَ مِقدارُه، ومَن كَتَب الحديثَ قويَتْ حُجَّتُه، ومَن تعلَّم الحِسابَ[2] جَزُلَ رأيُه، ومن تعلَّم العربيةَ[3] رقَّ طَبْعُه، ومَن لم يَصُنْ نفسَه لم يَنفَعْه علمُه»[4].

ولَعَمْري[5] إنَّ صِيانة النَّفْس أصلُ الفضائل، لأنَّ مَن أَهملَ صيانةَ نفسِه ثقةً بما مَنَحه العِلمُ مِنْ فضيلتِه، وتوكُّلًا على ما يلزمُ الناسَ من صيانته[6]: سَلبُوه فضيلةَ عِلمِه، ووسَمُوه بقبيح تبذُّلِه، فلم يَفِ ما أعطاه العِلمُ بما سَلَبهُ التبذُّلُ[7]؛ لأنَّ القبيحَ أتمُّ من الجميل، والرذَّيلةَ أشهرُ مِن الفضيلة؛ إذ الناسُ ـ لِمَا في طبائعهم من البِغضة والحسد[8]، ونزاعِ المنافسة ـ تنصرِفُ عيونُهم عن المحاسِن إلى

= فكلامُه مرفوضٌ مردود ـ غفر اللّٰهُ له ـ؛ وقد قامت قاعدتُهم تلك على أن نصوصَ الشرع إذا وافقت العقلَ فبها ونِعمت، وأما إذا خالفته قُدِّم رأيُ العقل، وأُوِّلتْ نصوص الشرع لتوافقه!! وقد ذهبوا هٰذا المذهبَ الرديء لاعتقادهم أن دلالاتِ العقل قطعية، ودلالاتِ النصوص الشرعية ظنيَّة!! وكلُّ هٰذا من أفسدِ الأمور وأبطلِها لمن سلَّم لربِّه وفقه في دينه، وقد بينتُ الكثيرَ من ذٰلك في تعليقي على «إحياء علوم الدين»، خاصةً كتاب «قواعد العقائد»، يسَّر اللّٰهُ إتمامه على خير وبركة. [ط]

(١) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبداللّٰه الشافعي، زين الفقهاء، وتاج العلماء، ولد بغزة من بلاد الشام، ونشأ بمكة، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته عام (٢٠٤). ترجمته في: تاريخ بغداد (٢/ ٣٩٢ ـ ٤١٤)، حلية الأولياء (٩/ ٦٣ ـ ١٦١)، معجم الأدباء (٦/ ٢٣٩٣)، تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٥٥ ـ ٣٨١)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٧١).

(٢) أي: علم الجَمع والطرح والقسمة ونحو ذٰلك. [ط]

(٣) في الأصل: الغريب، وما أثبته من المطبوعة يوافق لفظ الحلية.

(٤) العبارة في حلية الأولياء (٩/ ١٢٣).

(٥) لَعَمْري: وحَياتي، وهو قسمٌ بغير اللّٰهِ تعالى، وقد نَهتِ الشريعة عن الحلف بغيره ﷻ، وقد جرى هٰذا اللفظ ـ دون غيره ـ على ألسنةِ الكثير من العلماء، وقد يكون من عادات العرب، أو مما لم يقصد به الحلف، أو غير ذٰلك مما قرَّره المحققون، والأولى تركُه كليَّةً. [ط]

(٦) أي: واعتمادًا على ما يلزمُ الناسَ من احترامِه وتقديره. [ط]

(٧) في الأصل: البذل.

(٨) في الأصل: بغضة الحسد.

المساوئ، فلا يُنصِفون مُحسنًا، ولا يُحابُون مسيئًا؛ لا سيَّما مَنْ كان بالعلم موسومًا وإليه منسوبًا؛ فإنَّ زلَّتَه لا تُقَالُ[١]، وهَفوتَه لا تُعذَرُ:

١ ـ إمَّا لقُبحِ أثرِها، واغترارِ كثيرٍ من الناس به فيها[٢].

(١٥١) وقد قيل في منثور الحِكَم: «زَلَّةُ العالِمِ كالسَّفينة؛ تَغرَقُ ويَغرَقُ معها خَلْقٌ كثير»[٣].

(١٥٢) وقيل لعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن أشَدُّ الناسِ فتنةً؟ قال: زلَّةُ العالِم؛ إذا زلَّ هلك بزَلته عالَمٌ كثير».

فهٰذا وجه.

٢ ـ وإمَّا لأنَّ الجُهَّالَ بذمِّهِ أغْرَى[٤]، وعلى تنقُّصِه أحْرَى، ليسلِبوه فضيلةَ التقدُّم، ويَمنعُوه مباينةَ التخصُّص[٥]؛ عنادًا لما جَهِلُوه، ومقتًا لما باينوه؛ لأنَّ الجاهل يَرى العلمَ تكلُّفًا ولَومًا؛ كما أنَّ العالِمَ يَرى الجَهلَ تخلُّفًا وذمًّا.

(١٥٣) وأُنشِدتُ عن الرَّبيع للشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]:

ومَنْزِلَةُ السَّفِيهِ مِنَ الفَقيهِ ... كمنزلةِ الفَقيهِ مِنَ السَّفيهِ
فهٰذا زاهِدٌ في قُرْبِ هٰذا ... وهٰذا فيه أزهَدُ مِنْهُ فيهِ
إذا غَلَبَ الشَّقاءُ على سفيهٍ ... تَنطَّع في مخالفةِ الفَقيهِ[٧]

(١٥٤) وقال يحيى بن خالد[٨] لابنه: «عليك بكُلِّ نوعٍ مِنَ العلم فَخُذْ منه؛ فإنَّ

(١) لا تُقال: لا يُعفى عنها ولا تُغتفر. [ط]
(٢) في المطبوعة: بها.
(٣) العبارة في الوافي (١٧/ ٤٥٠) منسوبة إلى ابن المعتز، وفي جامع بيان العلم (٢/ ٩٨٢) غير منسوبة.
(٤) أغرى: أشد اندفاعًا. [ط]
(٥) أي: وليمنعوه من الفضائل التي تخصص بها عنهم وارتقى بسببها. [ط]
(٦) الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٩٨) منسوبة إلى الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٧) تنطَّع: بالَغَ. [ط]
(٨) هو يحيى بن خالد بن برْمَك، أبو الفضل البرمكي، الوزير الجواد، كان سيد بني برمك =

المرءَ عدوٌّ ما جهِلَ، وأنا أكرهُ أنْ تكونَ عدوَّ شيءٍ مِن العِلم»[١].

وأنشَدَ:

تَفَنَّنْ وخُذْ مِن كُلِّ عِلْمٍ فإنَّما ... يَفُوقُ امرؤٌ في كُلِّ فَنٍّ له عِلْمُ

فأنْتَ عَدُوٌّ للذي أنتَ جاهِلٌ ... بهِ ولِعِلْمٍ أنتَ تُتْقِنه سَلْمُ

وإذا صان ذو العلمِ نفسَه حقَّ صيانتِها، ولازَمَ فِعلَ ما يلزمُها؛ أَمِنَ تَغييرَ المُوَالي، وتَنقُّصَ المُعَادِي، وجَمَعَ إلى فضيلة العلمِ جمالَ الصِّيانة وعِزَّةَ النَّزاهة، فصار بالمنزلة التي يستحقُّها بفضائله.

(١٥٥) ورَوى أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**العلماءُ وَرَثةُ الأنبياء؛ إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرهَمًا، إنما وَرَّثُوا العِلمَ**»[٢].

(١٥٦) ورَوَى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**للأنبياءِ على العلماءِ فَضْلُ دَرَجَتينِ، وللعلماء على الشهداء فَضلُ دَرَجَةٍ**»[٣].

(١٥٧) وقال بعضُ البلغاء: «إنَّ من الشَّريعة أَنْ تُجلَّ أهلَ الشَّريعة، ومن الصَّنيعةِ أن تَرُبَّ[٤] حُسْنَ الصَّنيعة».

= وأفضلهم جودًا وحلمًا ورأيًا، وكان من أكمل أهل زمانه أدبًا وفصاحة وبلاغة، تُوفِّي عام (١٩٠).

ترجمته في: معجم الأدباء (٦/ ٢٨٠٩)، وفيات الأعيان (٦/ ٢١٩)، تاريخ بغداد (١٦/ ١٩٥).

(١) العبارة في ربيع الأبرار، للزمخشري (٣/ ١٩٣)، ومحاضرات الأدباء (١/ ١٠٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، والدارمي (٣٤٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧)، وحسَّنه الشيخ شُعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦/ ٤٦). [ط]

(٣) موضوع: أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٥٤) ـ معلقًا ـ، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٤)، وابن حيَّان في «طبقات المحدِّثين بأصبهان» (٤/ ٢٩٥)، وأبو الشيخ في «التوبيخ»، وابن النجار، وابن صصرى، والديلمي ـ كما في «كنز العمال» (٤٥٤٧٥) و(٤٥٥٢٠) ـ، وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في «الضعيفة» (١٤٢٩)، و«ضعيف الجامع» (٢٣٢٧). [ط]

(٤) تَرُبَّ: ترعى.

فينبغي لمن استدَلَّ بفطنتِه على استحسان الفضائلِ واستقباح الرذائل، أن يَنفيَ عن نفسه رذائلَ الجهلِ بفضائل العلم، وغفلةَ الإهمالِ باستيقاظِ المعاناة[١]، ويَرغَب في العلم رغبةَ متحقِّقٍ لفضائله، واثقٍ بمنافِعِه، ولا يُلهيهِ عن طَلَبِه كَثرةُ مالٍ وَجَده، ولا نفوذُ أمرٍ وعُلُوُّ منزلة؛ فإنَّ من نَفَذَ أمرُه فهو إلى العلم أحوج، ومَن علَتْ منزلتُه فهو بالعلم أحقُّ.

(١٥٨) ورَوى أنسُ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الحكمةَ تَزيدُ الشَّريفَ شرفًا، وتَرفَعُ العَبدَ المملوك حتى تُجلسَه مجالسَ الملوك**»[٢].

(١٥٩) وقال بعضُ الأدباء: «كُلُّ عزٍّ لا يوطِّدُه[٣] عِلْمٌ مَذِلَّة، وكُلُّ عِلْمٍ لا يؤيِّدُه عقلٌ مَضِلَّة».

(١٦٠) وقال بعضُ علماء السَّلف: «إذا أراد اللَّهُ بالناس خيرًا جَعل العلمَ في مُلوكهم، والمُلْكَ في علمائهم».

(١٦١) وقال بعضُ البلغاء: «العِلمُ عِصْمةُ الملوك؛ لأنَّه يمنَعُهم من الظُّلْم، ويردُّهم إلى الحلم، ويصُدُّهم عن الأذيَّة، ويُعطِّفُهم على الرَّعِيَّة، فمِن حقِّهم أنْ يعرفوا حَقَّه، ويستبطنوا[٤] أهلَه، فأمَّا المال فظِلٌّ زائلٌ، وعاريَّةٌ مسترجَعَة، وليس في كثرته فضيلةٌ؛ ولو كانت فيه فضيلةٌ لَخصَّ اللَّهُ تعالى به من اصطفاه لرسالته، واجتباه لنبوَّتِه، وقد كان أكثرُ أنبياءِ اللَّه تعالى ـ مع ما خصَّهم اللَّه به من كرامته،

---

(١) **المُعاناة**: المجاهدة. [ط]

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٧)، وابن عبدالبر (١/ ٨٤)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٧ـ تهذيبي)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٣٢) و«الضعيفة» (٢٩٩٥)، وقال الشيخ حسن أبو الأشبال في تحقيق «جامع بيان العلم» (١/ ٨٤): «**إسناده مسلسل بالضعفاء**». [ط]

(٣) في الأصل: يوطنه.
قلت: ويوطِّده: يرسِّخُه ويثبِّتُه. وفي هٰذا الكلام النفيس إشارةٌ إلى أن الملوكَ والأمراء إذا أرادوا ثباتَ مُلكهم وصلاحَ ديارهم؛ فعليهم أن يقرِّبوا العلماء والأتقياء، وإلا آلت أحوالُهم إلى الفساد العريض. [ط]

(٤) أي: يتخذوهم بطانةً وخواصَّ لهم. [ط]

وفضَّلهم على سائر خَلْقه ـ فُقراءَ لا يجدُون بُلْغة[١]، ولا يَقدِرُون على شيءٍ؛ حتى صاروا في الفقر مثلًا».

(١٦٢) وقال البُحتريُّ[٢]:

فَقْـرٌ كَفَقْـرِ الأنبيـاء وغُـرْبَةٌ ... وصَـبَابَةٌ لـيسَ الـبلاءُ بـواحِدِ

ولِعدَمِ الفضيلة في المال مَنحهُ اللَّه الكافرَ، وحرَمَهُ المؤمنَ.

(١٦٣) قال الشاعر:

كـم كافـرٍ باللَّـه أمـوالُهُ ... تـزدادُ أضـعافًا على كُفْـرِهِ

ومـؤمنٍ لـيس لـهُ دِرهَـمٌ ... يـزدادُ إيمانًـا على فَقْـرِهِ

يـا لائـمَ الدَّهـرِ وأفعالِـهِ ... مـشتغلًا يُـزْرِي على دَهْـرِهِ

الدَّهـرُ مأْمـورٌ لـه آمِـرٌ ... يَنـصرِفُ الدَّهـرُ إلى أمْـرِهِ

(١٦٤) وقد بيَّن عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضلَ ما بينَ العلمِ والمالِ، فقال: «العلمُ خيرٌ منَ المال؛ العلمُ يحرُسُك، وأنت تحرُسُ المال، العلمُ حاكمٌ، والمالُ محكومٌ عليه، ماتَ خُزَّانُ الأموال، وبقي خُزَّان العِلم، أعيانُهم مفقودة، وأشخاصُهم في القلوبِ مَوجُودة»[٣].

(١٦٥) وسُئل بعضُ الحكماء: «أيُّما أفضلُ: المالُ أم العلم؟ فقال: الجوابُ عن هٰذا: أيُّما أفضلُ: المالُ أم العقلُ[٤]؟».

(١٦٦) وقال صالح بن عبدالقُدوس:

لا خَيْـرَ فـيمَنْ كـانَ خيـرُ ثـنائِهِ ... في الـنَّاسِ قـولُهُمْ: غنـيٌّ واجِدُ!

---

(١) البُلْغة: ما يَتبلَّغُ به العبدُ من قليل الزاد، أومقدارِ ما يكفيه من الحاجةِ الضرورية للمعيشة. [ط]

(٢) اسمه الوليد بنِ عُبيد بن يحيى بن عُبيد بن شملال بن جابر، البحتري، أبو عبادة، أديب شاعر فصيح بليغ، تُوفِّي عام (٢٨٤).
ترجمته في: تاريخ دمشق (٦٣/ ١٨٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٦)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٩٦).

(٣) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٤٤)، وجامع بيان العلم (٢٨٤)، وحلية الأولياء (١/ ٧٩).

(٤) يقصد أنه بغير علمٍ لا يكون للإنسان عقلٌ سليم. [ط]

[أسبابُ الامتناع عن طلب العلم]:

* [السبب الأول: كِبَر السنِّ]:

وربَّما امتنع الإنسانُ من طلَبِ العلم لكِبَرِه وعلوِّ سِنِّه[١]، واستحياءً من تقصيره في صغرهِ أنْ يَتعلَّم في كبره! فرضِيَ بالجهل أن يكون موسومًا به، وآثَرَهُ على العلمِ أنْ يصيرَ مبتدِئًا به! وهٰذا من خُدَع الجهلِ وغُرورِ الكَسَل؛ لأنَّ العلمَ إذا كان فضيلَةً فرغبةُ ذَوي الأسنان فيه أَوْلى، والابتداءُ بالفضيلةِ فضيلة، ولَأَنْ يكونَ شيخًا متعلِّمًا أَوْلى من أن يكونَ شيخًا جاهلًا.

(١٦٧) حُكي عن بعض الحكماء أنه رأى شيخًا[٢] يُحبُّ النَّظَرَ في العلمِ ويستحيي، فقال له: «يا هٰذا، أتستحيي أن تكونَ في آخِر عُمركَ أفضلَ ممَّا كنتَ في أوَّله؟!».

(١٦٨) وذُكِر أن إبراهيم بن المهديِّ[٣] دخل على المأمون وعندَه جماعةٌ يتكلَّمون في الفقه، فقال: «يا عمُّ، ما عندكَ ممَّا يقولُ هٰؤلاء؟! فقال: يا أميرَ المؤمنين، شغلُونا في الصغر، واشتغلْنا في الكبر، فقال: لِمَ لا تتعلمُه اليوم، فقال: أوَ يَحْسُنُ لمثلي طلبُ العلم؟ قال: نعم ـ واللَّهِ ـ؛ لَأَنْ تموتَ طالبًا للعلمِ خيرٌ من أَنْ تعيشَ قانعًا بالجهل. قال: وإلى متى يحسُن بي طلبُ العِلم؟ قال: ما حَسُنَتْ بكَ الحياةُ!».

ولأنَّ الصغير أَعْذَرُ ـ وإنْ لم يكن في الجهل عُذْرـ لأنَّه لم تطُلْ به مدَّةُ التفريط، ولا استمرَّت عليه أيَّامُ الإهمال.

(١٦٩) وقد قيل في منثور الحكم: «جَهلُ الصغير معذور، وعِلمُه مَحقور».

فأمَّا الكبيرُ فالجهلُ به أقبَح، ونَقْصُه عليه أفضَح؛ لأنَّ عُلُوَّ السِّنِّ إذا لم يُكسِبْه

---

(١) في المطبوعة: لكبر سنه.

(٢) في المطبوعة: حكي أن بعض الحكماء رأي شيخًا كبيرًا.

(٣) هو إبراهيم بن المهدي بن محمد بن المنصور العباسي، كان فصيحًا أديبًا، شاعرًا محسنًا، ولي إمرة دمشق لأخيه الرشيد، وبويع بالخلافة ببغداد، تُوفِّي عام (٢٢٤).
ترجمته في: شذرات الذهب (٣/ ١٠٨).

فضلًا، ولم يُفِدْه علمًا، وكانت أيَّامُه في الجهل ماضِية، ومن الفضل خالية، كان الصغيرُ أفضلَ منه؛ لأنَّ الرَّجاءَ له أكثر، والأملَ فيه أظهَر، وحَسْبُكَ نقصًا في رجلٍ يكونُ الصَّغيرُ المساوي له في الجهل أفضلَ منه.

(١٧٠) وأُنشِدْتُ لبعض أهلِ الأدب:

إذا لم يكن مَرُّ السِّنينَ مُتَرْجِمًا ... عن الفضل للإنسانِ سَمَّيتُه طِفلًا!

وما تنفَعُ الأعوامُ حينَ تعدُّها ... ولم تستفِدْ فيهنَّ عِلْمًا ولا فَضْلًا!

أَرَى الدَّهْرَ من سُوء التَّصرُّفِ مائلًا ... إلى كُلِّ ذي جَهْلٍ كأنَّ به جَهْلًا!

* **[السببُ الثاني: الانشغالُ بطلبِ المال]:**

وربَّما امتَنع من طلبِ العلمِ لتعذُّر المادَّة، وشَغَله اكتسابُها عن التماس العِلم، وهٰذا ـ وإن كان أعذَرَ من غيره، مع أنه قَلَّما يكونُ ذٰلك إلَّا عند ذي شَرَهٍ رغيبٍ وشَهْوَةٍ مستعبِدة ـ ؛ فينبغي أن يَصرِف إلى العلم حظًّا من زمانه، فليس كلُّ الزَّمانِ زمانَ اكتساب، ولابدَّ للمكتسِبِ من أوقاتِ استراحةٍ وأيامِ عُطْلة، ومَن صَرف كلَّ نفسِه إلى الكَسْبِ ـ حتى لم يتركْ لها فراغًا إلى غيره ـ فهو من عبيد الدُّنيا، وأُسَرَاء الحِرص.

(١٧١) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لكُلِّ شيءٍ فَتْرةٌ، فمن كانَتْ فترتُه إلى العِلْمِ فقد نَجا**»(١).

(١٧٢) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**كُونُوا عُلماءَ صالحين، فإنْ لم تكونوا**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠، ٢٦٥)، وابنُ حِبان (١١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢٣٧)، ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١) ، وابن خزيمة (٢١٠٥)، عن عبداللّٰه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وله عدةُ ألفاظٍ، منها: «**لكل عملٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةٌ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي، فقد أفلح، ومَن كانت إلى غير ذٰلك فقد هلك**». وفي روايةٍ في «المسند» عن عبداللّٰه ابن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذكر لرسول اللّٰه ﷺ رجالٌ يَجتهدون في العبادة اجتهادًا شديدًا، فقال: «**تلك ضَراوةُ الإسلام وشِرَّتُه، ولكلِّ ضراوةٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةٌ؛ فمن كانت فترتُه إلى اقتصادٍ وسُنةٍ فلِأُمٍّ ما هو، ومَن كانت فترتُه إلى المعاصي، فذٰلك الهالك**». **والشِّرَّة**: النشاط. **والفترة**: الملل. والحديث **صحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

علماءَ صالحينَ فجالِسُوا العُلماءَ، واسمعوا عِلمًا يدلُّكم على الهُدى، أو يردُّكم عن الرَّدى»[١].

(١٧٣) وقال بعضُ العلماء: «مَن أَحبَّ العلمَ أحاطَتْ به فضائلُه».

(١٧٤) وقال بعضُ الحكماء: «مَن صاحَبَ العلماءَ وُقِّر، ومَن جالَسَ السُّفَهاء حُقِّر».

* **[السبب الثالث: استصعابُ طريق الطلب]:**

وربَّما منعه مِن طَلَبِ العلمِ ما يظنُّه من صُعوبتِهِ وبُعدِ غايتِه، ويَخشى مِن قِلَّةِ ذهنه وبُعدِ فِطنته.

وهٰذا الظنُّ اعتذارُ ذوي النقص، وخِيفَّةُ أولي العَجز، لأن الإخبارَ قَبلَ الاختبار جَهْل، والخشيةَ قَبلَ الابتلاءِ عَجْز.

(١٧٥) وقد قال الشاعر:

لا تكونَنَّ للأمُـورِ هَيوبًا　　　فإلى خَيْبَةٍ يَصِيرُ الهَيُوبُ

(١٧٦) وقال رجلٌ لأبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُريدُ أنْ أتعلَّـم العلـمَ، وأخافُ أنْ أُضيِّعَه! فقال: كَفى بترك العلمِ إضاعةً»[٢].

وليس ـ وإنْ تفاضلَتِ الأذهانُ، وتفاوتت الفِطَنُ ـ ما ينبغي لمن قلَّ منها حظُّه أن ييأسَ من نَيْل القليل، وإدراكِ اليسير الذي يَخْرُجُ به من حَدِّ الجهالة إلى أدْنى مراتب التخصُّص؛ فإنَّ الماء مع لِينه يؤثِّر في صُمِّ الصُّخور؛ فكيف لا يؤثِّر العلمُ الزَّكِي في نَفْسِ راغبٍ شهي وطالبٍ خَلِي؟! لا سيَّما وطالبُ العلمِ مُعَانٌ.

(١٧٧) وقال النَّبِيُّ ﷺ: **«إنَّ الملائكةَ لَتضَعُ أجنحتَها لطالِبِ العِلمِ؛ رِضًا بما يطلُب»**[٣].

---

(١) **لا أعلم له أصلًا**، والعلمُ عند ربي. وأماراتُ البطلان ظاهرةٌ عليه، وحسبُه أن يكون من كلام بعض الصالحين. [ط]

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٣٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٠)، والترمذي (٣٥٣٥)، والنسائي (١/ ٩٨)، وابن ماجه (٢٢٦)، والدارمي (٣٧٥)، وابن حِبَّان (٨٥)، والحاكم (١/ ١٨٠)، **وصحَّحه، ووافقه** =

* [السبب الرابع: ما يراهُ الجاهل مِن شدةِ الحال على أهل العلم]:

وربَّما مَنَعَ ذا السَّفَاهةِ مِن طلب العلم: أنْ يُصوِّرَ في نفسه حِرْفةَ أهلِهِ وتضايُقَ الأمورِ مع الاشتغال به[١]؛ حتى يَسِمَهم بالإدبار، ويتوسَّمَهم بالحِرمان، فإنْ رأى مَحْبَرةً تطيَّرَ منها[٢]، وإنْ وجَدَ كتابًا أعْرَضَ عنه، وإنْ رأى متحلِّيًا بالعِلْمِ هَرب منه، كأنه لم يَرَ عالمًا مُقبلًا، وجاهلًا مُدْبرًا!!.

ولقد رأيتُ مِن هٰذه الطبقة جماعةً ذَوي منازلَ وأحوال، كنتُ أُخفِي عنهم ما يصحَبُني مِن مَحْبَرةٍ أو كتاب؛ لئلَّا أكونَ عندهم مستثقَلًا! وإن كان البُعدُ منهم مؤنِسًا ومُصلِحًا، والقُربُ منهم مُوحشًا ومفسدًا.

(١٧٨) وقد قال بُزُرْجَمِهْر: «الجهلُ في القلبِ كالنَّزِّ[٣] في الأرض، يُفسِدُ ما حولَه».

(١٧٩) لٰكن اتبعتُ فيهم الحديثَ المرويَّ عن أبي الأشعث، عن أبي عثمان، عن ثَوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خالِطوا النَّاسَ بأخلاقهم، وخالِفوهم في أعمالِهم**»[٤].

= الذهبي، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٣٠/ ٢٦)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٥٦)، عن صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(١) أي: ينظر إلى قلةِ أموالِهم وأحوالِهم؛ فيظن أن هٰذا من شؤم العلم عليهم!! [ط]

(٢) **التطيُّر**: التشاؤم. [ط]

(٣) **النَّزُّ** ـ بفتح النون وكسرها ـ : ما يتحلَّب من الأرض من الماء ـ كذا في كتب اللغة ـ ، أي: يترشَّحُ منها. [ط]

(٤) **ضعيف**: رواه ـ بلفظه ـ العسكري في «الأمثال» عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في «كنز العمال» (٥٢٣٠).

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٩٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٧٧)، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**خالِقوا الناس بأخلاقِهم، وخالفوهم في أعمالِهم**». وصحَّحه الإمام الحاكم، وأقرَّه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/ ٣٠٥)، بينما **تعقَّبه** الإمام الذهبي، وحكم عليه الإمام العُقيلي **بالنكارة**، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٣): «فيه يزيد بن ربيعة الرَّحْبي، وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا **بأس** به». وأورده الحافظ الذهبي في ترجمة «يزيد» من «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٢٢)، ونقل الحكم عليه بالنكارةِ والضعف والترك عن البخاريِّ =

(١٨٠) ولذلك قال بعضُ البلغاء: «رُبَّ جهلٍ وَقَيتُ به علمًا، وسَفَهٍ حَمَيتُ به حِلمًا(١)».

وهٰذه الطبقة ممَّن لا يُرجى لها صلاح، ولا يُؤَمَّل لها فلاح؛ لأنَّ مَن اعتقَد أنَّ العِلمَ شَيْن(٢)، وأنَّ تركه زَيْن، وأنَّ للجهل إقبالًا مُجْديًا، وللعلم إدبارًا مُكدِيًا(٣)، كان ضلالُه مستحكَمًا، ورشادُه مستبعَدًا، وكان هو الخامسَ الهالك:

(١٨١) الذي قال فيه عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اغْدُ عالمًا، أو متعلِّمًا، أو مستمعًا، أو محبًّا، ولا تكن الخامسَ فتهلِكَ»(٤).

(١٨٢) وقد رواه خالدٌ الحَذَّاء، عن عبدالرَّحْمٰن بن أبي بكْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنَدًا(٥).

= وابن أبي حاتم والنسائي رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وأقـرَّه الحـافظ في «اللسان» (٦/ ٢٨٦)، وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١١٨٧): «ضعيفٌ جدًّا».
وورد ـ بنحوه ـ عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
فقد جاء عن عمر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «خالطوا النـاس بالأخـلاق، وزايلوهـم (أي: فارقوهم) بالأعمال». رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (٢١)، وبنحوه عند عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/ ١٤٤).
وجاء عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كونوا في الناس كالنَّحلة في الطير؛ ليس من الطير شيءٌ إلَّا وهو يستضعفُها، ولو يعلمُ الطيرُ ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذٰلك بها. خالِطوا الناسَ بألسنتكم وأجسادِكم، وزايلوهم بأعمالِكم وقلوبكم؛ فإن للمرء ما اكتسب، وهو يومَ القيامة مع مَن أحب». رواه الدارمي (٣٢٠)، وصحَّحه الشيخ حُسين الداراني.
وقال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خالِطوا الناسَ، وزايلوهم، وصافِحوهم، ودينكم لا تَكْلَمونَه»، أي: لا تخدِشوه بالمعاصي. رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٩٣)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٠): «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات». [ط]

(١) والمراد: أن يُزجرَ السفيهُ عن سفهِه، ويُمنعَ من الاستطالةِ على أهل العلم. [ط]
(٢) **الشَّين**: العيب. [ط]
(٣) **مُكدِيًا**: صلبًا شديدًا. [ط]
(٤) عزاه في عيون الأخبار (٢/ ١٣٥) للقمان الحكيم.
(٥) **ضعيف**: رواه «البزار» (١٣٤)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/ ٢٣٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٤٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٧١)، و«الصغير» (٧٨٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٥٨١)، وعزاه قال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٢٢): للطبراني في =

وليس لمن هٰذه حالُه في العَذل[1] نَفعٌ، ولا في الاستصلاح مَطمَع.

(١٨٣) وقيل لبُزُرْجَمِهْر: «ما لكم لا تعاتبون الجُهَّال؟ فقال: إنا لا نُكلِّفُ العُمْيَ أن يُبصروا، ولا الصُّمَّ أن يَسمعوا!!».

وهٰذه الطائفةُ التي تَنفرُ منَ العلمِ هٰذا النُّفور، وتعانِدُ أهلَه هٰذا العِناد، ترى العقلَ بِهٰذه المثابة، وتنفِرُ من العقلاء هٰذا النُّفور، وتعتقدُ أنَّ العاقل مُحارَف[2]، وأنَّ الأحمقَ محظوظ!! وناهيك بضلال مَن هٰذا اعتقادُه في العقلِ والعِلم، هل يكونُ لخيرٍ أهلًا، أو لفضيلةٍ موضعًا؟!.

(١٨٤) وقد قال بعضُ البلغاء: «أخبثُ النَّاس المُسَاوي بين المحَاسِن والمَساوِي».

وعلة هٰذا: أنَّهم ربَّما رأوا عاقلًا غيرَ محظوظ، وعالمًا غيرَ مرزوق، فظنُّوا أنَّ العلمَ والعقلَ هما السببُ في قلَّةِ حظِّه ورزقه، وقد انصرفَتْ عيونُهم عن حِرمان أكثر النَّوْكَى، وإدبارِ أكثر الجهَّال؛ لأنَّ في العقلاء والعلماء قِلَّةً، وعليهم من فضلهم سِمَة.

(١٨٥) ولذٰلك قيل: «العلماءُ غرباءُ لكثرة الجهَّال»[3].

فإذا ظهرت سِمَةُ فضلِهم، وصادفَ ذٰلك قلَّةَ حظِّ بعضِهم، تنوَّهُوا بالتمييز، واشتُهروا بالتَّعيين[4]، فصارُوا مقصودينَ بإشارةِ المتعنِّتِين، ملحوظين بإيماء الشامتين[5].

= «المعاجم الثلاثة» والبزار، وقال: «**رجاله موثَّقون**»، **وأقرَّه** محقق «الشعب» (٣/ ٢٢٩)، **وضعَّفه** الشيخ حسن أبو الأشبال في تحقيق «جامع بيان العلم» (١/ ١٤٧)، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٨٣٦)، بينما حكم عليه **بالوضع** في «ضعيف الجامع» (٩٨١). [ط]

(١) **العَذْل**: اللوم. [ط]

(٢) **مُحارَف**: محروم. [ط]

(٣) العبارة في الوافي (١٧/ ٤٤٢) منسوبةً لابن المعتز. وفي «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٩٧) غير منسوبه.

(٤) أي: صاروا ـ بالرغم من حالِهم ذٰلك معروفين متميزين عمن سواهم. [ط]

(٥) أي: حينئذٍ يصير أهل العلم محلَّ نقيصةٍ من السفهاء الشامتين. [ط]

والجُهَّالُ والحَمقَى لمَّا كثُروا ولم يتخصَّصُوا، انصرفَتْ عنهم النُّفوس، فلم يُلْحَظ المحرومُ منهم بطَرْفٍ[١] شامتٍ، ولا قُصِد المَحْدود[٢] منهم بإشارة عائبٍ[٣]، فلذٰلك ظنَّ الجاهلُ المرزوقُ أنَّ الفقرَ والضِّيقَ مختصٌّ بالعلم والعقل دونَ الجهل والحُمْق! ولو فتَّشتَ أحوالَ العلماءِ والعقلاء ـ مع قلَّتهم ـ لوجدْتَ الإقبالَ في أكثرهم[٤]، ولو اختبرْتَ أمورَ الجُهَّال والحمقى ـ مع كثرتِهم ـ لوجدْتَ الحرمانَ في أكثرهم، وإنَّما يصيرُ ذو الحالِ الواسعةِ منهم ملحوظًا مُشتَهرًا لأنَّ حظَّه عَجَب، وإقبالَه مستغرَب، كما أنَّ حرمانَ العاقِلِ العالِم غريب، وإقلاله[٥] عجيب.

ولم يزل النَّاسُ على سالف الدَّهرِ من مثل ذٰلك متعجِّبين، وبه معتبرين.

(١٨٦) حتى قيل لِبُزُرْجَمِهْر: «ما أعجبُ الأشياء؟ قال: نُجْحُ الجاهل، وإكداءُ[٦] العاقِل».

لٰكن الرزق بالجدِّ والحظِّ[٧]، لا بالعِلْمِ والعقل، حكمةً منه تعالى، يدلُّ بها على قدرته، وإجراءِ الأمور على مشيئته.

(١٨٧) وقد قالت الحُكماء: «لو جرَت الأقسامُ على قدْر العقولِ، لم تعِش البهائمُ».

(١٨٨) فنظمَهُ أبو تمام الطائيُّ[٨]، فقال:

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشهِ وهْوَ جَاهِلٌ ... ويُكْدِي الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وهْوَ عالِمُ

---

(١) في الأصل: بنظرة.
(٢) **المحدود** ـ بالحاء ـ: المحروم. [ط]
(٣) في الأصل: عانت.
(٤) أي: وجدت قبول الناس لهم أكثر من غيرهم. [ط]
(٥) في الأصل: وإقباله.
(٦) **الإكداء**: القطع والمنع.
(٧) يعني بالقضاء والقدر. [ط]
(٨) حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج، أبو تمام الطائي الشاعر المشهور، مقدم شعراء العصر، ولد بسورية، وتوفي بالموصل، عام (٢٣١).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٨/ ١٥٧)، تاريخ دمشق (١٢/ ١٦ ـ ١١)، الوافي (١١/ ٢٩٢).

ولو كانَتِ الأَرْزاقُ تَجرِي على الحِجَا ... هَلَكْنَ إذًا مِن جَهْلِهِنَّ البَهائمُ[(١)]

(١٨٩) وقال كعبُ بن زهير بن أبي سُلْمَى[(٢)]:

لو كنْتُ أعجبُ من شيءٍ لأَعجَبَني ... سَعْيُ الفَتَى وهْوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ

يَسْعَى الفَتى لأُمُورٍ ليس يُدْرِكُها ... والنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالهَمُّ مُنْتَشِرُ

على أنَّ العلمَ والعقلَ سعادةٌ وإقبال ـ وإنْ قَلَّ معهما المال، وضاقَتْ معهما الحال ـ، والجهلَ والحُمقَ حرمانٌ وإدبار ـ وإنْ كثُرَ معهما المال، واتَّسَعَتْ معهما الحال ـ ؛ لأنَّ السعادةَ ليستْ بكثرةِ المال، فكم مِنْ مُكْثِرٍ شقيٍّ ومُقِلٍّ سعيد! وكيف يكونُ الجاهلُ الغنيُّ سعيدًا والجهلُ يَضَعُه؟! أم كيف يكونُ العالِمُ الفقيرُ شقيًّا والعلمُ يرفعُه؟!.

(١٩٠) وقد قيلَ في منثور الحكم: «كم مِن ذليلٍ أعزَّه عِلْمُه، ومِنْ عزيزٍ أذلَّه جَهْلُه!!».

(١٩١) وقال عبدُاللَّه بن المعتز: «نِعمةُ الجاهلِ كَروضةٍ على مَزْبَلة».

(١٩٢) وقال بعضُ الحكماء: «كلَّما حَسُنَتْ نِعمةُ الجاهل ازداد قبحًا[(٣)]»[(٤)].

(١٩٣) وقال بعضُ العلماء لبنيه: «يا بَنيَّ، تعلَّموا العلمَ؛ فإنْ لم تنالوا به من الدُّنيا حظًّا، فلأَنْ يُذَمَّ الزمانُ لكم أحبُّ إليَّ من أن يُذَمَّ الزمانُ بكم[(٥)]»[(٦)].

(١٩٤) وقال بعض الأدباء: «من لم يُفد بالعلم مالًا، كَسب به جَمالًا».

---

(١) الحِجا: العقول. [ط]

(٢) كعبُ بن زُهير، يكنى أبا عقبة، صحابي، شاعر عالي الطبقة، من شعراء نجْد، اشتُهرت لاميته التي مدح بها النَّبي ﷺ، تُوفِّي عام (٢٦).
انظر: معجم الشعراء (٢٧٥)، الوافي (٢٤/ ٣٤٤)، الاستيعاب، (ترجمة ٢٢١٧)، الإصابة (ترجمة ٧٤٢٦). والأبيات في ترجمته في الوافي، والاستيعاب، والإصابة، وفي ديوانه (٢٢٩).

(٣) لأنه بِهٰذه النعم ينسى ربَّه ويتكبَّر على خلقه. [ط]

(٤) العبارة في الوافي بالوفيات (١٧/ ٤٥٠)؛ منسوبةً لعبداللَّه بن المعتز.

(٥) أي: أن يُذمَّ لكم الزمانُ بسبب أفعال غيركم، خيرٌ من أن تكونوا أنتم سبب ذمِّه. [ط]

(٦) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٩٠)، وربيع الأبرار (٣/ ١٧٠) غير منسوبة.

(١٩٥) وأنشَدَ بعضُ أهل الأدب لابن طَباطَبا[١]:

حَسُودٌ مَريضُ القَلْبِ يُخفِي أَنينَهُ ... ويُضْحِي كئيبَ البالِ عندي حزينَهُ
يلُومُ عليَّ أن رُحْتُ للعلمِ طالبًا ... أُجَمِّعُ مِن عند الرُّواةِ فُنونَهُ
وأعرِفُ أبكارَ الكلامِ وعُونَه ... وأحفظُ ممَّا أستَفِيدُ عُيونَهُ[٢]
ويزعُمُ أنَّ العِلْمَ لا يَجلِبُ الغِنَى ... ويُحْسِن بالجهلِ الذَّميمِ ظُنُونَهُ
فيا لائمي دَعْنِي أُغالي بقيمتي ... فقيمةُ كُلِّ النَّاسِ ما يُحسِنُونَهُ

وأنا أستعيذُ باللَّه العظيم من خُدَعِ الجَهْلِ المُذِلَّة، وبوادِرِ الحُمقِ المُضِلَّة، وأسألُه السعادةَ بعقْلٍ رادعٍ يستقيمُ به مَن زَلّ، وعِلْمٍ نافعٍ يستهدي به مَن ضلّ.

(١٩٦) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا استَرذَلَ[٣] اللَّهُ عَبْدًا حَظرَ عليه العِلْم»[٤].

فينبغي لمن زَهِدَ في العلمِ أنْ يكونَ فيه راغبًا، ولمن رَغِبَ فيه أنْ يكونَ له

---

(١) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب، الشريف الحسني المصري، كان نقيب الطالبيين بمصر، له شعر مليح في الزهد والغزل، توفي سنة خَمْسٍ وأربعين وثلاثِمِئة. وهٰذا الأبيات في محاضرات الأدباء، للراغب (١/ ٦٢)، والعقد الفريد، لابن عبد ربه (٢/ ١٨٨).
ترجمته في: يتيمة الدهر (١/ ٤٢٨)، وفيات الأعيان (١/ ١٢٩)، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٦٤).

(٢) **العُون** ـ بضم العين ـ: المبتذل. [ط]

(٣) **استرذل**: انتقص واحتقر. [ط]

(٤) **موضوع**: أخرجه القُضاعي في «مسند الشهاب» (٧٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٣٩)، وعزاه في «كنز العمال» (٢٨٨٠٦) و(٢٨٨٠٧) و(٢٨٩٢٧) إلى عَبدان في «الصحابة»، وأبي موسى في «الذيل»، وابن النجار؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**ما استرذل اللَّهُ عبدًا قطُّ إلا حَظَرَ عنه العلم والأدب**». وفي رواية ابن النجار: «**العمل**» بدل «**العلم**»، وحكم عليه **بالوضع** الإمام ابن عدي في «كامِلِه»، والحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ١٥١)، **وأقرَّه** الحافظ في «اللسان» (١/ ٢٩٥)، بينما **ضعَّفه جدًّا** في «الإصابة» (١/ ٣١٦)، وكذا **أقرَّ** الذهبيَّ العجلونِيُّ في «كشف الخفا» (٢١٨٣)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١٠٢)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٣٦)، وحكم **بوضعه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٤٢٠)، و«ضعيف الجامع» (٤٩٩٧، ٤٩٩٨). [ط]

طالبًا، ولمن طَلَبه أنْ يكونَ منه مستكثرًا، ولمن استكثَرَ منه أن يكونَ به عاملًا، ولا يطلب لتركه احتجاجًا، ولا للتقصير فيه عُذرًا.

(١٩٧) وقد قال الشاعر:

فــلا تعــذِراني في الإســاءةِ إنَّــه ... شِــرارُ الــرِّجال مَــن يُــسيء فــيُعْذَرُ

ولا يُسوِّف نفسَه بالمواعيد الكاذبة، ويُمَنِّيها بانقطاع الأشغال المتصلة، فإنَّ لكُلِّ وقتٍ شغلًا، ولكُلِّ زمانٍ عُذرًا.

(١٩٨) وقال الشاعر[(١)]:

نَــــرُوحُ ونَغــــدُو لحاجاتِــــنا ... وحاجَــةُ مَــنْ عــاشَ لا تَنْقَــضِي

تَمُــــوتُ مَــــعَ المَــــرْءِ حاجَاتُــــهُ ... وتَبْقَــى لَــهُ حَاجَــةٌ مَــا بَقِــي

ويقصِدُ طَلَبَ العِلْم واثقًا بتيسير اللَّه، قاصِدًا وَجهَ اللَّه تعالى، بنيَّةٍ خالصة، وعزيمةٍ صادقة.

(١٩٩) فقد رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَعَلَّم عِلمًا لغيرِ اللَّه، أو أراد به غيرَ اللَّه، فلْيتبوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النَّار**»[(٢)].

(٢٠٠) وَرَوَى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**تعلَّمُوا العلمَ قَبلَ أنْ يُرفَعَ، ورَفْعُه ذَهابُ أَهْلِهِ، فإنَّ أحدَكُم لا يدري متى يَحتاجُ إليه، أو متى يُحتاج إلى ما عندَه**»[(٣)].

---

(١) قُثم بن خبيثة بن عبدالقيس، الصلتان العبدي، والبيتان في عيون الأخبار (٣/ ١٤٩) منسوبان إليه.

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: أخرجه الترمذي (٢٦٥٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٧٩)، وابن ماجة (٢٥٨)، عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد **حسَّنه** الإمام الترمذي، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني.
ويشهد لمعناه: ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن تعلَّم علمًا ممَّا يُبتغى به وجهُ اللَّه، لا يتعلَّمُه إلا ليُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا، لم يَجِدْ عَرْفَ الجنة يوم القيامة**». يعني ريحها، وهو حديثٌ **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٣٨)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني. [ط]

(٣) **باطل**: ولا أعلم له إسنادًا عن النبي ﷺ. [ط]

=

ولْيحذر أن يطلبهُ لِمراءٍ أو رياء، فإن المُمارِيَ به مهجورٌ لا ينتفِع، والمرائيَ به محقورٌ لا يرتفِع.

(٢٠١) ورُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**لا تَعَلَّمُوا العلمَ لِتُمارُوا به السُّفهاءَ، ولا تَعَلَّموا العلمَ لتجادلوا به العلماءَ، فمن فعَلَ ذٰلك منكم فالنَّارَ النَّار**»[1].

وليس المُماري بِهِ هو المُناظِرَ فيهِ طلبًا للصَّواب منه؛ ولٰكنَّه القاصدُ لدفْع ما يَرِدُ عليه من فاسدٍ أو صحيح.

(٢٠٢) وفيهم جاءت السُّنَّة عن رسُولِ اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا يُجادِلُ إلَّا منافِقٌ أو مُرْتابٌ**»[2].

(٢٠٣) وقال الأوزاعيُّ[3]: «إذا أراد اللَّهُ بقومٍ شرًّا أعطاهُم الجَدَلَ، ومنعهم العَمل»[4].

= وأخرج الدارمي (١٤٤) موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تعلَّموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يَذهبَ أهلُه».

ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٤٥)، والمَرْوَزي في «السُّنة» (٨٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٨)، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «عليكم بالعلم قبلَ أن يُقبض، وقبضُه أن يُذهب بأصحابه، عليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يَفتقر إليه، أو يُفتقرَ إلى ما عنده...» إلخ.

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧)، والحاكم (١/ ٨٦)، والبيهقي في «الشُّعب» (٢/ ٢٨٢)؛ عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وصحَّحه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/ ٢٥٧ ـ بعنايتي)، وقال الإمام البوصيري: «**رجاله ثقات**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧٠)، والشيخ شعيب الأرنؤوط، **وقوَّاه** الإمام الزَّبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٥٧١)، وهو مرويٌّ ـ باختلاف في ألفاظه ـ عن حذيفة، وابن عمر، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [ط]

(٢) لم أجده، واللَّه أعلم.
قلت: **لا أعلمُ له أصلًا**، والعلم عند ربِّي. [ط]

(٣) عبدالرَّحْمٰن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام في الحديث والفقه، توفي عام (١٥٧).

ترجمته في: حلية الأولياء (٦/ ١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧).

(٤) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ١٩٤)، وحلية الأولياء (٨/ ٣٦١) منسوبة لمعروف الكرخي.

(٢٠٤) وأنشد الرِّياشيُّ لمُصْعَب بن عبدِاللَّه[١]:

أجادِلُ كُلَّ معترضٍ ظَنينٍ ... فأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِيني[٢]
وأتركُ ما علِمْتُ لرأي غيرِي ... وليسَ الرَّأيُ كالعِلْمِ اليَقينِ
وما أنا والخصُومةُ وَهْيَ شيءٌ ... يُصَرَّف في الشِّمال وفي اليمينِ
فأمَّا ما علِمْتُ فَقَدْ كفاني ... وأمَّا ما جهِلْتُ فجنِّبُوني

(٢٠٥) وقد بيَّن ذٰلك بعضُ العلماء، فقال لصاحبه: «لا يمنعنَّك حذَرُ المِراء من حُسْنِ المناظرة؛ فإنَّ المماريَ هو الذي لا يريدُ أن يتعلَّمَ منه أحدٌ، ولا يرجو أن يتعلَّم من أحد».

واعلم أنَّ لكُلِّ مطلوبٍ باعثًا، والباعثُ على المطلوب شيئان: رَغْبةٌ أو رَهْبة، فليكن طالبُ العِلْم راغبًا راهبًا؛ أمَّا الرَّغبة ففي ثواب اللَّه تعالى لطالبي مَرْضاته، وحافظي مفترَضاته[٣]، وأمَّا الرَّهْبة فمن عقاب اللَّه تعالى لتاركي أوامره، ومُهمِلي زواجره، فإذا اجتمعتِ الرَّغبةُ في ثواب اللَّه، والرَّهبةُ من عقاب اللَّه؛ أدَّتا إلى كُنْهِ العلمِ وحقيقة الزُّهد؛ لأنَّ الرَّغبة أقوى الباعِثَيْن على العلم، والرَّهبةَ أقوى السببين في الزُّهد.

(٢٠٦) وقد قالت الحكماء: «أصلُ العِلْم الرَّغبة، وثمرتُه السَّعادة، وأصلُ الزُّهد الرَّهْبة، وثمرتُه العِبادة؛ فإذا اقترَنَ الزُّهدُ والعِلْمُ فقد تمَّت السَّعادةُ وعمَّتِ الفضيلة، وإن افترقا فيا ويحَ مُفْتَرِقينِ، فما أضرَّ افتراقَهما، وأقبحَ انفرادَهما!!».

(٢٠٧) وقد رُوِي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنِ ازدادَ في العلمِ رُشدًا، ولم يَزدَدْ في الدُّنيا زُهدًا، لم يَزْدَدْ مِنَ اللَّه إلَّا بُعدًا**»[٤].

---

(١) هو مصعب بن عبد اللَّه بن مصعب بن ثابت الزبيري، علامة بالأنساب، توفي عام (٢٣٦).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٣/ ١١٢)، معجم الشعراء (٣٨٤)، تهذيب الكمال (١٨/ ٣٤).
والأبيات في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٣٦)، منسوبة إليه.

(٢) **الظَّنين**: الجهول. [ط]

(٣) **المفترَضات**: الفرائض. [ط]

(٤) **ضعيف**: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٨٨٧) عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، =

(٢٠٨) وقال مالكُ بنُ دِينار[١]: «مَن لم يُؤْتَ منَ العلمِ ما يَقْمَعُه، فما أوتي من العِلْم لا ينفعه».

(٢٠٩) وقال بعضُ الحكماء: «الفقيهُ بغير وَرَعٍ كالسِّراجِ يُضيءُ البيتَ ويُحرِقُ نفسَه».



= **وضعَّفه** الأئمة: العراقي في تخريج «الإحياء» (١/ ٢٨٥)، والزَّبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٥٧٤)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٥٦)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١/ ١٦٠)، **وضعَّفه جدًا** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٩٣)، و«الضعيفة» (٤٥٤١).

وأورد الحافظ العراقي ـ أيضًا ـ روايةً عن الأزدي في «الضعفاء» بلفظ: «**من ازداد باللَّهِ علمًا، ثم ازداد للدنيا حبًّا ازداد اللَّهُ عليه غضبًا**».

وذكر ابن حِبَّان في «روضة العقلاء» (رقم ٦٢ بعنايتي ـ ط: دار ابن الجوزي) عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «مَنْ أحبَّ الدنيا وسرَّته، ذهب خوفُ الآخرة من قلبه، ومن ازداد علمًا، ثم ازداد على الدنيا حرصًا، لم يَزددْ من اللَّهِ إلَّا بُعدًا، ولم يَزددْ من اللَّهِ إلَّا بغضًا». [ط]

(١) مالك بن دينار السامي الناجي، أبو يحيى البصري، الإمام العالِم الزاهد، تُوفِّي عام (١٢٣).
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٨٨)، تهذيب الكمال (٢٧/ ١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٢).

فصل

[أسبابُ الفشل في طلب العلم]

واعْلَم أنَّ للعلوم أوائلَ تؤدِّي إلى أواخِرها، ومداخِلَ تُفضِي إلى حقائقها، فلْيَبتدئْ طالبُ العلمِ بأوائلها لينتهيَ إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضيَ إلى حقائقها، ولا يطلبِ الآخِرَ قبلَ الأوَّل، ولا الحقيقةَ قبلَ المَدخل، فلا يدرك الآخِر، ولا يعرفَ الحقيقة؛ لأنَّ البناء على غير أُسٍّ لا يُبْنَى، والثمَرَ من غير غَرْسٍ لا يُجْنَى.

ولذٰلك أسباب فاسدة، ودواعٍ واهية:

[السبب الأول: إهمالُ القواعد والأصول التي يُبنى عليها العلم]:

فمنها: أنْ يكونَ في النفس أغراضٌ تختصُّ بنوعٍ من العلم، فيدعوه الغرضُ إلى قصدِ ذٰلك النوع، ويعدِلُ عن مقدِّماته، كرجلٍ يؤْثِرُ القضاءَ، ويتصدَّى للحُكم، فيقصِدُ من علم الفقه إلى «أدب القاضي»، وما يتعلَّق به من الدَّعوى والبينات. أو يحبُّ الاتِّسامَ بالشهادة، فيتعلَّمُ كتابَ «الشهادات»، لئلَّا يصيرَ موسومًا بجهل ما يعاني، فإذا أدرك ذٰلك ظنَّ أنه قد حاز من العلم جُمهورَه، وأدركَ منه مشهورَه، ولم يَـرَ ما بقيَ منه إلا غامضًا طَلَبُهُ عناء، وعويصًا استخراجُه فَناء، لقصور هِمَّته على ما أدرك، وانصرافِها عمَّا تَرَك. ولو نصحَ نفسَهُ لَعلِم أنَّ ما ترك أهمُّ مما أدرك، لأنَّ بعضَ العلم مُرتبطٌ ببعض، ولكُلِّ بابٍ منه تعلُّقٌ بما قبله، فلا تقوم الأواخِرُ إلَّا بأوائلها، وقد يصحُّ قيامُ الأوائل بأنفسها، فيصيرُ طلبُ الأواخِرِ بتَركِ الأوائلِ تركًا للأواخر والأوائل، فإذًا ليس يَعْرَى من لَوْم، وإن كان تارِكُ الكُلِّ ألوم.

[السبب الثاني: مَحبةُ الشُّهْرة]:

ومنها: أنْ يُحِبَّ الاشتهارَ بالعلم، إمَّا لتكسُّبٍ أو لتجمُّل، فيَقصدَ من العلم ما يَشتهر به؛ من مسائل الجَدَلِ وطريقِ النظر، ويتعاطَى علمَ ما اختُلِفَ فيه دونَ ما

اتُّفِقَ عليه؛ ليناظِرَ على الخلافِ، وهو لا يعرِفُ الوِفاق، ويجادِل الخصومَ، وهو لا يعرفُ مذهبًا مخصوصًا.

ولقد رأيتُ ـ من هٰذه الطبقةِ ـ عددًا قد تحقَّقُوا بالعلم تحقُّقَ المتكلِّفين[١]، واشتُهروا به اشتهار المتبحِّرين؛ إذا أخذوا في مناظرة الخُصُوم ظَهَر كلامُهم، وإذا سُئلوا عن واضح مذهبهم ضلَّتْ أفهامُهم، حتَّى إنَّهم ليَخْبِطون في الجواب خَبْطَ عَشْواء[٢]، فلا يَظهرُ لهم صواب، ولا يتقرَّرُ لهم جواب! ثم لا يرون ذٰلك نقصًا، إذ نمَّقوا[٣] في المجالس كلامًا موصوفًا، ولفَّقوا على المخالف حِجاجًا مألوفًا، وقد جهِلُوا من المذهب ما يعلَمُه المبتدئُ ويتداولُه الناشئ، فَهُمْ دائمًا في لَغَطٍ مُضِلّ، أو غَلَطٍ مُذلّ.

ورأيتُ قومًا منهم يَـرَوْنَ الاشتغالَ بالمذهب تكلُّفًا، والاستكثار منه تخلُّفًا، وحاجَّني بعضُهم عليه، فقال: كيف يكون عِلمُ حافظِ المذهب مستورًا، وعلمُ المُناظِرِ عِلمًا مشهورًا؟ فقلت: كيف يكونُ علمُ حافظ المذهبِ مستورًا وهو سَريعُ الجَواب، كثيرُ الصَّواب؟ فقال: لأنَّه إنْ لم يُسألْ سَكَتَ فلم يُعْرَفْ، والمناظِرُ إنْ لم يُسأل سَأل فعُرِف. فقلتُ: أليس إذا سُئل الحافظُ فأصاب بانَ فضلُه؟ قال: نعم. قلت: أفليس إذا سُئل المُناظِرُ فأخطأ بانَ نقصُه ـ وقد قيل: «عند الامتحان يُكرَمُ المرءُ أو يُهان» ـ؟ فأمسَكَ عن جوابي؛ لأنَّه إن أنكر كابرَ المعقول، ولو اعترف لزمته الحجَّةُ، والإمساكُ إذعانٌ[٤]، والسكوتُ رضًا، ولَأَنْ ينقادَ إلى الحقِّ أولى من أن يستفزَّه الباطل.

وهٰذه طريقةُ مَن يقول: «اعرِفوني» ـ وهو غيرُ عَرُوفٍ[٥] ولا معروف ـ، وبعيدٌ ممَّن لا يعرفُ العلمَ أنْ يُعرفَ به[٦].

---

(١) في المطبوعة: المتكلمين.

(٢) **الخبط**: في الظلام، **والعشواء**: الناقة الضعيفة الإبصار ـ مؤنث «الأعشى» ـ، والمراد السير على غير هدًى. [ط]

(٣) **نمَّقوا**: زيَّنوا وزخرفوا. [ط]

(٤) أي: السكوت ـ عجزًا ـ خضوع للخصم. [ط]

(٥) **عرُوف**: عارف. [ط]

(٦) أي: بعيدٌ على الجاهل أن يوصف بالعلم. [ط]

(٢١٠) وقد قال زُهير[١]:

ومهما تكُنْ عند امرِئٍ مِن خليقةٍ ... ولو خَالَها تَخفَى على النَّاسِ تُعْلَمِ[٢]

[السبب الثالث: إهمالُ التعلُّم في الصِّغر]:

ومن أسباب التقصير ـ أيضًا ـ: أن يَغْفُلَ عن التعلُّم في الصِّغر، ثم يشتغلَ به في الكبر، فيَستَحِي أن يبتدئَ بما يبتدئُ به الصغير، ويستنكفَ عن أن يساويَه الحدَثُ الغَرير[٣]، فيبدأ بأواخِرِ العلوم وأطرافها، ويَهتمُّ بحواشيها وأكنافِها[٤]، ليتقدَّمَ على الصغير المبتدي، ويساويَ الكبيرَ المنتهي! وهٰذا ممن قد رضي بخداع نفسه، وقنِعَ بمُداهنةِ حِسِّه[٥]، لأنَّ معقولَه ـ إن أحسَّ ـ ومعقولَ كُلِّ ذي حِسٍّ: يشهَدُ بفساد هٰذا التصوُّر، وينطِقُ باختلال هٰذا التخيُّل؛ لأنه شيءٌ لا يقوم في وَهْم، ولَجَهلُ ما يبتدِئُ به المتعلِّمُ أقبَحُ من جَهْلِ ما ينتهي إليه العالِمُ[٦].

(٢١١) وقد قال الشاعر:

تَرقَّ إلى صغيرِ الأمرِ حتَّى ... يُرقِّيَكَ الصَّغيرُ إلى الكبيرِ

فتَعرِفُ بالتفكُّرِ في صغيرٍ ... كبيرًا بعدَ معرفةِ الصَّغيرِ

ولهٰذا المعنى وأشباهه كان التعلُّمُ في الصغر أحمد.

(٢١٢) رَوَى مروانُ بن سالِم، عن إسماعيل، عن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَثَلُ الذي يتعلَّم في صِغَره كالنَّقْشِ على الحَجَر[٧]، والذي يتعلَّمُ**

(١) البيت في التذكرة الحمدونية (١/ ٢٥١) منسوب لزهير.
(٢) **الخَليقة**: الخُلُق. **خالَها**: ظنَّها. [ط]
(٣) **الغَرير**: الساذج. [ط]
(٤) **الأكناف**: النواحي والجوانب. [ط]
(٥) **المُداهَنة**: الخداع. [ط]
(٦) أي: والجهلُ بما ينبغي أن يبدأ به المتعلِّم من الأمور ـ كأحكام الطهارة والوضوء ـ أقبحُ من جهلِه بالمسائل الكبار التي يَنتهي إليها العلماء، واللَّهُ أعلم. وقد سمعتُ العلَّامة الكبير عبدالرَّحيم الطحَّان يَنعَى على صِغارِ طلبة العلم الذين لا يُتقِنونَ أحكام الطهارة ـ حسب تعبيره ـ، ويريدون أن يؤلِّفوا كُتبًا في نقدِ العلماء الأكابر، واللَّهُ المستعان. [ط]
(٧) في الأصل والمطبوعة: الصخر، والتصحيح من كتب التخريج.

في كِبَره كالذي يكتبُ على الماء»[١].

(٢١٣) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قلبُ الحَدَثِ كالأراضي الخالية، ما أُلْقِيَ فيها من شيءٍ قَبِلَتْه».

وإنَّما كان كذٰلك لأنَّ الصغير أفرغُ قلبًا، وأقلُّ شغلًا، وأيسَرُ تبذُّلًا[٢]، وأكثرُ تواضعًا.

(٢١٤) وقد قيل في منثور الحِكم[٣]: «المتواضِعُ من طلَّاب العلم أكثرُهُم علمًا، كما أن المكان المنخفِضَ أكثرُ البقاع ماءً».

فأمَّا أن يكونَ الصغيرُ أضبطَ من الكبير ـ إذا عَرِيَ[٤] من هٰذه الموانع ـ، وأوعى منه ـ إذا خَلَا من هٰذه القواطع ـ، فلا.

[ما يَقطعُ الكبيرَ ـ خاصةً ـ عن الاشتغالِ بالعلم]:

(٢١٥) حُكي أن الأحْنَفَ بن قيس سَمِعَ رجلًا يقولُ: «التعلُّمُ في الصغر كالنقش على الحَجر[٥]، فقال الأحنفُ: الكبيرُ أكثرُ عقلًا، ولٰكنه أشغَلُ قلبًا»[٦].

ولَعَمْرِي لقد فَحَصَ الأحنفُ عن المعنى وبيَّنه، ونبَّه على العِلَّة؛ لأنَّ قواطِعَ الكبير كثيرة:

١ ـ فمنها: ما ذكرنا من الاستحياء.

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» ـ كما في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥)، و«المقاصد الحسنة» (٧٠٥) ـ ، وضعَّف الإمام الهيثمي أحد رواتِه ـ نقلًا عن البخاري وأبي حاتم ـ ، وكذا الإمام العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٧٤٨)، والإمام السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص٣٢١)، بينما حكم عليه الشيخ الألباني **بالوضع** في «ضعيف الجامع» (٥٢٣٧).
والأثر ورد من كلام الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ، عند ابن عبدالبر في «جامع العلم» (٤٨٢)، والبيهقي في «المدخل» (٦٤٠)، وذكره ابن عبدالبر في «أدب المجالسة» (ص١٠٣). [ط]

(٢) أي: يهُونُ عليه امتهانُ نفسه لنيل ما يريد. [ط]

(٣) العبارة في معجم الأدباء (٤/ ١٥٢٤)، والجامع لأخلاق الراوي (٣٤٥)، وجامع بيان العلم (٩٤٧)، منسوبة لابن المعتز.

(٤) أي: الكبير. [ط]

(٥) في الأصل: في الحجر.

(٦) الخبر في محاضرات الأدباء (١/ ٩٥) ونسبه إلى الحسن.

(٢١٦) وقد قيل في منثور الحكم: «مَنْ رَقَّ وجهُه رقَّ عِلْمُه[(١)]»[(٢)].

(٢١٧) وقال الخليلُ بن أحمد[(٣)]: «يَرْتَعُ[(٤)] الجَهْلُ بين الحياءِ والكِبْرِ في العِلم»[(٥)].

٢ ـ ومنها: وُفور شهواتِه، وتقسُّمُ أفكارِه.

(٢١٨) وقد قال الشاعر:

صَرْفُ الهوى عن ذِي الهوى عَزيزُ ... إنَّ الهوى ليسَ لَهُ تَمْييزُ

(٢١٩) وقال بعض البلغاء: «إنَّ القلبَ إذا عَلِقَ كالدُّهْن إذا عَلِقَ»[(٦)].

٣ ـ ومنها: الطَّوارقُ المزعجةُ، والهُمومُ المذهِلَة.

(٢٢٠) وقد قيلَ في منثور الحكم: «الهَمُّ قَيْدُ الحواس».

(٢٢١) وقال بعضُ البلغاء: «مَن بَلَغَ أَشُدَّهُ، لاقَى مِنَ العيش أَشَدَّه».

٤ ـ ومنها: كثرةُ أشغاله، وترادُفُ أحواله[(٧)]، حتى إنها لتستوعِبُ زمانَه، وتستنفِدُ أيَّامه، فإذا كان ذا رئاسة ألْهَتْهُ، وإن كان ذا معيشةٍ قَطَعته.

(٢٢٢) ولذلك قيل: «تفقَّهوا قَبْلَ أنْ تُسَوَّدوا»[(٨)].

---

(١) الرِّقة ـ هنا ـ: الاستحياء. أي: من استحيا أن يتعلم ضعُف علمُه وزاد جهلُه. [ط]

(٢) العبارة في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٤). وهي في مسند الدارمي (٥٦٩) منسوبة إلى جرير، والشعبي، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، إمام اللغة، والعروض، والنحو، تُوفِّي عام (١٧٥هـ). ترجمته في: شذرات الذهب (٢/ ٣٢١)، معجم المؤلفين (١/ ٦٧٨)، معجم الأدباء (١١/ ٧٢)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩)، تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٦)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٣٨٥).

(٤) يَرْتَع: يسرح ويَنعَم. [ط]

(٥) العبارة في جامع بيان العلم (١/ ٣٨٤)، وربيع الأبرار (٣/ ١٧٢).

(٦) في المطبوعة: كالرهن إذا غلق، وقال في الحاشية: غلق الرهن: إذا عجز الراهن عن فكه في الوقت المناسب.

(٧) في الأصل: خلاله.

(٨) جامع بيان العلم (٥٠٨)، العلم، لأبي خيثمة (٩)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.
قلت: وتسوَّدوا: تصيروا أسيادًا مطاعين. [ط]

(٢٢٣) وقال بُزُرْجَمِهْر: «الشغلُ مَجْهَدة، والفراغُ مَفْسَدة»[١].

فينبغي لطالب العلم ألَّا يَنِيَ[٢] في طلبه، ويَنتهزَ الفرصة به؛ فربَّما شحَّ الزَّمانُ بما سَمَح، وضَنَّ بما مَنَحَ، ويبتدِئُ من العلم بأوَّله، ويأتيه من مَدخلِه، ولا يتشاغل بطلب ما لا يضرُّ جهلُه، فيمنعه ذٰلك من إدراك ما لا يسَعُه جَهلُه؛ فإنَّ لكل علمٍ فضولًا مُذْهِلة، وشذُورًا مُشغِلة، إنْ صَرَف إليها نفَسَه قطعته عمَّا هو أهمُّ منها.

(٢٢٤) وقال ابن عبَّاس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا: «العلمُ أكثرُ من أن يُحصَى، فخُذوا مِن كُلِّ شيءٍ أحسَنَه»[٣].

(٢٢٥) وقال المأمون: «ما لم يكن من العلم بارعًا، فبطونُ الصُّحُفِ أولى به من قلوب الرجال[٤]».

(٢٢٦) وقال بعضُ الحكماء: «بتركِ ما لا يَعْنيك، يتمُّ لك ما يَعْنيك».

ولا ينبغي أن يَدْعوَه ذٰلك إلى تركِ ما استَصعب عليه؛ إشعارًا لنفسه أنَّ ذٰلك من فضول علمه، وإعذارًا لها في تَركِ الاشتغال به؛ فإنَّ ذٰلك مَطِيَّةُ النَّوْكى وعذرُ المقصِّرين، ومَن أَخذ من العلم ما تَسهَّل، وتركَ منه ما تعذَّر، كان كالقانصِ[٥] إذا امتنعَ عليه الصَّيْدُ تركَه؛ فلا يرجع إلَّا خائبًا؛ إذ ليس يَرى الصيدَ إلَّا مُمتنعًا! كذٰلك العِلمُ؛ طلبُه صعْبٌ على مَنْ جهِلَه، سَهْلٌ على مَنْ عَلِمه؛ لأنَّ معانيَه التي يتوصَّل إليها مستودَعةٌ في كلامٍ مترجِمٍ عنها[٦]، وكُلُّ كلامٍ مستعمَلٍ فهو يَجمَعُ لفظًا مسموعًا ومعنًى مفهومًا؛ فاللفظ كلامٌ يُعقَلُ بالسَّمْع، والمعنى تحتَ اللفظ يُفهَمُ بالقلب.

(٢٢٧) وقد قال بعضُ الحكماء: «العلومُ مطالعُها من ثلاثة أُوجُه: قلبٌ

---

(١) العبارة في مجمع الأمثال (١/ ٨٨)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٥٨) غير منسوبة.

(٢) يَني: يتكاسل ويتهاون. [ط]

(٣) العبارة في جامع بيان العلم (٦٦٩)، منسوبة إليه، وفي محاضرات الأدباء (١/ ١٠٣) غير منسوبة، وفي تهذيب الكمال (١٤/ ٣٨) منسوبة للشعبي.

(٤) أي: ما كان من العلوم غير مفيد، فلا يستحق أن يُحفظ، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٥) القانص: الصائد. [ط]

(٦) المُترجِم: المبيِّن الموضِّح. [ط]

مُفكِّر، ولسانٌ مُعبِّر، وبيانٌ مصوِّر».

فإذا عَقَلَ الكلامَ بسمعه فَهِمَ معانيَه بقلبه، وإذا فَهِمَ المعانِيَ سقطت عنه كُلْفةُ استخراجها، وبقي عليه مُعاناةُ حِفْظها واستقرارها؛ لأنَّ المعانِيَ شواردُ تَضِلُّ بالإغفال، والعلومُ وحشِيةٌ تَنفِر بالإرسال، فإذا حفِظَها بعدَ الفَهْم ثبتت[1]، وإذا ذاكَر بها بعد الأُنس رَسَتْ[2].

(٢٢٨) وقال بعضُ الحكماء: «مَن أكثَرَ المذاكَرة بالعلمِ لم يَنسَ ما عَلِم، واستفادَ ما لَمْ يعلَمْ»[3].

(٢٢٩) قال الشاعر[4]:

إذا لَمْ يُذاكِرْ ذُو العُلُومِ بعِلْمِه ... ولَمْ يستفِدْ عِلْمًا نَسِيْ ما تَعلَّمَا

فكم جامعٍ للكتْبِ من كُلِّ مَذْهَبٍ ... يَزيدُ مَعَ الأيَّام في جَمْعِهِ عَمَى

[أسبابُ عدم فهم الكلام المسموع]:

وإنْ لم يفهَمْ معانِيَ ما سمِعَ، كَشَفَ عن السَّبب المانع منها، ليعلَمَ العِلَّةَ في تعذُّر فهمِها؛ فإنَّ بمعرفةِ أسبابِ الأشياء وعِلَلِها، يصِلُ إلى تلافي ما شذَّ وصلاح ما فَسَدَ، فليس يخلو السَّببُ المانعُ من ذٰلك من ثلاثة أقسام:

- إمَّا أنْ يكونَ لعلَّةٍ في الكلام المُترجِم.
- وإمَّا أنْ يكونَ لعلَّةٍ في المعنى المُستودَع.
- وإمَّا أنْ يكون لعلَّةٍ في السَّامع المستخرِج.

[أ] فإنْ كان السَّببُ المانعُ من فهمِها لعلَّةٍ في الكلام المترجِم عنها، لم يخلُ ذٰلك من ثلاثة أحوال:

(١) في المطبوعة: أنست.
(٢) رَسَت: استقرَّت. [ط]
(٣) العبارة في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٤١) منسوبة لعبدالله بن المعتز، وفي محاضرات الأدباء (١/ ١٥١) غير منسوبة.
(٤) الأبيات في جامع بيان العلم (٦٨٦) غير منسوبة.

أحدُها: أنْ يكونَ لتقصير اللفظِ عن المعنى، فيكون تقصيرُ اللفظِ عن ذٰلك المعنى سببًا مانعًا من فهم ذٰلك المعنى، وهٰذا قد يكون من أحد وجهين:

- إمَّا مِن حصَر المتكلِّم وعِيِّه(١).
- وإمَّا من بلادَتِه وقِلَّةِ فَهْمِه.

والحال الثانية: أنْ يكون لزيادةِ اللفظِ على المعنى، فتصيرَ الزَّيادةُ عِلَّةً مانِعةً من فهم المقصود منه، وهٰذا قد يكون من أحد وجهين:

- إمَّا من هَذَرِ(٢) المتكلِّم وإكثارِه.
- وإمَّا لِسُوء ظَنِّه بفهم سامعه.

والحال الثالثة: أنْ يكونَ لمُواضَعَةٍ(٣) يقصِدُها المتكلِّمُ بكلامه، فإذا لم يعرفْها السَّامعُ لم يفهَمْ معانيها.

فأمَّا تقصيرُ اللفظ وزيادتُه(٤): فمن الأسباب الخاصَّة دون العامَّة؛ لأنك لستَ تَجدُ ذٰلك عامًّا في كُلِّ كلام، وإنَّما تجده في بعضه، فإن عدلْتَ عن الكلام المقصِّر إلى الكلام المستوفِي، وعن الزائد إلى الكافي، أرحْتَ نفسَك مِن تكلُّف ما يُكدِّرُ خاطِرَك، وإن أَقَمْتَ على استخراجه - إمَّا لضرورةٍ دعتْكَ إليه عند إعوازِ(٥) غيره، أو لحميَّةٍ داخلَتْكَ عند تعذُّر فهمِه - ؛ فانظُرْ في سبب الزِّيادة والتَّقصيرِ.

فإنْ كان التقصيرُ لِحَصَر، والزيادةُ لِهَذَر: سَهُلَ عليكَ استِخراجُ المعنى منه؛ لأنَّ ما له من الكلام محصولٌ لا يجوزُ أنْ يكونَ المختلُّ منه أكثَر من الصَّحيح(٦)، وفي الأكثر على الأقلِّ دليلٌ.

وإنْ كانت زيادةُ اللفظ على المعنى لسوءِ ظنِّ المتكلِّم بفهم السَّامعِ، كان استخراجُه أسهل.

---

(١) **الحَصَر**: العجز. **العِي**: الجهل. [ط]
(٢) **الهَذَر**: الكلام الذي لا فائدة منه. [ط]
(٣) **المُواضعة**: الاتفاق على معنًى ما، كمعاني المصطلحات التي يُتَّفق عليها. [ط]
(٤) سيأتي السبب الثاني في ص(١٢٤). [ط]
(٥) **الإعواز**: الاحتياج. [ط]
(٦) أي: الكلام الذي له معنًى ما لا يجوز أن يكونَ فاسدُه أكثرَ من صالحِهِ. [ط]

وإنْ كان تقصيرُ اللفظ عن المعنى لسوءِ فهم المتكلِّم، فهو أصعبُ الأمور حالًا، وأبعدُها استخراجًا؛ لأنَّ ما لم يَفهَمْه مكلِّمُك، فأنتَ مِنْ فهمِه أَبعَد؛ إلَّا أنْ تكونَ ـ بفَرْطِ ذكائك، وجودةِ خاطِرك ـ تتنبَّهُ بإشارته على استنباطِ ما عجزَ عنه، واستخراجِ ما قصَّر فيه؛ فتكونَ فضيلةُ الاستيفاء لك، وحقُّ التقدُّم له.

وأمَّا المُواضَعَةُ: فضرْبان: عامَّة وخاصَّة.

فأمَّا العامَّةُ: فهي مواضَعَةُ العلماءِ فيما جعلوه ألقابًا لمعانٍ لا يَستغني المتعلِّمُ عنها، ولا يقِفُ على معنى كلامهم إلَّا بها، كما جَعَلَ المتكلِّمون «الجواهِرَ والأعراضَ والأجسامَ» ألقابًا تواضعوها لمعانٍ اتفقوا عليها، ولستَ تجدُ من العلوم عِلمًا يخلُو من هٰذا، وهٰذه المواضعةُ العامَّة تُسمَّى «عُرْفًا».

وأمَّا الخاصَّة: فمواضَعَةُ الواحدِ يقصِدُ بباطن كلامه غيرَ ظاهره، فإن كانت في الكلام كانت «رَمْزًا»، وإن كانت في الشِّعر كانت «لُغزًا».

١ ـ **فأمَّا الرَّمْزُ**: فلسْتَ تجده في علمٍ معنويٍّ، ولا في كلامٍ لُغويٍّ، وإنَّما يختصُّ غالبًا بأحد شيئين:

ـ إمَّا بمذهبٍ شَنيعٍ يُخفيه مُعتقِدُه، ويجعلُ الرَّمْزَ به سببًا لتطلُّع النفوس إليه، واحتمالَ التأويلِ فيه سببًا لدفع التُّهَمَةِ عنه.

ـ وإمَّا لمَا يدَّعي أربابُه أنه عِلمٌ مُعوِز، وأنَّ إدْرَاكَه بديعٌ معجِز، كالصَّنْعة التي وضَعَها أربابُها اسمًا لِعْلم الكيمياء، فرمزوا بأوصافه، وأخفَوا معانيَه، ليوهِمُوا الشُّحَّ بِهِ والأسَفَ عليه، خديعةً للعقول الواهية والآراء الفاسدة.

(٢٣٠) وقد قال الشاعر:

مُـنِعْتُ شـيئًا فَأكثَـرْتُ الوَلُـوعَ بـه ... وأحَـبُّ شـيءٍ إلى الإنسانِ مـا مُـنِعَا

ثم ليكونُوا بُرَآءَ من عُهْدَة ما قالوا إذا جُرِّب.

ولو كان ما تضمَّن هٰذانِ النوعان ـ وأشباهُهما من الرموز ـ معنًى صحيحًا وعلمًا مستفادًا، لخرج من الرَّمْز الخفيِّ إلى العلم الجَليِّ؛ فإنَّ أغراضَ النَّاس مع اختلافِ أهوائهم لا تتفقُ على سِترٍ سَلِيم وإخفاءٍ مُفِيد.

(٢٣١) وقد قال زُهير:

السِّترُ دُونَ الفَاحِشَاتِ ولا ... يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِن سِتْرِ

وربَّما اسْتُعمِلَ الرَّمْزُ من الكلام فيما يُرادُ تفخيمُه من المعاني وتعظيمُه من الألفاظ؛ ليكونَ أحلَى في القلوب موقِعًا، وأجلَّ في النُّفوس موضِعًا، فيصيرَ بالرَّمزِ سائرًا، وفي الصُّحُفِ مُخَلَّدًا.

(٢٣٢) كالذي حُكِي عن فِيثاغُورِس ـ في وصاياه المرمُوزة ـ أنه قال: «احفَظْ ميزانَك من النَّدى، وأوزانَكَ من الصَّدى».

يُريدُ بـ«حفظِ الميزان من النَّدَى»: حفظ اللسان من الخَنَا، وبـ«حفظِ الأوزان من الصَّدى»: حفظَ العقلِ من الهَوَى، فصارَ بِهٰذا الرَّمْزِ مستحسَنًا ومدوَّنًا، ولو قاله باللفظ الصَّريح، والمعنى الفصيح لِما سار عنه، ولا استُحسن منه.

وعلَّةُ ذٰلك: أنَّ المحجوبَ عن الأفهام كالمحجوبِ عن الأبصار، فيما يحصُلُ له في النفوس من التعظيم، وفي القلوب من التفخيم، وما ظَهر منها ولم يحتجب هَانَ واستُرْذِل، وهٰذا إنَّما يصحُّ استحلاؤه فيما قلَّ، وهو باللفظ الصَّريح مستقِل.

فأمَّا العلومُ المنتشرة التي تتَطَلَّعُ النفوس إليها، فقد استغنَتْ بقوَّة الباعِثِ عليها، وشدَّةِ الدَّاعي إليها، عن الاستدعاءِ إليها بِرَمْزٍ مُستخرَج ولفظٍ مستعذَب؛ بل ذٰلك منفِّرٌ عنها، لِما في التشاغل باستخراج رموزها من الإبطاء عن دَرَكها، وتصوُّر معانيها[١]، فهٰذا حالُ الرَّمز.

٢ ـ **وأمَّا اللُّغْزُ:** فهو تحدِّي أهلِ الفراغ، وشُغْلِ ذوي البَطَالة، ليتنافَسُوا في تبايُن قرائِحِهم، ويتفاخَرُوا في سرعة خواطرهم، فيستكِدُّوا[٢] خواطِرَ قد مُنِحُوا صحَّتها فيما لا يُجدي نفعًا، ولا يُفيدُ علمًا، فهم كأهلِ الصِّراعِ الذين قد صَرفوا ما مُنِحُوه من صحَّةِ أجسادهم إلى صِراعٍ كَدُودٍ يَصْرَعُ عقولَهم، ويَهُدُّ أجسامَهم، لا يُكسِبهم

(١) ولذٰلك يقول أهل البلاغة: الأمورُ التي يُرادُ أن يعرفَها الناس كافةً، لتؤدي بهم إلى الهداية والرشاد؛ لا يصلحُ معها إلا الألفاظ الصريحة المباشرة، دون الرموز والكنايات. انظر: «البلاغة العربية»، للشيخ عبدالرَّحْمٰن الميداني رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٤٢). [ط]

(٢) يَستكدوا: يُتعبوا. [ط]

حَمدًا، ولا يُجْدِي عليهم نفعًا.

(٢٣٣) انظر إلى قول الشاعر حيث يقول:

رَجُلٌ ماتَ وخَلَّفَ رَجُلًا ... ابنَ أمِّ ابنِ أبي أُختِ أبيهِ
مَعَهُ أُمُّ بَنِي أولادِه ... وأبا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أخيهِ

أَخْبِرني عن هٰذين البيتين ـ وقد روَّعَك صعوبةُ ما تضمَّنَهما من السؤال ـ، إذا استكدَّك الفكرُ في استخراجه، فعَلمتَ أنه أراد: ميتًا خلَّف أبًا وزوجةً وعَمًّا! ما الذي أفادك منَ العلم، ونَفَى عنكَ مِنَ الجهل؟ ألسْتَ بعدَ عِلمِه تجهلُ ما كنتَ جاهلًا من قبله؟! فلو أنَّ السائل قلبَ لكَ السؤال، فأخَّرَ ما قدَّم، وقدَّم ما أخَّر، لَكنتَ في الجهل به قبلَ استِخْراجه كما كنْتَ في الجهل الأوَّل، وقد كَدَدْت فكرك، وأتعبْتَ خاطرك، ثم لا تَعدَم أن يَرِدَ عليكَ مثلُ هٰذا ممَّا تجهلُه، فتكون فيه كما كنْتَ فيما قبلَه[1].

فاصْرِفْ نفسَك ـ تولَّى اللَّه رُشْدَك ـ عن علوم النَّوْكَى، وتكلُّفِ البطَّالين.

(٢٣٤) فقد رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**مِن حُسنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيهِ**»[2].

ثم اجعلْ ما مَنَّ اللَّهُ به عليكَ ـ من صحَّةِ القَريحةِ وسُرْعَةِ الخاطِرِ ـ مَصْرُوفًا إلى عِلْم ما يكونُ إنفاقُ خاطرِك فيه مذخورًا[3]، وكَدُّ فكرِك فيه مشكورًا.

(٢٣٥) وقد رَوى سعيد بن أبي هندٍ، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**نِعْمَتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ منَ النَّاس: الصِّحَّةُ والفَراغ**»[4].

(١) أي: لن يفيدك سماعه عِلْمَ شيءٍ كنت تجهله، بل ظللتَ على جهلك الأول، ولم تزدد إلَّا إتعاب فكرك في فهم معناه. **[ط]**

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٢٠١)، والترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٨٨٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٨٨، ٢٩١)، عن حسين بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٣) أي: مدَّخَرًا لك عند ربِّك عَزَّ وَجَلَّ. **[ط]**

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والبخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧٠). **[ط]**

ونحن نستعيذ باللَّه من أنْ نُغْبَنَ فَضْلَ نعمتِه علينا، ونَجهَلَ نَفْعَ إحسانِه إلينا.

(٢٣٦) وقد قيل في منثور الحكم: «في[١] الفراغ تكون الصَّبْوَةُ[٢]».

(٢٣٧) وقال بعضُ البلغاء: «مَن أَمضَى يومَهُ في غيرِ حقٍّ قَضاه، أو فَرْضٍ أدَّاه، أو مَجْدٍ أثَّلَه[٣]، أو حَمْدٍ حصَّلَه، أو خَيْرٍ أسَّسَه، أو عِلْمٍ اقتبَسَه، فقد عَقَّ يومَه، وظَلَم نفسَه».

(٢٣٨) وقال بعضُ الشعراء:

لَقَـدْ أهَـاجَ الفَـرَاغُ علـيكَ شُغْلًا ... وأســبابُ الـبَلاءِ مِـــنَ الفَــراغِ

فهٰذا تعليلُ ما في الكلام مِن الأسباب المانعةِ من فهم معانيه، حتى خَرَج بنا الاستيفاءُ إلى الإطالة، والكشفُ إلى الإغماض.

[٢] **وأما القسم الثاني**[٤] ـ وهو أنْ يكونَ السَّببُ المانِعُ من فَهْمِ السَّامع لعلَّةٍ في المعنى المستودَع ـ : فلا يخلُو حالُ المعنى من ثلاثة أقسام:

ـ إمَّا أنْ يكون مستقلًّا بنفسه.

ـ أو يكون مقدِّمةً لغيره.

ـ أو يكونَ نتيجةً من غيره.

١ ـ فأمَّا المستقِلُّ بنفسه فضربان: جَليٌّ وخَفِيٌّ.

فأمَّا الجليُّ: فهو يسبِقُ إلى فهم متصوِّره من أوَّلِ وَهْلة، وليس هٰذا من أقسام ما يُشْكِل على ذي تَصوُّر.

وأمَّا الخفيُّ: فيحتاجُ في إدراكه إلى زيادةِ تأمُّل، وفَضْلِ مُعاناة، لينجليَ عمَّا أُخفي، وينكشِفَ عمَّا أُغمِض، وباستعمال الفكر فيه يكونُ الارتياضُ به، وبالارتياض به يسهُلُ منه ما استُصعِب، ويقرُبُ منه ما بَعُد، فإنَّ للرياضة جراءةً، وللدِّرابة[٥]

---

(١) في المطبوعة: من.

(٢) **الصَّبوة**: جهالة الفتوة والشباب.

(٣) **أثَّله**: أصَّله وثبَّته. [ط]

(٤) وقد بدأ الأول ص(١٢١). [ط]

(٥) في الأصل والمطبوعة: وللدراية، وما أثبتُّه يوافق معنى أن التدرُّب والتدريب مناسب للارتياض.

تأثيرًا.

٢ ـ وأمَّا ما كان مقدِّمة لغيره فضربان:

أحدهما: أن تقومَ المقدِّمَةُ بنفسها ـ وإنْ تعدَّت إلى غيرها ـ، فيكون كالمُستقِلِّ بنفسه في تصوُّره وفهمه، وإنْ كان مستدعيًا لنتيجتِه.

والثاني: أن يكونَ مفتقرًا إلى نتيجتِه؛ فيتعذَّر فَهمُ المقدمةِ إلَّا بما يتبعُها من النتيجة؛ لأنَّها تكونُ بعضًا منه، وتبعيضُ المعنى أشكَلُ له، وبعضُه لا يُغني عن كُلِّه.

٣ ـ وأمَّا ما كان نتيجةً لغيره، فهو لا يُدْرَك إلَّا بأوَّله، ولا يُتَصوَّر على حقيقته إلَّا بمقدِّمته، والاشتغالُ به قبلَ المقدِّمة عناء، وإتعابُ الفِكْرِ في استِنْباطِه قبلَ قاعدته أذًى.

فهٰذا يوضِّح تعليلَ ما في المعاني من الأسباب المانعة من فهمها.

[٣] **وأمَّا القسم الثالث** ـ وهو أن يكونَ السَّبَبُ المانِعُ لِعِلَّةٍ في المستمِع، فلذٰلك ضربان:

أحدهما: من ذاته.

والثاني: من طارئ طرأ عليه.

١ ـ فأمَّا ما كان من ذاته: فيتنوَّع نوعين:

أحدهما: ما كان مانعًا من تصوُّر المعنى وفهمه.

والثاني: ما كان مانعًا من حِفْظِه بعدَ تصوُّره وفهمه.

[أ] فأمَّا المانعُ من تصوُّر المعنَى وفهمِه، فهو البَلادَةُ، وقلَّةُ الفِطْنة، وهو الدَّاء العَيَاء.

(٢٣٩) وقد قالت الحكماء: «إذا فَقَد العالِمُ الذِّهنَ، قلَّ على الأضداد احتِجاجُه، وكثُرَ إلى الكُتب احتياجُه، وليس لمن بُلي به إلَّا الصَّبرُ والإقلال؛ لأنه على القليل أقدرُ، وبالصبر أحرى أن يَنالَ ويَظفَر».

(٢٤٠) وقد قال بعضُ الحكماء: «قَدِّمْ لحاجتك بعضَ لَجَاجَتِك[1]».

---

(١) اللَّجاجة: المجادلة. [ط]

وليس يقدرُ على الصَّبر مَنْ هٰذه حالته إلَّا أنْ يكونَ غالبَ الشَّهوة، بعيدَ الهمة، فيُشْعِر قلبَه الصبرَ لقوَّة شهوتِه، ويكلِّف جسدَه احتِمالَ التَّعبِ لبُعد هِمَّته؛ فإذا لاح له المعنى بمساعدة الشَّهوة، أعقبهُ ذٰلك إلحاحَ الآملين، ونشاطَ المدرِكين، فقلَّ عندَه كُلُّ كثير، وسهُلَ عليه كُلُّ عَسير.

(٢٤١) وقد رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**إنَّكم لا تنَالُونَ ما تُحبُّون إلَّا بالصَّبْرِ على ما تكْرَهُون، ولا تبلُغون ما تَهْوُوْن إلَّا بتَرْكِ ما تشتهون**»[١].

(٢٤٢) وقيل في منثور الحكم: «أتعِبْ قَدَمَك، فكم مِن تَعَبٍ قدَّمَك».

(٢٤٣) وقال بعضُ البلغاء: «إذا اشتدَّ الكَلَف، هانت الكُلَف[٢]».

(٢٤٤) وأنشد بعضُ أهل الأدب، ما ذكر أنه لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]:

لا تَعْجِــزَنَّ ولا تَــدْخُلْكَ مَــضْجَرَةٌ ... فالـنُّجْحُ يَهلِـكُ بـينَ العَجْزِ والضَّجَرِ

[ب] وأمَّا المانعُ من حفظِه بعد تصوُّره وفهمه، فهو:

١ ـ النسيانُ الحادثُ عن غَفْلةِ التقصير، وإهمالِ التَّواني، فينبغي لمن بُلي به أن يستدركَ تقصيرَهُ بكثرة الدرس، ويوقظَ غَفْلَته بإدامةِ النَّظَر.

(٢٤٥) فقد قيلَ: «لن يُدْرِكَ العلمَ مَن لا يُطِيلُ دَرْسَه، ويُكِدُّ نفسَه».

وكثرةُ الدَّرْس كُدودٌ[٤]، لا يَصبرُ عليه إلَّا مَن يَرى العلمَ مَغنمًا والجَهالةَ مَغْرَمًا، فيَحتملُ تعبَ الدَّرْسِ ليدركَ راحةَ العِلْم، وتنتفي عنه مَعَرَّةُ الجهل؛ فإنَّ نيلَ العظيم بأمرٍ عظيم، وعلى قدر الرغبةِ يكونُ الطَّلَب، وبحسَبِ الرَّاحة يكونُ التَّعَبُ.

(٢٤٦) وقد قيل: «عِلةُ الراحة قِلَّةُ الاستِراحة[٥]».

---

(١) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
وقد أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٨٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (٤٧/ ٤٥٢) عن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله.

(٢) **الكَلَف** ـ بفتح الكاف ـ : الشَّغف. **الكُلَف** ـ بالضم ـ : التكاليف. [ط]

(٣) البيت في الحكم والأمثال (ص٣٠٣)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ١٦٢) غير منسوب.

(٤) كُدود: تعب وإرهاق. [ط]

(٥) أي: سبب الراحة الأبدية: قلةُ الاستراحة في الحياة، والتعبُ في نيل المعالي. [ط]

(٢٤٧) وقال بعضُ الحكماء: «أكملُ الرَّاحةِ ما كانت عن كدِّ التَّعب، وأعزُّ العِلْم ما كان عن ذُلِّ الطَّلب».

وربما استثقلَ المتعلِّمُ الدَّرْسَ والحفظَ، واتَّكَلَ - بعد فَهْم المعاني - على الرُّجوع إلى الكُتبِ، والمطالعةِ فيها عندَ الحاجة إليها، فلا يكونُ إلَّا كمن أَطلَقَ ما صَادَه ثِقةً بالقُدْرة عليه بعدَ الامتناع منه، فلا تُعْقِبُه الثِّقةُ إلَّا خجَلًا، والتفريطُ إلَّا نَدَمًا.

[أسبابُ إهمال الحفظ]:

وهٰذه حالٌ قد يدعُو إليها أحدُ ثلاثةِ أشياء:

- إمَّا الضَّجَرُ مِن مُعاناة الحفظ ومراعاته.
- أو طُولُ الأمل في التوفُّر عليه عندَ نشاطِه.
- أو فسادُ الرَّأي في عزيمته.

وليس يَعلمُ أنَّ الضَّجُورَ خائب، وأنَّ الطَّويلَ الأمَلَ مغرور، وأنَّ الفاسِدَ الرأيَ مُصَاب.

(٢٤٨) والعربُ تقولُ في أمثالها: «حَرْفٌ في قلبك خيرٌ من ألفٍ في كتبك».

(٢٤٩) وقالوا: «لا خيرَ في علمٍ لا يَعبُرُ معكَ الوادي، ولا يَعمُرُ بك النادي»[1].

(٢٥٠) وأُنشدت عن الرَّبيع، للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

عِلْمي مَعِي حيثُما يَمَّمْتُ يَتبعُني ... قلبي وِعاءٌ لَهُ لا بطنُ صُنْدُوقِ

إنْ كُنْتُ في البيتِ كانَ العلمُ فيه معي ... أو كنْتُ في السُّوقِ كانَ العلمُ في السُّوقِ

وربَّما عُني المتعلِّم بالحفظِ من غير تصوُّرٍ ولا فَهْمٍ، حتى يصيرَ حافظًا لألفاظ المعاني، قَيِّمًا بتلاوتِها وهو لا يتصوَّرُها، ولا يَفهَمُ ما تضمنته، يَرْوِي بغير رَوِيَّة، ويُخبِرُ عن غيرِ خِبرة، فهو كالكتاب الذي لا يَدْفَعُ شُبْهةً، ولا يؤيِّدُ حُجَّةً.

---

(١) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٩٩) غير منسوبة.

(٢) نسب ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٣٨١) هٰذه الأبيات إلى منصور الفقيه، ونسبها الخطيب البغدادي في الجامع (١٧٥٩) لبشار.

(٢٥١) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**هِمَّةُ السُّفهاءِ الرِّواية، وهِمَّةُ العلماءِ الرِّعاية**[1]»[2].

(٢٥٢) وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُونوا للعِلْم رُعاةً، ولا تكونُوا لَهُ رُواةً، فقد يَرْعَوِي[3] مَن لا يَرْوِي، ويَرْوِي مَنْ لا يَرْعَوِي».

(٢٥٣) وحدَّث الحسنُ البصريُّ بحديث، فقال له رجلٌ: «يا أبا سعيد، عمَّن؟ قال: ما تصنعُ بـ«عمَّن»؟ أمَّا أنتَ فقد نالتْكَ عِظَتُه، وقامَتْ عليك حُجَّتُه».

[أهَميةُ تقييد العلم]:

وربَّما اعتمد على حِفْظِه وتصوَّرِه، وأغفلَ تقييدَ العِلْم في كتبه، ثقةً بما استقرَّ في نفسِه! وهٰذا خطأٌ منه؛ لأنَّ الشك معترِضٌ، والنسيانَ طارئٌ[4].

(٢٥٤) وقد رَوى أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**قيِّدُوا العِلْمَ بالكِتاب**»[5].

---

(١) أي: هِمةُ السفهاء أن يرووا ولا يعملوا، وهِمةُ العلماء الصادقين: أن يعمَلوا بما علِموا. [ط]

(٢) موضوع: رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٧)، وفي «اقتضاء العلم العملَ» (٣٩)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ١٨٣) عن الحسن مرسلًا. وأخرجه ابن عبدِالبر في «جامع بيان العلم» (١٢٢٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الشيخ الألباني: «موضوع». انظر: «ضعيف الجامع» (٦٠٩٩) و«الضعيفة» (٢٢٦٣). [ط]

(٣) يَرْعوي: يرتدع عن المعاصي. [ط]

(٤) أي: الشك قد يأتي، والنسيان قد يطرأ. [ط]

(٥) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٠٦)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٢٧ ـ تهذيبي)، وفي «تقييد العلم» (٧٠)، وفي «التاريخ» (١١/ ٢٣٤)، وابن عبـدالبر في «جامع بيان العلم» (٣٩٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٣٧)، والدقَّاق في «معجم مشايخه» (٤٥)، من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعزاه الإمـام الهيثمـي في «المجمع» (١/ ٣٨١) للطبراني في «الكبير»، وقال: «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٠٢٦)، و«صحيح الجامع» (٤٤٣٤)، وحسَّنه محقق «معجم الدقاق»، والشيخ حسن أبو الأشبال في «جامع بيان العلم»، بينما ضعَّفه الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».
وفي الباب عند الحاكم (١/ ١٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٢)، وابن عبدِالبر في «جامع بيان العلم» (٤١٢)، والخطيـب في «تقييـد العلم» (ص٦٩)، وابـن الجوزي في «الواهيات» (٩٦) عن عبداللّٰه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعَّفه الإمامان الحاكم والذهبي، بينما حسَّنه الشيخ الألباني في الموضـع السـالف، والشيـخ أبو الأشبال في تحقيق «جامع العلم» =

(٢٥٥) ورُوي أنَّ رجلًا شكا إلى النَّبي ﷺ النسيان، فقال له: «**استعمِلْ يَدَكَ**»[١].

أي اكتُبْ؛ حتَّى ترجعَ إذا نسيتَ إلى ما كتبْتَ.

(٢٥٦) وقال الخليلُ بن أحمد: «اجعَلْ ما في الكتب رأسَ المال، وما في قلبك النَّفَقَة»[٢].

(٢٥٧) وقال مَهْبوذ[٣]: «لولا ما عَقَدتْه الكُتبُ من تجارب الأوَّلين، لانحَلَّ[٤] من النسيان عقودُ الآخِرين».

(٢٥٨) وقال بعضُ الأدباء: «إن هٰذه الآدابَ نَوافرُ[٥]، تنِدُّ عن عُقُل الأذهان[٦]، فاجْعَلُوا الكتُبَ عنها حُماة، والأقلامَ لها رُعاة».

٢ ـ وأمَّا الطارئ[٧] فنوعان:

أحدهما: شُبْهةٌ تعترضُ المعنى، فتمنعُ من تصوُّره، وتدفَعُ عن إدراكِ حقيقته، فينبغي أنْ يزيلَ تلك الشُّبْهة عن نفسه بالسؤال والنظر، ليَصلَ إلى تصوُّر المعنى

= (١/ ٣١٧). [ط]

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٦٦٦)، والبزار ـ كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٨١) ـ، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٨٩)، وفي «تقييد العلم» (٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٥، ٢٨٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٢٨)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٨٣) ـ من حديث أنس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وضعَّفه الإمام الترمذي، والإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٥٢)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٨١٣)، و«ضعيف الجامع» (٢٧٦١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٤/ ٦٠٤).
ولفظ حديث أبي هريرة: كان رجلٌ من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ، فيَسمع من النبي ﷺ الحديثَ فيُعجبه ولا يحفظه، فشكا ذٰلك إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه! فقال ﷺ: «**استعِنْ بيمينك**». [ط]

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٤٢٦).

(٣) لم أستدل عليه.

(٤) **الانحلال**: الضياع. [ط]

(٥) **نوافر**: كثيرة الهرب والضياع. [ط]

(٦) **العُقُل**: الأربطة. [ط]

(٧) أي: من أسباب ضياع الحفظ، وأما الأول فهو النسيان الحادث عن الغفلة والتقصير، وقد بدأ في ص (١٢٦). [ط]

وإدراك حقيقته.

(٢٥٩) ولذٰلك قال بعضُ الحكماء: «لا تُخْلِ قلبَكَ من المذاكرةِ فيعودَ عقيمًا، ولا تُعْفِ طبعكَ من المناظرةِ فيصيرَ سقيمًا».

(٢٦٠) وقال بَشَّار بن بُرد[1]:

شِفَاءُ العَمَى طُول السُّؤالِ وإنَّما ... دوامُ العَمَى طُولُ السُّكوتِ على الجهلِ

فكُنْ سائلا عمَّا عَنَاك فإنَّما ... دُعيتَ أخا عَقْلٍ لتبحثَ بالعقْلِ[2]

والثاني: أفكارٌ تُعارِضُ الخاطِرَ، فتُذهِلُ عن تصوُّر المعنى، وهٰذا سببٌ قلَّما يَعْرَى منه أحدٌ، لا سيَّما منِ انبسطتْ آمالُه، واتَّسعَتْ أمانيه، وقد يقِلُّ فيمن لم يكُنْ له في غير العلمِ أَرَبٌ[3]، ولا فيما سواه هِمَّةٌ.

فإنْ طرأتْ على الإنسانِ لم يقدِرَ على مكابرة نفسِه على الفهم، وغلبةِ قلبه على التصوُّر؛ لأنَّ القلبَ مع الإكراه أشدُّ نفورًا، وأبعَدُ قَبولا.

(٢٦١) وقد جاء في الأثر: «بأنَّ القلبَ إذا أُكْرِه عَمِي».

ولٰكن يَعمَلُ في دَفْعِ ما طَرأ عليه ـ من هَمٍّ مذهِلٍ، أو فِكرٍ قاطعٍ ـ، ليستجيبَ له القلبُ مُطِيعًا.

(٢٦٢) وقد قال الشاعر:

وليس بمغْنٍ في المودَّة شافِعٌ ... إذا لم يكُنْ بين الضُّلوع شَفيعُ

(٢٦٣) وقال بعضُ الحكماء: «إنَّ لهٰذه القلوب تنافرًا كتنافُرِ الوحش، فتألَّفوها بالاقتصادِ في التعليم، والتوسُّطِ في التقويم، لتَحسُنَ طاعتُها، ويدومَ نشاطُها».

---

(١) بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي، الأعمى، الشاعر المشهور، أبو معاذ، المقدم من الشعراء المحدثين، أكثر الشعر وأجاد القول، بصري قدم بغداد، وكان المهدي اتَّهمه بالزندقة فقتله عليها عام (١٦٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/ ٦١٠)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧١)، الأغاني (٣/ ٩٤)، الوافي بالوفيات (١٠/ ١٣٥).

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء (١/ ١٠٠) غير منسوبة، وفي جامع بيان العلم (١/ ٣٨٠) منسوبة للأصمعي.

(٣) الأرب: الحاجة والرغبة. [ط]

فهٰذا تعليل ما في المستمِع من الأسباب المانعة من فهم المعاني.

[أهميةُ استقامةِ الخطّ للإعانة على صحَّةِ قراءته]:

وهاهنا قسمٌ رابع يمنعُ من معرفة الكلامِ وفهم معانيه، ولٰكنه قد يَعرَى من بعض الكلام، فلذٰلك لم نُدخِلْه في جُملة أقسامه، ولم نَستجِزْ الإخلالَ بذكْرِه، وهو الخطُّ؛ لأنَّ من الكلام ـ ما كان مسموعًا ـ لا يُحتاجُ في فهمه إلى تأمُّل الخطِّ به، والمانِعُ من فهمِه هو على ما ذكرنا من أقسامه، ومنه ما كان مُسْتَوْدَعًا بالخطِّ، محفوظًا بالكتابة، مأخوذًا بالاستِخراج، فكان الخطُّ حافظًا له، ومعبِّرًا عنه.

(٢٦٤) وقد رُوي عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ في قوله تعالى: ﴿[ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ]أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] ـ، قال: «يعني الخطَّ»[١].

(٢٦٥) ورُوي عن مجاهد ـ في قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ـ: «يعني الخطَّ».

(٢٦٦) والعربُ تقول: «الخطُّ أحدُ اللسانين، وحُسْنُه أحدُ الفَصَاحتين»[٢].

(٢٦٧) وقال جعفر بن يحيى[٣]: «الخطُّ سِمْطُ الحِكْمَة[٤]؛ به يُفَصِّل شُذورُها، ويَنظِمُ منثورُها[٥]».

(٢٦٨) وقال ابنُ المقفَّع[٦]: «اللسانُ مقصورٌ على القريب الحاضر، والقَلَمُ

---

(١) العبارة في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٥٩).

(٢) العبارة في عيون الأخبار (١/ ١٠٧).

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير هارون الرشيد، كان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر، فأما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان أشهر من أن يذكر، قتله هارون الرشيد عام (١٨٧).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٨/ ٣٠)، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٨)، الوافي بالوفيات (١١/ ١٥٦).

(٤) **السِّمْط**: الخيط ـ أو السلك ـ الذي يوضع فيه الخرز واللؤلؤ. [ط]

(٥) **الشذور**: النفائس الشاردة. **المنثور**: المبثوث. [ط]

(٦) عبد اللَّه بن المقفع، فارسي الأصل، كان أديبًا شاعرًا بارعًا في الفصاحة والبلاغة متحققًا بنحوٍ ولغةٍ، قتل عام (١٤٥).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ١٥١)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٦٣٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٣٠١).

على الشَّاهِد والغائب، وهو للغابر الكائن مِثلُه للقائم الرَّاهن[١]».

(٢٦٩) وقال حكيمُ الرُّوم: «الخطُّ هندسةٌ رُوحانية، وإنْ ظَهَر بآلةٍ جُسمانية»[٢].

(٢٧٠) وقال حكيمُ العرب: «الخطُّ أصيلٌ في الرُّوح، وإنْ ظَهَر بحواسِّ الجسَد»[٣].

[أولُ من كتبَ بالخط]:

واختُلِفَ في أوَّل من كتَبَ الخَطَّ:

(٢٧١) فذكَرَ كعبُ الأحبار: «أنَّ أوَّلَ مَن كَتَب آدمُ عليه السلام، كتَبَ سائر الكُتُب قبلَ موتِه بثلاثِمِئةِ سنةٍ في طينٍ، ثُمَّ طبخَه، فلمَّا غَرِقَت الأرضُ في زمان نوح عليه السلام بَقيت الكتابةُ، فأصابَ كلُّ قومٍ كتابَهم، وبقي الكتابُ العربيُّ، إلى أنْ خَصَّ اللَّه تعالى به إسماعيل عليه السلام، فأصابَها وتعلَّمها»[٤].

(٢٧٢) وحكَى ابنُ قُتيبة: «أنْ أوَّلَ مَن كَتَب إدريس عليه السلام»[٥].

وكانت العرب تعظِّم قدْرَ الخطِّ وتَعُدُّه من أجَلِّ المنافع.

(٢٧٣) حتى قال عِكْرِمة: «بلغ فِداءُ أهلِ بدرٍ أربعةَ آلاف درهم، حتى إنَّ الرجل ليفادَى على أن يُعَلِّمَ الخطَّ»[٦].

لِمَا هو مستقِرٌّ في نفوسهم من عِظَم خَطَره، وجلالة قدره، وظهور نَفْعِه وأثره.

وقد قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]، فوصَفَ

---

(١) أي: والكتابةُ للغائب الذي سيأتي مستقبلًا نافعةٌ كحالها مع الحاضر. [ط]

(٢) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ١٩٩) غير منسوبة، ومنسوبةٌ في الفهرست (ص١٦) لاقليدس.

(٣) العبارة في الفهرست (ص١٦) منسوبة للنظام.

(٤) هٰذا وما بعده من الإسرائيليات، واللَّهُ أعلم بحالِها، وليست حجةً. [ط]

(٥) المعارف، لابن قتيبة (ص٥٥٢) ولفظه: «أول من خط بالقلم إدريس».

(٦) **ضعيف**: أورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦) عن عكرمة ـ أيضًا ـ، وهو **ضعيف للإرسال**، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

نفسَه بأنَّه علَّم بالقلَم، كما وصَفَ نفسَه بالكرم، وعدَّ ذٰلك من نِعَمِه العظام، ومن أياديه الجسام[١]، حتَّى أقسَمَ به في كتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم]، فأقسَم بالقلم، كما أقسَمَ بما يُخَطُّ بالقلَم.

[أولُ مَن كتب بالعربية]:

واختُلِف في أوَّل من كَتَب بالعربية:

(٢٧٤) فذكر كَعْبُ الأحبار: «أنَّ أوَّلَ مَنْ كَتَب بها آدمُ عليه السلام، ثم وجدَها بعد الطُّوفان إسماعيلُ عليه السلام[٢]».

(٢٧٥) وحكَى ابنُ عباس رضي الله عنهما: «أنَّ أوَّلَ مَنْ كتب بها ووضعها إسماعيلُ عليه السلام على لفظِه ومنطِقه».

(٢٧٦) وحَكَى عُرْوةُ بن الزُّبير رضي الله عنه: «أنَّ أوَّلَ مَنْ كتب بها قومٌ من الأوائل، أسماؤهم: «أبجد، وهوَّز، وحُطِّي، وكَلْمُن، وسَعَفَص، وقَرَشت». وكانوا ملوك مَدْين».

(٢٧٧) وحكى ابن قُتيبة في «المعارف»: «أنَّ أوَّل من كتب بالعربية مُرامر بن مُرَّة، من أهل الأنبار، ومن الأنبار انتشرت»[٣].

(٢٧٨) وحكى المَدائنيُّ: «أنَّ أوَّل مَنْ كَتَب بها مُرَامرُ بن مُرَّة، وأسلَمُ بن سِدْرة، وعامرُ بن جَدْرة، فمُرامر وضَعَ الصُّور، وأسلَمُ فصَلَ ووصَلَ، وعامِرُ وضَعَ الإعجام»[٤].

ولمَّا كان الخطُّ بِهٰذه الحال، وجَبَ على مَنْ أراد حِفْظَ العِلْم أن يُعْنَى بأمرين:

أحدهما: تقويم الحروف على أشكالها الموضوعةِ لها.

والثاني: ضبطُ ما اشتُبه منها بالنَّقْطِ والأشكال المميِّزة لها.

ثم ما زاد على هٰذين من تحسين الخطِّ ومَلاحَةِ نَظْمِه، فإنَّما هو زيادة حِذْقٍ

---

(١) **أياديه**: نِعمه وفضائله. **الجِسام**: الجليلة العظيمة. [ط]

(٢) من الإسرائيليات ـ أيضًا ـ. [ط]

(٣) الخبر في المعارف (ص٥٥٢)، وعيون الأخبار (١/ ٧٤) لابن قتيبة.

(٤) الخبر في محاضرات الأدباء (١/ ١٩٧).

بصنعته، وليس بشرطٍ في صحته.

(٢٧٩) وقد قال عليُّ بن عُبيدة[١]: «حُسْنُ الخطِّ لسانُ اليَد، وبَهجةُ الضمير».

(٢٨٠) وقال أبو العبَّاس المبرِّد[٢]: «رداءَةُ الخطِّ زمانَةُ الأدَب»[٣].

(٢٨١) وقال عبدُالحميد[٤]: «البيانُ في اللسان والبَنان».

(٢٨٢) وأنشدني بعضُ أهل العلم لأحد شُعراء البَصرة:

اعْـذِرْ أخـاكَ على رَدَاءةِ خَطِّـهِ ... واغْفِـر نَذَالَـتَـهُ لِجَـودةِ ضَـبْطِهِ

واعْلَـمْ بـأنَّ الخـطَّ ليسَ يُرادُ من ... تـركيبِهِ إلَّا تبـينُ سِـمْطِهِ

فـإذا أبـانَ عـن المعـاني لم يكُنْ ... تحـسينُه إلَّا زيـادةَ شَـرْطِهِ

ومحلُّ ما زادَ على الخطِّ المفهوم ـ من تصحيح الحروف، وحُسْنِ الصُّورةِ مَحَلُّ ما زادَ على الكلام المفهوم ـ مِن فصاحةِ الألفاظ، وصحَّةِ الإعراب ـ.

(٢٨٣) ولذلك قالت العرب: «حُسْنُ الخطِّ إحدى الفَصاحَتين».

وكما أنه لا يُعْذَرُ من أرادَ التقدُّمَ في الكلام أن يَطرحَ الفصاحةَ والإعراب ـ وإنْ فَهِمَ وأَفْهَم ـ ، كذلك لا يُعْذَرُ مَن أرادَ التقدُّمَ في الخَطِّ أنْ يَطرَحَ تصحيحَ الحروف، وتحسينَ الصُّوَر ـ وإن فَهِمَ وأفهَمَ ـ.

وربَّما تقدَّم بالخطِّ مَن كان الخطُّ أجلَّ فضائله، وأشرفَ خصائله، حتَّى صار

---

(١) عليُّ بن عُبيدة الريحاني البغدادي، أبو الحسن، أديب كاتب شاعر لغوي، أحد البلغاء الفصحاء، من الناس من يفضله على الجاحظ، توفي عام (٢١٩).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/ ١٨)، معجم الأدباء (٤/ ١٨١٤)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٧٢).

(٢) محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد، أبو العباس، أديب نحوي لغوي إخباري، إمام اللغة ورأس النحاة البصريين في زمانه، توفي عام (٢٨٥).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، معجم الأدباء (٦/ ٢٦٧٨)، الوافي بالوفيات (٥/ ٢١٦).

(٣) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٢٠٧)، وعيون الأخبار (١/ ٤٧) غير منسوبة.
قلت: الزَّمانة: المرض. [ط]

(٤) عبدالحميد بن يحيى بن سعد، مولى بني عامر، المعروف بالكاتب، أديب كاتب بليغ، توفي عام (١٣٢).
ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٤/ ٩٢)، الوافي بالوفيات (١٨/ ٨٧)، معجم المؤلفين (٢/ ٦٧).

عَلَمًا مشهورًا، وسيدًا مذكورًا؛ غير أنَّ العلماء اطَّرَحُوا صَرْفَ الهِمَّةِ إلى تحسين الخطِّ، لأنه يشغَلُهم عن العِلم، ويَقطعُهم عن التوفُّر عليه، ولذٰلك تجِدُ خطوطَ العلماء ـ على الأكثر[١] ـ رديئةً؛ إلَّا مَنْ أسعدَهُ القَضاء.

(٢٨٤) وقد قال الفضلُ بنُ سهل[٢]: «مِن سعادة المرء أن يكون رديءَ الخطِّ؛ ليكون الزمانُ الذي يُفنيهِ بالكتابة يَشغلُه بالحفظ والنَّظَر».

وليستْ رداءةُ الخطِّ هي السعادة، وإنَّما السَّعادةُ ألَّا يكونَ له صارِفٌ عن العِلْمِ، وعادةُ ذي الخطِّ الحسَنِ أن يتشاغَلَ بتحسين خطِّه عن العلم، فمن هٰذا الوجه صار برداءةِ خطِّه سعيدًا، وإنْ لم تكنْ رداءةُ الخطِّ سعادة.

[الأسبابُ المانعةُ مِن صحَّةِ قراءة الخط]:

وإذا كان ذٰلك كذٰلك، فقد يَعرِضُ للخطِّ أسبابٌ تمنَعُ من قراءتِه ومعرفته، كما يعرِضُ للكلام أسبابُ تمنَعُ من فهمه وصحته.

والأسباب المانعة من قراءة الخطِّ وفهم ما تضمَّنَه، قد تكون من ثمانية أوجه:

الوجه الأول: إسقاطُ ألفاظٍ من أثناء الكلام، يصيرُ الباقي بها مبتورًا، لا يُعرَفُ استخراجُه، ولا يُفهَم معناه:

وهٰذا يكونُ إمَّا من سهو الكاتب، أو من فساد نقله، وهٰذا يَسْهُل استنباطُه على من كان مرتاضًا بذٰلك النَّوْع، فيَستدلُّ بحواشي الكلام وما سَلِمَ منه على ما سَقَطَ أو فَسَد ـ لا سيَّما إذا قلَّ ـ ؛ لأنَّ الكلمةَ تستدعِي ما يليها، ومعرفةُ المعنى توضِّحُ عن الكلام المترجم عنه.

فأمَّا من كان قليلَ الارتياضِ بذٰلك النَّوع، فإنَّه يصعُبُ عليه اسْتِنباطُ المعنى منه ـ لا سيَّما إذا كان كثيرًا ـ ؛ لأنه يحتاجُ في فهم المعاني إلى الفِكْر والرَّوِيَّةِ فيما قد

(١) في المطبوعة: في الأغلب.
(٢) الفضل بن سهل، أبو العباس السرخسي، ذو الرياستين، وزير المأمون، توفي عام (٢٠٢).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٨)، وفيات الأعيان (٤/ ٤١)، الوافي (٢٤/ ٤٢)، شذرات الذهب (٣/ ١٠).

استَخْرَجه بالكتابة، فإذا هو لم يعرفْ تمامَ الكلام المترجِم عن المعنى، قصُر فهمُه عن إدراكه، وضلَّ فكرُة عن استنباطه.

والوجه الثاني: زيادةُ ألفاظٍ في أثناء الكلام، يُشْكِلُ بها معرفةُ الصحيحِ غيرِ الزَّائد، مِن معرفة السَّقيم الزائد، فيصيرُ الكُلُّ مشكلًا:

وهٰذا لا يكادُ يوجَدُ كثيرًا، إلَّا أنْ يقصدَ الكاتبُ تَعْمِيةَ كلامِه، فيُدخِلُ في أثنائه ما يمنَعُ من فَهْمِه، فيصيرُ ذٰلك رمزًا يُعرَفُ بالمواضعة، فأمَّا وقوعُهُ سهوًا، فقد يكونُ بالكلمة والكلمتين، وذٰلك لا يَمنعُ من فَهْمِه على المرتاض وغيره.

والوجه الثالث: إسقاطُ حروفٍ من أثناءِ الكلمة، تَمنعُ من استِخْراجها على الصِّحَّة:

وقد يكونُ هٰذا تارةً من السَّهوِ فيقِلُّ، وتارةً من ضعفِ الهجاءِ فيَكثُر، والقولُ فيه كالقول في الوجه الأول.

والوجه الرابع: زيادةُ حروفٍ في أثناء الكلمة، يشكل بها معرفةُ الصحيح من حروفها:

وهٰذا يكونُ تارةً من سَهْو الكاتبِ فيقِلُّ، ولا يمنَعُ من استخراجِ الصَّحيح، ويكون تارةً لتعميةٍ ومواضعةٍ يَقصِدُ بها الكاتبُ إخفاءَ غَرَضِهِ فيكثُرُ ـ كالتراجم ـ، ويكونُ القَولُ فيه كالقول في الوجه الثاني.

والوجه الخامس: وَصْلُ الحروفِ المفصولة، وفَصْلُ الحروفِ الموصولة:

فيدعو ذٰلك إلى الإشكال؛ لأنَّ الكلمةَ يُنبِّهُ عليها وصْلُ حروفِها، ويمنَعُ فصلُها من مشاركة غيرِها؛ فإنْ كان ذٰلك من سهوٍ قَلَّ، فسَهُلَ استِخراجُه، وإنْ كان ذٰلك من قلَّةِ معرفةٍ بالخطِّ، أو مَشْقًا[1] تسبِقُ به اليدُ، كثُر فصَعُبَ استخراجُه، إلَّا على المرتاض به.

---

(١) المَشْق: السرعةُ في الطعن والضرب والأكل والكتابة، الصحاح (ص٩٨٩)، وفي المصباح (ص٤٦٩): مشقتُ الكتاب مَشقًا: أسرعت في فعله.

(٢٨٥) ولذلك قال عُمرُ بن الخطَّاب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ[١]: «شَرُّ الكتابة المَشْقُ، كما أنَّ شَرَّ القِراءة الهَذْرَمةُ»[٢].

وإنْ كان للتعمِية والرَّمْز، لم يُعرَفْ إلَّا بالمواضعة.

والوجه السادس: تغييرُ الحروفِ عن أشكالِها، وإبدالُها بأغيارها:

حتَّى يكتب الحاء على شكل الباء، والصَّادَ على شكل الراء، وهذا يكون في رموز التراجم، ولا يوقَفُ عليه إلَّا بالمواضعة، إلَّا لمن قد زاد فيه الذكاءُ، فيقدرُ على استخراج المُعَمَّى.

والوجه السابع: ضعفُ الخطِّ عن تقويم الحروف على الأشكال الصحيحة، وإثباتِها على الأوصاف الحقيقية:

حتى لا تكادَ الحروفُ تمتاز عن أغيارها، حتى تصيرَ العينُ الموصولةُ كالفاء، والمفصولةُ كالحاء! وهذا يكونُ من رداءة الخطِّ، وضعفِ اليد، واستِخْراجُ ذلك ممكنٌ بفضل المعاناةِ وشدَّةِ التأمُّل، وإنْ كان رُبَّما أضجَرَ[٣] قارئه، وأَوْهَى مُعانيَه.

(٢٨٦) ولذلك قيل: «إن الخطَّ الحسَنَ لَيزيدُ الحقَّ وضوحًا».

والوجه الثامن: إغفالُ النَّقْطِ والأشكال التي تتميز بها الحروف المشتبهة:

وهذا أيسَرُ أمرًا، وأخفُّ حالًا؛ لأنَّ من كان متميزًا بصحَّةِ الاستخراج ومعرفةِ الخطِّ، لم يَخْفَ عليه معرفةُ الخطِّ وفَهْمُ ما تضمَّنه، مع إغفالِ النَّقْط والأشكال؛ بل قد استَقبح الكُتَّاب ذلك في المُكاتبات، ورأَوه من تقصير الكاتب، أو سوءِ ظنه بفهم المكاتَب، وكان استقباحُهم له في مكاتبة الرؤساء أكثر.

(٢٨٧) وقد حكى قُدامَةُ بن جعفر[٤]: «أنَّ بعضَ كُتَّابِ الدَّواوين حاسَبَ

---

(١) العبارة في الجامع لأخلاق الراوي (٥٤١).

(٢) **الهذرمة**: السرعةُ في القراءة، الصحاح (١٠٩٣)، وقال في تهذيب اللغة (٦/ ٥٣١): قراءةٌ في سرعة.

(٣) **الضَجَرُ**: القلق من الغم، الصحاح (ص٦١٤).

(٤) قدامة بن جعفر بن قدامة، الكاتب، كان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، وممن =

عاملًا، فشكا العاملُ منه إلى عُبيداللَّه بن سُليمان، وكتب رقعةً يذكرُ فيها احتجاجًا لصحةِ دعواهُ ووضوحِ شكواه، فوقَّع فيها عُبيدُاللَّه بن سليمان: هٰذا هٰذا، فأخذها العامل وقرأها، فظنَّ أَنَّ عُبيداللَّه أراد بـ«هٰذا هٰذا» إثباتًا لصحةِ دعواهُ وصِدقِ قوله ـ كما يقال في إثبات الشيء: «هُوَ هُوَ» ـ ! فحمل الرقعةَ إلى كاتب الديوان، وأراه خطَّ عُبيدِاللَّه، وقال: قد صدَّق قولي، وصحَّح ما ذكرْتُ، فخفي على الكاتب ذٰلك، وأُطيفَ به على أرباب الدواوين، فلم يقِفوا على مُراد عُبيداللَّه، ورُدَّ إليه ليُسأَلَ عن مراده به، فشدَّد عُبيدُاللَّه الكلمة الثانية[1]، وكتب تحتها: «واللَّه المستعان»، استعظامًا منه لتقصيرهم في استِخْراج مرادِه، حتَّى احتاجَ إلى إبانته بالشكل».

فهٰذه حال الكُتَّاب في استقباحهم إعجامَ المكاتباتِ بالنَّقط والأشكال.

فأمَّا غيرُ المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحًا؛ بل استحسنوه، لا سيَّما في كتب الأدب، التي يُقصد بها معرفةُ صيغةِ الألفاظ، وكيفيةِ مخارجها، مثل كُتب النَّحو واللغة والشعر والغريب؛ فإنَّ الحاجة إلى ضبطها بالشكل والإعجام أكثر، وهي فيما سواه من العلوم أيسر.

(٢٨٨) وقد قال الثَّوْرِيُّ[2]: «الخطوطُ المعجَمةُ، كالبُرود المُعلَّمة».

(٢٨٩) وقال بعضُ البلغاء: «إعجامُ الخطِّ يمنَعُ من استعجامه، وشَكْلُه يُؤمِّن[3] من إشكاله».

= يشار إليه في علم المنطق، تُوفي عام (٣٢٨).
ترجمته في: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٣٥)، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٢٠٥).

(١) أي: صارت: «هذٌّ»، أي: كلام فارغ لا قيمة له. مع أنها على الرسم السابق تصح أن تقرأ قراءةً صحيحةً لمن يفقه، فيقال: «هٰذا هَذَا»، من الهذيان، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) سُفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبداللَّه الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، قال الخطيب: كان إمامًا من أئمة المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين، مُجمعًا على أمانته، مع الإتقان والحفظ، والمعرفة والضبط، والورع والزهد، تُوفِّي عام (١٦١).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤)، حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦) و(٧/ ١٤٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢١٩).

(٣) في المطبوعة: يمنع.

(٢٩٠) وقال بعضُ الأدباء: «رُبَّ عِلمٍ لم تُعْجَم فصولُه، فاستعجم محصولُه[١]».

وكما استقبَحَ الكُتَّاب الشَّكْلَ والإعجامَ في المكاتبات ـ وإن كان في كُتب العلوم مستحسنًا ـ، فكذٰلك استحسَنُوا مَشْقَ الخطِّ في المكاتبات، وإن كان في كُتب العلوم مستقبحًا؛ وسببُ ذٰلك: أنَّهم لفرط إدلالهم بالصنعة، وتقدُّمهم في الكتابةِ، يكتفُون بالإشارة، ويقتصِرُون على التلويح، ويرَون الحاجةَ إلى استيفاء شروطِ الإبانة تقصيرًا، ولقصْدِ ما يعتقدونه من التقدُّم بِهٰذه الحال، رأوا ما نبَّه عليه من سَواد المِداد أثرًا جميلًا، وعلى الفَضْل والتخصيص دليلًا.

(٢٩١) حُكي أن عُبيدَاللَّه بن سُليمان[٢] رأى على بعض ثيابه أثرَ صُفْرةٍ، فأخذ من مِداد الدَّواة فطلاه به، ثم قال: «المِدَادُ بنا أحسَنُ من الزَّعفران». وأنشد[٣]:

إنَّمـا الزَّعْفـرانُ عِطْـرُ العَـذَارَى ... ومِـدَادُ الـدُّوِيِّ عِطْـرُ الـرِّجالِ[٤]

فهٰذه جُملةٌ كافية في الإبانةِ عن الأسباب المانعةِ من فهم الكلامِ ومعرفةِ معانيه ـ لفظًا كان أو خطًّا ـ، واللَّه وليُّ التوفيق.

فينبغي لطالب العلم أنْ يكشف عن الأسباب المانعةِ ـ إنْ تعذَّرَ عليه فهمُ المعانى ـ، ليسهلَ عليه الوصولُ إليه، ثم يكون بعد ذٰلك سائسًا لنفسه، مُدبِّرًا لها في حال تعلُّمه؛ فإنَّ للنفس نُفورًا يُفضي إلى تقصير، ووفورًا يؤول إلى سَرَفٍ، وقيادها عَسِر.

ولها أحوالٌ ثلاث:

ـ فحالُ عَدْلٍ وإنصاف.

---

(١) أي: لم يوضع عليه الشكل فلم يُفهم ما فيه. [ط]

(٢) عبيد اللَّه بن سليمان بن وهب بن سعيد، أبو القاسم الكاتب، وزير المعتضد، تُوفِّي عام (٢٨٨).
ترجمته في: وفَيات الأعيان (٣/ ١٢٢)، الوافي بالوفيات (١٩/ ٣٧٣).

(٣) الخبر والأبيات في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٥٢)، منسوبةً إلى أبي عبداللَّه البَلَوي، ولفظه:

مِدادِ المحابر طِيبُ الرجال ... وطيبُ النساءِ منَ الزَّعفرانِ

(٤) **الدُّوِيُّ**: جَمع «دواة». [ط]

ـ وحالُ غلوٍّ وإسراف.
ـ وحالُ تقصيرٍ وإجحاف[١].

١ ـ فأمَّا حالُ العَدْل والإنصاف: فهي أنْ تختلفَ قُوى النَّفْس من جهتين متقابلتين: طاعةٍ مُسعِدة، وشفقةٍ كافَّة، فطاعتُها تمنعُ من التقصير، وشفقتها تصدُّ عن السَّرف والتبذير، وهٰذه أحمدُ الأحوال؛ لأنَّ ما منعَ من التقصير نامٍ[٢]، وما صدَّ عن السَّرف مستديم، والنموُّ إذا استدامَ فأخلِقْ به أن يُسْتكمَل.

(٢٩٢) وقال بعضُ الحكماء: «إياكَ ومفارقةَ الاعتدال؛ فإنَّ المسرِفَ مِثلُ المقصِّر في الخروج عند الحدِّ».

٢ ـ وأمَّا حالُ الغُلوِّ والإسراف: فهي أنْ تختصَّ النفسُ بقوى الطاعة، وتعدَمَ قُوى الشَّفقة، فيبعثها اختصاصُ الطَّاعة على إفراغ الجهد، ويُفضي بها إفراغُ الجَهْدِ إلى عجز الكَلال[٣]، فيؤدِّيها عجزُ الكَلالِ إلى التَّرك والإهمال، فتصيرُ الزِّيادة نقصانًا، والربح خسرانًا.

(٢٩٣) وقد قالت الحكماء: «طالبُ العِلْم وعامِلُ البِرِّ كآكلِ الطَّعام، إنْ أخذَ منه قوتًا عَصَمه، وإنْ أسرفَ فيه أبشَمه[٤]، وربَّما كان فيه منيَّته[٥]، كالآخذ للأدوية[٦] التي القصدُ فيها شفاء، ومجاوزةُ الحدِّ فيها السُّمُّ المُميت».

٣ ـ وأمَّا حالُ التقصير والإجحاف: فهي أن تختصَّ النفسُ بقوى الشَّفَقة، وتعدَمَ قوى الطَّاعة، فيدعوها الإشفاقُ إلى المعصية، وتمنَعُها المعصيةُ من الإجابة، فلا تطلبُ شاردًا، ولا تقبَل عائدًا، ولا تحفظُ مستودَعًا، ومَن لم يطلب الشَّارِد، ويقبلِ العائد، ويحفظِ المستودَع، فَقَدَ الموجود، ولم يجدِ المفقود، ومَن

---

(١) **الإجحاف:** الظلم. [ط]
(٢) أي: ما يمنع من التقصير يدفع صاحبه للزيادة والارتقاء، واللّٰهُ أعلم. [ط]
(٣) **الكَلال:** الإعياء والتعب، الصحاح (ص٩٢٢)، تهذيب اللغة (٩/ ٤٤٦)، المصباح المنير (ص٤٣٨).
(٤) **البَشَم:** التخمة، الصحاح (ص٩٣)، المصباح المنير (ص٥١).
(٥) **المَنِيَّة:** الأجل المقدر، مفردات ألفاظ القرآن، للراغب (ص٧٧٩).
(٦) في المطبوعة: كآخذ الأدوية.

فَقَد ما وَجَد فهو مصابٌ محزون، ومَن لم يجدْ ما فَقَد فهو خائبٌ مغبون[١].

(٢٩٤) وقد قال بعضُ الحكماء: «العَجزُ مع الواني[٢]، والفَوْتُ مع التواني»[٣].

وقد يكون للنفس ـ مع الأحوالِ الثلاث ـ حالتان مشتركتانِ بغَلَبةِ إحدى القوَّتين، فيكونُ للنفس طاعةٌ وإشفاق، وإحداهُما أغلبُ من الأخرى[٤]؛ فإنْ كانت الطاعةُ أغلب، كانت إلى الوُفور المجاوز أَمْيَل، وإنْ كان الإشفاقُ أغلبَ، كانت إلى التقصير المقصَّرِ به أقربَ.

فإذا عَرَفَ من نفسه قدْرَ طاعتها، وخَبِرَ منها كُنْهَ إشفاقها، راضَ نفسَه، ليلبثَ على أحمدِ حالاتِها.

(٢٩٥) وقد أشار إلى ما وصفناه من حال النفس الفَرزْدَقُ في قوله:

لكلِّ امرئٍ نفسانِ: نفسٌ كريمةٌ ... وأُخْرَى يُعَاصِيها الفَتى ويُطيعُها

ونفسُكَ من نَفْسَيكَ تشفَعُ للنَّدَى ... إذا قَلَّ مِن أحرارِهنَّ شَفيعُها

فإنْ أَهملَ سياستَها، وأغفَلَ رياضتَها، ورامَ أن يأخذَها بالعُنْف، ويقهرها بالعَسْف[٥]، استشاطت نافرةً، ولَجَّتْ معانِدةً، فلم تنقدْ إلى طاعةٍ، ولم تنكَفَّ عن معصيةٍ.

(٢٩٦) وقد قال سابقٌ البربريُّ[٦]:

إذا زَجَرْتَ لَجوجًا زدْتَه عَلَقًا ... ولجَّت النَّفْسُ منه في تَماديْها[٧]

---

(١) **المغبون**: المخدوع. الصحاح (ص٧٦٤).

(٢) **الونى**: الضعف والفتور والكلال والإعياء. الصحاح (١١٦٢)، والمصباح (ص٥٥٣).

(٣) **التواني**: التقصير. الصحاح (ص١١٦٣). وفي المصباح (ص٥٥٣): غير مهتم ولا محتفل.

(٤) في المطبوعة: وأحدهما أغلب من الآخر.

(٥) **العسف**: الأخذ على غير الطريق. الصحاح (ص٧٠٣)، وفي القاموس (ص١٠٨٢): نفس الموت.

(٦) سابق بن عبداللَّه، أبو سعيد الرقي، المعروف بالبربري، الشاعر الزاهد، قدم على عمر بن عبدالعزيز وأنشده أشعارًا في الزهد، توفي عام (١٠٠).
ترجمته في: تاريخ دمشق (٢٠/ ٣)، الأغاني (٦/ ٥٧)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٦٩).

(٧) **لجُوجًا**: مماريًا مخاصِمًا. **عَلَقًا**: تعلُّقًا بما هو فيه. [ط]

فعُـدْ علـيه إذا مـا نفسُهُ جَمَحتْ ... باللِّـينَ مـنكَ فـإنَّ اللينَ يَثنيها[1]

فإنْ استصعب عليه قيادُ نفسه، ودام منه نفورُ قلبه، مع سياستها ومعاناةِ رياضتِها، تركها تركَ راحة، ثم عاودها بعد الاستراحة؛ فإنَّ إجابتَها تُسرع، وطاعتَها تَرجع.

(٢٩٧) وقد رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ القلْبَ يموتُ، ويَحيا ولو بعدَ حين**»[2].

(٢٩٨) وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «للقلوب شهوةٌ وإقبال، وفترةٌ وإدبار، فأْتُوها من قِبَل شهوتِها، ولا تأتوها من قِبَلِ فَتْرتِها».

(٢٩٩) وقد قال الشاعر:

ومـا سُـمِّيَ الإنـسانَ إلَّا لأُنْـسِهِ ... ولا القلـــبَ إلَّا أنَّـــهُ يَـــتَقَلَّبُ

[الشروط التي يكمُلُ بها علمُ الطالب]:

وأمَّا الشُّروط التي يتوفَّر بها علم الطالب، وينتهي معها كمالُ الرَّاغب، مع ما يُلاحظ به من التوفيق، ويُمَدُّ به من المعونة، فتسعة شروط:

أحدُها: العقلُ الذي يدرِكُ به حقائقُ الأمور.

والثاني: الفطنةُ التي يَتصور بها غوامضَ العلوم.

والثالث: الذَّكاءُ الذي يَستقرُّ به حفظُ ما تصوَّره، وفهمُ ما علمه.

والرابع: الشهوةُ التي يدوم بها الطلب، ولا يُسرعُ إليها المَلَل.

والخامس: الاكتفاءُ بمادةٍ تعينُه عن كُلَف الطَّلَب.

والسادس الفراغُ الذي يكونُ مع التوفُّر، ويحصلُ به الاستِكْثار.

والسابع: عدمُ القواطع المذهِلة؛ من هُموم، وأشغال، وأمراض.

والثامن: طولُ العُمر، واتِّساع المدَّة، لينتهي بالاستكثارِ إلى مراتب الكمال.

والتاسع: الظَّفَرُ بعالِم سَمْحٍ بعلمه، متأنٍّ في تعليمه.

---

(١) يَثنِيها: يُرجعها عن جُموحها. [ط]

(٢) **لا أعلم له أصلًا**، والعلم عند ربي. [ط]

فإذا استكمل هٰذه الشروط التسعةَ فهو أسعَدُ طالب، وأنجَحُ متعلِّم.

(٣٠٠) وقد قال الإسكندر: «يحتاجُ طالبُ العلمِ إلى أربعٍ: مدَّةٍ[١]، وجِدَةٍ[٢]، وقريحةٍ[٣]، وشهوةٍ، وتمامُها في الخامسة: مُعلِّمٌ ناصح».

❁ ❁ ❁

---

(١) **المُدَّة**: طول الزمان. [ط]

(٢) **الجِدَة**: الغِنى. [ط]

(٣) **قريحة**: طبيعة. [ط]

فصل

[بعضُ آدابِ المتعلِّم والمعلِّم]

وسأذكر طَرَفًا ممَّا يتأدَّبُ به المتعلِّم، ويكون عليه العالِم:

[آدابُ المتعلِّم]:

* **[الأدب الأول: التودُّدُ للعالِم]:**

اعْلَمْ أنَّ للمتعلِّم في زمان تعلُّمه تملُّقًا وتذلُّلًا[1]، إنْ استعملَهما غَنِم، وإنْ تركَهُما حُرِم؛ لأنَّ التملُّقَ للعالِم يُظهِرُ مكنونَ علمه، والتذلُّلَ له سببٌ لإدامة صبره، وبإظهار مكنونِه تكونُ الفائدة، وباستدامةِ صَبْرِه يكونُ الإكثار.

(٣٠١) وقد رَوى مُعاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**ليس من أخلاقِ المؤمن المَلَقُ، إلَّا في طلبِ العِلْم**»[2].

(٣٠٢) وقال عبدُاللَّه بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**ذَللتُ طالبًا، فعزَزْتُ مطلوبًا**»[3].

(٣٠٣) وقال بعضُ الحكماء: «من لم يتحمَّلْ ذُلَّ التعلُّم ساعةً، بقِيَ في ذُلِّ الجَهْلِ أبدًا».

(٣٠٤) وقال بعضُ حكماء الفُرس: «إذا قعدْتَ وأنت صغيرٌ حيثُ تُحِبُّ، قعدْتَ وأنتَ كبيرٌ حيث لا تحبُّ».

* **[الأدب الثاني: معرفةُ قدْرِ العالِم والشكرُ له]:**

ثم لْيَعرفْ له فَضْلَ عِلْمِه، وليشكُرْ له جميلَ فِعْلِه.

---

(١) التملُّق: التودد والتعطُّف. [ط]

(٢) موضوع: رواه البيهقي في «الشُّعب» (٤/ ٢٢٤)، وضعَّفه، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢١٩)، وضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٩٢ ـ بعنايتي)، وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٨١): «موضوع»، وورد ـ أيضًا ـ بلفظ «المَلَق». وضعَّفه ـ أيضًا ـ الإمام الزَّبيدي في «الإتحاف» (١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧). [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٤٦ ـ خبر ٢٧٥٨)، وجامع بيان العلم وفضله (٧٥٦).

(٣٠٥) فقد رَوَت عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ وَقَّرَ عَالِمًا فقد وَقَّرَ ربَّه**»(١).

(٣٠٦) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «لا يعرفُ فَضْلَ أَهلِ الفَضْلِ إلَّا أهلُ الفَضْل».

(٣٠٧) وقال بعضُ الشعراء(٢):

إنَّ المُعَلِّمَ والطَّبيبَ كلاهُما ... لا يَنْصحانِ إذا هما لم يُكْرمَا

فاصْبِر لِدَائِكَ إن أهنْتَ طبيبَه ... واصْبِرْ لجهلِكَ إنْ جَفَوتَ مُعلِّمًا

ولا يمنعه من ذٰلك علوُّ منزلته ـ إن كانتْ له ـ وإن كان العالِمُ خاملًا(٣)، فإنَّ العلماء بعلمهم استحقُّوا التعظيمَ، لا بالقدرة والمال.

(٣٠٨) وأنشدني بعضُ أهلِ الأدب لأبي بكر بن دُريد:

لا تَحقِرنْ عالمًا وإنْ خَلِقتْ ... أثوابُه في عيونِ رامقِهِ(٤)

وانْظُرْ إليه بعينِ ذي أدبٍ ... مُهَذَّبِ الرأْيِ في طرائِقِهِ

فالمِسْكُ بَيْنَا تراهُ مُمْتهَنًا ... بفهْرِ عطَّارِهِ وساحِقِهِ(٥)

حتَّى تراه في عارِضَيْ مَلِكٍ ... أو موضِعِ التَّاجِ مِن مَفَارقِهِ

فليكُنْ مقتديًا بهم في رَضِيِّ أخلاقهم، متشبِّهًا بهم في جميعِ أفعالهم، ليصيرَ

---

(١) موضوع: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٦٢٧)، وابن عَرَّاق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» (١/ ٢٧٤)، وقال بعده: «فيه الحكم بن عبدالله ابن خَطَّاف». **قلت**: قال فيه الإمام النسائي: «ليس بثقةٍ ولا مأمون»، وقال في موضع آخر: «ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه»، وقال الإمام أبو حاتم الرازي: «كذابٌ متروك الحديث»، وقال الدَّارَقُطْني: «كان يضعُ الحديث». [ط]
انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» للحافظ المِزِّي (٣٣/ ٣٧٩).

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء (١/ ١٠٨) غير منسوبة.

(٣) **خاملًا**: غير مشهور. [ط]

(٤) **خَلِقت**: بليت من شدة القِدَم. **الرامق**: الناظر. [ط]

(٥) **الفِهْر**: الحجر. [ط]

لها آلفًا، وعليها ناشئًا، ولِمَا خالَفَها مجانبًا.

(٣٠٩) فقد قال النبيُّ ﷺ: «**خِيارُ شبابِكُم المتشبِّهون بشيوخِكُم، وشِرَارُ شيوخِكُم المتشبِّهون بشبابكم**»[١].

(٣١٠) ورَوى ابنُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم**»[٢].

(٣١١) وأنشدني بعضُ أهل الأدب لأبي بكر بن دُرَيد:

العالِمُ العاقِلُ ابنُ نَفْسِهِ ... أغناهُ جِنْسُ عِلْمِهِ عن جِنْسِهِ

كُن ابنَ مَنْ شئْتَ وكُنْ مُؤدَّبًا ... فإنَّما المَرْءُ بفضْلِ كَيْسِهِ[٣]

وليسَ مَنْ تُكرِمُهُ لغَيْرِهِ ... مِثْلَ الذي تكرِمُهُ لنفسِهِ

* [الأدب الثالث: الحذرُ مِن بَدءِ المُزاح مع العالِم]:

ولْيَحذر المتعلِّمُ التبسُّطَ على من يعلِّمه ـ وإن آنسَهُ ـ ، والإدلال[٤] عليه ـ وإن

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٨٣)، وأبو يعلى (٧٤٨٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٨١)، وتمَّام في «الفوائد» (١٢١٠)، من حديث واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١١٨ ـ بعنايتي)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٨): «**فيه من لم أعرفهم**».
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٠٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠/ ٢٢٥)، والقضاعي (١٢٥٥)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **وضعَّفه** محقق «الشُّعب».
ورواه البيهقي في «الشُّعَب» (١٠/ ٢٢٦) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، **وضعَّفه** محقق «الشُّعَب». والحديث **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٥٧٥). ولفظُ الحديث: «**خيرُ شبابكم من تشبَّه بكُهولكم، وشرُّ كهولِكم من تشبَّه بشبابكم**». [ط]

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبو داود (٤٠٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٣)، وعبد بن حُميد (٨٤٨)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١١٣٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٩٩)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٥)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠٩)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، **وحسَّنه** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٩٨٠)، والشيخ الألباني، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، فانظر: «تحقيق المسند» (٩/ ١٢٣)، و«تحقيق سنن أبي داود» (٦/ ١٤٤). [ط]

(٣) **الكَيْس** ـ بفتح الكاف ـ : العقل. [ط]

(٤) **تدلَّل**: انبسط، وقال ابن دُريد: أدلَّ عليه: وَثِق بمحبته فأفرط عليه، لسان العرب (٢/ ٤٠٦) باب (دلل).

تقدَّمَت صحبتُه ـ .

(٣١٢) فقد قيل لبعض الحكماء[1]: «مَنْ أذلُّ النَّاسِ؟ فقال: عالِمٌ يجري عليه حكمُ جاهل».

(٣١٣) وكلَّمَتْ رسولَ اللَّه ﷺ جاريةٌ مِن السَّبْي، فقال لها: «**مَن أنتِ؟**»، فقالت: بنتُ الرَّجُلِ الجوادِ حاتم، فقال ﷺ: «**ارْحَمُوا عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ، ارْحَمُوا غنِيًّا افتُقر، ارْحَمُوا عالِمًا ضاعَ بين الجهَّال**»[2].

* [الأدبُ الرابع: الحذرُ مِن إظهار الاستغناء عنه]:

ولا يُظْهِرُ له الاستكفاءَ منهُ والاستغناءَ عنه؛ فإنَّ في ذلك كُفرًا لنعمته، واستخفافًا بحقِّه. وربَّما وجَدَ بعضُ المتعلِّمين قوةً في نفسه ـ لجَودةِ ذكائه، وحِدَّةِ خاطره ـ ، فقَصَد مَن يعلِّمُه بالإعنات له[3]، والاعتراض عليه؛ ازدراءً به، وتبكيتًا له[4].

(٣١٤) فيكونُ كمن تقدَّم فيه المثلُ السائر، لأبي البطحاء[5]:

---

(١) هو ثمامة بن أشرس أبو معن البصري، من رؤوس المعتزلة، والعبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٨٩).

(٢) **موضوع**: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (٤٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٥)، وابن الجوزي (٤٦٦)، وابن حبان (٢/ ١١٨)؛ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢١٠٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١/ ١٤١)، وعزاه العجلوني ـ أيضًا ـ في «كشف الخفا» (١/ ١٢٤) للعسكري، وذكر الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٠) أن في بعض طرقه ضعيفًا، وفي بعضها أحدُ الكذابين. وحكم عليه الشيخ عادل العزازي **بالوضع** في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٦). وقد قال ابن الجوزي: إنما يعرف هٰذا من كلام الفضيل بن عياض قوله، واللَّه أعلم.
وقد ذكر الإمام الزَّبيدي لبعض روايات هٰذا الحديث شاهدًا **جوَّد إسناده**، والظاهر من كلامه أن الحديث **حسنٌ** عنده، واللَّهُ أعلم، فانظر: «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٥٧٨). [ط]

(٣) **الإعنات**: المشقة والتضييق. [ط]

(٤) **التبكيت**: التقريع والتعنيف. [ط]

(٥) قال في لسان العرب (٣/ ٢٦٢): قال ابن بري: هٰذا البيت ينسب إلى معن بن أوس، قاله في ابن أخت له، وقال ابن دريد: هو لمالك بن فهم الأزدي، قاله في ابنه، رماه بسهم فقتله، وفي =

أُعلِّمُــهُ الــرِّمَايَةَ كُــلَّ يــومٍ ... فلمَّــا اسْــتَدَّ ســاعِدُه رَمــاني[1]

وهٰذا من مصائب العلماء، وانعكاسِ حظوظِهم؛ أن يصيروا عندَ من علَّمُوه مستجهَلين، وعندَ من قدَّمُوه مسترذَلين.

(٣١٥) وقال صالح بن عبدالقُدُّوس[2]:

وإنَّ عَــناءً أن تُعَلِّــم جــاهِلًا ... فيحسِبَ جهلًا أنه منكَ أعلَمُ

متــى يــبلُغ البُنــيانُ يــومًا تَمامَـهُ ... إذا كُــنْتَ تبنــيهِ وغيــرُكَ يَهْــدِمُ

متــى ينتهــي عــن سيئ مَنْ أَتَي بِهِ ... إذا لم يكُــنْ مــنهُ علــيه تَــنَدُّمُ

وقد رجَّحَ كثيرٌ من الحكماء حقَّ العالِم على حقِّ الوالد.

(٣١٦) حتى قال بعض الشعراء:

يــا فاخــرًا للــسِّفاهِ بالــسَّلَفِ ... وتاركًــا للعَــلاءِ والــشَّرَفِ

آبــاءُ أجــسادِنا هُــمُ سَــبَبٌ ... لأنْ جُعِلْـنا عَـوارِضَ الـتَّلَفِ[3]

مــن علَّــم الـناس كـان خَيـرَ أبٍ ... ذاكَ أبــو الـرُّوحِ لا أبــو الـنُّطَفِ

* [الأدبُ الخامس: أَلَّا يَقبلَ الشُّبهةَ منه، ولا يقلِّدُه تقليدًا أعمى]:

ولا ينبغي أنْ يبعثَه معرفةُ الحقِّ له، على قبول الشبهةِ منه، ولا يدعوه تركُ الإعناتِ له على التقليدِ فيما أَخذ عنه، فإنَّه ربَّما غَلا[4] بعضُ الأتباع في عالمِهم، حتَّى يرَوا أنَّ قوله دليلٌ ـ وإنْ لم يَستدِل ـ! وأنَّ اعتقادَه حُجَّةٌ ـ وإنْ لم يحتجَّ ـ! فيُفضي بهم الأمرُ إلى التسليم له فيما أَخذوا عنه، ويؤولُ بهم ذٰلك إلى التقصير

= الصحاح (ص٤٨٦) غير منسوب.

(١) استَدَّ ـ بالسين ـ: صار سديدَ الرمية. [ط]

(٢) الأبيات في جامع بيان العلم (٦٩٥).

(٣) لا يجوز ـ في رأيي ـ مثلُ هٰذا الكلام، إذ فيه اتِّهامٌ للآباء بأنهم جاؤوا بأبنائهم للشقاء والبلاء، وهٰذا يشبهُ ما قاله أبو العلاء المعرِّي: «هٰذا جناهُ عليَّ أبي»!! ومعلومٌ أن الشقاء أو السعادة إنما يتسبب فيها الإنسانُ لنفسه بعمله هو؛ إما صالحًا وإما طالحًا. [ط]

(٤) في المطبوعة: غالى.

فيما يصدُر منه[١] ـ لأنه يجتهدُ بحسب اجتهادِ مَنْ يأخذُ عنه[٢] ـ، فلا يبعُدُ أنْ تَبطُلَ تلك المقالةُ إنِ انفردت، أو يَخرجَ أهلُها من عداد العلماءِ فيما شاركت؛ لأنه قد لا يَرَى من يأخذُ عنهم ما كانوا يرَونه لمن أخذُوا عنه[٣]، فيطالبُهم بما قصَّروا فيه، فيضعُفوا عن إبانته، ويَعجِزوا عن نُصرته، فيذهبوا ضائعين، ويصيروا عجزةً مضعوفين.

ولقد رأيتُ من هٰـذه الطبقـةِ رجلًا يُنـاظر في مجلسِ حَفْلٍ[٤]، وقد استَدل الخَصمُ عليه بدلالةٍ صحيحة، فكان جوابه عنها أن قال: إن هٰذه دلالةٌ فاسدة، ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكُرْه الشيخُ فلا خيرَ فيه! فأمسَكَ عنه المستدِلُّ تعجُّبًا، ولأنَّ شيخه كان محتشِمًا.

وقد حضرتُ طائفةً يرَون فيه مثلَ رأيِ هٰذا الجاهل، ثم أقبل المستدِلُّ عليَّ وقال لي: واللّٰهِ لقد أفحمني بجهله! وصار سائر الناس المبرَّئين من هٰذه الجهالةِ مِن بين مستهزِئٍ، أو متعجِّبٍ، أو مستعيذٍ باللّٰه من جَهلٍ مُغْرِبٍ[٥].

فهل رأيتَ كذٰلك عالمًا أوغَلَ في الجهل، أو أدلَّ على قلَّةِ العقل؟!.

وإذا كان المتعلِّم معتدلَ الرأي فيمن يأخذُ عنه، متوسِّطَ الاعتقاد فيمن يتعلَّم منه، حتى لا يحملَهُ الإعناتُ على اعتراض المُبَكِّتين، ولا يبعثَه الغُلوُّ على تسليم المقلدين: بَرِئَ المتعلِّمُ من المَذِمَّتين، وسَلِمَ العالِمُ من الجهتين، وليس كثرةُ السؤال فيما التبس إعناتًا، ولا قبولُ ما صحَّ في النفس تقليدًا.

(٣١٧) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«العِلْمُ خزائنُ، ومفتاحُه المسألة، فاسألوا ـ رحِمكُم اللّٰه ـ؛ فإنَّما يُؤْجَرُ في العِلْمِ ثلاثةٌ: القائلُ والمستمعُ والآخِذُ»**[٦].

---

(١) أي: من المخالفات الشرعية. [ط]

(٢) أي: لأن شيخَهم ـ بدوره ـ إنما يتبعُ مَن تعلَّم منهم من مشايخه. [ط]

(٣) أي: لأن مشايخه قد يخالفون شيخهم فيما تعلَّموه منه تبعًا للدليل. [ط]

(٤) حَفْل ـ بالإضافة ـ: أي جَمْع كثير.

(٥) المُغرِب: البعيد عن الصواب. [ط]

(٦) موضوع: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤١٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٩٢)، والعسكري ـ كما في «كشف الخفا» (١٧٥٤) ـ، عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه =

(٣١٨) وقال ﷺ: «**هلَّا سألوا إذا لم يعْلَموا؟! فإنَّما شِفَاءُ العِيِّ السُّؤال**»[1].

فأمرَ بالسُّؤال وحثَّ عليه، ونَهَى آخرين عن السؤال وزجَرَ عنه:

(٣١٩) فقال ﷺ: «**أنْهاكم عن قيلٍ وقال، وكثرة السُّؤال، وإضاعةِ المال**»[2].

(٣٢٠) وقال ﷺ: «**إياكم وكَثْرَةَ السُّؤالِ، فإنَّما هَلَكَ مَن قَبْلكم بكَثْرَةِ السُّؤالِ**»[3].

وليس هٰذا مخالفًا للأوَّل، وإنَّما أَمَر بالسُّؤال مَن قَصَدَ به عِلْمَ ما جَهِل، ونَهى عنه مَن قَصَدَ به إعناتَ ما سمع. وإذا كان السُّؤالُ في موضِعهِ أزالَ الشكوكَ، ونَفَي الشُّبهة.

(٣٢١) وقد قيل لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بِمَ نِلْتَ هٰذا العلمَ؟ قال: بلسانٍ سَؤول وقلبٍ عقول»[4].

(٣٢٢) ورَوى نافعٌ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**حُسْنُ السُّؤال نِصْفُ العِلم**»[5].

= الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٤٢)، وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٧٨): «**موضوع**». وانظر: «إتحاف السادة المتقين» (١/ ١٤٩).

ووردت الجملة الأولى عند الدارمي (٥٤٩)، وأبي نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٣)، من كلام الزهري ـ **بسندٍ ضعيف** ـ كما قال الشيخ حسين الداراني. [**ط**]

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠)، وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١١٦٣)، والدَّارَقُطْني (١/ ٣٤٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [**ط**]

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٦)، والبخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)؛ عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [**ط**]

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨)، والبخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، والترمذي (٢٦٧٩)، والنسائي (٢٦١٩)، وفي «الكبرى» (٣٥٨٥)، وابن ماجه (٢)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٤٢)، ومحاضرات الأدباء (١/ ١٠٠) منسوبة إلى دغفل بن حنظلة.

(٥) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٧٤٤)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٥/ ٢٥٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣)، والديلمي (٢٧١٦)، والأزدي في «الضعفاء» ـ كما في «كنز العمال» (٢٩٢٦٢) ـ؛ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وضعَّفه** الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/ ٨٥ ـ ترجمة مُخيِّس بن تميم)، **وأقرَّه** الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/ ١١)، **وضعَّفه** =

(٣٢٣) وأنشد المبرِّدُ عن أبي سُليمان الغَنَوي[١]:

فَسَلِ الفَقيهَ تكُنْ فقيهًا مِثْلَهُ ... لا خَيْرَ في عِلْمٍ بغَيْرِ تَدَبُّرِ
وإذا تَعَسَّرَتِ الأمُورُ فأَرْجِها ... وعليكَ بالأمرِ الذي لم يَعْسُرِ[٢]

*** [الأدب السادس: أخذُ العلم ممَّن ينتفع منه ـ مشهورًا كان أو خامِلًا ـ]:**

وليأخذ المتعلِّمُ حَظَّه ممن وجدَ طَلِبتَه عنده؛ من نبيهٍ وخامِلٍ، ولا يطلب الصيتَ وحُسْن الذِّكرِ باتباع أهلِ المنازلِ[٣] من العُلماء، إذا كان النَّفْعُ بغيرهم أعمَّ، إلَّا أن يستويَ النفعان، فيكون الأخذُ عمَّن اشتُهر ذكرُهُ وارتفع قدْرُه أولى؛ لأنَّ الانتساب إليه أجملُ، والأخذَ عنه أشهَر.

(٣٢٤) وقد قال الشاعر:

إذا أنتَ لم يُشْهِرْكَ عِلْمُكَ لم تَجِدْ ... لِعِلْمِكَ مخلوقًا مِن النَّاسِ يَقْبلُهْ
وإن صَانَكَ العِلْمُ الذي قَدْ حَمَلْتَه ... أتاكَ لهُ مَن يَجتبيكَ ويَحْمِلُهْ

فإذا قرُبَ منك العِلمُ فلا تطلُبْ ما بعُد، وإذا سهُلَ عليك من وجهٍ فلا تطلب ما صعُب، وإذا حَمِدْتَ من خَبِرْتَه فلا تطلبْ مَن لم تختبرْه؛ فإنَّ العدولَ عن القريب إلى البعيد عناء، وتركَ الأسْهَلِ بالأصعب بَلاء، والانتقالَ من المخبور إلى غيره خَطَر.

(٣٢٥) وقد قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عُقْبى الأخْرَق مَضَرَّة، والمتعسِّفُ[٤] لا تدومُ له مَسَرَّة».

(٣٢٦) وقال بعضُ الحكماء: «القَصدُ أسهَلُ من التعسُّفِ، والكفُّ أودَعُ من

= ـ أيضًا ـ الإمام المِزِّي في «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢٢٠)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٢٨٦)، بينما حكم عليه **بالوضع** في «الضعيفة» (١٥٧). [ط]

(١) لم أعرفه، والعبارة في جامع بيان العلم (١/ ٣٨١) منسوبة لابن الأعرابي.

(٢) **أَرْجِها**: أخِّرها. [ط]

(٣) يقصد المشهورين المرموقين. [ط]

(٤) **المتعسِّف**: المبالغ في الأمور. [ط]

التكلُّف».

وربما تَتبَّعَتْ نفسُ الإنسان مَا بعُدَ عنهُ استهانةً بمن قرُبَ منه، وطلَبَ ما صعُبَ احتقارًا لمَا سهُلَ عليه، وانتقل إلى من لم يخبُره مَلَلًا لمن خَبِرَه، فلا يدرِكُ محبوبًا، ولا يظفرُ بطائل.

(٣٢٧) وقد قالت العربُ في أمثالها: «العَالِم كالحَمَّة[١]، يأتيها البُعَدَاء، ويزهَدُ فيها القُرَباء»[٢].

(٣٢٨) وأنشدني بعضُ شيوخنا، لمسيح بن حاتم[٣]:

لا تَرى عالِمًا يَحُلُّ بِقومٍ ... فيُحِلُّوهُ غَيْرَ دارِ الهَوانِ

قلَّما تُوجَدُ السَّلامةُ والصِّحَّةُ ... مجموعتين في إنسانِ

فإذا حَلَّتا مكانًا سَحِيقًا ... فَهُما في النُّفوس مَعشُوقانِ

هٰذه مكَّةُ العزيزة[٤] بَيْتُ اللَّه ... يَسْعَى لِحَجِّها الثَّقَلانِ

وتَرى أَزْهَدَ البرِيَّةِ في الحَجِّ ... لَها أهلَها لِقُرْبِ المَكانِ

❁ ❁ ❁

(١) الحَمَّةُ: عين ماء فيها ماء حار يستشفى بالغسل منه، لسان العرب (٢/ ١٦٢) باب (حمم).
(٢) العبارة في: محاضرات الأدباء (١/ ١٠٥).
(٣) لم أجده، والله أعلم.
(٤) في المطبوعة: المنيعة.

فصل
[آدابُ العلماء]

فأمَّا ما يجبُ أن يكونَ عليه العلماءُ من الأخلاق ـ التي هي بهم أليقُ، ولهم ألزَمُ ـ:

* **[الأدب الأول: التواضُع]:**

فالتواضُعُ ومجانَبَةُ العُجْب؛ لأنَّ التَّواضعَ عَطُوف، والعُجْبَ مُنَفِّر، وهو بكُلِّ أحدٍ قبيحٌ، وبالعلماء أقبَح، لأنَّ الناسَ بهم يقتدون، وكثيرًا ما يُداخِلُهم الإعجابُ؛ لتوحُّدِهم بفضيلةِ العلم، ولو أنهم نظروا حقَّ النَّظَر، وعمِلُوا بموجِب العِلم، لكان التواضُعُ بهم أَولَى، ومجانَبةُ العُجْبِ بهم أحْرَى، لأنَّ العُجْبَ نَقْصٌ ينافي الفَضل.

(٣٢٩) لا سيَّما مع قولِ النَّبي ﷺ: «**إن العُجْبَ ليأكُلُ الحَسَناتِ، كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ**»[1].

فلا يفي ما أدرَكُوه من فضيلةِ العِلمِ بما لحِقَهم من نَقْصِ العُجْب.

(٣٣٠) وقد رَوى عبدُاللَّه بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قليلُ الفقهِ خيرٌ من كثير العِبَادة، وكَفَى بالمرءِ عِلْمًا إذا عَبَدَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وكَفَى بالمرءِ جَهْلًا إذا أُعْجِبَ برأيه**»[2].

(١) لا أعلم له أصلًا، والعلم عند ربي. والذي ورد عنه ﷺ ـ في نحو هٰذا المعنى ـ أن الذي يأكل الحسنات هو الحسد، وسيأتي تخريجه ـ إن شاء اللَّه ـ. [ط]
وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٤٨) عن يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إياكم والعُجبَ فإن العُجبَ مَهلكةٌ لأهله، وإن العُجبَ ليأكُلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطب».

(٢) ضعيف: أخرجه ابن عبدالبر في «الجامع» (٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٩٨)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٢/ ٢٦٥)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥)، وتمَّام في الفوائد (٩٥)، عن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١١١)، و«الضعيفة» (٥١٥٥).
وورد بلفظ: «**يسيرُ الفقهِ خيرٌ من كثيرِ العبادة**»، عند الطبراني في «الكبير» (٢٨٦) ـ من حديث عبدالرَّحْمٰن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٤). [ط]

(٣٣١) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلَّمُوا العِلم، وتعلَّموا للعِلْم السكينةَ والحِلْم، وتواضَعُوا لمن تَعَلَّمون منه، ولْيَتواضَعْ لكُم مَنْ تُعَلِّمُونه، ولا تكونُوا من جَبابرة العُلماء؛ فلا يقوم عِلْمُكم بجهلكم»[١].

(٣٣٢) وقال بعضُ السلف: «مَن تَكبَّر بعلمه وترفَّعَ وضَعه اللَّه به، ومَنْ تواضَعَ بعلمه رَفَعه اللَّه به».

وعلَّةُ إعجابِهم: انصِرافُ نظرِهم إلى كثرةِ مَن دونَهم من الجهال، وانحرافُ نظرِهم عَمَّن فوقَهم من العلماء؛ فإنَّه ليس مُتناهٍ في العلمِ إلَّا وسيجِدُ مَن هو أعلَم منه؛ إذ العلمُ أكثرُ مِن أن يُحيطَ به بشرٌ.

قال اللَّه تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف]، يعني في العلم.

(٣٣٣) قال أهلُ التأويل: «يعني فوق كُلِّ ذي عِلْمٍ مَنْ هو أعلَمُ منه، حتَّى ينتهي ذٰلك إلى اللَّه تعالى».

(٣٣٤) وقيل لبعض الحكماء: «مَن يعرِفُ كلَّ العِلْم؟ قال: كلُّ النَّاس».

(٣٣٥) وقال الشعبيُّ: «ما رأيتُ مثلي، وما أشاء أن ألقَى رجلًا أعلمَ منى إلَّا لقيتُه».

لم يذكر الشعبيُّ هٰذا القولَ تفضيلًا لنفسه، فيُستقبَحَ منه، وإنما ذكَره تعظيمًا للعلم عن أن يُحاطَ به، فينبغي لمن عَلِم أن ينظُر إلى نفسه بنقصِ ما قصَّر فيه، ليسلَمَ مِن عُجْب ما أدرك منه.

(٣٣٦) وقد قيل في منثور الحكم: «إذا علِمْتَ فلا تُفكِّر في كثرةِ مَن دونكَ من الجهَّال، ولٰكن انظر إلى من فوقَكَ من العلماء»[٢].

(٣٣٧) وأُنشِدْت لابن العميد[٣]:

---

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢٧٥)، وأحمد في «الزهد» (ص١٤٩)، وابن عبدالبر في «الجامع» (٨٩٣)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (١٧٨٩)، والخطيب في «الجامع» (٤١) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.

(٢) العبارة في الوافي بالوفَيات (١٧/ ٤٤٩) منسوبة لعبداللَّه بن المعتز.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد الكاتب، أبو الفضل، ابن العميد الوزير العلامة، كان آيةً في =

مَـنْ شَـاءَ عَيْـشًا هنيـئًا يستفيدُ بهِ ... في ديـنِهِ ثُـمَّ في دُنـياه إقـبالَا
فلْيَنظُـرنَّ إلى مَـنْ فـوقَهُ أدبًـا ... ولْيَنظُـرنَّ إلى مَـنْ دُونَـه حـالَا

وقلَّما تجدُ بالعلْم مُعْجَبًا وبما أدركه منه مفتخِرًا؛ إلَّا مَن كان فيه مُقِلًّا ومقصِّرًا؛ لأنَّه قد يجهلُ قَدْرَه، ويحسَبُ أنه قد نال بالدخول فيه أكثرَه، فأمَّا مَن كان فيه متوجِّهًا، ومنه مستكثِرًا، فهو يعلَمُ من بُعْدِ غايته والعجزِ عن إدراك نهايته ما يصدُّه عن العُجْب به.

(٣٣٨) وقد قال الشعبيُّ: «العلمُ ثلاثةُ أَشْبار؛ فمَن نال منه شبرًا شمَخَ بأنفه، وظنَّ أنه ناله، ومَن نال الشِّبْرَ الثاني صغُرتْ إليه نفسُه، وعلِمَ أنه لم ينله، وأمَّا الشِّبْرُ الثالثُ فهيهاتَ لا ينالُه أحدٌ أبدًا».

ومما أُنذركَ به من حالي: أنني صنفتُ كتابًا في «البيوع»، جَمعتُ فيه ما استطعتُ من كُتب الناس، وأجهدتُ فيه نفسي، وكددتُ فيه خاطري، حتى إذا تَهذَّبَ واستكمل، وكدتُ أُعجب به، وتصورتُ أنني أشدُّ الناس اضطلاعًا بعلمه، حضرني ـ وأنا في مجلسي أعرابيان ـ ، فسألاني عن بيعٍ عقَداهُ في البادية، على شروطٍ تضمنت أربعَ مسائل، لم أعرف لواحدةٍ منهن جوابًا، فأطرقتُ مفكرًا وبحالي وحالِهما معتبِرًا، فقالا: ما عندك فيما سألناك جواب؛ وأنت زعيمُ هٰذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: واهًا لك! وانصرفا، ثم أتيا مَن قد يتقدمُه في العلم كثيرٌ من أصحابي، فسألاه فأجابَهما مسرعًا بما أقنعهما، وانصرفا عنه راضيَينِ بجوابه، حامدَينِ لعلمه، فبقيتُ مرتبكًا، وبحالهما وحالي معتبِرًا، وإنى لعلى ما كنتُ عليه في تلك المسائل إلى وقتي.

فكان ذٰلك زاجرَ نصيحةٍ، ونذيرَ عِظة، تَذَلَّلَ بهما قيادُ النفس، وانخفض لهما جَناحُ العجب، توفيقًا مُنِحتُه، ورُشدًا أُوتيتُه، ويَحِقُّ على مَن ترك العُجبَ بما يُحسِنُ أن يدَعَ التكلُّفَ لِما لا يُحسن، فقد نُهي الناسُ عنهما، واستعاذوا باللّٰه منهما.

= الترسل والإنشاء، فيلسوفًا، مُتهمًا برأي الحكماء، حتى كان يُنظر بالجاحظ، توفي عام (٣٦٠).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٧٥)، الوافي بالوفيات (٢/ ٣٨١)، شذرات الذهب (٤/ ٣١٢).

(٣٣٩) ومن أوضح ذلك بيانًا: استعاذة الجاحظ[١] في كتاب «البيان»، حيث يقول: «اللَّهم إنا نعوذُ بك من فتنةِ القول، كما نعوذُ بك من فتنةِ العمل، ونعوذُ بك من التكلُّفِ لما لا نحسن، كما نعوذُ بك منَ العُجب بما نُحسِن، ونعوذُ بك من شَرِّ السَّلاطةِ والهَذَر[٢]، كما نعوذُ بك من شَرِّ العِيِّ والحَصَر»[٣].

ونحن نستعيذُ باللَّه تعالى بمِثل استعاذته، فليس لمن تكلَّف ما لا يُحسِنُ غايةٌ ينتهي إليها، ولا حدٌّ يقفُ عندَه، ومَن كان تكلُّفُه غيرَ محدود، فأخلِقْ به أن يَضِلَّ ويُضِلَّ.

(٣٤٠) وقد رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**مَن سُئل فأَفتى بغير عِلْم، فقدْ ضَلَّ وأَضَلَّ**»[٤].

(٣٤١) وقال بعضُ الحكماء: «مِنَ العِلْم ألَّا تتكلَّمَ فيما لا تعلَمُ بكلام مَنْ يعلَمُ، فحسبُكَ خجلًا من عقلك أن تنطِقَ بما لا تفهم».

(٣٤٢) ولقد أحسنَ زُرارةُ بن زيد[٥] حيثُ يقول:

إذا ما انتهى عِلْمي تناهَيْتُ عندَهُ ... أطالَ فأَمْلَى أو تناهَى فأقصَرا

ويُخبرني عن غائبِ المَرءِ فِعْلُهُ ... كَفَى الفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ المرءُ مُخْبِرا

فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعِلْم سبيلٌ فلا عَارَ أن يجهلَ بعضَه، وإذا لم يكن

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ، كان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة، توفي عام (٢٥٥).
ترجمته في: الفهرست (٢٠٨)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠)، معجم الأدباء (٥/ ٢١٠١).

(٢) **الهَذَر**: الكلام السيئ أو الفارغ. [ط]

(٣) العبارة في البيان والتبيين (١/ ٣) مقدمة المؤلف.

(٤) **صحيح ـ بنحوه ـ**: رواه أحمد (٢/ ١٩٠)، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٧٦)، وابن ماجه (٥٢)، عن عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُه من الناس، ولكنْ يَقبِضُ العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتَّخذ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا؛ فسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلوا**». [ط]

(٥) لم أجده، والأبيات في محاضرات الأدباء (١/ ١٠٢)، وعيون الأخبار (٢/ ١٥٠) غير منسوبة.

في جهل بعضِه عارٌ لم يقبُحْ به أن يقولَ: «لا أعلَمُ»، فيما ليس يعلَمُ.

(٣٤٣) وقد رُوي أنَّ رجلًا قال: يا رسول اللَّه، أيُّ البِقَاعِ خيرٌ، وأيُّ البِقَاعِ شرٌّ؟ فقال ﷺ: «**لا أدري حتى أسأَلَ جبريل**»(١).

(٣٤٤) وقال عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما أبردَها على الكبد! إذا سُئِل أحدكم عمَّا لا يعلَمُ، أن يقول: اللَّه أعلم(٢)؛ فإن العالِمَ مَن عَرَفَ أنَّ ما يعلَمُ فيما لا يعلَمُ قليلٌ».

(٣٤٥) وقال عبدُاللَّه بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إذا ترك العالِمُ قَوْلَ «لا أدري» أصيبت مقاتلُه»(٣).

(٣٤٦) وقال بعضُ العلماء: «هَلكَ مَنْ تَرَكَ: لا أدري».

(٣٤٧) وقال بعضُ الحكماء: «ليس لي من فضيلة العِلْم إلَّا علمي بأني لستُ أعلمُ»(٤).

(٣٤٨) وقال بعضُ البلغاء: «مَنْ قال: «لا أدري» عُلِّم فدَرَى، ومن انْتَحَل ما لا يدرِي أُهمِلَ فهَوى».

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن حبَّان (١٥٩٩)، والبيهقي (٣/ ٦٥)، والحاكم (١/ ٩٠)، عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأورده الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٦)، وقال: «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، لكنه اختلط في آخر عمره، وبقية رجاله موثقون»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن حِبَّان (٤/ ٤٧٦)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» (٢٠١).

وورد الحديث من رواية جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه أحمد (٤/ ٨١)، والحاكم (١/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٢٨)، وأبو يعلى (٧٤٠٣)، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وأقرَّ** الحاكمَ الحافظُ المنذريُّ في «الترغيب» (ح٤٩١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٣٤): «رجال الصحيح؛ خلا عبداللَّه بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث، وفيه كلام»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٥)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) أخرجه الخطيب في «الفقيه» (٢/ ١٧١) وابن عبدالبر في «الجامع» (١٥٦٩) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) العبارة في «عيون الأخبار» (٢/ ١٥٠ ـ خبر ٢٨٠٤)، و«جامع بيان العلم» (١٥٨١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) العبارة في «عيون الأخبار» (٢/ ١٥١ ـ خبر ٢٨١٣) غير منسوبة.

ولا ينبغي للرجل ـ وإن صار في طبقةِ العلماء الأفاضل ـ أن يستنكِفَ من تعلُّم ما ليس عندَه، ليسلَمَ من التكلُّف له.

(٣٤٩) وقد قال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا صاحبَ العِلْم، تعلَّمْ منَ العِلمِ ما جَهِلْتَ، وعلِّم الجُهَّال ما علِمتَ».

(٣٥٠) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَمْسٌ خذوهن عنى، فلو ركِبتم الفُلْكَ ما وجدتموهنَّ إلا عندي: ألَا لا يرجُوَنَّ أحدٌ إلا ربَّه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبَه، ولا يستنكفْ أن يتعلمَ ما ليس عنده، وإذا سُئل عما لا يعلمُ فليقل: «لا أعلم»، ومنزلةُ الصبر من الإيمانِ بمنزلة الرأس من الجسد»[١].

(٣٥١) وقال عبدُاللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لو كان أحد مكتفيًا من العلم لاكتفى منه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف]».

(٣٥٢) وقيل للخليل بن أحمد: «ممن أدركت هٰذا العلم؟ قال: كنت إذا لقيتُ عالمًا أخذتُ منه وأعطيتُه».

(٣٥٣) وقال بُزُرْجَمِهْر: «منَ العلم ألَّا تَحقِرَ شيئًا منَ العلم، ومن العلم تفضيلُ جميعِ العلم».

(٣٥٤) وقال المنصور لشَريك[٢]: «أنَّى لك هٰذا العلم؟ قال: لم أرغَبْ عن قليلٍ أستفيده، ولم أبخَلْ بكثيرٍ أُفيده».

على أنَّ العِلْم يقتضي ما بقي منه، ويستدعِي ما تأخَّر عنه، وليس للراغب فيه قناعةٌ ببعضه.

(٣٥٥) روى عونُ بن عبداللَّه، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «مَنْهومان لا يَشبعان: طالبُ علمٍ، وطالبُ دُنيا؛ أمَّا طالبُ العِلْم، فإنَّه يزدادُ من الرَّحْمٰن قربًا، ثم

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٤٢ ـ خبر: ٢٧٣٨)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٣).

(٢) شَريك بن عبداللَّه بن أبي شريك النخعي، أبو عبداللَّه الكوفي القاضي، أدرك زمان عمر بن عبد العزيز.
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٨).

قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وأمَّا طالبُ الدُّنيا، فإنَّه يزداد طغيانًا، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]»[1].

* [الأدب الثاني: استقلال[2] ما يُحصِّلُه من العلم]:

وليكن مستقلًّا للفضيلة منه ليزدادَ منها، ومستكثِرًا للنقيصة فيه؛ لينتهيَ عنها، ولا يقنَع من العِلْم بما أدركَ منه؛ لأنَّ القناعة فيه زهدٌ، والزُّهدَ فيه تَرْكٌ، والتَّرْكُ له جَهْل.

(٣٥٦) وقد قال بعض الحكماء: «عليكَ بالعِلْم والإكثار منه؛ فإنَّ قليله أشبَهُ شيءٍ بقليل الخير، وكثيرَه أشبهُ شيءٍ بكثيره، ولن يعيبَ الخيرَ إلَّا القِلةُ، فأمَّا كَثْرَتُه فإنَّها أمنية».

(٣٥٧) وقال بعضُ البلغاء: «مِن فَضْلِ علمِك استقلالُكَ لِعلمِك، ومِن كمال

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٤٤)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٠٠٩)، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.
وأخرج الطبراني في «الكبير» (١٠٣٨٨)، والقضاعي في «الشهاب» (٣٢٢)، وابن الجوزي في «العلل» (١١١)، والشاشي في «مسنده» (٦٩٢)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مرفوعًا ـ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَنهُومانِ لا يَشْبعان: طالبُ علم، وطالبُ دنيا**»، **وضعَّفه** الإمام ابن الجوزي في «العلل»، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٨٠). لٰكن المتن **حسن بشواهده**، وانظر ما بعده.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٧٦)، و«الأوسط» (٥٦٧٠)، وابن الجوزي في «العلل» (١١٢)، والبزار (١٦٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٨٤)، وأبو خيثمة في «العلم» (١٤١)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٨٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٣٥)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني بشواهده في «كتاب العلم» لأبي خيثمة (ص٥٦)، و«صحيح الجامع» (١١٥٧).
وورد ـ أيضًا ـ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه الحاكم (١/ ١٦٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٢/ ٤٩٧)، وفي «المدخل» (٤٥٠، ٤٥١)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وتعقبهما الشيخ الألباني، لٰكنه **صحَّح** الحديث بشواهده في «المشكاة» (٢٦٠)، **وأقرَّه** الشيخ المحقق عامر ابن ياسين في تحقيقه القيم لكتاب «صيد الخاطر» (ص٢٩٨).
وأخرجه الدارمي (٣٤٦)، وأحمد في «الزهد» (ص٢١٥)، وابن عبدالبر (٥٨٣)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٤١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله. [ط]

(٢) **الاستقلال**: رؤيته قليلًا. [ط]

عَقْلِك استظهارُك على عقلك[١]، ولا ينبغي أن يجهلَ من نفسِه مَبلَغَ علمها، ولا أن يتجاوزَ بها قدْرَ حقِّها، ولأَنْ يكون بها مقصِّرًا فيُذعِنَ بالانقياد، أَوْلَى من أن يكونَ بها مجاوزًا فيكُفَّ عن الازدياد؛ لأنَّ من جَهِلَ حالَ نفسِه كان لغيرها أجهل».

(٣٥٨) وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول اللَّه، متى يَعرفُ الإنسانُ ربَّه؟ قال: «**إذا عَرَفَ نفسهُ**»[٢].

وقد قسم الخليلُ بن أحمدَ أحوالَ النَّاس ـ فيما عَلِموه أو جهِلُوه ـ أربعةَ أقسامٍ متقابلة، لا يخلو حالُ الإنسان منها.

(٣٥٩) فقال: «الرجال أربعة: رجلٌ يدري؛ ويدري أنه يدري، فذٰلك عالِمٌ فاسألوه، ورجلٌ يدري؛ ولا يدري أنه يدري، فذٰلك ناسٍ فذكِّروه، ورجلٌ لا يدرِي؛ ويدري أنه لا يدري، فذٰلك مسترشِدٌ فعلِّموه، ورجلٌ لا يدرِي؛ ولا يدري أنه لا يدري، فذٰلك جاهلٌ فارفضُوه»[٣].

(٣٦٠) وأنشد أبو القاسم الآمِديُّ[٤]:

إذا كـنْتَ لا تـدرِي ولَـم تـكُ بالـذي يـسائِلُ مَـن يدري فكيفَ إذنْ تدرِي؟!

---

(١) **الاستظهار**: الانتصار. والمقصود: أن تجعل عقلَك يُذعِنُ لأوامر مولاه ـ حتى لو لم يقتنع العقلُ بها ـ ؛ لأن العقل ـ مهما بلغ ومهما وصل ـ ، فهو في النهاية مخلوقٌ ضعيفٌ عاجزٌ قاصر، وجهلُه أكثر من علمه، فإذا لم يَفهم شيئًا على وجهه، فعليه بالتسليم للعليم الخبير تبارك وتعالى، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) موضوع: ذكره الإمام العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٣١٢)، ونقل عن الإمام النووي قوله: «ليس بثابت»، وعن الإمام ابن تيمية قوله: «موضوع». وعن الإمام أبي المظفر قوله: إنه لا يُعرف مرفوعًا، وإنما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي من قوله.
قلت: وكذا نقل الإمام القاري في «الأسرار المرفوعة» (ص٣٥٢)، والإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١١)، واقتصر الشيخ محمد بن خليل الطرابلسي في «اللؤلؤ المرصوع» (ص٥٩٤) على كلام الإمام ابن تيمية، واقتصر العلَّامة مرعي الكرمي على كلام الإمام النووي، وأقرَّه في «الفوائد الموضوعة» (ص١٠٣)، وكذا الشيخ الجد العامري في «البيان الحثيث فيما ليس بحديث» (ح٥٢٤)، والعلامة محمد الأمير في «النخبة البهية» (ح٣٦٤/ ١) [ط]

(٣) العبارة في «عيون الأخبار» (٢/ ١٥١ ـ خبر ٢٨١٤) و«جامع بيان العلم» (١٥٣٨).

(٤) لم أجده، واللَّه أعلم.

جهِلْتَ ولم تَعْلَمْ بأنَّكَ جاهِلٌ ... فمن لي بأن تدرِي بأنَّكَ لا تدري؟!
إذا جِئْتَ في كُلِّ الأمورِ بِغُمَّةٍ(١) ... فكُنْ هٰكذا أرضًا يَطَأْكَ الذي يَدْري
ومِنْ أعجَبِ الأشياءِ أنَّك لا تدرِي ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري!!

* [الأدبُ الثالث: أن يكونَ عامِلًا بعلمه]:

وليكنْ من شيمتِه العملُ بعلمه، وحثُّ النفسِ على أن تأتمرَ بما يأمر به، ولا يكن ممَّن قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا(٢) كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة].

(٣٦١) وقد قال قتادةُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨]: «يعني: أنهُ لَعَاملٌ بما علِم»(٣).

(٣٦٢) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ويلٌ لأقماعِ القولِ(٤)، ويلٌ للمُصِرِّينَ، [الذين يُصِرُّون على ما فَعلُوا وهم يَعلَمون](٥)**»(٦).

يريد ـ واللَّه أعلم ـ الذين يَستمعون القولَ ولا يعمَلون به.

---

(١) **الغُمَّة**: الشيء الذي لا يفهم. [ط]
(٢) فاللَّهُ تعالى حَمَّلَهم إياها، لٰكنهم أعرضوا عنها ونبذوها. [ط]
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٠)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢).
(٤) **الأقماع**: جَمع «قُمع»، وهو الوعاءُ المعروف الذي له فتحةٌ متَّسعةٌ من أعلى ضيقةٌ من أسفل؛ شبَّههم بها النبيُّ ﷺ لأنهم لا يَعُونَ العلمَ الذي يسمعونه، لٰكنه يدخل من هنا، ويخرج من هناك، نعوذ باللَّهِ من ذٰلك. [ط]
(٥) ما بين المعكوفتين من مصادر التخريج. [ط]
(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٢٢)، والبيهقي في «الشُّعب» (٧٢٣٦) و(١١٠٥٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٨٢)، وعبد بن حُميد (٣٢٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٥٥)، عن عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩١): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير «حبان بن زيد الشرعبي»، وثقه ابن حبان، ورواه الطبراني كذٰلك». **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٧)، و«الصحيحة» (٤٨٢). [ط]

(٣٦٣) ورَوَى عبدُاللَّه بن وهب، عن سفيان: «أنَّ الخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ابنَ عمران، تعلَّم العِلمَ لتعملَ به، ولا تتعلَّمه لتُحدِّث به، فيكونَ عليك بُورُه[1]، ولغيرك نُورُه».

(٣٦٤) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّما زهِد الناسُ في طلب العلم لِمَا يَرون مِن قلَّة انتفاع مَن عَلِمَ بما عَلِم».

(٣٦٥) وقال أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أخوفُ ما أخافُ ـ إذا وقفتُ بين يدي اللَّه تعالى ـ أن يقول: قد عَلِمْتَ؛ فماذا عَمِلتَ؟».

(٣٦٦) وكان يقال: «خيرٌ منَ القَولِ فاعلُه، وخيرٌ منَ الصَّواب قائلُه، وخيرٌ منَ العِلْم حاملُه».

(٣٦٧) وقيل في منثور الحكم: «لم ينتفِعْ بعِلْمِه مَن تَرَك العملَ به».

(٣٦٨) وقال بعض العلماء: «ثَمرةُ العِلْم أن يُعمل به، وثمرةُ العملِ أن يُؤْجَرَ عليه».

(٣٦٩) وقال بعض الصلحاء: «العِلْمُ يهتِفُ بالعمل؛ فإن أجابه وإلَّا ارتحَلَ»[2].

(٣٧٠) وقال بعضُ الحكماء: «خيرُ العِلْم ما نَفَع، وخيرُ القَوْل ما رَدَع».

(٣٧١) وقال بعضُ الأدباء: «ثمرةُ العلوم العملُ بالمعلوم».

(٣٧٢) وقال بعضُ البلغاء: «مِن تمام العِلْم استعمالُه، ومِن تمامِ العمل استقلالُه[3]، فمَن استعملَ عِلْمَه لم يَخْلُ مِن رَشاد، ومَن استقلَّ عملَه لم يُقصِّر عن مُراد».

(٣٧٣) وقال أبو تمَّام الطائي:

ولم يَحْمَدوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عامِلٍ ... خِلافًا ولا مِنْ عامِلٍ غيرِ عالِمِ
رأَوْا طُرُقاتِ المَجْدِ عُوْجًا فظيعةً ... وأقطعُ عَجْزٍ عندَهم عَجْزُ حازمِ[4]

---

(١) البُور: الهلاك. [ط]

(٢) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٦٩) غير منسوبة.

(٣) استقلاله: رؤيته قليلًا ـ كما سلف ـ. [ط]

(٤) عُوجًا: متعرِّجةً مرهقةً. [ط]

ولأنَّه لما كان علمُه حُجَّةً على من أَخَذ عنهُ واقتبسَه منه، حتى يُلزمَه العملَ بهِ والمصيرَ إليه: كان عليه أحجَّ، وله ألزمَ، لأنَّ مرتبة العلم قبلَ مرتبةِ القَوْل؛ كما أنَّ مرتبة العِلْم قبلَ مرتبةِ العمل.

(٣٧٤) وقد قال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ:

اسْمَعْ إلى الأحْكامِ تَحْمِلُها ... الـرُّواةُ إليك عَنْكا

واعْلَمْ هُدِيتَ بأنَّها حُجَجٌ ... تكُونُ عليكَ مِنْكا

ثم لْيَتجنب أن يقولَ ما لا يفعلُ، وأن يأمُرَ بما لا يأتمِر[1]، وأن يُسِرَّ غيرَ ما يُظْهِرُ.

(٣٧٥) ولا يجعل قولَ الشاعر هٰذا[2]:

اعْمَلْ بقولي وإنْ قَصَّرتُ في عَمَلي ... ينفعْكَ قَوْلي ولا يَضْرُرك تَقْصيري

عذرًا له[3] في تقصيره فيَضرَّه - وإن لم يضرَّ غيرَه - ؛ فإنَّ إعذارَ النَّفس يُغريها، ويحسِّن لها مساويَها؛ فإنَّ من قال ما لا يفعل فقد مَكَر، ومن أَمَر بما لا يأتمِرُ فقد خَدَع، ومن أسرَّ غيرَ ما يُظهِرُ فقد نافَق.

(٣٧٦) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**المَكرُ والخَدِيعةُ صاحبُهما في النَّار**»[4].

(١) سبق البيان أن الصحيح خلافُ هٰذا، فراجع التعليق على الأثر (١١٥). [ط]

(٢) الأبيات في المعارف (ص٥٤٢) منسوبة للخليل بن أحمد.

(٣) هٰذا تتمةُ قوله: «ولا يجعل قول الشاعر...»، فكلمة عذرًا مفعول ثانٍ لـ«يجعل». [ط]

(٤) صحيح: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٥/ ٣٦٧)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٣٨١)، وابن عدي (٦/ ٢٠٩٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٣٦)، والبزار (١٠٣ «كشف»)، والعُقيلي (٣/ ١١٨)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٠٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٠٢)، بينما قال الشيخ حَمدي السلفي في تحقيق «مسند الشاميين»: «**له شواهد**».

وأخرجه ابن حِبَّان (٥٥٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٣٤)، وفي «الصغير» (٧٣٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٣)، وأبو بكر القطيعي في «جزء الألف دينار» (١٣٦)، وعزاه في «كشف الخفا» للديلمي (٢٣٢٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجوَّده الحافظ =

على أنَّ أمرَهُ بما لا يأتمِرُ مُطَّرَح[١]، وإنكارَهُ ما لا ينكِرُه من نفسه مستقبَح؛ بل ربَّما كان ذٰلك سببًا لإغراء المأمور بتَركِ ما أُمِرَ به عنادًا، وارتكاب ما نُهي عنه كِيادًا[٢].

(٣٧٧) وحُكي أن أعرابيًّا أَتى ابنَ أبي ذِئب، فسأله عن مسألةِ طلاقٍ، فأفتاه بطلاق امرأته، فقال: «انظر حسنًا[٣]! قال: نظرْتُ، وقد بانَتْ منكَ. فولَّى الأعرابيُّ وهو يقول:

أَتَيْتُ ابن ذئبٍ أبتغي الفِقْهَ عندَه — فطلَّق حتى البَتَّ تَبَّتْ أناملُهْ!

أُطلِّقُ في فَتْوى ابنِ ذئبٍ حَليلتي — وعند ابن ذئبٍ أهلُه وحَلائلُهْ!

فظنَّ ـ بجهله ـ أنه لا يلزمُه الطلاقُ بقولِ مَن لم يلتزم الطَّلاقَ! فما ظنُّك بقولٍ يجب فيه اشتراكُ الآمرِ والمأمور، كيفَ يكونُ مقبولًا منه، وهو غيرُ عاملٍ به، ولا قابلٍ له؟! كَلَّا.

(٣٧٨) وقال أحمد بن يوسُف[٤]:

= المنذري في «الترغيب» (٢٧٢١)، وصحَّحه الشيخ بدر البدر في تحقيق «جزء الألف دينار»، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٦٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٩٤).
وأخرجه ابن عساكر (٤٩/ ٤٢٣)، وابن عدي (٢/ ٤٠٩)، والبيهقي (٥٢٦٨)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٣)، عن قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام ابن عدي في ترجمة «الجراح بن مُليح» ـ بعد إخراجه ـ : «لا بأس به وبرواياته»، وقوَّاه الحافظ الذهبي ـ كما في «الصحيحة» (١/ ٢٣٥) ـ ، وقال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٣٥٦): «إسناده لا بأس به»، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» ـ الموضع السالف ـ . [ط]

(١) مطَّرَح: منبوذ لا يُهتمُّ به. [ط]
(٢) ليس في هٰذا عذرٌ للعاصي ـ إذا رأى من يأمره لا يلتزم بما أمره به ـ أن يفعل ما يحلو له؛ فإن من يكيد إنما يكيدُ بنفسه. [ط]
(٣) أي: انظر جيدًا في كلامك!! وهٰذا من سوء الأدب مع العالِم. [ط]
(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، أبو جعفر الكاتب، أصله من الكوفة، وَلِيَ ديوان الرسائل للمأمون، تُوفي عام (٢١٣)، والأبيات في تاريخ دمشق، منسوبة إليه.
ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ٢١٦)، تاريخ دمشق (٦/ ١١٤)، معجم الأدباء (٢/ ٥٦٠)، الوافي (٨/ ٢٧٩).

وعامـلٍ بالفُجُـورِ يأمُـرُ بالبـرِّ ... كهـادٍ يَخـوضُ في الظُّلَـمِ

أو كطبـيبٍ قـد شَـفَّه سَـقَمٌ ... وَهْـوَ يُـداوي مِن ذٰلك السَّقَمِ[١]

يـا واعِـظَ الـنَّاسِ غيـرَ مُـتَّعِظٍ ... ثَـوْبَك طَهِّـر أوْ لَا فـلا تَلُـمِ

(٣٧٩) وقال آخر:

عَـوِّدْ لـسانَكَ قِلَّـةَ اللفْـظِ ... واحْفَـظْ كلامَـكَ أيَّمـا حِفْـظِ

إيـاكَ أن تعِـظَ الـرِّجالَ وقـد ... أصـبحْتَ مُحتاجًا إلى الـوَعْظِ

وأما الانقطاعُ عن العِلْم إلى العَمَل، أو الانقطاع عن العمل إلى العلم ـ إذا عمِلَ بموجَب العِلم ـ، فقد حُكي عن الزُّهري فيه ما يُغنى عن تكلُّف غيره:

(٣٨٠) وهو أنه قال: «العلمُ أفضلُ من العَملِ بهِ لِمَن جَهِل، والعملُ أفضلُ من العِلمِ لمن عَلِم».

وأمَّا فَضْلُ ما بين العِلْم والعبادة ـ إذا لم يُخِلَّ بواجبٍ، ولم يقصِّر في فرض ـ:

(٣٨١) فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«يُبعَث العالِمُ والعابِدُ، فيقال للعابد: ادخُلِ الجنَّة، ويقال للعالِم: اتَّئِدْ حتى تشفَعَ للناس»**[٢].

* **[الأدبُ الرابع: الحَذَرُ من البُخل بالعلم]**:

ومن آداب العلماء: ألَّا يبخَلُوا بتعليم ما يُحسِنُون، ولا يمتنِعوا من إفادة ما يعلمون، فإنَّ البُخل به لؤمٌ وظُلْم، والمَنعَ منه حَسدٌ وإثم، وكيف يسوغُ لهم البخلُ بما مُنِحوه جُودًا من غير بُخل[٣]، وأُوتُوه عَفوًا من غير بَذْل؟! أم كيف يجوزُ لهم

(١) شَفَّه: جعله نحيلًا هزيلًا. [ط]

(٢) موضوع: أخرجه البيهقي في «الشُّعب» (٧١٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٧٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٢٧)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٩٧)؛ عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصدَّره الحافظ المنذري في «الترغيب» (١٣٤) بصيغة التمريض، وحكم عليه بالوضع الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٦٣)، وقال محقق «الشعب» (٣/ ٢٣٤): «إسناده واهٍ». [ط]

(٣) أي: بما منحهم اللَّهُ تعالى مِنَّةً منه ولم يبخل عليهم به. [ط]

الشُّحُّ بما إن بذلُوه زاد ونما، وإن كتموه تناقَصَ ووَهَى؟!.

ولو استنَّ[١] بذٰلك من تقدَّمَهُم لَمَا وَصَلَ العلمُ إليهم، ولانقرضَ عنهم بانقراضهم، ولَصارُوا على مرور الأيام جهَّالًا، وبتقلُّب الأحوالِ وتناقصِها أرذالًا.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

(٣٨٢) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تَمنعوا العِلْمَ أهلَه؛ فإنَّ في ذٰلك فسادَ دينِكم والتباسَ بصائركم**[٢]». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة][٣].

(٣٨٣) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ كتَم عِلْمًا يُحسِنُه، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يومَ القيامة بِلِجامٍ من نار**»[٤].

(٣٨٤) ورُوي عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ما أَخَذَ اللَّهُ العَهدَ على أهلِ الجهل أن يتعلَّموا، حتى أَخَذ العَهدَ على أهلِ العلم أن يُعلِّموا».

(٣٨٥) وقال بعضُ الحكماء: «إذا كانَ من قواعد الحِكمة بَذْلُ ما يُنْقِصه البذْلُ، فأحْرَى أن يكونَ من قواعدها بَذْلُ ما يَزيدُه البَذْلُ[٥]».

(٣٨٦) وقال بعضُ العلماء: «كما أنَّ الاستفادةَ نافلةٌ للمتعلِّم، كذٰلك الإفادةُ

---

(١) استَنَّ: اقتدى. [ط]

(٢) التباس البصائر: عدمُ رؤية الأمور على وجهها الصحيح. والبصائرُ للقلب، بخلاف الأبصار للعيون. [ط]

(٣) لا أعلم له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣) وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجة (٢٦١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]
وفي الباب عن عبداللَّه بن عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد اللَّه، وأنس بن مالك، وعمرو بن عبَسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. راجع «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٧).

(٥) أي: إذا كان من الحكمة إنفاق الأموال ـ وهي تنقص بالبذل منها ـ فيما يعود على الإنسان بالخيرات والمعالي، فلَأَن يكونَ بذلُ ما لا ينقص بالإنفاق ـ وهو العلم ـ أولى وأحرى. [ط]

فريضةٌ على المُعلِّم».

(٣٨٧) وقد قيل في منثور الحكم: «مَن كَتَم عِلْمًا فكأنه جاهلُه»[١].

(٣٨٨) وقال خالدُ بن صفوان[٢]: «إنِّي لأفرح بإفادتي المتعلِّمَ أكثَرَ من فرحي باستفادتي من العلم».

[أعظمُ منافع التعليم]:

ثم له بالتعليم نفعان:

أحدهما: ما يرجُوه من ثواب اللَّه تعالى؛ فقد جعل النبي ﷺ التعليم صدقة:

(٣٨٩) فقال: «**تصدَّقوا على أخيكم بعِلمٍ يُرشِدُهُ، ورأيٍ يُسدِّدُه**»[٣].

(٣٩٠) وروى ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعلَّموا العِلْم وعَلِّموا، فإنَّ أجْرَ العالِم والمتعلِّم سواء**». قيل: وما أجرُهُما؟ قال: «**مِئةُ مغفرةٍ، ومِئةُ درجةٍ في الجنَّة**»[٤].

---

(١) العبارة في الوافي بالوفيات (١٧/ ٤٥١) منسوبة لعبداللَّه بن المعتز.

(٢) خالد بن صفوان بن عبداللَّه بن الأهتم، أحد فصحاء العرب، وَفَد على عمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك، وسمي «الأهتم» لأنه ضُرب بقوس على فيه فهُتمت أسنانه، تُوفي عام (١٣٣).
ترجمته في: تاريخ دمشق (١٦/ ٩٤)، معجم الأدباء (٣/ ١٢٣١)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٥٤).

(٣) **لا أعلم له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]**

(٤) **لا أعلم له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]**
وورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه: «**الناس رجلان، عالِم ومتعلِّم، هما في الأجر سواء...**». رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٠١)، و«الأوسط» (٧٥٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧٦)، وقد بيَّن الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٢٢) أن في إسناده كذَّابَين، وحكم عليه بالوضع الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٩٨٢)، والضعيفة (٥٢٢٦).
وورد عنه ﷺ: «**علِّموا العلمَ وعلِّموه الناس، تعلَّموا الفرائض وعلِّموها الناس، تعلموا القرآن وعلموه الناس؛ فإني امرؤ مقبوض، والعلمُ سيُقبض وتظهرُ الفتن؛ حتى يَختلِفَ اثنان في فريضةٍ لا يَجِدانِ أحدًا يفصلُ بينهما**». رواه الدارمي (٢٢٧)، وأبو يعلى (٥٠٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦٢٧١)، والدَّارَقُطْني (٤/ ٨١)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ٢٠٨)، و«الشعب» (١٥٤٨)، والحاكم (٤/ ٣٩٦)، **وصحَّحه، ووافقه الذهبي، بينما ضعَّفه الإمام الهيثمي في** =

والنفع الثاني: زيادةُ العلم، وإتقان الحِفْظ.

(٣٨٥) فقد قال الخليلُ بن أحمد: «اجعَلْ تعليمَكَ دِراسةً لعلمِك، واجعل مناظرةَ المتعلِّم تنبيهًا على ما ليس عندك».

(٣٩١) وقال ابنُ المعتزِّ في منثور الحكم: «النَّارُ لا يَنقُصُها ما أُخِذَ منها، ولٰكن يُخمِدُها ألَّا تَجِدَ حطبًا، كذٰلك العلمُ لا يُفنيه الاقتباسُ، ولٰكنْ فَقْدُ الحاملين له سببُ عُدمه، فإياك والبخلَ بما تعلم».

(٣٩٢) وقال بعضُ العلماء: «عَلِّمْ علمَكَ، وتعلَّم عِلْمَ غيرِك، فإذا أنتَ قد عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ، وحفِظْتَ ما علِمْتَ»[1].

[المتعلِّمون صنفان]:

واعْلَمْ أنَّ المتعلِّمين ضَرْبان: مُسْتَدعًى، وطالب.

١ ـ فأمَّا المستدعَى إلى العلم: فهو مَن استَدْعاهُ العالِمُ إلى التعليم، لِما ظَهَر له من جَودة ذكائه، وبان له من قوَّةِ خاطِره، فإذا وافَقَ استدعاءُ العالِمِ شهوةَ المتعلِّم، كانت نتيجتُها دَرَكَ النُّجَباء[2]، وظَفَرَ السُّعَداء؛ لأنَّ العالِم باستدعائِه متوفِّر[3]، والمتعلِّم بشهوته وذكائِه مستكثر.

٢ ـ وأمَّا طالب العِلْم لداعٍ يدعوه، وباعثٍ يحدُوه:

[أ] فإن كان الداعي دينيًّا، وكان المتعلِّم فطِنًا ذكيًّا، وجَبَ على العالِم أنْ يكونَ عليه مُقْبِلًا، وعلى تعليمه متوفِّرًا، لا يُخفي عليه مكنونًا، ولا يَطْوي عنه مُخزونًا، وإن كان بليدًا بعيدَ الفِطْنة؛ فينبغي ألَّا يُمنَعَ من اليسير فيُحْرم، ولا يُحْمَلَ عليه بالكثير فيُظْلَم، ولا يجعل بلادَته ذريعةً لِحرمانه، فإنَّ الشهوة باعِثة، والصَّبْرَ مؤثِّر.

(٣٩٣) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَمنعوا العِلْمَ أهلَه فتَظْلِموا، ولا**

= «المجمع» (٤/ ٢٢٣)، والشيخ الألباني في «المشكاة» (٢٧٩)، والشيخ حسين الداراني عند الدارمي. [ط]

(١) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٤٨ ـ خبر: ٢٧٧٨) غير منسوبة.

(٢) أي: إدراك منازل النجباء. [ط]

(٣) التوفُّر: الاستكثار؛ فيكون المعنى: أن العالِم تزيد حسناته وتتضاعف، واللّٰهُ أعلم. [ط]

تَضَعُوه في غَيْرِ أَهْلِه فتأثَموا»[(١)].

(٣٩٤) وقال بعضُ الحكماء: «لا تمنعوا العلم أحدًا، فإنَّ العِلْم أمنَعُ لجانبه[(٢)]».

[ب] فأمَّا إن لم يكن الدَّاعي دينيًّا نُظِرَ فيه:

ـ فإن كان مباحًا ـ كرجل دعاه إلى طلب العلم حبُّ النَّباهة، وطلبُ الرياسة ـ، فالقولُ فيه يقاربُ القولَ الأَوَّلَ في تعليم مَن قبله؛ لأنَّ العِلمَ يَعطِفُه إلى الدِّين في ثاني الحال ـ وإن لم يكن مبتدِئًا به في أوَّلِ حال ـ .

(٣٩٥) وقد حُكي عن سُفيان الثوري أنه قال: «تعلَّمْنا العِلْم لغير اللَّه تعالى، فأَبَى أن يكونَ إلا للَّه[(٣)]»[(٤)].

(٣٩٦) وقال عبدُاللَّه بن المبارك[(٥)]: «طلبنا العِلْمَ للدنيا؛ فدلَّنا على ترك الدنيا».

ـ وإن كان الداعي محظورًا؛ كرجل دعـاه إلى طلب العلمِ شـرٌّ كامِن، ومَكْرٌ

(١) **لا أعلم له أصلًا**، والعلمُ عن اللَّهِ تعالى. [ط]
وأخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٨٢) عن كثير بن مرَّة الحضرمي قوله، وأخرجه الدارمي (٣٩١)، وابن عبدالبر في «الجامع» (٦٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٣) عن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله. وأخرجه أبو نُعيم ـ أيضًا ـ عن الشعبي قوله (٤/ ٢٣٤).

(٢) أي: من منع العلم عن أهله، فقد يتمنَّعُ العلمُ عليه، فلا ينتفع منه، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٣) اعترض العلَّامة ابنُ حزم رَحِمَهُ اللَّهُ على مثل هٰذه العبارة؛ فقال: «لا يغرُّنَّكم ما يقولُ كاذبٌ على العلماء: «طلَبْنا العلمَ لغير اللَّه، فما زال بنا حتى ردَّنا إلى اللَّه»! فلَعَمْري إن جديرًا ألَّا يبارِكَ تعالى في كلِّ شيءٍ ابتدأ لغير وجهه ﷻ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل». «أنواع العلوم» (٤٧).
قلتُ: لا وجهَ للاعتراض ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ ، فإن مَن قال هٰذا غالبًا يقولُه من باب اهتضام النفس، وبيان تلبيسِ إبليس على الطلبة في بداية الطريق. ثم لا يُمتنع أن يكون بعضُ الطلبة الذين بدؤوا طريقَ العلم بلا إخلاص فعلًا؛ رأوا عاقبةَ الرياء، وعرفوا أكثرَ وأكثر عن آثاره في الدنيا والآخرة، فخافوا ربَّهم تبارك وتعالى، فتداركهم برحمته، وصحَّحوا مسارهم فيما بقي من أعمارهم. وهٰذا يؤكد أن العلم خيرٌ للعبد في كلِّ حالٍ، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع» (٧٧٥)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٣٧٩) عن مَعمر، قوله.

(٥) عبدُاللَّه بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبدالرَّحْمٰن المَرْوزي، أحد الأئمة الأعلام، وحُفَّاظ الإسلام. قال الحافظ في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالِم جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير، تُوفي عام (١٨١).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٦/ ٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٢)، حلية الأولياء (٨/ ١٦٢).

باطن، يريدُ أن يستعملهما في شُبهةٍ دينية، وحِيَلٍ فقهيَّة، لا يجدُ أهلُ السَّلامة منهما مَخْلَصًا، ولا عنهما مَدْفعًا:

(٣٩٧) كما قال النبيُّ ﷺ: «**أَهْلَك أُمَّتي رجلان: عالِمٌ فاجِرٌ، وجاهِلٌ متعبِّدٌ**»، فقيل: يا رسول اللَّه! أيُّ النَّاس شر؟ فقال: «**العلماءُ إذا فَسَدُوا**»[١].

فينبغي[٢] للعالِم إذا رأى مَنْ هٰذه حالُه أن يمنَعه من طَلِبَته، ويصرفَه عن بُغيته، ولا يعينُه على إمضاء مَكْرِه، وإكمال شرِّه.

(٣٩٨) فقد رَوى أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**واضِعُ العِلْم في غَيْرِ أهلِهِ كمقلِّدِ الخَنازِيرِ اللؤلؤَ والجَوْهرَ والذَّهب**»[٣].

(٣٩٩) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تُلْقوا الجَوْهرَ للخنزير؛ فالعِلْم أَفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يستحقُّه شرٌّ من الخنزير»[٤].

(٤٠٠) وحُكِي أن تلميذًا سأل عالمًا عن بعض العلوم، فلم يُفِدْه، فقيلَ له: «لِمَ مَنعتَه؟ فقال: لِكُلِّ تُربةٍ غَرْس، ولكلِّ بناءٍ أُس».

(٤٠١) وقال بعضُ البلغاء: «لكُلِّ ثَوْبٍ لابِس، ولكُلِّ عِلْمٍ قابس[٥]».

(٤٠٢) وقال بعضُ الأدباء: «ارْثَ لروضَةٍ توسَّطَها خنزير، وابْكِ لعلمٍ حَوَاه شِرِّير».

[أهميةُ فِراسةِ العالِم]:

وينبغي أن يكون للعالِم فِراسةٌ يتوسَّمُ بها المتعلِّمَ؛ ليعرفَ بها مبلغَ طاقتِهِ وقدْرَ استِحقاقِهِ؛ ليُعطيَه ما يتحمَّلُه بذكائه، أو يَضعُفُ عنه ببلادته؛ فإنَّه أروَحُ للعالِم،

(١) موضوع: أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١١٦٢) من حديث ابن وهب، عن النَّبي ﷺ. وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ١٦٧): «لم أجده»، وكذا قال الشيخ حسن أبو الأشبال في تحقيق «جامع العلم» (١/ ٦٦٦). [ط]

(٢) هٰذا خبرُ قوله: «وإن كان الداعي محظورًا...» قبل الحديث. [ط]

(٣) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٧١٠)، وضعَّفه الإمام البوصيري، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٥٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٠٣).

(٥) **القابس**: الآخذ المنتفع. [ط]

وأنجحُ للمتعلم.

(٤٠٣) وقد رَوَى ثابتٌ، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ للَّهِ عبادًا يَعرفُون النَّاسَ بالتوسُّم»[(١)].

(٤٠٤) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا أنا لم أعلَمْ ما لم أرَ، فلا علِمتُ ما رأيتُ[(٢)]».

(٤٠٥) وقال عبدُاللَّه بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا عاشَ بخيرٍ مَنْ لم يَـرَ برأيِهِ ما لم يَـرَ بعينيه»[(٣)].

(٤٠٦) وقال ابن الرُّومي[(٤)]:

أَلْمعـــيٌّ يَـــرى بـــأوَّلِ رأيٍ ... آخـرَ الأمـرِ من وراءِ المَغيبِ[(٥)]

لوذعـــيٌّ لـــه فـــؤادٌ ذكـــيٌّ ... مـا لـهُ في ذكائِـهِ من ضَريبِ[(٦)]

لا يُـــروِّي ولا يقلِّـــبُ طَـــرْفًا ... وأكُـفُّ الـرِّجالِ في تقلـيبِ[(٧)]

وإذا كان العالِم في توسُّم المتعلِّمين بِهٰذه الصفة، وكان بقدْرِ استحقاقهم خبيرًا، لم يَضِعْ له عَناء، ولم يَخِبْ على يديه صاحب. وإن لم يتوسَّمْهم، وخفِيَتْ

(١) حسن: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٣٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٠٥، ١٠٠٦)، وهو في «حديث أبي الفضل الزهري» (١٢٠)، وحسَّنه الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٦٨)، والإمام العجلوني في «كشف الخفا» (تحت الحديث ٨٠)، والإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١٩٥)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٦٩٣)، و«صحيح الجامع» (٢١٦٨). [ط]

(٢) أي: إذا لم يكن عندي فراسة أدرك بها خبايا الأمور، فلا علمتُ ما أراه أمامي. [ط]

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٦٠) خبر (١٥٦).

(٤) عليُّ بن العباس بن جريج، أبو الحسن ابن الرومي، كان شاعر وقته هو والبحتري في بغداد، توفي عام (٢٩٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٥)، الوافي بالوفيات (٢١/ ١٧٠).

(٥) **الألمعي**: العاقل الكيِّس. [ط]

(٦) **اللوذعي**: الفطن الذكي. **الضريب**: المثيل. [ط]

(٧) **يُروِّي**: يفكر ويتأمل. [ط]

عليه أحوالُهم ومبلَغُ استحقاقهم، كانوا وإياه في عناءٍ مُكْدٍ، وتعبٍ غير مُجْدٍ؛ لأنه لا يَعدَمُ أن يكون فيهم ذكيٌّ محتاجٌ إلى الزيادة، وبليدٌ يكتفي بالقليل، فيضجَرُ الذَّكيُّ، ويَعجِزُ البليد، ومَن تردد أصحابُه بين عجزٍ وضَجَر مَلُّوه ومَلَّهم.

(٤٠٧) وقد روى عبدُاللَّه بن وهْب، عن سُفيان بن عبدِاللَّه قال: «قال الخَضِر لموسى عليهما السلام: يا طالبَ العِلْم، إنَّ القائلَ أقلُّ ملالةً من المستمع، فلا تُمِلَّ جلسَاءك إذا حدَّثتهم ـ يا موسى ـ. واعلَمْ أنَّ قلبك وِعاء، فانظرْ ما تحشو في وِعائك».

(٤٠٨) وقال بعضُ الحكماء: «خيرُ العلماء مَن لا يُقِلُّ ولا يُمِلُّ».

(٤٠٩) وقال بعض العلماء: «كُلُّ عِلْمٍ كَثُر على السمع، ولم يطاوعْه الفَهم، ازداد القلبُ به عمًى، وإنَّما ينفعُ سمعُ الآذانِ إذا قوي فَهمُ القلوبِ في الأبدان».

وربَّما كان لبعض السلاطين رغبةٌ في العلم ـ لفضيلةِ نفسه، وكرم طبعه ـ، فلا يجعل ذٰلك ذريعةً في الانبساط عنده والإدلالِ عليه؛ بل يعطيه ما يستحِقُّه بسلطانِه وعلوِّ يده؛ فإنَّ للسلطان حقَّ الطاعةِ والإعظام، وللعالِم حقَّ القَبُول والإكرام. ثم لا ينبغي أن يبتدئَه إلَّا بعد الاستدعاء، ولا يزيدَه على قدر الاكتفاء، فربَّما أحبَّ بعضُ العلماء إظهارَ عِلْمه للسلطان فأكثر، فصار ذٰلك ذَريعةً إلى مَلَله، ومفضيًا إلى بُعْده؛ فإنَّ السلطان مُتَقَسَّمُ الأفكار، مُستوعَبُ الزَّمان؛ فليس له في العلم فراغُ المنقطعين إليه، ولا صَبْرُ المنفردين به.

(٤١٠) وقد حُكي عن الأصمعيِّ رحمه الله قال: «قال لي الرشيد: يا عبدَالملك، أنتَ أعلَمُ منَّا، ونحن أعقلُ منك، فلا تُعلِّمنا في مَلَا، ولا تسرعْ إلى تذكيرنا في خَلا، واتركْنا حتى نبتدئك بالسؤال، فإذا بلغتَ من الجواب قَدْرَ الاستحقاق فلا تزدْ؛ إلَّا أن نستدْعِيَ ذٰلك منك، وانظر إلى ما هو ألطفُ في التأديب، وأنصفُ في التعليم، وابلُغْ بأوجزِ لفظٍ غايةَ التقويم».

ولْيُخرج تعليمَه مخْرجَ المذاكَرة والمحاضَرة ـ لا مخرجَ التعليم والإفادة ـ؛ لأنَّ لتأخير التعلم خَجْلَةَ تقصيرٍ يُجَلُّ السلطان عنها، فإنْ ظَهَر منه خطأٌ أو زَلَلٌ في قولٍ أو عمل، لم يجاهِرْه بالرَّد، وعرَّض باستدراك زَلَلِه، وإصلاح خَلَله.

(٤١١) وحُكي أنَّ عبدالملِك بن مروان قال للشعبيِّ: «كم عطاءَك؟ قال: ألفين،

قال: لَحَنْتَ! قال: لمَّا تَرَكَ أميرُ المؤمنين الإعرابَ كرِهْتُ أن أُعرِبَ كلامي عليه».

ثم لْيَحذَرِ اتِّباعه فيما يجانب الدِّينَ ويضادُّ الحقَّ موافقةً لرأيه، ومتابعةً لهواه، فربَّما زلَّتْ أقدامُ العلماء في ذٰلك رغبةً أو رهبةً، فضلُّوا وأضلُّوا، مع سوء العاقبة وقُبْح الآثار.

(٤١٢) وقد رَوى الحسنُ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزالُ هٰذه الأمةُ بخيرٍ تحتَ يد اللَّه وفي كَنَفِه، ما لم يُمالِ**[1] **قرَّاؤُها أمراءَها، ولم يُزكِّ صلحاؤُها فجَّارَها، ولم يُمارِ أخيارَها أشرارُها، فإذا فعلُوا ذٰلك رَفَعَ عنهم يدَه، ثم سلَّط عليهم جبابرتَهم، فسامُوهم**[2] **سوءَ العذاب، وضَرَبَهم بالفاقةِ والفقر، وملأ قلوبَهم رُعْبًا**»[3].

* **[الأدبُ الخامس: البُعد عن الشبهات، والقناعة بالميسور]:**

ومن آدابِهم أيضًا: نزاهةُ النَّفْس عن شُبَه المكاسِب، والقناعةُ بالميسور عن كَدِّ المطالب؛ فإنَّ شُبَهَ المكسب إثم، وكَدَّ الطَّلَبِ ذُل، والأَجْرُ أجدَرُ به من الإثم، والعزُّ أليقُ به من الذلِّ.

(٤١٣) وأنشدني بعض أهل الأدب لعليِّ بن عبدالعزيز القاضي[4] ـ رحِمه اللَّهُ تعالى ـ:

يقولونَ لي: فيكَ انقباضٌ! وإنَّما ... رأوْا رجُلًا عن موقفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أرى الناسَ مَنْ داناهُمُ هانَ عندَهُمْ ... ومَنْ أكرمَتْهُ عِزَّةُ النَّفسِ أُكرِمَا[5]

---

(١) **يُمال**: يمالئ، أي: يوافق. والمقصود: الموافقة على الباطل. [ط]

(٢) **سامُوهم**: أذاقوهم. [ط]

(٣) ضعيف: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢١)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣٣١)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٥٩٥)، وضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٥٠). [ط]

(٤) عليُّ بن عبد العزيز بن الحسن بن عليِّ بن إسماعيل، أبو الحسن الجُرجاني، قاضي القضاة، توفي عام (٣٩٦). والأبيات في مصادر ترجمته، والجامع لأخلاق الراوي (٨٥٤).
ترجمته في: معجم الأدباء (٤/ ١٧٩٦)، الوافي (٢١/ ٢٣٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١).

(٥) **داناهم**: قاربَهم. [ط]

ولم أقضِ حَقَّ العلمِ إن كان كلَّما ... بدَا طَمَعٌ صَيَّرتُه لِيَ سُلَّمَا
وما كلُّ بَرْقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزُّني ... ولا كلُّ مَن لاقيتُ أرضاه مُنعِمَا
إذا قيلَ: هٰذا منهلٌ! قلتُ: قد أَرى ... ولٰكنَّ نفسَ الحُرِّ تَحتملُ الظَّمَا
أُنْهنِهُها عن بعضِ ما لا يَشِينها ... مخافةَ أقوالِ العِدَا: فيمَ أو لِمَا[1]؟
ولم أبتذِلْ في خدمة العِلم مُهجَتِي ... لأخدُمَ مَنْ لاقيتُ لٰكنْ لأُخدَما
أأشقَى به غَرْسًا وأَجنيهِ ذِلَّةً ... إذن فاتِّباعُ الجهلِ قَدْ كان أَحْزَما
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صانَهُمْ ... ولو عظَّمُوه في النُّفوس لَعُظِّما
ولٰكن أهانُوه فهانَ ودَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بالأطماع حتَّى تجَهَّمَا[2]

على أنَّ العِلمَ عِوضٌ من كُلِّ لَذَّة، ومُغنٍ عن كُلِّ شَهْوة، ومن كان صادِقَ النِّية فيه، لم يكن له هِمةٌ فيما يجد بُدًّا منه.

(٤١٤) وقال بعض البلغاء: «من تفرَّد بالعلم لم تُوحِشْه خَلْوة، ومن تَسَلَّى بالكتب لم تفُتْه سَلْوة، ومن آنسَهُ القرآنُ لم توحِشْه مفارقَةُ الإخوان».

(٤١٥) وقال بعض العلماء: «لا سميرَ كالعلم، ولا ظهيرَ كالحِلم».

* **[الأدبُ السادس: الإخلاص للَّهِ تبارك وتعالى]:**

ومن آدابِهم: أن يقصِدوا وجْهَ اللَّه بتعليم مَن علَّموا، ويطلبوا ثوابَه بإرشاد مَن أرشدوا؛ مِن غير أن يعتاضوا عليه عوضًا، ولا يلتمسوا عليه رزقًا؛ فقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١].

(٤١٦) قال أبو العالية[3]: «لا تأخذوا عليه أجرًا، وهو مكتوب عندهم في

---

(١) أُنهنِهها: أزجرها وأكفُّها. [ط]
(٢) تَجَهَّما: صار كالحًا قبيحًا. [ط]
(٣) رُفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري، أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين، مات سنة (٩٠)، ثقة مجمع على ثقته.
ترجمته في: تهذيب الكمال (٩/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧).

الكتاب الأول: يا ابنَ آدم، علِّم مجانًا، كما عُلِّمت مجَّانًا»[١].

(٤١٧) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أَجْرُ المُعلِّم كأَجْرِ الصَّائم القائم، وحسبُ مَنْ هٰذا أجرُه أن يلتمس أجرًا**»[٢].

* **[الأدب السابع: النُّصحُ للطلبةِ، وإعانتُهم على العلم]:**

ومن آدابِهم: نُصْحُ من علَّموه، والرفقُ بهم، وتسهيلُ السَّبيل عليهم، وبذلُ المجهود في رِفْدِهم[٣] ومَعُونتهم؛ فإنَّ ذٰلك أعظَمُ لأجرهم، وأسنَى لذكرهم، وأنشرُ لعلومهم، وأرسخُ لمعلومهم.

(٤١٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا عليُّ، لَأنْ يَهدِيَ اللَّهُ بكَ رجلًا، خَيْرٌ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمسُ**»[٤].

* **[الأدبُ الثامن: عدمُ التعنيفِ والتحقير للمتعلِّمين]:**

ومن آدابِهم: أَلَّا يُعنِّفوا متعلِّمًا، ولا يُحقِّروا ناشئًا، ولا يَستصغروا مبتدئًا؛ فإنَّ ذٰلك أدعى إليهم، وأعطفُ عليهم، وأحثُّ على الرغبة فيما لديهم.

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١/ ٦٠٣) والقرطبي في «التفسير» (٢/ ١١).

(٢) لا أعلمُ له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) الرِّفد: العطاء والمعونة. [ط]

(٤) ضعيف ـ بِهٰذا اللفظ ـ: رواه الحاكم (٣/ ٦٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٣١٥، ٣٣٢)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٧٧٣)، وابن حبَّان في «الثقات» (٢/ ١٢٢)، عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسكت عليه الإمامان الحاكم والذهبي، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٤٦٤)، و«الضعيفة» (٢٩٥٠)، لٰكن المتن يشهد له ما بعده ـ كما قال الشيخ حسن أبو الأشبال في تحقيق «جامع بيان العلم» (١/ ٤٨٨) ـ.
ورواه أحمد (٥/ ٣٣٣)، والبخاري (٣٤٨٩)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأبو داود (٣٦٦١)، وابن حبان (٦٩٣٢)؛ من حديث سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لَأنْ يَهدِيَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**».
وروى أحمد (٥/ ٣٣٣) عن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «**يا معاذُ، أَنْ يَهدِيَ اللَّهُ على يديك رجلًا من أهل الشِّرك، خيرٌ لك من أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَم**». وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدًا»، وذكر مُحققو «المسند» (٣٦/ ٣٩٢) أنهم لم يقفوا عليه ـ من حديث معاذ ـ عند غير الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. [ط]

(٤١٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**عَلِّموا ولا تُعَنِّفوا؛ فإنَّ المُعلِّم خَيْرٌ من المُعنِّف**»[١].

(٤٢٠) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**وقِّروا مَنْ تتعلَّمون منه، ووقِّروا مَنْ تعلِّمُونَه**»[٢].

* **[الأدبُ التاسع: فتحُ الأبواب لجميع الطالِبين]:**

ومن آدابِهم: ألَّا يمنعوا طالبًا، ولا يُنفِّروا راغبًا، ولا يُؤيِّسُوا متعلِّمًا، لمَا في ذٰلك من قطع الرغبة فيهم، والزُّهدِ فيما لديهم، واستمرارُ ذٰلك مُفْضٍ إلى انقراضِ العلم بانقراضهم.

(٤٢١) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألَا أُنبِّئُكُم بالفقيهِ كُلَّ الفقيه؟**»، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ ! قال: «**مَن لم يُقْنِّط النَّاسَ من رحمةِ اللَّه تعالى، ولم يُؤيِسْهُم من رَوحِ اللَّه، ولا يَدَعُ القرآنَ رغبةً إلى ما سواه. ألَا لا خيرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقُّه، ولا علمٍ ليس فيه تفهُّم، ولا قراءةٍ ليس فيها تدبُّر**»[٣].

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن عبدالبر في «جامع العلم» (٨٣٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٥٦)، و«المدخل» (٦٢٧)، والطيالسي (٢٦٥٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٨٦)، والحارث في «مسنده» (٤٣)، والآجرِّي في «أخلاق العلماء» (١٧٠ ـ تهذيبي) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحكم عليه **بالنكارة** الإمام البيهقي ـ عقب تخريجه ـ، وكذا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٥)، و«ضعيف الجامع» (٣٧٣١)، وضعَّفه ـ أيضًا ـ الشيخ أبو الأشبال في «جامع بيان العلم» (٥١٥). [ط]

(٢) موضوع: أخرجه الديلمي (٧١٢٥)، وابن النجار ـ كما في «كنز العمال» (٢٩٣٣٨) ـ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأورده الحافظ الذهبي في ترجمة «محمد بن عبدالملك الأنصاري» في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٣١)، وبيَّن أن هٰذا الراوي كذَّاب، **وأقرَّه** الحافظ في «لسان الميزان» (٥/ ٢٢٦)، وحكم عليه **بالوضع** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٧٥١). [ط]

(٣) ضعيف: أخرجه الديلمي (٤٧٤)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٨١١)، وابن لال، والديلمي، والعسكري ـ كما في «كنْز العمال» (٢٩٣٨٨) ـ؛ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٧٣٤): «منكر». **وضعَّفه** الشيخ أبو الأشبال في «جامع بيان العلم».

وقد رواه الأكثر موقوفًا على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ كما قال الحافظ ابن عبدالبر ـ؛ منهم الدارمي =

فهٰذه جُملةٌ كافية، واللَّه وليُّ التوفيق.

❊ ❊ ❊

= (٢٩٧)، وابن عساكر (٤٢/ ٥١٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٧). [ط]



الباب الثالث

أدبُ الدِّين





[الباب الثالث]

بابُ: أدبِ الدِّين

اعلم أنَّ اللَّهَ ﷻ[(١)] إنَّما كلَّف خَلْقَه مُتعبَّداته، وألزمهم مُفترضاته، وابتعث[(٢)] إليهم رُسُلَه، وشرَعَ لهم دينه؛ لغير حاجةٍ دعتهُ إلى تكليفهم، ولا من ضرورةٍ قادته إلى تعبُّدهم؛ وإنَّما قصَدَ نفعَهم ـ تفضُّلًا منهُ عليهم ـ؛ كما تفضَّل بما لا يُحصى عدًّا من نِعَمِه؛ بل النعمةُ فيما تعبَّدهم به أعظمُ؛ لأنَّ نفعَ ما سِوى المُتعبَّداتِ مختصٌّ بالدنيا العاجلة، ونفْعَ المتعبَّداتِ يشتمِلُ على نَفْعِ الدنيا والآخرة، وما جَمَعَ نَفْعَي الدنيا والآخرة كان أعظمَ نعمةً، وأكثرَ تفضُّلًا.

وجَعَلَ ما تعبَّدهم به مأخوذًا من عقلٍ متبوعٍ، وشَرْعٍ مسموعٍ[(٣)]؛ فالعقلُ متبوعٌ فيما لا يمنَعُ منه الشَّرْعُ، والشَّرْع مسموعٌ فيما لا يمنع منه العقل؛ لأنَّ الشَّرع لا يَرِدُ بما يمنع منه العقل، والعقل لا يُتَّبع فيما يمنَعُ منه الشَّرع[(٤)].

فلذٰلك توجَّه التكليفُ إلى من كَمُل عقلُه، فـ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة]، فبلَّغهم رسالتَه، وألزَمَهم حُجَّتَه، وبيَّن لهم شريعتَه، وتلا عليهم كتابَه فيما أحلَّهُ وحرَّمه، وأباحَهُ وحَظره، واستحبَّه وكرِهَه، وأمَرَ به ونَهى عنه، وما وعَدَ به من الثَّواب لِمن أطاعه، وأَوْعَد به من العقاب لمن عَصَاه؛ فكان وَعْدُهُ ترغيبًا، ووعيدُهُ ترهيبًا، لأنَّ الرَّغبةَ تبعثُ على الطَّاعة، والرَّهبةَ تكفُّ عن المعصية. والتكليفَ يجمَعُ أمرًا بطاعةٍ

(١) في الأصل: إن الله ﷻ.
(٢) في المطبوعة والشرح: وبعث.
(٣) راجع ما سلف عن مسألة التحسين والتقبيح ص (٤٧). [ط]
(٤) وهٰذا الكلام ـ كما سلف ـ مبنيٌّ على قواعد المتكلِّمين حول علاقة العقل بالشرع، فراجع ـ متفضِّلًا ـ ما كتبته عن هٰذا ص (٩٤). [ط]

ونَهْيًا عن معصية؛ ولذٰلك كان التكليفُ مقرونًا بالرَّغبة والرَّهبة، وكان ما تخلَّل كتابَه من قصص الأمم(١) السَّالفةِ وأخبار القرون الخاليةِ عظةً واعتبارًا، تقوى معهما الرَّغبةُ، وتزدادُ بهما الرَّهبةُ، فكان ذٰلك من لُطفِه بنا، وتفضُّلِه علينا، فالحمدُ للَّه الذي نعمُهُ لا تُحْصَى، وشُكْرُه لا يُؤدَّى.

ثُمَّ جَعْلَ إلى رسوله ﷺ بيانَ ما كان مُجملًا، وتفسيرَ ما كان مُشكَلًا، وتحقيقَ ما كان محتمَلًا، ليكونَ له ـ مع تبليغ الرسالة ـ ظهورُ الاختصاص به، ومنزلةُ التفويض إليه.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

ثم جعلَ إلى العلماء ـ بعدَ رسول اللَّه ﷺ ـ استنباطَ ما نبَّه على معانيهِ وأشار إلى أصوله؛ ليتوصَّلُوا بالاجتهاد فيه إلى علمِ المراد به، فيمتازوا بذٰلك عن غيرهم، ويختصُّوا بثواب اجتهادِهم.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ(٢)﴾ [آل عمران:٧].

فصار الكتابُ أصلًا، والسُّنَّةُ فرعًا، واستنباطُ العلماء إيضاحًا وكشفًا.

(٤٢٢) رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«القرآنُ أصْلُ عِلمِ الشَّرِيعة، نصُّه ودليلُه، والحكمةُ بيانُ رسول اللَّه ﷺ، والأمَّةُ المجتمِعةُ حُجَّةٌ على مَن شذَّ عنها»**(٣).

وكان من رأفته بخلْقِهِ وتفضُّلِه على عبادِه، أن أَقْدَرَهم على ما كلَّفهم، ورَفَع الحَرَجَ عنهم فيما تعبَّدَهم، ليكونوا ـ مع ما قد أعدَّه لهم ـ ناهضين بفعل الطَّاعات، ومجانبةِ المعاصي.

---

(١) في المطبوعة والشرح: الأنبياء.

(٢) وهٰذا الوقف بناءً على أن «التأويل» ما لم يستأثر اللَّهُ تعالى بعلمه؛ وإنما يعلمه خواصُّ خلقه من علماء الأمة. [ط]

(٣) لا أعلم له أصلًا، وظاهرٌ أنه كلامُ فقيهٍ، وليس من كلامِ النبيِّ ﷺ. [ط]

قال اللَّه تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].
وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨].

* وجَعَلَ ما كلَّفَهم به ثلاثةَ أقسام:

- قسمًا أمرَهم باعتقاده.
- وقسمًا أمرَهم بفعله.
- وقسمًا أمرَهم بالكفِّ عنه.

ليكونَ[1] اختلافُ جهاتِ التكليفِ أبعثَ على قبوله، وأعونَ على فعلِه، حكمةً منه ولطفًا.

* وجَعَلَ ما أمرهم باعتقاده قسمين:

- قسمًا إثباتًا.
- وقسمًا نفيًا.

١ ـ **فأما الإثباتُ**: فإثباتُ توحيدِه وصفاتِه، وإثبات بعثتِه رسله، وتصديقِ محمدٍ ﷺ فيما جاء به.

٢ ـ **وأمَّا النفي**: فنفيُ الصاحبةِ والولد، والحاجةِ والقبائح أجمع.

وهٰذان القسمان أولُ ما كُلِّفه العاقل[2].

---

(١) في الأصل: لتكون.

(٢) كلام لا يصحُّ؛ وقد بناه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بناءً على اعتقاد الأشاعرة ونظرتِهم للتوحيد، فأنت تلاحظ ـ أيها القارئُ الكريم ـ أن المصنِّفَ ـ غفر اللَّهُ له ـ جَعل أولَ واجبٍ على العبيـد هو «توحيدَ الربوبية» ـ والذي عبَّر عنه بإثبات توحيده وصفاته... إلخ ـ ! بينما الذي قَطعت به نصوصُ الوحيين الشريفين، والـذي أجمع عليـه سلف الأمَّـة: أن أولَ واجبٍ على العبـادِ هو توحيدُ الألوهية ـ وهو الذي لم يُشر إليه المصنف عفا اللَّهُ عنه نهائيًّا ـ ! والنبيُّ ﷺ أولَ ما صَدَع في قومه أن أمرَهم بتوحيد الألوهية ـ وهو إفراده تبارك وتعالى بالعبودية وحده دون سائر الآلهة المدَّعاة ـ ، وهو ما ضلَّ فيه أكثرُ البشر عبرَ العصور، أما توحيدُ الربوبية فهو أمرٌ فطريٌّ مركوز في أذهانِ الخلق ـ مؤمنهم وكافرهم ـ ، ولذلك كان العليم الخبير يحتجُّ على الكفار بما يقرُّونه في أنفسهم من إفراده بالربوبية على استحقاقه للعبادة دون من سواه، فتنبَّه لهٰذا هداك اللَّهُ رشدك، وتفاصيل ذٰلك ـ بزياداتٍ كثيرة ـ في تعليقاتي ـ سالفة الذكر ـ على «إحياء علوم الدين». [ط]

* وجَعَلَ ما أمرَهم بفعله ثلاثةَ أقسامٍ:
ـ قسمًا على أبدانِهم؛ كالصَّلاة والصِّيام.
ـ وقسمًا في أموالهم؛ كالزكَواتِ والكفَّارات[1].
ـ وقسمًا على أبدانِهم وفي أموالهم؛ كالحجِّ والجهاد؛ ليسهُلَ عليهم فِعلُه، ويخِفَّ عنهم أداؤه، نظرًا منه تعالى لهم، وتفضُّلًا منه عليهم.
* وجَعَلَ ما أَمَرَهم بالكفِّ عنه ثلاثةَ أقسامٍ:
ـ قِسمًا لإِحياء نفوسهم، وصلاحِ أبدانِهم؛ كنهيِهِ سبحانه عن القَتْل، وأكْلِ الخبائث، وشربِ الخمور المؤديةِ إلى فساد العقل وزواله.
ـ وقسمًا لائتلافهم وإصلاح ذات بينهم؛ كنَهيِهِ عن الغَضَبِ والغَلَبَة، والظُّلم والسَّرَفِ المُفضي إلى القطيعة والبغضاء.
ـ وقسمًا لحفظِ أنسابِهم، وتعظيمِ محارِمِهم؛ كنهيه عن الزِّنا، ونكاح ذواتِ المحارم.

فكانت نعمتُهُ فيما حظَرَه علينا كنعمتِه فيما أباحه لنا، وتفضُّلُه فيما كفَّنا عنه كتفضُّلِه فيما أمرنا به. فهل يجدُ العاقلُ في رويتـه مَسـاغًا[2] أن يُقصِّر فيما أُمِرَ به ـ وهو نعمةٌ عليه ـ، أو يرى فُسحةً في ارتكاب ما نُهِي عنه ـ وهو تفضُّلٌ عليه ـ ؟ وهل يكونُ مَن أنعم عليه بنعمةٍ فأهملَها ـ مع شدَّة فاقته إليها ـ إلَّا مذمومًا في العقل، مع ما جاء من وعيد الشَّرع؟!.

ثم من لُطفه بخلقهِ وتفضُّلِه على عباده: أنْ جَعَل لهم من جنس كُلِّ فريضةٍ نَفْلًا، وجَعَل لهم من الثواب قِسْطًا، ونَدَبهم إليه نَدْبًا، وجَعَل لهم بالحسنة عَشرًا، ليضاعفَ ثوابَ فاعله، ويضَعَ العقابَ عن تاركه.

ومن لطيف حكمته: أنْ جَعَل لكُلِّ عبادةٍ حالين، حالَ كمال، وحالَ جواز، رفقًا منه بخلْقه، لِما سَبَقَ في علمهِ أنَّ فيهم العَجِلَ المُبَادِر، والبطيءَ المتثاقل، ومَنْ لا صَبْرَ له على أداء الأكمل؛ ليكون ما أخلَّ به من هيئات العبادةِ غيرَ قادحٍ في

(١) في المطبوعة والشرح: كالزكاة والكفارة.
(٢) في الأصل: رؤيته مسارًا.

فرضٍ، ولا مانع من أجر؛ فكان ذٰلك من نِعمه علينا، وحُسن نظره إلينا.

* [الصَّلاة]:

فكان أوَّلَ ما فَرَضَ ـ بعدَ تصديق نبيِّه ﷺ ـ عباداتِ الأبدانِ، وقدَّمها على ما يتعلَّق بالأموال؛ لأنَّ النفوسَ على الأموالِ[1] أشحُّ، وبما يتعلَّق بالأبدان أسمحُ، وذٰلك الصَّلاة والصِّيام، فقدَّم الصَّلاة على الصِّيام؛ لأنَّ الصِّلاة أسهَلُ فعلًا، وأيسَرُ عملًا، وجَعَلها مشتملةً على خضوعٍ له، وابتهالٍ إليه، فالخضُوعُ له رهبةٌ منه، والابتهالُ إليه رغبةٌ فيه.

(٤٢٣) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**إذا قامَ أحدُكم إلى صلاتِه فإنَّما يُناجِي ربَّه؛ فلْيَنظُرْ أحدُكم بمَ يناجيه**»[2].

(٤٢٤) ورُوي عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان إذا دخَلَ عليه وقتُ الصَّلاة اصفرَّ مرةً، واحْمَرَّ أخرى، فقيلَ له في ذٰلك، فقال: «أتتني الأمانةُ[3] التي عُرِضَت على السماوات والأرض والجبال، فأَبَيْنَ أنْ يحمِلْنَها، وأشفَقْنَ منها وحَملتُها، ولا أدري أُسِيءُ فيها أم أُحسِنُ؟»[4].

ثم جعل لها شروطًا لازمةً ـ من رفعِ حَدَثٍ، وإزالة نَجَسٍ ـ ليستديم النظافة للقاءِ ربِّه، والطهارةَ لأداء فرضه. ثم ضمَّنها تلاوةَ كتابهِ المُنزل؛ ليتدبَّر ما فيه من أوامره ونواهيهِ، ويعتبرَ إعجازَ ألفاظهِ ومعانيه. ثم علَّقها بأوقاتٍ راتبة، وأزمانٍ مترادفة؛ ليكون ترادُفُ أزمانِها وتتابُعُ أوقاتِها سببًا لاستدامة الخضوع له، والابتهالِ إليه؛ فلا تنقطع الرَّهبةُ منه، ولا الرَّغبةُ فيه، وإذا لم تنقطع الرَّغبةُ والرَّهبةُ استدَام صلاحُ الخَلْق، وبحسب قوَّة الرَّغبةِ والرَّهبةِ يكونُ استيفاؤها على الكمال، والتقصير فيها عن حال الجواز.

---

(١) في الأصل: على ذٰلك.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٦، ٦٧، ١٢٩)، والبخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٥١)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الباب عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. [ط]

(٣) وهي القيام بواجب الدين. [ط]

(٤) الخبر في إتحاف السادة المتقين، بشرح إحياء علوم الدين، كتاب أسرار الصلاة (٣/ ٤١).

(٤٢٥) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصَّلاةُ مِكْيالٌ، فَمَنْ وَفَّى وُفِّيَ له، ومَن طَفَّف فقد علمتُم ما قال اللَّه في المطَفِّفين**»[1].

(٤٢٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ هَانت عليه صلاتُه، كانت على اللَّه ﷻ أَهْونَ**»[2].

(٤٢٧) وأُنْشِدتُ لبعض الشعراء الصالحين[3]:

أَقْبِلْ على صلواتِكَ الْخَمْسِ ... كَمْ مُصْبِحٍ وعَساهُ لا يُمسِي
واستقبِلِ اليومَ الجديدَ بتوبةٍ ... تَمحُو ذُنُوبَ صحيفةِ الأمسِ
فَليفْعلنَّ بوجهكَ الغَضِّ البِلَى ... فِعْلَ الظَّلامِ بصُورةِ الشَّمْسِ

* [الصِّيام]:

ثم فَرَضَ اللَّه تعالى الصِّيام، وقدَّمه على زكَوات الأموال، لتَعلُّق الصِّيام بالأبدان، وكان في إيجابه حثٌّ على رحمةِ الفقراء وإطعامِهم، وسَدِّ جَوْعاتِهم، لِما قد عانَوه من شدَّة المجاعة في صومهم.

(٤٢٨) وقد قيل ليوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أتجوعُ[4] وأنتَ على خزائن الأرض؟ فقال: إني أخافُ أن أشبَعَ فأنسَى الجائع».

ثمَّ لِمَا في الصَّوم من قَهْرِ النَّفس وإذلالها، وكَسْرِ الشَّهوةِ المستوليةِ عليها، وإشعارِ النفس ما هي عليه، من الحاجة إلى يسير الطعام والشراب، والمحتاجُ إلى الشيء ذليلٌ به، وبِهٰذا احتجَّ اللَّه تعالى على من اتخذ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمَّه إلٰهينِ من دونه؛ فقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥].

---

(١) لا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم.
وإنما ورد من قول سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٢٩٧٩)، وعبدالرزاق في «مصنَّفه» (٣٧٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٩١)، وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٣٤٧). [ط].

(٢) لا أعلم له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: وأنشدت لبعض الفصحاء في ذٰلك.

(٤) في الأصل: لم تجوع.

فجعل حاجتهما[1] إلى الطعام نقصًا فيهما عن أن يكونا إلٰهين.

(٤٢٩) وقد وصف الحسنُ البصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - في قَصصه - نقصَ الإنسان بالطعام وغيره، فقال: «مسكينٌ ابنُ آدَم؛ محتومُ الأجل، مكتومُ الأمل، مستورُ العلِل، يتكلَّم بلحم، وينظر بشحم، ويسمعُ بعظم، أسير جَوْعَة، صريعُ شَبْعَة، تؤذيه البقَّةُ، وتُنتنُه العَرْقة، وتقتلُه الشَّرْقَة، لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا»[2].

فانظرْ إلى لُطفه بنا فيما أوجَبه من الصيام علينا! كيفَ أيقظَ العقولَ له، وقد كانت عنه غافلةً أو متغافلةً، ونفَعَ النفوسَ به، ولم تكن لولاه منتفعةً ولا نافعةً!.

* [الزكاة]:

ثم فَرَض زَكَواتِ الأموال، وقدَّمها على فرض الحجِّ؛ لأنَّ في الحجِّ - مع إنفاق المال - سفرًا شاقًّا، فكانت النفسُ إلى الزكاة أسرَعَ إجابةً منها إلى الحج، فكان في إيجابها مواساةٌ للفقراء، ومعونةٌ لذوي الحاجات، تكفُّهم عن البغضاء، وتمنعُهم من التقاطع، وتبعثُهم على التواصُل، لأنَّ الآمِلَ وَصُول، والراجي هائب.

وإذا زالَ الأملُ، وانقطعَ الرَّجاءُ، واشتدَّت الحاجة، وقعتِ البغضاءُ، واشتدَّ الحَسَدُ، فحدثَ التقاطعُ بين أرباب الأموالِ والفقراء، ووقعت العداوةُ بين ذَوي الحاجاتِ والأغنياء، حتى تُفضيَ إلى التغالب على الأموال، والتغرير بالنفوس؛ هٰذا مع ما في أداء الزكاة من تمرين النفسِ على السَّماحةِ المحمودة، ومجانبة الشحِّ المذموم؛ لأنَّ السَّماحةَ تبعث على أداء الحقوق، والشُّحَّ يصُدُّ عنها، وما يبعث على أداء الحقوق فأَجدِرْ به حَمْدًا، وما صَدَّ عنها فأخلِقْ به ذمًّا.

(٤٣٠) وقد رَوى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**شَرُّ ما أُعْطِي العَبْدُ شُحٌّ هالِعٌ، وجُبْنٌ خَالعٌ**[3]»[4].

(١) في المطبوعة والشرح: احتياجهما.
(٢) العبارة في محاضرات الأدباء (٢/ ٥٤٤).
(٣) أي: شحٌّ يبعثه على الهَلَع على ماله. وجُبنٌ يخلع قلبَه من شدة الخوف. [ط]
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٢)، وأبو داود (٢٥١١)، وابن حِبَّان (٣٢٥٠)، والبيهقي في =

فسبحان من دبَّرنا[١] بلطيفِ حكمته، وأخفى عن فطنتِنا جزيلَ نِعمته، حتى استوجَب من الشكر بإخفائها أعظَمَ ممَّا استوجبه بإبدائها.

* [الحَج]:

ثم فَرَضَ الحجَّ، فكان آخر فروضه، لأنَّه يجمع عملًا على بدنٍ وحقًّا في مال، فجَعَل فَرْضَه بعد استقرار فروض الأبدانِ وفروضِ الأموال، ليكونَ استئناسُهم بكُلِّ واحدٍ من النوعينِ ذريعةً إلى تسهيل ما جَمَع بين النوعين؛ فكان في إيجابه تذكيرٌ ليومِ الحَشْرِ بمفارقةِ المال والأهل، وخضوعِ العزيزِ والذليلِ في الوقوفِ بين يديه، واجتماعِ المطيع والعاصي في الرهبةِ منه والرغبةِ إليه، وإقلاعِ أهل المعاصي عمَّا اجترحوه، ونَدَمِ المُذنبين على ما أسلفوه، فقلَّ من حَجَّ إلَّا وأحدثَ توبةً من ذنب، وإقلاعًا من معصية.

(٤٣١) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: **«مِنْ عَلامة الحَجَّةِ المبرورة أن يكون صاحبُها بعدَها خيرًا منه قبلَها»**[٢].

وهٰذا صحيح؛ لأنَّ النَّدَم على الذنوب مانعٌ من الإقدام عليها، والتوبةَ منها مكفرةٌ لما سلف منها، فإذا كفَّ عمَّا كان يُقْدِم عليه، أنبأ عن صحَّة توبته، وصحَّةُ التوبة تقتضي قبولَ حجَّته.

ثم نبَّه بما يعاني فيه ـ من مشاقِّ السفر المؤدِّي إليه ـ على موضع النعمة برفاهةِ الإقامةِ، وأَنَسَةِ الأوطان، ليحنوَ على من سُلِب هٰذه النعمة من أبناء السبيل. ثم أَعْلَمَ بمشاهدةِ حَرَمه الذي أنشأ منه دينه، وبَعثَ فيه رسوله ﷺ، ثم بمشاهدة دار الهجرة، التي أعزَّ اللَّهُ بها أهلَ طاعته، وأذلَّ بنصرة نبيِّه محمدٍ ﷺ أهلَ معصيته، حتى خَضَعَ له عظماءُ المتجبِّرين، وتذلَّل له زعماءُ المتكبِّرين: أنه لم ينتشر عن

= «الشُّعَب» (١٣/ ٢٨٢)، و«الآداب» (٨٧)، وعبدُ بن حُميد في «مسنده» (١٤٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.

(١) في الأصل: دبر.

(٢) لا أعلمُ له أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
وفي «إتحاف السادة المتقين» (٤/ ٧٢٦ ـ كتاب: أسرار الحج)، نسب هٰذا القول للحسن البصري، وهو أشبه، واللَّه أعلم.

ذٰلك المكانِ المنقطع، ولا قَوِي بعد الضعف البيِّن، حتى طَبَّق الأرضَ شرقًا وغربًا، إلَّا بمعجزةٍ ظاهرة، ونصرٍ عزيز.

فاعتبرْ ـ ألهَمك اللَّهُ الشكر، ووفَّقك للتقوى ـ إنعامَهُ عليك فيما كلَّفك، وإحسانَه إليك فيما تَعبَّدك، فقد وكلتُك إلى فطنتِك، وأحلتُك على بصيرتك، بعد أن كنْتُ لكَ رائدًا صدوقًا، وناصحًا شفيقًا، هل تُحْسن نُهوضًا بشكره ـ إذا فعلْتَ ما أمرَكَ، وتقبَّلتَ ما كلَّفك ـ ؟ كَلَّا، إنه لا يُولِيكَ نعمةً توجب الشُّكرَ، إلَّا وصَلها ـ قبل شُكرِ ما سَلَفَ ـ بنعمةٍ توجبُ الشُّكرَ في المؤتنَف[1].

(٤٣٢) ولذٰلك قال الحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نِعمُ اللَّه أكثرُ من أنْ تُشكَر ـ إلَّا ما أعانَ عليه ـ، وذُنُوبُ ابنِ آدمُ أكثرُ من أنْ تُغفَرَ ـ إلَّا ما عفا عنه ـ»[2].

(٤٣٣) وأُنشِدْتُ لمنصور بن إسماعيل الفقيه المصري رَحِمَهُ اللَّهُ[3]:

شُكْرُ الإلٰهِ نِعْمَةٌ   مُوجِبَةٌ لِشكرِهِ
فكيفَ شُكْري بِرَّهُ   مَنْ شُكْرُهُ مِنْ بِرِّهِ

وإذا كُنتَ عن شُكْرِ نِعَمِه عاجزًا، فكيفَ بكَ إذا قصَّرتَ فيما أمرك، أو فرَّطتَ فيما كلَّفك، ونفعُه أَعْوَدُ عليك لو فعلته؟! هل تكونُ لسوابغ نِعَمِهِ إلَّا كَفُورًا، وببدائِه العقول إلَّا مزجورًا؟! وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣].

(٤٣٤) قال مجاهد: «أي: يعرفون ما عدَّدَ اللَّهُ عليهم من نِعَمِه، وينكرونها بقولهم: إنهم ورِثوها عن آبائهم، أو اكتسبوها بأفعالهم»[4].

---

(١) المؤتنَف: الجديد القادم. يقال: ائتنف الشيء واستأنفه: أي ابتدأه وأخذ فيه بعد مرة، والاستئناف: الابتداء. «الصحاح» (ص٥٩).

(٢) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٣٩٩ ـ خبر: ٣٨٠٥).

(٣) منصور بن إسماعيل، أبو الحسن التميمي، الفقيه الشاعر، الضرير المصري، أحد أئمة الشافعية، تُوفي عام (٣٠٦).
ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٧٨)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٢٣)، وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٩).

(٤) العبارة في: النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي =

(٤٣٥) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقُول اللَّه تعالى: يا ابنَ آدم، ما أنصفتَني، أَتحبَّبُ إليكَ بالنِّعَم، وتتمقَّتُ إليَّ بالمعاصي، خيري إليكَ نازِل، وشَرُّكَ إليَّ صاعِد، كَمْ من مَلَكٍ كريمٍ يصْعَدُ إليَّ منك بعملٍ قَبيح!**»[1].

(٤٣٦) وقال بعض صلحاء السَّلف: «قد أصبح بنا من نعَم اللَّه تعالى ما لا نُحصيه ـ مع كثرة ما نَعْصيه ـ! فلا ندري أيَّهما نشكر: أجميلَ ما ينشُر، أم قبيحَ ما يَستُر؟!».

فحقٌّ على مَن عرف موقعَ النعمة أن يقبلَها، ممتثِلًا لِما كُلِّف منها، وقبولُها يكون بأدائها، ثم بشكر اللَّهِ تعالى على ما أنعَم به من إسدائها، فإنَّ بنا من الحاجة إلى نِعَمِه أكثرَ مما كلَّفنا من شُكر نِعَمه، فإن نحن أدَّينا حقَّ النعمة في التكليف، تفضَّل بإسداءِ النعمة من غير جهةِ التكليف[2]، فلزمتِ النِّعمتان، ومن لزمتْهُ النعمتان فقد أوتِيَ حظَّ الدُّنيا والآخرة، وهٰذا هو السعيدُ على الإطلاق.

وإن قصَّرنا في أداء ما كُلِّفنا من شُكره، قَصَّر عنَّا ما لا تكليفَ فيه من نعمه، فنفرت النعمتان، ومَن نفرتْ عنه النعمتانِ فقد سُلِبَ حظَّ الدُّنيا والآخرة، فلم يكن له في الحياة حظٌّ، ولا في الموت راحةٌ، وهٰذا هو الشقيُّ بالاستحقاق، وليس يختارُ الشِّقوة على السَّعادة ذو لُبٍّ صحيحٍ ولا عقلٍ سليم.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء:١٢٣].

(٤٣٧) وقد رَوى الأعمش، عن مسلم [بن يَسَارٍ] قال: قال أبو بكر الصديق

= (٢/ ٤٠٦).

(١) موضوع: أخرجه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٣/ ٤) ، والديلمي في «الفردوس» (٤/ ٢٥٧)، ونظيف المصري في «الفوائد» (ق١٠٦/ ٢) ، ومن طريقه أبو نصر الغازي في «جزء من الأمالي» (ق٧٨/ ١) عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحكم عليه بالوضع الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٧/ ٢٨٦).
وقد جاء هٰذا الكلام عن مالكِ بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قرأه في بعض الكتب السابقة، كما في «شُعب الإيمان» (٦/ ٣٢٣)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٧). ولا ريب أن المتن يحتوي على كلام صادقٍ نفيس، نسأله تعالى أن نكون من الشاكرين. [ط]

(٢) أي: تفضَّل سبحانه بإسداءِ بالنعمةِ ابتداءً. [ط]

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول اللَّه! ما أشدَّ هٰذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾!! فقال ﷺ: «يا أبا بكر، إنَّ المصيبةَ في الدُّنيا جَزاءٌ»[١].

واختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١]:

(٤٣٨) فقال بعضهم: «أحدُ العذابين الفضيحةُ في الدُّنيا، والثاني عذابُ القَبْر».

(٤٣٩) وقال عبدالرَّحْمٰن بن زيد: «أحدُ العذابين: مصائبهم في الدُّنيا ـ في أموالهم وأولادهم ـ، والثاني: عذابُ الآخرة في النار»[٢].

وليس ـ وإن نالَ أهلُ المعاصي لَـذَّةً مـن عيشٍ، أو أدركـوا أمنيـةً من الدنيا ـ كانت عليهم نعمةً؛ بل قد يكونُ ذٰلك استدراجًا ونِقمة.

(٤٤٠) وقد روى ابنُ لَهيعة، عن عُقبةَ بن مسلم، عن عقبةَ بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ

---

(١) حسن: رواه ـ بِهٰذا السنـد واللفظ ـ ابـن جريـر في «التفسير» (٧/ ٥٢٣)، وهنـادٌ في «الزهد» (٤٣٤)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٧٠٠ ـ التفسير)، وإسناده ضعيف للانقطاع بين مسلم وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لٰكن له شواهد ترقِّيه لدرجة **الحسن** ـ كما قال الشيخ عبدالرَّحْمٰن الفِرَيْوائي في تحقيقه لكتاب «الزهد» (١/ ٢٥٠).

ورواه أحمد (١/ ٦)، والبزار (٢١)، والمروزي (٢٢)، وأبو يعلى (١٨)، والطبري في «التفسير» (٧/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٠٤)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٧٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٣٣٤)، من روايةِ ابن عمر عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (١/ ٢٠٤)، ولفظه: «**مَن يعمل سُوءً يُجزَ به في الدنيا**». وانظر: «علل الدارقطني» (١/ ٢٢٤).

وثبت عن أبي بكر بن أبي زُهير قال: أُخبِرتُ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : يا رسول اللَّه، كيف الصلاحُ بعد هٰذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فكلُّ سوءٍ عمِلنا جُزِينا به؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**غَفر اللَّهُ لك ـ يا أبا بكر ـ ! ألستَ تَمْرَضُ؟ ألست تَنصَبُ؟ ألستَ تَحزَنُ؟ ألستَ تُصيبُك اللأواء؟**»، قال: بلى! قال: «**فهو ما تُجزَوْن به**». **والنصَب**: التعب. **واللأواء**: الشـدة. والحديث: **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١١)، والمروزي (١١١)، وأبو يعلى (٩٨)، والطبري (٥ / ٢٩٤)، وابن حبان (٢٩١٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٩٢)، والحاكم (٣ / ٧٤)، والبيهقي (٣ / ٣٧٣)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، ووافقه الإمام الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في التعليق على كتاب «الإيمان»، للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. [ط]

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٦/ ٤٥٦)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٥٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٦/ ١٣٨).

رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا رأيتَ اللَّهَ تعالى يُعطي العِبادَ ما يشاؤون على معاصِيهم إيَّاهُ، فإنَّما ذٰلك استِدْراجٌ منه لهم»، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ[1] حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام][2].

[قِسما المحرَّمات]:

فأمَّا سائر المحرَّمات، التي يمنَعُ الشَّرْعُ منها، واستقرَّ التَّكليفُ ـ عقلًا أو شرعًا[3] ـ بالنهي عنها، فتنقسم قسمين:

١ ـ منها ما تكون النفوسُ داعيةً إليها، والشهواتُ باعثةً عليها، كالسِّفاح وشُرْبِ الخمر، فقد زجر اللَّه تعالى عنها لقوَّةِ الباعث عليها، وشدَّةِ الميل إليها، بنوعين من الزَّجْر:

أحدهما: حدٌّ عاجلٌ يرتدعُ به الجريء.

والثاني: وَعيدٌ آجل يزدجرُ به التقيُّ.

٢ ـ ومنها ما تكون النفوسُ نافرةً منها، والشَّهواتُ مصروفةً عنها، كأكل الخبائث والمستقذَرات، وشُرب السُّموم المُتلفات، فاقتصَر اللَّهُ سبحانه في الزجر عنها بالوعيد وحدَه ـ دون الحدِّ ـ ؛ لأن النفوس مُسْعِدة[4] في الزجر عنها، والشهواتُ مصروفةٌ عنها وعن ركوب المحظور منها.

ثم أكَّد اللَّه تعالى زواجرَه بإنكار المنكِرين لها، فأوجَبَ الأمْرَ بالمعروف، والنَّهيَ عن المنكر، ليكونَ الأمْرُ بالمعروف تأكيدًا لأوامره، والنَّهيُ عن المنكر تأييدًا لزواجره؛ لأنَّ النفوسَ الأشِرةَ[5] قد ألهتها الصَّبْوةُ عن اتباع الأوامر،

---

(١) أي: أغدقنا عليهم أصنافَ النعيم. [ط]

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٥)، و«الزهد» (ص١٢)، والطبري في «التفسير» (٧/ ١٩٥)، والدولابي في «الكُنى» (١/ ١١١)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٨٨)، وفي «شُعب الإيمان» (٤٥٤٠)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤١٣). [ط]

(٣) في الأصل: سمعًا.

(٤) مُسعدة: أي مُعانة، وفي المطبوعة: مستعدة.

(٥) **الأشِرَة**: البَطِرة، وهو شدة المرح، (الصحاح ٩٥)، وفي الأصل: الأسرة.

وأذهلتها الشهواتُ عن تذكار الزواجر، فكان إنكارُ المجانِسينَ أزجرَ لها، وتوبيخُ المخالطين أبلَغَ فيها.

(٤٤١) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**ما أقرَّ قَوْمٌ المنكرَ بين أظهرهم، إلا عَمَّهم اللَّه بعذابٍ مُحتَضَر**[(١)]»[(٢)].

وإذا كان ذٰلك كذٰلك، فلا يخلو حال فاعلي المنكر من حالتين[(٣)]:

* **إحداهما**: أن يكونوا آحادًا متفرِّقين، وأفرادًا متبدِّدين، لم يتحزبوا فيه، ولم يتضافَروا عليه، وهم رَعِيَّةٌ مقهورون، وأشذاذٌ مستضعفون[(٤)].

فلا خلافَ بين الناس أنَّ أمرهم بالمعروف، ونَهيَهم عن المنكر ـ مع المُكْنة[(٥)] وظهور القدرة ـ واجبٌ على من شاهد ذٰلك من فاعِلِيه، أو سمِعه من قائلِيه.

وإنَّما اختلفوا في وجوب ذٰلك على مُنكِريه: هل وجَبَ عليهم بالعَقْل أو بالشرع[(٦)]؟:

[أ] فذهَبَ بعضُ المتكلِّمين إلى وجوب ذٰلك بالعقل؛ لأنَّه لمَّا وجَبَ بالعقل

---

(١) **مُحتَضَر**: عاجل. **[ط]**

(٢) **صحيح** ـ بغير هٰذا اللفظ ـ : فقد ثبت عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال على المنبر: يا أيُّها الناس، إنكم تقرؤون هٰذه الآية، وتضعونَها على غير موضعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة]، وإنَّا سمعنا رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ الناس إذا رأَوُا المنكرَ فلم يُغيِّروه؛ أوشَكَ أن يَعُمَّهمُ اللَّهُ بعقابه**». **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٧، ٩)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والمَرْوزي في «مسند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٨٨)، والحميدي (٣)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.

وثبت عن جرير بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «**ما من قوم يُعمَلُ فيهم بالمعاصي ـ هم أعزُّ وأكثرُ ممَّن يعملُه، ثم لا يُغيِّروه؛ إلا عمَّهم اللَّهُ منه بعقابٍ**». **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٦٤)، وأبو داود (٤٣٣٩)، وابن حِبان (٣٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣٨٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٩١)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. **[ط]**

(٣) في المطبوعة: من أحد أمرين.

(٤) أي: أفراد قليلة يُعدُّون ضعفاءَ؛ فلا يبالي بمخالفتهم ومعاندتِهم. وفي المطبوعة: أفذاذ.

(٥) أي: القدرة والاستطاعة.

(٦) راجع ما سلف عن مسألة «التحسين والتقبيح العقليين» ص(٤٧).

أن يمتنعَ من القبيح، وجب ـ أيضًا ـ بالعقل أن يَمنعَ غيرَه منه؛ لأنَّ ذٰلك أدعى إلى مجانبته، وأبلغ في مفارقته.

(٤٤٢) وقد رَوى عبدُاللَّه بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ قَومًا ركِبُوا سفينةً، فاقتسمُوا، فأَخَذَ كُلُّ واحدٍ منهم موضِعًا، فنَقَرَ رَجُلٌ منهم موضِعَه بفأسٍ، فقالوا: ما تَصنَع؟ فقال: هو مكاني أصنع فيه ما شئتُ! فلم يأخذوا على يديه؛ فهلَكَ وهلَكُوا**»(١).

[ب] وذهَبَ آخرون إلى وجوب ذٰلك بالشرع ـ دون العقل ـ؛ لأنَّ العقلَ لو أوجَبَ النهيَ عن المنكر، ومنَعَ غيرَه من القبيح، لوجَبَ مثلُه على اللَّه تعالى، ولَمَا جاز ورودُ الشَّرْع بإقرار أهل الذِّمةِ على الكفر، وترك النَّكِير عليهم؛ لأنَّ واجبات العقول لا يجوزُ إبطالُها بالشرع، وفي ورود الشرع بذٰلك دليلٌ على أنَّ العقل غير موجبٍ لإنكاره(٢).

فأمَّا إذا كان في ترك إنكاره مَضَرَّةٌ لاحقةٌ بمنكِرِه، وجَبَ إنكارُه بالعقل ـ على القولين معًا ـ، وأمَّا إنْ لَحِقَ المُنكِرَ مَضَرَّةٌ من إنكاره، ولم تلحقه مضرَّةٌ من كفِّه وإقراره، لم يجب عليه الإنكار؛ لا بالعقل ولا بالشرع.

ـ أمَّا العقل فلأنه يمنَعُ من اجْتِلابِ المضارِّ التي لا يوازيها نفْعٌ.

ـ وأمَّا الشَّرعُ:

(٤٤٣) فقد روى أبو سعيدٍ الخُدْريُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أنكِرِ المُنكرَ بيدِك، فإنْ لم تستطِعْ فبلسانِكَ، فإنْ لم تستطِعْ فبقلبِكَ، وذٰلك أضعفُ**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٦٨)، والبخاري (٢٤٩٣)، والترمذي (٢١٧٣)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. بلفظ: «**مثَلُ القائم على حدود اللَّه والواقع فيها: كمثلِ قومٍ استَهَمُوا على سفينةٍ، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نصيبنا خرقًا ولم نُؤذِ مَن فوقنا! فإن يتركُوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا، ونجَوا جميعًا**». [ط]

(٢) في بعض ما سبق قياسٌ فاسد؛ فإن اللَّهَ تعالى إذا فعل شيئًا لحكمته البالغة جَلَّ جَلَالُهُ، فهو أعلم من العالمين بها، ولا يجوزُ قياس أفعالِنا على أفعالِه تبارك وتعالى. وكلُّ ما ترونه مجادلاتٌ عقليةٌ لا فائدة منها، والأصلُ ورودُ الشرع بالنهي عن المنكرات، وكفى. [**ط**]

الإيمانِ»[١].

فإن أراد الإقدام على الإنكار ـ مع لحوق المضرَّةِ به ـ نَظَر:

ـ فإن لم يكن إظهارُ النكير ممَّا يتعلَّق بإعزازِ دينِ اللَّه، ولا إظهارِ كلمةِ الحقِّ: لم يجبْ عليه النكير ـ إذا خشي بغالب الظن تلفًا أو ضررًا ـ ، ولم يَحْسُن منه النكير ـ أيضًا ـ .

ـ وإن كان في إظهار النكير إعزازُ دين اللَّه تعالى، وإظهارُ كلمةِ الحق، حَسُنَ منه النكير ـ مع خشيةِ الإضرار والتَّلَف ـ ، وإن لم يجب عليه؛ إذا كان الغرضُ قد يحصُل له بالنَّكير ـ وإن استُضرَّ أو قُتِلَ ـ .

(٤٤٤) وعلى هٰذا الوجه قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ مِن أفْضلِ الأعمالِ كَلمةُ حَقٍّ عندَ سُلْطانٍ جائر**»[٢].

فأمَّا إذا كان يُقتل قبلَ حُصُولِ الغَرَض، قَبُحَ ـ في العقل ـ أن يتعرَّض لإنكاره، وكذٰلك إن كان الإنكارُ يَزيدُ المنهيَّ إغراءً بفعل المنكر، ولَجاجًا في الاستكثار منه؛ قَبُحَ في العقل إنكاره.

* **والحالة الثانية**: أن يكون فعلُ المنكر من جماعةٍ قد تضافرت عليه، وعُصْبةٍ قد تحزَّبَتْ ودعَتْ إليه، فقد اختَلَف النَّاس في وجوب إنكاره، على مذاهبَ شتَّى:

١ ـ فقالت طائفةٌ من أصحاب الحديث وأهل الآثار: لا يجب إنكاره، والأَولى بالإنسان أن يكون كافًّا مُمْسِكًا، وملازمًا لبيته وادعًا، غير منكر ولا مستنفر[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٠)، ومسلم (٤٩)، والنسائي (٥٠٠٨). ولفظه: «**مَن رأى منكم منكرًا فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطِعْ فبلسانه، فإن لم يستطِعْ فبقلبه؛ وذٰلك أضعفُ الإيمان**». [ط]

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٩)، وأبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.
ورواه أحمد (٤/ ٣١٥)، والنسائي (٤٢٠٩)، وفي «الكبرى» (٧٧٨٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧١٧٥)، عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٣) في المطبوعة: مستفز.

٢ ـ وقالت طائفة أخرى ـ ممن يقولُ بظهور المنتظَر[١] ـ : لا يجبُ إنكارُه، ولا التعرُّض لإزالته، إلَّا أن يظهر المنتظَرُ، فيتولَّى إنكارَه بنفسه، ويكونوا حينئذٍ أعوانه.

٣ ـ وقالت طائفة أخرى ـ منهم الأصمُّ[٢] ـ : لا يجوز للناس إنكارُه، إلَّا أن يجتمعوا على إمام عَدْلٍ، فيجبُ عليهم الإنكارُ معه[٣].

٤ ـ وقال جُمهور المتكلمين: إنكارُ ذٰلك واجب عليه، والدفعُ عنه لازمٌ على شروطه، في وجود أعوانٍ يَصلحون له، فأمَّا مع فَقْدِ الأعوانِ فعلى الإنسان الكفُّ، لأنَّ الواحد قد يُقتل قبل بلوغ الغرض، وذٰلك قبيحٌ في العقلِ أن يُتعرَّض له.

فهٰذا حكم ما أكَّد اللَّه تعالى به أوامره، وأيَّدَ به زواجره؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يختلفُ من أحوال الآمرين به، والناهين عنه.

[أحوالُ الناس فيما يُدْعَونَ إليه]:

ثم ليس يخلو حالُ النَّاس ـ فيما أُمروا به، ونُهوا عنه من فعل الطَّاعات، واجتناب المعاصي ـ ، من أربعة أحوال:

١ ـ فمنهم مَن يستجيبُ إلى فعل الطَّاعات، ويكفُّ عن ارتكابِ المعاصي.

وهٰذا أكملُ أحوال أهل الدين، وأفضلُ صفاتِ المتَّقين؛ فهٰذا يستحقُّ جزاءَ العاملين، وثوابَ المطيعين.

(٤٤٥) رَوى محمد بن عبدالملِك المدائنيُّ، عن نافع، عن ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الذنب لا يُنْسَى، والبِرُّ لا يَبْلَى، والدَّيَّانُ لا يموت، فكُنْ كما شئت، فكما تَدِين تُدَان**[٤]»[٥].

---

(١) وهم الشيعة الروافض ـ قبَّحهم اللَّه ـ . [ط]

(٢) هو عبدالرَّحْمٰن بن كيسان، أبو بكر الأصم، شيخ المعتزلة، صاحب مقالات في الأصول، مات سنة (٢٠١).
ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٠٢)، لسان الميزان (٣/ ٤٢٧).

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩٥) سورة البقرة (آية ٣٠).

(٤) أي: كما تَجزي غيرك تُجزى عند ربِّك. [ط]

(٥) **ضعيف**: أخرجه عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/ ١٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩)، وفي «الزهد الكبير» (٧٠٤)، وابن الجوزي في «ذم =

(٤٤٦) وقد قيل: «كلٌّ يَحصُد ما يَزرَع، ويُجْزى بما يصنع».

(٤٤٧) بل قالوا: «زَرْعُ يومِك حَصادُ غَدِك».

٢ ـ ومنهم من يمتنعُ من فِعل الطَّاعاتِ، ويُقْدِم على ارتكاب المعاصي، وهي أخبثُ أحوال المكلَّفين، وشرُّ صفات المتعبِّدين.

فهٰذا يستحقُّ عقابَ[1] اللاهي عن فِعل ما أُمِرَ به من طاعته، وعذابَ المجترئ على ما أقدمَ عليه من معاصيه.

(٤٤٨) وقد قال ابن شُبْرُمة[2]: «عجبتُ لمن يحتمي من الطيِّباتِ مخافَةَ الدَّاء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافةَ النار؟».

(٤٤٩) فأخَذَ ذٰلك بعضُ الشعراء، فقال:

جِسمُكَ قَد أفنيتَه بالحِمَى ... دهرًا من البارِدِ والحارِ
وكان أَولى بكَ أَنْ تَحتمي ... مِنَ المعاصي حَذَرَ النَّارِ

(٤٥٠) وقال ابن ضُبَارَة[3]: «إنا نظَرْنا، فوجدنا الصَّبرَ على طاعة اللّٰه تعالى أهونَ من الصَّبرِ على عذاب اللّٰه تعالى».

(٤٥١) وقال آخر: «اصبِرُوا ـ عبادَ اللّٰهِ ـ على عَمَلٍ لا غِنَى بكم عن ثوابه، واصبِرُوا عن عَملٍ لا صبْرَ لكم على عقابه».

= الهوى» (٢١٠)، والديلمي (٢ / ١ / ١٩)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٥٧٦)، و«ضعيف الجامع» (٢٣٦٩)، وكذا الشيخ المحقق عامر ياسين في تحقيقه لـ«صيد الخاطر» (ص٤٣ ـ ط: دار ابن خزيمة) **[ط]**

وأخرجه أحمد في الزهد (١٤٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قوله.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٩) عن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) في المطبوعة والشرح: عذاب.

(٢) عبداللّٰه بن شبرمة بن الطفيل، أبو شبرمة الكوفي القاضي، فقيهُ أهل الكوفة، عداده في التابعين، تُوفي عام (١٤٤).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٥/ ٧٦)، أخبار القضاة (ص٥١٢)، «السِّيَر» (٦/ ٣٤٧).

(٣) لم أجده، والعبارة في البيان والتبيين (٣/ ١٢٦) منسوبةً إليه، وفي المطبوعة: ضبارة بن عبداللّٰه بن مالك بن أبي السليك، ولم أجده كذٰلك، واللّٰه أعلم.

(٤٥٢) وقيل للفُضَيل بن عياض[١]: «رضي اللَّهُ عنك، فقال: كيف يرضَى عنِّي ولم أُرْضِه؟!».

٣ ـ ومنهم من يستجيبُ إلى فعل الطاعات، ويُقْدِمُ على ارتكاب المعاصي، فهٰذا يستحقُّ عذابَ المجترِئ، لأنَّه تورَّط ـ بغلبة الشهوةِ ـ على الإقدام على المعصية، وإن سَلِم من التقصير في فعل الطاعة.

(٤٥٣) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أقلِعُوا عن المعاصي، قبل أن يأخُذَكُم اللَّه، فيدعَكُم هَتًّا بَتًّا**»[٢].

الهَتُّ: الكَسْر. والبَتُّ: القطْعُ[٣].

(٤٥٤) ولذٰلك قال بعض العلماء: «أفضلُ النَّاس من لم تُفسِدِ الشهوةُ دينَه، ولم تُزِلِ[٤] الشُّبْهةُ يقينَه».

(٤٥٥) وقال حمَّاد بن زيد[٥]: «عجِبْتُ لمن يحتمي من الأطعمة لمضَرَّاتِها، كيف لا يحتمي من الذنوب لِمَعرَّاتِها؟!»[٦].

(٤٥٦) وقال بعضُ الصلحاء: «أهلُ الذُّنوب مرضَى القلوب».

(٤٥٧) وقيل للفُضَيل بن عياض: «ما أعجبُ الأشياء؟ فقال: قلبٌ عَرَفَ اللَّه ﷻ ثمَّ عصاه».

---

(١) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو عليٍّ الزاهد، أحد حكماء الدنيا وعبادها، ولد بخرسان، ومات بمكة عام (١٨٧).
ترجمته في: حلية الأولياء (٨/ ٨٤ ـ ٣٦٩)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١).

(٢) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم، وحسبُه أنه من كلام بعض الوعَّاظ. [ط]

(٣) لسان العرب (٦/ ٣٠٢) باب (هتت) وقد أورد فيه الحديث.

(٤) في المطبوعة: تنزل، وفي الشرح: تترك.

(٥) حَمَّاد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، أحد الأئمة، ثقة ثبت فقيه، توفي عام (١٧٩).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ـ ٢٥٢)، حلية الأولياء (٦/ ٢٥٧ ـ ٢٦٧).

(٦) العبارة في التذكرة (١/ ١٠٨)، ومحاضرات الراغب (٢/ ٤٠٧) منسوبةً إلى عليِّ بن الحسين.

(٤٥٨) وقال بعض الأدباء: «يُدِلُّ[١] بالطاعة العاصي، ويَنسى عِظَم[٢] المعاصي».

(٤٥٩) وقال رجلٌ لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أيُّما أحبُّ إليك؟ رجلٌ قليلُ الذنوب قليلُ العَمل، أو رجُلٌ كثيرُ الذنوبِ كثيرُ العمل؟ فقال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا أعدِلُ بالسَّلامة شيئًا»[٣].

(٤٦٠) وقيل لبعض الزُّهَّاد: «ما تقولُ في صلاة الليل؟ فقال: خَفِ اللَّه بالنهار، ونَمْ بالليل[٤]».

(٤٦١) وسمع بعضُ الزُّهاد رجلًا يقول لقومٍ: «أهلكَكُم النَّوم، فقال: بل أهلكتكم[٥] اليقظة[٦]!».

(٤٦٢) وقيل لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما التقوى؟ فقال: أَجُزْتَ في أرض فيها شَوك؟ فقال: نعم، فقال: كيف كنتَ تصنع؟ فقال: كنْتُ أتوقَّاه، قال: فتوقَّ الخطايا كذٰلك».

(٤٦٣) وقال عبدُاللَّه بن المبارك:

أيضمَنُ لي فتًى تَرْكَ المعاصي ... وأَرْهَنُهُ الكفالَةَ بالخلاصِ؟

أطاعَ اللَّهَ قومٌ فاسْتَراحُوا ... ولم يتجرَّعُوا غُصَصَ المعاصي

٤ ـ ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويكفُّ عن ارتكاب المعاصي، فهٰذا يستحقُّ عقاب[٧] اللاهي عن دينه، المُنذِرِ بقِلَّةِ يقينه.

(٤٦٤) روى أبو إدريسَ الخَوْلاني[٨]، عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي

---

(١) **الإدلال**: العُجب. **[ط]**
(٢) في المطبوعة والشرح: عظيم.
(٣) الخبر في التذكرة الحمدونية (١/ ١٠٣ ـ خبر: ١٨٩).
(٤) مع أن من خاف اللَّهَ بالنهار وفَّقه سبحانه للقيام بالليل. **[ط]**
(٥) في الأصل: أهلكهم.
(٦) لأنهم في النوم لا طاعةٌ ولا معصية، أما في اليقظة فغارقون في المخالفات. **[ط]**
(٧) في المطبوعة والشرح: عذاب.
(٨) عائذ اللَّه بن عبداللَّه بن عمرو بن عتبة بن غيلان، أبو إدريس الخَولاني، من علماء أهل الشام =

ﷺ أنه قال: «كانت صُحُف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّها عِبَرًا: عجبْتُ لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، وعجبتُ لمَن أيقَن بالقدَر ثم يَتعب، وعجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلها، ثم يطمئنُّ إليها، وعجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح، وعجبتُ لمن أيقن بالحساب غدًا، ثم لا يعمل»[١].

(٤٦٥) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «اجتَهِدُوا في العمل؛ فإنْ قَصَّرَ بكم ضَعْفٌ، فكُفُّوا عن المعاصي»[٢].

وهٰذا واضح المعنى؛ لأنَّ الكفَّ عن المعاصي تَرْكٌ ـ وهو أسهل ـ، وعَملُ الطَّاعاتِ فِعْلٌ ـ وهو أثقَل[٣] ـ؛ ولذٰلك لم يُبِحِ اللَّهُ تعالى ارتكاب المعصية بعُذرٍ ولا بغير عذر[٤]؛ لأنَّه تَرْك، والتَّرْكُ لا يَعجِزُ المعذورُ عنه، وإنَّما أباح تَرْكَ الأعمال بالأعذار؛ لأنَّ العَملَ قد يَعجِزُ المعذورُ عنه.

(٤٦٦) وقال بكر بن عبداللَّه[٥]: «رحم اللَّهُ امرأً كان قويًّا، فأعمَلَ قوَّته في طاعة اللَّه تعالى، أو كان ضعيفًا فكفَّ عن معصية اللَّه تعالى».

= وعبادهم وقرائهم، توفي عام (٨٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٤/ ٨٨)، تاريخ دمشق (٢٦/ ١٣٧ـ١٦٩)، الوافي (١٦/ ٥٩٥).

(١) ضعيف جدًّا: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، وفي «الثقات» (٢/ ١٢١)، والحاكم (٢/ ٥٩٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦ : ١٦٨)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢٣/ ٢٧٥) ـ في حديث طويل ـ، وضعَّفه الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٣٢)، وضعَّفه جدًّا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ«صحيح ابن حِبَّان» (٢/ ٦٩)، والشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٣٥٢). [ط]

(٢) باطل: ولا أعلم له أصلًا عن رسول اللَّه ﷺ، وحسبُه أنه من كلام بعض الوعَّاظ. [ط]
وأورد ابن رجب الحنبلي، في جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٥) عن مطرِّف بن عبداللَّه قال: «اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمةِ اللَّه وعفوه، كانت لنا درجاتٌ في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا ـ كما نخاف ونُحاذر ـ لم نقل: ربنا أرجِعنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل، ونقول: قد عمِلنا فلم ينفعنا ذٰلك».

(٣) لٰكن الكفَّ عن المعاصي أثقل من ناحيةِ منازعةِ النفس، ومجاهدتِها، ومنعها من مشتهياتِها ولذَّاتِها. [ط]

(٤) يقصد في غير حالة الاضطرار. [ط]

(٥) أبو عبداللَّه، بكر بن عبد اللَّه المُزَني البصري، أحد الأعلام، توفي عام (١٠٦).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٤/ ٢١٦)، الوافي بالوفَيات (١٠/ ٢٠٧).

(٤٦٧) وقال عبدُالأعلى بن عبدِاللَّه الشاميُّ [(١)] ـ رحمه اللَّهُ تعالى ـ:

العُمْـرُ يـنقُصُ والذُّنـوبُ تَـزِيدُ ... وتُقـالُ عثـراتُ الفتـى فـيَعُودُ [(٢)]

هـل يـستطيعُ جحـودَ ذَنْـبٍ واحـدٍ ... رجُـلٌ جـوارِحُه علـيه شُـهودُ

والمـرءُ يُـسأَلُ عـن سِـنِيهِ فيَـشتهي ... تقلـيلَها وعـن المَمَـاتِ يَحـيدُ

[آفاتُ الاستقامة]:

واعْلَم أنَّ لأعمال الطَّاعات، ومجانبةِ المعاصي آفتين:

إحداهما: تكسِبُ الوِزْرَ.

والأخرى: تُوهِنُ الأجر.

١ ـ فأما المُكسِبةُ للوِزْر: فالإعجابُ بما أسْلَف من عمله، وقدَّم من طاعته؛ لأنَّ الإعجابَ به يُفضي إلى حالتين مذمومتين:

إحداهما: أنَّ المُعْجَبَ بعمله مُمتنٌّ به، والممتنُّ على اللَّه تعالى جاحدٌ لنعمه.

(٤٦٨) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أوحى اللَّه تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه: أمَّا زهدُكَ في الدُّنيا فقد استعجلتَ به الراحة؛ وأما انقطاعُك إليَّ فهو عزٌّ لك، فهٰذان لك، وبقيت أنا» [(٣)].

والثانية: أنَّ المعجَبَ بعملـه مُدِلٌّ به [(٤)]، والمُـدِلُّ بعملـه مجتريءٌ، والمجترِئ

(١) عبدالأعلى بن عبدالأعلى الشامي، الإمام أبو محمد القرشي، صدوق، لٰكنه رمي بالقدر، تُوفي عام (١٨٩).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٥٩)، الوافي بالوفيات (١٨/ ٧).

(٢) **تُقال عثراته**: ينقذه اللَّهُ تعالى من ورطات أموره. [ط]

(٣) لا أظن أن مثل هٰذا الكلام يصحُّ أبدًا؛ وكيف يكون لصفوةِ عِباد اللَّهِ تعالى ـ وهم الأنبياء ـ أن يؤثِروا الدنيا طلبًا للراحة، وهم الذين لاقَوا في حياتِهم ما لاقَوا في سبيل إقامة شرع ربِّهم تبارك وتعالى؟! واللَّهُ سبحانه أعلمُ بصحَّتِه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا! ثم إنه ـ كما ترون ـ من الإسرائيليات، وظاهرُه مخالفٌ للنصوص الشرعية التي دلَّتنا على عصمةِ أنبياء اللَّهِ تعالى من الوقوع في مثل تلك الأمور، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٤) **الإدلال**: العجب والفخر ـ كما سلف ـ. [ط]

على اللَّه عاصٍ.

(٤٦٩) وقال مُورِّقٌ العِجْليُّ[١]: «خيرٌ من العُجْب بالطاعة ألَّا تأتِيَ بطاعة[٢]».

(٤٧٠) وقال بعضُ السلف: «ضاحِكٌ معترفٌ بذنْبه، خيرٌ من باكٍ مُدِلٌّ على رَبِّه، وباكٍ نادمٌ على ذنْبِهِ، خيرٌ من ضاحكٍ مغترٍّ[٣] بلهوه»[٤].

٢ ـ وأمَّا الموهِنَةُ للأجر: فالثِّقة بما أسلَفَ، والرُّكونُ إلى ما قدَّم، لأنَّ الثِّقة تَؤول إلى أمرين:

أحدهما: يُحدِثُ اتكالًا على ما مضى، وتقصيرًا فيما يستقبل، ومَن قَصَّر واتَّكَل لم يَرْجُ أجرًا، ولم يؤدِّ شكرًا.

والثاني: أنَّ الواثق آمن، والآمِن من اللَّه تعالى غير خائف، ومن لم يَخَف اللَّه تعالى هانَتْ عليه أوامره، وسهُلَتْ عليه زواجره.

(٤٧١) وقد قال الفُضيل بنُ عِياضٍ: «رَهْبةُ المَرْءِ من اللَّه تعالى على قَدْرِ عِلْمِه باللَّه تعالى»[٥].

(٤٧٢) وقال مورِّقٌ العجلي: «لَأَنْ أبيتَ نائمًا وأصبحَ نادمًا، أحبُّ إليَّ من أنْ أبيتَ قائمًا وأصبح ناعمًا»[٦].

(٤٧٣) وقال بعض الحكماء: «ما بينَك وبينَ ألَّا يكونَ فيك خيرٌ، إلَّا أنَّ ترى أنَّ فيك خيرًا[٧]».

---

(١) مورِّق العجلي أبو المعمر البصري، أحد الأئمة، ثقة عابد، توفي عام (١٠١).
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ٢٣٤)، تهذيب الكمال (٢٩/ ١٦).

(٢) لٰكن لا يُجعل هٰذا مقياسًا ثابتًا؛ بل لابد للعبد أن يجاهد على الإخلاص والصدق والتواضع لربِّه ﷻ، وشكره على ما يمتنُّ به من عبادات، وإلا فلو تركَ العبدُ العبادةَ مخافةَ العُجب لَمَا عُبد اللَّهُ تعالى إلا قليلًا. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: معترف.

(٤) العبارتان في البيان والتبيين (٣/ ١٥٨)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢٠٥) منسوبتان لمورق العجلي.

(٥) العبارة في الحلية (٨/ ١١٠).

(٦) العبارة في الحلية (٢/ ٢٠٠)، وعيون الأخبار (١/ ٣٨٩) منسوبة إلى مطرف بن عبداللَّه.

(٧) هٰذه العبارة فيها نظر، والتفصيل فيها متحتِّم:
ـ فإن كانت رؤية العبد للخير الذي عنده من باب العُجب والفخر، فالكلام سديد. =

(٤٧٤) وقيل لرابعة العدوية[١] ـ رحِمها اللَّه ـ: «هل عمِلْتِ عملًا قَطُّ تَرَيْن أنه يُقْبَلُ منك؟ قالت: إن كان شيءٌ فخوفي من أن يُردَّ عليَّ عملي»[٢].

(٤٧٥) وحُكي أنَّ بعضَ الزُّهاد وقفَ على جَمْعٍ، فنادى بأعلى صوته: «يا معشر الأغنياء، لكم أقولُ: استكثِرُوا من الحَسنات؛ فإنَّ ذنوبَكم كثيرة، ويا معشر الفقراء، لكم أقولُ: أَقِلُّوا من الذنوب، فإنَّ حسناتكم قليلة».

(٤٧٦) وقال ابن السَّمَّاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنا للَّهِ فيما مضى؛ ما أعظَمَ فيه الخطر! وإنا للَّه فيما بقي؛ ما أقلَّ منه الحذر[٣]!».

فينبغي ـ أحسَنَ اللَّهُ إليك بالتوفيق ـ ألَّا تُضيعَ صِحَّة جِسْمك، وفراغَ وقتِكَ بالتقصير في طاعة رَبِّك، والثقةِ بسالف عملك، فاجعل الاجتهادَ غنيمةَ صِحَّتِك، والعملَ فُرصةَ فراغِكَ، فليس كُل الزمان مُسعدَك[٤]، ولا ما فات مستدرَكًا، وللفراغ زَيْغٌ أو نَدم، وللخَلْوة ميلٌ أو أسَف.

(٤٧٧) وقال عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الراحةُ للرجال غَفْلَة، وللنساء غُلْمة»[٥].

(٤٧٨) وقال بُزُرْجَمِهْر: «إنْ يكُن الشُّغل مَجْهَدة، فالفراغُ مَفْسدة»[٦].

= ـ أما إن كانت رؤيته من باب الفرح بفضل اللَّهِ تعالى عليه، والسعادةِ بأنه مخالفٌ للضالين والضائعين، ويكون مُتبِعًا هٰذا بالشُّكر ومزيدٍ من الاستقامة، فهٰذا خيرٌ وعلى نور.
وحقيقةً فإنه يصعُب على كلِّ عاقلٍ أن تتوالَى عليه نِعمُ ربِّه ﷻ، ثم لا يراها ولا يدركُها أكثرَ من إدراكه لروحِه التي بين جنبيه، خاصةً وهو غارقٌ فيها ليلَ نهار. واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(١) أم الخير، رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية، أشهر الزاهدات المتعبدات، توفيت عام (١٨٥).
ترجمتها في: وفيات الأعيان (٢/ ٤٨)، الوافي بالوفيات (١٤/ ٥١).

(٢) العبارة في البيان والتبيين (٣/ ١٧٠).

(٣) أي: ما أعظمَ الخطر فيما سلف من طاعات! وما أقلَّ من يحذرُ ما يفعله منها فيما يأتي، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٤) في الشرح: مستسعدًا.

(٥) **الغُلْمَةُ**: شهوة الضِّراب ـ أي: النكاح ـ. (الصحاح ص٧٨٣).

(٦) العبارة في التذكرة (١/ ٢٤٨)، وفي محاضرات الأدباء (١/ ٣٥٨) غير منسوبة.

(٤٧٩) وقال بعضُ الحكماء: «إياكم والخَلَوات، فإنَّها تفسِدُ العقول، وتُعقِّدُ المحلول[١]».

(٤٨٠) وقال بعضُ البلغاء: «لا تُمضِ يومَك في غير مَنفعة، ولا تُضِعْ مالك في غير صنيعةٍ، فالعمرُ أقصَرُ مِنْ أنْ يَنفَدَ في غير المنافع، والمالُ أقلُّ من أن يُصْرَفَ في غير الصنائع، والعاقلُ أجلُّ من أن يُفنيَ أيامَه فيما لا يعودُ عليه نفعُه وخيرُه، وينفقَ أموالَه فيما لا يحصُلُ له ثوابُه وأَجرُه».

(٤٨١) وأبلَغُ من ذٰلك قولُ عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «البرُّ ثلاثة: المنطِقُ، والنَّظَرُ، والصَّمْتُ، فمن كان منطِقُه في غير ذكرٍ فقد لَغَا[٢]، ومن كان نظرُه في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمتُه في غير فكرٍ فقد لَهَا»[٣].

[أحوالُ الإنسان مع العبادات]:

واعلَمْ أنَّ للإنسان فيما كُلِّف من عباداته ثلاثَ أحوالٍ:

إحداها: أن يستوفيَها من غير تقصيرٍ فيها، ولا زيادةٍ عليها.

والثانية: أن يقصِّرَ فيها.

والثالثة: أن يزيدَ عليها.

* **فأمَّا الحال الأولى:** فهي أن يأتِيَ بها على حالِ الكمال، من غير تقصيرٍ فيها، ولا زيادةِ تطوُّعٍ على راتبتها، فهي أوسَطُ الأحوال وأعدلُها؛ لأنه لم يكن منه تقصيرٌ فيُذَمُّ، ولا تكثيرٌ فيعجِز.

(٤٨٢) وقد رَوى سعيدُ بن أبي سعيدٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سدِّدوا وقارِبُوا وأبشِرُوا، واستَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحة، وشيءٍ من الدُّلْجة**[٤]»[٥].

---

(١) أي: تعقِّدُ الأمور اليسيرة الهيِّنة، وذٰلك بكثرة التفكير وتقليب الأمور فيها. [ط]

(٢) اللغو: الإثم. [ط]

(٣) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ٦٠ ـ خبر: ٧٤).

(٤) **الغَدوة**: أول النهار. **الرَّوحة**: آخره. **الدُّلجة**: الليل. ومقصود الحديث: الترفق بالنفس، وفعل الطاعات في أوقاتِ النشاط، حتى لا ينقطع بالكلية عن الطاعات ـ إذا شدَّد على نفسه ـ. [ط]

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٥١٤)، والبخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤)، وابن حبان (٣٥١) وأوله: «**إن هٰذا الدِّين يُسر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا...**» الحديث. [ط]

(٤٨٣) وقال الشاعر:

عليكَ بأوسَاطِ الأمورِ فإنَّها ... نَجاةٌ ولا تركَبْ ذَلولًا ولا صَعْبًا

* **وأما الحال الثانية:** وهو أن يقصِّر فيها، فلا يخلُو حالُ تقصيرِهِ من أربعة أحوال:

إحداها: أن يكون تقصيرُه لعذرٍ أعجزه عنه، أو مرضٍ أضعَفه عن أداء ما كُلِّف به؛ فهٰذا حكمٌ يَخرُجُ عن حكم المقصِّرين، ويُلحَقُ بأحوال العاملين، لاستقرار الشرعِ على سقوط ما دخل تحت العجز.

(٤٨٤) وقد جاء الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما مِنْ عاملٍ كان يعمَلُ عملًا فيقطعُه عنه مرضٌ، إلَّا وكَّلَ اللَّهُ تعالى به مَن يكتُبُ له ثوابَ عَمَلِه**»[١].

والحال الثانية: أن يكون تقصيرُه فيه اغترارًا بالمسامحة فيه، ورجاءَ العفوِ عنه، فهٰذا مخدوعُ العَقْل، مغرورٌ بالجهل، فقد جعل الظنَّ ذُخرًا، والرَّجاءَ عُدَّةً، فهو كمن قَطع سفرًا بعيدًا بغير زادٍ؛ ظنًّا بأنَّه سيجده في المفاوز الجَدْبة، فيُفضي به الظنُّ إلى الهَلَكة، وهلَّا كان الحذَرُ أغلبَ عليه، وقد ندب اللَّهُ تعالى إليه؟!.

(٤٨٥) حُكي أن إسرائيلَ بن محمد القاضي[٢] قال: «لقيني مجنونٌ كان في الخَرِبات، فقال: يا إسرائيل، خَفِ اللَّهَ خوفًا يشغلُك عن الرَّجاء؛ فإنَّ الرَّجاء يشغَلُك عن الخوف[٣]، وفِرَّ إلى اللَّهِ، ولا تَفِرَّ منه».

---

(١) **صحيح** ـ بغير هٰذا اللفظ ـ : فقد أخرج أحمد (٤/ ٤١٠)، والبخاري (٢٩٩٦)، وأبو داود (٣٠٩١) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا مَرِضَ العبدُ أو سافر؛ كُتب له مثلُ ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**». [ط]

(٢) إسرائيل بن محمد، أبو تمام، قاضي الرحاب.
ترجمته في: أخبار القضاء، لوكيع (ص٦٩٠).

(٣) نعم ـ وربِّي ـ ، ولذٰلك ينبغي للدعاةِ أن يخوِّفوا الناس من ربِّهم ﷻ بين حينٍ وحين، ولا يقتصروا على جانب الترغيب فقط ـ كما هو الغالب ـ ، واستمع إلى أبي حامدٍ الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يقول: «هٰذا الزمانُ زمانٌ لا ينبغي أن يُستعملَ فيه مع الخَلقِ أسبابُ الرجاء؛ بل المبالغة في التخويف ـ أيضًا ـ لا تكادُ أن تردَّهم إلى جادَّةِ الحق وسَنن الصواب، فأما ذِكرُ أسباب الرجاء فيُهلكُهم ويُرديهم بالكلية، ولٰكنها لمَّا كانت أخفَّ على القلوب، وألذَّ عند النفوس، ولم يكن غرضُ الوعَّاظ إلا استمالةَ القلوب، واستنطاقُ الخَلْقِ بالثناء ـ كيفما كانوا ـ مالوا =

(٤٨٦) وقيل لمحمد بن واسع[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألَا تتكئ؟ فقال: تلك حِليةُ الآمنين[٢]».

(٤٨٧) وحُكي أن أبا حازم الأعرج[٣] أخبر سُليمانَ بن عبدِالملك[٤] بوَعيد اللَّه للمذنبين، فقال سُليمان: «فأين رحمةُ اللَّه؟ قال: قريبٌ من المُحسنين»[٥].

(٤٨٨) وقال عبدُاللَّه بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما انتفعْتُ ولا اتعظتُ بعد رسول اللَّه ﷺ بمثل كتابٍ كتبَه إليَّ عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمَّا بعد، فإنَّ الإنسان يسرُّه دَرَكُ ما لم يكن ليفوتَه، ويسوؤه فَوْتُ ما لم يكن ليدركَه، فلا تكن بما نِلتهُ من دنياك فرِحًا، ولا لما فاتكَ منها تَرِحًا، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويؤخِّرُ التَّوبةَ لطول الأمل، فكأن قد، والسلام».

(٤٨٩) وقال محمود الورَّاق[٦] رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخـافُ على المحسِنِ المتَّقـي ... وأرجـو لـذي الهَفَواتِ المُسِي

فـذٰلك خـوفي على مُحْسِنٍ ... فكيفَ على الظالِمِ المعتدي!

علـى أنَّ ذا الزيغِ قـد يستفيقُ ... ويسْتأنفُ الـزَّيغَ قلبُ التَّقي

= إلى الرجاء، حتى ازداد الفسادُ فسادًا، وازداد المنهمكون في طغيانِهم تماديًا». «إحياء علوم الدين» (٧/ ٤٨١، ٤٨٢ ـ ط: المنهاج). [ط]

(١) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس، أبو بكر الأزدي البصري، أحد الأئمة العباد، توفي عام (١٢٣).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٥/ ١٧٢)، الحلية (٢/ ٣٤٥).

(٢) والغالب أنه يقصدُ أهل الجنة الذين أمنوا من المخاوف. [ط]

(٣) سلمة بن دينار الأعرج، أبو حازم، القاصُّ الزاهد الحكيم، تُوفي عام (١٤٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١١/ ٢٧٢)، حلية الأولياء (٣/ ٢٢٩)، تاريخ دمشق (٢٢/ ١٦ ـ ٧٣).

(٤) سليمان بن عبدِالملك بن مروان، أمير المؤمنين، من خيار ملوك بني أمية، كان فصيحًا مفوهًا مؤثرًا للعدل، تُوفي عام (٩٩).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٩٨).

(٥) الخبر في عيون الأخبار (٣/ ٣٩٩)، والبيان والتبيين (٣/ ١٤٢)، وتاريخ دمشق (٢٢/ ٢٩).

(٦) محمود بن الحسن الوراق، أكثر من الشعر الحسن في المواعظ والحكم، توفي عام (٢٣٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٥/ ١٠٢)، الوافي بالوفيات (٢٥/ ١٩١).

والحال الثالثة: أن يكون تقصيرُه فيه ليستوفِيَ ما أخلَّ به من بعدُ، فيبدأ بالسيئة في التقصير قبلَ الحسنةِ في الاستيفاء، اغترارًا بالأمل في إمهاله، ورجاءً لتلافي ما أسلَفَ من تقصيره وإخلاله، فلا ينتهي به الأملُ إلى غاية، ولا يُفْضِي به إلى نهاية، لأنَّ الأملَ هو في ثاني حالٍ كهو في أوَّل حال.

(٤٩٠) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِنْ يُؤَمِّل أن يعيشَ غدًا، فإنَّه يؤمِّل أن يعيشَ أبدًا**»[١].

ولعَمْري إن هٰذا صحيحٌ؛ لأنَّ لكُل يوم غدًا، فإذَنْ يُفضي به الأملُ إلى الفَوْت من غير دَرَكٍ[٢]، ويؤديه الرَّجاء إلى الإهمالِ من غير تَلافٍ، فيصير الأملُ خيبةً، والرجاءُ إياسًا.

(٤٩١) وقد رَوى عَمرُو بن شعيب، عن أبيه، عن جده[٣]، أنَّ النبي ﷺ قال: «**أوَّلُ صلاحِ هٰذه الأمة بالزُّهد واليقين، وفسادُها بالبُخل والأمل**»[٤].

(٤٩٢) وقال الحسنُ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أطالَ عبدٌ الأمَل، إلَّا أساءَ العمل».

(٤٩٣) وقال رجلٌ لبعض الزُّهاد بالبصرة: «ألك حاجةٌ ببغداد؟ قال: ما أحبُّ أن أُبسطَ أملي إلى أن تذهب إلى بغداد وتجيء».

(٤٩٤) وقال بعضُ الحكماء: «الجاهلُ يعتمدُ على أمله، والعاقلُ يعتمدُ على عمله».

(٤٩٥) وقال بعضُ البلغاء: «الأمَلُ كالسَّراب، غُرَّ من رآه، وخاب من رجاه».

(٤٩٦) وقال محمد بن يَزْدَاد[٥]: «دخلْتُ على المأمون ـ وكنتُ يومئذٍ وزيره ـ،

---

(١) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
(٢) **الدَّرَك**: الإدراك. [ط]
(٣) وهو عبداللَّهِ بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. [ط]
(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد في «الزهد» (٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٣/ ١١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٧٦٥٠)، وابن بشران في «الأمالي» (٥٣٤)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣)، وقِصَرِ الأمل (٢٠)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢٧). [ط]
(٥) محمد بن يزداد بن سويد، الكاتب، وزير المأمون، كان حسن البلاغة، كثير الأدب مشهورًا بقول الشعر، توفي عام (٢٣٠).
ترجمته في: تاريخ دمشق (٥٦/ ٢٣٧)، الوافي بالوفيات (٥/ ٢١٣).

فرأيته قائمًا وبيده رُقعة، فقال: يا محمد، أقرأتَ ما فيها؟ فقلت: هي في يد أمير المؤمنين، فرمى بها إليَّ، فإذا فيها مكتوبٌ:

إنَّــــك في دارٍ لهـــا مُـــــدَّةٌ ... يُقْـــبَلُ فـــيها عَمَـــلُ العامِـــلِ

أمَــا تَــرَى المــوْتَ محـيطًا بهـــا ... يَقطَـــعُ فـــيها أمَـــلَ الآمِـــلِ

تَعْجَـــلُ بالـــذنبِ لمَـــا تـــشتهي ... وتأمَـــلُ الـــتوبةَ مـــن قابـــلِ

والمـــوتُ يـــأتي بعـــدَ ذا بغـــتةً ... مـــا ذاك فعـــل الحـــازم العاقِـــلِ

فلما قرأتُها، قال المأمون: هٰذا من أحكم شِعرٍ قرأتُه»[١].

(٤٩٧) وقال أبو حازم الأعرج: «نحن لا نريدُ أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتَّى نموت[٢]!»[٣].

(٤٩٨) وقال بعضُ البلغاء: «زائدُ الإمهال رائدُ الإهمال[٤]».

والحال الرابعة: أن يكون تقصيرُه فيه استثقالًا للاستيفاء، وزهدًا في التمام، واقتصارًا على ما سَنح[٥]، وقلَّةَ اكتراثٍ فيما بقي.

فهٰذا على ثلاثة أضرُب:

أحدها: أن يكونَ ما أخلَّ به وقصَّرَ فيه غيرَ قادحٍ في فرضٍ، ولا مانعٍ من عبادةٍ، كمن اقتَصر في العبادة على فعل واجباتِها، وعملَ مفترَضاتِها، وأخلَّ بمسنوناتِها وهيئاتِها، فهٰذا مسيءٌ فيما ترك إساءَةَ من لا يستحِقُّ وعيدًا، ولا يستوجِبُ عقابًا، لأنَّ أداء الواجب يُسقِطُ عنه العقابَ، وإخلالَه بالمسنون يمنَعُ من إكمال الثواب.

(٤٩٩) وقد قال بعضُ الحكماء: «مَن تَهاوَنَ بالدِّين هـان، ومَنْ غـالب الحقَّ لان».

---

(١) الخبر والأبيات في ترجمة محمد بن يزداد، في تاريخ دمشق (٥٦/ ٢٣٧).
(٢) حيث لا تنفع التوبة!! [ط]
(٣) العبارة في تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٨).
(٤) أي: كلَّما طالت مُدَّةُ العبد زاد إهمالُه للبِرِّ والطاعات. [ط]
(٥) سَنَح: بدا وتَهيَّأ. [ط]

(٥٠٠) وقال الشاعر:

ويصونُ تَوْبَتَه ويتركُ غيرَ ذٰلك لا يَصونُهْ
وأَحَقُّ ما صَانَ الفَتَى ورَعَى أمانتُهُ ودِينُهْ

والضرب الثاني: أن يكونَ ما أخلَّ به من مفروض عبادته، لٰكن لا يقدَحُ تَرْكُ ما بقيَ فيما مضى، كمن أكمل عبادةً[١]، وأخلَّ بغيرها.

فهٰذا أسوأ حالًا ممن تقدَّمه، لِما استحقَّه من الوعيد، واستوجَبَه من العقاب.

والضرب الثالث: أن يكون ما أخلَّ به من مفروض عبادتِه، وهو قادحٌ فيما عمل منها ـ كالعبادةِ التي يرتبط بعضُها ببعض ـ ؛ فيكون المقصِّرُ في بعضها تاركًا لجميعها، فلا يُحتسب له ما عملٌ ـ لإخلاله بما بقي ـ .

فهٰذا أسوأ أحوالِ المقصِّرين، وحالُهُ لاحقةٌ بأحوال التاركين؛ بل قد تكلَّف ما لا يُسقط فرضًا، ولا يؤدِّي حقًّا، فقد ساوى التارِكين في استحقاق الوعيد، وزاد عليهم في تكلُّف ما لا يفيدُ، فصار من الأخسرين أعمالًا، الذين ضَلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثمَّ لعلَّه لا يفطُن لشأنه، ولا يشعُر بخسرانه، وقد خسِرَ الدنيا والآخرة، ويفطُن لليسير من ماله، إن وَهَى واختلَّ.

(٥٠١) وأنشدني بعضُ أهل العلم[٢]:

أبنيَّ إنَّ من الرِّجال بَهيمةً في صورةِ الرَّجُلِ السَّميعِ المبصرِ
فَطِنٌ بكُلِّ مُصيبةٍ في مالِهِ وإذا أُصيب بدينِهِ لم يشعُرِ

* **وأَمَّا الحال الثالثة**[٣]: وهو أن يزيدَ فيما كُلِّفَ، فهٰذا على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون الزِّيادة رياءً للناظرين، وتصنُّعًا للمخلوقين، حتى يستعطفَ به القلوبَ النَّافِرَة، ويخدَعَ به العقولَ الواهية، فيتَبهرج[٤] بالصُّلحاء وليس منهم،

(١) في المطبوعة والشرح: عبادات.
(٢) نسبهما في بهجة المجالس (٢/ ٨٠١) لعبدالله بن المبارك، وفي الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٤٠١) غير منسوبة.
(٣) راجع تقسيم الحالات ص (٢٠٦).
(٤) **يتبهرج**: يخدع الناس بسمت الصالحين. [ط]

ويتدلَّس في الأخيار وهو ضدُّهم.

وقد ضرب رسول اللَّه ﷺ للمرائي بعمله مثلًا:

(٥٠٢) فقال: «**المتشبِّع بما لا يَملِكُ كلابس ثَوْبَيْ زُور**»[١].

يريدُ بالمتشبِّع بما لا يملك: المتزيِّنَ بما ليس فيه. وقوله: «**كلابس ثوبَيْ زُور**»: هو الذي يلبَسُ ثيابَ الصُّلحاء، ويفعل أفعالَ الطُّلَحاء، فهو بريائِه محرومُ الأجر، مذمومُ الذِّكر؛ لأنه لم يقصِدْ به وجه اللَّه تعالى فيؤجرَ عليه، ولا يَخفَى رياؤه على الناس فيُحمَدَ به.

قال اللَّه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

(٥٠٣) قال جميعُ أهل التأويل: «معنى قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: لا يرائي بعمَلِه أحدًا».

فجعل الرِّياء شِرْكًا، لأنه جَعَل ما يُقْصَدُ به وجْهُ اللَّه تعالى مقصودًا به غير اللَّه تعالى.

(٥٠٤) وقال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠] ـ ، قال: «لا تجهرْ بها رياءً، ولا تخافِتْ بها حَياءً»[٢].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٣٤٥)، والبخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠)، وأبو داود (٤٩٩٧)؛ من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
ورواه الترمذي (٢٠٣٤)، عن جابر بن عبداللَّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **وحسَّنه** الشيخ الألباني.
ورواه أحمد (٦/ ٩٠، ١٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٢٠) عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) زاد المسير (٥/ ١٠٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٣٤)، وتفسير القرطبي (١٣/ ١٩٣).
قلت: في هٰذا التأويل نظر ـ إن صحَّ عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ؛ فإنه قد ثبت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء]، قال: «نزلت ورسول اللَّه ﷺ مختفٍ بمكة، كان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن ومَن أنزله ومَن جاء به، فقال اللَّهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي: بقراءتك، فيَسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾». **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٣)، والبخاري (٤٧٢٢)، =

(٥٠٥) وكان سُفيان بن عُيَيْنة[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتأولُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل:٩٠]: «أنَّ العَدلَ: استواءُ السَّريرة والعلانية في العمل للَّه تعالى؛ والإحسان: أن تكون سريرتُه أحسَنَ من عَلانيته؛ والفحشاء والمنكر: أن تكونَ علانيتُه أحسَنَ من سريرته».

(٥٠٦) وكان غيرُه يقول: «العدلُ: شهادةُ ألَّا إلٰه إلا اللَّه، والإحسانُ: الصَّبْر على أمره ونَهيه؛ وطاعةُ اللَّـهِ في سرِّه وجهره؛ وإيتاءُ ذي القُرْبَى: صِلة الأرحام؛ ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾، يعني: الزِّنا؛ ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: القبائح؛ ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: الكِبْر والظلْم»[٢].

وليس يخرج الرِّياءُ بالأعمال من هٰذا التأويل ـ أيضًا ـ؛ لأنَّه من جُملة القبائح.

(٥٠٧) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَخْوَفُ ما أخَافُ على أمَّتي: الرِّياءُ الظَّاهِرُ، والشهوةُ الخفيَّةُ**»[٣].

(٥٠٨) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَشَدُّ النَّاس عذابًا يوْمَ القيامة من يَرَى**

= ومسلم (٤٤٦)، والترمذي (٣١٤٥)، والنسائي (١٠١١)، وفي «الكبرى» (١٠٨٥). [ط]

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، توفي عام (١٩٨).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٨)، تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤)، حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٦٣٤)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٤١٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٧٠٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣)، وابن ماجه (٤٢٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٩)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، البيهقي في «الشعب» (٦٨٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٨)، عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٠٢)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٤٤٨)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط. وفي الحديث بعض الطول، لٰكن هٰذا القسم الذي أورده الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح؛ حيث رواه الطبراني في «الكبير» ـ كما في «الصحيحة» (٢/ ٣٤) ـ، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥/ ٣٣٢)، وفي «الزهد الكبير» (٣١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٢٩)، من حديث عبَّاد بن تميم عن عمِّه ـ وهو عبداللَّه بن يزيدَ بن عاصم ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣٦٠٦)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٦٥٥): «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، خلا عبداللَّه بن بُديل بن ورقاء، وهو ثقة»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٠٨)، وكذا محقق «شعب الإيمان» (٩/ ١٥٠). [ط]

[الناسُ] أنَّ فيه خيرًا، ولا خيرَ فيه»[١].

(٥٠٩) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تعْمَل شيئًا من الخير رِياءً، ولا تتركْه حياءً».

(٥١٠) وقال بعضُ العلماء: «كُلُّ حَسنةٍ لم يُرَدْ بها وجهُ اللَّه تعالى، فعِلَّتها قُبْحُ الرِّياء، وثمرتُها سُوء الجَزَاء».

وقد يُفضي الرِّياءُ بصاحبه إلى استهزاء الناس به.

(٥١١) كما حُكي أنَّ طاهر بن الحُسين[٢] قال لأبي عبداللَّه المَرْوزِي[٣]: «مُنذ كمْ صِرتَ إلى العراق ـ يا أبا عبداللَّه ـ؟ قال: دخلْتُ العراق منذ عشرين سنة، وأنا منذ ثلاثين سنةً صائم، فقال: يا عبدَاللَّه، سألتك عن مسألةٍ، فأجبْتَ عن مسألتين».

(٥١٢) وحَكى الأصمعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ أعرابيًا صلَّى فأطال، وإلى جانبه قَوْمٌ، فقالوا: ما أحسَنَ صَلاتَكَ! قال: وأنا مع ذٰلك صائم. فقال أعرابيٌّ كان فيهم:

صلَّى فأعجبني وصَامَ فرابني ... نَحِّ القَلُوصَ عن المصلِّي الصَّائمِ[٤]

فانظر إلى هٰذا الرِّياء ـ مع قبحه ـ؛ ما أدلَّه على سُخفِ عَقلِ صاحبه! وربَّما ساعد النَّاسَ ـ مع ظهور ريائه ـ على الاستهزاء بنفسه.

(٥١٣) كالذي حُكي أن زاهدًا نظر إلى رجل في وجهه سَجَّادةٌ كبيرة[٥]، واقفًا على باب السُّلطان، فقال: «مِثلُ هٰذا الدرهم بين عينيك وأنتَ واقف هاهنا؟ فقال إنه ضَرْبٌ على غير السِّكَّة».

---

(١) **موضوع**: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٥٨)، وأبو عبدالرَّحْمٰن السلمي في «الأربعين» ـ كما في «الكنز» (٧٤٨٥) ـ، عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٨٦٩): «**موضوع**». وما بين المعكوفتين من مصادر التخريج. [ط]

(٢) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، الملقب بذي اليمينين، كان أمير جيش المأمون، توفي عام (٢٠٧).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٩/ ٣٥٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٥١٧)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٣٩٤).

(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٤) **فرابني**: من الريب، وهو الشك، **والقلوص**: الناقة الشابة. عبارة تقال استهزاءً.

(٥) **السَّجادة**: أثر السجود في الجبهة. [ط]

وهٰذا من أجوبة الخلاعة، التي يُدفع بها تَهجينُ المذمَّة.

(٥١٤) ولقد استحسن النـاسُ مـن الأشعث بـن قيس[١] قولَـه ـ وقد خَفَّف صلاته مرة ـ، فقـال بعضُ أهل المسجـد: «خَفَّفتَ صلاتك جدًّا! فقال: إنه لم يخالطها رياءٌ».

فتخلَّص من تنقيصِهم بنفي الرِّياء عن نفسه، ورَفَع التصنُّع في صلاته، وقد كان الإنكارُ ـ لولا ذٰلك ـ متوجِّهًا عليه، واللومُ لاحقًا به.

(٥١٥) ومرَّ أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببعض المساجد، فإذا رجلٌ يُصلِّي وهو يبكي، فقال له: «أنتَ أنتَ لو كان هٰذا في بيتك!».

فلم يرَ ذٰلك منه حسنًا، لأنه اتَّهمه بالرِّياء ـ ولعلَّه كان بريئًا منه ـ، فكيف بمن صار الرِّياءُ أغلَبَ صفاتِه، وأشهرَ سِماتِه، مع أنه آثِمٌ فيما عَمِل، وأَنَمُّ من هُبوب النسيم بما حَمَل.

(٥١٦) ولذٰلك قال عبدُاللَّه بن المبارك: «أفضلُ الزُّهْد إخفاءُ الزُّهْد»[٢].

وربما أحسَّ ذو الفضل من نفسِه ميلًا إلى المراءاة، فبعثه الفضْلُ على هَتْكِ ما نازعته النفسُ من المراءاة، فكان ذٰلك أبلغَ في فضله.

(٥١٧) كالذي حُكي عن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أحسَّ على المنبر بريحٍ خرجت منه، فقال: «يا أيُّها النَّاس، إني قد بُليتُ بين أن أخافكم في اللَّه تعالى، وبين أن أخافَ اللَّهَ فيكم، فكان أن أخاف اللَّه أحبَّ إليَّ، ألا وإنِّي قد فسَوْتُ، وها أنا نازل أعيد الوضوء»[٣].

فكان ذٰلك زجرًا لنفسه لتكفَّ عن نزاعها إلى مثله.

(٥١٨) وقال عمرُ بن عبدالعزيز لمحمد بن كعب القُرَظِيِّ[٤]: «عِظْني، فقال:

---

(١) الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي، الصحابي، نزل الكوفة، توفي عام (٤٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٣/ ٢٨٦)، تاريخ دمشق (٩/ ١١٦ ـ ١٤٥).

(٢) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ٧١ ـ خبر: ١٠٠)، ونهج البلاغة (٤٧٢).

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٣٨٤) خبر (١٣٣٣).

(٤) محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، أبو حمزة، ثقة عالِمٌ كثير الحديث، توفي عام (١١٧).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٠)، حلية الأولياء (٣/ ٢١٢). والخبر في البيان والتبيين =

لا أرضَى نفسي لك واعظًا، لأني أجلسُ بين الغنيِّ والفقير، فأميلُ على الفقير، وأوسِعُ للغنيِّ، ولأنَّ طاعة اللَّه تعالى في العمل لوجهه لا لغيره».

(٥١٩) وحُكي أن قومًا أرادوا سفرًا، فحادُوا عن الطريق، فانتهوا إلى راهبٍ، فقالوا: «قد ضَلَلنا، فكيفَ الطريقُ؟ فقال: هاهنا، وأومأ بيده إلى السماء».

والقسم الثاني[١]: أن يفعل الزيادةَ اقتداءً بغيره، وهٰذا قد تُثمِّره مجالسةُ الأخيار الأفاضل، وتُحدِثُه مكاثرةُ الأتقياءِ الأماثل.

(٥٢٠) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: **«المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِه، فلينْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخالِلْ»**[٢].

فإذا كاثَرَهم المُجالس، وطاولهم المُؤانس، أحبَّ أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسَّى بهم في أعمالهم، ولا يرضَى لنفسه أن يقصِّر عنهم، ولا أن يكونَ في الخير دونَهم، فتبعثُه المنافسةُ على مساواتِهم، وربَّما دعتْه الحَمِيَّةُ إلى الزِّيادة عليهم والمكاثرةِ لهم، فيصيرون سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته.

(٥٢١) والعربُ تقول: «لولا الوِئام لهلَكَ الأنام».

أي: لولا أنَّ النَّاس يَرى بعضُهم بعضًا، فيُقْتَدى بهم في الخير لهلكوا.

(٥٢٢) ولذٰلك قال بعضُ البلغاء: «من خيرِ الاختيار صحبةُ الأخيار، ومن شرِّ الاختيار مودَّةُ الأشرار».

وهٰذا صحيح؛ لأنَّ للمصاحبةِ تأثيرًا في اكتساب الأخلاق، فتصلُح أخلاقُ المرء بمصاحبة أهل الصلاح، وتفسدُ بمصاحبة أهل الفساد.

(٥٢٣) ولذٰلك قال الشاعر:

رأيتُ صَلاحَ المَرْءِ يُصلِحُ أهلَهُ ... ويُعْدِيْهِمُ داءُ الفسادِ إذا فَسَدْ

= (٣/ ١٤٣).

(١) وقد بدأ الأول ص (٢١١).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والخطابي في «العزلة» (١٥٨ ـ تهذيبي ـ ط: دار ابن رجب)، وقال الإمام الترمذي: **«حسن غريب»**، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

يُعَظَّـم في الدُّنيا بفضْلِ صلاحِه ... ويُحْفَظُ بعدَ الموتِ في الأهْلِ والولَدْ

(٥٢٤) وأنشدني بعضُ أهلِ الأدب لأبي بكر الخُوارزميِّ[1]:

لا تصحَب الكسلانَ في حالاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخَرَ يَفْسُدُ

عَدْوَى البَلِيدِ إلى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يُوضَعُ في الرَّمادِ فيَخْمُدُ

والقسم الثالث: أن يفعلَ الزِّيادة ابتداءً من نفسه، التماسًا لثوابِها، ورغبةً في الزُّلْفة[2] بها.

فهٰذا من نتائج النفْس الزاكية، ودواعي الرَّغبةِ الوافية، الدالَّينِ على خلوص الدِّين، وصحَّة اليقين، وذٰلك أفضلُ أحوال العاملين، وأعلى منازلِ العابدين.

(٥٢٥) وقد قيل: «الناسُ في الخير أربعة: منهم مَنْ يفعله ابتداءً، ومنهم مَنْ يفعله اقتداءً، ومنهم مَنْ يتركه استحسانًا، ومنهم مَنْ يتركه حرمانًا. فمَنْ فعلَه ابتداءً فهو كريمٌ، ومَنْ فعلَه اقتداءً فهو حكيمٌ، ومَنْ تركه استحسانًا فهو رديّ، ومَنْ تركه حِرمانًا فهو شقيّ».

[أحوال زيادة الطاعات]:

ثم لِما يفعله من الزيادة حالتان:

إحداهما: أنْ يكون مقتصِدًا فيها، وقادرًا على الدَّوام عليها، فهي أفضلُ الحالتين وأعلَى المنزلتين، عليها انقرض أخيارُ السَّلف، وتَتَبَّعهم فيها فُضَلاءُ الخَلَف.

(٥٢٦) وقد روت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**أيُّها النَّاس، اكْلَفُوا من الأعمالِ ما تُطِيقون، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَمَلُّ مِنَ الثوابِ حتى تَملُّوا من العَمَل، وخيرُ**

---

(١) محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر، الشاعر المشهور، ابن أخت ابن جرير الطبري، توفي عام (٣٩٣).
ترجمته في: معجم الأدباء (٦/ ٢٥٤٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٤٠٠)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٩١).

(٢) الزُّلفة: المنزلة عند اللّٰه تعالى. [ط]

الأعمال ما دِيمَ عليه»(١).

(٥٢٧) والعرب تقول: «القصدَ والدوامَ، وأنتَ السابقُ الجواد».

ولأنَّ مَن كان صحيحَ الرَّغبةِ في ثواب اللَّه تعالى، لم يكن له مسرَّةٌ إلَّا في طاعته.

(٥٢٨) وقال عبدُاللَّه بن المبارك: «قُلْتُ لراهبٍ: متى عيدُكم؟ قال: كُلُّ يومٍ لا أعصِي اللَّهَ فيهِ فهو يومُ عيد».

انظر إلى هٰذا القول منه ـ وإن لم يكن من مقاصد الطَّاعة ـ ، ما أبلَغَه في حُبِّ الطَّاعة، وأحثَّه على بَذْلِ الاستطاعة.

(٥٢٩) وخرج بعضُ الزُّهَّاد في يوم عيدٍ في هيئةٍ رثَّةٍ، فقيل: «لِمَ تخرجُ في مثلِ هٰذا اليومِ في مثل هٰذه الهيئة، والناس متزيِّنون؟ فقال: ما يُتزيَّن للَّه تعالى بمثل طاعته(٢)».

والحالة الثانية: أن يَستكثرَ منها استكثارَ مَنْ لا ينهَضُ بدوامها، ولا يقدِرُ على اتصالها، فهٰذا ربَّما كان بالمقصِّر أشبه؛ لأنَّ الاستكثارَ من الزيادةِ:

ـ إمَّا أن يَمنَعَ من أداء اللازم، فلا يكونُ إلَّا تقصيرًا، لأنه تطوَّعَ بزيادةٍ أَحدثتْ نقصًا، وبنَفْلٍ منَعَ فرضًا.

ـ وإمَّا أن يَعجِزَ عن استدامةِ الزِّيادة، ويُمنع من ملازمة الاستكثار؛ من غير إخلالٍ بلازمٍ، ولا تقصيرٍ في فرضٍ، فهي ـ إذَن ـ قصيرةُ المَدى، قليلَةُ اللُّبْث.

ولقليلُ العَمَلِ في طويل الزمانِ أفضلُ عند اللَّه ﷻ من كثيرِ العملِ في قليل

---

(١) **صحيح ـ بنحوه ـ** : أخرجه أحمد (٦/ ٦١، ١٧٦)، والبخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨٢) وأبو داود (١٣٦٨)، والنسائي (٧٦٢)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي بعض ألفاظه: «**يا أيُّها الناس، خُذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن اللَّهَ لا يَمَلُّ حتى تَملُّوا. وإن أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ ما دام وإن قل**». وفي لفظٍ: «**اكْلَفُوا من العمل ما تُطيقون، فإن اللَّهَ لا يَمَلُّ حتى تَملُّوا. وإن أحب العمل إلى اللَّه أدوَمُهُ ـ وإن قل ـ**». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وكان إذا عمل عملًا أثبتَه. [ط]
قال في «المنهاج» (ص١٨٣): «وقوله: «من الثواب، ومن العمل، مدرجٌ في الحديث وشرح».

(٢) خيرُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وقد ثبت عنه أنه كان يلبس الثيابَ الطيبة للتزيُّنِ بها يوم العيد، وكذا كان يفعل أصحابُه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. [ط]

الزمان، لأنَّ المستكثِرَ من العمل في الزمان القصيرِ قد يعمل زمانًا، ويتركُ زمانًا، فربما صار في زمانِ تركِهِ لاهيًا أو ساهيًا؛ والمقلِّلُ في الزمانِ الطويلِ مستيقظُ الأفكار، مستديمُ التَّذْكار.

(٥٣٠) وقد رَوَى أبو صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ للإسلام شِرَّةً، وللشِّرَّةِ فَتْرةً، فمَنْ سدَّدَ وقارَبَ فارجُوه، ومن أُشير إليه بالأصابع فلا تعدُّوه**[1]»[2].

فجَعل للإسلام شِـرَّةً، وهي الإيغـالُ في الإكثـار، وجَعل للشِّـرَّةِ فَتْرةً؛ وهي الإهمالُ بعد الاستكثار، فلم يَخْلُ بما أَثبتَ مِن أن تكونَ هٰذه الزيادةُ تقصيرًا أو إخلالًا، ولا خيرَ في واحدٍ منهما.

واعلم ـ جعل اللَّهُ العِلْمَ حاكمًا لك وعليك، والحقَّ قائدًا لك وإليك ـ أنَّ الدُّنيا إذا وَصَلت فتبعاتٌ مُوبقة[3]، وإذا فارقت فَفَجعاتٌ مُحْرِقة، وليس لوَصْلها دوامٌ، ولا من فراقِها بدٌّ، فَرُضْ نفسك على قَطيعتها لتسلَمَ من تَبِعاتِها، وعلى فِراقها لتأمَنَ فَجَعاتِها.

(٥٣١) فقد قيل: «المرءُ مقترِضٌ من عمره المنقرِض، مع أنَّ العمر ـ وإن طال ـ قصير، والفراغَ ـ وإن تمَّ ـ يسير».

---

(١) قال العلَّامة المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (**إن لكل شيءٍ شِرَّةً**) ـ بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء ـ : أي حرصًا على الشيء، ونشاطًا، ورغبةً في الخير أو الشر، (**ولكل شِرَّةٍ فَترةً**) ـ بفتح الفاء وسكون التاء ـ ، أي: وَهْنًا وضعفًا وسكونًا، (**سدَّد وقارب**)، أي: جَعَل صاحبُ الشِّرَّةِ عملَه متوسطًا وتجنَّبَ طرَفَي إفراطِ الشِّرَّةِ وتفريطَ الفترة (**فارجوه**)، أي: ارجُوا الفلاح منه؛ فإنه يمكنُه الدوام على الوسط. (**وإن أُشير إليه بالأصابع**)، أي: اجتهد وبالَغ في العمل ليصيرَ مشهورًا بالعبادة والزهد، وصار مشهورًا مشارًا إليه (**فلا تعدُّوه**)، أي: لا تعتدُّوا به، ولا تحسبوه من الصالحين لكونه مرائيًا، ولم يقل: «فلا ترجوه»؛ إشارةً إلى أنه قد سقط، ولم يمكنه تدارُكُ ما فرط». «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٢٦). [ط]

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٣)، وابن حِبان (٣٤٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢٤٢)، وتمَّام في «الفوائد» (١٠٤٤)، وقال الإمـام الترمـذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وحسَّنه** الشيخ الألباني. [ط]

(٣) **مُوبقة**: مُهلكة. [ط]

(٥٣٢) وأُنشِدت لعليِّ بن محمد(١) ـ رحِمه اللَّهُ تعالى ـ :

إذا كَمَلَتْ للمرءِ ستونَ حِجَّةً ... فلم يَحْظَ من ستينَ إلا بسُدْسِها

ألم تَرَ أنَّ النِّصفَ بالليل حاصِلٌ ... وتذهَبُ أوقاتُ المَقيلِ بخُمسها

فتأخذُ أوقاتُ الهُموم بحِصَّةٍ ... وأوقاتُ أوجاعٍ تُميتُ بمَسِّها

فحاصِلُ ما يبقى له سُدْسُ عُمرِهِ ... إذا صَدَقتْه النفسُ عن علمِ حَدْسِها(٢)

[أقسامُ رياضةِ النفس]:

ورياضة نفسِكَ لذلك تترتَّبُ على أحوالٍ ثلاثة، وكُلُّ حالٍ منها تتشعَّب، وهي لتسهيل ما يليها سبب:

فالحالة الأولى: أن تصرِف حُبَّ الدنيا عن قلبك، فإنَّها تُلْهيك عن آخرتكَ، ولا تجعل سَعْيَك لها، فتمنَعك حظَّك منها. وتَوَقَّ الركون إليها، ولا تكن آمنًا لها.

(٥٣٣) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أُشرب قلبُه حُبَّ الدُّنيا، ورَكَن إليها، التاطَ(٣) منها بشُغلٍ لا يَفرُغُ عَناه(٤)، وأملٍ لا يَبلُغ مُنتهاه، وحرصٍ لا يُدرَكُ مَداه**»(٥).

(٥٣٤) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الدُّنيا لإبليسَ مَزْرَعة، وأهلُها له حُرَّاث».

---

(١) عليُّ بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي، المعتزلي، شيخ الصوفية، فليسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، كان متفننًا في جميع العلوم ـ من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ـ، توفي عام (٣٨٠).
ترجمته في: معجم الأدباء (٥/ ١٩٢٣ ـ ١٩٤٦)، الوافي بالوفيات (٢٢/ ٣٩)، لسان الميزان (٧/ ٣٨).

(٢) **الحَدْس**: الظن. [ط]

(٣) **التاط**: التصق. [ط]

(٤) **العناء**: التعب والمشقة. [ط]

(٥) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٢)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٨/ ١١٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٤٠)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وحسَّنه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٩٠٥)، وكذا الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٢٢٣)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٩). [ط]

(٥٣٥) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَثَلُ الدنيا مَثَلُ الحيَّة، ليِّنٌ مَسُّها، قاتِلٌ سُمُّها، فأعرِضْ عمَّا أعجَبَك منها، لقلَّةِ ما يَصحبُك منها، وضَعْ عنكَ هُمومَها، لِمَا أيقنتَ من فراقها، وكُنْ أَحْذَرَ ما تكونُ لها وأنت آنسُ ما تكون بها؛ فإن صاحبَها كلَّما اطمأنَّ منها إلى سرورٍ أشخصَهُ عنها مكروه، وإنْ سكَنَ منها إلى إيناسٍ أزالَه عنها إيحاش»[١].

(٥٣٦) وقال بعضُ البُلغاء: «الدُّنيا لا تصفو لشارب، ولا تَبقَى لصاحب، ولا تخلو من فِتنة، ولا تُخْلَى من مِحنة، فأعرض عنها قبلَ أن تُعرض عنك، واستبدِلْ بها قبلَ أن تَستبدِلَ بك؛ فإنَّ نعيمَها يتنقل، وأحوالَها تتبدَّل، ولذَّاتِها تفنَى، وتَبِعاتِها تبقَى».

(٥٣٧) وقال بعضُ الحكماء: «انظر إلى الدنيا نظرَ الزَّاهدِ المفارِقِ لها، ولا تتأمَّلْها تأمُّلَ العاشقِ الوامِق بها[٢]».

(٥٣٨) وقال بعض الشعراء:

ألا إنَّمـا الدُّنـــيا كـــأحلامِ نـــائمِ ... ومــا خيــرُ عــيشٍ لا يكــونُ بــدائمِ

تأمَّــلْ إذا مــا نِلْــتَ بــالأمْسِ لَــذَّةً ... فأفنيــتَها هَــلْ أنْــتَ إلَّا كحــالِمِ؟!

فكــم غافــلٍ عــنهُ ولــيس بغافــلٍ ... وكــم نــائمٍ عــنهُ ولــيس بــنائمِ

(٥٣٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِن هَوانِ الدُّنيا على اللَّهِ ألَّا يُعْصَى إلَّا فيها، ولا يُنال ما عندَه إلَّا بتركها**»[٣].

(٥٤٠) وروى سُفيان: «أنَّ الخضرَ قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا موسى، أعرِضْ عن

---

(١) الخبر في: التذكرة الحمدونية (١/ ٦٦)، ونهج البلاغة (٤٥٨)، ومحاضرات الراغب (٢/ ٣٩٠).

(٢) **الوامق**: المحب المفرط في حبه. [ط]

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم، وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٦٢)، سورة الأنعام (آيه٣٢)، مرفوعًا إلى النَّبي ﷺ. [ط]
وأورده الجاحظ في البيان والتبيين (١/ ٢٦٢)، وابن عبدالبر في بهجة المجالس (٣/ ٢٨١) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.

الدُّنيا، وانبِذْها وراءَك؛ فإنَّها ليست لك بدار، ولا فيها محلُّ قرار، وإنما جُعِلَت الدُّنيا للعُبَّاد، ليتزوَّدوا منها للمعاد».

(٥٤١) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الدُّنيا قنطرة، فاعْبُرُوها ولا تَعمُرُوها»[١].

(٥٤٢) وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يصِفُ الدُّنيا ـ: «أوَّلُها عَناء، وآخِرُها فَناء، حلالُها حِساب، وحَرامها عِقاب، مَنْ صَحَّ فيها أمِن، ومَن مَرِضَ فيها نَدِم، ومَنْ استَغنى فيها فُتِن، ومَنْ افتُقر فيها حَزِن، ومَنْ سَاعاها فاتته، ومَن قَعَدَ عنها أتته، ومن نَظَر إليها أعمَتْه، ومَنْ نَظَرَ بها بَصَّرته»[٢].

(٥٤٣) وقال بعض البلغاء: إنَّ الدُّنيا تُقبِلُ إقبالَ الطالب، وتُدْبِرُ إدبارَ الهارب، وتَصِلُ وِصالَ المَلُول، وتُفارِقُ فراقَ العَجُول، فخيرُها يسير، وعيشُها قصير، وإقبالُها خديعة، وإدبارُها فجيعة، ولذَّاتُها فانِية، وتَبِعاتُها باقية، فاغتنِمْ غَفْوةَ الزمان، وانتهز فُرْصةَ الإمكان، وخُذْ من نفسِك لنفسك، وتزوَّدْ مِنْ يومِك لغدك».

(٥٤٤) وقال وَهْب بن مُنَبِّه[٣]: «مَثَلُ الدُّنيا والآخرة مَثَلُ ضَرَّتين: إن أرضيتَ إحداهما، أسخطتَ الأخرى»[٤].

(٥٤٥) وقال عبدُالحميد: «الدُّنيا منازِل، فراحلٌ ونازِل».

(٥٤٦) وقال بعضُ الحكماء: «الدُّنيا إمَّا نِقْمة نازِلة، وإمَّا نِعْمة زائلة».

(٥٤٧) وقيل في منثور الحكم: «مِنَ الدُّنيا على الدُّنيا دليل».

(٥٤٨) وقال الشاعر[٥]:

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٥٧ ـ خبر: ٣٦٥٨).

(٢) الخبر في التذكرة الحمدونية (١/ ٩٣)، ونهج البلاغة (١٠٦)، ومحاضرات الراغب (٢/ ٣٨٦).

(٣) وهب بن منبِّه بن كامل بن سيج الصنعاني، أبو عبدالله الأُبناوي، أخو هَمَّام بن منبِّه، ثقة، توفي عام (١١٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠)، حلية الأولياء (٤/ ٢٣)، تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٦٦ ـ ٤٠٣).

(٤) العبارة في تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٩٤) في ترجمته.

(٥) هو أبو العتاهية، والأبيات في ديوانه (٢١٤) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

تَمـتَّعْ مـن الأيَّـام إنْ كـنْتَ حازِمًـا ... فإنَّـك مـنها بَـيْنَ نـاهٍ وآمـرِ[١]

إذا أبْقـتِ الدُّنـيا على المـرءِ دِيـنَهُ ... فمـا فاتَـه مـنها فلـيس بـضائرِ

فلـن تعـدِلَ الدُّنـيا جَـناحَ بَعُوضـةٍ ... ولا وَزْنَ ذَرٍّ مـن جَـناحٍ لطائـرِ

فمـا رضِـيَ الدُّنـيا ثـوابًا لمـؤمنٍ ... ولا رضِـيَ الدُّنـيا جـزاءً لكافـرِ

(٥٤٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدُّنيا يومان: يومُ فَرَحٍ، ويومُ همٍّ، وكلاهما زائلٌ عنك، فدعُوا ما يزُول، وأتعِبوا أنفسَكم في العمل لِمَا لا يزول**»[٢].

(٥٥٠) وقال عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تُنازِعوا أهلَ الدُّنيا في دُنياهم، فيُنازعوكم في دينكم، فلا دُنْياهم أصبتُمْ، ولا دينكم أبقيتم».

(٥٥١) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تكُنْ ممَّن يقول في الدنيا بقول الزَّاهدين، ويعملُ فيها عَمَلَ الرَّاغبين؛ فإن أُعطي منها لم يشْبَعْ، وإن مُنِعَ منها لم يقْنَعْ، يَعجِزُ عن شُكْر ما أُوتي، ويبتغي الزِّيادة فيما بقي، وينهَى النَّاسَ ولا ينتهي، ويأمُرُ بما لا يأتي، يُحبُّ الصَّالحين، ولا يعمَلُ بعملهم، ويُبْغضُ الطالحين، وهو منهم»[٣].

(٥٥٢) وقال الحسنُ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدُّنيا كُلُّها غَمٌّ، فما كان منها من سرورٍ فهو رِبْحٌ»[٤].

(٥٥٣) وقال بعضُ العلماء: «إنَّ الدُّنيا كثيرةُ التَّغيير، سَريعةُ التنكير، شديدةُ المَكْر، دائمةُ الغَدْر، فاقْطَع أسبابَ الهوى عن قلبك، واجعَلْ أبعَدَ أمَلِكَ بقيَّةَ يومِك، وكُنْ كأنَّك تَرَى ثوابَ أعمالك».

(٥٥٤) وقال بعض الحكماء: «الدُّنيا إمَّا مُصيبة مُوجعة، وإمَّا مَنِيَّة مُفْجِعة».

(٥٥٥) وقال الشاعر:

---

(١) **تَمتَّع**: خذ منها بقَدْرِ ما يُقيمُك فيها كحالِ آخِذِ المتاع لسفرٍ قريب. [ط]

(٢) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم، وظاهرٌ أنه من كلام بعض الوعَّاظ. [ط]

(٣) الخبر في التذكرة الحمدونية (١/ ٧٥) خبر (١١٤).

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٥٩ ـ خبر: ٣٦٧٠) منسوبةً لعبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَـــلِّ دُنـــياك إنَّهـــا يَعْقُـــبُ الخيـــرَ شَـــرُّها
هـــيَ أمٌّ تعُـــقُّ مِـــنْ نَـــسْلِها مَـــنْ يَبَـــرُّها
كُـــلُّ نَفْـــسٍ فإنَّهـــا تَبْتغـــي مـــا يـــسرُّها
والمـــنايا تـــسُوقُها والأمـــاني تَغُـــرُّها
فـــإذا اسْـــتَحلَتِ الجَنَـــى أعقَـــبَ الحُلـــوَ مُـــرُّها
يـــستوي في ضـــريحِهِ عَـــبْدُ أرضٍ وحُـــرُّها

فإذا رُضْتَ نفسَك من هٰذه الحالة بما وصفت، اعتضْتَ منها بثلاث خلال:

إحداهنَّ: أن تُكْفَى إشفاقَ المُحب، وحَذَرَ الوامِق، فليس لمشفِقٍ ثِقة، ولا لحاذر راحة.

والثانية: أن تأمَنَ الاغترارَ بملاهيها، فتسلَمَ من عادِيَةِ دواهيها، فإنَّ اللاهيَ بها مغرور، والمغرورَ فيها مذعور.

والثالثة: أن تستريحَ من تعب السعي لها، وَوَصَب الكدِّ فيها؛ فإنَّ من أَحَبَّ شيئًا طلبَه، ومن طلبَ شيئًا كَدَّ له، والمكدودُ فيها شقِيٌّ إن ظفِر، ومحرومٌ إن خاب.

(٥٥٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال لكعب [بن عُجرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]: «**يا كَعْبُ، النَّاسُ غَاديان، فمُبْتاعٌ نفسَهُ فَمُعْتِقُها، وبائعٌ نفسَهُ فَمُوبِقُها**[(١)]»[(٢)].

(٥٥٧) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تعملُون للدُّنيا ـ وأنتم تُرْزَقُون فيها بغير

---

(١) لفظ الأصل: «**فغادٍ بنفسه فمعتقُها، وموبقٌ نفسَه فموثقها**». والتصحيح من رواية أحمد.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٢١)، والبزار (١٦٠٩)، وابن حبان (١٧٢٣)، والحاكم (٤/ ٤٢٢)، وعبدالرزاق (٢٠٧١٩)، وعبد بن حُميد (١١٣٨)، أبو يعلى (١٩٩٩)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٣٤٥)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٦١)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو جزء من حديث أوَّله: «**أعاذَكَ اللَّهُ مِن إمارةِ السفهاء...**» الحديث، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم، والذهبي، وقال الإمام الهيثمي ـ عن رجالَي أحمد والبزار ـ : «**رجالهما رجال الصحيح**»، وكذا **صحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٢٩). [ط]

عَمَل[١] ـ! ولا تعملون للآخرة ـ وأنتم لا تُرْزَقُون فيها إلَّا بعمل ـ!»[٢].

(٥٥٨) وقال بعضُ البلغاء: «مِن نَكَدِ الدُّنيا ألَّا تبقَى على حالة، ولا تخلو من استحالة[٣]، تُصْلِح جانبًا بإفساد جانب، وتُسِرُّ صاحبًا بمَساءة صاحب، فالرُّكون إليها خَطَر، والثقة بها غَرَر».

(٥٥٩) وقال بعض الحكماء: «الدُّنيا مُرْتَجَعةُ الهِبة، والدَّهْرُ حسودٌ لا يأتي على شيء إلَّا غيَّره، ولِمن عاشَ حاجةٌ لا تنقضي».

(٥٦٠) ولمَّا بلَغَ مَزْدَكُ[٤] من الدنيا أفضَلَ ما سمَتْ إليه نفسُهُ نبذَها، وقال: «هٰذا سرور لولا أنه غُرور، ونعيم لولا أنه عديم، ومُلْك لولا أنه هُلْك، وغَناء لولا أنه فَناء، وجَسيم[٥] لولا أنه ذميم، ومحمود لولا أنه مفقود، وغِنى لولا أنه مُنى[٦]، وارتفاع لولا أنه اتضاع، وعَلاء لولا أنه بلاء، وحَسَن لولا أنه حَزَن، وهو يوم لو وثِقَ له بِغَد».

(٥٦١) وقال بعضُ الحكماء: «قد مَلك الدنيا غيرُ واحد، مِن راغبٍ وزاهد، فلا الرَّاغب فيها استبقَتْ، ولا عن الزَّاهد فيها كفَّتْ».

(٥٦٢) وقال أبو العتاهية[٧]:

هـــيَ الـــدَّارُ دارُ الأَذى والقَـــذَى ... ودارُ الفَـــــناءِ ودارُ الغِيَـــــرْ

فلَـــــوْ نِلْـــــتَها بحذَافيـــــرِها ... لَمُـــتَّ ولـم تقـضِ مـنها الوَطَــرْ

---

(١) أي: وأنتم ترزقون فيها امتنانًا من اللّٰهِ تبارك وتعالى. [ط]

(٢) أخرجه الدارمي في «مسنده» (٣٨٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٢٧٩).

(٣) **الاستحالة**: التغيُّر وتبدُّل الأحوال. [ط]

(٤) مؤسس الزندقة الإباحية، ترجمته في: «منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين» (ص ١٩٠).
قلت: وانظر بعض فضائحه وبلاياه في مقدمات الكتاب النفيس: «ماذا خسر العالَم بانحطاط المسلمين»، للداعية الجليل أبي الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ. [ط]

(٥) **جسيم**: عظيم القدْر. [ط]

(٦) أي: نهايته أمانٍ زائلةٌ منقطعة. [ط]

(٧) الأبيات في «ديوانه» (٢٢٧) ولفظه: «وطول الحياة عليه ضرر»، بدلاً من: «وطول الخلود عليه ضرر».

أيــا مَــنْ يُــؤَمِّلُ طُــولَ الخُلُــودِ وطُــولُ الخُلــودِ علــيه ضَــرَرْ
إذا مــا كَبِــرْتَ وبــانَ الــشَّبابُ فــلا خَيْــرَ في العَـيْشِ بَعْـدَ الكِبَـرْ

(٥٦٣) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللَّهم إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا يَنْفَع، ونفْسٍ لا تشبَع، وقلْبٍ لا يَخشَع، وعَيْنٍ لا تدمَع، هل يتوقَّعُ أحدُكم إلَّا غِنًى مُطغيًا، أو فقرًا مُنسيًا، أو مَرَضًا مُفْسِدًا، أو هَرَمًا مُفْنِدًا**[١]**، أو الدَّجالَ فهو شَرُّ غائبٍ يُنْتَظَر، أو السَّاعة، والسَّاعةُ أَدْهَى وأَمَرُّ**»[٢].

(٥٦٤) وحُكِيَ أنَّ اللَّه تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنْ هَبْ لي من قلبك الخشوع، ومِن بَدنِك الخُضُوع، ومن عينكَ الدُّموعَ، وادعُني فإنِّي قريبٌ مجيب»[٣].

(٥٦٥) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أوحى اللَّه إلى الدنيا: مَنْ خدمني فاخْدُميه، ومن خدمكِ فاستخدميه»[٤].

(٥٦٦) وقال بعض البلغاء: «زِدْ من طول أملِكَ في قصير عملك، فإن الدنيا ظِلُّ الغمام، وحُلم النِّيام، فمَن عرفها ثم طلبها فقد أخطأ الطريق، وحُرِمَ التوفيق».

(٥٦٧) وقال بعض الحكماء: «لا يؤمننَّك إقبالُ الدنيا عليك من إدبارها عنك،

---

(١) مُفنِدًا: يوقعكم في الفَنَد، وهو الخَرَفُ وزوال العقل. [ط]

(٢) هٰذه الرواية ملفَّقةٌ من حديثين:

الأول: صحيح: ينتهي إلى قوله ﷺ: «**وعينٍ لا تدمع**»، رواه أحمد (٢/ ١٦٧)، ومسلم (٢٧٢٢)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٣٤٨٢)، والنسائي (٥٤٥٨)، و«الكبرى» (٧٨١٥، ٧٨١٦، ٧٨١٧)، وابن ماجه (٢٥٠، ٣٨٣٧)، وغيرهم عن عدةٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بألفاظٍ متقاربة.

والثاني: ضعيف: رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٧)، والترمذي (٢٣٠٦)، والحاكم (٤/ ٣٢٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٣/ ١٤٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٤٥)، وأبو يعلى (٦٥٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٢٢)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، وقال الإمام الحاكم: «إن كان معمر ابن راشد سمع من المقبُري، فالحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، **وأقرَّه** الذهبي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٤/ ٣٤٧). [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٢٣ ـ خبر: ٣٥١٤) منسوبة لبعض الأنبياء.

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٥٧ ـ خبر: ٣٦٥٩) منسوبة لبعض الكتب.

ولا دَوْلةٌ لك من إدالةٍ منك[١]».

(٥٦٨) وقال آخر: «ما مضى من الدنيا كأنْ لم يكن، وما بَقِيَ منها كما قد مضى».

(٥٦٩) وقيل لزاهد: «قد خلعتَ الدنيا، فكيف سَخَتْ نفسُك عنها؟ فقال: أيقنت أنى أخرجُ منها كارهًا، فرأيتُ أن أخرج منها طائعًا».

(٥٧٠) وقيل لحُرَقةَ بنت النُّعمان[٢]: «ما لكِ تبكين؟ فقالت: رأيت لأهلي غَضَارةً، ولم تمتلئ دارٌ فرحًا إلا امتلأت ترحًا».

(٥٧١) وقال ابنُ السَّماك: «مَن جرَّعته الدنيا حلاوتَها بمَيله إليها، جرَّعتْه الآخرةُ مرارتَها لتجافيه عنها».

(٥٧٢) وقال صاحب «كليلة ودمنة»[٣]: «طالبُ الدنيا كشارب ماءِ البحر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا».

(٥٧٣) وكان عمر بن عبدالعزيز يتمثَّل بِهٰذه الأبيات[٤]:

نهارُك يا مغرورُ سَهوٌ وغَفْلةٌ ... وليلُك نومٌ والأسى لك لازمُ

تُسرُّ بما يفنَى وتفرحُ بالمُنى ... كما سُرَّ باللَّذات في النَّوم حالِمُ

وشُغلُكَ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ ... كذٰلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

(٥٧٤) وسمع رجلٌ رجُلًا يقول لصاحبه: «لا أراك اللَّهُ مكروهًا. فقال: كأنك دعوتَ على صاحبك بالموت! إن صاحبَك ما صاحَب الدنيا فلابدَّ أن يرى مكروهًا».

---

(١) **الدَّولة**: الفوز والغلبة. **الإدالة**: القهر والهزيمة. أي: لا تفرح بوقتِ رفعتِك وعِزِّك، فقد توقعُك الدنيا وتكسرُك عمَّا قريب. [ط]

(٢) هي: حُرقة بنت النعمان بن المنذر، والخبر في البيان والتبيين (٣/ ١٤٥).

(٣) هو بيدُبا الفيلسوف الهندي، رأس البراهِمة، عمله لملك الهند، وترجَمه بالفارسية برزوية لأنوشروان، وترجَمه عبدُاللّٰه بن المقفَّع لأبي جعفر المنصور بالعربية. «منهاج اليقين» (ص١٩٣).

(٤) الأبيات ورد ذكرها في ترجمة مسعر بن كدام، منسوبةً إليه. حلية الأولياء (٧/ ٢٢٠).

(٥٧٥) وقال أبو العتاهية[١]:

إنَّ الـــزمانَ وَلَـــوْ يَلِـــينُ ... لأَهْلِـــهِ لمُخاشِـــنُ
خَطَـــواتُهُ المُتَحـــركاتُ ... كـــأَنَّهُنَّ سَـــواكِنُ

والحال الثانية[٢] ـ من أحوال رياضتك لها ـ: أن تَصدُقَ نفسَك فيما مَنَحَتْك من رغائبها، وأنالتك من غرائبها، فتعلمَ أن العطيةَ فيها مُرتَجعة، والمنحةَ فيها مُستَرَدَّة، بعد أن تُبقي عليك ما احتقبتَ[٣] من أوزار وصولِها إليك، وخسرانِ خروجها عنك.

(٥٧٦) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزولُ قدمَا ابنِ آدمَ حتى يُسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، وعُمره فيما أفناه، ومالِه مِن أين اكتسَبه، وفيمَ أنفقه**»[٤].

(٥٧٧) ورُوي عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: «في المال ثلاثُ خصالٍ، قالوا: وما هُن ـ يا رُوحَ اللَّه[٥] ـ ؟ قال: يَكسِبُه من غير حِلِّه، قالوا: فإن كسَبه من حِلِّه! قال: يضعُه في غير حَقِّه، قالوا: فإن وَضَعه في حقه! قال: يشغلُه عن عبادةِ ربه».

(٥٧٨) ودخل أبو حازم على بِشر بن مَرْوان[٦]، فقال: «يا أبا حازم، ما المَخرجُ

---

(١) الأبيات في ديوانه (٥٢٩).
(٢) وقد بدأت الحالة الأولى ص (٢٢٠).
(٣) أي احتملت.
(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢١٩١)، والبيهقي في «المدخل» (٤٩٤)، والخطيب في «اقتضاء العلم» (١)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٠)، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.
تنبيه: روايات الحديث ـ التي وقفت عليها ـ إنما جاءت بلفظ: «**حتى يسأل عن أربع**»، وفي روايةٍ مختلفٍ فيها: «**عن خَمس**»، فلعل ما ذكره المصنف رحمه الله وهمٌ منه. **[ط]**
(٥) الإضافة ـ هنا ـ إضافةُ تشريف، ومعناها: الروح التي خلقها اللَّهُ تعالى بقدرته العليَّة. **[ط]**
(٦) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو مروان الأموي القرشي، والي الكوفة والبصرة، توفي عام (٧٣).
ترجمته في تاريخ دمشق (٢٥٣ ـ ٢٦٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ١٥٣).

مما نحن فيه؟ قال: تنظرُ ما عندك فلا تضعْه إلا في حقِّه، وما ليس عندك فلا تأخذْه إلا بحقه، قال: ومن يطيقُ هٰذا ـ يا أبا حازم ـ ؟! قال: فمِن أجل ذٰلك مُلِئت جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين»[1].

(٥٧٩) وعَيَّرت اليهودُ عيسى ابنَ مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالفقر، فقال: «مِن الغِنى دُهيتُم[2]».

(٥٨٠) ودخل قومٌ منزل عابدٍ، فلم يجدوا شيئًا يقعُدون عليه، فقال: «لو كانت الدنيا دارَ مُقام لاتخذنا لها أثاثًا».

(٥٨١) وقيل لبعض الزهَّاد: «ألا تُوصي؟ قال: بماذا أُوصي؟! واللّهِ ما لنا شيء، ولا لنا عند أحدٍ شيء، ولا لأحدٍ عندنا شيء».

انظر هٰذه الراحةَ كيف تعجَّلها، وإلى السلامة كيف صار إليها!.

(٥٨٢) ولذٰلك قيل: «الفقر مُلكٌ ليس فيه منازعةٌ ولا محاسبة».

(٥٨٣) وقيل لعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا تتزوج؟ فقال: إنما نُحبُّ التكاثرَ في دار البقاء».

(٥٨٤) وقيل له: «لو دعوتَ اللّه تعالى أن يرزقَك حِمارًا؟ فقال: أنا أكرم على اللّه من أن يجعلني خادمَ حِمار[3]»[4].

(٥٨٥) وقيل لأبي حازم: «ما مالُك؟ قال: شيئان؛ الرضا عن اللّه، والغِنى عن الناس».

(٥٨٦) وقيل له: «إنك لَمِسكين، فقال: كيف أكونُ مسكينًا، ومولاي ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه]؟!»[5].

---

(١) العبارة في البيان والتبيين (٣/ ١٣٩)، وتاريخ دمشق (٢٢/ ٢٩).

(٢) دُهيتم: أصابتكم الدواهي. [ط]

(٣) اللّهُ أعلمُ بصحةِ هٰذا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ثبت عن نبيِّنا محمد ﷺ أنه كان له حِمارٌ يركبُه، وناقةٌ تقوده، ولم يقُل لنا مثل هٰذا الكلام أبدًا، وقد امتنَّ اللّهُ تعالى على عباده بتلك الدواب في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل]. واللّهُ المستعان. [ط]

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٧٣)، وابن قيم الجوزية في «عدة الصابرين» (ص٣٤٧).

(٥) العبارة في الحلية (٣/ ٢٣٢)، وتاريخ دمشق (٢٢/ ١٩).

(٥٨٧) وقال بعض الحكماء: «رُبَّ مَغْبوطٍ بمسرَّةٍ هي داؤه، ومرحومٍ من سَقَمٍ هو شفاؤه».

(٥٨٨) وقال بعض الأدباء: «الناس أشتات، ولكلِّ جَمْعٍ شَتات[1]».

(٥٨٩) وقال بعض البلغاء: «الزُّهدُ بصحَّةِ اليقين، وصحةُ اليقين بنور الدين، فمَن صحَّ يقينُه زهِدَ في الثَّراء، ومَن قَوِيَ دينُه أيقن بالجزاء، فلا تغرنَّك صحَّةُ نفسك، وسلامةُ أمسك، فمُدةُ العمر قليلة، وصحةُ النفس مستحيلة».

(٥٩٠) وقال بعض الشعراء[2]:

رُبَّ مَغْــروسٍ يُعــاشُ بــهِ ... عَدِمَـــتْهُ عَـــيْنُ مُغْتَرِســـهْ
وكـــذٰلك الدَّهـــرُ مَأْتَمُـــهُ ... أقــربُ الأشــياء مِــنْ عُرَسِــهْ

فإذا رُضْتَ نفسَك من هٰذه الحال بما وصفت، اعتضْت منها ثلاث خلال:

إحداهن: نُصح نفسك وقد استسلَمَتْ إليك، والنظرُ لها وقد اعتمدَتْ عليك، فإنَّ غاشَّ نفسه مغبون، والمنحرف عنها مأفون[3].

والثانية: الزُّهد فيما ليس لك، لِتُكْفَى تكلُّف طلبِه، وتسلَمَ من تبِعاتِ كسْبِه.

والثالثة: انتهازُ الفرصة في مالِكَ أن تَضعَهَ في حقِّه، وأن تُؤْتِيَه لمستحِقِّه؛ ليكونَ لك ذُخرًا، ولا يكون عليك وزرًا.

(٥٩١) فقد رُوي أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، إني أكره الموت، قال ﷺ: «**ألكَ مال؟**»، قال: نعم. قال: «**قدِّم مالَك؛ فإن قلبَ المؤمن عند ماله**»[4].

(٥٩٢) وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ذبحنا شاةً فتصدَّقْنا بها، فقلت: يا رسول اللَّه،

---

(١) **الأشتات:** الأنواع. **الشَّتات:** الفرقة والتشتت. **[ط]**

(٢) البيتان في البيان والتبيين (٣/ ٢٠٢)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢١٩) منسوبة إلى سليمان بن الوليد.

(٣) **المأفون:** ضعيف العقل والرأي (الصحاح ص٤٧).

(٤) **ضعيف:** أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٧٦): «**لم أقف عليه**»! **وضعَّفه** الشيخ الحبيب أحمد فريد في تعليقه على «الزهد والرقائق» (ص ٥٠٨). **[ط]**

ما بقي إلَّا كتفها، قال: «كُلُّها بقي إلا كَتِفُها»[(١)].

(٥٩٣) وحُكي أن عُبيدَاللَّه بن عبدِاللَّه بن عُتبة بن مسعود[(٢)] باع دارًا بثمانين ألف درهم، فقيل له: «اتخِذْ لولدِكَ من هٰذا المال ذُخرًا، فقال: أنا أجعلُ هٰذا المالَ ذخرًا لي عند اللَّه ﷻ، وأجعلُ اللَّهَ ذُخرًا لولَدي». وتصدَّقَ بها[(٣)].

(٥٩٤) وعُوتب سهلُ بن عبدِاللَّه المَرْوزي[(٤)] في كثرة الصدقة، فقال: «لو أن رجلًا أراد أن ينتقلَ من دارٍ إلى دار، أكان يُبقي في الأولى شيئًا؟».

(٥٩٥) وقال سُليمانُ بن عبدِالملك لأبى حازم: «ما لنا نكرهُ الموت؟ قال: لأنكم أخرَبْتم آخرتكم، وعمَّرتم دنياكم، فكرهتُم أن تنتقِلوا من العُمران إلى الخراب»[(٥)].

(٥٩٦) وقيل لعبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تَرَكَ زيدُ بن خارجة مِئةَ ألف درهم، فقال: لٰكنها لا تتركُه[(٦)]».

(٥٩٧) وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أنعم اللَّهُ على عبدٍ نعمة؛ إلا وعليه فيها تبعة، إلا سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فإن اللَّه تعالى قال له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص]»[(٧)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٥٠)، والترمذي (٢٤٧٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥/ ٢٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٤٢٠)، و«الشُّعَب» (٥/ ٥٤)، **وصحَّحه** الإمام الترمذي، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٢) عبيداللَّه بن عبداللَّه بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد اللَّه المدني، الإمام التابعي الجليل، ثقة ثبت فقيه، أحد الفقهاء السبعة، توفي عام (٩٥).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٩/ ٧٣)، وفيات الأعيان (٣/ ١١٥)، شذرات الذهب (١/ ١١٤).

(٣) الخبر في المجالسة (٣/ ١٥٣ ـ خبر: ٧٨٦)، والتذكرة الحمدونية (١/ ١٨٤ ـ خبر: ٤١٤).

(٤) سهل بن عبد اللَّه التُّستَري، أبو محمد، الزاهد، له مواعظ وأحوال وكرامات، توفي عام (٢٨٣).
ترجمته في: شذرات الذهب (٣/ ٣٤٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩).

(٥) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٣٩٩) خبر (٣٨٠٤).

(٦) أي: أنها معه في ميزان أعماله. **[ط]**

(٧) الخبر في البيان والتبيين (٣/ ١٤٥).

(٥٩٨) وقال أبو حازم: «إن عُوفينا من شرِّ ما أُعطينا، لم يضرَّنا فَقْدُ ما زُوي عنا».

(٥٩٩) وقال بعض السلف: «قدِّموا كُلًّا ليكونَ لكم، ولا تخلِّفوا كلًّا فيكون عليكم[1]».

(٦٠٠) وقال إبراهيم بن أدهم: «نِعم القومُ السُّؤَّال؛ يدُقُّون أبوابكم، يقولون: أتوجِّهون للآخرة شيئًا[2]».

(٦٠١) وقال سعيدُ بن المسيَّب[3]: «مرَّ بي صِلَةُ بن أَشْيَم[4]، فما تمالكتُ أن

---

(١) هٰذا الكلامُ فيه تفصيل:
ـ فإن كان العبدُ لا وارث له ـ وهٰذا قليل ـ، فلا بأس بتقديمه جميعَ مالِه صدقةً قبل موته.
ـ أما إذا كان له ورثةٌ ـ لا سيما الأبناء ـ فإخراج ماله كلِّه قبلَ موتِه أمرٌ مرفوض؛ لا سيما في أزمنةِ الحاجة للمال؛ بل له إخراج الثلث ـ على أبعدِ تقدير ـ، ويستحبُّ أن ينقصَ منه؛ فقد ثبت عن رسول اللَّه ﷺ ـ لما سأله سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن إخراج ثُلثِ ماله وصيةً ـ فقال ﷺ: **«الثلثُ ـ والثلثُ كثير ـ؛ إنك أن تتركَ ورثَتَكَ أغنياءَ، خيرٌ لك من أن تتركَهم عالةً يتكفَّفونَ الناس»**. **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٦٨، ١٧٣)، والبخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٩٧٥، ٢١٦٦)، والنسائي (٣٦٢٦)، و«الكبرى» (٦٢٨٥)، وابن ماجه (٢٧٠٨).
وقد قال الإمام الترمذي ـ بعد إخراج الحديث ـ: «والعمل على هٰذا عند أهل العلم: لا يَرون أن يوصيَ الرجلُ بأكثرَ من الثلُث، ويستحبُّون أن ينقُصَ من الثلث. قال سفيان الثوري: كانوا يستحبُّون في الوصية الخُمُسَ دون الربع، والرُّبُعَ دون الثلث، ومَن أوصى بالثلث فلم يترك شيئًا، ولا يجوزُ له إلا الثلث». (٢/ ٤٦٨) [ط]

(٢) ولم يقصد ـ بالطبع ـ أن السائل خيرٌ من المعطي؛ فقد ثبت الحديث أن «**اليدَ العُليا خيرٌ من اليد السفلَى، واليدُ العليا هي المُنفقة، واليدُ السفلى هي السائلة**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٦٧)، والبخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣)، وأبو داود (١٦٤٨)، والنسائي (٢٥٣٣)، وفي «الكبرى» (٢٣٢٤). وإنما قصد أنهم من خير الناس لأنهم سببٌ في زيادةِ حسناتِ من يتصدقُ عليهم. [ط]

(٣) سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، توفي عام (٩٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١١/ ٦٦)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، حلية الأولياء (٢/ ١٦١).

(٤) صِلةُ بن أشيم العدوي، أبو الصهباء، كان من سادات التابعين، توفي عام (٧٠).
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ٢٣٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٧)، الوافي بالوفيات =

نَهضتُ إليه، فقلت: يا أبا الصَّهباء، ادعُ لي، فقال: رغَّبكَ اللَّه فيما يبقى، وزهَّدكَ فيما يفنى، ووَهب لك اليقينَ الذي لا تسكُنُ النفسُ إلَّا إليه، ولا يُعوَّلُ في الدين إلا عليه».

(٦٠٢) ولمَّا ثقُل عبدُالملك بن مروان في مرضه، رأى غَسَّالًا يلوى بيده ثوبًا، فقال: «وددتُ أنِّي كنتُ غَسَّالًا، لا أعيشُ إلا بما أكتسبُه يومًا فيومًا! فبلغ ذٰلك أبا حازم، فقال: الحمدُ للَّه الذي جَعلهم يتمنَّون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى نحن عنده ما هم فيه»(١).

(٦٠٣) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول ابن أدم: مالي، مالي! وهل لك ـ يا ابن آدم ـ من مالك إلا ما أكَلتَ فأفنَيتَ، أو لبِستَ فأبلَيتَ، أو أعطيتَ فأمضَيتَ**»(٢).

(٦٠٤) وقال خالدُ بن صفوان: «بِتُّ ليلتي أتمنَّى، فكَسِبتُ البحر الأخضر، والذهب الأحمر، فإذا الذي يكفيني من ذٰلك: رغيفان وكوزان وطِمْران(٣)»(٤).

(٦٠٥) وقال مورِّق العِجْلي: «يا ابنَ آدم، في كلِّ يوم تؤتى رِزقَك(٥) وأنت تحزَن، ويَنقُص عُمرك وأنت لا تحزن! تطلب ما يُطغيك، وعندك ما يكفيك».

(٦٠٦) وقال أبو حازم: «إنما بيني(٦) وبين الملوك يومٌ واحد، أمَّا أمسِ فقد مضى، فلا يجدون لذته، وإنا وهم من غدٍ على وجل، وإنما هو اليوم؛ فما عسى أن يكون؟!».

(٦٠٧) وقال بعضُ السلف: «تعزَّ عن الشيء ـ إذا مُنعتَه ـ، لقلَّة ما يَصحبُك

= (١٦/ ٣٣٠).

(١) الخبر في محاضرات الأدباء (١/ ٣٦١)، البيان والتبيين (٣/ ١٩١)، التذكرة الحمدونية (١/ ٢١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٤)، مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٣٦١٣)، و«الكبرى» (٦٤٠٧)، عن عبداللَّه بن الشِّخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٣) **الطِمْرُ**: الثوب الخَلِقُ (الصحاح ص٦٤٨).

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٣٩٦) خبر (٣٧٨٦).

(٥) في المطبوعة: تؤتى كل يوم برزقك.

(٦) في المطبوعة والشرح: بيننا.

ـ إذا أُعطيتَه[١] ـ».

(٦٠٨) وقال بعض الحكماء: «مَن ترك نصيبَه من الدنيا استوفَى حظَّه من الآخرة».

(٦٠٩) وقال آخر: «تركُ التلبُّسِ بالدنيا قبل التشبُّثِ بها أهونُ من رفضِها بعد ملابستها».

(٦١٠) وقال آخر: «لِيكنْ طلبُك الدنيا اضطرارًا[٢]، وتذكُّرُكَ في الأمور اعتبارًا، وسعيُك لمعادِك ابتدارًا[٣]».

(٦١١) وقال آخر: الزاهدُ لا يطلبُ المفقود، حتى يفقِدَ الموجود[٤]».

(٦١٢) وقال آخر: «مَن آمَنَ بالآخرةِ لم يَحرِصْ على الدنيا، ومن أيقن بالمجازاةِ لم يُؤثر على الحُسنى».

(٦١٣) وقال آخر: «مَن حاسب نفسه ربح، ومن غَفَلَ عنها خَسِر».

(٦١٤) وقال أبو العتاهية[٥]:

أَرَى الدُّنيا لِمَنْ هِي في يَدَيْهِ ... عَذابًا كُلَّما كَثُرَتْ لَدَيْهِ

تُهِينُ المُكْرِمِينَ لَها بِصُغْرٍ ... وتُكرِمُ كلَّ مَن هَانَتْ عليْهِ

إذا استَغنيتَ عَن شيءٍ فدَعْهُ ... وَخُذْ ما أَنْتَ مُحتاجٌ إليهِ

(٦١٥) وحَكى الأصمعيُّ، قال: «دخلتُ على الرشيدِ يومًا وهو ينظرُ في كتابٍ، ودموعُه تسيلُ على خده، فلمَّا أبصرَني قال: أرأيتَ ما كان مني؟ قلتُ: نعم ـ يا أمير المؤمنين ـ، فقال: أما إنه لو كان لأمرِ الدنيا ما كان هٰذا، ثم رمى إليَّ

(١) أي: ليكنْ عزاؤك في الشيء إذا مُنع عنك: أن تذكرَ أنك إذا نِلتَه فلن يبقى معك طويلًا. [ط]

(٢) أي: خُذْ منها ما تُضطرُّ إليه فقط. [ط]

(٣) **الابتدار**: المسارعة. [ط]

(٤) أي: لا يطلب المفقود الآن ـ وهو نعيمُ الجنان ـ، حتى يترك الموجود الآن ـ وهو نعيمُ الدنيا ـ. [ط]

(٥) الأبيات في ديوانه (٦٠٤).

بالقِرطاس، فإذا فيه شعرُ أبي العتاهية:

هــلْ أنــتَ معتبــرٌ بمَــنْ خَــرِبَتْ مــنهُ غَــدَاةَ قَــضَى دَســاكِرُهُ[١]؟!

وبمـــنْ أذلَّ الدَّهـــرُ مَـــصْرعَه فتبـــرَّأَتْ مـــنهُ عـــساكِرُهُ؟!

وبمَـــنْ خَلَـــتْ مِـــنه أَسِـــرَّتُهُ وتعطَّلـــت مـــنه منابِـــرُهُ؟!

أيـــنَ الملـــوكُ وأيـــنَ عـــزُّهمُ؟! صـــاروا مـــصيرًا أنـــتَ صـــائرُهُ

يـــا مؤثـــرَ الدُّنـــيا للَذَّتِـــهِ والمـــستعدُّ لمـــن يُفاخِـــرُهُ

نَـــلْ مـــا بـــدا لـــكَ أن تـــنالَ مـــن الدُّنـــيا فـــإنَّ المـــوتَ آخِـــرُهُ

فقال الرشيد: واللَّهِ لكأني أُخاطَبُ بِهٰذا الشِّعرِ دون الناس! فلم يلبث بعد ذٰلك إلا يسيرًا حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ».

ثم الحال الثالثة[٢] ـ من أحوال رياضتك لها ـ : أن تكشفَ لنفسك حالَ أجَلِك، وتصرِفَها عن غرورِ أملِك، حتى لا يُطيلَ لك الأملُ أجلًا قصيرًا، ولا يُنسيَك موتًا ولا نشورًا.

(٦١٦) وروي عن النبي ﷺ أنه قال ـ في بعض خطبه ـ : «**أيُّها الناس، إن الأيامَ تُطوى، والأعمارَ تفنى، والأبدانَ في الثَّرى تَبلَى، وإنَّ الليلَ والنهارَ يتراكضانِ**[٣] **كتراكُضِ البريد**[٤]**، يُقرِّبانِ كلَّ بعيد، ويُخلِقانِ كلَّ جديد، وفي ذٰلك ـ عبادَ اللَّه ـ ما ألْهَى عن الشهوات، ورغَّب في الباقيات الصالحات**»[٥].

(٦١٧) وقال مِسْعَر[٦]: «كم من مستقبِلٍ يومًا وليس يستكملُه، ومنتظرٍ غدًا

---

(١) **الدَّساكر**: أبنيةٌ كالقصور. [ط]

(٢) كانت الأولى في ص (٢٢٠)، والثانية في ص (٢٢٨). [ط]

(٣) **يتراكضان**: يتسابقان. [ط]

(٤) **البريد**: الرسول الذي يوصل الرسائل. [ط]

(٥) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٦) مِسعر بن كِدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي العامري، أبو سلمة الكوفي، ثقة ثبت فاضل، أحد الأئمة الأعلام، توفي عام (١٥٥). =

وليس من أجلِه، ولو رأيتُم الأجلَ ومَسيرَه، لأبغضتُم الأملَ وغروره».

(٦١٨) وقال رجلٌ من الأنصار للنبي ﷺ: مَن أكيسُ الناس؟ قال: «**أكثرُهم ذكرًا للموت، وأشدُّهم استعدادًا له، أولٰئك الأكياس، ذهبوا بشرفِ الدنيا وكرامة الآخرة**»[(١)].

(٦١٩) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كما تنامون كذٰلك تموتون، وكما تستيقظون كذٰلك تبعثون».

(٦٢٠) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس، اتقوا اللَّه، الذي إن قُلتم سَمِع، وإن أضمرتُم عَلِم، وبادِروا الموتَ الذي إن هربتُم أدرككم، وإن أقمتُم أخذكم».

(٦٢١) وقال العلاء بن المسيَّب[(٢)]: «ليس قبلَ الموت شيءٌ إلَّا والموتُ أشدُّ منه، وليس بعد الموت شيءٌ، إلَّا والموتُ أيسَرُ منه[(٣)]».

= ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٦١)، حلية الأولياء (٧/ ٢٠٩ ـ ٢٧٠)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٣).

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم (٤/ ٤٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٦)، و«الأوسط» (٤٦٧١)، و«الصغير» (٩٨٦)، و«مسند الشاميين» (١٥٥٩)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٦٧)، وابن عدي (٣/ ١٢٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٥٥٠)، و«الزهد الكبير» (٤٥٣)، عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وجوَّده** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٥١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٨٤). [ط]

(٢) العلاء بن المسيب بن رافع الكاهلي، الكوفي، ثقة.
ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٢/ ٥٤١)، ميزان الاعتدال (٣/ ترجمة ٥٧٤٤)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٩).

(٣) يؤيد هٰذا ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**لم يَلقَ ابنُ آدم شيئًا قطُّ ـ مُذ خلقهُ اللَّهُ ـ أشدَّ عليه من الموت، ثم إن الموتَ لأهونُ ممَّا بعده**»، رواه أحمد (٣/ ١٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٩٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٣٠١)، وابن الشجري في «أماليه» (٢/ ٣٠٨)، من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وجوَّده** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٩٠)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٤)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني، فانظر: «تحقيق المسند» (٢٠/ ٣٢)، و«الضعيفة» (٩/ ٣٤٠). =

(٦٢٢) وقال بعض الحكماء: «إن للباقي بالماضي معتبرًا، وللآخِرِ بالأول مُزدجَرًا، والسعيدُ لا يركَنُ إلى الخُدع، ولا يغترُّ بالطمع».

(٦٢٣) وقال بعضُ الصلحاء: «إن بقاءَكَ إلى فَناء، وفناءَكَ إلى بقاء، فخُذْ من فَنائك الذي لا يبقى لبقائِك الذي لا يفنى».

(٦٢٤) وقال بعض العلماء: «أيُّ عيش يَطيب، وليس للموت طبيب؟!».

(٦٢٥) وقال بعضُ البلغاء: «كلُّ امرئٍ يَجري من عمره إلى غايةٍ تنتهي إليها مدةُ أجله، وتَنطوي عليها صحيفةُ عمله، فخُذْ من نفْسِك لنفسك، وقِسْ يومَك بأمسِك، وكُفَّ عن سيئاتِك، وزِدْ في حسناتك، قبل أن تستوفِيَ مدةَ الأجل، وتقصُرَ عن الزيادة في السعي والعمل».

(٦٢٦) وقيل في منثور الحكم: «من لم يتعرَّضْ للنوائب تعرَّضتْ له».

(٦٢٧) وقال أبو العتاهية[1]:

مـا للمقابـرِ لا تُجـيبُ ... إذا دَعـاهُنَّ الكَئـيبُ!

حُفَـرٌ مُـسَقَّـفَـةٌ عَلـيهنَّ ... الجَـنادِلُ والكثـيبُ[2]

فـيهِنَّ وِلـدانٌ وأَطْفـالٌ ... وشُـبَّانٌ وشِـيبُ

كَـمْ مِـن حَبـيبٍ لـم تكُـنْ ... نَفـسي بفُـرقَتِه تَطِـيبُ

غادَرْتُـهُ في بَعـضِهنَّ ... مُجـندَلًا وهـو الحبـيبُ

وسَـلَوْتُ عَـنْهُ وإنَّمـا ... عَهْـدي بـرُؤيتِهِ قَـريبُ

= وثبت عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن القبرَ أولُ منازلِ من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه، وإن لم ينجُ منه، فما بعده أشد منه**». قال: وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلا والقبرُ أفظعُ منه**»، رواه أحمد (١/ ٦٣)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، والحاكم (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، وحسَّنه الإمام الترمذي، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، ووافقه الإمام الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(١) الأبيات في ديوانه (٤٧).

(٢) **الجنادل**: الصخور. **الكثيب**: التراب. [ط]

(٦٢٨) ووعظ النبيُّ ﷺ رجلًا فقال: «**أَقْلِلْ مـنَ الدنيـا، تِعِشْ حُرًّا، وأقلِلْ من الذنوبِ يَهُنْ عليك الموتُ، وانظُر حيث تضعُ ولدَك؛ فإنَّ العِرقَ دسَّاس**[1]»[2].

(٦٢٩) وقال الرشيدُ لابن السمَّاك: «عِظني وأوجِزْ، فقال: اعلم أنك [لستَ] أولَ خليفةٍ يموت».

(٦٣٠) وعَزَّى أعرابيٌّ رجلًا عن ابنٍ له صغير، فقال: «الحمدُ للَّه الذي نجَّاه مما هاهنا من الكَدَر، وخلَّصه مما بين يديه من الخطر».

(٦٣١) وقال بعضُ السلف: «مَن عمِل للآخرة أحرَزَها والدنيا، ومَن آثر الدنيا حُرِمَها والآخرة».

(٦٣٢) وقال بعضُ الصُّلَحاء: «اغتنم تَنَفُّسَ الأجل[3]، وإمكانَ العمل، واقطَعْ ذِكرَ المعاذير والعلل؛ فإنك في أجلٍ محدود، ونفَسٍ معدود، وعُمرٍ غير ممدود».

(٦٣٣) وقال بعضُ الحكماء: «الطبيبُ معذور، إذ لم يقدِرْ على دفع المحذور».

(٦٣٤) وقال بعضُ البُلَغاء: «اعمَلْ عملَ المرتحِل؛ فإن حاديَ الموتِ يحدُوك[4] ليومٍ ليس يَعْدُوك».

(٦٣٥) ورُوي عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ:

غَـــرَّ جَهـــولًا أَمَلُـــهْ ... يمـوتُ مَـنْ جـا أَجَلُـهْ[5]

---

(١) **العِرق دسَّاس**: أي الطبعُ يَنزِعُ إلى طبع أصولِه، فترى الولدَ يتلقفُ طباعَ آبائه وأجداده. ولذلك كان لابد للعاقل ـ رجلًا أو امرأةً ـ ألا يختار إلَّا أصحاب الدين الصحيح والأصول الطيبة، وراجع ـ متفضِّلًا ـ كتابي: «اختيار الزوجين بين الضوابط الشرعية، وأهواء النفوس البشرية»، ففيه تفاصيل غايةٌ في الأهَمية عن هٰذا الأمر الخطير. [ط]

(٢) **ضعيف جدًّا**: أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٠٠٧)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» (٣٦٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٧٨)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧/ ٣٨٥)، عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. **وضعَّفه** الإمام البيهقي، وأشار إلى ذٰلك الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٧٦٧) ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ ، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٠٢٣). [ط]

(٣) أي: طُوله. [ط]

(٤) **يَحدُوك**: يحثُّك ويدفعك. [ط]

(٥) **جا**: جاء. [ط]

وَمَــنْ دنــا مِــنْ حَــتْفِهِ　　لــمْ تُغْــنِ عــنه حِــيَلُهْ
ومــا بقــاءُ آخِــرٍ　　قــد غــابَ عــنه أوَّلُــهْ
والمــرءُ لا يــصحَبُهُ　　في القبــرِ إلَّا عمَلُــهْ

(٦٣٦) وقال أبو العتاهية[(١)]:

لا تـأمَنِ المـوتَ في لَحْظٍ ولا نَفَسٍ　　وإن تَمَـنَّعْتَ بالحُجَّـابِ والحَـرَسِ
واعْلَـم بـأَنَّ سِـهامَ المـوتِ قاصِـدَةٌ　　لِكـلِّ مـدَّرِعٍ مـنها ومتَّـرسِ[(٢)]
تـرجُو الـنَّجاةَ ولـم تَسْلُكْ مسالِكَها　　إنَّ الـسَّفينة لا تَجـري على اليَـبَسِ

فإذا رُضْتَ نفسك من هٰذه الحالة بما وصفتُ، اعْتَضْتَ منها ثلاث خلال:

إحداها: أن تُكْفَى تسويفَ أملٍ يُرديك، وتسويلَ مُحالٍ يؤذيك، فإنَّ تسويفَ الأملِ غَرَّار، وتسويلَ المُحال ضَرَّار.

والثانية: أن تستيقظَ لعملِ آخرتك، وتغتنمَ بقيةَ أجَلِك بخير عملك؛ فإنَّ من قصَّر أمله، واستقلَّ أجلَه[(٣)]، حسُن عمله.

والثالثة: أن يَهُون عليك نزولُ ما ليس عنه مَحِيص[(٤)]، ويسهُلَ عليك حلولُ ما ليس إلى دفعه سبيل؛ فإن من تحقق أمرًا توطَّأ لحُلوله[(٥)]، فهان عليه عند نزوله.

(٦٣٧) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نَبِّه بالتفكُّرِ قلبك، وجافِ عن النَّوم جنبك، واتَّقِ اللَّه ربَّك**»[(٦)].

(٦٣٨) وقال عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عِظني، فقال: ارضَ

---

(١) الأبيات في ديوانه (٢٨٤)، ولفظ البيت الثاني كما في الديوان:
فما تزالُ سهامُ الموتِ نافذَةً　　في جَنب مُدَّرِعٍ منها ومُتَّرِسِ

(٢) **قاصدة**: مصيبةٌ. [ط]

(٣) **استقل أجله**: رآه قليلًا. [ط]

(٤) **المَحيص**: المفر. [ط]

(٥) **توطَّأ لحلوله**: تَهيَّأ لنزوله. [ط]

(٦) **لا أعلمُ له أصلًا**: واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

بالقُوتِ وخَفْ من الفَوْت[١]، واجعَلْ صومَك الدنيا وفِطرَكَ الموت».

(٦٣٩) وقال عمرُ بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيتُ يقينًا لا شكَّ فيهِ أشبهَ بشكٍّ لا يقينَ فيه مِن يقينٍ نحن فيه[٢]! فلئِنْ كنا مُقِرِّين إنَّا لحمقى، ولئن كنَّا جاحدين، إنا لهَلْكَى».

(٦٤٠) وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «نهارُك ضيفُكَ فأحسِنْ إليه؛ فإنك أن أحسنتَ إليه ارتحل بحَمْدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمِّك، وكذٰلك ليلُك».

(٦٤١) وقال الجاحظ في كتاب «البيان»: «وُجد مكتوبًا في حَجَر: يا ابن آدم، لو رأيتَ يسيرَ ما بَقِيَ من أجلك، لزهِدتَ في طويل ما ترجو من أمَلك، ولرغبتَ في الزيادةِ من عملِك، ولقصَّرتَ مِن حِرصِك وحِيَلِك، وإنما يلقاكَ غدًا ندمُك، لو قد زلَّت بك قدمُك، وأسلمَكَ أهلُك وحَشَمُك، وتبرَّأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب»[٣].

(٦٤٢) ولمَّا حَضَر بشرَ بن منصور[٤] الموتُ فَرِح، فقيل له: «أتفرحُ بالموت؟ فقال: أتجعلون قُدومي على خالقٍ أرجوه كمقامي مع مخلوقٍ أخافُه؟!».

(٦٤٣) وقيل لأبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في مرضه الذي مات فيه -: «لو أرسلتَ إلى الطبيب، فقال: قد رآني، قالوا: فما قال لك؟ قال: إني فعَّالٌ لما أريد»[٥].

(٦٤٤) وقيل للرَّبيع بن خُثَيْم[٦] - وقد اعتلَّ[٧] -: «ندعو لك بالطبيب؟ قال:

(١) الفَوْت: موت الفجأة.

(٢) يقصد الموت، فإنه يقينٌ لا شك فيه، لٰكن من يطَّلِعُ على أحوال العُصاة يراهم وكأنهم يشكُّون في الرجوع إلى اللَّه تعالى؛ إذ لو تحقق فيهم اليقينُ به لخافوا من لقائه، ولاستقاموا على طريقه. [ط]

(٣) «البيان والتبيين» (٣/ ١٦٦).

(٤) بشر بن منصور السليمي، الأزدي البصري، الزاهد، توفي عام (١٨٠).
ترجمته في: حلية الأولياء (٦/ ٢٣٩ - ٢٤٣)، تهذيب الكمال (٤/ ١٥١).

(٥) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ١١٩ - خبر: ٢٤٣)، ومحاضرات الراغب (١/ ٤٣١).

(٦) الربيع بن خثيم - وقد تحرَّفت في كثير من المصادر إلى «خيثم» - بن عائذ بن عبداللَّه الثوري، أبو يزيدَ الكوفي، ثقة عابد مخضرم، توفي عام (٦٣).
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ١٠٥ - ١١٨)، تهذيب الكمال (٩/ ٧٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٨).

(٧) اعتلَّ: مرض. [ط]

قد أردتُ ذٰلك، فذكرتُ عادًا وثمودَ وأصحابَ الرَّسِّ وقرونًا بين ذٰلك كثيرًا، وعلمتُ أنه كان فيهم الدَّاء والمُداوي، فهلكوا جميعًا[١]»[٢].

(٦٤٥) وسُئل أنو شِروان: «متى يكون عيشُ الدنيا ألذَّ؟ قال: إذا كان الذي ينبغي أن يَعملَه في حياتِه معمولًا[٣]».

(٦٤٦) وقال بعض الحكماء: «مَن ذكر المنيَّة نسِيَ الأُمنيَّة».

(٦٤٧) وقال بعضُ الأدباء: «عن الموت تَسَلّ[٤]؟ وهو كريشةٍ تُسَلّ».

(٦٤٨) وقال بعض البلغاء: «الأملُ حجابُ الأجل».

(٦٤٩) وأنشد بعضُ أهل الأدب ما ذُكر أنه لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فلو كُنَّا إذا مِتنا تُركْنا ... لكان الموتُ راحةَ كلِّ حَيْ
ولٰكنا إذا مِتنا بُعِثْنا ... ونُسألُ كلُّنا عن كلِّ شَيْ

(٦٥٠) وقال بعض الشعراء:

ألَا إنَّما الدُّنيا مَقِيلٌ لراكبٍ ... قضَى وطرًا مِن منزلٍ ثم هَجَّرا[٥]
فراحَ ولا يدري علامَ قُدُومه ... ألا كُلُّ ما قَدَّمْتَ يَبقى مُوَقَّرا

(٦٥١) رَوى سعيدُ بن مسعود، أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا رسول اللَّه، أوصني، فقال ﷺ: **«اكسَبْ طيبًا، واعمل صالحًا، واسأل اللَّهَ تعالى رزقَ يومٍ بيوم، واعدُدْ نفسك من الموتى»**[٦].

---

(١) لٰكن هٰذا لا يمنع من التداوي، إذ هو بين الوجوب والاستحباب والإباحة ـ حسب حالة المرض وأثره على حياةِ العبد ـ، وليس هٰذا موضع التفصيل. [ط]

(٢) الخبر في حلية الأولياء (٢/ ١٠٦) في ترجمة الربيع.

(٣) يقصد: فعل الخير. [ط]

(٤) في «المنهاج»: «تسَلَّ، وقال: أمرٌ من التسلِّي، أي: عن لذائذ الدنيا».

(٥) **هجَّرا:** رحل مبكِّرًا. [ط]

(٦) **لا أعلم له سندًا.**
وقد صحَّ عنه ﷺ قوله: «**اعدُدْ نفسك في الموتى**»، عند أحمد (٢/ ٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٧٥)، و«الصغير» (٦٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٤٤)، من حديث ابن عمر، ومعاذ، وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، =

(٦٥٢) وكتبَ الرَّبيع بن خُثيم إلى أخٍ له: «قدِّم جَهازك، وافرُغْ من زَادِك، وكُنْ وَصِيَّ نفسك، والسلام»[(١)].

(٦٥٣) وقال بعضُ السلف: «أصاب الدنيـا مَـن حَذِرَها، وأصابت الدنيا من أَمِنها».

(٦٥٤) ومرَّ محمدُ بنُ واسع بقوم، فقيل له: «هٰؤلاء زهادٌ، فقال: ما قَدْرُ الدنيا حتى يُحَمَدَ من زَهَد فيها[(٢)]».

(٦٥٥) وقال بعض الحكماء: «السعيدُ مَن اعتَبـر بأمسِـه، واستَظهَر لنفسه[(٣)]، والشقيُّ من جَمَع لغيره، وبَخِلَ على نفسه».

(٦٥٦) وقال بعضُ البلغاء: «لا تَبِتْ من غير وصية، وإن كنتَ من جسمِك في صحة، ومن عُمرك في فُسحة؛ فإن الدهرَ خائن، وكلُّ ما هو كائنٌ كائن[(٤)]».

(٦٥٧) وقال بعض الشعراء:

مَـن كـان يَعْلَـمُ أنَّ الـموتَ مُدْرِكُـهُ ... والقَبْـرَ مَـسْكَنُهُ والـبعثَ مَخْـرَجُهُ

وأنَّـــهُ بـــينَ جـــنَّـاتٍ سَـــتُبْهِجُهُ ... يـــومَ القـــيامةِ أوْ نـــارٍ ستُنْـــضِجُهُ

فكـلُّ شـيءٍ سِـوى التَّقْوى به سَمِجٌ ... ومــا أقــام علــيه مــنهُ أَســمَجُهُ[(٥)]

تَـرى الَّـذي اتَّخـذ الدنـيا لـهُ وَطَـنًا ... لـم يَـدْرِ أنَّ المـنايا سـوْفَ تُـزْعِجُهُ

(٦٥٨) وروى جابرٌ الجُعفيُّ، عن محمد بن عليٍّ، عن جابر بن عبدِاللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال ـ في بعض خطبه ـ : «**أيُّها الناس، إن لكم نهايةً؛ فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم معالِمَ[(٦)]، فانتهُوا إلى معالِمِكم، وإن المؤمنَ بين مخافتين: أجلٍ قد**

= **وحسنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(١) العبارة في حلية الأولياء (٢/ ١٠٦) في ترجمة الربيع.

(٢) يقصد: أن الزهد أمرٌ طبيعيٌّ عند كل عاقل. [ط]

(٣) أي: نظر لمصالحها، وسعى فيما يصلحها. [ط]

(٤) أي: وكلُّ ما قُدِّر سيكون. [ط]

(٥) **سَمِج الشيء**: قبُح (الصحاح ص٥١١).

(٦) **المعالِم**: العلامات الواضحة. [ط]

مضى لا يَدري ما اللَّهُ صانعٌ فيه، وأجلٍ قد بقيَ لا يَدري ما اللَّهُ قاضٍ فيه، فلْيَتزوَّدِ العبدُ مِن نفسِه لنفسِه، ومن دُنياه لآخرته، ومنَ الحياة قبل الموت، فإن الدنيا خُلقت لكم، وأنتم خُلقتم للآخرة، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيده، ما بعدَ الموت من مُستعتَب، ولا بعد الدنيا دار، إلا الجنةُ أو النار»[1].

(٦٥٩) وقال الحسن البصري: «أمسِ أَجَل، واليومَ عَمَل، وغدًا أَمَل».

(٦٦٠) فأخَذَ أبو العتاهية هٰذا المعنى، فنَظَمه شِعرًا، فقال[2]:

عَلِّلِ النَّفْسَ بالكفافِ وإلَّا ... طَلَبَتْ منكَ فَوْقَ ما يَكْفيها
لَيْسَ فيما مضى وَلا في الذي لَمْ ... يأتِ مِنْ لَذَّةٍ لمُسْتَحْلِيها
إنَّما أنت طُولَ عُمْرِكَ ما عُمِّرْتَ ... في السَّاعةِ التي أنتَ فيها

(٦٦١) وقيل لزاهدٍ: «ما بالُك تمشي على العصا، ولستَ بكبيرٍ ولا مريضٍ؟ فقال: لأني أعلم أنِّي مسافر، وأنَّها دار بُلْغة، وأنَّ العصا من آلةِ السفر».

(٦٦٢) فأخذه بعضُ الشعراء، فقال:

حَملْتُ العصا لا الضَّعفُ أوجبَ حَمْلَها ... عَلَيَّ ولا أني تَحنَّيتُ من كِبَرْ
ولٰكنَّني ألزَمْتُ نفسِيَ حَمْلَها ... لأُعْلِمَها أنِّي مُقِيمٌ على سَفَرْ

(٦٦٣) وقال بعضُ المتصوِّفة: «الدُّنيا ساعة، فاجعلْها طاعة».

(٦٦٤) وقال ذو القَرْنين[3]: «رَتَعْنَا[4] في الدُّنيا جاهلين، وعِشْنا فيها غافلين، وأُخْرِجنا منها كارهين».

---

(١) **ضعيف**: وهٰذا الإسناد ـ كما نرى ـ فيه «جابرٌ الجُعْفي»، وهو رافضيٌّ خبيث، وأخرجه البيهقي في «الشُّعب» (١٠٥٨١)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٣٠)، عن الحسن البصري مرسلًا، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٠٠)، وكذا محقق «الشعب» (١٣/ ١٥٣).

وقد ورد نحوه من كلام الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند أبي نعيم في «الحلية» (٢/ ١٣٢). [ط]

(٢) الأبيات في ديوانه (٦١٠).

(٣) وهو مختلفٌ في نبوَّته، وظاهر آيات القرآن الكريم أنه نبيٌّ، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٤) رَتَعْنا: نعِمنا. [ط]

(٦٦٥) وقال عبدُالحميد: «المرءُ أسيرُ عُمرٍ يسير».

(٦٦٦) وقيل في بعض المواعظ: «عَجبتُ[١] لمن يخافُ العقابَ، كيف لا يكفُّ عن المعاصي؟ وعجبتُ لمن يرجو الثوابَ، كيفَ لا يعمل؟».

(٦٦٧) وقال بعضُ الحكماء: «المسيءُ ميِّتٌ ـ وإنْ كان في دار الحياة ـ، والمحسِنُ حيٌّ ـ وإنْ كان في دار الأموات ـ، وكُلٌّ بالأثر يومَه أو غدَه[٢]».

(٦٦٨) وقال بعضُ السلف: «اللَّه المستعانُ على ألسنةٍ تَصِف، وقلوبٍ تَعرف، وأعمالٍ تُخالِف».

(٦٦٩) وقال آخر: «إنَّ الليلَ والنهارَ يعملانِ فيك، فاعمل فيهما».

(٦٧٠) وقال آخر: «اعمَلُوا لآخرتِكم في هٰذه الأيام التي تسير كأنَّها تطير».

(٦٧١) وقال آخر: «الموتُ قُصاراك[٣]، فَخُذْ من دنياك لأُخراك».

(٦٧٢) وقال آخر: «عبادَ اللَّه، الحذَر الحذَر، فواللَّهِ لقد سَتَر حتى كأنَّه قد غَفَر، ولقد أَمْهَلَ حتى كأنَّه قد أهمَل».

(٦٧٣) وقال آخر: «الأيامُ صحائفُ أعمالكم، فخلِّدوها أجملَ أفعالكم».

(٦٧٤) وقيل في منثور الحكم: «اقْبَلْ نُصْح المَشِيب وإن عَجِل[٤]».

(٦٧٥) وقيل: «ما طلَعَت شمس إلَّا وعظتْ بأمْس[٥]».

(٦٧٦) وقال محمد بن بشير رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَضَى يومُكَ[٦] الأدنى شهيدًا معدَّلًا ... ويومُكَ هٰذا بالفِعالِ شهيدُ

فإن تكُ بالأمسِ اقْتَرَفْتَ إساءَةً ... فثَنِّ بإحْسَانٍ وأنتَ حَميدُ

ولا تُرْجِ فِعْلَ الخيرِ منكَ إلى غَدٍ ... لَعَلَّ غدًا يأتي وأنتَ فَقيدُ

---

(١) في المطبوعة والشرح: عجبًا، في الموضعين.

(٢) أي: كلٌّ على طريق الموت اليوم أو غدًا. [ط]

(٣) قُصاراك: نهايتك. [ط]

(٤) أي: وإن جاءك في عنفوان الشباب. [ط]

(٥) أي: كأنها نعَتْ إليك الأمس؛ إشارةً إلى حياتك القصيرة. [ط]

(٦) في المطبوعة والشرح: أمسك.

(٦٧٧) ورَوى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما رأيتُ مِثْلَ الجنَّةِ نامَ طالِبُها، وما رأيتُ مثلَ النَّارِ نامَ هَارِبُها**»(١).

(٦٧٨) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلا إنَّ أولياءَ اللَّهِ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون: الذين نَظَروا إلى باطنِ الدنيا(٢)، حين نظر الناسُ إلى ظاهرها، وإلى آجِلِ الدنيا حين نظر الناسُ إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتَ قلوبَهم، وتركوا منها ما علِموا أنه سيتركُهم».

(٦٧٩) وقال عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الناسُ طالبانِ يَطْلُبان، فطالبٌ يطلُب الدُّنيا، فارْفُضُوها في نَحْرِه، فإنَّه ربَّما أدرك الذي يطلُبه منها، فهَلك بما أصاب منها، وطالبٌ يطلُب الآخرة، فإذا رأيتم طالبَ الآخرة، فنافِسوه فيها»(٣).

(٦٨٠) ودخل أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّام، فقال: «يا أهلَ الشَّام، اسمعُوا قولَ أخٍ ناصح. فاجتَمَعوا عليه، فقال: ما لي أراكم تَبْنُون ما لا تسكُنون؟ وتجمَعُون ما لا تأكلون؟ إنَّ الذين كانوا قبلكم بنَوا مَشيدًا، وأمَّلُوا بعيدًا، وجَمعوا كثيرًا، فأصبَحَ أمَلُهم غُرُورًا، وجَمْعُهم ثُبورًا، ومساكنُهم قُبورًا»(٤).

(٦٨١) وقال أبو حازم: «إنَّ الدُّنيا غَرَّتْ أقوامًا، فعملوا فيها بغير الحقِّ، ففاجأهم الموت، فخلَّفوا مالَهم لمن لا يَحمَدُهم، وصاروا لمن لا يَعذِرهم(٥)، وقد خُلِّفنا بعدَهم، فينبغي أن ننظرَ للذي كرهناه منهم فنجتنبَه، والذي غَبَطنَاه منهم به فنستعمِلَه».

(٦٨٢) ومرَّ بعضُ الزُّهاد بباب مَلِكٍ، فقال: «بابٌ جديد، ومَوْتٌ عَتيد(٦)، ونَزْعٌ

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٠١)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٦٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٩١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٨٨)، والبغوي في «شرح السنة» (بعد الحديث ٤١٧٤)، **وضعَّفه** الإمام الترمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني. [ط]

(٢) أي: حقيقتها. [ط]

(٣) الخبر في التذكرة الحمدونية (١/ ١٢٧ ـ خبر: ٢٦٧)، والبيان والتبيين (٣/ ١٣٧).

(٤) الخبر في عيون الأخبار (٢/ ٣٦٠ ـ خبر: ٣٦٨٢)

(٥) وهو اللَّهُ تعالى ـ إذا لم يتكرَّم عليهم بالعفو والغفران ـ. [ط]

(٦) **العَتيد**: الحاضر. [ط]

شديد، وسفرٌ بعيد».

(٦٨٣) ومرَّ بعض الزُّهاد برجلٍ قد اجتمَع عليه الناس، فقال: «ما هٰذا؟ قالوا: مِسكين؛ سَرَقَ منه رجلٌ جُبَّةً[1]، ومرَّ بـه آخـر فأعطـاه جُبَّةً، فقال: الحمدُ للَّه[2]، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ[3] ﴿٤﴾﴾ [الليل]».

(٦٨٤) وقال بعضُ الحكماء: «ما أنصفَ من نفسه مَن أيقن بالحشر والحساب، وزهِد في الأجر والثواب».

(٦٨٥) وقال آخر: «بطول الأمل تقسو القلوبُ، وبإخلاصِ النِّيةِ تَقِلُّ الذُّنوب».

(٦٨٦) وقال آخر: «إياك والمُنَى؛ فإنَّها من بضائع النَّوْكَى، وتُثَبِّط[4] عن الآخرة والأولى».

(٦٨٧) وقال آخر: «قَصِّر أمَلَك؛ فإنَّ العمـر قصيـر، وأحسِنْ سِيرتَك؛ فالبِرُّ يَسير».

(٦٨٨) وقال عبدُاللَّه بن المعتز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَسِيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ ساعةٍ ... وأيامُنا تُطْوىَ وَهُنَّ مَرَاحِلُ
ولم نَرَ مِثلَ الموتِ حقًّا كأنَّه ... إذا ما تَخطَّتْهُ الأمانيُّ باطلُ
وما أقْبَحَ التفريطَ في زَمنِ الصِّبا ... فكيفَ به والشَّيبُ في الرأسِ شاملُ[5]
تَرَحَّلْ عن الدُّنيا بزادٍ من التُّقَى ... فعمرُك أيامٌ تُعَدُّ قلائلُ

(٦٨٩) وكان عبدالملكِ بنُ مَرْوان يتمثل بِهٰذين البيتين:

فاعمَلْ على مَهَلٍ فإنَّك مَيِّتٌ ... واكْدَحْ لِنَفسك أيُّها الإنسانْ[6]

---

(١) الجُبَّة: العباءة. [ط]
(٢) في المطبوعة والشرح: صدق اللَّه.
(٣) أي: أعمالُكم متخالِفة، فمن مريدٍ للخير، ومن مريد للشر. [ط]
(٤) تُثبِّط: تُكسِّل. [ط]
(٥) في المطبوعة والشرح: نازل، وقال في الشرح: وفي رواية: شامل.
(٦) الكَدْح: التعب. [ط]

فكـأنَّ مـا قَـدْ كان لم يكُ إذ مَضَى ... وكـأنَّ مـا هُـو كـائنٌ قـد كـانْ

(٦٩٠) ونَظَر سُليمانُ بن عبدِالملِك يومًا في المرآة، فقال: أنا الملكُ الشَّابُّ، فقالت جاريةٌ له[١]:

أنْـتَ نِعْـمَ المـتاعُ لـو كـنْتَ تبقى ... غيـرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسانِ

لـيسَ فـيما بـدا لـنا مـنكَ عـيبٌ ... كـانَ في الـناسِ غيـرَ أنَّـكَ فـانِ

(٦٩١) ورَوى عبدُالعزيز بنُ عبدالصَّمد، عن أبانَ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ على ناقتِه الجَدْعاء، فقال: «**أيُّها الناس! كأنَّ الموتَ فيها على غيرنا كُتِبَ، وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرنا وَجَبَ، وكأنَّ الذين نُشيِّعُ من الأموات سَفْرٌ عمَّا قليل إلينا راجعون، نبوِّئُهُم أجْداثهم**[٢]**، ونأكلُ تُراثَهم**[٣]**، كأنَّا مَخلَّدون بعدَهم، قد نَسينا كُلَّ واعظة، وأَمِنَّا كُلَّ جائحة**[٤]**، طُوبى لمن شَغَله عيبُه عن عيب الناس، وأنفقَ من مالٍ كَسَبَه من غير معصية، ورحِمَ أهلَ الذُّلِّ والمسْكَنة، وخالطَ أهل الفقهِ والحكمة، طُوبَى لمن أدَّبَ نفسه، وحسُنت خليقتُه، وصلَحَتْ سريرتُه، طُوبَى لمن عمل بعلمه، وأنفقَ الفضل من ماله، وأمسكَ الفضل من قوله، ووسِعته السُّنَّة، ولم يعدِل عنها إلى البِدْعة**»[٥].

(١) العبارة والأبيات في ترجمته، في تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٩).
(٢) **الأجداث**: القبور. [ط]
(٣) **التراث**: المال. [ط]
(٤) **الجائحة**: المصيبة. [ط]
(٥) **موضوع**: رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٣/ ١٤٢)، والبزار (٣٢٢٥)، وحكم عليه **بالوضع** الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٧٨)، وتبعه على ذلك جماعةٌ من العلماء ـ كما في «الضعيفة» (٨/ ٢٩٩) ـ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٤٩ ـ بعنايتي)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٤): «رواه البزار، وفيه «النضْر بن محرز» وغيره من الضعفاء»، وابن عديٍّ في «الكامل» (١/ ٣٧٥)، **وضعَّفه** ـ كذلك ـ محقق «الشعب». وانظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).
ورُوِي الحديث من رواية الحسين بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٢)، وقال الإمام أبو نعيم عقبه: «هٰذا حديثٌ غريب من حديث العترة الطيبة، لم نسمعه إلا من القاضي الحافظ»، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في الموضع السابق. =

(٦٩٢) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**زُوروا القبورَ تَذكَّروا بها الآخرة، وغسِّلُوا الموتى، فإن معالجةَ الأجسادِ الخاويةِ موعظةٌ بليغة**»[1].

(٦٩٣) وحَفَر الرَّبيع بن خُثَيم في داره قبرًا، فكان إذا وَجد من قلبه قسوةً، جاء فاضطجع في القبر، فمكَثَ فيه ما شاء اللَّه، ثم يقول: «﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:١٠٠]. ثم يردُّ على نفسه، فيقول: قد أرجعتُكِ فجِدِّي، فمكث كذٰلك ما شاء اللَّه».

(٦٩٤) وكان أبو مُحْرز الطُّفَاوي[2] يقول: «كفَتْك القبورُ مواعظَ الأمم السالفة».

(٦٩٥) وقيل لبعض الزهَّاد: «ما أبلغُ العظات؟ قال: النظر إلى مَحِلَّة الأموات».

(٦٩٦) فأخذه أبو العتاهية فقال[3]:

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ ... ونَعَتْكَ أَزْمِنَةٌ خُفُتْ

= ورُوي ـ أيضًا ـ من حديث رَكْبٍ المصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٢٥)، وفي «الكبرى» (٤/ ١٨٢)، والقُضاعي (٦١٥)، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الإمام العراقي في الموضع السالف، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٦٢٤) و(٣٦٤٤)، و«الضعيفة» (٣٨٣٥). **[ط]**

(١) **ضعيف**: أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٩١)، وابن شاهين في «الترغيب» (٤٧٠)، وابن عساكر في «التاريخ» (٦٦/ ١٨٨)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام البيهقي ـ عقبه ـ: «**هٰذا متنٌ منكر**»، **وأقرَّه** الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٢٠٣)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣١٧٠)، و«الضعيفة» (٣٦٦٣)، وكذا محقق «الشعب» (١١/ ٤٧٠)، وبخلاف كلِّ هٰذا فقد **صحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي! وقد **ضعَّفه** في موضع آخر، كما في «فيض القدير» (٣/ ١٦٢)، **وأقرَّه** الإمام المُناوي.
ويُنتبه إلى أن الجزء الأول من الحديث ـ الخاص بزيارة القبور ـ ثابتٌ من طرق أخرى، فقد ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**زوروا القبور؛ فإنها تُذكِّرُ الموتَ**»، **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤١)، ومسلم (٩٧٦)، وأبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٤)، وفي «الكبرى» (٢١٧٢)، وابن ماجه (١٥٧٢). **[ط]**

(٢) لم أجد منسوبًا إلى الطفاوي غير محمد بن عبدالرَّحْمٰن أبو المنذر الطفاوي البصري. فاللَّه أعلم.
ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ٥٣٣)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٥٢).

(٣) الأبيات في ديوانه (١٠١).

وتكلَّمَـــتْ عَـــنْ أوجُـــهٍ تَبلَـى وعلـى صُـورٍ سُبُتْ(١)

وأَرَتْـك قَبْـرَكَ في الحـياةِ وأَنــتَ حــيٌّ لَــمْ تَمُــتْ

يــا شــامِتًا بِمَنِيَّتــي إنَّ المنــيَّةَ لــم تَفُــتْ

فلــرُبَّما انقلَــبَ الــشَّماتُ فحــلَّ بالقَــوْمِ الــشُّمُتْ

(٦٩٧) وَوُجد على قبرٍ مكتوبًا: «قَهَرْنا مَن قَهَرْنا، فصرْنا للناظرين عِبْرة».

(٦٩٨) وعلى آخرَ: «من أمَّل البقاءَ وقد رأى مَصارِعَنا فهو مغرور».

(٦٩٩) وقيل في منثور الحِكَم: «ما أكثَرَ مَنْ يعرِفُ الحقَّ ولا يُطيعه!»(٢).

(٧٠٠) وقال بعضُ الحكماء: «مَنْ لم يَمُتْ لم يَفُتْ(٣)».

(٧٠١) وقال بعضُ الصلحاء: «لنا من كُلِّ ميِّتٍ عِظَةٌ بحاله، وعِبرَةٌ بمآله».

(٧٠٢) وقال بعضُ العلماء: «مَن لم يتعظ بموتِ ولَد، لم يتعِظْ بقول أحد».

(٧٠٣) وقال بعضُ البلغاء: «ما نقصَتْ ساعةٌ من أمْسِك، إلَّا ببَضْعةٍ من نفسك».

(٧٠٤) فأخذه أبو العتاهية، فقال:

إنَّ مــعَ الدَّهْــرِ فــاعْلَمَنَّ غَــدا فانْظُــرْ بمـا ينقـضِي مجـيءُ غَـدِهْ

مــا ارْتَــدَّ طــرْفُ امــرئٍ بلذَّتِــه إلَّا وشَــيءٌ يمــوتُ مــن جَـسَدِهْ

(٧٠٥) ولمَّا مات الإسكندر قال بعضُ الحكماء: «كان الملكُ أمسِ أنطقَ منه اليوم، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس».

(٧٠٦) فأخذ أبو العتاهية هٰذا المعنى، فقال(٤):

كَفَـى حُـزنًا بدفْـنِكَ ثُـمَّ إنِّـي نَفَـضْتُ تُـرَابَ قَبـرِكَ عـنْ يَـدَيَّا

---

(١) سُبُت: ساكنة. [ط]

(٢) في المطبوعة: ولا يعطيه.

(٣) أي: مَن لم يمُتْ لم ينجُ، فسوف يأتي عليه دوره. [ط]

(٤) الأبيات في ديوانه (٦٤١).

وكانـت في حـياتِك لـي عِظاتٌ　　فأنْـتَ الـيومَ أَوْعَـظُ مـنكَ حَـيَّا

(٧٠٧) وقال بعض الحكمـاء: «لو كان للخطـايا ريحٌ لافتُضِـحَ النَّـاسُ، ولـم يتجالسوا».

(٧٠٨) فأخذ هٰذا المعنى أبو العتاهية، فقال[1]:

أَحْـــسَنَ اللَّــــه بِـــنا　　أنَّ الخَطايَـــا لا تَفُـــوحُ

فـــإذا المَـــسْتُورُ مِـــنَّا　　بَـــيْنَ ثَوبَـــيْهِ فُـــضُوحُ

(٧٠٩) وهٰذا جميعُه مأخوذٌ من قول النبي ﷺ: «**لو تكاشَفْتُم ما تدافَنْتُم**»[2].

(٧١٠) وكتب رجلٌ إلى أبي العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يــا أبــا إســحاق إنِّــي　　واثــقٌ مــنكَ بــوُدِّكْ

فأَعِنِّـــي بأبـــي أنْـــتَ　　عَلَـــى عَيْبـــي برُشْـــدِكْ

فأجابه بقوله[3]:

أطِـــعِ اللَّــــه بجَهْـــدكْ　　راغـــبًا أو دونَ جُهْـــدِكْ

وأَعْـــطِ مـــولاكَ الـــذي　　تَطْلُـــبُ مِـن طاعـةِ عَبْدِكْ

(٧١١) وقال بعضُ الحكماء: «مَنْ سرَّه بنُوه، ساءته نفسُه».

---

(١) الأبيات في ديوانه (١٣٥).

(٢) **ولا أعلمُ له سندًا**، واللَّهُ تعالى أعلم.

ويغني عنه ما صحَّ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي ﷺ حائطًا من حيطان المدينة لبني النجار، فسَمِع صوتًا من قبرٍ، فسأل عنه: «**متى دُفن هٰذا؟**»، فقالوا: يا رسول اللَّه، دُفن هٰذا في الجاهلية. فأعجبه ذٰلك، وقال: «**لولا ألَّا تدافنوا لدعوت اللَّهَ ﷻ أن يُسمِعَكم عـذابَ القبر**». رواه أحمد (٣/ ١٠٣)، والنسائي (٤/ ١٠٢)، وابن حبان (٣١٢٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٣٦٠)، والبيهقي في «إثبات عـذاب القبر» (٩١)، والبغـوي في «شرح السنة» (١٥٢٦)، وهو عند أحمد (٥/ ١٩٠)، ومسلم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابتٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأما اللفظ الذي أورده المصنف، فقد أخرجه الدينَـوَري في «المجالسة وجواهر العلم» من كلام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فانظره (٣/ ٢١ ـ بتحقيق الشيخ مشهور حسن). [ط]

(٣) ديوانه (ص١٣١).

(٧١٢) فأخذ هٰذا المعنى أبو العتاهية، فقال[١]:

ابنُ ذي الابنِ كُلَّما زادَ منهُ ... مَشْرَعٌ زادَ في فَناءِ أبيهِ

ما بقاءُ الأبِ المُلِحِّ عَلَيْهِ ... بدَبيبِ البِلَى شَبابُ بَنيهِ

(٧١٣) وفي معناه ما حُكِيَ عن زِرِّ بن حُبَيْش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال ـ وقد حضرته الوفاة، وكان قد عاش مِئةً وعشرين سنة ـ:

إذا الرجالُ وُلِدَت أولادُها ... وارتعشَتْ مِن كِبَرٍ أجسادُها

وجعلَتْ أسقامُها تعتادُها ... تلكَ زُروعٌ قَدْ دَنَا حصادُها

(٧١٤) وكتب رجلٌ إلى صالح بن عبدالقدوس:

الموتُ بابٌ وكُلُّ النَّاسِ داخِلُهُ ... فليتَ شعري بعدَ البابِ ما الدارُ[٢]!

فأجابه بقوله:

الدَّارُ جَنةُ عَدْنٍ إنْ عَمِلْتَ بما ... يُرضي الإلٰهَ وإنْ فرطت فالنَّارُ

هما مَحلَّان ما للناس غيرُهما ... فانْظُرْ لنفسِكَ ماذا أنتَ مختارُ

---

(١) الأبيات في ديوانه (٦١٢).

(٢) ليت شِعري: ليتني أعلم. [ط]



الباب الرابع

أدبُ الدنيا



[الباب الرابع]

بابُ: أدبِ الدُّنيا

اعلم أنَّ اللَّه تعالى[١] ـ لِنافِذِ قدرته، وبالغ حكمتِه ـ خَلَقَ الخلْقَ بتدبيره، وفَطَرَهُم بتقديره، فكان من لطيف ما دبَّر، وبديع ما قدَّر، أنْ خَلَقهم محتاجين، وفَطَرهم عاجزين؛ ليكون بالغِنَى مُتفرِّدًا، وبالقدرةِ مختصًّا، حتى يُشْعِرَنا بقدرته أنه خالق، ويُعلِمَنا بغناهُ أنه رازق، فنُذْعِنَ بطاعته رغبةً ورهبةً، ونُقِرَّ بنقصنا عَجْزًا وحاجةً.

ثم جعل الإنسانَ أكثرَ حاجةً من جميع الحيوان؛ لأنَّ منَ الحيوان ما يستقلُّ بنفسه عن جنسه، والإنسانُ مطبوعٌ على الافتقار إلى جنسه، واستعانتُه به صفةٌ لازمةٌ لطبعه[٢]، وخِلْقةٌ قائمةٌ في جَوْهره، ولذٰلك قال اللَّه تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء]، يعني: ضعيفًا عن الصبر عمَّا هو إليه مفتقِر، واحتمالِ ما هو عنه عاجز.

ولمَّا كان الإنسانُ أكثرَ حاجةً من جميعِ الحيوان كان أظهَرَ عجزًا؛ لأنَّ الحاجة إلى الشيء افتقارٌ إليه، والمفتقِرُ إلى الشيء عاجزٌ عنه.

(٧١٥) وقد قال بعضُ الحكماء المتقدِّمين: «استغناؤُك عن الشيء خيرٌ من استغنائك به[٣]».

وإنما خَصَّ اللَّهُ تعالى الإنسانَ بكثرة الحاجةِ وظهورِ العجز، نعمةً عليه ولُطفًا به، ليكونَ ذُلُّ الحاجةِ ومَهانةُ العَجْزِ يمنعان من طُغيان الغِنَى وبَغْي القُدْرة؛ لأنَّ الطغيان مَرْكوزٌ في طبعهِ إذا اسْتَغْنَى، والبغْيَ مُسْتَولٍ عليه إذا قَدَر، وقد أنبأ اللَّه

---

(١) في الأصل: إن اللَّه تعالى.

(٢) في الأصل: في الاستعانة به صفة لازمة لطبعه.

(٣) ليست قاعدةً مطَّردةً. [ط]

تعالى بذٰلك عنه، فقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق]، ثم ليكون أقوى الأمور شاهدًا على نقصِه، وأوضحُها دليلًا على عجزه.

(٧١٦) وأنشدني بعضُ أهل الأدب لابن الرُّوميِّ:

أعَيَّرْتَني بالنَّقصِ والنَّقصُ شامِلُ ... ومَنْ ذا الذي يُعْطَى الكمالَ فيكمُلُ
وأشهدُ أني ناقِصٌ غيرَ أنَّني ... إذا قِيس بي قومٌ كثيرٌ تقلَّلُوا
تفاضَلَ هٰذا الخَلْقُ بالفَضْلِ والحِجا ... ففي أيِّما هٰذين أنتَ مُفضَّلُ
ولو منحَ اللَّهُ الكمالَ ابنَ آدمٍ ... لخلَّدَه واللَّهُ ما شاءَ يَفْعَلُ

ولمَّا خَلَق اللَّهُ تعالى الإنسانَ ماسَّ الحاجَة، ظاهِرَ العَجْزِ، جَعَلَ لنيل حاجته أسبابًا، ولدفع عجزَه حِيلًا دلَّه عليها بالعقل، وأرشدَه اليها بالفطنة.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى].

(٧١٧) قال مجاهد: «قدَّر أحوالَ خَلْقِه، فهدَى إلى سبيلَي[1] الخير والشر»[2].

(٧١٨) وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ [البلد]: «يعني: الطريقين؛ طريقَ الخير، وطريقَ الشر»[3].

ثم لمَّا كان العقلُ دالًّا على أسبابِ ما تدعو الحاجةُ إليهِ، جَعل اللَّهُ تعالى الإدراكَ والظَّفَرَ موقوفًا على ما قَسَم وقدَّر، كيلا يعتمِدوا في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فِطَنهم، لِتَدُومَ لهُ الرَّغبةُ والرَّهبة، ويظهرَ منه الغِنَى والقُدْرة، ورُبَّما عَزَب هٰذا المعنى عمَّنْ[4] ساء ظنُّه بخالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى صار سببًا لِضلاله.

---

(١) في المطبوعة والشرح: سبيل.
(٢) راجع تفسير الطبري (١٦/ ٧٩)، والنكت والعيون (٦/ ٢٥٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٤٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٢٢٣).
(٣) راجع تفسير الطبري (٢٤/ ٤١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٢٩٦).
قلت: والهداية هنا معناها الدلالة والبيان. [ط]
(٤) في المطبوعة والشرح: على من.

(٧١٩) كما قال بعضُ الشعراء[١]:

سُبْحَانَ مَـن أنزَلَ الأيامَ منزلَها　　وصيَّر الناسَ مرفوضًا ومَرْمُوقَا

فعاقِـلٌ فطِـنٌ أَعْـيَتْ مَذاهـبُهُ　　وَجَاهِـلٌ خَـرِقٌ تلقـاهُ مَـرْزُوقَا

ذاكَ الـذي تـركَ الألبابَ حائرةً　　وصَـيَّر العاقـلَ النِّحرِيرَ زِنْديقَا

ولو حَسُن ظَنُّ العاقلِ في صحَّةِ نظره، لَعَلِمَ من عِلَل المصالحِ ما صار به صِدِّيقًا ـ لا زنديقًا ـ ؛ لأنَّ من عِلل المصالح ما هو ظاهر، ومنها ما هو غامض، ومنها ما هو مُغَيَّبٌ، حكمةٌ استأثر بها ﷻ.

(٧٢٠) ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**حُسْنُ الظنِّ باللَّهِ من عبادةِ اللَّه**»[٢].

ثمَّ إن اللَّه تعالى جَعل أسبابَ حاجاتِهِ وحِيَلَ عجزهِ في الدنيا التي جعلها دارَ تكليفٍ وعمل ـ كما جعل الآخرةَ دارَ قرارٍ وجزاء ـ ؛ فلزم لذلك أن يصرِفَ الإنسانُ إلى دنياه حَظًّا من عنايته؛ لأنَّه لا غنى به عن التزوُّد منها لآخرته، ولا له بُدٌّ من سدِّ الخَلَّة فيها عند حاجته، وليس في هذا القول نقضٌ لما ذكرنا قبلُ مِن تركِ فضولها، وزجر النفس عن الرَّغبةِ فيها؛ بل الراغبُ فيها ملُوم، وطالبُ فضولها مذموم، والرَّغبةُ إنَّما تختصُّ بما جاوَز قَدْرَ الحاجة، والفضولُ إنَّما ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية.

وقد قال اللَّه تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح].

---

(١) في المطبوعة والشرح: هو ابن الراوَندي. وابن الراوندي هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين، من أهل مرو، سكن بغداد، وكان من متكلِّمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار مُلحدًا زنديقًا، نسأل اللَّه العافية، تُوفِّي عام (٢٩٨).
ترجمته في الوافي بالوفَيات (٨/ ٢٣٢ ـ ترجمة: ٣٦٧٣).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، وعبدُ بن حُميد (١٤٢٥)، وأبو داود (٤٩٩٣)، والحاكم (٤/ ٣٦٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. ولفظه: «**حُسنُ الظن من حسن العبادة**»، والمثبت أعلاه لفظ الحاكم.
فائدة: قال صاحب «عون المعبود»: «وفائدة هذا الحديث: الإعلام بأن حُسنَ الظنِّ عبادةٌ من العباداتِ الحسَنة، كما أن سوء الظن معصيةٌ من معاصي اللَّهِ تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: وبعضه حسنٌ من العبادة». **[ط]**

(٧٢١) قال أهل التفسير[١]: «يعني: فإذا فرغْتَ من أمور دُنياك، فانْصَبْ في عبادة رَبِّكَ»[٢].

وليس هٰذا القولُ منه ترغيبًا لنبيِّه ﷺ فيها، ولٰكن نَدَبَه إلى أخذ البُلْغة[٣] منها.

(٧٢٢) وعلى هٰذا المعنى قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس خيرُكم مَنْ تَركَ الدُّنيا للآخرة، ولا الآخرةَ للدنيا، ولٰكنْ خيرُكم مَنْ أخَذَ مِنْ هٰذه ومن هٰذه**»[٤].

(٧٢٣) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**نِعْمَ المطِيَّةُ الدُّنيا، فارْتَحِلُوها**[٥] **تُبلِّغْكُمُ الآخرةَ**»[٦].

(٧٢٤) وذمَّ رجلٌ الدُّنيا عند عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: «الدُّنيا دارُ صِدْقٍ لِمن صَدَقَها، ودارُ نجاةٍ لمن فهِمَ عنها، ودارُ غِنًى لمن تزوَّد منها»[٧].

---

(١) في المطبوعة والشرح: التأويل.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٤٦)، والطبري في التفسير (٢٤/ ٤٩٩).

(٣) **البُلْغة**: ما يتبلغ به من العيش، وتبلغ بكذا: أي اكتفى به. (الصحاح ص١٠٧)، واللسان (١/ ٢٤٧).

(٤) **موضوع**: أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ٣٦٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٧٣٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٦٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٢٤٩)، وابن عساكر في «التاريخ» (٦٥/ ١٩٧) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٠١)، و«ضعيف الجامع» (٢٩٢٠) و(٤٨٨٦)، وكذا الشيخ بشار ابن عوَّاد في تحقيقه لـ«تاريخ بغداد» (٥/ ٣٦٢). [ط]

(٥) في الأصل: فارتحلوا ما.

(٦) **ضعيف**: رواه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (١٠٢)، وفيه «ابن لَهيعة» ـ من غير رواية العبادلة ـ، وفيه ـ أيضًا ـ إرسالٌ، واللَّهُ تعالى أعلم.
وورد عن طارق بن أشيم، عن النَّبي ﷺ قال: «**نِعمتِ الدارُ الدنيا لمن تزوَّد منها لآخرتِه حتى يُرضي بها ربَّه** ﷻ...» الحديث. وهو **ضعيف**: رواه الحاكم (٤/ ٣١٢)، والديلمي (٦٧٩٤)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص٥٩)، والعُقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٩)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٧٩٨)، **وصحَّحه** الحاكم، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «**بل منكر**»، وقال ابن عدي وابن الجوزي: «**غير محفوظ**»، **وأقرَّهُما** الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٩٤)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٧)، **وأقرَّهم** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم». [ط]

(٧) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٥٨ ـ خبر: ٣٦٦٤).

(٧٢٥) وحُكي عن مُقاتل[١]: أنَّ إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يا ربِّ، حتى متى أتردَّد في طلب الدُّنيا؟ فقيلَ لهُ: أمْسِكْ عَن هٰذا، فليس طلبُ المعيشة[٢] من طلب الدنيا».

(٧٢٦) وقال سُفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «مكتوبٌ في التوراة: إذا كان في البيتِ بُرٌّ فتعبَّدْ[٣]، وإذا لم يكُنْ فاطلُبْ، يا ابنَ آدم، حَرِّك يدَك، يُسَبَّب لك رِزقك».

(٧٢٧) وقال بعضُ الحكماء: «ليس من الرَّغبة في الدنيا اكتِسَابُ ما يصُونُ العِرْضَ فيها».

(٧٢٨) وقال بعضُ الأدباء: «ليس من الحِرْص اجتِلابُ ما يَقُوتُ البدنَ».

(٧٢٩) وقال محمود الوَرَّاق:

لا تُتْبِعِ الدُّنيا وأيَّامَها ... ذَمًّا وإن دارَتْ بكَ الدائرةْ
مِنْ شرَفِ الدُّنيا ومِنْ فَضْلِها ... أنَّ بها تُستدرَكُ الآخِرَةْ

فإذن قد لزم ـ بما بيَّنَّاه ـ النظرُ في أمور الدُّنيا، فواجبٌ سَبْرُ أحوالها، والكَشْفُ عن جهة انتظَامِهَا واختلالها، ليُعلم أسبابُ صلاحها وفسادها، وموادُّ عُمْرانِها وخَرابِها، لتَنتفيَ عن أهلها شُبَهُ الحَيرة، وتَنْجَلي لهم أسبابُ الخِيَرة[٤]، فيَقْصِدُوا الأمورَ من أبوابِها، ويعتمِدُوا صلاح قواعدها وأسبابِها.

[صلاحُ الدنيا معتَبرٌ من وجهينِ]:

واعلم أنَّ صلاح الدُّنيا مُعْتَبَرٌ من وجهين:

أولُهما: ما ينتظم به أمورُ جُملتها.

والثاني: ما يصلُح به حالُ كُلِّ واحدٍ من أهلها.

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن البلخي، متهم متروك الحديث، توفي عام (١٥٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٧)، تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٣٤)، وفيات الأعيان (٥/ ٢٥٥).

(٢) في المطبوعة والشرح: المعاش.

(٣) **البُرُّ**: القمح. أي: إذا كان عندك ما يكفيك منه فاترك الدنيا وأقبِلْ على ربِّك ﷻ. [ط]

(٤) **الخِيَرة**: الاختيار. [ط]

فهما سببان(١) لا صلاحَ لأحدهما إلَّا بصاحبه؛ لأنَّ من صَلَحَتْ حالُه مع فساد الدنيا واختلالِ أمورها، لن يعدَمَ أن يتعدَّى إليه فسادُها، ويقدَحَ فيه اختلالها؛ لأنَّ منها يَستمِدُّ، ولها يستعدُّ، ومن فسَدَت حالُه مع صلاح الدُّنيا، وانتظام أمورها لم يجدْ لصلاحها لَذَّةً، ولا لاستقامتها أثرًا؛ لأنَّ الإنسان دُنيا نفسه، فليس يرى الصَّلاح إلَّا إذا صَلَحتْ له، ولا يَعُدُّ(٢) الفسادَ إلَّا إذا فَسدت عليه، لأنَّ نفسه أخصّ، وحالَه أمسّ، فصار نظرُه إلى ما يخصُّه مصروفًا، وفكرُه على ما يمَسُّه موقوفًا.

واعْلَم أنَّ الدُّنيا لم تكنْ قطُّ لجميعِ أهلِها مُسعِدة، ولا عن كافةِ ذَوِيها مُعرِضة، لأنَّ إعراضها عن جميعِهم عَطب، وإسعادَها لكافتهم فساد، لائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون.

فإذا تساوى حينئذٍ جميعُهم، لم يجدْ أحدُهم إلى الاستعانة بغيره سبيلًا، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفناه، فيذهبوا حينئذٍ ضَيعةً، ويهلِكوا عجْزًا.

فإذا تباينوا واختلفوا، صاروا مؤتلِفين بالمعاونة، متواصِلين بالحاجة؛ لأنَّ ذا الحاجة وَصُول، والمحتاج إليه موصول.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

(٧٣٠) قال الحسن البصري: «﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الرزق، فهٰذا غنيٌّ، وهٰذا فقير، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، يعني للاختلاف بالغِنَى والفقر»(٣).

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

غير أنَّ الدُّنيا إذا صَلَحَتْ كان إسعادُها موفورًا، وإعراضُها ميسورًا، لأنها إذا مَنَحت هَنَّأَتْ وأَودَعَت، وإذا استردَّتَ رَفقَتْ وأبقَتْ، وإذا فَسَدت الدُّنيا كان إسْعادُها مكرًا، وإعراضُها غدرًا؛ لأنها إذا مَنَحت كَدَّتْ وأتعبَتْ، وإذا استردَّت

(١) في المطبوعة والشرح: شيئان.
(٢) في المطبوعة والشرح: ولا يجد.
(٣) راجع النكت والعيون (٢/ ٥١١)، وتفسير الطبري (١٣/ ٦٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٣٥).

استأصلتْ وأَجْحَفَتْ، ومع هٰذا فصلاحُ الدُّنيا مُصلحٌ لسائر أهْلِها لوفور أماناتِهم، وظهور دياناتِهم، وفسادُها مُفسِدٌ لسائر أهلها، لقلَّة أماناتِهم، وضعف أديانِهم.

وقد وُجِدَ ذٰلك في مُشَاهَدِ الحال تجربةً وعُرْفًا، كما يقتضيه دليلُ الحال تعليلًا وكَشْفًا، فلا شيءَ أنفعُ من صلاحها، كما أنه لا شيء أضرُّ من فسادها؛ لأنَّ ما به تقوى دياناتُ الناس وتتوفَّر أماناتُهم، فلا شيء أحقُّ به نفعًا، كما أنَّ ما به تضعفُ دياناتُهم وتذهبُ أماناتُهم، فلا شيء أجدر به ضررًا.

(٧٣١) وأُنشِدتُ لأبي بكر بن دُرَيد:

النَّاسُ مِثْلُ زمانِهِمْ	قَدُّ الحِذاءِ على مِثَالِهْ
ورجالُ دهرِكَ مثلُ دهْرِكَ	في تقلُّبهِ وحَالِهْ
وكذا إذا فسَدَ الزَّمانُ	جَرَى الفسادُ على رِجَالِهْ

وإذْ قد بلغ بنا القولُ إلى ذٰلك، فسنبدأ بذكر ما تصلُح به الدُّنيا، ثم نتلوه بوصف ما يَصلُحُ به حالُ الإنسان فيها.

[القواعد التي بها تصلُحُ الدنيا؟!]:

اعْلَمْ أنَّ ما به تصلحُ الدنيا، حتَّى تصيرَ أحوالُها منتظمةً، وأمورُها ملتئمةً: ستةُ أشياء، هي قواعدُهَا وإن تفرعت، وهي: دِينٌ مُتَّبع، وسُلْطانٌ قاهر، وعَدْلٌ شامل، وأمنٌ عامٌّ، وخِصْبٌ دارٌّ[1]، وأملٌ فسيح.

*** فأما القاعدة الأولى ـ وهي الدِّين المتَّبع ـ:**

فلأنه يَصرِفُ النفوسَ عن شهواتِها، ويَعْطِفُ القلوب عن إراداتِها، حتى يصيرَ قاهرًا للسرائر، زاجرًا للضمائر، رقيبًا على النفوس في خلواتِها، نَصوحًا لها في مُلِمَّاتِها. وهٰذه أمور لا يُوصَل بغير الدِّين إليها، ولا يَصْلُح النَّاسُ إلَّا عليها، فكان الدِّينُ أقوى قاعدةٍ في صلاح الدُّنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعًا في انتظامها وسلامتها، ولذٰلك لم يُخلِ اللَّهُ تعالى خَلْقَه ـ مُذْ فَطَرهم عُقلاءَ ـ من تكليف شرعٍ،

---

(١) في المطبوعة والشرح: وخصب دائم.

واعتقادِ دينٍ ينقادون لحُكمهِ فلا تختلفُ بهم الآراء، ويستسلمون لأمره فلا تفترق بهم[١] الأهواء.

[هل جاء العقلُ والشرعُ مجيئًا واحدًا؟]:

وإنما اختلف العلماءُ في العَقْل والشَّرْع: هل جاءا مجيئًا واحدًا، أو سبق العقل، ثم تعقَّبَه الشَّرْعُ؟.

فقالت طائفة: جاء العقلُ والشَّرْعُ معًا مجيئًا واحدًا، لم يسبقْ أحدُهما صاحبَه.

وقالت طائفة أخرى: بل سبق العقلُ، ثم تعقَّبَه الشَّرْع؛ لأنَّ بكمال العقل يُستَدَلُّ على صحة الشرع، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى[٢] (٣٦)﴾ [القيامة]، وذٰلك لا يوجدُ منه إلَّا عند كمال عقله[٣].

فثَبت أنَّ الدِّين من أقوى القواعدِ في صلاح الدُّنيا، وهو الفَرْدُ الأوحدُ في صلاح الآخرة، وما كان به صلاحُ الدنيا والآخرةِ فحقيقٌ بالعاقل أن يكون به متمسكًا، وعليه محافظًا.

(٧٣٢) وقال بعض الحكماء: «الأدب أدبان، أدبُ شريعة، وأدبُ سياسة؛ فأدبُ الشَّريعةِ ما أدَّى الفرض، وأدبُ السياسة ما عَمَرَ الأرض، وكلاهما يَرجعُ إلى العدلِ الذي به سلامةُ السُّلطان، وعِمارةُ البُلْدان؛ لأنَّ مَن تَركَ الفَرْضَ فقد ظلم نفسه، ومن خَرَّبَ الأرضَ فقد ظلم غيرَه».

(٧٣٣) وقال سعيدُ بن حُميد[٤]:

مـا صـحَّةٌ أبـدًا بـنافعةٍ ... حتى يـصحَّ الـدِّينُ والخُلُـقُ

---

(١) في الأصل: فيهم.

(٢) سُدًى: مُهمَلًا؛ لا يؤمر ولا يُنهى. [ط]

(٣) ومن الذي علَّم العقل أنه لا يكلَّف إلا عند تمامه وكماله؟!! [ط]

(٤) سعيد بن حُميد بن سعد، أبو عثمان الكاتب، من أولاد الدهاقين، كان بغداديًّا، وادعى أنه من أولاد ملوك الفرس، تقلد ديوان الرسائل بـ«سُرَّ مَن رأى»، كاتب شاعر مترسل، حسن الكلام فصيح، وكان أبوه وجهًا من وجوه المعتزلة، لَم تذكر مصادر ترجمته تاريخ وفاته. واللَّه أعلم.
ترجمته في: الأغاني (١٨/ ١١١)، الوافي (١٥/ ٢١٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٨٠)، معجم الأدباء (٣/ ١٣٦٥).

*** وأمَّا القاعدةُ الثانية: فهي سُلطانٌ قاهر[(١)]:**

تأتلفُ برهبته الأهواءُ المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوبُ المتفرِّقة، وتَنْكَفُّ بسَطْوته الأيدي المتغالبة، وتَنْقمعُ من خوفه النفوسُ المتعادية؛ لأنَّ في طباع الناس مِن حُبِّ المغالبة والمنافسة على ما آثَروه، والقَهْرِ لمن عاندوه: ما لا يَنْكفُّون عنهُ إلَّا بمانعٍ قويّ، ورادع مِلِّيّ[(٢)].

(٧٣٤) وقد أفصحَ المتنبِّي[(٣)] بذٰلك، حيث يقول:

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ من الأذَى ... حَتَّى يُراقَ على جَوانبِهِ الدَّمُ

والظُّلمُ مِن شِيمِ النفوسِ فإن تَجدْ ... ذا عِفَّةٍ فلِعلَّةٍ لا يَظْلِمُ

وهٰذه العِلَّةُ المانعةُ من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء:

١ ـ إمَّا عقلٍ زاجر.

٢ ـ أو دينٍ حاجز.

٣ ـ أو سلطانٍ رادع.

٤ ـ أو عجزٍ صارف.

فإذا تأملتها لم تجدْ خامسًا يقترِنُ[(٤)] بها. ورهبةُ السلطان أبلغها؛ لأنَّ العقلَ والدِّين ربما كانا مضعوفين، أو بداعي الهوى مغلوبين، فتكون رهبةُ السلطان أشدَّ زَجْرًا، وأقوى رَدْعًا.

(٧٣٥) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**السُّلطانُ ظِلُّ اللَّهِ في الأرض، يأوي**

---

(١) قاهر: قوي حازم، وليس المراد: ظالِمٌ مستبدٌّ. [ط]

(٢) أي: ديني. [ط]

(٣) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجُعفي الكُوفي، المعروف بالمتنبي، أبو الطيب، ولد بالكوفة ونشأ بالشام، شاعر، طلب الأدب وعلم العربية، وفاق أهل عصره في الشعر، قُتل بالقرب من النعمانية في رمضان عام (٣٥٤).
ترجمته في: معجم المؤلفين (١/ ١٢٦)، تاريخ بغداد (٥/ ١٦٤)، وفيات الأعيان (١/ ١٢٠)، الوافي بالوفيات (٦/ ٣٣٦).

(٤) في الأصل: تقترن.

إليه كُلُّ مظلوم»[١].

(٧٣٦) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ[٢] بالسُّلْطانِ أكثرَ ممَّا يَزَعُ بالقرآن»[٣].

(٧٣٧) ورُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ للَّه حُرَّاسًا في السَّماء، وحُرَّاسًا في الأرض؛ فحُرَّاسُه في السماءِ الملائكة، وحُرَّاسُه في الأرض الذين يقبضون أرزاقَهم، ويذُبُّون عن الناس»[٤].

(٧٣٨) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «الإمامُ الجائرُ خيرٌ من الفتنة، وكُلٌّ لا خيرَ فيه، وفي بعضِ الشَّرِّ خيارٌ»[٥].

(٧٣٩) وقال عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السُّلطان يُفسِد، وما يُصْلح اللَّهُ به أكثر؛ فإنْ عَدَل فله الأجر، وعليكم الشُّكر، وإنْ جارَ فعليه الوِزر، وعليكم الصبر»[٦].

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٦١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩/ ٤٧٦)، وتمَّام في «الفوائد» (٥٠٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٠٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٥٥٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعزاه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٩٦) للبزار، وقال: «فيه سعيد بن سنان ـ أبو مهدي ـ، وهو متروك»، **وضعَّفه** الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٦٩)، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٣٦)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٣٥٢)، و«الضعيفة» (١٦٦٣)، وكذا محقق «شعب الإيمان» (٩/ ٤٧٦). [ط]

(٢) يَزَع: يردع ويزجر. [ط]

(٣) **لا أصل له مرفوعًا**: وإنما هو من كلام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أورده الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١١١)، وفي «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠١). [ط]
وفي لسان العرب (٦/ ٤٣٤) قال: وفي الحديث: «**مَن يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن**».

(٤) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
وذكره ابنُ قتيبة في عيون الأخبار (١/ ١٧ ـ خبر: ١٠) عن خالد بن معدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٦) أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٣٨).
وأخرجه ـ مرفوعًا ـ : البيهقي في «الشُّعَب» (٩/ ٤٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٨)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٣٠)، وأبو نُعيم في «فضيلة العادلين» (٤٣)، والديلمي في مسند الفردوس (٤٠٩)، وأبو الفضل الزهري في جزء «حديثه» (٣٣٤)، وأورده =

(٧٤٠) وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُبَّت العجمُ بين يدي رسول اللَّه ﷺ فنهى عن ذٰلك، وقال: «**لا تسبُّوها، فإنَّها عَمَّرَتْ بلاد اللَّه تعالى، فعاش فيها عبادُ اللَّه تعالى**»[1].

(٧٤١) وقال بعضُ البُلغاء: «السلطانُ في نفسه إمامٌ متبوع، وفي سيرته دينٌ مشروع؛ فإنْ ظلم لم يَعدِلْ أحدٌ في حُكْم، وإنْ عَدَلَ لم يجسَرْ أحدٌ على ظلم».

(٧٤٢) وقال بعضُ الأدباء: «إنَّ أقرب الدعواتِ من الإجابة: دعوةُ السلطان الصالح، وأَوْلى الحسنات بالأجر والثواب أمرُه ونَهيُهُ في وجوه المصالح».

فهٰذه آثارُ السلطان في أحوال الدنيا وما ينتظمُ به أمورُها، ثم لِمَا في السلطان من حِراسةِ الدِّين، والذَّبِّ عنه، ودَفْع الأهواء منه، وحراسةِ التبديل فيه، وزَجْرِ مَن شذَّ عنه بارتداد، أو بغَى فيه بعناد، أو سعَى فيه بفساد؛ وهٰذه أمورٌ إن لم تَنْحسِم عن الدِّينِ بسلطانٍ قويٍّ ورعايةٍ وافية، أسرَعَ فيه تبديلُ ذوي الأهواء، وتحريفُ ذوي الآراء؛ فليس دِينٌ زالَ سلطانُهُ إلَّا بُدِّلت أحكامه، وطُمِست أعلامُه، وكان لكلِّ زعيمٍ فيه بدعة، ولكُلِّ عصرٍ فيه وَهايةٌ[2] أثر، كما أنَّ السلطان إنْ لم يكن على دينٍ تجتمع به القلوبُ ـ حتى يرى أهلُه الطَّاعةَ فيه فرْضًا، والتناصُرَ عليه حتمًا ـ: لم يكن للسلطان لُبثٌ، ولا لأيامه صفوٌ، وكان سلطانَ قَهْر، ومُفسِدَ دَهْر،

= الذهبي في «الميزان» (١/ ٥٨٥)، وابن حجر في «اللسان» (٢/ ٣٤٢)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٣١٤)، و«الضعيفة» (١٣٥٢)، وكذا محقق «الشُّعب».
وورد عن زر بن حُبيش قال: لمَّا أنكر الناسُ سِيرةَ الوليدِ بن عُقبةَ بن أبي مُعيط؛ فزِع الناسُ إلى عبداللَّه بن مسعود، فقال لهم عبداللَّه: اصبروا؛ فإنَّ جَوْرَ إمامِكم خمسينَ عامًا خيرٌ من هَرْجِ شهر، وذٰلك أني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لابدَّ للناس من إمارةٍ برَّةٍ أو فاجرة، فأمَّا البرَّةُ فتعدلُ في القَسم، وتَقسِمُ فَيْأكم فيكم بالسَّوية، وأما الفاجرة فيُبتلَى فيها المؤمن. والإمارةُ الفاجرةُ خيرٌ منَ الهَرْج**». قيل: يا رسول اللَّه، وما الهرجُ؟ قال: «**القتلُ والكَذِب**». رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٣٢)، وابن عساكر في «التاريخ» (٦٣/ ٢٤١)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٩٩): «**إسناده لا بأس به**»، بينما قال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٢٢): «فيه وهب اللَّه بن رزق ـ ولم أعرفه ـ، وبقية رجاله ثقات». **[ط]**

(١) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٢) قال في «الشرح»: بفتحتين، ما بقي من رسم الشيء، والوَهاية: الشق والضعف، يقال: وهي السقاء إذا استرخى رباطه، ووهي الحائط إذا ضعف وهم بالسقوط.

ومن هٰذين الوجهين وجب إقامةُ إمامٍ يكون سلطانَ الوقتِ وزعيمَ الأمة؛ ليكون الدِّين محروسًا بسلطانه، والسلطانُ جاريًا على سَنَنِ الدِّين وأحكامه.

(٧٤٣) وقد قال عبدُاللَّه بن المعتز:

المُلْـكُ بالـدِّينِ يبقَـى والـدِّينُ بالمُلْـكِ يَقـوَى

[هل يجبُ تنصيبُ الإمام بالعقل أم بالشرع[١]؟]:

واختلف الناس: هل وجَبَ ذٰلك بالعقل أو بالشرع؟:

١ ـ فقالت طائفةٌ: وجَبَ بالعقل؛ لأنَّه معلومٌ من حال العقلاءِ ـ على اختلافهم ـ الفزعُ إلى زعيم مندوبٍ للنظر في مصالحهم.

٢ ـ وذهب آخرون إلى وجوبه بالشرع؛ لأنَّ المقصود بالإمام القيامُ بأمورٍ شرعية ـ كإقامةِ الحدود، واستيفاءِ الحقوق ـ ، وقد كان يجوزُ الاستغناءُ عنها بألَّا يُرادَ التعبُّدُ بها، وبأن يجوز الاستغناءُ عما لا يُراد إلَّا لها أولى[٢].

وعلى هٰذا اختلفوا في وجوب بعثة الأنبياء، فمَنْ قال بوجوب ذٰلك بالعقل، قال بوجوب بعثة الأنبياء، ومَنْ قال بوجوب ذٰلك بالشرع، مَنع وجوب بعثة الأنبياء؛ لأنَّه لما كان المقصودُ ببِعثتهم تعريفَ المصالح الشرعية، وكان يجوزُ مِن المكلَّفين ألَّا تكونَ هٰذه الأمورُ مُصلحةً لهم، لم يجب بعثةُ الأنبياء إليهم.

[حكمُ إقامة أكثر من إمامٍ في عصرٍ واحد وبلدٍ واحد]:

فأمَّا إقامةُ إمامين أو ثلاثةٍ في عصرٍ واحدٍ، وبلدٍ واحدٍ، فلا يجوز إجماعًا، فأمَّا في بُلدان شتى، وأمصارٍ متباعدة، فقد ذهبتْ طائفة شاذة إلى جوازِ ذٰلك؛ لأنَّ الإمامَ مندوبٌ للمصالح. وإذا كانا اثنينِ في بلدينِ أو ناحيتين، كان كُلُّ واحدٍ منهما أقومَ بما في يديه، وأضبط لما يليه، ولأنه لمَّا جاز بعثةُ نبيَّينِ في عصرٍ واحدٍ، ولم يؤدِّ ذٰلك إلى إبطال النبوة، كانت الإمامةُ أولى، ولا يؤدِّي ذٰلك إلى إبطال

(١) راجع ما سلف ص (٤٩). [ط]

(٢) أي: كان يجوز ألا يريد اللَّهُ تعالى من عباده التعبد بإقامة الحدود واستيفاء الحقوق، فأَوْلى من ذٰلك أن يجوزَ الاستغناءُ عن سبب إقامتها ـ وهو الحاكم ـ ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

الإمامة.

وذهب الجمهورُ إلى أن إقامةَ إمامين في عصرٍ واحدٍ لا يجوزُ شرعًا:

(٧٤٤) لمَا رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إذا بُويعَ أميرانِ فولُّوا أحدَهما**». ورُوي: «**فاقتُلُوا الأخيرَ منهما**»(١).

(٧٤٥) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ولَّيتُم أبا بكر تَجدُوه قويًّا في دين اللَّه ﷻ، ضعيفًا في بدنه، وإذا ولَّيتُم عُمر وجدتُمُوه قويًّا في دين اللَّه ﷻ، قويًّا في بدنه، وإن ولَّيتُم عليًّا، تَجِدُوه هاديًا مهديًّا**»(٢).

فبيَّن بظاهر هٰذا الكلامِ أنَّ إقامةَ جميعِهم في وقتٍ واحدٍ لا يصح، ولو صحَّ لأشار إليه، ولنبَّه عليه(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٩٧٠)، و«الكبرى» (٨/ ٢٤٨)، وأبو عوانة (٧١٣٣) بلفظ: «**إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخِرَ منهما**»؛ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ١٠٨)، والحاكم (٣/ ٧٠، ١٤٢)، وابن الجوزي في «العلل» (١/ ٢٥٣)، والبزار (٧٨٣)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٠٩)، وأورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٦٢) عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد **صحَّحه** الحاكم في «المستدرك»، وتعقَّبه الذهبي **مضعِّفًا**، بل قد **أعلَّه** الإمام الحاكم نفسه في كتابه «معرفة علوم الحديث» (ص ٣٦)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢/ ٢١٤)، والشيخ بشار بن عواد في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١٦). [ط]

(٣) نعم؛ هٰذا ما ندينُ اللَّهَ تعالى به، أن الأصلَ أنه لا يصلُحُ إقامةُ إمامين في عصرٍ واحدٍ ولو تباعدتِ الأقطار؛ ما دام يمكنُ للخليفة أن يُنيبَ عنه حاكمًا في البلاد البعيدة على خلافٍ بين أهل العلم في هٰذه الجزئية ـ جزئية النيابة ـ، لٰكن هٰذا عندما تكونُ الأمةُ الإسلامية مجتمعةً على كلمةٍ سواء، ولا يقدِّم أتباعُها في قلوبِهم على دينِ اللَّهِ تعالى شيئًا؛ فإننا لو قلنا لهم: إن إمامكم هو الموجودُ في البلد الفلاني، وطاعتُه واجبةٌ على الجميع، وقد نصَّب عليكم حاكمًا من عنده؛ فإن إيمانَهم سيدفعُهم لإطاعة أوامره طاعةً لخليفتهم الأعظم، لٰكن حال البلاد الإسلامية الآن ـ في ظل التفكك وتقسُّم دولِها ـ لا يسعُه القولُ بعدم جواز أكثرَ من إمام؛ لأن هٰذا يُفضي إلى حدوث هَرْجٍ ومرجٍ كبيرين، يتبعُهما انحلالُ عقدِ الأمة، وفشوُّ الفتن السوداء بكلِّ أنواعها، وهٰذا ما ظَهرَ جليًّا في الفترات الأخيرة التي حَدث فيها ثوارتٌ في البلاد الإسلامية على حكَّامِها، فلقد رأينا في ظل هٰذه الثوارت ما يَندَى له الجبينُ من حوادث قتل واغتصاب وسرقةٍ وبلايا أخرى لا يعلمُها إلا عالِمُ الغيب والشهادة، ولا ريبَ أن جُلَّ الدول =

[الأمور التي تلزمُ الإمام تُجاه رعيَّتِه]:

والذي يلزم سلطانَ الأمةِ من أمورها سبعةُ أشياء:

أحدها: حفظُ الدِّين من تبديلٍ فيه، والحثُّ على العمل به، من غير إهمالٍ له.

والثاني: حراسةُ البَيضة[1]، والذبُّ عن الأمَّةِ من عدوٍّ في الدين، أو باغي نفسٍ أو مال.

والثالث: عمارةُ البلدانِ باعتماد مصالحها، وتهذيبِ سُبُلها ومسالكها.

= الإسلامية اليوم لا تقبلُ الانصياعَ لحاكمٍ موجودٍ في بلدٍ آخر، بل الحكامُ أنفسهم لا يقبلون التنازل عن البلاد التي مدوُّا نفوذهم عليها؛ لا سيما بعد الفتنةِ النكراء التي تشرَّبتها قلوبُ المسلمين ـ والمسمَّاة بالقومية والوطنية ـ، فلقد صار أهلُ كل بلدٍ مسلم غريبينَ عن إخوانِهم المسلمين في البلد المجاور، وصارت عبارة: «نحن وهم» هي الدارجة في حياة أبناء الأمة، وعند أي صدام ـ ولو في أمرٍ تافهٍ كمباراةِ كرة قدم أو غيرها ـ، ترى ما تتفطر له الأكباد من ظلم وعدوانٍ من المسلم على أخيه المسلم، وكأنه ينتمي لدينٍ آخر، فكيف والحال هٰكذا يُفتي ـ في عصرنا الحاضر ـ بعدم جواز إقامةِ أكثرَ من إمام في البلاد المختلفةِ في العصر الواحد؟ هٰذا بلا ريب يزيدُ الطين بِلَّة والمرض عِلَّة، ويسحبُ الأمة المسلمة إلى مهاوٍ سحيقةٍ من فتن الحياة ما لها من قرار، وقد وقفتُ على كلامٍ طيبٍ للإمام الشوكاني أيَّد ما قلتُه، فحمدتُ اللَّهَ تعالى على توفيقه.

حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «السيل الجرار» (٣/ ٧٠٦ ـ ٧٠٧) ـ بعد بيان أنه لا يجوزُ في الأصل بيعةُ أكثرَ من إمام ـ : «وأما بعدَ انتشار الإسلام، واتساعِ رقعتِه، وتباعدِ أطرافه؛ فمعلومٌ أنه قد صار في كل قُطرٍ ـ أو أقطارٍ ـ الولايةُ إلى إمام أو سلطان، وفي القُطر الآخر ـ أو الأقطار ـ كذٰلك، ولا ينفُذ لبعضهم أمرٌ ولا نَهيٌ في قطر الآخر وأقطاره التي رجعتْ إلى ولايته، فلا بأس بتعدُّد الأئمة والسلاطين، وتجب الطاعةُ لكل واحدٍ منهم بعد البيعة له على أهل القُطر الذي تنفُذُ فيه أوامرُه ونواهيه، وكذٰلك صاحب القطر الآخر...». إلى أن قال: «فاعرف هٰذا؛ فإنه المناسب للقواعد الشرعية، والمطابقُ لما تدلُّ عليه الأدلة، ودعْ عنك ما يقال في مخالفته؛ **فإن الفَرقَ بين ما كانت عليه الولايةُ الإسلامية في أول الإسلام، وما هي عليه الآن أوضحُ من شمس النهار**، ومَن أنكر هذا فهو مباهتٌ لا يستحق أن يخاطَب بالحجة لأنه لا يعقلها» **اهـ**. وأوصي بالرجوع للبحث القيم الذي قدَّمه الشيخ عبدالفتاح بن صالح قُديش اليافعي ـ عضو المجلس العلمي بالمنارة ـ تحت عنوان: «حكم تعدد الحكام وتعدد الدول الإسلامية».

ونحن نسأله تعالى برحْمتِه التي وسعت كل شيء أن يعيد لنا عقولنا الطاهرة، ويجمع أمرنا على كلمة التوحيد، إنه على كلِّ شيءٍ قدير، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. **[ط]**

(١) **بَيضة كل شيء**: حوزته، وبيضة القوم: ساحتهم (الصحاح ص١١٩).

والرابع: تقديرُ ما يتولَّاه من الأموالِ بسُنن الدِّين، من غير تحريفٍ في أخذها وإعطائها.

والخامس: مُعاناةُ المَظالِمِ والأحكامِ بالتسوية بين أهلها، واعتمادِ النَّصَفةِ[١] في فَصلِها.

والسادس: إقامةُ الحدود على مستحقِّيها؛ من غير تجاوزٍ فيها، ولا تقصيرٍ عنها.

والسابع: اختيارُ خلفائِه في الأمور، أن يكونوا من أهل الكفاية فيها، والأمانةِ عليها.

فإذا فعل مَن أَفْضَى إليه سلطانُ الأمَّةِ ما ذكرنا من هٰذه الأشياء السبعة، كان مؤدِّيًا لحق اللَّهِ تعالى فيهم، مستوجِبًا لطاعتهم ومُناصحتهم، مُستحقًّا لصدق مَيلهم ومحبتهم. وإن قصَّرَ عنها، ولم يقم بحقِّها وواجبها، كان بها مُؤاخَذًا، وعليها مُعَاقبًا، ثم هو من الرَّعية على استبطانِ معصيةٍ ومَقتٍ، يتربَّصون الفُرص بإظهارِهما، ويتوقَّعون الدوائر لإعلانهما.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ[٢] لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾[٣]﴾ [الأنعام].

وفي قوله تعالى: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنَّ العذابَ الذي هو من فوقهم: أُمراءُ السُّوء، والذي من تحت أرجلهم: عبيدُ السوء. وهٰذا قولُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والثاني: أنَّ العذاب الذي هو من فوقهم: الرَّجْم، والذي مِن تحت أرجلهم: الخَسْفَ. وهٰذا قولُ مجاهد وسعيد بن جُبير.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه الأهواء المختلفة. وهٰذا قولُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) **النَّصَفة**: العدل والإنصاف. [ط]

(٢) **تصريف الآيات**: تبيينها وتوضيحها. [ط]

(٣) في الأصل انتهت الآية حتى قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، وأتممتُها للفائدة. [ط]

والثاني: أنه الفِتَنُ والاختلاط[(١)]. وهٰذا قولُ مجاهد[(٢)].

(٧٤٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أميرٍ على عَشيرة، إلَّا وهو يَجيءُ يومَ القيامة مَغْلولةً يداه إلى عُنُقه، حتى يكون عملُه هو الذي يُطلِقُه أو يُوبِقُه**»[(٣)].

(٧٤٧) ورُوي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**خيرُ أئِمَّتِكم الذين تُحبُّونَهم ويُحبُّونكم، وشَرُّ أئمتكم الذين تُبْغِضونَهم ويُبغِضونكم، وتلعنونَهم ويَعلنونكم**»[(٤)].

وهٰذا صحيح؛ لأنه إذا كان ذا خيرٍ أحبَّهم وأحبُّوه، وإذا كان ذا شرٍّ أبغضهم وأبغضوه.

(٧٤٨) وقد كتب عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سعدِ بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ اللَّه تعالى إذا أحبَّ عبدًا حبَّبه إلى خَلْقه، فاعرفْ منزلتكَ من اللَّه تعالى بمنزلتك من الناس[(٥)]، واعْلَمْ أنَّ ما لك عند اللَّه مثلُ ما للَّه عندك».

فكان هٰذا موضِّحًا لمعنى ما ذكرنا.

---

(١) أي: اختلاطُ الأمور والهَرْجُ والمنازعات. [ط]

(٢) النكت والعيون (٢/ ١٢٦)، وتفسير البغوي (٢/ ١٠٤)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٣١)، والبزار (١٦٤٠)، وأبو يعلى (٦٦١٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٦٢٢١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ١٢٩) و(١٠/ ٩٥ و٩٦)، و«الشعب» (٧٣٨٢)، والبغوي (٢٤٦٧)، وأبو نُعيم في «فضيلة العادلين» (ص ٩٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٩٥). [ط]

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٤)، ومسلم (١٨٥٥)، والدارمي (٢٨٣٩)، وأبو عوانة (٧١٨٥) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٥) وإنما قَصَد الفاروقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من «الناس» أهلَ الصلاح والديانة، ولم يَقصِد جميعَ الناس؛ فقد تقرَّر في قواعد الشرع المطهَّر، والذي عُرف من استقراء نصوصِه الكريمة: أن رضا الناس جميعًا غايةٌ لا تُدرك، وكثيرًا ما يُبغِضُ أهلُ الظلم أهلَ الصلاح لاستقامتِهم وعدمِ مسايرتِهم لهم في أهوائِهم، وكم شَكَى الصالحون من غربتِهم بين الناس من حولِهم، وقلةَ من ينصاعون لهم من أغمار العامة، وانظر ـ على سبيل المثال ـ ما أورده الإمام الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيم «العُزلة» لتعلمَ صدقَ ما أقول. والمقصود: أن أهلَ الصلاح والدين هم الميزانُ على حبِّ اللَّهِ تعالى للعبد من عدمه، بشرط ألَّا يكون هناك حسدٌ وحقدٌ وغَيرةٌ تُفسدُ هٰذا الميزان، وتخرجُه عن سداده واعتداله، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

وأصلُ هٰذا: أنَّ خشية اللَّهِ تبعثُ على طاعته في خلقه، وطاعتُه في خَلقه تبعث على محبته؛ فلذٰلك كانت محبَّتُهم دليلًا على خَيرِهِ وخشيتِه، وبُغضُهم دليلًا على شَرِّهِ وقلَّة مراقبته.

(٧٤٩) وقد قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبعض خلفائه: «أُوصيك أنْ تَخشى اللَّهَ في الناس، ولا تخشى الناسَ في اللَّه»(١).

(٧٥٠) وقال عمرُ بن عبدالعزيز لبعض جلسائه: «إنِّي أخاف اللَّهَ تعالى فيما تقلَّدْتُ، فقال له: لسْتُ أخافُ عليك أن تخافَ اللَّه، وإنَّما أخاف عليك ألَّا تخاف اللَّه»(٢).

وهٰذا واضحٌ؛ لأنَّ الخائفَ من اللَّه تعالى مأمونُ الحَيف(٣).

(٧٥١) كالذي رُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأبي مَرْيَم السَّلُولي ـ وكان هو الذي قتل أخاه زيدَ بن الخطاب ـ: «واللَّهِ إني لا أُحبُّك حتى تُحبَّ الأرضُ الدَّمَ، قال: فتمنعنى بذٰلك حقًّا(٤)؟ قال: لا، قال: فلا ضَيْرَ، إنما يأسَى(٥) على الحبِّ النساءُ»(٦).

(٧٥٢) ورَوى عبدُالرَّحْمٰن بن محمد، قال: «أَصْدَقَ(٧) طلحةُ بن عُبيدِاللَّه أمَّ كلثوم بنتَ أبي بكر مِئةَ ألفِ درهم ـ وهو أوَّلُ من أصدَقَ هٰذا القَدْر ـ، فمُرَّ بالمال على عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ما هٰذا؟ قالوا: صَدَاقُ أمِّ كلثوم ابنةِ أبي بكر، فقال: أدخِلوه بيت المال. فأُخبِر بذٰلك طلحة، وقيل له: كلِّمه في ذٰلك، فقال: ما أنا بفاعل، لئن كان عمرُ يَرى لي فيه حقًّا لا يردُّه لكلامي(٨)، وإنْ كان لا يرى فيه

---

(١) أي: أرضِ اللَّهَ تعالى ـ ولو سخطوا ـ، ولا تُرضِهم بسخط اللَّهِ تعالى. وهٰذا هو الأصل الأصيل والركنُ الركين لصلاح الحكام على مدار الأزمان. [ط]

(٢) العبارة في البيان والتبيين (١/ ٢١١).

(٣) **الحَيف**: المَيل في الحكم والجور والظلم. (لسان العرب ٢/ ٢٠٠) باب (حيف).

(٤) أي: وهل يمنعك كرهُك لي عن إعطائي حقوقي؟ [ط]

(٥) **يأسَى**: يحزن. [ط]

(٦) الخبر في عيون الأخبار (٣/ ٤٢٠) خبر (٣٩٢١).

(٧) **أصدَقَ**: دفع صداقًا «مَهْرًا». [ط]

(٨) أي: إن كان عمرُ يرى أنه على حقٍّ فلن يُرجعه كلامي عمَّا يراه. [ط]

حقًّا ليردَّنَّه، قال: فلما أصبح عمرُ أمر بالمال فدُفِع إلى أُمِّ كلثوم».

(٧٥٣) وحُكي أنَّ الرشيد حَبس أبا العتاهية، فكتب على حائط الحبس:

أمَا واللَّهِ إنَّ الظُّلْمَ لُؤْمُ ... ومازالَ المُسيءُ هُوَ الظَّلُومُ

إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضِي ... وعندَ اللَّه تَجتَمِعُ الخُصُومُ

ستَعلَمُ في المَعَادِ إذا التَقَيْنا ... غدًا عند المَلِيكِ مَنِ الظلُومُ

فأُخبر الرشيد بذلك، فبكى بكاءً شديدًا، ودعا أبا العتاهية فاستحلَّه، ووهب له ألف دينار، وأطلقه.

*** وأمَّا القاعدة الثالثة: فهي عَدْلٌ شامِل:**

يدعو إلى الألفة، ويبعَثُ على الطاعة، وتَعمُرُ به الأرض، وتنمو به الأموال، ويكثُرُ معه النسل، ويأمن به السلطان.

(٧٥٤) فقد قال المَرْزُبان[1] لعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ حين رآه وقد نام مُتَبذِّلًا[2] ـ : «عَدَلْتَ فأمِنْتَ فنِمْتَ».

وليس شيءٌ أسرعَ في خراب الأرض، ولا أفسدَ لضمائر الخَلْقِ من الجَور؛ لأنه ليس يقفُ على حدٍّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكُلِّ جزءٍ منه قسطٌ من الفسادِ حتى يُستكمل.

(٧٥٥) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بئسَ الزَّادُ إلى المعاد: العُدْوانُ على العباد**»[3].

(٧٥٦) وقال ﷺ: «**ثلاثٌ مُنْجِيات، وثلاثٌ مُهْلِكات؛ فأمَّا المُنجياتُ: فالعدلُ في الغضبِ والرِّضا، وخشيةُ اللَّهِ في السرِّ والعلانية، والقَصْدُ في الغِنَى والفقر. وأمَّا**

---

(١) قال في الشرح: هو رئيس المجوس، وهو لفظ فارسي مركب من: مرز، وهو السور والحد، وبان، وهو الحافظ، أي الحافظ الحدود ورئيس الثغور، فاستعمله العرب في مطلق رئيس المجوس.

(٢) التبذل: ترك التصاون، والمتبذلُ من الرجال: الذي يلي العمل بنفسه. اللسان (١/ ١٨٠).

(٣) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
وإنما ورد من قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، كما في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤١).

المُهلكات فشُحٌّ مُطاع، وهَوًى مُتَّبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه»[1].

(٧٥٧) وحُكي أنَّ الإسكندر قال لحكماء الهند ـ وقد رأى قلَّة الشرائع بها ـ: «لِمَ صارت سُنَنُ[2] بلادكم قليلة؟ قالوا: لإعطائنا الحقَّ من أنفسنا، ولِعَدْلِ ملوكِنا فينا. فقال لهم: أيُّما أفضل: العَدْلُ أم الشجاعة؟ قالوا: إذا اسْتُعمل العَدْلُ أغنَى عن الشجاعة[3]».

(٧٥٨) وقال بعضُ الحكماء: «بالعدل والإنصاف تكونُ مُدَّةُ الائتلاف».

(٧٥٩) وقال بعضُ البلغاء: «إنَّ العَدْلَ ميزانُ اللَّه تعالى الذي وضَعَه للخلْق، ونَصَبَه للحقِّ، فلا تُخالِفْه في ميزانِه، ولا تعارِضْه في سلطانه، واستعِنْ على العَدْل بخَلَّتين: قلَّةِ الطَّمَع، وكثرة الوَرَع».

[أقسامُ العَدْل]:

وإذا كان العدلُ من إحدى قواعدِ الدنيا ـ التي لا انتظام لها إلَّا به، ولا صلاح

(١) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٧٢٥٢)، والبزار (٨٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه البزار (٨٠)، وأبو نعيم (٢/ ٣٤٣)، والقضاعي (٣٢٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٥٨٤)، والعُقيلي (٣/ ٤٤٧)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣٦٢)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (٢٣)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٢٦٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه البزار (٨٢)، وأبو نعيم (٣/ ٢١٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٢٤١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وقد قال الإمام الهيثمي عن رواية أنس: «وفيه زائدة بن أبي الرقاد، وزياد النُّميري؛ وكلاهُما مختلفٌ في الاحتجاج به». «المجمع» (١/ ٩١). **وضعَّفه** الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٤٩)، **وأقرَّه** الحافظ في «اللسان» (٤/ ٤٣٧)، وكذا الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٧٤ ـ بعنايتي)، والعجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ١٧)، وسبقهم الإمامان ابن عدي والعُقيلي، وغيرهم.
وبخلاف كل هٰذا؛ فقد حسَّنه الحافظ المنذري في «الترغيب» (١/ ٢٨٦)، **ووافقه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٢)، و«صحيح الجامع» (٣٠٣٩، ٣٠٤٥)، وقد رد عليهما الشيخ مشهور حسن، وأفاض في تخريج الحديث في تحقيق «المجالسة» للدينوري (٣/ ٢٥٦ : ٢٦١)، فراجعه ـ أثابك اللَّه وسدَّدك ـ. [ط]

(٢) القوانين الموضوعة للفصل بين الناس.

(٣) أي: لأن العدلَ يمنعُ الناسَ من الظلم، فلا يحتاجون إلى يدٍ من حديد تصلح فسادهم. [ط]

فيها إلَّا معه ـ؛ وجَبَ أن يُبدأ بعدْل الإنسان في نفسه، ثم بعدلِهِ في غيره.

١ ـ فأمَّا عدلُه في نفسه، فيكون بحَمْلها على المصالح، وكفِّها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدلِ الأمرين ـ من تجاوزٍ أو تقصيرٍ ـ؛ فإنَّ التجاوز فيها جَوْر، والتقصير فيها ظُلم، ومَن ظَلَمَ نفسَه فهو لغيره أظلَم، ومَن جار عليها فهو على غيره أجوَر.

(٧٦٠) وقد قال بعضُ الحكماء: «مَن توانى في نفسِه ضاع».

٢ ـ وأمَّا عَدْلُه مع غيره، فقد ينقسم حالُ الإنسان مع غيره إلى ثلاثة أقسام:

فالقسم الأوَّل: عَدْلُ الإنسان فيمن دونه، كالسلطان مع رعيته، والرئيسِ مع صحابته، فعدْلُه فيهم يكون بأربعة أشياء:

ـ باتباع الميسور.

ـ وحَذْفِ المعسور[1].

ـ وتركِ التسلُّط بالقوَّة.

ـ وابتغاءِ الحقِّ في السِّيرة[2].

فإنَّ اتباع الميسور أدْوَم، وحَذْفَ المعسور أسلَمُ، وتركَ التسلُّط أعطفُ على المحبة، وابتغاءَ الحقِّ أبعثُ على النُّصْرة.

وهٰذه أمورٌ إن لم يَسلمِ الزعيمُ المدبِّر[3] منها، كان الفسادُ بنظره أكثر، والاختلالُ بتدبيره أظهر.

(٧٦١) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أشدُّ النَّاس عذابًا يومَ القيامة: مَن أشركه اللَّهُ في سلطانه، فجارَ في حُكمِه**»[4].

(٧٦٢) وقال بعضُ الحكماء: «المُلْكُ يَبقَى على الكفر، ولا يبقَى على الظلم».

---

(١) أي: إزالة المصاعب. [ط]

(٢) أي: العمل فيهم بالعدل والإنصاف. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: إن لم تسلم للزعيم.

(٤) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥) عن طاووس بن كَيسان اليماني، قوله.

(٧٦٣) وقال بعضُ الأدباء: «ليس للجائر جار، ولا تَعْمُر له دار».

(٧٦٤) وقال بعضُ البُلغاء: «أقربُ الأشياء صَرْعَةُ الظَّلُوم[١]، وأنفذُ السِّهام دَعْوَة المظلوم».

(٧٦٥) وقال بعضُ حكماء الملوك: «العَجَبُ من مَلِكٍ استفسد رعيتَه[٢]، وهو يعلمُ أن عزَّه بطاعتهم!!».

(٧٦٦) وقال أرْدَشيرُ بن بابَك: «إذا رغِب الملِكُ عن العَدْل، رغبت الرَّعية عن طاعته».

(٧٦٧) وعُوتب أنوشِرْوان على تركِ عقابِ المذنبين، فقال: «هم المَرْضَى، ونحنُ الأطباء، فإذا لم نُداوِهم بالعفو فمن لهم؟[٣]».

والقسم الثاني: عَدْلُ الإنسان مع مَن فوقَه ـ كالرَّعية مع سلطانِها، والصحابة[٤] مع رئيسها ـ، فقد يكون بثلاثة أشياء:

- بإخلاص الطاعة.
- وبَذْل النُّصرة.
- وصِدْق الولاء.

فإنَّ إخلاصَ الطاعة أجمعُ للشمل، وبَذْلَ النُّصرة أدفَعُ للوَهَن، وصِدْقَ الولاء أنفَى لسوء الظن.

وهٰذه أمورٌ إن لم تجتمع في المرءِ تسلَّطَ عليه مَنْ كان يدفَعُ عنه، واضطُرَّ إلى

(١) أي: هلاكُ الظالِم. [ط]
(٢) أي: دفعهم للفساد بترك العدل فيهم. [ط]
(٣) هٰذا الكلام فيه تفصيل، فإن كان يقصدُ تركَ عقابِهم فيما ظلمُوا فيه أنفسهم، أو ظلموه هو، فهٰذا متَّجهٌ في بعض الأحوال، وهو إذا علم أن مسامحتَه لهم تدفعُهم إلى الاعتدال وصلاح الحال، أما مسامحتُهم في حقوقِ اللّٰهِ تعالى أو حقوقِ الناس التي يجبُ على الحاكم أخذُ الحق من الظالمين فيها ـ كالقتل، والزنا، والسرقة، وتخويف الناس، وقطع الطريق... وغير ذلك ـ ؛ فلا يحلُّ للحاكم أن يسامِحهم، بل كثيرًا ما يؤدي هٰذا إلى مزيدٍ من الفساد والظلم؛ خاصةً مع ضعف الدين والأخلاق، واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]
(٤) أي: الأصحاب ـ عامةً ـ. [ط]

اتِّقاء من كان يَقيهِ.

(٧٦٨) كما قال البُحْتُرِي:

مَتَى أَحْوَجْتَ ذَا كَرَم تَخَطَّى ... إليكَ ببعضِ أفعال اللِّئامِ[١]

وفي استمرار هٰذا حَلُّ نظامٍ جامع، وفسادُ صلاحٍ شامل.

(٧٦٩) وقد قال أَبْرَوِيز[٢]: «أَطِعْ مَن فوقَكَ يُطِعْكَ من دُونَك».

(٧٧٠) وقال بعضُ الحكماء: «الظلمُ مَسلَبَةُ النِّعم، والبغيُ مَجلبةُ النِقَم».

(٧٧١) وقال بعض الحكماء: «إن اللَّه تعالى لا يَرضَى عن خَلْقِهِ إلَّا بتأدية حقِّه، وحقُّه شُكْرُ النِّعمة، ونُصْحُ الأمَّة، وحُسْنُ الصَّنيعة، ولزومُ الشَّريعة».

والقسم الثالث: عَدْلُ الإنسان مع أكفائه[٣]، ويكون بثلاثة أشياء:

- بتركِ الاستطالة[٤].
- ومجانبةِ الإدلال[٥].
- وكفِّ الأذى.

لأنَّ تَرْكَ الاستطالة آلَف[٦]، ومجانبةَ الإدلال أعطَف، وكفَّ الأذى أَنصَف.

وهٰذه أمورٌ إن لم تخلُص في الأكفاء، أسرَعَ فيهم تقاطُعُ الأعداء، ففسدوا وأفسدوا.

(٧٧٢) وقد رُوي عن عمر بن عبدِالعزيز، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَلَا أُنبِّئُكم بشِرارِ النَّاس؟**»، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ ! قال: «مَن

---

(١) في المطبوعة والشرح: أخلاق اللئيم.

(٢) أبرويز بن هرمز بن كسرى، من حكماء ملوك الفرس.
ترجمته في: المعارف (ص٦٦٥).

(٣) **أكفائه**: نظرائه وأمثاله. [ط]

(٤) **الاستطالة**: الاستعلاء.

(٥) **الإدلال**: الإفراط في الانبساط.

(٦) **آلَف**: أشد استجلابًا للأُلفة. [ط]

نزل[1] وحدَه، ومَنَع رِفْده[2]، وجَلَد عبدَه». ثم قال: «أفلا أنبِّئُكم بشرٍّ من ذٰلك؟»، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «مَنْ لا يُرْجى خيرُه، ولا يؤمَنُ شرُّه». ثم قال: «ألَا أنبِّئُكم بشرٍّ من ذٰلك؟»، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «مَن يُبغضُ النَّاس ويُبغضُونه[3]»[4].

(٧٧٣) ورُوي أن عيسى بن مريم عليه السلام قام خطيبًا في بنى اسرائيل، فقال: «يا بني إسرائيل، لا تتكلَّموا[5] بالحكمةِ عند الجهَّال فتظلِموها، ولا تمنعُوها أهلها فتظلموهم، ولا تكافِئُوا ظالمًا[6] فيَبطُلَ فضلُكم. يا بني إسرائيل، الأمور ثلاثة: أمرٌ تبيَّن رُشدُه فاتَّبِعوه، وأمرٌ تبيَّن غَيُّه[7] فاجتنبوه، وأمرٌ اختُلف فيه فردُّوه إلى اللَّه تعالى».

وهٰذا الحديثُ جامعٌ لآداب العَدْلِ في الأحوال كلِّها[8].

(٧٧٤) وقال بعضُ الحكماء: «كُلُّ عقلٍ لا يُدَارَى[9] بـه الكُـلُّ فليس بعقل

---

(١) في المطبوعة: (أكل)، وقال: كذا في المنهاج، وفي مطبوعة بولاق: (نزل)، ولعلها رواية غير مشهورة.

(٢) الرِّفد: العطاء. [ط]

(٣) راجع ما قلناه عن بغض الناس للعبد في التعليق على الأثر (٧٤٨). [ط]

(٤) **ضعيف جدًّا**: أخرجه أحمد في «الزهد» (١٧٣٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٥)، والحارث في «مسنده» (١٠٧٠)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٤٠)، وابن عساكر في «التاريخ» (٥٥/ ١٣٢)، **وضعَّفه** الإمام المنذري في «الترغيب» (٤٢٦٧) ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٣٤): «فيه عنبس بن ميمون، وهو متروك»، **وضعَّفه** جدًّا الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٧٢)، ومحقق «الزهد» للإمام أحمد (ص٤٧٩ ـ ط: دار ابن رجب). [ط]

(٥) في الأصل: لا تكلموا.

(٦) أي: لا تقابلوه بمثل ظلمه، بل ترفَّعوا عن مجازاتِه. [ط]

(٧) **الغَيُّ**: الضلال. [ط]

(٨) الخبر في التذكرة الحمدونية (١/ ٣٩ ـ خبر: ٧).

(٩) قال في الشرح: المداراةُ مع الناس مستحبة، وهي لينُ الكلام، وتركُ الإغلاظِ في القول، وهي من أخلاق المؤمنين، والفرقُ بينها وبين المداهنة المحرمة: أن المداراةَ: الرفقُ بالجاهل في التعليم، والفاسقِ في النهيِ عن فعله، وتركُ الإغلاظ عليه، حيث لا يُظهر ما هو فيه، والإنكارُ عليه باللطف، حتى يردَّه عما هو مرتكبه، والمداهنة: معاشرةُ المعلِن بالفسق، وإظهار الرضا =

تام»[١].

(٧٧٥) وقال بعض الشعراء:

مـا دُمْـتَ حـيًّا فَـدَارِ الـنَّاسَ كُلَّهُـمُ ... فإنَّمـا أنْـتَ في دارِ المُـدَاراةِ

مَـنْ يَـدْرِ دَارى ومَنْ لم يَدْرِ سوف يُرَى ... عمَّـا قلـيلٍ نـديمًا للـنَّداماتِ

وقد يتعلَّق بِهٰذه الطبقات أمورٌ خاصة، يكونُ عَدْلُهم فيها بالتوسط ـ في حالتي التقصير والسرف ـ ؛ لأنَّ العدلَ مأخوذٌ من «الاعتدال»، فما جاوزَ الاعتدالَ فهو خروج عن العَدْل.

(٧٧٦) وقد قال الحكماء: «الفضائلُ هيئاتٌ[٢] متوسطةٌ بين حالتين ناقصتين، وأفعالُ الخير تتوسَّط بين رذيلتين».

- فالحكمةُ واسطةٌ بين الشرِّ والجهالة.
- والشجاعةُ واسطةٌ بين التقحُّم[٣] والجُبن.
- والعِفَّةُ واسطةٌ بين الشَّرَه وضعفِ الشهوة.
- والسَّكينةُ واسطةٌ بين السُّخطِ وضعفِ الغضب.
- والغَيرةُ واسطةٌ بين الحسد وسوءِ العادة.
- والظُّرفُ واسطةٌ بين الخلاعة والفَدَامة[٤].
- والتواضعُ واسطةٌ بين الكِبر ودناءة النفس.
- والسَّخاءُ واسطةٌ بين التبذير والتقتير.
- والحِلمُ واسطةٌ بين إفراط الغَضَب وعدمه.

= بما هو فيه، من غير إنكار عليه باللسان ولا بالقلب، وأصلها الخداع. اهـ.

(١) صدق وربِّي، وقد دُفعنا إلى زمانٍ احتجنا فيه أن نداريَ بعضَ من ظنناهم مشتركين معنا في منهجنا ومَشرَعِنا، واللَّهُ المستعان. [ط]

(٢) **هيئات**: صفات. [ط]

(٣) **التقحُّم**: التهور. [ط]

(٤) **الفَدَامة**: الغِلظة والحمق والجفاء، لسان العرب (٥/ ١٠١) باب (فدم).

- والمودَّةُ واسطةٌ بين الخِلابة[١] وحسن الخُلق.
- والحياءُ واسطةٌ بين القِحَّة والحَصَر[٢].
- والوقارُ واسطةٌ بين الهَزْل والسخافة.

وإذا كان ما خَرج عن الاعتدالِ إلى ما ليس باعتدالٍ خروجًا عن العَدْل إلى ما ليس بعدل، كان ما خرج عن الأَوْلى إلى ما ليس بأوْلى خروجًا عن العدل إلى ما ليس بعدل.

(٧٧٧) وقد قال بعضُ البُلغاء: «السلطانُ السَّوءُ يُخِيف البريء، ويصطنعُ الدنيء[٣]، والبلدُ السَّوء يجمعُ السِّفَل[٤]، ويورث العِلَل، والولدُ السَّوء يَشينُ السلَف، ويَهدِمُ الشَّرف، والجارُ السَّوء يُفشي السِّر، ويهتِكُ السِّتْر».

فجَعَل هٰذه الأشياءَ بخروجها عن الأَوْلَى إلى ما ليس بأوْلى خروجًا عن العَدْل إلى ما ليس بعَدْل. ولستَ تجد فسادًا إلَّا وسببُ نتيجته الخروجُ فيه عن حالِ العَدْلِ إلى ما ليس بعدلٍ من حالتي الزيادة والنقصان؛ فإذن لا شيءَ أنفَعُ من العَدْل، كما أنه لا شيءَ أضرُّ مما ليس بعَدْل.

*** وأما القاعدة الرابعة: فهي أمنٌ عام:**

تطمئنُّ إليه النفوس، وتتيسرُ فيه الهِمم، ويسكنُ فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائفٍ راحة، ولا لحاذرٍ طمأنينة.

(٧٧٨) وقد قال بعضُ الحكماء: «الأمنُ أهنأُ عيش، والعَدْلُ أقوى جيش؛ لأنَّ الخَوْفَ يقبضُ الناس عن مصالحهم، ويَحجُزُهم عن تصرُّفهم، ويكفُّهم عن أسباب الموادِّ التي بها قِوامُ أَوَدِهم[٥]، وانتظامُ جُملتِهم».

ولَئِن كان الأمنُ من نتائج العَدْل، والجَوْرُ من نتائج ما ليس بعَدْل، فقد يكون

---

(١) الخِلابة: المخادعة، لسان العرب (٢/ ٢٩٠) باب (خلب).
(٢) القِحَّة: قلة الأدب. الحَصَر: العجز والخَوَر. [ط]
(٣) أي: يُسند إليه الأعمال والمهام الكبرى، ويرفعه فوق الأتقياء. [ط]
(٤) السِّفَل: الأرذال، وهي جَمْعٌ. [ط]
(٥) الأوَد: العِوَج، لسان العرب (١/ ١٣١).

الجَوْرُ:

١ ـ تارةً بمقاصِدِ الآدميينَ الخارجةِ عن العَدْل(١).

٢ ـ وتارةً يكون بأسبابٍ حادثةٍ عن غير مقاصد الآدميين، فلا تكون خارجةً عن حال العَدْل(٢).

فمن أجل ذٰلكَ لم يكن ما سبق من حال العَدْلِ مقنِعًا عن أن يكون الأمنُ في انتظام الدنيا قاعدةً كالعدل.

فإذا كان ذٰلك كذٰلك، فالأمنُ المُطلَق ما عمَّ، والخوفُ قد يتنوَّعُ تارةً ويعُمُّ، فتنوُّعُه بأن يكونَ تارةً على النفس، وتارةً على الأهل، وتارةً على المال، وعمومُه أن يستوعبَ جميعَ الأحوال، ولكُلِّ واحدٍ من أنواعه حظٌّ من الوَهْن، ونصيبٌ من الحُزْن.

وقد يختلف باختلافِ أسبابه، ويتفاضَلُ بتبايُنِ جهاتِه، ويكونُ بحسب اختلافِ الرَّغبة فيما خِيف عليه؛ فمن أجل ذٰلكَ لم يجُز أن يتصفَ حالُ كُلِّ واحدٍ من أنواعه بمقدارٍ من الوهْن، ونصيبٍ من الحزن؛ لا سيَّما والخائفُ على الشيء مختصُّ الهمِّ به، منصرفُ الفِكر عن غيره، فهو يظنُّ ألَّا خوفَ له إلَّا إياه، فيَغفُلُ عن قدْرِ النِّعمةِ بالأمن فيما سواه، فصار كالمريض الذي هو بمرضه متشاغل، وعمَّا سواه غافلٌ، ولعلَّ ما صُرِفَ عنه أعظمُ مما نزل به(٣).

(٧٧٩) [كما قيل]:

على أنَّهـــا تعفُـــو الكُلُـــومُ وإنَّمـــا ... يـوكَّلُ بالأدنَـى وإن جلَّ ما يمضي(٤)

(١) وهٰذا كأنْ يأتِيَ الحُكَّامُ الجائرون، فيُضِرُّون بالناس ـ سواءٌ عادت منفعةٌ على الحكَّام من الإضرار بهم أم لا ـ، كأنْ يُحرقوا قُراهم أو زُروعهم أو نحو ذٰلك؛ فإن الجائرين إنما جاروا لقصدِ الجَور ذاتِه. [ط]

(٢) وهٰذا كأن يقصدَ الحُكَّامُ دَفْعَ ظُلْمِ البعضِ، لٰكن يترتَّب على عقوبةِ هٰؤلاء وقوعُ ضررٍ بآخرين. ومثله ـ أيضًا ـ هدم دارٍ لمنع سريان الحريق بها أو بما حولها، أو إلقاء أموالٍ في البحر لإنقاذ أهل السفينة من الغرق معها. وهٰذا وما قبله مستفادٌ معناه من «منهاج اليقين». [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: مما ابتُلي به.

(٤) **تعفو الكلوم**: تزول الجراحات. [ط]

(٧٨٠) حُكي أنَّ رجلًا قال ـ وأعرابيٌّ حاضر ـ: «ما أشدَّ وجَعَ الضِّرْس! فقال الأعرابي: كلُّ داءٍ أشدُّ داءٍ! كذٰلك من عَمَّهُ الأمنُ كمن استولَت عليه العافية، فهو لا يعرِفُ قَدْر النِّعمةِ بأمنه حتى يخاف، كما لا يَعرِفُ المُعافَى قَدْرَ النعمة بعافيته حتى يُصاب».

(٧٨١) وقال بعض الحكماء: «إنَّما يُعْرف قدْرُ النِّعمة بمقاساة ضدِّها».

(٧٨٢) فأخذ ذٰلك أبو تمام الطائيُّ، فقال:

والحادِثاتُ وإن أصابَكَ بؤسُها ... فهوَ الذي أنبأكَ كيفَ نعيمُها

فأوْلى بالعاقل أن يتذكَّرَ ـ عند مرضِه وخوفِه ـ قدرَ النعمةِ فيما سوى ذٰلكَ من عافيته وأمنه، وما انصرفَ عنه مما هو أشدُّ من مرضه وخوفه، فيستبدلُ بالشكوى شكرًا، وبالجزَع صبرًا، فيكون فرِحًا مسرورًا.

(٧٨٣) حُكي أن يعقوبَ قال ليوسفَ عليهما السلام ـ حين لقيَه ـ: «أيُّ شيءٍ كان خبرَك بعدي؟ قال: لا تسألني[١] عمَّا فعله بي إخوتي، وسلني عمَّا صنعه بي ربِّي».

(٧٨٤) وقد قال الشاعر:

لا تنسَ في الصحَّة أيامَ السَّقَمْ ... فإنَّ عُقْبَى تاركِ الحَزْمِ نَدَمْ

* **وأما القاعدة الخامسة: فهي خِصْبٌ دارٌّ تتسعُ النفوسُ به في الأحوال، ويشتركُ فيه ذوو الإكثارِ والإقلال:**

فيَقِلُّ في الناس الحسد، وينتفي عنهم تباغُضُ العَدَم[٢]، وتتمتع النفوسُ في التوسُّع، وتكثُرُ المواساةُ والتواصل، وذٰلك مِن أقوى الدواعي لصلاح الدُّنيا وانتظامِ أحوالها، ولأنَّ الخصبَ يؤولُ إلى الغِنى، والغِنى يُورِّثُ[٣] الأمانة والسخاء.

(٧٨٥) وكَتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «لا

(١) في المطبوعة والشرح: لا تسأل.
(٢) أي: التباغض الناشئ عن الفقر والحاجة. [ط]
(٣) في الأصل: يحدث.

تَستقضِينَّ(١) إلَّا ذا حَسَبٍ أو مال؛ فإنَّ ذا الحَسَب يخافُ العواقبَ، وذا المال لا يرغبُ في مالِ غيره».

(٧٨٦) وقال بعضُ السلف: «إني وجدْتُ خيرَ الدُّنيا والآخرة في التُّقى والغِنَى، وشرَّ الدُّنيا والآخرة في الفُجُور والفقر».

(٧٨٧) وقال بعضُ الشعراء:

ولَمْ أرَ بعدَ الدِّين خيرًا من الغِنَى ... ولَمْ أرَ بعدَ الكُفْر شرًّا من الفقرِ

وبحَسَب الغِنى يكون إقلالُ البخيل وإعطاؤه، وإكثارُ الجواد وسخاؤه.

(٧٨٨) كما قال دِعْبِل(٢):

لئن كنتَ لا تُولِي نَدًى دون إمرةٍ ... فلستَ بمُولٍ نائلًا آخِرَ الدَّهرِ

وأيُّ إناءٍ لم يَفِضْ عندَ مَلْئِهِ ... وأيُّ بخيلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوفرِ

وإذا كان الخِصبُ يُحْدِث من أسباب الصلاح ما وصفتُ، كان الجَدْبُ(٣) يُحدث من أسباب الفساد ما ضادَّها، وكما أنَّ صلاح الخصب عامٌّ، فكذلك فسادُ الجدْب عامٌّ، وما عَمَّ به الصَّلاحُ إن وُجِد، عَمَّ به الفسادُ إن فُقد، فأحرى أن يكونَ من قواعد الصلاح، ودواعي الاستقامة.

والخِصْبُ يكون من وجهين: خِصْبٌ في المكاسب، وخِصْبٌ في المواد؛ فأمَّا خِصْبُ المكاسب، فقد يتفرَّعُ عن خِصب المواد، وهو من نتائج الأمن المقترنِ به، وأمَّا خِصْبُ المواد فقد يتفرَّع عن أسباب إلٰهيةٍ، وهو من نتائج العَدْل المقترِن بها.

*** وأمَّا القاعدة السادسة: فهي أَمَلٌ فسيح:**

يَبعَثُ على اقتناءِ ما يَقصُرُ العُمُرُ عن استيعابه، ويحُثُّ على إنشاءِ ما ليس يوثَقُ

---

(١) **الاستقضاء**: تولية القضاء. [ط]

(٢) دِعبل بن عليٍّ بن رزين بن سليمان، أبو عليٍّ الخزاعي، شاعر مفلق، كان هجاءً خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة، تُوفِّي عام (٢٤٦).
ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١٢٨٤)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٢٨).

(٣) **الجَدْب**: الفقر. [ط]

في دَرَكِه[١] بحياةِ أربابه، ولولا أن الثاني يرتفقُ[٢] بما أنشأه الأولُ حتى يصيرَ به مستغنيًا، لافتُقر أهلُ كُلِّ عصرٍ إلى إنشاءِ ما يحتاجون إليه من منازلِ السُّكنى، وأراضي الحرث، وفي ذٰلك من الإعوازِ وتعذُّرِ الإمكانِ ما لاخفاءَ به.

فلذٰلك ما أرفَقَ اللَّهُ تعالى خَلْقَه من اتساع الآمال، حتَّى عَمَّر به الدُّنيا فتمَّ صلاحُها، وصارَتْ تنتقلُ بعُمرانِها إلى قَرْنٍ بعد قرن، فيُتم الثاني ما أبقاه الأوَّلُ من عمارتِها، ويَرُمُّ[٣] الثالثُ ما أحدَثَه الثاني من شَعَثِها، لتكون أحوالُها على الأعصار ملتئمةً، وأمورُها على مَمرِّ الدهور منتظِمة، ولو قَصُرَت الآمالُ ما تجاوَزَ الواحدُ حاجةَ يومه، ولا تعدَّى ضرورةَ وقتِه، ولكانت تنتقلُ إلى مَن بعده خرابًا لا يجدُ فيها بُلْغة، ولا يدركُ منها حاجة، ثم تنتقلُ إلى مَن بعدُ بأسوأَ مِن ذٰلك حالًا، حتى لا يَنْمِي بها نبْتٌ، ولا يُمكِنُ فيها لُبْثٌ.

(٧٨٩) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأملُ رحمةٌ منَ اللَّه لأُمتي، ولولاه ما غَرَسَ غارسٌ شَجَرًا، ولا أرضعَتْ أمٌّ ولدًا**»[٤].

(٧٩٠) وقال الشاعر:

وللـنُّفُوس وإن كانَـتْ على وَجَـلٍ ... مـن المنِـيَّة آمـالٌ تقـوِّيها
فالـصَّبرُ يبـسطُها والدَّهْـرُ يقبِـضُها ... والـنَّفْسُ تنـشُرُها والمـوت يَطْـويها

فأمَّا حالُ الأمل في أمرِ الآخِرة، فهو من أقوى الأسباب في الغَفْلةِ عنها وقلَّةِ الاستعداد لها.

(٧٩١) وقد أفصحَ لَبيدُ بن ربيعة ـ مع أعرابيَّته ـ بما تبيَّن به حالُ الأمل في

(١) في المطبوعة والشرح: ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه.
(٢) **يرتفق**: ينتفع. [ط]
(٣) **يَرُمُّ**: يُصلِح. [ط]
(٤) **موضوع**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٤)، وابن الجوزي في «العلل» (١٣٦٣) والديلمي في «الفردوس» (١٣٦٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الخطيب بعد إخراجه: «**باطل**»، **وأقرَّه** الإمام ابن الجوزي في «العلل»، وكذا **ضعَّفه** الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/ ٨١)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٢١٧)، و«ضعيف الجامع» (٢٠٤٥)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد». [ط]

الأمرين، فقال:

واكـذِبِ الـنَّفْسَ إذا حدَّثْـتَها　　　إنَّ صـدْقَ الـنَّفْس يُـزْري بالأمَلْ
غَيْـرَ أنْ لا تَكْذبـنْها في التُّقـى　　　واخْـزِها بالبـرِّ للَّـهِ الأجَـلّ

وفَرْقُ ما بين الآمـال والأماني: أنَّ الآمالَ مـا تقيَّـدت بأسباب، والأمانِيَّ ما تجرَّدت عنها.

فهٰذه القواعدُ السِّتُّ التي تصلح بها أحوالُ الدنيا، وتنتظمُ أمورُ جُملتِها؛ فإن كَمَلَتْ فيها كمَل صلاحها، وبعيدٌ أن يكون أمرُ الدُّنيا تامًّا كاملًا، وأن يكون صلاحُها عامًّا شاملًا؛ لأنَّها موضوعةٌ على التغيُّر والفناء، ومُنشَأةٌ على التصرُّم والانقضاء.

(٧٩٢) سمع بعضُ الحكماء رجلًا يقول: «قَلَبَ اللَّه الدُّنيا! قال: فإذًا تستوي، لأنَّها مقلوبة».

(٧٩٣) وقال بعضُ الشعراء:

ومِـن عـادةِ الأيَّـام أنَّ خُطُـوبَها　　　إذا سَـرَّ مـنها جانبٌ ساءَ جانبُ
ومـا أعـرفُ الأيَّـام إلَّا ذمِـيمةً　　　ولا الدَّهـرَ إلَّا وهْـوَ للثأرِ طالبُ

وبحسب ما اختَلَّ من قواعدها، يكون اختلالُها وفسادها.



فصل

[ما يَصلُحُ به حالُ الإنسانِ في الدنيا]

وأمَّا ما يَصلُح به حالُ الإنسان فيها فثلاثة أشياء ـ هي قاعدة[1] أمره، ونظامُ حاله ـ، وهي:

١ ـ نفسٌ مُطيعةٌ إلى رشدها، مُنتهيةٌ عن غيِّها.

٢ ـ وأُلفةٌ جامعةٌ، تنعطِفُ القلوبُ عليها، ويندفع المكروه بها.

٣ ـ ومادَّةٌ كافيةٌ، تَسْكن نفسُ الإنسان إليها، ويستقيم أَوَدُه بها.

*** فأمَّا القاعدة الأولى ـ التي هي نفسٌ مُطيعةٌ ـ:**

فلأنَّها إذا أطاعته مَلَكَها، وإذا عَصَتْه ملكتْه ولم يَملِكْها، ومَن لم يملِكْ نفسَه فهو بألَّا يملكَ غيرَها أحرى، ومَن عصتْه نفسَه كان بمعصية غيرها أولى.

(٧٩٤) وقال بعضُ الحكماء: «لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره، وطاعةُ نفسه ممتنعةٌ عليه».

(٧٩٥) وقد قال الشاعر:

أتطمعُ أن يُطيعَك قلبُ سُعْدَى ... وتزعُمُ أنَّ قلبَكَ قد عَصَاكا!!

وطاعةُ نفسه تكونُ من وجهين: أحدهما نُصح، والثاني انقياد.

فأمَّا النُّصْح: فهو أن ينظرَ إلى الأمور بحقائقها، فيرى الرُّشْدَ رُشْدًا ويستحسنُه، ويرى الغيَّ غيًّا ويستقبحُه، وهٰذا يكون مِن صِدق النفس ـ إذا سلِمت من دواعي الهوى ـ.

(٧٩٦) ولذٰلك قيل: «مَن تفكَّر أبصر».

وأما الانقياد: فهو أن تُسرعَ إلى الرُّشدِ إذا أمَرها، وتنتهيَ عن الغَيِّ إذا زَجرها، وهٰذا يكونُ من قَبول النفس إذا كُفِيت منازعةَ الشهوات.

---

(١) في المطبوعة والشرح: قواعد.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء].

وللنفسِ آدابٌ هي من تمامِ طاعتها، وكمالِ مصلحتها، وقد أفردنا لها في هٰذا الكتاب بابًا، واقتصَرنا في هٰذا الموضع على ما اقتضاه الترتيب، واستدعاه التقريب.

*** وأمَّا القاعدة الثانية ـ التي هي الأُلفةُ الجامعة ـ :**

فلأنَّ الإنسانَ مقصودٌ بالأَذيَّة، محسودٌ بالنعمة، فإذا لم يكن آلِفًا مألوفًا، تخطفته أيدي حاسِدِيه، وتحكَّمت فيه أهواءُ أعاديه، فلم تَسْلَمْ له نعمة، ولم تصْفُ لهُ مُدَّة، فإذا كان آلِفًا مألوفًا، انتصر بالألفةِ على أعاديه، وامتنع من حاسديه[1]، فسَلِمت نعمتُه منهم، وصفَتْ مُدَّتُه عنهم، وإن كان صفوُ الزَّمان غِرَّة[2]، وسِلْمُهُ خَطَرًا.

(٧٩٧) وقد رَوى ابنُ جُريح، عن عطاء، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ آلِفٌ مألوفٌ، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلف، وخيرُ الناس أنفعُهم للناس**»[3].

(٧٩٨) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللَّهَ تعالى يَرضَى لكم ثلاثًا، ويَكرَهُ**

(١) في الأصل: حساده.

(٢) في المطبوعة والشرح: عسرًا. **والغُرور**: الأباطيل، وما اغتُر به من متاع الدنيا، لسان العرب (٥/ ٢٢).

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٥٢)، والقضاعي (١٢٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٧٨)، وأبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (٩٩)، **وضعَّفه** الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٤٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٥): «فيه عليُّ بن بهرام، عن عبدالملك بن أبي كريمة ـ ولم أعرفهما ـ ، وبقية رجاله رجال الصحيح»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٣٨)، وكذا محقق «الشعب» (١٠/ ١١٥).

وفي الباب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه أحمد (٢/ ٤٠٠)، والحاكم (١/ ٢٣)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٣٦)، وفي «الشعب» (٨١١٩)، والبزار (٣٥٩١ ـ كشف الأستار)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٨٥)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٧٤٢)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأعلَّه** الذهبي بالانقطاع، بينما **أقرَّ** الحاكمَ الحافظُ العراقيُّ في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٢١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٥): «**رجاله رجال الصحيح**»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١/ ٧٨٦).

وفي الباب ـ أيضًا ـ عن غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. **[ط]**

لكم ثلاثًا، يرضَى لكم أن تعبُدُوه ولا تشرِكُوا به شيئًا، وأن تعتصِمُوا بحبله جميعًا ولا تتفرَّقوا، وأن تُناصِحوا مَن ولّاهُ اللَّهُ أمرَكم. ويكرُه لكم قِيلَ وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال»[١].

وكُلُّ هٰذا حثٌّ منه ﷺ على الألفة.

(٧٩٩) والعربُ تقول: «مَنْ قَلَّ ذَلَّ[٢]».

(٨٠٠) وقال قيس بن عاصم[٣]:

إنَّ القِـدَاحَ إذا اجـتمعْنَ فَـرَامَها ... بالكـسر ذو حَـنَقٍ وبَطْـشٍ أَيِّـدِ

عَـزَّتْ فلم تُكْسَرْ وإن هي بُدِّدت ... فالـوهْنُ والتكـسيرُ للمتـبدِّدِ

فإذا كانت الألفة بما أَثْبَت تجمَعُ الشَّمْلَ، وتمنَعُ الذُّلَ، اقتضت الحالُ ذكر أسبابِها.

[أسباب الأُلفة والمودَّة]:

وأسبابُ الألفة خمسة، وهي: الدِّين، والنسَب، والمصاهره، والمودَّة، والبِر.

١ ـ فأمَّا الدِّين ـ وهو الأوَّل من أسباب الألفة ـ :

فلأنَّه يبعثُ على التناصر، ويمنعُ من التقاطُع والتدابر، وبمثل ذٰلك وصَّى رسول اللَّه ﷺ أصحابه:

(٨٠١) فَروى سُفيان، عن الزُّهري، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تَقاطَعُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَحاسَدُوا، وكُونُوا ـ عِبادَ اللَّهِ ـ إخوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسلمٍ أن يَهْجُرَ أخاهُ فَوقَ ثَلاثٍ»**[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٢)، ومسلم (١٧١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **[ط]**

(٢) أي: من قلَّ أنصارُه صار ذليلًا بين الخلق. **[ط]**

(٣) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي، أبو عليٍّ، الصحابي، كان عاقلاً حليمًا، يضرب به المثل في الحلم، قال فيه النَّبي ﷺ: «**هٰذا سيدُ أهل الوبر**».
ترجمته في: الإصابة (٥/ ٢٥٨)، تهذيب الكمال (٢٤/ ٥٨)، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٢٨٥).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١١٠)، والبخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩)، والترمذي (١٩٣٥)، =

هٰذا ـ وإنْ كان اجتماعهم في الدِّين يقتضيه ـ، فهو على وجهِ التحذير من تذكُّر تُراثِ[١] الجاهلية، وإحَنِ[٢] الضلالة.

فقد بُعِثَ رسول اللَّه ﷺ والعربُ أشدُّ تقاطعًا وتعاديًا، وأكثرُهم اختلافًا وتماديًا، حتَّى إن بَني الأب الواحد كانوا يفترقون أحزابًا مختلفة، فتفشو[٣] بينهم بالتحزُّب والافتراق أحقادُ الأعداء، وإحَنُ البعداء، وكانت الأنصارُ أشدَّهم تقاطعًا وتعاديًا، وكان بين الأوس والخزرج من الاختلافِ والتباينِ أكثرُ من غيرهم، إلى أن أسلموا، فذهبت إحَنُهم، وانقطعت عداوتُهم، وصاروا بالإسلام إخوانًا متواصلين، وبأُلفة الدِّين أعوانًا متناصرين.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، يعنى أعداءً في الجاهلية، فألَّف بين قلوبكم بالإسلام[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، يعني حُبًّا[٥].

وعلى حسب التألُّفِ على الدِّين تكونُ العداوةُ فيه ـ إذا اختلَفَ أهلُه ـ؛ فإن الإنسان قد يَقْطَع في الدِّين مَن كان به بارًّا، وعليه مُشْفِقًا، هٰذا أبو عُبيدة بن الجرَّاح[٦] ـ وقد كانت له المنزلةُ العالية في الفضل، والأثَرُ المشهور في الإسلام ـ قَتَلَ أباه يومَ بَدْرٍ، وأتى برأسه إلى رسول اللَّه ﷺ طاعةً للَّه ﷻ ولرسوله ﷺ، حين

= وأبو داود (٤٩١٠)؛ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه أحمد (٢/ ٤٨٠)، ومسلم (٢٥٦٣)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(١) أي: ما ورثوه في الجاهلية من العداوات والمناحرات. [ط]
(٢) الإحنةُ: الحقد في الصدر، لسان العرب (١/ ٤٥).
(٣) في المطبوعة والشرح: فتثور.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).
(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٥٢٦).
(٦) عامر بن عبداللَّه بن الجراح بن هلال، أبو عبيدة، الصحابي الجليل، أمين الأمة، توفي عام (١٨) في طاعون عَمَواس.
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٢)، حلية الأولياء (١/ ١٠٠)، تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٣٥).

بَقِيَ على ضلاله، وانْهمَكَ في طُغيـانه، فلم يَعطِفْه عليه رحمٌ، ولا كَفَّه عنه إشفاقٌ ـ وهو من أَبَرِّ الأبناء ـ تغليبًا للدِّين على النسَب، ولطاعةِ اللَّه تعالى على طاعة الأب؛ وفيه أنزل اللَّه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢](١).

وقد يختلف أهـلُ الدِّيـن على مذاهـبَ شتَّى وآراءَ مختلفـة، فيحدُثُ بين المختلِفِين فيه من العداوةِ والتباينِ مثلُ ما يحدُثُ بين المختلِفِين في الأديان؛ وعلَّة ذٰلك: أن الدِّين والاجتماع على العَقْد الواحدِ فيه لمَّا كان من أقوى أسباب الألفة، كان الاختلافُ فيه من أقوى أسباب الفُرقة.

وإذا تكافأ أهلُ الأديان المختلفةِ والمذاهبِ المُتباينة، ولم يكن أحدُ الفريقين أعلى يدًا، وأكثَرَ عددًا، كانت العداوةُ بينهم أقوى، والإحَنُ بينهم أعظم؛ لأنه ينضَمُّ إلى عداوة الاختلافِ تحاسُدُ الأكْفَاء، وتنافسُ النُّظراء.

٢ ـ وأمَّا النَّسبُ ـ وهو الثاني من أسباب الأُلفة ـ:

فلأنَّ تعاطُفَ الأرحام وحَمِيَّةَ القرابةِ يبعثان على التناصر والأُلفة، ويمنعانِ من التخاذل والفُرقة، أَنَفةً(٢) مـن استعـلاء الأباعـد على الأقارب، وتوقِّيًا من تسلُّط الغرباء الأجانب.

(٨٠٢) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الرَّحِمَ إذا تَماسَّت تعاطَفتْ**»(٣).

ولذٰلك حفِظت العربُ أنسابَها لمَّا امتنعَتْ عن سلطانٍ يقهرها، ويكفُّ الأذى

---

(١) **ضعيف**: رواه الحاكم (٣/ ٢٦٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٧)، والطبـراني في «الكبير» (١/ ١٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٠١)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٢١)، **وسكت عنه الحاكم**، والذهبي، وكان الحافظ ابن حجر **حسَّنه** في «الإصابة» (٢/ ٢٤٤)، لٰكنه **ضعَّفه** في «الفتح» (٧/ ٩٣)، وفي «التلخيص الحبير» (٤/ ١١٣)، **وضعَّفه** الشيخان سليم الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر في كتابِهما: «الاستيعاب في معرفة الأسباب» (٣/ ٣٥١). [ط]
وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧٥١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٣٠).

(٢) **أنفةً**: ترفُّعًا. [ط]

(٣) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

عنها، لتكونَ به[١] متظافرةً[٢] على مَن ناوأها، مُتناصرةً على من شاقَّها وعاداها، حتى بلغت بأُلفةِ الأنساب تناصُرَها على القويِّ الأيِّد[٣]، وتحكَّمَتْ فيه تحكُّمَ المتسلِّط المتشطِّط.

وقد أعذر نبيُّ اللَّه لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسَه حين عَدِمَ عشيرةً تنصُرُه، فقال لمن بُعِثَ إليهم: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود]!! يعني: إلى عشيرةٍ مانعة[٤].

(٨٠٣) ورَوَى أبو سَلَمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**رَحِمَ اللَّه لوطًا، لقد كان يأوي إلى رُكنٍ شديد**». يعني اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[٥].

(٨٠٤) وقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**فما بعَثَ اللَّهُ تعالى من نبيٍّ بعده إلَّا في ثروةٍ من قومه**[٦]»[٧].

(٨٠٥) وقال وَهْبٌ: «لقد رَدَّت الرُّسل على لوط، وقالوا: إنَّ رُكنَكَ لشديدٌ».

(٨٠٦) ورُوي عن رسول اللَّه ﷺ: «**أنه كان لا يترُكُ المَرءَ مُفْرَجًا حتَّى يضمَّه إلى قبيلةٍ يكون فيها**»[٨].

---

(١) أي: بنسبها.

(٢) **متظافرة**: متعاونة. [ط]

(٣) **الأيِّد**: الشديد. [ط]

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٨١).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦)، والبخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١)، والترمذي (٣١١٦)، وابن ماجه (٤٠٢٦). [ط]

(٦) **الثَّرْوة**: الكثرة والمنعة؛ كما قال محمد بن عمرو ـ أحد رواة الحديث ـ عند الترمذي. [ط]

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٣٢)، والترمذي (٣١١٦)، والطبري (١٢/ ٨٧ و٢٣٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٠)، وابن حبان (٦٢٠٦)، **وحسَّنه** الإمام الترمذي، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.

تنبيه هام: وقع في رواية الإمام الترمذي: «**ذِرْوة**» بدل «**ثَروة**»، ثم بين أن اللفظ الأخير أصح، وكذا فعل الشيخ الألباني حين قال: «حسن بلفظ (**ثروة**)»، بينما لم يُفصِّل الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ«سنن الترمذي» (٥/ ٣٤٨). [ط]

(٨) **لم أقف عليه**: واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

قال الرِّياشيُّ[1]: «المُفْرَج :الذي لا ينتمي إلى قبيلةٍ يكونُ منها»[2].

وكلُّ ذٰلك حثٌّ منه ﷺ على الأُلفة، وكفٌّ عن الفُرقة.

(٨٠٧) ولذٰلك قال ﷺ: **«مَن كَثَّر سَوادَ قومٍ فهو منهم»**[3].

وإذا كان النسَبُ بِهٰذه المنزلة منَ الألفة، فقد يَعرِضُ له عوارضُ تمنعُ منها، وتبعثُ على الفُرقةِ المنافيةِ لها، فإذَنْ قد لزم أن نَصِفَ حال الأنساب، ومَا يَعرضُ لها من الأسباب.

---

(١) هو: العباس بن الفرج بن عليِّ بن عبدالله الرياشي، نحوي، لغوي، راوية للشعر، عالِم بأيام العرب والسير، تُوفِّي عام (٢٥٧).
ترجمته في: معجم الأدباء (٤/ ١٤٨٣)، الوافي (١٦/ ٦٥٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٣٣).

(٢) قال في اللسان (٥/ ١٠٥): والمفرج: الذي لا عشيرة له، ونسب هٰذا القول لابن الأعرابي.

(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو يعلى، كما في «فتح الباري» (١٣/ ٣٧)، و«المقاصد الحسنة» (١١٧٠)، و«نصب الراية» (٤/ ٣٤٦)، و«المطالب العالية» (١٦٠٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٦٢١)، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو **ضعيف** للانقطاع، كما قال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٢٦ ـ تحت حديث).
وقال الإمامان الزيلعي والسخاوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وشاهده حديث: **«مَن تشبَّه بقوم فهو منهم»** عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
بينما ذهب الحافظ ابن حجر إلى أن شاهده أثرٌ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ موقوفًا ـ عند ابن المبارك في «الزهد». قلت: ولفظه: عن عبدالرَّحْمٰن بن زياد بن أَنعُم: أن أبا ذر الغفاريَّ دعي إلى وليمةٍ، فلما حَضَر إذا هو بصوتٍ (أي: صوت غناءٍ ولهو)، فرجع فقيل له: «ألا تدخل؟ فقال: أسمع فيه صوتًا، ومَن كثَّر سوادًا كان من أهله، ومَن رضي عملًا كان شريكَ مَن عمِله». رواه ابن المبارك (٢/ ١٨)، وفيه «عبدالرَّحْمٰن بن أنعُم» ـ قاضي إفريقيَّة ـ، وهو ضعيف الحديث، وهو منقطع ـ أيضًا ـ بينه وبين أبي ذرٍّ، واللَّهُ تعالى أعلم.
وقد ورد عند الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٢٢٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٠٥)، حديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «من **سوَّد مع قومٍ فهو منهم**...» الحديث، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٦٣٦)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، والشيخ باسم الجوابرة في تحقيق كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٩٧٤).
ولينتبه إلى أن الحديث السالف ـ الذي ذكره الإمامان الزيلعي والسخاوي ـ مختلفٌ فيه بين العلماء، فمنهم من **حسَّنه** ومنهم من **ضعَّفه**، وانظر تمام تخريجه في «مسند الإمام أحمد» (٩/ ١٢٣)، واللَّهُ الموفِّق. [ط]

[أقسامُ الأنساب]:

فجملةُ الأنساب تنقسم[١] ثلاثة أقسام:

- قسمٌ وَالِدُون.
- وقسم مَولُودون.
- وقسم مناسِبون.

ولكلِّ قسمٍ[٢] منهم منزلةٌ من البِرِّ والصلة، وعارضٌ يطرأ، فيبعثُ على العقوق والقطيعة.

[١] **فأمَّا الوالدون**: فهم الآباءُ والأمهات، والأجدادُ والجِدَّات، وهم موسُومون[٣] ـ مع سلامة أحوالهم ـ بخُلُقين:

أحدهما: لازمٌ بالطبع.

والثاني: حادثٌ باكتسابٍ.

[أ] **فأمَّا ما كان لازمًا بالطبع**: فهو الحذَرُ والإشفاق، وذٰلك لا ينتقل عن الوالد[٤] بحال.

(٨٠٨) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لِكُلِّ شيءٍ ثَمَرةٌ[٥]، وثمرَةُ القلب الولدُ**»[٦].

(٨٠٩) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**الولدُ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ، مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ[٧]**»[٨].

---

(١) في الأصل: قد تقسمت.

(٢) في الأصل: صنف.

(٣) موسومون: متَّصِفون. [ط]

(٤) في الأصل: الولد.

(٥) في معظم الروايات: «**شجرة**». [ط]

(٦) ضعيف جدًّا: رواه ابن عدي (٣/ ٣٦١)، والحاكم في «الكُنى» (٢/ ٢٢٦)، و«البزار» (٢/ ٣٧٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٧٩)؛ عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٥٥)، وأقرَّه الإمام المُناوي في «فيض القدير» (٢/ ٥٠٩)، وضعَّفه جدًّا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣١٩٤). [ط]

(٧) أي: يدفع ولدَه للبخل والجهل والجُبن والحزن. [ط]

(٨) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٢٩٦)، والبزار (١٨٩١) عن الأسود بن خلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعَّفه =

فأَخبَر أنَّ الحذَرَ عليه يُكْسِبُ هٰذه الأوصاف، ويُحدِثُ هٰذه الأخلاق.

وقد كره قومٌ طَلَبَ الولدِ كراهيةً لهٰذه الحالة التي لا يَقْدِر على دفعها عن نفسه، للزومها طبعًا، وحدوثها حتمًا.

(٨١٠) وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام: «ما بالُك تكْرَه الولَد؟! فقال: ما لي وللولد؟! إنْ عاش كدَّني، وإن مات هدَّني[(١)]».

(٨١١) وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام: «ألا تتزوج؟ فقال: إنما يُحَبُّ التكاثر[(٢)] في دار البقاء».

[ب] وأمَّا ما كان حادثًا باكتساب: فهي المحبَّةُ التى تَنْمِي مع الأوقات، وتَتغيَّر مع تغيُّر الحالات.

(٨١٢) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**الوَلَدُ أنوطٌ**»[(٣)].

يعني أنَّ حُبَّهُ ملصقٌ بنياط القلب[(٤)].

فإنِ انصرف الوالدُ عن حُب ولده، فليس ذٰلك لبغضٍ منهُ، ولٰكنْ لسَلْوةٍ حدثت من عقوقٍ أو تقصيرٍ، مع بقاء الحذَرِ والإشفاقِ الذي لا يزول عنه، ولا ينتقلُ منه.

(٨١٣) وقد قال محمدُ بن عليٍّ[(٥)] رضي الله عنه: «إنَّ اللَّه تعالى رضِيَ الآباءَ للأبناء،

= الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٢٩/ ١٠٤)، بينما صحَّحه الإمام الحاكم، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٩٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٨٤): «رجاله ثقات». [ط]

(١) إسرائيليات، وظاهره منكر مخالف لشرعنا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) في الأصل: التكثر.

(٣) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ أعلم. [ط]

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٨٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٥٢٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه يومًا: «واللَّهِ ما على وجهِ الأرض رجلٌ أحبُّ إليَّ من عمر. فلما خرج رجع فقال: كيف حلفتُ ـ أي بُنية ـ ؟ فقلت له، فقال: أعز عليَّ، والولد ألوط». **وحسَّنه الشيخ الألباني**.

و«**أَلْوَط**»: ألصق بالقلب.

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٧)، ولسان العرب (٥/ ٥٣٦).

(٥) محمد بن عليِّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو القاسم، المعروف بـ«ابن الحنفية»، واسمها خولةُ بنت جعفر، تابعي ثقة، وكان رجلًا صالحًا، تُوفي عام (٨٠). =

فحذَّرهم فتنتَهم، ولم يوصِهم بهم، ولم يرضَ الأبناءَ للآباء، فأوصاهم بهم، وإنَّ شرَّ الأبناء مَنْ دعاه التقصيرُ إلى العقوق، وشرَّ الآباء من دعاه البرُّ إلى الإفراط».

والأمَّهاتُ أكثرُ إشفاقًا، وأوفرُ حُبًّا؛ لما باشروهُ من الولادة، وعَانَوه من التربية[١]، فإنَّهُنَّ أرقُّ قلوبًا، وألينُ نفوسًا، وبحسَب ذٰلكَ وجَبَ أن يكونَ التعطُّفُ من الأبناء عليهنَّ أوفر؛ جزاءً لفعلهن، وكَفاءً لحقِّهن، وإن كان اللَّهُ تعالى قد أشرك بينهما في البرِّ، وجَمَع بينهما في الوصية، فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

(٨١٤) وقد رُوي أنَّ رجلًا أتى إلى النبي ﷺ فقال: إن لي أُمًّا أنا مَطِيَّتُها[٢]، أُقعِدُهَا على ظهري، ولا أصرِفُ عنها وجهي، وأردُّ اليها كَسْبي[٣]، فهل جزيتُها؟ قال: «**لا، ولا بزَفْرةٍ واحدةٍ**»، قال: ولِمَ؟! قال: «**لأنَّها كانت تَخدُمكَ وهي تُحبُّ حياتَكَ، وأنتَ تَخدُمُها وتُحِبُّ مَوْتَها**»[٤].

(٨١٥) وقال الحسن البصري: «حقُّ الوالدِ أعظم، وبِرُّ الوالدة ألزم».

(٨١٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنهاكم عن عقوقِ الأمَّهات، ووَأْدِ البنات، ومَنَع وهات**»[٥].

(٨١٧) ورَوى خالد بن مَعْدان، عن المِقْدام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بأُمهَاتكم، ثم يُوصِيكم بأُمهَاتكم، ثم يُوصِيكم بأُمهاتكم، ثم**

= ترجمته في: حلية الأولياء (٣/ ١٧٤)، تهذيب الكمال (٢٦/ ١٤٧)، تاريخ دمشق (٥٤/ ٣١٨).

(١) في المطبوعة والشرح: لما باشرن من الولادة، وعانين من التربية.

(٢) مطيَّتُها: دابَّتُها المركوبة. [ط]

(٣) أي: أعطيها مالي الذي أكتسبُه من عملي. [ط]

(٤) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، واللَّهُ أعلم. [ط]

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (١١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٣٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٢٦) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه أتاه رجلٌ يماني يحملُ أمه وراء ظهره، ويقول:

إني لها بعيرُها المُذلل ... إن أذعرت ركابُها لم أُذعَرِ

ثم قال: يا ابن عمر، أتُراني جزيتُها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدة». **وصحَّحه** الشيخ الألباني.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٦، ٢٥٠)، والبخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)، عن المغيرة ابن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. [ط]

يُوصِيكم بآبائكم، ثم يُوصِيكم بالأقرب فالأقرب»(١).

[٢] **وأما المولودون**: فهم الأولاد، وأولادُ الأولاد؛ والعربُ تُسمِّي ولَدَ الولدِ: «الصَّفْوة»، وهم مختصُّون ـ مع سلامة أحوالهم ـ بخُلُقين:

أحدهما: لازم.

والآخر: مُنتقِل.

[أ] فأمَّا اللازم: فهو الأَنَفَة للآباء من تَهضُّمٍ أو خُمول، والأَنَفةُ في الأبناء في مقابلةِ الإشفاق في الآباء.

(٨١٨) وقد لَحِظ أبو تمام الطائي هٰذا المعنى في شِعره، فقال:

فأصبحتُ يلقاني الزمانُ لأجلِهِ(٢) ... بإعظامِ مولودٍ وإشفاقِ والدِ

[ب] وأمَّا المُنتقل: فهو الإدلالُ، وهو أوَّلُ حالِ الولد، والإدلالُ في الأبناء في مُقابلة المحبَّة في الآباء؛ لأنَّ المحبَّة بالآباء أخصُّ، والإدلالَ بالأبناء أمسُّ.

(٨١٩) وقد رُوي عن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، ما بالُنا نَرِقُّ على أولادنا، ولا يَرِقُّونَ علينا، قال: «**لأنَّا ولدناهم ولم يَلِدُونا**»(٣).

ثم إنَّ الإدلال في الأبناء قد ينتقلُ مع الكِبَر إلى أحد أمرين:

ـ إمَّا إلى البرِّ والإعظام.

ـ وإمَّا إلى الجفاء والعقوق.

فإنْ كان الولدُ رشيدًا، أو كان الأبُ بَرًّا عطُوفًا، صار الإدلالُ بِرًّا وإعظامًا.

(٨٢٠) وقد رَوَى الزُّهري، عن عامر بن شَرَاحِيل: أنَّ النبي ﷺ قال لجَرير بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ حقَّ الوالدِ على الولدِ: أنْ يَخْشَع له عند الغضب، ويؤثِره على**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠)، وابن ماجه (٣٦٦١)، والحاكم (٤/ ١٥١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦/ ١٨٢)، و«الكبرى» (٤/ ١٧٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٤١)، عن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وأعلَّه** الإمام الهيثمي بالانقطاع في «المجمع» (٤/ ٥٥٥)، **وضعَّفه** الإمام البوصيري، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني. **[ط]**

(٢) في الأصل: من أجله.

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

نفسِه عند النَّصَبِ والسَّغَب[١]، فإن المكافئَ ليس بالواصل، ولٰكنَّ الواصلَ مَنْ إذا قُطِعَتْ رَحِمُه وصَلَها»[٢].

وإن كان الولد غاويًا، أو كان الوالد جافيًا، صار الإدلالُ قطيعةً وعُقوقًا.

(٨٢١) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أعان ولدَه على برِّه**»[٣].

(٨٢٢) وبُشِّر عُمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمولود، فقال: «**رَيْحانةٌ أشُمُّها، ثم هو عن قريب ولدٌ بارّ، أو عدوٌّ ضارّ**».

(٨٢٣) وقد قيل في منثور الحكم: «**العُقوق ثُكْلُ مَن لم يَثْكَلْ**[٤]».

(٨٢٤) وقال بعضُ الحكماء: «**ابنُكَ رَيحانُك سَبْعًا**[٥]**، وخادمُك سَبْعًا، ووزيرُك سَبْعًا، ثم هو صديقٌ أو عدو**»[٦].

[٣] **وأما المُناسِبون**: فهم مَن عَدا الآباءَ والأبناء، ممن يرجعُ بتعصيبٍ أو رحِم، والذي يختصُّون به: الحميَّةُ الباعثةُ على النُّصرة، وهي أدنى رُتْبةً من الأَنَفة، لأنَّ الأنفة تمنَعُ من التَّهضُّم[٧] والخمول[٨] معًا، والحمية تمنَعُ من التَّهضُّم، وليس لها في كراهةِ الخمولِ نصيبٌ، إلَّا أن يقترنَ بها ما يَبعَثُ على الأنفة.

---

(١) **السغب**: الجوع. [ط]

(٢) **لا يصح**: أخرجه ابن عساكر ـ كما في «كنز العمال» (٤٥٥١٢) ـ، وهو في «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (١/ ٧٧٦)، عن ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولا أعلمه بسندٍ صحيح عنه ﷺ، والعلمُ عند اللَّهِ تعالى.
لٰكنَّ الجزءَ الأخير من الحديث **صحيح**؛ رواه أحمد (٢/ ١٦٣)، والبخاري (٥٩٩١)، والترمذي (١٩٠٨). [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٩)، والديلمي (٣٢١٦)، وأبو الشيخ في «الثواب» ـ كما في «الكنز» (٤٥٤١٧) ـ، وضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٩٦)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٢٧)، والعجلوني في «كشف الخفا» (١٣٧٦)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص٢٠٢)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٩٤٦)، و«ضعيف الجامع» (٣١١٨)؛ من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٤) **الثُّكْل**: فقدانُ أعز الناس. [ط]

(٥) أي: سبع سنوات. [ط]

(٦) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٥١١ ـ خبر: ٤٣٥٦)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٦٧٥).

(٧) **التهضم**: الظلم والغصب. «منهاج اليقين».

(٨) **الخُمول**: نقيض الشهرة، يقال: خَمَل ذكره وصوته، إذا خفي. «منهاج اليقين».

وحَميَّةُ المُناسِبين إنما تدعُو إلى النُّصرة على البُعداء والأجانب، وهي مُعرَّضةٌ لحسدِ الأداني والأقارب، موكولةٌ إلى منافَسةِ الصاحب بالصاحب، فإن حُرِسَت بالتواصُل والتلاطُفِ تأكَّدَت أسبابُها، واقترن بحميَّةِ النسب مُصافاةُ المودَّة، وذٰلك أوكَدُ أسباب الأُلْفة.

(٨٢٥) وقد قيل لبعض قريش: «أيُّما أحبُّ إليك: أخوك، أو صديقُك؟ قال: أخي إذا كان صديقًا»[١].

(٨٢٦) وقال مَسْلَمةُ بنُ عبدِالملِك[٢]: «العيشُ[٣] في ثلاثٍ: سَعَةِ المنزل، وكثرةِ الخدَم، وموافقةِ الأهل[٤]».

(٨٢٧) وقال بعضُ الحكماء: «البعيدُ قريبٌ بمودَّته، والقريبُ بعيدٌ بعداوته».

وان أُهْمِلَتِ الحالُ بين المتناسبين ـ ثقةً بلُحْمةِ النَّسَب[٥]، واعتمادًا على حَميَّةِ القَرابةِ ـ غَلَبَ عليها مَقْتُ الحسد، أو منازعةُ التنافس، فصارت المناسبةُ عداوةً، والقرابة بُعدًا.

(٨٢٨) وقال الكِنديُ[٦] في بعض رسائله: «الأب رَبٌّ، والولد كَمَد[٧]، والأخُ فَخٌّ، والعَمُّ غَمٌّ، والخالُ وَبَالٌ، والأقاربُ عقاربُ[٨]»[٩].

---

(١) العبارة في الإخوان لابن أبي الدنيا (٦٤) منسوبةً لخالد بن صفوان، وفي عيون الأخبار (٣٨٧٧) منسوبة لبُزُرْجَمِهْر.

(٢) مسلمة بن عبدالملك بن مروان، الأموي، والي العراقين، كان شجاعًا بطلاً مهيبًا، له آثار حَميدة في الحروب، تُوفي عام (١٢٠).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٢٥/ ٥٨٤)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٦٢).

(٣) أي: أحلاه وأجْمَلُه. [ط]

(٤) أي: الزوجة. وحقًّا فإن موافقة الأهل ـ فيما يرضي اللَّهَ تعالى ـ هي النعيم العاجل. [ط]

(٥) اللُّحمة: القرابة. [ط]

(٦) أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكِندي، فيلسوف العرب، توفي بعد المئتين.
ترجمته في: تاريخ الحكماء، للقفطي (ص٣٦٦)، تاريخ الحكماء، للشهرزوري (ص٣٠٥)، الوافي بالوفيات (٢٨/ ٤٧٩).

(٧) الكَمَد: الهمُّ والغم. [ط]

(٨) كلام مرفوض فيه مغالاةٌ ظاهرة، وحتى إذا كان بعضُهم رأى هٰذا في أقاربِه، فلا يحقُّ أن يُجعل قاعدةً عامةً وأصلًا توصف به أسمى العلاقات الإنسانية، لا سيما ولم ينظر إليها إسلامُنا العظيم مثل تلك النظرات القاسية. [ط]

(٩) العبارة في محاضرات الأدباء (١/ ٧٥١).

(٨٢٩) وقال عبدُاللَّه بن المعتز:

لُحـومُهُمُ لَحْمِـي وهُـمْ يأكلُـونَهُ ... ومـا داهِـياتُ المـرءِ إلَّا أقارِبُـهْ

ومن أجل ذٰلك أمر اللَّه تعالى بصلة الأرحام، وأثنى على واصلها، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد].

(٨٣٠) قال المفسِّرون: «هي الرَّحِمُ التي أمَرَ اللَّـهُ بوصلها، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ في قطعها، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ في المعاقبة عليها[١]»[٢].

(٨٣١) وقد رَوَى عبدُالرَّحْمٰن بن عَوْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**يقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنا الرَّحْمٰنُ، وهي الرَّحِمُ، اشتققتُ اسمَها من اسمي، فمنْ وَصَلَها وصلتُه، ومن قَطَعها قطعتُه**»[٣].

(٨٣٢) ورُوِي عنه ﷺ أنه قال: «**صِلَةُ الرَّحِم مَنْماةٌ للعَدد[٤]، مَثراةٌ للمال، مَحبَّةٌ في الأهل، مَنْسَأَةٌ في الأجل[٥]**»[٦].

(٨٣٣) وقال بعضُ الحكماء: «بُلُّوا[٧] أرحَامَكُم بالحقوق، ولا تجفُوها

---

(١) هٰذا التفسير هو «نوع» من أنواع الصِّلة التي أمر اللَّهُ بها في الآية، ولا ريب أنها عامةٌ في كلِّ ما أمرَ اللَّهُ تعالى به أن يوصَلَ ويُقرَّب. [ط]

(٢) النكت والعيون (٣/ ١٠٨)، تفسير البغوي (٣/ ١٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٥٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٩١، ١٩٤)، وأبو داود (١٦٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٣)، وأبو يعلى (٨٤١)، وابن حبان (٤٤٣)، والحاكم (٤/ ١٥٧) **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٤) أي: سببٌ في كثرةِ أفراد العشيرة. [ط]

(٥) أي: زيادة في العمر ـ كما قال الإمام الترمذي ـ. قلت: وهٰذا لا يخالف القَدَر السابق؛ فإن طول الأجل قدرٌ، وصِلةَ الرحم سببٌ لطوله، وهي ـ كذٰلك ـ قدر. [ط]

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (١٩٧٩)، والحاكم (٤/ ١٦١)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (٨/ ٢٧٩) ـ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الترمذي: «غريب»، **وسكت عليه** الإمامان الحاكم والذهبي، وقال الإمام الهيثمي: «**رجاله قد وثقوا**»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦)، و«صحيح الجامع» (٢٩٦٥). [ط]

(٧) **بلُّوا**: صِلوا. [ط]

بالعُقوق».

(٨٣٤) وقال بعضُ البلغاء: «صِلوا أرحامَكم، فإنَّها لا تَبْلَى عليها أصولُكم، ولا تُهْضَمُ عليها فُروعكم».

(٨٣٥) وقال بعضُ الأدباء: «مَن لم يَصْلُح لأهلِهِ لم يصلح لك، ومن لم يذُبَّ عنهم لم يذُبَّ عنك».

(٨٣٦) وقال بعضُ الفصحاء: «مَن وصل رحمَه وصله اللَّهُ ورحِمَه، ومن أجار جارَه أعانهُ اللَّه وأجاره».

(٨٣٧) وقال محمد بن عبدِاللَّه الأزدي[1]:

وحَسْبُكَ مِن ذُلٍّ وسُوءِ صنيعةٍ ... مُناواةُ ذي القُرْبَى وإنْ قيلَ قاطعُ

ولٰكنْ أُواسيهِ وأنسَى ذُنُوبَه ... لِتُرْجِعَهُ يومًا إليَّ الرَّواجعُ

(٨٣٨) وقال عبدُاللَّه بن الزبير:

ولا يستوي في الحُكمِ عبدانِ: واصلٌ ... وعبدٌ لأرحامِ القرابةِ قاطعُ

٣ ـ وأما المصاهرةُ ـ وهي الثالثةُ من أسباب الأُلفة[2] ـ:

فلأنَّها استحداثُ مواصلة، وتمازُجُ مُناسبة، صدَرَا عن رغبةٍ واختيار، وانعقدا عن خِبْرةٍ وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الأُلفة، وموادُّ المُصاهرة[3].

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]، يعني بالمودَّة: المحبَّة، وبالرَّحمة: الحُنوُّ والشفقة، وهما من أوكَدِ أسباب الألفة[4].

(٨٣٩) وفيها تأويلٌ آخر ـ قاله الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «إنَّ المودة: النكاح،

---

(١) لم أجده، واللَّه أعلم.
(٢) كانت الأولى ص (٢٨٧)، والثانية ص (٢٨٩).
(٣) في المطبوعة والشرح: المظاهرة.
(٤) النكت والعيون (٤/ ٣٠٥)، ومجمع البيان (٢١/ ١٩).

والرَّحمة: الولد»[١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل].

واختلف أهلُ التأويل في «الحَفَدة»:

(٨٤٠) فقال عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هم أَخْتَانُ الرجل على بناته».

(٨٤١) وقال عبدُاللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هم وَلَدُ الرجل، وَوَلَدُ وَلَدِه»[٢].

(٨٤٢) ورُوي عنه: «أنهم بنو امرأةِ الرَّجل من غيره».

وسُمُّوا «حَفَدَةً» لحَفْدِهم في الخِدمة، وسُرعتِهم في العَمَل، ومنه قولهم في القُنُوت: وإليك نَسْعَى ونَحْفِد، أي: نُسرع إلى العمل بطاعتك»[٣].

ولم تزل العربُ تجتذِبُ البُعَداء، وتتألَّفُ الأعداءَ بالمُصاهَرة، حتَّى يرجع النافرُ مؤانِسًا، ويصيرَ العدوُّ مواليًا، بل تَصيـر الصِّهريـةُ بين الاثنينِ أُلفةً بين القبيلتين، ومُوالاةً بين العشيرتين.

(٨٤٣) حُكي عن خالد بن يزيد بن معاوية[٤] أنه قال: «كان أبغضَ خَلْقِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إليَّ آلُ الزُّبير، حتَّى تزوَّجت منهم «رَمْلة»، فصاروا أحبَّ خَلْق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إليَّ».

(٨٤٤) وفيها يقول[٥]:

أُحِبُّ بني العوَّام طُرًّا لأَجْلها ... ومن أجْلها أحْببتُ أخْوالَها كَلْبا[٦]

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٤١٢).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٠١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٣٧٨)، ولسان العرب (٢/ ١١٢) باب (حفد).
(٤) خالد بن يزيد بن معاوية، أبو هاشم، الأموي، كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان خطيبًا شاعرًا فصيحًا، جيد الرأي، كثير الأدب، توفي عام (٨٥).
ترجمته في: تاريخ دمشق (١٦/ ٣٠١ : ٣٠٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧٠).
(٥) الأبيات في ترجمته في وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٥).
(٦) طُرًّا: كلّهم، أو جميعًا. [ط]

فَـإنْ تُـسْلِمي نُـسْلِمْ وإنْ تتنـصَّرى　　　يَخُـطُّ رِجَـالٌ بـينَ أعيـنهم صُلْبا[١]

(٨٤٥) ولذٰلك قيل: «المرءُ على دين زوجته».

لِما يستنزله الميْلُ إليها من المتابعة، ويجتذبُه الحبُّ لها من الموافقة، فلا يجدُ إلى المخالفة سبيلًا، ولا إلى المُبايِنةِ والمُشاقَّةِ طريقًا.

وإذا كانت المصاهرةُ بالنكاح بِهٰذه المنزلة من الأُلفة، فقد يُبتغى بعقدها[٢] أحدُ خَمْسةِ أوجهٍ، وهي: المال، والجمال، والدِّين، والأُلفةُ، والتَّعفُّف.

(٨٤٦) وقد رَوى سعيدُ بن أبي سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تُنْكَحُ المرأةُ لأربع: لمالِها، ولجمالِها، ولحَسَبِها، ولدينِها[٣]؛ فعليكَ بذاتِ الدِّينِ ـ تَرِبت يداك ـ**»[٤].

* فإن كان عقدُ النكاحِ لأجلِ المال، وكان أقوى الدَّاوعي إليه، فالمالُ إذن هو المنكوح، فإنِ اقترن بذٰلك أحدُ الأسباب الباعثةِ على الائتلاف، جاز أن يلبَثَ العَقد، وتدومَ الألفة[٥]. فإن تجرَّدَ عن غيره من الأسباب، وعَرِيَ عمَّا سواه من المواد، فأَخْلِقْ بالعَقْد أن ينحلَّ[٦] وبالألفةِ أن تزول، ولا سيَّما إذا غَلَبَ الطمَعُ، وقلَّ الوفاء؛ لأنَّ المال إن وُصِل إليه، فقد ينقضي سبَبُ الألفة به.

(٨٤٧) وقد قيل: «مَنْ وَدَّكَ لشيءٍ وَلَّى مع انقضائه».

وإن أعوَزَ الوصولُ إليه، وتعذَّرت القدرةُ عليه، أعقبَ ذٰلك استهانةَ الآيِسِ بعد شدَّة الأمل، فحدَثَت منه عَداوةُ الجانبِ بعد استحكام الطمع، فصارت الوُصلةُ فُرقة، والألفةُ عداوة.

---

(١) في حاشية الأصل، وحاشية وفيات الأعيان: هٰذا البيت ليس من قول خالد ولا قاله خالد.

(٢) في المطبوعة والشرح: ينبغي لعقدها.

(٣) زاد في الأصل: ولعفافها وعقلها، وهي زيادة ليست في لفظ الحديث، ولا توافق العدد في أول الحديث.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٨)، والبخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٧)، والنسائي (٣٢٣٠)، و«الكبرى» (٥٣١٨)، وابن ماجه (١٨٥٨). [ط]

(٥) في حاشية الأصل: الصحبة، وكتب بجانبها: صح.

(٦) في الأصل: يضمحل.

(٨٤٨) وقد قيل: «مَن ودَّك طمعًا فيك، أبغضَكَ إذا أيس منك».

(٨٤٩) وقال عبدُالحميد: «مَن عظَّمك لإكثارك، استقلَّك عند إقلالك».

* وإن كان العقدُ رغبةً في الجمال، فذٰلك أدومُ للألفة منَ المال، لأنَّ الجمال صفةٌ لازمة، والمالَ صفةٌ زائلة.

(٨٥٠) ولذٰلك قيل: «حُسْن الصورة أوَّلُ السعادة».

(٨٥١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أعظَمُ النساء بركةً أحسنُهُنَّ وجْهًا، وأقلُّهن مَهْرًا**»[1].

فإن سلِمت الحالُ من الإدلالِ المُفضِي إلى الملل، استدامت الألفة، واستَحكمت الوُصْلة. وقد كانوا يكرهون الجمالَ البارع:

١ ـ إمَّا لِما يُحدِثُ عنه من شدَّة الإدلال.

(٨٥٢) وقد قيل: «مَن بَسَطه الإدلال قبضَه الإذْلال».

٢ ـ وإمَّا لما يُخاف من مِحن الرغبة، وبَلْوَى المنازعة.

(٨٥٣) وقد حُكي أنَّ رجلًا شاوَر حكيمًا في التزوج، فقال له: «افعل، وإيَّاك والجمالَ البارع؛ فإنَّه مَرْعًى أنيق، فقال الرجل: وكيف ذٰلك؟ قال: كما قال الأوَّل[2]:

ولَنْ تُصادِفَ مَرْعًى مُمْرِعًا أبدًا ... إلَّا وَجَدْتَ بهِ آثارَ مُنْتَجِعِ[3]

٣ ـ وإمَّا لِمَا يخافهُ اللبيبُ من شِدَّة الصَّبْوة، ويتوقَّاه الحازمُ من سوء عواقب الفتنة.

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٣٨)، وأبو عمر التوقاني في «معاشرة الأهلين»، وابنُ عدي ـ كما في «تخريج الإحياء» (٢/ ٦٤) ـ، وابن عساكر في «التاريخ» (١٤/ ٣٢٨)، **واستنكره** الإمام ابن عدي، **وصحَّحه** الحافظُ العراقي، بينما قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٩٢٨): «**موضوع**»، وحكم عليه **بالبطلان** في «الضعيفة» (١١١٨)، وفي بعض ألفاظِ الحديث: «**خيرُ نساء أمتي أصبَحُهُنَّ وجهًا، وأقلُّهن مهرًا**». [ط]

(٢) الخبر والأبيات في عيون الأخبار (٣/ ١٩٨ ـ خبر: ٥٤٦٥).

(٣) **مُمرِعًا**: خصيبًا. **المنتجع**: النازل الذي تناول من هٰذا المرعى. [ط]

(٨٥٤) وقد قال بعضُ الحكماء: «إياك ومخالطَة النساء؛ فإنَّ لَحْظَ المرأةِ سَهْم، ولفظَها سُم».

(٨٥٥) ورأى بعضُ الحكماء صيَّادًا يُكلِّم امرأةً، فقال: «يا صيَّاد، احذَرْ أن تُصاد».

(٨٥٦) وقال سُليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لابنه: «امشِ وراءَ الأسد، ولا تمشِ وراء المرأة».

(٨٥٧) وسمع عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امرأةً تقول هٰذا البيت:

إنَّ النِّساءَ رياحينٌ خُلِقْنَ لَكُم ... وكلُّكم يَشْتَهِي شَمَّ الرَّياحينِ

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنَّ النِّساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا ... نعوذُ باللَّهِ مِنْ شرِّ الشياطينِ[١]

* وإنْ كان العَقْدُ رغبةً في الدِّين، فهو أوثَقُ العقودِ حالًا، وأدومُها أُلفةً، وأحْمدُها بَدْءً وعاقبةً؛ لأنَّ طالب الدِّين مُتَّبعٌ له، ومن اتَّبع الدِّينَ انتظم أمره، واستقامت حالهُ[٢]، وأمِنَ زَلَلَه.

(٨٥٨) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**فاظْفَرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يداك**»[٣].

وفيه تأويلان:

أحدهما: تربت يداكَ إن لم تظفر بذات الدِّين.

والثاني: أنَّها كلمةٌ تُذكر للمبالغة، ولا يُرادُ بها سُوءٌ، كقولهم: «ما أشجَعَه ـ قاتله اللَّه ـ!».

* وانْ كان العَقْد رغبةً في الألفة، فهٰذا قد يكونُ على أحد وجهين:

ـ إمَّا أن يُقصد به المكاثرةُ باجتماع الفريقين، والمظافرةُ بتناصر الفِئتين.

---

(١) لا أظن أن مثل هٰذا الكلام يخرج من الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والأمر موقوفٌ على صحة الأثر. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: انقاد له فاستقامت له حاله.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم برقم (٨٤٦). [ط]

ـ وإمَّا أن يُقصد به تألُّفُ أعداءٍ متسلِّطين، استكفافًا[١] لعاديَتهم[٢]، وتسكينًا لصَولتهم.

وهٰذان الوجهان قد يكونان في الأماثل، وأهل المنازل.

ودَاعي الوجه الأول: هو الرَّغبة، وداعي الوجه الثاني: هو الرَّهبة، وهُما سببان في غير المتناكِحَيْن، فإن استدام السَّببُ دامت الأُلفة، وإن زال السببُ بزوال الرغبة والرهبةِ خِيف زوالُ الأُلفة، إلَّا أن ينضمَّ اليها أحدُ الأسبابِ الباعثة عليها، والمقوِّية[٣] لها.

* وإن كان العَقْد رغبةً في التعفُّف، فهو الوجْهُ الحقيقيُّ المبتَغى بعقد النكاح[٤]، وما سوى ذٰلك فأسباب مُعَلَّقةٌ عليه، أومضافةٌ إليه.

(٨٥٩) رُوي أنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ [النساء: ١]، قال النبي ﷺ: «**خُلِقَ الرجلُ من التراب؛ فهَمُّه في التراب، وخُلقت المرأةُ من الرجل؛ فهمُّها في الرجل**»[٥].

(٨٦٠) ورَوىَ عطيةُ بن بُسر، عن عكَّاف بن وَدَاعة[٦] الهِلالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال له: «**يا عكَّاف، ألكَ زوجة؟**»، قال: لا، قال: «**فأنتَ ـ إذن ـ من إخوان الشياطين؛ إن كنتَ من رُهْبانِ النَّصارى فالْحَقْ بهم، وإنْ كنتَ منَّا فمِن سُنَّتنا النكاح**»[٧].

---

(١) في المطبوعة والشرح: استكفاء.

(٢) **العادية**: الظلم والعدوان. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: المقربة.

(٤) إن كان دافع التعفف دينيًّا. [ط]

(٥) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الشُّعب» (٧٤١١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤٧١٨)، وقال محقق «الشعب» (١٠/ ٢٢١): «**إسناده منقطع، ولم أعرف شيخ المؤلف**». ولفظ الحديث: «**خُلق الرجل من الأرض، فجُعلت نَهمتُه الأرض، وخُلقت المرأةُ من الرجل؛ فجُعلت نَهمتُها في الرجل؛ فاحبسوا نساءكم**». [ط]

(٦) في المطبوعة والشرح: رفاعة، والتصحيح من كتب الرجال.

(٧) **ضعيف**: رواه عبدالرزاق في «مصنَّفه» (٦/ ١٧١)، وأحمد (٥/ ١٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٨٥)، و«مسند الشاميين» (٣٨١)، وأبـو يعلى (٦٨٥٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥٨١)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٥٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٣)، وابن =

فكان هٰذا القولُ منه ﷺ حثًّا على التعفُّف عن الفساد، وباعثًا على طلب المكاثرة بالأولاد.

(٨٦١) ولهٰذا المعنى كان النبيُّ ﷺ يقول للقُفَّال[1] من غَزْوهم: «**إذا أفضَيْتُم إلى نسائكم، فالكَيْسَ الكَيْسَ**»[2].

يعنى في طلب الولد.

فلزم حينئذٍ في عَقْد التعفُّف تحكيمُ الاختيار فيه، والتماسُ الأدوَم من دواعِيه، وهي نوعان:

- نوعٌ يمكن حَصْرُ شروطه.
- ونوعٌ لا يمكن؛ لاختلافِ أسبابه، وتغاير شروطه.

[شروط حصول العفَّة]:

[أ] فأمَّا الشروط المحصورة فيه، فثلاثة شروط:

أحدها: الدِّين المُفضي إلى السِّترِ، والعَفافُ المُؤدي إلى القناعةِ والكَفاف.

(٨٦٢) قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يَفْرَكْ[3] مؤمنٌ مُؤمِنةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رضي منها خُلُقًا»[4].

(٨٦٣) وخَطَبَ رجلٌ من عبدِاللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتيمةً كانت عنده، فقال: «لا أرضاها لك. قال: ولِمَ! وفي دارك نَشأَتْ؟ قال: إنها تَتَشَرَّف[5]، فقال: لا

= أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤١٠)، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٤٥٩)، والحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٣٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٥/ ٣٥٥). [ط]

(١) أي العائدين.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٧١٥)، وابن حِبَّان (٢٧١٧)، عن جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه أنه ﷺ قال له ـ وهم عائدون من غزوة ـ: «**إذا قَدِمتَ فالكيسَ الكيسَ**». [ط]

(٣) في الشرح: لا يعذل. **والفَرْك**: الكراهية والبغض، كما في لسان العرب (٥/ ١٢٣) ـ باب (فرك).

(٤) **صحيح ـ مرفوعًا ـ**: رواه أحمد (٢/ ٣٢٩)، ومسلم (١٤٦٩)، وأبو يعلى (٦٤١٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٥) أي: تتطلع للرجال. [ط]

أُبالي، فقال: الآن لا أرضاك لها[(١)]».

(٨٦٤) وفي معنى هٰذا قولُ بعض العلماء: «من رَضِيَ بصحبةِ مَن لا خيرَ فيه، لم يرضَ بصُحبته مَن فيه خيرٌ».

والشرط الثاني: العقلُ الباعث على حُسن التقدير، والأمرِ بصواب التدبير.

(٨٦٥) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**العقلُ حيث كان ألوفٌ ومألوف**»[(٢)].

(٨٦٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالودُود الولود، ولا تَنكِحوا الحمقاء؛ فإنَّ صُحبتها بلاءٌ، وولدُها ضَيَاع**[(٣)]»[(٤)].

والشرط الثالث: الأَكْفاءُ الذين ينتفِي بهم العار، ويحصل بهم الاستكثار[(٥)].

---

(١) ما أروعَ مثلَ هٰذا الكلام الصادق! فإن الذي يَرضى بامرأةٍ تتطلعُ للرجال، وتختلطُ بهم، وتأنفُ من البعد عنهم، وصيانةِ نفسها بالعفاف والحجاب؛ من يرضى بمثل تلك المرأة فإنه «ديوثٌ» معدوم الدين والنخوة والرجولة، وقد طفحت الدنيا بمثل هٰؤلاء الذين أعانوا على نشر المفاسد والرذائل، ونسأله تعالى أن يلطف بحالِنا ويَقيَنا فتنة النساء. [ط]

(٢) **باطل**: وقد تقدم معنا تحت الحديث (٣) أنه لا يصحُّ في العقل حديث. [ط]

(٣) ورد الحديث في المصادر بلفظ: «**فإن صحبتها بلاء، وفي ولدها ضياع**». [ط]

(٤) **موضوع**: رواه الديلمي في «الفردوس» (٧٣٣٣)، وأورده الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١٢٧)، وكذا الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٤١)، **وبيَّنا أن في إسناده كذابًا**، وكذا أورده الإمام ابن عرَّاق في «تنزيه الشريعة» (١٤٤). [ط]

وقد أخرج أحمد (٣/ ١٥٨)، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٥٣٤٢)، وفي «الكبرى» (٥٣٢٣)، وابن حبان (٤٠٥٦)، والحاكم (٢/ ١٧٦)، عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يرفعه: «**تزوَّجوا الودودَ الولود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم**»، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، وكذا الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٥) اعلم أخي الحبيب ـ هداك اللَّهُ لرشدك ـ أن أمرَ «الكفاءة» حصل فيه اختلاطٌ عظيم، وقد ذهبت طوائفُ من أهل العلم إلى اعتبار الكفاءة ـ بعد الدين ـ في النسَب، والحِرفة، والحرية، والمال، ولهم في هٰذا تفصيلاتٌ طويلة، ولا يوجد دليلٌ صحيحٌ صريحٌ في اعتبار شيءٍ من تلك الأمور سوى الدين ـ فقط ـ ؛ الذي جَمَع اللَّهُ به الناس ـ على اختلاف أنسابِهم وأعمالِهم وأحوالِهم المادية ـ ، وقد أدَّى اعتبار مثل تلك الأمور ـ العاريةِ عن الدليل ـ إلى ترفُّع الكثير من الناس عن تزويج الأتقياء الصلحاء ـ إذا كانوا متواضعي المعيشةِ والمال ـ ، وصَدق العلامة اليماني الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال ـ بعد أن رجَّح اعتبارَ الكفاءةِ في الدِّين فقط ـ : «وللناس في هٰذه المسألة عجائبُ لا تدورُ على دليلٍ غيرِ الكبرياء والتَّرفُّع، ولا إلٰه إلَّا اللَّه، كم حُرِمَت المؤمناتُ النكاحَ لكبرياءِ الأولياءِ واستعظامِهم لأنفسهم! فاللهمَّ إنَّا نبرأُ إليك من =

(٨٦٧) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَخيَّروا لنُطَفِكُم، ولا تَضَعوها إلَّا في الأَكْفاء**»[١].

(٨٦٨) ورُوي أنَّ أكثَمَ بنَ صَيْفي[٢] قال لولده: «يا بَنيَّ، لا يحمِلنَّكم جمالُ النساء عن صراحةِ النسب؛ فإنَّ المناكِحَ الكريمة مَدْرَجةٌ[٣] للشرف».

(٨٦٩) وقال أبو الأسود الدؤلي لبَنيه: «قد أحسنتُ إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تُولدوا، قالوا: وكيفَ أحسنتَ الينا قبلَ أن نولد؟! قال: اخترتُ لكم من الأمَّهات من لا تُسَبُّون بها».

(٨٧٠) وأنشدَ الرِّياشي:

فأوَّلُ إحساني إليكم تَخيُّري ... لِماجدةِ الأعراقِ بادٍ عفافُها

وقد ينضمُّ إلى هٰذه الشروط من صفاتِ الذاتِ وأحوال النَّفْس: ما يلزمُ التحرُّزُ منهُ؛ لبُعدِ الخير عنه، وقلَّةِ الرُّشْدِ فيه؛ فإنَّ كوامنَ الأخلاق باديةٌ في الصُّور والأشكال.

(٨٧١) كالذي رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لزيدِ بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أتزوَّجْتَ ـ يا**

= شرطٍ ولَّده الهوى وربَّاه الكبرياء» انتهى. «سبل السلام» (٦/ ٥٩). ومن أراد الاستفاضة، فليتفضل بمراجعة كتابي: «عقبات الزواج وأخطارها الكبرى في حياةِ الأمة المسلمة»، تحت عنوان: «بأي شيء تعتبر الكفاءة في النكاح». [ط]

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٤٠٣)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٢٢٥)، والحاكم (٢/ ١٦٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤١٦)، والدَّارَقُطْني (٣/ ٢٩٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٣٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٧)، والخطيب في «التاريخ» (٢/ ٨٠)، وابن الجوزي في «العلل» (١٠٠٩)، عن أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وسكت عليه** الإمام الحاكم، وقد **ضعَّفه** الأئمة ابن عدي، وابن الجوزي، والذهبي، والبوصيري، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، **وصحَّحه** في «الصحيحة» (١٠٦٧)، و«صحيح الجامع» (٢٩٢٨)، **وحسَّنه بطرقه وشواهده** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٣/ ١٤٢). [ط]

(٢) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث، ينتهي إلى عمرو بن تميم، عُمِّر دهرًا طويلًا، أدرك الإسلام، قال ابن عبدالبر: لا يصح إسلام أكثم بن صيفي. ورجح ابن حجر في «الإصابة» أنه ممن أسلم ولم يلق النَّبي ﷺ، وقال أبو حاتم: عاش أكثم ثلاثَمِئةٍ وثلاثين سنة.

(٣) مَدرَجة: طريق. [ط]

زيد ـ ؟»، قال: لا، قال: «**تزوَّجْ تَسْتَعْفِفْ مع عِفَّتك، ولا تتزوجْ مِنَ النساء خَمسًا**»، قال: وما هن ـ يا رسول اللَّه ـ ؟ قال: «**لا تتزوَّج شَهْبَرَةً، ولا لَهْبَرَةً، ولا نَهْبرةً، ولا هَيْذرةً، ولا لَفُوتًا**»، قـال: يا رسـول اللّـه، ما أعرفُ مما قلتَ شيئًا! قال ﷺ: «**أمَّا الشَّهبرة: فالزرقاءُ البَذِيَّة**[١]**، وأمَّا اللَّهبرةُ: فالطويلةُ المهزُولة، وأمَّا النَّهبرةُ: فالعجوزُ المُدْبرة، وأمَّا الهَيذرةُ: فالقصيرةُ الدميمة، وأمَّا اللفوت: فذاتُ الولد من غيرك**»[٢].

(٨٧٢) وقال شيخٌ مِـن بني سُليـمٍ لابنـه: «يا بُنَيَّ، إيـاك والرَّقُـوبَ الغضوبَ القَطُوب».

الرَّقُوب: التي تراقبُه حتى يموت، فتأخذُ ماله.

(٨٧٣) وأوصى بعضُ الأعراب ابنًـا لـه في التزويج، فقال: «إياك والحَنَّانةَ، والمَنَّانة، والأَنَّانة، فالحنَّانة: التي تحِنُّ إلى زوجٍ كان لها، والمنَّانةُ: التي تَمُنُّ على زوجها بمالِها، والأَنَّانةُ: التي تَئِنُّ وتُظهر كسلًا وتمارُضًا».

(٨٧٤) وقال أوفَـى بـن دُلْهُـم[٣]: «النسـاءُ أربع؛ فمِنهُـنَّ مَعْمَـع، لها شيئُها أجمع[٤]، ومنهنَّ مَمْنَع[٥]، تضُرُّ ولا تنفع، ومنهنَّ مَصْدَع، تفرِّق ولا تجمع[٦]، ومنهنَّ غَيثٌ وَقَعَ ببلدة فأمْرَع[٧]»[٨].

---

(١) **البذية**: قليلة الأدب والحياء. ولعله أراد **بالزرقاء**: العبُوس الغضُوبة، فإن وجهها يُظلم وينقلب كما هو معلوم، وقد يكون المقصود: غير النظيفة، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٢) **باطل**: ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٥٦١)، وعلامات البطلان عليه ظاهرة، وحسبُه أن يكون من نصائح بعض البلغاء، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٤) **فالمعمع**: التي لا تواسي غيرها بما عندها. **[ط]**

(٥) أي: متمنِّعة متصلِّبة ـ غير مطيعة ـ. **[ط]**

(٦) أي: تفرِّق ما في البيت، وتتركه خاويًا محتاجًا، أو: تفرق بين الناس وتوقع بينهم العداوات. **[ط]**

(٧) **أمرَعَ**: أنبت أجمل النبات وأحسنه وأشفاه. **[ط]**

(٨) الخبر في عيون الأخبار (٣/ ١٩٣ ـ خبر: ٥٤٤٠).
قلت: وانظر ما قاله الخطاب بن المعلَّى المخزومي في وصيته العظيمة الفائقة لولده؛ كما أوردها الحافظ ابن حبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ في دُرَّتِهِ «روضة العقلاء»، آخر الباب رقم (٣٥) بعنوان: «ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافةً»، ط: دار ابن الجوزي بالدمام. **[ط]**

(٨٧٥) وقال الشاعر:

أَرَى صاحِبَ النِّسوانِ يَحسَبُ أنَّها ... سَــواءٌ وبَــوْنٌ بيــنهُنَّ بَعــيدُ
فمِــنهُنَّ جَــنَّاتٌ تَفِــيءُ ظِلالُهــا ... ومِــنهنَّ نِيــرانٌ لَهُــنَّ وَقُــودُ

(٨٧٦) وأنشد أبو العيناء[1]، عن أبي زيد[2]:

إنَّ النســاءَ كأشــجارٍ نَبــتْنَ مَعًــا ... مِــنهنَّ مُــرٌّ وبعــضُ المــرِّ مأكــولُ
إنَّ النسـاءَ ولـو صُــوِّرْنَ مِـنْ ذهــبٍ ... فـيهنَّ مـن هَفَـواتِ الجَهْـلِ تَخيـلُ
إنَّ النســاءَ متــى يُنْهَــيْنَ عــن خُلُــقٍ ... فإنــه واجــبٌ لابــدَّ مَفعــولُ[3]
وَمَــا وَعَــدْنَك مِــن شــرٍّ وفَــيْنَ بِــهِ ... ومــا وعَــدْنَكَ مِــن خيــرٍ فممطــولُ

[ب] وأمَّا النَّوع الآخر ـ وهو الذي لا يمكن حصر شروطه ـ: فلأنَّه قد يختلفُ باختلاف الأحوال، ويتنقَّلُ بتنقُّل الإنسان والأزمان، وأنه لا يُسْتَغْنَى فيه عن موافقة النفسِ ومتابعةِ الشهوة، ليكون أدومَ لحال الألفة، وأمَدَّ لأسباب الوُصْلة؛ فإنَّ الرأي المعلولَ لا يَبقَى على حاله، والميلَ المدخولَ لا يدومُ على دَخَله، فلابدَّ أن ينتقل إلى إحدى حالتين: إمَّا إلى الزيادة والكمال، وإمَّا إلى النقصان والزوال.

(٨٧٧) حُكيَ أن رجلًا قال لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي أُحبُّك، وأُحِبُّ معاوية، فقال: أمَّا الآن فأنت أعور؛ فإمَّا أن تَبرأَ، وإمَّا أن تَعْمَى[4]».

---

(١) في الأصول: أبو العتاهية: وأبو العيناء هو أبو عبدالله محمد بن القاسم بن ياسر بن سليمان، الهاشمي، الاخباري الأديب الشاعر، توفي عام (٢٨٣).
ترجمته في: معجم الأدباء (٦/ ٢٦٠٢)، تاريخ بغداد (٣/ ١٧٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٣).

(٢) سعيد بن أوس بن ثابت بن قيس بن زيد بن النعمان، أبو زيد الأنصاري، معروف بالعلم والثقة.
ترجمته في: معجم الأدباء (١١/ ٢١٢)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٠).

(٣) واجبٌ: واقعٌ. [ط]

(٤) في هٰذا الكلامِ نظرٌ بيِّن، واللَّهُ أعلم بصحة الأثر عن أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا أعرف ـ حسب علمي القاصر ـ أن أحدًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان يكره أن يُحبَّ أخاه الصحابي ـ وإن اختلف معه في بعض الأمور، وعليٌّ يعرفُ قدْرَ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولم يدْعُ أحدًا لكراهيتِه يومًا ما؛ اللهم =

وإذا كان كذٰلك فلابدَّ من كشف السبب الباعثِ على هٰذا النوع، فإنَّه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يكون العقدُ لطلب الولد، فالأحْمدُ فيه التماسُ الحداثةِ والبَكارة، لأنَّها أخصُّ بالولادة.

(٨٧٨) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالأبكار، فإنَّهن أعذَبُ أفواهًا، وأنتَقُ أرحامًا، وأرضَى باليسير**»[١].

ومعنى قوله: «**أنتق أرحامًا**»: أي أكثر أولادًا.

(٨٧٩) وقال مُعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «عليكم بالأبكار؛ فإنَّهنَّ أكثرُ حياءً، وأقلُّ خِبًّا[٢]».

وهٰذه الحال هي أَوْلى الأحوال الثلاث؛ لأنَّ النكاح موضوعٌ لها، والشرعُ واردٌ بها[٣].

(٨٨٠) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**سَوداءُ ولودٌ خيرٌ من حسناءَ**

= إلا إذا وَرد مثل هٰذا في بعض روايات الشيعة ـ قبَّحهم اللَّهُ ـ، والتي أفسَدوا بها قلوبَ وعقول الذين لا يفقهون، فنسأله تعالى العلمَ النافع والعمل الصالح؛ آمين. **[ط]**

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٨٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠)، و«الأوسط» (٤٥٥)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٨١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٤٧)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٨٨)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (١٠/ ١٦٣)، عن عويم بن ساعدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد **ضعَّفه** الإمام البوصيري، والشيخ شعيب الأرنؤوط، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ الفقيه عبدالرحيم الطحان في محاضرته النفيسة: «وصف الحوريات»، لٰكن ذكر الشيخ مصطفى بن العدوي في كتابه القيِّم «جامع أحكام النساء» (٣/ ٢٠٧) أنه تتبَّعَ طُرُقَ الحديث، فرآها شديدةَ الضعف، لا يصلحُ الحديثُ معها للتحسين؛ فاللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٢) **الخِبُّ**: الخداع. وحقيقةً أقول ـ معشرَ الأفاضل ـ فإن الأمرَ ـ خاصةً في أزماننا الأليمة هٰذه ـ لا يوزنُ بالبكارة أو الثيوبة، وإنما الميزان السديد في هٰذا هو تربيةُ النساء ـ ثيباتٍ وأبكارًا ـ على الدين الصحيح والأخلاق الحميدة، وبِهٰذا ـ فقط ـ تكون المرأة أغلى من الدنيا وما فيها. **[ط]**

(٣) تتابع الكثيرُ من العلماء على قول: «إن الزواج إنما وُضع في الأصل من أجل النسل»؛ لٰكن لنعلم أن هٰذا ليس الغايةَ العظمى من الزواج؛ بل المطلوب الأسمى هو إقامة العبودية لربِّ البرية، وإنشاءُ أجيالٍ لا تقدِّم على دين ربِّها شيئًا ـ كائنًا ما كان ـ. **[ط]**

عاقر»[(١)].

(٨٨١) والعرب تقول في أمثالها: «مَن لم يَلد فلا وُلد[(٢)]».

وقد كانوا يختارون لمثل هٰذه الحال نكاحَ البعداءِ الأجانب، ويرَون أن ذٰلك أنجبُ للولد، وأبْهَى للخِلقة، ويجتنبون نكاحَ الأهل والأقارب، ويرَونه مُضوِيًا[(٣)] لخَلْق الولد، بعيدًا من نجابته.

(٨٨٢) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «اغْتَرِبُوا؛ لا تُضْوُوا[(٤)]»[(٥)].

(٨٨٣) ورُوي عن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «يا بني السائب، قد

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ١١١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤١٦)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٥٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٥٨)، وتمَّام في «الفوائد» (١٤٦٣)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٤/ ٥٠)، عن معاوية بن حَيْدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٧)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٥٨): «فيه عليُّ بن الربيع، وهو ضعيف»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٢٩١)، و«الضعيفة» (٣٢٦٧). [ط]

(٢) أي: سينقطع أثره في الحياة، فكأنه لم يولد أصلًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) **مُضويًا**: مضعفًا. [ط]

(٤) ذهبت طائفةٌ من العلماء إلى كراهةِ زواج القرابةِ القريبة ـ دون القرابة البعيدة ـ، واعتمد أكثرُهم على هٰذا الحديث الباطل، ولا ريب أنه لا يجوزُ إقامةُ الأحكام الشرعية على الضعيف، فما بالُنا بما كان باطلًا أو موضوعًا؟! ولعلَّ الأقربَ ـ نسبيًّا ـ في تعليل كراهةِ زواج الأقارب ما قاله بعض العلماء من أنه قد يكون سببًا في قطيعة الرحم، وإلا فالأصلُ أنه لا كراهة فيه، بل قد يكون سببًا لمزيدٍ من التقارب والتعاضُد؛ وأبلغ ردٌّ في هٰذا هو زواج عليٍّ من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ وهما قرابةٌ قريبة ـ! وعليه فيكون ميزانُ الزواج والاختيار دومًا هو الدين والخُلق.
وهاهو الإمامُ ابنُ حزم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «أسلمُ المُصاهَرةِ مغبةً مصاهرةُ الأهلينَ بعضِهم بعضًا؛ لأن القرابةَ تقتضي العَدلَ ـ وإن كرِهوه ـ، لأنهم مضطرُّون إلى ما لا انفكاكَ لهم منه من الاجتماع في النسَب الذي توجبُ الطبيعةُ لكلِّ أحدٍ الذبَّ عنه والحمايةَ له». «الأخلاق والسِّيَر في مداواة النفوس» (ص٦٥ بعنايتي ـ ط: دار ابن الجوزي بالدمام). [ط]

(٥) **لا أصل له**: ويروى ـ أيضًا ـ بلفظ: «**لا تَنكِحوا القرابةَ؛ فإن الولدَ يُخلَقُ ضاويًا**»، قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن الصلاح: «**لم أجد له أصلًا معتمدًا**». قلت: إنما يُعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب: «قد أضويتُم؛ فانكحوا في النوابغ»؛ رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» [٢/ ٣٧٨]، وقال: معناه: تزوجوا الغرائب. قال: ويقال: (اغربوا لا تضووا)». «تخريج الإحياء» (٢/ ٤١). [ط]

ضَويتم، فانكحوا في الغرائب»[١].

(٨٨٤) وقال الشاعر:

تَجاوزتُ بنتَ العمِّ وَهْيَ حَبيبةٌ　　مخافةَ أن تُضوي عليَّ سَلِيلي[٢]

وكان حكماءُ المتقدمينَ يَرَوْن أن أنجبَ الأولاد خَلقًا وخُلُقًا من كان سنُّ أمه ما بين العشرين والثلاثين، وسنُّ أبيه ما بين الثلاثين والخمسين.

(٨٨٥) والعربُ تقول: «إنَّ ولد الغَيْرَى لا يَنْجُب[٣]، وأنَّ أنجَبَ النساءِ الفَرُوك[٤]؛ لأنَّ الرجلَ يغلبُها على الشهوةِ لزهدِها في الرجال».

(٨٨٦) وقالوا: «إنَّ الرجلَ إذا أكره المرأةَ[٥] وهي مَذْعورة، ثم أدركتْ أنجبَتْ[٦]»[٧].

والحالة الثانية: أن يكون المقصودُ به القيامَ بما يتولَّاه النساءُ من تدبير المنازل، فهٰذا ـ وإن كان مختصًّا بمُعَاناة النساء ـ، فليس بألزَمَ حالتي الزَّوجات؛ لأنَّه قد يجوز أن يعانيَه غيرُهن من النساء.

(٨٨٧) ولذٰلك قيل: «المرأةُ رَيحانة، وليست بقَهْرمانة[٨]»

وليس في هٰذا القصد تأثيرٌ في دينٍ ولا قَدْحٌ في مُروءة، والأحمدُ في مثل هٰذا التماسُ ذواتِ الأسنانِ والحُنكةِ ممَّن قد خَبِرْنَ تدبيرَ المنازل، وعرَفن عاداتِ الرجال، فإنَّهنَّ أقومُ بِهٰذه الحال.

والحالة الثالثة: أن يكون المقصودُ به الاستمتاعَ، وهي أذمُّ الأحوالِ الثلاث،

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٨٠). وانظر: تخريج الحديث السابق.

(٢) **سليلي**: ولدي. [ط]

(٣) **ينجُب**: يخرج نجيبًا ذكيًّا. [ط]

(٤) **الفَروك**: البغيضة لزوجها، أي لكراهتها للفحولة «الجماع».

(٥) أي: على الجِماع. [ط]

(٦) **أدركت**: أنزلت. وهٰذا الكلام ـ من إكراه المرأة ـ كلامٌ غريب، وليس قاعدةً مضطردةً. [ط]

(٧) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٧٩ ـ خبر: ٢٣٦٥).

(٨) في حاشية المطبوعة: هي المرأة المختصة بإدارة شؤون المنزل. وفي لسان العرب (٥/ ٣٣٥): هو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده، والقائم بأمور الرجل، بلغة الفرس.

وأوهنُها للمروءة؛ لأنَّه ينقادُ فيه لأخلاقِه البهيمية، ويتابعُ شهواته الذَّميمة[١].

(٨٨٨) وقد قال الحـارثُ بـن النضْر الأزْدِي[٢]: «شرُّ النكاح نكاح الغُلْمة[٣]؛ إلَّا أن يفعل ذٰلك لكسر الشهوةِ وقهرِها، بالإضعافِ لها عند الغلَبة، أو تسكينِ النفس عند المنازعة، حتى لا تطمحَ له عينٌ لِريبة، ولا تنازِعَه نفسٌ إلى فجور، ولا يلحقَه في ذٰلك ذَم، ولا يناله وَصْم، فهو بالحمد أجدر، وبالثناء أحق».

ولو تنزَّه ـ في مثل هٰذه الحال ـ عـن استبـدالِ الحـرائر إلى الإماءِ كان أكمل لمروءته، وأبلغ في صيانته[٤].

وهٰذه الحالُ تقفُو[٥] على شهوات النفس، لا يمكن أن يُرجَّح فيها أَوْلَى الأُمور، ثم هي أخطرُ الأحوالِ بالمنكوحة، لأنَّ للشهواتِ غاياتٍ متناهية، يزولُ بزوالها ما كان متعلقًا بها، فتصيرُ الشهوةُ في الابتداءِ كراهيةً في الانتهاء، ولذٰلك كَرِهت العربُ البنات، ووَأَدَتْهُنَّ إشفاقًا عليهن، وحَمِيةً لهن من أن يبتذِلَهنَّ اللئامُ بِهٰذه الحال، وكان مَن تَخوَّف مِن قتل البنات ـ لرقةٍ أو محبةٍ ـ كان موتُهنَّ أحبَّ إليه، وآثر عندهُ.

(٨٨٩) خُطِبَ إلى عَقيل بن عُلَّفة[٦] ابنته «الجَرْباء»، فقال مرتجزًا:

---

(١) هٰذا الكلامُ إنما قيل بالمقارنةِ مع المطالب السامية من الزواج ـ وعلى رأسها تحقيق العبودية ونشر الدين الحق بين الناس ـ ، ولٰكن حتى على هٰذا فلا يُعدُّ مجرد الاستمتاع الحلال بالنساء سُبَّةً ولا أمرً بَهيميًّا، ولا أعلم أن رسولَ اللَّه ﷺ ولا صحابتَه الكرام قالوا مثل هٰذه الأقوال، والعلمُ عند أحكم الحاكمين. [ط]

(٢) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٣) **الغُلْمة**: شدة الشهوة للجماع.

(٤) بل زواج الحرائر خيرٌ على كلِّ حال، ويكفي أن العبد ـ ولو تزوج لمجرد إشباع الشهوة ـ ، فإنه يحصن امرأةً مسلمة ـ أو أكثر ـ ، وينفق عليها ويصونُها، وينجب منها الذراري التي تعبدُ اللَّهَ تعالى وتقيم أنوار الدين في المشارق والمغارب. [ط]

(٥) **تقفو**: تتبع. [ط]

(٦) عقيل بن عُلَّفة بن الحارث اليربوعي، من شعراء الدولة الأموية، وكان أعرج جافيًا، شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه، وهو من بيتِ شرفٍ في قومه من كلا طرفيه، وكان لا يُرى له كُفءٌ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته، تزوج يزيد بن عبدالملك ابنته الجرباء.
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٢٠/ ٢٤٦)، معجم الشعراء (ص٣١٠)، الأغاني (١٢/ ٢٥٧).

إنِّــي وإن سِــيقَ إلــيَّ المهــرُ
ألــفٌ وعــبدانٌ وذَودٌ عَــشْرُ(١)
أحَــبُّ أصــهاري إلــيَّ القَبْــرُ

(٨٩٠) وقال عُبيدُاللَّه بن عبداللَّه بن طاهر(٢):

لكـلِّ أبـي بـنتٍ يُراعـي شؤونَها ... ثلاثـةُ أصـهارٍ إذا حُمِـدَ الـصِّهْرُ
فـبعلٌ يُـراعيها، وخِـدْرٌ يُكِـنُّها ... وقبـرٌ يُـواريها، وخيرُهمُ القبْرُ(٣)

❁ ❁ ❁

(١) الذَّوْد: الإبل ما بين الثلاث إلى العشر. [ط]
(٢) أبو أحمد عبيداللَّه بن عبداللَّه بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان شاعرًا لطيفًا مترسلًا، حسن المقاصد، جيد السبك، رقيق الحاشية، توفي عام (٣٠٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٠)، الأغاني (٩/ ٣٩)، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٠).
(٣) البَعْل: السيد ـ وهو الزوج ـ . والخِدْر: السِّتر. يُكنُّها: يسترها. [ط]

فصل

٤ ـ وأما المؤاخاةُ بالمودَّة ـ وهي الرابعُ من أسباب الألفة ـ:

فلأنَّها تُكْسِبُ بصادقِ الميل إخلاصًا ومُصافاةً، وتُحدِثُ بخلوص المصافاة وفاءً ومُحاماةً، وهٰذه[1] أعلى مراتب الألفة، ولذٰلك آخى رسولُ اللَّه ﷺ بين أصحابه؛ لتزيدَ أُلفتُهم، ويَقوَى تضافُرُهم وتناصُرُهم.

(٨٩١) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بإخوان الصِّدق؛ فإنَّهم زينةٌ في الرَّخاء، وعِصْمَةٌ في البلاء**»[2].

(٨٩٢) ورَوَى أبو الزُّبير، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي ﷺ قال: «**المرءُ كثيرٌ بأخيه، ولا خيرَ في صُحبةِ مَن لا يَرَى لك منَ الحقِّ مثلَما تَرى له**»[3].

(٨٩٣) وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقاءُ الإخوان جَلاء للأحزان»[4].

(٨٩٤) وقال خالدُ بن صفوان: «إنَّ أعجزَ الناسِ مَن قصَّر في طلب الإخوان، وأعجزَ منه مَن ضَيَّع مَن ظَفِر به منهم»[5].

---

(١) في المطبوعة والشرح: وهٰذا.

(٢) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم.
وأخرجه ـ بنحوه ـ ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٣٥)، وفي «المتحابين في اللَّه» (٨٠)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٠/ ٣٦٣) و(٤٤/ ٣٥٩)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وروى ـ نحوه ـ البيهقي في «الشُّعب» (٧٩٩٢) ـ في ضمن حديث ـ، من طريق سعيد بن المسيب أنه كتب له بعض إخوانه من أصحاب النبي ﷺ، وقال محقق «الشعب» (١٠/ ٥٥٩): «**في إسناده من لم أجد له ترجمة**». [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه الخطابي في «العزلة» (٦٥ ـ تهذيبي)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٥)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ١٢٨)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» (٩٠٧)، والدُّولابي في «الكُنى» (٩٤٩)، وأبو الشيخ في أمثال الحديث (٤٩)، وفي «أحاديث أبي الزبير عن غير جابر» (٢٣)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/ ١٤١)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٩٦)، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ بدر البدر ـ في تحقيق «أحاديث أبي الزبير عن غير جابر». [ط]

(٤) أورد ابن أبي الدنيا في الإخوان (٩٤) عن أكثم بن صيفي: «لقاء الأحبة مَسلاةٌ للهمِّ».

(٥) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤٠٥ ـ خبر: ٣٨٤٦) غير منسوبة.

(٨٩٥) وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنِه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا بُني، الغريبُ مَن ليس له حَبيب».

(٨٩٦) وقال ابنُ المعتز: «مَن اتخذ إخوانًا كانوا له أعوانًا».

(٨٩٧) وقال بعضُ الأدباء: «أفضَلُ الذخائر أخٌ وفِيٌّ».

(٨٩٨) وقال بعضُ البلغاء: «صديقٌ مُساعد عَضُدٌ وسَاعِد».

(٨٩٩) وقال بعضُ الشعراء:

هُمُوم رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ ... وهَمِّي منَ الدنيا صديقٌ مُسَاعِدُ
نكونُ كرُوحٍ بين جِسمَين قُسِّمَتْ ... فجسماهما جسمانِ والرُّوحُ واحدُ

(٩٠٠) وقيل: «إنَّما سُمِّي الصَّديق «صديقًا» لِصِدْقه، والعدوُّ «عدوًّا» لعَدْوه[1] عليك».

(٩٠١) وقال ثعلب[2]: «إنَّما سُمى الخليل «خليلًا» لأنَّ محبَّته تتخلَّل القَلْبَ، فلا تَدَعُ فيه خَلَلًا إلَّا مَلأته».

(٩٠٢) وأنشد بشارُ بن بُرْد:

قد تخلَّلْتِ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِني ... وبه سُمِّيَ الخليلُ خَلِيلَا

[نوعا المؤاخاة]:

والمؤاخاة في الناس قد تكون على[3] وجهين:

أحدهما: أُخُوَّةٌ مُكتسَبةٌ بالاتفاقِ الجاري مَجرَى الاضطرار.

والثانية: مكتسبةٌ بالقَصْد والاختيار.

- فأمَّا المكتسبة بالاتفاق: فهي أوكَدُ حالًا، لأنَّها تنعقدُ عن أسبابٍ تقودُ إليها.

---

(١) **العَدْو**: المسارعة في العدوان. [ط]

(٢) أبو العباس ثعلب بن أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني البغدادي، إمام الكوفيين في النحو واللغة والديانة، توفي عام (٢٩١).
ترجمته في: معجم الأدباء (٢/ ٥٣٦)، تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤)، وفيات الأعيان (١/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: من.

ـ والمكتسبةُ بالقَصْد تُعْقَد لها أسبابٌ تنقادُ إليها، وما كان جاريًا بالطبع فهو ألزمُ مما هو حادثٌ بالقصد.

ونحن نبدأ بالوجه الأوَّل المكتسب بالاتفاق، ثم نُعْقِبُهُ بالوجه الثاني المكتسب بالقصد.

[١] **أمَّا المكتسب بالاتفاق**: فله أسباب نبتدئُ بها، ثم ننتقلُ في غايةِ أحواله المحدودةِ إلى سبع مراتب، ربما استكملهن، وربما وقف على بعضهنَّ؛ ولكل مرتبةٍ من ذٰلك حكمٌ خاصٌّ، وسببٌ موجِب.

(٩٠٣) قال الشاعر:

مـا هَـوًى إلا لــه سـببُ ... يــبدي مــنهُ ويَنــشعِبُ

[أسبابُ الإخاء]:

١ ـ فأولُ أسباب الإخاء: التجانس في حالٍ يجتمعانِ فيها، ويأتلفانِ بها، فإنْ قَوِيَ التجانسُ قويَ الائتلافُ به، وإن ضعُف كان ضعيفًا، ما لم تَحدُث عِلَّةٌ أخرى يَقوَى بها الائتلاف، وإنَّما كان كذٰلك لأنَّ الائتلافَ بالتشاكل، والتشاكلَ بالتجانس، فإذا عُدِمَ التجانسُ من وجه، انتفَى التشاكلُ من كُلِّ وجه، ومع انتفاءِ التشاكُل يُعدم الائتلاف، فثَبت أنَّ التجانس ـ وإن تنوَّع ـ أصلُ الإخاء، وقاعدةُ الائتلاف.

(٩٠٤) وقد رَوى يحيى بن سعيد، عن عَمْرة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ، وماتناكَرَ منها اختلف**»[١].

وهٰذا واضح، وهي بالتجانس متعارفة، وبفَقدِهِ مُتناكِرة.

(٩٠٥) وقيل في منثور الحكم: «الأضدادُ لا تتفق، والأشكالُ لا تفترق».

(٩٠٦) وقال بعض الحكماء: «بحُسْنِ تشاكُل الإخوان يَلْبَثُ التَّواصُل».

(٩٠٧) وقال بعض الشعراء:

فــلا تَحتقـرْ نفسِي وأنْـتَ خلـيلُها ... فكُـلُّ امـرئٍ يصبُو إلى مَنْ يُجانسُ[٢]

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، والبيهقي (٨٦١٩)، وأبو يعلى (٤٣٨١). [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: يشاكل.

(٩٠٨) وقال آخر:

فقلتُ: أخي، قالوا: أخٌ من قَرَابةٍ؟ فقلت لهم: إن الشُّكُولَ أقاربُ

نسيبي في رأيي وعَزْمي وهِمَّتي وإن فرَّقَتْنا في الأصولِ المَناسبُ

٢ ـ ثمَّ يحدُث بالتجانس المواصلةُ بين المتجانسين، وهي الرتبة الثانية من رتب الإخاء[١]، وسببُ المواصلةِ بينهما وجودُ الاتفاق منهما، فصارت المواصلةُ نتيجةَ التجانس، والسببُ فيه وجودُ الاتفاق؛ لأنَّ عدم الاتفاق مُنفِّر.

(٩٠٩) وقد قال الشاعر:

الناسُ إنْ وافقتَهُم عَذُبُوا أَوْ لا فإنَّ جَناهُم مُرُّ

كَمْ من رياضٍ لا أنيسَ بها تُرِكَتْ لأنَّ طريقَها وعْرُ

٣ ـ ثم يحدُث عن المواصلة رُتبةٌ ثالثة، وهي المؤانسة، وسببُها الانبساط.

٤ ـ ثم يحدُث عن المؤانسةِ رتبةٌ رابعة، وهي المصافاة، وسببُها خُلوص النِّية.

٥ ـ ثم يحدث عن المصافاة رتبةٌ خامسة، وهي المودَّة، وسببُها الثقة، وهٰذه الرتبةُ هي أدنى الكمال في أحوال الإخاء، وما قبلها أسبابٌ تعودُ إليها؛ فإنِ اقترن بها المعاضدةُ فهي الصداقة.

٦ ـ ثم يحدُث عن المودَّة رتبةٌ سادسة، وهي المحبَّة، وسببُها الاستحسان.

٧ ـ فإن كان الاستحسانُ لفضائل النفسِ، حدثت منه رتبةٌ سابعة، وهي الإعظام.

٨ ـ وإن كان الاستحسانُ للصورة والحركات، حَدثت منه رتبةٌ ثامنة، وهي العِشق، وسببه الطَّمَع.

(٩١٠) وقد قال المأمون:

أوَّلُ العِشْقِ مُزاحٌ وَوَلَعْ ثمَّ يزدادُ إذا ازداد الطَّمَعْ[٢]

(١) في المطبوعة والشرح: وهي المرتبة الثانية من مراتب الإخاء.

(٢) في المطبوعة والشرح: ثم يزداد إذا زاد الطمع.

كُـلُّ مَـنْ يَهوَى وإن عالَتْ به　　رتـبةُ المُلْـكِ لمـن يَهوَى تَبَعْ

وهٰذه الرتبة هي آخِرُ الرُّتَب المحدودة، وليس لمَا جاوَزَها رتبةٌ مُقدَّرة، ولا حالةٌ محدودة؛ لأنَّها قد تؤدِّي إلى ممازجةِ النفوس ـ وإن تميَّزت ذواتُها ـ، وتفضِي إلى مُخالطةِ الأرواح ـ وإن تفارقت أجسادُها ـ؛ وهٰذه حالةٌ لا يُمكن حصرُ غايتها، ولا الوقوف عند نهايتها.

(٩١١) وقد قال الكِندِي: «الصَّديقُ إنسانٌ هو أنتَ؛ إلَّا أنه غيرُك».

(٩١٢) ومثلُ هٰذا القولِ مرويٌّ عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين أقطَعَ طلحةَ بن عُبيدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرضًا، وكتب لهُ بها كتابًا، وأشهد فيه ناسًا ـ منهم عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، فأتى طلحةُ بكتابه إلى عُمرَ ليختِمَه، فامتنع عليه، فرجع طلحةُ مُغضَبًا إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «واللَّهِ ما أدري أنتَ الخليفةُ أم عُمر؟ فقال: بل عُمر، ولٰكنَّه أنا».

[٢] **وأما المكتَسَبةُ بالقصد:** فلابدَّ لها من داعٍ يدعو إليها، وباعثٍ يبعث عليها، وقد يكون الداعي إليها من وجهين: رَغبةٍ وفاقة.

[أ] **فأمَّا الرَّغبةُ:** فهي أن يَظهرَ من الإنسان فضائلُ تبعَثُ على إخائه، ويُتوسَّم بجميلٍ يدعو إلى اصطفائه.

وهٰذه الحالةُ أقوى منَ التي بعدها؛ لظهورِ الصفاتِ المطلوبةِ من غير تكلُّفٍ لطلبها، وإنَّما يُخاف عليها من الاغترار بالتصنع[1] لها، فليس كُلُّ من أظهر الخير كان من أهله، ولا كُلُّ مَن تخلَّق بالحُسنى كان من طبعِهِ، والمتكلِّفُ للشيء منافٍ له، إلَّا أن يدُومَ عليه مستحسِنًا له في العقل، أو مُتديِّنًا به في الشرع، فيصير مُتطبِّعًا به ـ لا مطبوعًا عليه ـ:

(٩١٣) لأنَّه قد تقدَّم من كلام الحكماء: «ليس في الطبع أن يكون ما ليس في التطبُّع».

ثم أقول: من المُتعذِّر أن تكون أخلاقُ الفاضل كاملةً بالطبع، وإنَّما الأغلبُ أن

---

(١) في الأصل: بالتضييع.

يكونَ بعضُ فضائلِه بالطبع، وبعضُها بالتطبُّع الجاري بالعادةِ مَجرَى الطبع؛ حتَّى يصيرَ ما تطبَّع به في العادةِ أغلبَ عليه مما كان مطبوعًا عليه إذا خالف العادة.

(٩١٤) ولذٰلك قيل: «العادةُ طبعٌ ثانٍ».

(٩١٥) وقال ابنُ الرومي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلـمْ بـأن الـناسَ مـن طِيـنةٍ ... يصدُق في الثَّلْب لها الثالبُ[1]

لـولا عـلاجُ الـنَّاسِ أخلاقَهُـم ... إذًا لَفـاحَ الحَمَـأُ الـلَّازِبُ[2]

[ب] **وأمَّا الفاقة**: فهي أن يفتقرَ الإنسان ـ لوحشةِ انفراده، ومهانةِ وِحْدتِه ـ إلى اصطفاءِ مَن يأنسُ بمؤاخاته، ويَثِقُ بمعاضدته[3] وموالاته.

(٩١٦) وقد قالت الحكماء: «مَن لم يرغبْ في ثلاثٍ بُلِيَ بستٍّ: من لم يرغَبْ في الإخوان بُلِيَ بالعدواة والخِذْلان، ومَن لم يرغب في السَّلامة بُلِيَ بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغبْ في المعروف بُلِيَ بالندامة والخُسْران».

ولَعمري إنَّ إخوانَ الصِّدق من أنفس الذَّخائرِ وأفضَل العُدَد؛ لأنَّهم سُهْمان[4] النفوس، وأولياءُ النوائب.

(٩١٧) وقد قالت الحكماء: «رُبَّ صديقٍ أَودُّ من شقيق».

(٩١٨) وقيل لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيُّ[5] الناس أحبُّ إليك؟ قال: صديقٌ يُحَبِّبنى إلى الناس».

(٩١٩) وقال ابنُ المعتز: «القريبُ بعداوته بعيد، والبعيدُ بمودَّته قريب».

(٩٢٠) وقال الشاعر:

لَمَـــودَّةٌ مِمَّـــن يُحِـــبُّكَ مُخْلِـصًا ... خيرٌ منَ الرَّحِم القريبِ الكاشحِ[6]

---

(١) **الثَّلْب**: العيب والانتقاص. [ط]

(٢) **الحَمأ**: الطين. **اللازب**: الذي يلتصق باليد. ويقصد ظهور الأخلاق القبيحة. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: بنصرته.

(٤) **سُهمان**: جَمع «سهم»، وهو النصيب والحظ. وفي الشرح: سهماء ـ كرُحَماء ـ ؛ حَمْلًا على مرادفِه؛ الذي هو النصيب.

(٥) في المطبوعة والشرح: أيما.

(٦) **الكاشح**: الحاقد. [ط]

(٩٢١) وقال آخر:

يخُونك ذو القُربَى مِرَارًا ورُبَّما ... وفَّى لك عندَ العَهْدِ مَن لا تناسِبُه[١]

فإذا عَزم على اصطفاء الإخوان سَبَرَ أحوالهم قبل إخائهم، وكشَفَ عن أخلاقهم قبل اصطفائهم.

(٩٢٢) لِما تقدَّم من قول الحكماء: «اسْبُرْ تَخْبُرْ».

ولم[٢] تبعثْه الوحدةُ على الإقدام قبل الخبرة، ولا حُسْنُ الظنِّ على الاغترارِ بالتصنُّع، فإنَّ المَلَقَ[٣] مصائدُ العقول، والنِّفاقَ تدليس الفِطَن، وهما سجيَّتا المتصنِّع، وليس فيمن يكون النِّفاقُ والمَلقُ بعضُ سجاياه: خيرٌ يُرجى، ولاصلاحٌ يؤمَّل.

(٩٢٣) ولذٰلك[٤] قالت الحكماء: «اعرف الرجلَ من فِعلِهِ لا من كلامه، واعرفْ محبَّتَه من عينِهِ لا من لسانه».

(٩٢٤) وقال خالدُ بن صفوان: «إنَّما نَفَقْتُ عند إخواني[٥] لأني لم أستعملْ معهم النِّفاق، ولا قصَّرْت بهم عن الاستحقاق».

(٩٢٥) وقال حَمَّاد عَجْرَد[٦]:

كم من أخٍ لكَ ليس تُنكرهُ ... ما دُمْتَ من دنياك في يُسْرِ
مُتَصَنِّعٍ لكَ في مَوَدَّته ... يلقاكَ بالتَّرحيبِ والبِشرِ
فإذا عدا والدَّهرُ ذو غِيَرٍ ... دَهْرٌ عليك عدا مع الدَّهرِ

---

(١) تُناسبه: تمتُّ إليه بنسب. [ط]
(٢) في المطبوعة والشرح: ولا.
(٣) المَلَق: التودد والتذلل. [ط]
(٤) في المطبوعة والشرح: ولأجل ذٰلك.
(٥) في الشرح: إنما أنفقت على إخواني.
(٦) حَمَّاد بن عمر بن يونس بن كُليب الكوفي، المعروف بحماد عجرد، كان ماجنًا خليعًا ظريفًا، متهمًا في دينه بالزندقة تُوفي عام (١٦١).
ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١١٩٦)، الوافي بالوفيات (١٣/ ١٤٢).

فــارفُضْ بإجمــالٍ مــودَّةَ مَــنْ　　يقلـي المُقِلَّ ويعشقُ المُثري[١]
وعلــيكَ مَــنْ حــالاهُ واحــدةٌ　　في العُــسر إمَّـا كُنتَ واليُسرِ[٢]

على أنَّ الإنسان موسومٌ بسِيماءِ مَنْ قارَب، ومنسوبٌ إليه أفاعيلُ من صاحبَ.

(٩٢٦) قال رسول اللَّه ﷺ: «المَرْءُ مع مَن أَحَبَّ»[٣].

(٩٢٧) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصاحبُ مُناسِب».

(٩٢٨) وقال عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما من شيءٍ أدلُّ على شيء ـ ولا الدُّخانُ على النَّار ـ منَ الصاحِب على الصاحِب».

(٩٢٩) وقال بعضُ الحكماء: «اعرف أخاك بأخيه قَبْلَك[٤]».

(٩٣٠) وقال بعضُ الأدباء: «يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بقرينه».

(٩٣١) وقال عَدِيُّ بن زيد[٥]:

عَـنْ المَـرْءِ لا تـسأَلْ وسَـلْ عَـنْ قَرِينهِ　　فــإن القــرين بالمُقــارنِ يَقْــتَدِي
إذا كُـنتَ في قـومٍ فـصاحبْ خـيارَهُمْ　　ولا تَـصْحبِ الأَرْدَى فَتَـرْدَى مع الرَّدِي

فلزِمَ من هٰذا الوجه ـ أيضًا ـ أن يتحرَّز من دُخَلاءِ أهلِ السُّوء، ويُجانبَ صُحبةَ أهل الرَّيب؛ ليكون موفورَ العِرْضِ سليمَ الغَيْب، فلا يُلام بملامةِ غيره، وهٰذا قبل التثبُّت والارتياءِ[٦] ومداومةِ الاختبارِ والابتلاءِ متعذِّرٌ؛ بل مفقود.

---

(١) يَقلي: يكره. [ط]

(٢) الأبيات في عيون الأخبار (٣/ ٤٩٥)، وفي الشعر والشعراء (٢/ ٧٨٠).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٩٢)، والبخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠)، عن عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي الباب عن أنس وأبي موسى الأشعري وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [ط]

(٤) لأن المرء متطبعٌ بطبع خليله، والاختيارُ دليلٌ على ما في القلب؛ فإذا كان يصاحبُ أهل التُّقى والخيرِ فحيَّهلًا به، وإن كانت الأخرى فاهرب منه كما تهربُ مِن لهيب النيران. [ط]

(٥) عدي بن زيد بن حَمَّاد بن زيد بن أيوب التميمي، شاعر من شعراء الجاهلية، كان نصرانيًّا.
ترجمته في: الأغاني (٢/ ٩٧)، تاريخ دمشق (٤٠/ ١٠٤). والأبيات في ترجمته في التاريخ (٤٠/ ١٢٤).

(٦) الارتياء: الرؤية والنظر. [ط]

وقد ضرب ذو الرُّمَّة[(١)] مَثَلًا بالماءِ فيمن حَسُن ظاهره، وخَبُث باطنه.

(٩٣٢) فقال:

ألم تَرَ أنَّ الماء يَخبُثُ طَعمُهُ ... وإنْ كان لونُ الماءِ أبيَضَ صافيًا!

(٩٣٣) ونظر بعضُ الحكماء إلى رجلٍ سَوءٍ حَسَنِ الوجه، فقال: «أمَّا البيتُ فحَسَن، وأمَّا الساكنُ فرديء».

(٩٣٤) فأخذ جَحْظَةُ[(٢)] هٰذا المعنى، فقال:

رَبِّ ما أبينَ التَّبايُنَ فيهِ ... منزِلٌ عامِرٌ وعقلٌ خَرابُ!

(٩٣٥) وأنشدني بعض أهل العلم:

لا تَركَنَنَّ إلى ذي مَنْظَرٍ حسَنٍ ... فرُبَّ رائقةٍ قد ساءَ مَخْبرُها

ما كُلُّ أصفَرَ دِينارٌ لصُفرتِهِ ... صُفْرُ العقاربِ أدهاها[(٣)] وأنكرُها

(٩٣٦) وقال بعض الحكماء[(٤)]: «من لم يُقدِّم الامتحان قبلَ الثِّقة، والثِّقةَ قبلَ الأُنس، أثمرَتْ مودَّتُه ندَمًا».

(٩٣٧) وقال بعضُ البلغاء: «مُصارَمةٌ[(٥)] قبلَ اختبار، أفضلُ من مؤاخاةٍ على اغترار».

(٩٣٨) وقال بعضُ الأدباء: «لا تثِقْ بالصديقِ قبل الخِبْرة، ولا تُوقِع بالعدوِّ

(١) أبو الحارث غَيلان بن عقبة بن بَهيش بن مسعود بن حارثة، الشاعر المشهور، المعروف بذي الرُّمة، أحد فحول الشعراء، توفي عام (١١٧).
ترجمته في: الأغاني (١٧/ ٣٠٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١١). والأبيات في ترجمته في الوفيات (٤/ ١٢).

(٢) أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو الحسن، المعروف بجحظة البرمكي النديم. كان فاضلًا صاحب فنون وأخبار ونوادر، وكان من ظرفاء عصره، توفي عام (٣٢٦).
ترجمته في: معجم الأدباء (٢/ ٢٤١)، وفيات الأعيان (١/ ١٣٣)، شذرات الذهب (٤/ ١٢٧).

(٣) في المطبوعة والشرح: أرداها، وقال في الشرح (ص٣٠٠): من الردى، أي أسرعها إهلاكًا وأخبثها سمًا.

(٤) في المطبوعة والشرح: ثم قد تقدم من قول الحكماء.

(٥) المُصارمة: المقاطعة. [ط]

قبل القُدْرة».

(٩٣٩) وقال بعضُ الشعراء:

لا تَحْمَدَنَّ امْرأً حتَّى تُجرِّبَهُ ... ولا تُذمَّنهُ مِنْ غيرِ تجريبِ

فحمدُكَ المَرْءَ ما لَمْ تَبْلُهُ خطأٌ ... وذمُّهُ بعدَ حَمدٍ شرٌّ تكذيبِ[1]

[الخصالُ المُعتبرَةُ في الإخاء]:

فإذَنْ قد لزم من هٰذين الوجهين سَبْرُ الإخوان قبلَ إخائهم، وخِبْرَةُ أخلاقِهم قبلَ اصطفائهم؛ فالخصالُ المعتبرةُ في إخائهم ـ بعدَ المجانسة التي هي أصل الاتفاق ـ أربعُ خصال:

*** فالخصلة الأولى: عقلٌ موفور، يَهدي إلى مراشد الأمور:**

فإنَّ الحُمْقَ لا تثبت معه مودَّة، ولا تدومُ لصاحبه استقامة.

(٩٤٠) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**البَذاء لُؤم**[2]**، وصُحبةُ الأحمق شُؤم**»[3].

(٩٤١) وقال بعضُ الحكماء: «عداوةُ العاقل أقلُّ ضررًا من مودَّة الأحمق».

لأنَّ الأحمقَ ربَّما ضرَّ وهو يُقدِّر أنَّ ينفع، والعاقلَ لا يتجاوز الحدَّ في مضرَّته،

---

(١) في الأصل: وذَمُّكَ المَرْءَ بَعْد الحمدِ تكذيبُ. والمثبت من المطبوعة والشرح.

(٢) البَذاء: قلة الأدب. [ط]

(٣) **لم أجده بِهٰذا اللفظ:** وإنما أخرج الطبراني في «الكبير» ـ كما في مجمع الزوائد (٨/ ٧٢) ـ، وأبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» (٢٨٣٧) ـ عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**البَذاء لؤم، وسوء الملكة لؤم**»، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٧٢): «فيه عبدالله ابن عرادة، وثقة أبو داود، وضعفه ابن معين.».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٢٠)، و«الحلم» (١١٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٩٣)، من طريق محمد بن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى رسول اللَّه ﷺ أن يُسبَّ قتلى بدرٍ من المشركين، وقال: «**لا تسبُّوا هٰؤلاء، فإنه لا يَخلُصُ إليهم شيءٌ ممَّا تقولون وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء لؤم**». **وإسناده ضعيف للإرسال،** كما قال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/ ١٢١). [ط]

فمضرتُه لها حَدٌّ يقفُ عليه العقل، ومضرَّةُ الجاهل ليست بذات حدٍّ، والمحدودُ أقلُّ ضررًا ممَّا هو غير محدود.

(٩٤٢) وقال المنصورُ[١] للمسيَّب بن زُهير[٢]: «ما مادَّةُ العقل؟ فقال: مجالسَةُ العقلاء».

(٩٤٣) وقال بعضُ البلغاء: «مِنَ الجهل صُحبةُ ذَوِي الجهل، ومن المُحال مجادَلَةُ ذَوي المِحال[٣]».

(٩٤٤) وقال بعضُ الأدباء: «مَنْ أشار عليك باصطناعِ جاهلٍ أو عاجزٍ، لم يَخْلُ أن يكون صديقًا جاهلًا، أو عدوًّا عاقلًا، لأنَّه يشيرُ بما يضرُّ بك، ويحتالُ فيما يضَعُ منك[٤]».

(٩٤٥) وقال بعضُ الشعراء:

إذا ما كنتَ مُتخذًا خليلًا ... فلا تَثِقَنْ بكُلِّ أخي إخاءِ
فإنْ خُيِّرْتَ بينَهم فألْصِقْ ... بأهلِ العَقلِ منهم والحياءِ
فإنَّ العَقْلَ ليس له إذا ما ... تفاضَلَتِ الفضائلُ من كَفاءِ

* **والخصلةُ الثانية: الدِّينُ الواقفُ بصاحبه على الخيرات:**

فإنَّ تارك الدِّين عدوُّ نفسه، فكيف يُرجى منه مودَّة غيره.

(٩٤٦) وقال بعضُ الحكماء: «اصْطَفِ من الإخوان ذا الدِّين والحسب، والرأي والأدب، فإنَّهم رِدْءٌ[٥] لك عندَ حاجتك، ويَدٌ عند نائبتك، وأُنْسٌ عند وحشتك، وَزَيْنٌ عند عافيتك».

---

(١) عبدالله بن محمد بن عليِّ بن عبدالله بن العباس، أبو جعفر المنصور، أمير المؤمنين، تُوفي عام (١٥٨).
ترجمته في: فوات الوفيات (٢/ ٢١٦).

(٢) المسيب بن زهير الأمير، من كبار القواد ببغداد، قتل عام (٢٠١).
ترجمته في: البيان والتبيين (٢/ ٢١٦)، تاريخ بغداد (٣/ ١٣٧)، الوافي بالوفيات (٢٥/ ٥٩٦).

(٣) **المِحال**: المكر والكيد. [ط]

(٤) أي: يحتال عليك فيما يجلب لك الضَّعةَ والهوان. [ط]

(٥) **الرِّدْء**: العون. [ط]

(٩٤٧) وقال حسانُ بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَخِلَّاءُ الرَّخَاءِ هُمُ كثيرٌ ... ولٰكنْ في البلاء هُمُ قليلُ
فلا يَغْرُرْك خُلَّةُ مَنْ تُؤاخِي ... فما لكَ عند نائبَةٍ خليلُ
وكُلُّ أخٍ يقولُ: أنا وفِيٌّ ... ولٰكن ليسَ يفعَلُ ما يقولُ
سِوى خِلٍّ له حَسَبٌ ودِينٌ ... فذاك لِمَا يقولُ هُوَ الفَعُولُ

(٩٤٨) وقال آخر:

مَنْ لم تكن في اللَّه خُلَّته ... فخليلُه منه على خَطَرِ

* **والخصلة الثالثة: أن يكون محمودَ الأخلاق، مَرْضِيَّ الأفعال، مؤثِرًا للخير، آمِرًا به، كارهًا للشر، ناهيًا عنه؛**

فإنَّ مودَّةَ الشِّرير تُكْسِبُ الأعداء، وتُفسِدُ الأخلاق، ولا خيرَ في مودَّةٍ تجلِبُ عداوةً، وتُورِّثُ مَذمَّةً وملامةً، فإنَّ المتبوع تابع لصاحبه[1].

(٩٤٩) وقال عبدُاللَّه بن المعتز: «إخوانُ الشرِّ كشجر النار[2]؛ يُحْرِقُ بعضُهُ بعضًا».

(٩٥٠) وقال بعضُ الحكماء: «مخالطةُ الأشرار خَطَر، والصبرُ على صحبتهم كركوبِ البحر؛ الذي مَنْ سَلِم منه ببدنه منَ التَّلَف فيه، لم يسلَمْ بقلبه من الحَذَر منه».

(٩٥١) وقال بعضُ الأدباء: «صحبةُ الأشرار تورِّثُ سُوءَ الظنِّ بالأخيار»[3].

(٩٥٢) وقال بعضُ البلغاء: «مِن خيرِ الاختيار صحبةُ الأخيار، ومن شرِّ الاختيار صحبةُ الأشرار».

(٩٥٣) وقال بعضُ الشعراء:

---

(١) في الأصل: المسبوغ سابغ صاحبه.
(٢) في المطبوعة والشرح: النارنج.
(٣) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤٩٧ ـ خبر: ٤٢٨٧).

مخالطـةُ الـسَّفيه سَـفَاهُ رأيٍ ... ومِنْ عَقْلٍ مُجالسَةُ الحَكيمِ(١)
فإنَّـك والقَـرينَ معًـا سـوَاءٌ ... كما قُـدَّ الأديـمُ من الأديمِ(٢)

*** والخصلةُ الرابعةُ: أن يكون من كُلِّ واحدٍ منهما ميلٌ إلى صاحبه، ورغبةٌ في مؤاخاته:**

فإنَّ ذٰلك أوكَدُ لحالِ المؤاخاة، وأمدُّ لأَسبابِ المُصافاة؛ إذ ليس كُلُّ مطلوبٍ إليه طالبًا، ولا كُلُّ مَنْ رُغبَ إليه راغبًا، ومَن طَلَب مودَّةَ ممتنِعٍ عليه، ورَغِبَ إلى زاهدٍ فيه، كان مُعَنًّى خائبًا.

(٩٥٤) كما قال البُحترى:

وطلـبتُ منك مودَّةً لـم أُعطَها ... إنَّ المُعَنَّـى طالِـبٌ لا يَظْفَـرُ

(٩٥٥) وقال العبَّاس بن الأحنف(٣):

فـإنْ كـان لا يُدنـيكَ إلَّا شـفاعةٌ ... فـلا خَيْـرَ في وُدٍّ يكـونُ بـشافعِ
وأُقسِمُ ما تركي عتابَك عن قِلًى ... ولٰكـنْ لِعلمـي أنـه غَيْـرُ نافعِ(٤)
وإنِّـي إذا لـم أَلـزَمِ الـصَّبْرَ طائعًـا ... فلابـدَّ مـنه مُكْـرَهًا غيـرَ طائـعِ

فإذا استُكْمِلَتْ هٰـذه الخِصـالُ في إنسـانٍ وجَبَ إخـاؤهُ، وتعيَّـن اصطفاؤهُ، وبحسَب وفورها فيهِ يجبُ أن يكون الميلُ إليهِ والثقةُ به، وبحسَب ما يُرَى من غَلَبة أحدهما عليهِ يجعلهُ مُستعمَلًا في الخُلق الغالب عليه؛ فإنَّ الإخوان على طبقاتٍ مختلفةٍ وأنحاءَ متشعِّبة، ولكُلِّ واحدٍ منهم حالٌ يختصُّ بها في المشاركة، وثُلْمَةٌ يَسُدُّها في المؤازَرة والمظافرة، وليس تتفقُ أحوالُ جميعِهم على حدٍّ واحد؛ لأنَّ

(١) في الأصل: الحليم.
(٢) قُدَّ: قُطع. [ط]
(٣) العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة، أبو الفضل الحنفي اليمامي، شاعر مجيد رقيق الشعر، من شعراء الدولة العباسية، توفي عام (١٩٢).
ترجمته في: معجم الأدباء (٤/ ١٤٨١)، تاريخ بغداد (١٤/ ٨)، الوافي (١٦/ ٦٣٨).
(٤) قِلًى: كراهيةً. [ط]

التباينَ في الناس غالب، واختلافَهم في الشِّيَم ظاهر.

(٩٥٦) وقد قال بعضُ الحكماء: «الرجالُ كالشجر؛ شرابُه واحدٌ، وثمرُه مُختلف».

(٩٥٧) فأخذ هٰذا المعنى منصورُ بن إسماعيل الفقيه، فقال:

بنو آدمَ كالنَّبتِ ... ونَبْتُ الأرضِ ألوانُ

فمنهمْ شجرُ الصَّنْدَلِ ... والكافورُ والبانُ

ومنهمْ شجَرٌ أكثرُ[1] ... ما يَحمِلُ قَطْرَانُ

ومَن رام إخوانًا تتفقُ أحوالُ جميعِهم رام أمرًا مُتَعذِّرًا؛ بل لو اتفقوا لكان رُبما وقعَ بِهِ خَلَلٌ في نظامه؛ إذ ليس الواحدُ من الإخوان يمكنُ الاستعانةُ به في كُلِّ حال، ولا المجبولون على الخُلُق الواحدِ يمكن أن يتصرَّفوا في جميع الأعمال، وإنَّما بالاختلافِ يكون الائتلاف.

(٩٥٨) وقد قال بعضُ الحكماء: «ليس بلبيبٍ مَن لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَن لم يجدْ من مُعاشرتهِ بُدًّا»[2].

(٩٥٩) وقال المأمون: «الإخوانُ ثلاثُ طبقات، طبقةٌ كالغِذاءِ لا يُستغنى عنه، وطبقةٌ كالدواء يُحتاج إليه أحيانًا، وطبقةٌ كالدَّاء لا يُحتاج إليه أبدًا».

ولَعمري إنَّ النَّاسَ على ما وصفهم ـ لا الإخوان ـ؛ وليس مَن كان منهم كالداءِ منَ الإخوان المعدودين؛ بل هم من الأعداءِ المحذُورين، وإنما يُداجَون بالمودَّة[3] استكفافًا لشرِّهم، وتحرُّزًا من مكاشفتهم، فدخلوا في عِدادِ الإخوان بالمُظاهرة والمُساترة، وفي الأعداء عند المُكاشَفة والمُجاهرة.

(٩٦٠) وقد قال بعضُ الحُكماء: «مَثَل العدُوِّ الضاحكِ إليكَ: كالحنظلةِ الخضرةِ[4] أوراقُها، القاتلِ مذاقُها».

---

(١) في المطبوعة والشرح: أفضل.

(٢) العبارة في روضة العقلاء (١/ ٣٢٠) منسوبة بالإسناد إلى محمد بن الحنفية.

(٣) أي: يُساترون عداوتَهم (المنهاج).

(٤) في المطبوعة والشرح: الخضراء.

(٩٦١) وقد قيلَ في منثور الحكم: «لا تَغْتَرَّنَ بمقاربةِ العدوِّ؛ فإنَّه كالماء الذي إنْ أُطيلَ إسخانُه بالنارِ لم يَمنع من إطفائها[1]».

(٩٦٢) وقال يزيدُ بن الحَكَم الثقفي[2]:

تُكاشِرُني كُرْهًا[3] كأنَّك ناصِحٌ ... وعينُك تُبْدِي أنَّ صدركَ لي دَوِي[4]

لسانُكَ معسُولٌ ونفسُك عَلْقَمٌ ... وشَرُّك مبسُوطٌ وخيرُك مُلتَوِي

فَلَيْتَ كَفافًا كان خيرُك كُلُّهُ ... وشَرُّك عنِّي ما ارتَوى الماءَ مُرْتَوِي[5]

فإذَنْ خرج من كان كالدَّاء مِن عِداد الإخوان، فالإخوانُ هم الصنفان الآخران: مَن كان منهم كالغذاء أو كالدواء؛ لأنَّ الغذاء قِوامُ النفسِ وحَياتُها، والدَّواءَ علاجُها وصلاحُها، وأفضلُهما مَن كان كالغذاء؛ لأنَّ الحَاجة إليه أعمُّ.

وإذا تميَّز الإخوان وجَبَ أن يُنزَّل كُلُّ واحدٍ منهم حيث تنزَّلت به أحوالُه إليه، واستقرَّت عليه خِصَالهُ وخِلالُه، فَمن قويت أسبابُه قويت الثِّقةُ بِهِ، وبحسَب الثِّقة بِهِ يكونُ الركونُ إليه، والتعويلُ عليه.

(٩٦٣) قال الشاعرُ:

ما أنْتَ بالسَّببِ الضَّعيفِ وإنَّما ... نُجْحُ الأمورِ بقوَّةِ الأسبابِ

فاليومَ حَاجتُنا إليكَ وإنَّما ... يُدعى الطَّبيبُ لكثرة الأوْصابِ[6]

[هل الأفضل الإكثار من الإخوان، أم الإقلال منهم؟!]:

وقد اختلفت مذاهبُ الناس في اتخاذِ الإخوان:

١ ـ فمنهم من يَرى أنَّ الاستكثار منهم أولى؛ ليكونوا أقوَى مَنَعةً ويدًا، وأوفَرَ

---

(١) فالماء الساخن المغلِي يمكن أن يطفئ النار ـ أيضًا ـ. [ط]

(٢) يزيد بن الحكم بن أبي العاص البصري، الشاعر، توفي عام (١٠٦).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٢٨/ ٣٨٥)، الأغاني (١٢/ ٢٨٦)، تاريخ دمشق (٦٥/ ١٦٢).

(٣) في المطبوعة: ضاحكًا.

(٤) **المُكاشرة**: المضاحكة. **الدَّوِيُّ**: المريض. [ط]

(٥) الأبيات في عيون الأخبار (٣/ ٤٩٧ ـ خبر: ٤٢٨٩).

(٦) **الأوصاب**: الأمراض. [ط]

تَحبُّبًا وتودُّدًا، وأكثَرَ تعاونًا وتفقُّدًا.

(٩٦٤) وقيل لبعض الحكماء: «ما العيشُ[1]؟ قال: إقبالُ الزمان، وعزُّ السلطان، وكثرةُ الإخوان».

(٩٦٥) وقيل: «حِليةُ المرءِ كثرةُ إخوانه».

٢ ـ ومنهم من يرى أنَّ الإقلال منهم أولى؛ لأنه[2] أخفُّ أثقالًا وكُلَفًا، وأقلُّ تنازُعًا وخُلْفًا[3].

(٩٦٦) وقال الإسكندر: «المستكثِرُ من الإخوان من غير اختيارٍ كالمُستَوْقِر[4] منَ الحجارة، والمُقِلُّ من الإخوانِ المتخيِّرُ لهم، كالذي يتخيَّر الجَوهر».

(٩٦٧) وقال عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن كَثُرَ إخوانُه كَثُر غُرَماؤه[5]».

(٩٦٨) وقال إبراهيم بن العباس[6]: «مَثَلُ الإخوان كالنَّار؛ قليلُها متاعٌ، وكثيرُها بَوَار».

(٩٦٩) ولقد أحسَنَ ابنُ الروميِّ في هٰذا المعنى، ونبَّه على العِلةِ، حيث يقول:

عَدُوُّك من صديقك مستفادٌ ... فلا تَسْتَكثرنَّ من الصَّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثَرَ ما تراهُ ... يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ
فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرٍ ... يُعافُ وكم قليلٍ مُستطابِ[7]
فما اللُّجَجُ المِلاحُ بمُروياتٍ ... وتَلقَى الرِّيَّ في النُّطَفِ العِذابِ[8]

(١) أي: أحسنه وأجمله. [ط]
(٢) في الأصل: لأنهم.
(٣) **الخُلف**: الخلاف.
(٤) أي كالمتخذ وقرًا منها، وهو الحمل الثقيل.
(٥) **الغُرماء**: المطالبون بالحقوق. [ط]
(٦) إبراهيم بن العباس الصولي، الأديب الكاتب الشاعر، كان أحد الشعراء المجيدين، تُوفي عام (٢٤٣).
ترجمته في: معجم الأدباء (١/ ١٦٤)، تاريخ بغداد (٦/ ١١٧)، الأغاني (١٠/ ٤٢)، وفيات الأعيان (١/ ٤٤).
(٧) **يُعاف**: يُكره ويُشمئزُّ منه. [ط]
(٨) **اللُّجَجُ المِلاح**: البحار المالحة. والنُّطَف: القطرات. [ط]

(٩٧٠) وقال بعض البلغـاء: «لِيكنْ غرضُـك في اتخـاذِ الإخـوان والأخلاء، واصطناع النُّصحاء: تكثيرَ العُدَّة ـ لا تكثيرَ العدد[١] ـ، وتحصيلَ النَّفْع ـ لا تحصيلَ الجَمْع ـ؛ فواحدٌ يحصُلُ به المراد، خيرٌ من ألفٍ يُكثِّر الأعداد».

وإذا كان التجانسُ والتشاكلُ من قواعد الأخوَّةِ وأسباب المودَّة، كان وفُورُ العقلِ وظهورُ الفَضْلِ يَقتضِي مِن حال صاحبه قلَّةَ إخوانه؛ لأنه يرومُ مِثْلَه، ويطلبُ شَكْلَه؛ وأمثالُه مِن ذوى العقل والفضل أقلُّ من أضدادِه مِن ذَوي الحُمق والنقص؛ لأنَّ الخِيارَ في كُلِّ جنسٍ هو الأقلُّ، فلذلك قلَّ وفورُ العقل والفضل.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الحجرات].

فقلَّ ـ بهٰذا التعليل ـ إخوانُ أهل الفضل لقلَّتهم، وكثُر[٢] إخوانُ ذَوي النقص والجهل لكثرتِهم.

(٩٧١) وقد قال الشاعر:

لكُـلِّ امرئٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاس مثلُه ... فأكثـرُهم شَـكْلًا أقلُّهـم عقـلَا
وكُـلُّ أُنـاسٍ آلِفـون لـشكلهمْ ... فأكثـرُهم عقـلًا أقلُّهُـمُ شـكلَا
لأنَّ كثيـرَ العقـلِ لـيس بـواجدٍ ... لـه في طـريقٍ حيـن يَسلُكُه مِثلَا
وكُـلُّ سـفيهٍ طـائشٍ إن فقدتَـهُ ... وجدْتَ له في كُلِّ ناحيةٍ عَدْلَا[٣]

[أقسامُ الإخوان]:

وإذا كان الأمر على ما وصفناه، فقد تنقسمُ أحوالُ مَنْ دخل في عِداد الإخوان أربعة أقسام:

ـ منهم مَنْ يُعين ويستعين.

ـ ومنهم مَنْ لا يُعين ولا يستعين.

(١) في المطبوعة والشرح: العدة.
(٢) في الأصل: وكثرة.
(٣) العَدْل: الشبيه والنظير. [ط]

ـ ومنهم مَنْ يستعين ولا يُعين.

ـ ومنهم مَنْ يُعين ولا يستعين.

١ ـ **فأمَّا المُعين والمُستعين:** فهو معاوضٌ مُنصِف، يؤدِّي ما عليه، ويستوفي ما له، فهو كالمُقرِض؛ يُسعِفُ[١] عند الحاجة، ويستردُّ عند الاستغناء، فهو مشكورٌ في مَعونته، ومعذورٌ في استعانته؛ وهٰذه أعدلُ أحوال الإخوان[٢].

٢ ـ **وأمَّا مَنْ لا يُعين ولا يستعين:** فهو مُتارَكٌ؛ قد مَنع خَيرَه، وقمَعَ شَرَّه[٣]، فلا هو صديقٌ يُرْجَى، ولا عدوٌّ يُخشى.

(٩٧٢) وقد قال المغيرة بن شُعْبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «التاركُ للإخوان متروك».

ومَن كان كذٰلك فهو كالصورة الممثَّلة، يروقُك حُسنها، ويخُونك نفعُها، فلا هو مذمومٌ لقمع شرِّه، ولا هو مشكورٌ لمنع خيره، وإن كان بالذم[٤] أجدرُ.

(٩٧٣) وقد قال الشاعر:

وَأسـوأُ أيام الفتَى يومَ لا يُرَى ... لَـهُ أحـدٌ يُـزري علـيه ويُنكِرُ

غير أنَّ فساد الوقت وتغيُّر أهلِهِ يُوجب شُكر مَنْ كان شرُّه مقطوعًا، وإن كان خيرُه ممنُوعًا.

(٩٧٤) كما قال المتنبِّي:

إنَّـا لفـي زمـنٍ تَـرْكُ القبـيحِ بـهِ ... مِـنْ أكثرِ النَّاس إحْسانٌ وإجْمالُ

٣ ـ **وأما مَنْ يستعين ولا يُعين:** فهو لئيمٌ كَلّ[٥]، ومَهين مُستذَلّ، قد قَطعَ عنه الرغبة، وبَسط فيه الرَّهبة؛ فلا خيرُه يُرْجَى، ولا شرُّه يؤمَن، وحسبُك مَهانةً برجلٍ يُستثقلُ عند إقلاله، ويُستَقَلُّ عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظٌّ، ولا في

(١) في الأصل: يسعد.

(٢) في المطبوعة والشرح: فهٰذا أعدل الإخوان.

(٣) القَمْع: القهر. [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: باللوم.

(٥) الكَلُّ: العالة على غيره. [ط]

الوداد نصيب، وهو ممن جعله المأمونُ[١] مِن داء الإخوان ـ لا من دوائهم ـ، ومن سُمِّهم ـ لا من غذائهم ـ.

(٩٧٥) وقال بعضُ الحكماء: «شرُّ ما في الكريم أن يمنعَكَ خيرَه، وخيرُ ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرَّه».

(٩٧٦) وقال ابن الروميِّ:

عـذَرْنا الـنَّخْلَ في إبداءِ شوكٍ … يـردُّ بـه الأنامـلَ عـن جَـناهُ

فما للعَوْسَـج الملعـونِ أَبْدَى … لـنا شـوكًا بـلا ثمـرٍ نـراهُ

٤ ـ وأمَّا من يُعين ولا يستعين: فهو كريمُ الطبـع، مشكـورُ الصُّنع، قد حاز فضيلتي الإسداءِ[٢] والاكتفاء، فلا يُرَى ثقيلًا في نائبة، ولا يَقعد عن نَهضةٍ في معونة؛ فهٰذا أشرفُ الإخوان نفسًا، وأكرمُهم طبعًا؛ فينبغي لمن أوجد[٣] له الزمانُ مثله ـ وقلَّ أن يكونَ له مِثلٌ؛ لأنَّه البرُّ الكريم، والدُّر اليتيم[٤] ـ أن يَثْنيَ عليه خِنصره، ويعضَّ عليه بناجذه[٥]، ويكونَ به أشدَّ ضَنًّا منه بنفائس أمواله، وسنِيِّ[٦] ذخائره، لأنَّ نفعَ الإخوان عامٌّ، ونَفْعَ المال خاصٌّ، وما كان أعمَّ نفعًا فهو بالادخار أحق.

(٩٧٧) وقال الفرزدق:

يمـضي أخـوكَ فـلا تَلْقَى لـهُ خَلَفًا … والمـالُ بعدَ ذهابِ المالِ مُكْتَسَبُ

(٩٧٨) وقال آخر:

لكُـلِّ شـيءٍ عَدِمْـتَهُ عِـوَضٌ … ومـا لِفَقْدِ الصَّديق من عِوَضِ

ثم لا ينبغي أن يَزهَد فيه لخُلُقٍ أو خلُقين ينكرهُما منه ـ إذا رَضِي سائرَ أخلاقه،

(١) يعني في الأثر رقم (٩٥٩).
(٢) في المطبوعة والشرح: الابتداء.
(٣) في الأصل: أوجده.
(٤) أي: الفريد الذي لا مثيل له. [ط]
(٥) **النواجذ**: الأسنانُ الأربعة التي في منتهى الفم، وهٰذا كناية عن الاهتمام بحفظه (الشرح).
(٦) في الأصل: وأسنا.

وحَمِدَ أكثَرَ شيَمه ـ؛ لأنَّ اليسيرَ مغفور، والكمال مُعْوِز[١].

(٩٧٩) وقد قال الكِندي: «كيف تريدُ من صديقك خُلُقًا واحدًا، وهو ذو طبائعَ أربعٍ، مع أن نفسَ الإنسان ـ التي هي أخصُّ النفوس به، ومُدبَّرةٌ باختيارهِ وإرادته ـ لا تُعطيه قيادَها في كُلِّ ما يُريد، ولا تُجيبُه إلى طاعته في كُلِّ ما يُحبُّ، فكيف بنفسِ غيره؟ وحسبُك أن يكون لك من أخيك أكثرُه».

(٩٨٠) وقد قال أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «معاتبةُ الأخ خيرٌ من فَقْده، ومَنْ لكَ بأخيك كلِّه؟!».

(٩٨١) فأخَذَ هٰذا المعنى أبو العتاهية؛ فقال[٢]:

أَأُخيَّ مَن لك من بَني الدُّنيا ... بكــلِّ أخــيكَ مَــنْ لَــكْ

فاسْتَبْقِ بعْضَكَ لا يَملَّكَ ... كُـلُّ مَـن أعْطَيْتَ كُلَّكْ[٣]

(٩٨٢) وقال أبو تمام الطائي:

مـا غَـبَنَ المَغْبُونَ مِـثْلُ عَقْلِهِ ... مَـنْ لـكَ يـومًا بأَخـيكَ كُلِّـهِ

(٩٨٣) وقال بعضُ الحُكماء: «طلبُ الإنصافِ من قلَّة الإنصاف».

(٩٨٤) وقال بعضُ البلغاء: «لا يُزهِّدنَّكَ في رجلٍ حَمِدْتَ سيرته، وارتضيْتَ وَتيرتَه[٤]، وعَرَفْتَ فضلَه، وبَطَنْتَ عقلَه[٥]: عَيبٌ خفيٌّ يحيط بهِ كثرةُ فضائله، أو ذنبٌ صغير يَستغفر له قوَّةُ وسائله؛ فإنَّك لن تجدَ ـ ما بقيتَ ـ مهذَّبًا لا يكونُ فيه عيب، ولا يقَعُ منه ذنب».

فاعتبر بنفسك ـ بعد ألَّا تراها بعين الرِّضا، ولا تجري فيها على حكم الهوى ـ؛ فإنَّ في اعتبارك بها واختبارك لها ما يُؤيِّسُكَ ممَّا تطلب، ويَعطِفُك على من يُذنب.

---

(١) مُعوِز: عزيز. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: فأخذ الشعراء هٰذا المعنى، فقال أبو العتاهية.

(٣) لم أجده في ديوانه.

(٤) الوَتيرة: الحالة. [ط]

(٥) أي: فهمت ما ينطوي عليه. [ط]

(٩٨٥) وقد قال الشاعر:

ومَن ذا الذي تُرْضَى سجاياهُ كُلُّها   كَفَى المرءَ نُبْلًا أن تُعَدَّ معايبُه

(٩٨٦) وقال النابغةُ الذُّبياني[١]:

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ   عَلى شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

وليس ينقضُ هٰذا القولَ ما وصفنا من اختباره، واختبارِ الخصال الأربع فيه[٢]، لأنَّ ما أعوزَ فيه معفوٌّ عنه.

وهٰكذا لا ينبغي أن توحشَك فَتْرةٌ تجدُها منه، ولا أن تسيءَ الظنَّ في كَبْوةٍ[٣] تكون منه ـ ما لم تتحقَّق تغيُّره، وتتيقَّنْ تنكُّره ـ، وليُصْرَف ذٰلك إلى فَترات النفوس، واستراحاتِ الخواطر؛ فإنَّ الإنسان قد يفتُرُ[٤] عن مراعاةِ نفسه ـ التي هي أخصُّ النفوس به ـ، ولا يكون ذٰلك من عداوةٍ لها، ولا مَلَلٍ منها.

(٩٨٧) وقد قيل في منثور الحكم: «لا يُفسدنَّك الظنُّ على صديقٍ قد أصلحك اليقينُ له».

(٩٨٨) وقال جعفرُ بن محمد[٥] لابنه: «يا بُنيَّ، مَن غضِب من إخوانك ثلاثَ مرات، فلم يقُل فيك سُوءً، فاتخذه لنفسك خليلًا».

(٩٨٩) وقال الحسنُ بن وهب[٦]: «مِن حُقوق المودَّة أَخْذُ عَفْوِ الإخوان، والإغضاءُ عن تقصيرٍ إن كان».

(٩٩٠) وقد رُوي عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾

---

(١) البيت في ديوانه (٧٨)، وعيون الأخبار (٣/ ٤٢٥ ـ خبر: ٣٩٤٧).

(٢) وقد بدأت ص (٣٢٤). [ط]

(٣) في الأصل: نبوةٍ.

(٤) في المطبوعة والشرح: يتغير.

(٥) أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب، كان من سادات أهل البيت، وفضله أشهر من أن يذكر، تُوفي عام (١٤٨). ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧)، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢).

(٦) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين، أبو عليٍّ الكاتب. ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١٠١٩)، الأغاني (٢٢/ ٥٣٣)، الوافي (١٢/ ٢٩٧).

[الحِجر]، قال: «الرِّضا بغير عِتاب».

(٩٩١) وقال ابن الرومي:

هُمُ النَّاسُ والدُّنيا ولابدَّ من قَذًى ... يُلِمُّ بعينٍ أو يكدِّرُ مَشْرَبَا

ومِن قِلَّة الإنصافِ أنَّك تبتغي ... المُهذَّبَ في الدُّنيا ولستَ مهذَّبَا

(٩٩٢) وقال بعض الشعراء:

تَواصُلُنا على الأيام باقٍ ... ولٰكن هَجرُنا مَطَرُ الرَّبيعِ

يَرُوعُك صوتُه[1] لٰكن تراهُ ... على عِلَّاته داني النُّزوعِ[2]

معاذَ اللَّهِ أن نُلْفَى غِضابًا ... سوى دَلِّ المُطاعِ على المُطيعِ

(٩٩٣) وأنشدني الأزدي:

لا يُؤْيِسَنَّكَ من صديقٍ نَبْوَةٌ ... ينبو الفَتَى وَهْوَ الجَوادُ الخِضْرِمُ[3]

فإذا نبا فاسْتَبْقِه وتَأَنَّهُ ... حتى تفيءَ بِهِ الطباع[4] الأكرمُ

وأمَّا المَلُول ـ وهو السريعُ التغيُّر، الوشيكُ التنكُّر ـ ، فوِدادُه خطَر، وإخاؤه غَرَر[5]؛ لأنه لا يبقى على حالة، ولا يخلُو عن استحالة[6].

(٩٩٤) وقد قال ابن الرومي في ذٰلك:

إذا أنتَ عاتبتَ المَلُولَ فإنَّما ... تَخُطُّ على صُحُفٍ من الماءِ أحرُفَا

فهَبْهُ ارْعَوى بعد العِتابِ ألم تكُنْ ... مودَّتُه طبعًا فصارت تكلُّفَا[7]!

---

(١) في المطبوعة والشرح: صوبه، وقال في الشرح: الصوب له معان: يقال: صاب المطر صوبًا إذا انصب.

(٢) **النزوع**: الرحيل. [ط]

(٣) **النَّبوة**: الزلَّة. **الخِضْرم**: الكثير الخير. [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: وطبعك.

(٥) **الغَرر**: الخداع. [ط]

(٦) **الاستحالة**: التحول والتغيُّر. [ط]

(٧) **ارعَوى**: انزجر وارتدع. [ط]

[أهل المَلَل نوعان]:

وهم نوعان:

١ ـ منهم من يكونُ مَلَلُه استراحةً، ثم يعودُ إلى المعهود من إخائِه، فهٰذا أسلَمُ المَلَلين، وأقربُ الرجلين، يُسامَح في وقتِ استراحتِهِ وحينِ فَتْرته، ليرجعَ إلى الحُسنى، ويعود[1] إلى الإخاء.

(٩٩٥) وإن تقدَّم المثلُ بما نظمه الشاعر، حيث قال:

وقالوا: يعودُ الماءُ في النَّهرِ بعدَما ... عَفَتْ منه آثارٌ وجفَّت مشارِعُهْ

فقلْتُ: إلى أن يرجعَ الماءُ عائدًا ... ويُعشِبَ شطَّاهُ تموتُ ضفادعُهْ

لٰكن لا يَطرحُ حَقَّه بالتوهُّم[2]، ولا يُسْقِط حُرمتَه بالظُّنون.

(٩٩٦) وقد قال الشاعر:

إذا ما حالَ عهدُ أخيكَ يومًا ... وحادَ عن الطريق المستقيمِ

فلا تعجلْ بلومِكَ واسْتَدِمْهُ ... فإنَّ أخا الحِفاظ المستديمِ

فإن تكُ زلَّةٌ منهُ وإلَّا ... فلا تبعُدْ عن الخُلق الكريمِ

٢ ـ ومنهم من يكون مَلَلُه تركًا واطِّراحًا، فلا يراجع إخاءً ولا ودًّا، ولا يتذكَّر حِفاظًا ولا عهدًا.

(٩٩٧) كما قال الأشجعُ بن عَمرٍو السُّلمي[3]:

إني رأيتُ لها مواصلةً ... كالسُّمِّ تُفرِغُه على الشَّهدِ

فإذا أخذتُ بعهدِ ذمَّتها ... لَعِبَ الصُّدودُ بذٰلك العهدِ

وهٰذا أذمُّ الرجُلين حالًا؛ لأنَّ مودَّته من وساوس الخَطراتِ وعوارض الشَّهوات،

(١) في المطبوعة والشرح: ويؤوب.

(٢) التوهُّم: الظن الخالي من اليقين. [ط]

(٣) أشجع بن عمرو السلمي، مدح الرشيد والبرامكة، توفي عام (٢٠٠).
ترجمته في: فوات الوفيات (١/ ١٩٦)، الأغاني (١٨/ ١٤٣)، تاريخ بغداد (٧/ ٤٥).

وليس إلا استدراكُ الحال معه، بالإقلاع قبل المخالطة، أو حُسن المتاركة بعد الورطة.

(٩٩٨) كما قال العباسُ بن الأحنف:

تداركتُ نفسي فعزَّيتُها ... وبَغَّضْتُها فيك آمالَها

وما طابَت النَّفسُ عن سَلْوةٍ ... ولٰكن حَمَلْتُ عليها لها

(٩٩٩) وما مثلُ من هٰذه حالُه إلَّا كما قد قال إبراهيم بن هَرْمة[1]:

فإنَّك واطِّراحكَ وَصْلَ سَلْمَى ... لأُخْرَى في مودَّتِها نُكُوبُ[2]

كثاقبةٍ لِحَلْيِ مستعارٍ ... لأُذنيها فَشَأنهُما الثُّقوبُ

فأدَّت حَلْيَ جارتِها إليها ... وقد بقيت بأُذْنَيها نُدُوبُ[3]

[حقوقُ الأخوَّة:]

فإذا صفَتْ عنده أخلاق من سَبَره، وتمهَّدت لديه أحوالُ من خَبِره، وأقدمَ على اصطفائه أخًا، وعلى اتخاذه خِدْنًا، لزمَتْه حينئذٍ حقوقُهُ، ووجبَتْ عليه حُرُماتُه.

(١٠٠٠) قال عمرو بن مَسعَدة[4]: «العبوديةُ عبوديةُ الإخاء؛ لا عبودية الرقِّ».

(١٠٠١) وقال بعضُ الحكماء: «مَن جاد لك بمودَّته، فقد جعلك عَديلَ نفسِه».

١ ـ فأوَّلُ حقوقِهِ اعتقادُ مودَّته[5]، ثم إيناسُه بالانبساطِ إليهِ في غير مُحَرَّم، ثم نُصحُه في السرِّ والعلانيةِ، ثم تخفيفُ الأثقالِ عنه، ثم معاونتُه فيما ينوبُه من حادثةٍ،

(١) إبراهيم بن عليِّ بن سلمة الفهري المدني، المعروف بابن هرمة، من شعراء الدولتين، الأموية والعباسية، نديم المنصور، كان شيخ الشعراء في زمانه، توفي عام (١٥٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٦/ ١٢٧)، الوافي بالوفيات (٦/ ٥٩).

(٢) **النكوب**: الزلل والسقوط. [ط]

(٣) **الندُوب**: الجروح. [ط]

(٤) عمرو بن مَسعدة بن سعيد بن صول الكاتب، أبو الفضل، أحد وزراء المأمون، كان كاتبًا بليغًا جزيل العبارة سديد المقاصد والمعاني، توفي عام (٢١٧).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٠٣)، معجم الأدباء (١٦/ ١٢٧)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٥).

(٥) أي: الصدق فيها. [ط]

أو ينالُه من نكبة؛ فإنَّ مراقبته في الظاهر نفاق، وتركَهُ في الشدَّة لؤم.

(١٠٠٢) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيرُ أصحابك المُعِينُ لَكَ على دَهرِكَ، وشرُّهم مَن سعى لك بسوءِ يومِه**»[١].

(١٠٠٣) وقيل: يا رسول اللَّه، أيُّ الأصحاب خير؟ قال ﷺ: «**الذي إذا ذَكَرْتَ أعانَكَ وواساك، وخيرٌ منه مَن إذا نسِيتَ ذكَّرك**»[٢].

(١٠٠٤) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خيرُ إخوانك مَن واساك، وخيرٌ منه من كافاك».

(١٠٠٥) وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اللَّهم إنِّي أعوذُ بك ممن لا يلتمِسُ خالصَ مودَّتي إلَّا بموافقة شهوتي[٣]، وممن يساعدني[٤] على سرور ساعتي، ولا يفكِّر في حوادِث غَدِي»[٥].

(١٠٠٦) وقال بعضُ الحكماء: «عقودُ الغادرِ محلولة، وعهودُه مَدْخُولة».

---

(١) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٤٢) عن الحسن البصري **مرسلًا**، قال: قالوا: يا رسول اللَّه! أيُّ الأصحاب خير، قال: «**صاحب إذا ذكرتَ اللَّهَ أعانك، وإذا نسيته ذكَّرك**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٨٨٠).
ويغني عنه ما ثبت عن أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا أراد اللَّهُ بالأمير خيرًا جَعَل له وزيرَ صِدقٍ؛ إن نَسِيَ ذكَّره، وإن ذَكَر أعانه. وإذا أراد اللَّهُ به غيرَ ذلك جَعل له وَزيرَ سُوءٍ؛ إن نَسِيَ لم يُذكِّرْه، وإن ذَكَر لم يُعِنْه**». **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٧٠)، وأبو داود (٢٩٣٢)، وابن حِبَّان (٤٤٩٤)، وإسحاق بن راهويه (٩٥٦)، والخلَّال في «السنة» (٧٨)، وأبو يعلى (٤٤٣٩)، وابن عدي في «الكامل» (١٠٧٦)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١١١)، و«الشعب» (٧٠١٧)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٣) وهٰؤلاء هم أصدقاء السوءِ الذين يتقرَّبون للإنسان بموافقةِ أهوائه وانحرافاته، حتى يراهم مسارعين له في تحقيقِ رغباته، فيحرصَ على صحبتهم! وهٰؤلاء ـ بلا شك ـ خانوا الصداقة ـ بعد خيانتِهم لدينهم ـ ؛ فإن الصديقَ الحقَّ والصاحب الوفِيَّ هو الذي يمنعُ صاحبَه من شهواتِ الغي التي تجلب له عقوبات ربِّه ﷻ، وهو الذي هَمُّه إرضاء اللَّهِ تعالى ـ ولو سخط الناس أجمعون ـ ، ولذا قال بعض الحكماء: «حبيبُك من نهاك، وعدوُّك من أغراك»، واللَّهُ تعالى الهادي. [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: ساعدني.

(٥) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٥٤ ـ خبر: ١٣٢) منسوبة إلى ابن هبيرة.

(١٠٠٧) وقال بعضُ البلغاء: «ما وَدَّك مَن أهمَلَ وُدَّك، ولا أَحَبَّكَ من أبغَضَ حِبَّك[١]».

(١٠٠٨) وقال بعضُ الشعراء:

وكُلُّ أخٍ عندَ الهُوينَى ملاطِفٌ ... ولٰكنما الإخوانُ عندَ الشَّدائد[٢]

(١٠٠٩) وقال صالح بن عبدِالقدوس: «شرُّ الإخوان مَنْ كانت مودَّته مع الزَّمان إذا أقبَلَ، فإذا أدبَرَ الزَّمانُ أدبَرَ عنك».

(١٠١٠) فأخذ هٰذا المعنى الشاعرُ، فقال:

شَرُّ الأخلَّاءِ مَن كانتْ مودَّتُهُ ... مَعَ الزَّمانِ إذا ما خافَ أو رَغِبا

إذا وَتَرْت امرأً فاحْذَرْ عَداوتَهُ ... مَنْ يزرَعِ الشَّوكَ لا يَحصُدْ به عِنَبا[٣]

إنَّ العَدوَّ وإنْ أبدَى مُسالَمةً ... إذا رأى منكَ يومًا فُرْصةً وثَبا

وينبغي أن يتوقَّى الإفراطَ في محبَّته؛ فإنَّ الإفراط داعٍ إلى التقصير، ولَأَنْ تكونَ الحالُ بينهما نامية، أولى من أن تكون متناهية.

(١٠١١) وقد رَوى ابن سِيرين[٤]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أحْبِبْ حَبيبَكَ هَونًا ما، عَسَى أنْ يكونَ بَغِيضَك يومًا ما، وأبغِضْ بغيضَك هونًا ما، عَسَى أنْ يكونَ حبيبكَ يومًا ما**»[٥].

(١) **الحِبُّ** ـ بكسر الحاء ـ الحبيب. والمقصود: أنه لم يحبَّك حقًّا من أبغض حبيبك. ولٰكن هٰذا فيه نظر؛ وليس قاعدةً مضطردةً مع جميع الخلق، فقد أُحبُّك لدينك وأخلاقك وأمانتك، ولا أحب بعض من تحبُّهم لمعرفتي بما لا تعرفه فيهم، فليس كرهي لهم دليلًا على عدم صدقي في محبَّتي لك، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٢) في الأصل: الحقائق.

(٣) **وَترت**: أصبته في حقه. [ط]

(٤) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، مولى أنس بن مالك، كان ثقةً مأمونًا، عاليًا رفيعًا، فقيهًا إمامًا، كثير العلم، ورعًا.
ترجمته في: حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٨٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ ـ ٦٢٢)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٩٧)، والبيهقي في «الشُّعب» (٦١٧٠)، والطبراني في «الأوسط» =

(١٠١٢) وقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا يكن حُبُّك كَلَفًا، ولا بُغْضُك تَلَفًا[(١)]»[(٢)].

(١٠١٣) وقال أبو الأسود الدُّؤلي:

وكُنْ مَعدِنًا للخير واصْفَحْ عن الأَذَى ... فإنَّك راءٍ ما عمِلْتَ وسامعُ

وأحببْ إذا أحببتَ حُبًّا مُقاربًا ... فإنَّك لا تدري متى أنت نازعُ

وأبغضْ إذا أبغضتَ غيرَ مُباينٍ ... فإنَّك لا تدري متى أنت راجعُ

(١٠١٤) وقال بعض الوزراء لبعض الخلفاء ـ حين أراد أن يتخذه وزيرًا ـ: «اجعل بيني وبين الغايةِ درجةً يخافها العدو، ويأملُها الصديق».

(١٠١٥) وقال عديٌّ بن زيد:

لا تأْمَنَنْ مِن مُبغِضٍ قُرْبَ دارِهِ ... ولا مِن مُحِبٍّ أنْ يَمَلَّ فيَبْعُدَا

وإنَّما يلزمُ من حَقِّ الإخاء: بذلُ المَجهُودِ في النصح، والتناهي في رعايةِ ما بينهما من الحقِّ؛ فليس في ذٰلك إفراطٌ ـ وإن تناهَى ـ، ولا مجاوزةُ حدٍّ ـ وإن كثُر وأوفَى ـ، فتستوي حالتاهما في المَغيب والمَشْهَد. ولأَنْ يكون مَغِيبُهما أفضلَ من مشهدِهما أولى؛ فإنَّ فضلَ المَشهدِ على المَغيب لؤم، وفضلَ المَغيبِ على المشهد كرم، واستواؤهُما حِفاظ[(٣)].

(١٠١٦) وقال بعضُ الشعراء:

= (٣٣٩٥)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٦٦)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (١١٤)، وتمَّام في «الفوائد» (١٥٤٣)، وقال الإمام الترمذي: «حديث غريب ـ لا نعرفه بِهٰذا الإسناد ـ إلا من هٰذا الوجه»، وقد بيَّن الحافظ العراقي رَحِمَهُٱللَّهُ أن راويه تردد في رفعه ووقفه، وظاهر كلام الشيخ شعيب الأرنؤوط أنه مال إلى الوقف ـ كما عند الترمذي (٤/ ٩٩) ـ، بينما **صحَّحه** مرفوعًا الشيخ الألباني. [ط]

(١) أي: لا تحِبُّ بولوعٍ وعنفٍ كما يفعل الصبيُّ بأمه، ولا تُبغِضْ بُغضًا يدعوك لإتلاف من تُبغضه، أو تموتُ أنت تلفًا من شدة هَمِّك به. [ط]

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٢)، وعبدالرزاق (٢٠٢٦٩) والبيهقي (٦٥٩٨).

(٣) أي: سببٌ في حفظ الأخوة. [ط]

عَلَيَّ لإخواني رقيبٌ من الصَّفا | تَبِيدُ الليالي وَهْو ليسَ يَبِيدُ
يُذَكِّرُنيهمْ في مَغيبي ومَشْهَدي | فسِيَّانِ منهمْ غائبٌ وشهيدُ
وإني لأستحي أخي أن أَبرَّه | قريبًا وأن أجفوه وَهْو بَعيدُ

وهٰكذا يقصدُ التوسُّطَ في زيارته وغشيانه ـ غيرَ مُقلِّل ولا مُكثِر ـ ؛ فإنَّ تقليل الزيارة داعيةٌ للهِجران، وكثرَتَها سببُ المُلال.

(١٠١٧) وقد قال النَّبيُ ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«يا أبا هريرة، زُرْ غِبًّا**[1] **تَزْدَدْ حُبًّا»**[2].

---

(١) غِبًّا: يومًا ويومًا. [ط]

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ** : رواه الخطَّابي في «العزلة» (٩٨ ـ تهذيبي)، والطيالسي (٢٥٣٥)، والبزار (٩٣١٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٥٤)، وفي «الصغير» (٥٦٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٣٦٣)، والقضاعي (٦٢٩)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٥٨٥)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٣٨٣)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في «العلل» (١٣٢٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٤)، **وضعَّفه** الإمام ابن الجوزي، وقال محقق «الشعب» (١٠/ ٥٦٦): «**إسناده ضعيف جدًّا**»، وللحديث شواهد:

منها: حديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧).

ومنها: حديث حَبيب بن مَسلمة الفهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١١٢)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٥)، و«الأوسط» (٣٠٥٢)، و«الصغير» (٢٩٦)، والحاكم (٣/ ٣٤٧).

ومنها: حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رواه الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٤٢٩).

ومنها: حديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رواه أبو الشيخ في «أمثال الحديث» (ص٥٩)، وعزاه الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ٣٦٦) للطبراني في «الكبير».

ومنها: حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه البزار (٣٩٦٣)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٨٠٠٧)، والقضاعي (٦٣٢)، والعُقيلي (٣/ ٤٢٣).

وحديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال فيه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٧٥): «فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات».

وحديث حبيب بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **سكت عليه** الحاكم والذهبي، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٧٦).

وقال الإمام ابن حِبَّان في «روضة العقلاء» (ص١٦١ ـ بعنايتي): «وقد رُوي عن النبي ﷺ أخبارٌ كثيرة تصرح بنفي الإكثار من الزيارة، إلا أنه لا يصحُّ منها خبرٌ من جهة النقل». =

(١٠١٨) وقال لَبيد:

تَوقَّــفْ عَــنْ زيــارةِ كُــلِّ يــومٍ	إذا أكثَــرت ملَّــكَ مَــنْ تَــزُورُ

(١٠١٩) وقال آخر:

أقْلِـلْ زيارتَـكَ الـصَّديقَ ولا تُطِـلْ	هِجْـــرانَهُ فَـــيلجَّ في هِجـــرانِهِ[1]
إنَّ الـــصديق يَلِـــجُّ في غَـــشَيانِهِ	لـــصديقه فـــيَمَلُّ مـــن غَـــشَيانِهِ
حتـى يَـراهُ بعـد طـولِ سُـرورِه	بمكانِـــــةٍ متـــــثاقِلًا بمكانِـــــهِ
فـإذا تَوانَـى عـن صـيانةِ نفـسهِ	رجـلٌ تُـنُقِّصَ واسـتُخِفَّ بـشأنِهِ

وبحسب ذٰلك فلْيكنْ في عتابه؛ فإنَّ كثرةَ العتاب سببُ القطيعة، واطراحُ جميعِهِ دليلٌ على قلةِ الاكتراثِ بأمر الصديق.

(١٠٢٠) وقد قيل: «عِلةُ المعاداة قِلةُ المُبالاة».

بل يتوسطُ حالتَي تركِه وعتابه، فيُسامِحُ بالمُتاركة، ويستصلحُ بالمُعاتبة؛ فإن المسامحةَ والاستصلاحَ إذا اجتمعا لم يلبثْ معهما نفور، ولم يبقَ معهما وجْد[2].

= وقد قال الإمام البزار رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد إخراجه لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٦/ ١٩١) ـ: «ليس في «زُرْ غبًّا تزدد حبًّا» عن النبي ﷺ حديثٌ صحيح».

وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «العلل» ـ بعد إيراده عن عدةٍ من الصحابة ـ: «هٰذه الأحاديث ليس فيها ما يثبت عن رسول اللَّه ﷺ». ثم أبان عللها.

وقال الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦٦): «هٰذا الحديثُ قد رُوي عن جماعةٍ من الصحابة، وقد اعتنى غيرُ واحد من الحفاظ بجَمْع طُرقه والكلام عليه، ولم أقف له على طريقٍ صحيح ـ كما قال البزار ـ؛ بل له **أسانيدُ حسانٌ** عند الطبراني وغيره، وقد ذكرت كثيرًا منها في غير هٰذا الكتاب، واللَّهُ أعلم».

وقال الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» (٢٥٨٣): «**صحيح لغيره**».

وقال الشيخ بشار بن عوَّاد في تحقيق «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٤): «حديث ضعيف، **لا يصح من وجه**، ولا يسلم له طريق».

وراجع ـ لزامًا ـ كلام الحافظ ابن حجر عليه في «الفتح» (١٠/ ٤٤٩)، و«صحيح ابن حِبَّان» (٢/ ٣٨٦). واللَّهُ المستعان. [ط]

(١) **يَلِجُّ**: يتمادى. [ط]

(٢) **الوجد**: الحزن والغضب. [ط]

(١٠٢١) وقد قال بعضُ الحكماء: «لا تُكثرنَّ مُعاتبةَ إخوانك، فيهونَ عليهم سُخطُك».

(١٠٢٢) وقال منصور النَّمرِيُّ[(١)]:

أقلِلْ عتابَ من استربتَ بودهِ ... ليستْ تُنالُ مودَّةٌ بعتابِ

(١٠٢٣) وقال بشار بن بُرد[(٢)]:

إذا كنتَ في كُلِّ الأمُور معاتبًا ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

وإن أنْتَ لم تشرَبْ مرارًا على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأيُّ الناس تَصْفُو مَشَارِبُهْ؟!

فعِشْ واحدًا أوْ صِلْ أخاكَ فإنَّه ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومجانِبُهْ

ثم من حقِّ الإخوان أن تغفرَ هَفوتَهم، وتستُرَ زلَّتَهم؛ لأنَّ من رامَ بريئًا من الهفوات، سليمًا من الزَّلَّات، رام أمرًا مُعْوِزًا، واقترح وصفًا مُعْجزًا.

(١٠٢٤) وقد قالت الحكماء: «أيُّ عَالِمٍ لا يهفو؟! وأيُّ صَارمٍ لا ينبو؟! وأيُّ جَوادٍ لا يَكبو؟!».

(١٠٢٥) وقالوا: «مَنْ حاول صديقًا يأمَنُ زلَّته، ويدومُ اغتباطُه[(٣)] به، كان كضالِّ الطريقِ الذي لا يزداد لنفسه إتعابًا، إلَّا ازداد من غايته بُعْدًا».

(١٠٢٦) وقيل لخالد بن صفوان: «أيُّ إخوانك أحبُّ إليك؟ قال: مَنْ غَفَرَ زَلَلي، وقَطَع عِلَلي، وبلَّغني أملي»[(٤)].

(١٠٢٧) وقال بعضُ الشعراء:

---

(١) منصور بن سلمة بن الزِّبْرقان بن شريك بن مطعم النمري، كان من شعراء الدولة العباسية، وهو تلميذ العتَّابي، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، توفي عام (٢١٠).
ترجمته في: الأغاني (١٣/ ١٤٠)، تاريخ بغداد (١٣/ ٦٥)، فوات الوفيات (٤/ ١٦٤).

(٢) الأبيات في ديوانه (٤٢ ـ ٤٨)، والأغاني (٣/ ١٣٧)، وعيون الأخبار (خبر ٣٩٥٣).

(٣) في الأصل «ارتباطه».
قلت: الاغتباط: السعادة. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤٢٦ ـ خبر: ٣٩٥٢).

مـا كـدْتُ أفحَـصُ عـن أخـي ثِقَـةٍ ... إلّا نـدِمْتُ عـواقِبَ الفَحْـصِ

(١٠٢٨) وأُنشِدْتُ عن الرَّبيع، للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أُحِـبُّ مِـنَ الإخـوان كُـلَّ مُواتِـي ... وكُـلَّ غَـضيضِ الطَّـرْف عن عَثَراتي

يُوافِقُنـي في كُـلِّ أمـرٍ أُريـدُه ... ويَحفظُنـي حَـيًّا وبعـدَ وَفـاتي

فَمَـنْ لـي بِهٰـذا لَـيْتَ أنِّـي أصـبْتُهُ ... فقاسَـمْتُه مـا لـي مِـنَ الحسَناتِ

تـصَفَّحْتُ إخوانِـي فكـان أقلُّهـم ... علـى كَثـرةِ الإخـوان أهـلَ ثقـاتي

(١٠٢٩) وأنشد ثعلب:

إذا أنْـتَ لـم تَـسْتَقبلِ الأمْـرَ لـم تَجِدْ ... بكفَّـيْكَ في أدبـاره مُـتعلَّقَا

إذا أنْـتَ لـم تتـرِكْ أخـاكَ وَزَلَّـةً ... إذا زَلَّهـا أوشـكتما أنْ تَفـرَّقَا

(١٠٣٠) وَحَكى الأصمعيُّ عـن بعض الأعـراب أنه قال: «تَناسَ[1] مساوئَ الإخوان يدُم لكَ ودُّهم».

(١٠٣١) ووصَّى بعض الأدباء أخًا له، فقال: «كُن للودِّ حافظًا، وإن لم تجد محافظًا، وللخلِّ واصلًا وإن لم تجد مُواصلًا».

(١٠٣٢) وقال رجل من إياد، ليزيد بن المُهلب[2]:

إذا لـم تَجـاوَزْ عـن أخٍ عـندَ زَلَّـةٍ ... فلـسْتَ غَـدًا عـن عَثـرتي مـتجاوزا

وكـيفَ يـرجِّيكَ البَعـيدُ لـنفعِهِ ... إذا كـان عـن مـولاكَ خيرُك عاجزا

ظلمْـتَ أخًـا كلَّفـته فـوْقَ وُسْـعِهِ ... وهـلْ كانـتِ الأخـلاق إلّا غرائـزا!

(١٠٣٣) وقال أبو مسعود ـ كاتب الرَّضِي ـ : «كُنَّا في مجلس الرَّضِيِّ، فشكا رجلٌ أخاه، فأنشأ الرَّضِيُّ يقول:

---

(١) في الأصل: بتناس.

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، الأمير والي العراق، تُوفي عام (١٠٢). ترجمته في: وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٨ ـ ٣٠٩).

اعْــذِرْ أخــاكَ على ذنــوبِهِ ... واسـتُرْ وغَـطِّ على عُـيوبِهْ
واصْـبِرْ على بَهْـتِ الـسَّفيهِ ... ولـلـزَّمانِ على خُطُـوبِهْ[١]
ودَعِ الجـــواب تفـــضُّلًا ... وكِـلِ الظَّلـومَ إلى حَـسِيبِهْ
واعلَـمْ بـأنَّ الحِلْـمَ عـندَ ... الغَـيظِ أحسَنُ مِـنْ رُكُوبِهْ».

(١٠٣٤) وحُكي عن بنت عبدِاللَّه بن مطيع، أنَّها قالت لزوجها ـ طلحةَ بن عبدِاللَّه[٢] بنِ عَوفٍ الزُّهرى[٣]، وكان أجودَ قريشٍ في زمانه ـ : «ما رأيْتُ قومًا ألأَمَ من إخوانك. قال لها: مَهْ، ولِمَ قلتِ ذٰلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرتَ لزِموك، وإذا أعسرت تركُوك، قال: هٰذا ـ واللَّهِ ـ من كرمهم؛ يأتوننا في حال القوَّة منا عليهم، ويتركوننا في حال الضَّعف بنا عنهم»[٤].

فانظر كيف تأوَّل ـ بكرمه ـ هٰذا التأويلَ، حتى جَعَلَ قبيحَ فِعلِهم حسنًا، وظاهِرَ غَدرِهم وفاءً، وهٰذا مَحْضُ الكَرَمِ ولُبابُ الفَضْل، وبمثل هٰذا يَلزم ذوي الفضل أن يتأوَّلوا لهفوات إخوانِهم[٥].

(١٠٣٥) وقد قال بعضُ الشعراء:

إذا ما بَـدَتْ مـن صـاحبٍ لك زَلَّـةٌ ... فكُـن أَنْـتَ مُحـتالًا لـزلَّته عُـذْرَا
أُحِـبُّ الفتَـى ينفِـي الفواحِشَ سمعُهُ ... كـأنَّ بـهِ عـن كُـلِّ فاحـشةٍ وَقْـرَا[٦]
سَليمُ دواعـي الـصَّدْرِ لا باسطٌ أذًى ... ولا مانـعٌ خيـرًا ولا قائـلٌ هَجْـرَا

---

(١) البَهْت: الافتراء. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: طلحة بن عبدالرَّحْمٰن.

(٣) طلحة بن عبداللَّه بن عوف، أبو عبـداللَّه، القرشي الزهري، قاضي المدينة، الفقيه، تُوفي عام (٩٧).
ترجمته في: أخبـار القضـاة (ص٨٤)، سيـر أعـلام النبـلاء (٤/ ١٧٤)، تهـذيب الكمـال (١٣/ ٤٠٨).

(٤) القصة في ترجمته في «الوافي» منسوبةً إلى بعض أهله، فاللَّه أعلم.

(٥) في المطبوعة والشرح: يتأولوا الهفوات من إخوانِهم.

(٦) الوَقْر: الصَّمَم. [ط]

والدَّاعي إلى هٰذا التأويل شيئان:

ـ التغافلُ الحادِثُ عن الفِطْنة.

ـ والتألُّف الصادر عن الوفاء.

(١٠٣٦) وقال بعضُ الحكماء: «وجدت أكثرَ أمور الدُّنيا لا تجوز إلَّا بالتغافل».

(١٠٣٧) وقال أكثَمُ بن صَيْفي: «من شدَّد نفَّر، ومن تراخَى تألَّف، والشرفُ في التغافل»[١].

(١٠٣٨) وقال شَبيب بن شيبة: «الأريبُ العاقل هو الفَطِنُ المتغافل»[٢].

(١٠٣٩) وقال أبو تمام الطائي:

لَيْسَ الغَبِيُّ بسيِّدٍ في قَوْمِهِ ... لٰكنَّ سيِّدَ قومِهِ المُتَغَابِي

(١٠٤٠) وقال أبو العتاهيه[٣]:

إنَّ في صِحَّةِ الإخاءِ من النَّاسِ ... وفي خُلَّةِ الوفاء لَقِلَّةْ

فالْبَس النَّاسَ ما استطعت على النقْص ... وإلَّا لم تستقِمْ لَكَ خُلَّةْ[٤]

عِشْ وحيدًا إنْ كنتَ لا تقبَل العُذْرَ ... وإنْ كنتَ لا تُجاوِزُ زَلَّةْ

مِنْ أبٍ واحدٍ وأمٍّ خُلِقْنا ... غيرَ أنَّا في المالِ أولادُ عَلَّةْ[٥]

[تألُّف الأعداء]:

وممَّا يتبع هٰذا الفصلَ تألُّفُ الأعداءِ بما يَثْنيهم[٦] عن البغضاء، ويَعطِفُهم على المحبَّة؛ وذٰلك قد يكون بصنوفٍ من البرِّ، ويختلفُ بحسب اختلاف الأحوال؛ فإنَّ ذٰلك من سمات الفَضلِ وشروطِ السُّؤدُد، فإنَّه ما أحدٌ يعدَمُ عدوًا، ولا يفقِدُ

(١) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤١٠ ـ خبر: ٣٨٧٣).

(٢) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤١٠ ـ خبر: ٣٨٧٤) منسوبة إلى حاتم.

(٣) لم أجده في ديوانه.

(٤) الخُلَّة: الصداقة. [ط]

(٥) العلَّات: أولاد الرجل من نسوة شتى.

(٦) يَثْنيهم: يُبعدهم. [ط]

حاسدًا، وبحسَب وفور[1] النِّعمةِ تكثُرُ الأعداءُ والحَسَدة.

(١٠٤١) كما قال البُحْتري:

ولَنْ تستَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ ... إذا أنْتَ لم تُدلَلْ عليها بحاسدِ

فإنْ أغفَلَ تألُّفَ الأعداء ـ مع وُفور النِّعمة، وظهور الحَسَدة ـ توالَى عليه من مَكر حليمهم، وبادرةِ سفيههم ما تصيرُ به النِّعمةُ غرامًا، والزعامة[2] ملامًا.

(١٠٤٢) ورَوى ابنُ المسيَّب، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رأسُ العَقْلِ ـ بعدَ الإيمانِ باللَّه تعالى ـ التودُّد إلى النَّاس**»[3].

(١٠٤٣) وقال سُليمان بن داود عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ لابنه: «لا تستكثرْ أن يكون لك ألفُ صديق؛ فالألفُ قليل، ولا تستقلَّ أن يكونَ لك عدوٌّ واحد؛ فالواحدُ كثير»[4].

(١٠٤٤) فنظم ابن الرومي هٰذا المعنى، فقال:

تَكثَّرْ من الإخوان ما استطعْتَ فإنَّهم ... بطُونٌ إذا ماستنجدْتَهم وظُهُورُ

وليس كثيرًا ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لَكثيرُ

(١٠٤٥) وقيل لعَبدِالملك بن مَرْوان: «ما الذي أفدتَ في مُلكِك هٰذا؟ قال: مودَّةُ الرجال».

(١٠٤٦) وقال بعضُ الحكماء: «مِن علامةِ الإقبال اصطناعُ الرجال».

(١٠٤٧) وقال بعضُ البلغاء: «من استصلح عدوَّه زاد في عَدَده، ومَن استفسَدَ

---

(١) في المطبوعة والشرح: قدر.

(٢) في الأصل: والدعة.

(٣) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٨٦٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٧٠)، وفي «مكارم الأخلاق» (١٣٩)، والبزار (٧٨٥١)، والقضاعي (٢٠٠)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٢٩)، وابن شاهين في «الترغيب» (٢٦٠)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٤٠)، و«مدارة الناس» (٣٠)، **وضعَّفه** الإمام البيهقي ـ بعد إخراجه ـ، **وأقرَّه** الإمام المُناوي في «الفيض» (٣/ ٥٧٥)، وكذا **ضعَّفه** الإمام البزار، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٦٣١)، و«ضعيف الجامع» (٣٠٧١). [ط]

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان (٣١)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (خبر: ٣٨٤٥).

صديقَه نقصَ من عُدَدِه».

(١٠٤٨) وقال بعضُ الأدباء: «العَجَبُ ممن يَطرَحُ عاقلًا كافيًا؛ لِمَا يضمرُه من عداوتِه، ويصطنعُ عاجزًا جاهلًا؛ لِمَا يُظهِرُه من محبته، وهو يقدرُ على استصلاح مُن يعاديه بحُسن صنائعِهِ وأياديه».

(١٠٤٩) وأنشد عبدُاللَّه بن الزُّبير ثلاثةَ أبيات جامعةٍ لكُلِّ ما قالته العربُ، وهي للأَفْوهِ ـ واسمه صَلاءةُ بن عَمرو[١] ـ، حيث يقول:

بلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بعدَ قَرْنٍ ... فلم أَرَ غيرَ خَتَّالٍ وقالِ[٢]

وذُقْتُ مَراراةَ الأشياء جَمعًا ... فما طَعْمٌ أمرَّ مِن السؤالِ

ولم أرَ في الخُطُوب أشدَّ هولًا ... وأصعَبَ مِنْ معاداةِ الرجالِ

(١٠٥٠) وقال القاضي التَّنُوخي[٣]:

اِلْقَ العَدُوَّ بوجهٍ لا قُطوبَ به ... يكادُ يَقطُرُ من ماءِ البشَاشَاتِ

فأحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أعادِيهِ ... في جسم حِقْدٍ وثوبٍ من مَوَدَّاتِ

الرِّفْقُ يُمْنٌ وخيرُ القَوْلِ أصدَقُهُ ... وكثْرَةُ المَزْحِ مِفتاحُ العَداواتِ

(١٠٥١) وأُنشِدت عن الرَّبيع للشافعي[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لمَّا عَفَوْتُ ولمْ أحْقِدْ على أَحَدٍ ... أَرحْتُ نفسِيَ من هَمِّ العداواتِ

إنِّي أُحَيِّي عدوِّي عند رؤيتِهِ ... لأدفعَ الشَّرَّ عنِّي بالتَّحياتِ

---

(١) الأفوَه الأوْدي، من قدماء الشعراء الجاهلية وحكمائهم.
ترجمته في: الشعر والشعراء (ص٥٩).

(٢) بَلوتُ: اختبرت. ختَّال: خداع. قالٍ: كاره. [ط]

(٣) القاضي أبو عليٍّ المحسِّن بن أبي القاسم عليِّ بن محمد بن أبي الفهم التنُوخي، توفي عام (٣٨٤).
ترجمته في: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٨٠)، تاريخ بغداد (١٣/ ١٥٥)، وفيات الأعيان (٤/ ١٥٩).

(٤) الأبيات في روضة العقلاء (٢/ ٦٥٧)، منسوبةً إلى هلال بن العلاء الباهلي.

وأُظْهِرُ البِشرَ للإنسان أُبْغِضُه ... كأنَّما قد حَشَا قلبي مَحبَّاتِ
النَّاسُ داءٌ وداءُ النَّاسِ قُرْبُهُم ... وفي اعتزالِهمُ قطعُ المَوَدَّاتِ

وليس ـ وإن كان بتألُّف الأعداءِ مأمورًا، وإلى مقاربتهم مندوبًا ـ ينبغي أن يكونَ لهم راكنًا، وبهم واثقًا؛ بل يكونُ منهم على حَذَر، ومِن مَكْرهم على تحرُّز، فإنَّ العداوةَ إذا استَحكمت في الطباع، صارت طبعًا لا يستحيل، وجِبِلَّةً لا تزول، وإنما يَستكفِي بالتألُّف إظهارَها، ويَستدفع به أضرارَها، كالنَّار يُستدفع بالماءِ إحراقُها، ويُستفاد به إنضاجُها، وإن كانت مُحرقةً بطبعٍ لا يزول، وجوهرٍ لا يتغيَّر.

(١٠٥٢) وقد قال ابن نُباتة الشاعر:

وإذا عجزْتَ عن العدوِّ فدارِهِ ... وامْزَحْ له إنَّ المِزَاحَ وِفاقُ
فالنارُ بالماءِ الذي هو ضدُّها ... تُعطِي النِّضاجَ وطبعُها الإحراقُ



فصل

٥ ـ وأمَّا البرُّ ـ وهو الخامسُ من أسباب الألفة ـ:

فلأنَّه يُوصِّلُ إلى القلوب ألطافًا، ويُنبِتُها[١] محبةً وانعطافًا، ولذٰلك نَدبَ اللَّهُ تعالى إلى التعاون به، وَقرنهُ بالتقوى لهُ، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ١]، لأنَّ في التقوى رضا اللَّه تعالى، وفي البِرِّ رضا النَّاس، ومَن جَمَع بين رضا اللَّه تعالى ورضا الناس، فقد تمَّتْ سعادتُه، وعمَّت نعمتُه.

(١٠٥٣) ورَوىَ الأعمش، عن خَيْثمة، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**جُبِلَت القلوبُ على حُبِّ من أحسَنَ إليها، وبُغْضِ من أساءَ إليها**»[٢].

(١٠٥٤) وحُكي أنَّ اللَّهَ تعالى أوحى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذَكِّرْ عبادي إحساني إليهم ليُحِبُّوني؛ فإنَّهم لا يحبُّون إلَّا من أحسَنَ إليهم».

(١٠٥٥) وأنشدني أبو الحسن الهاشمي[٣]:

النَّاسُ كُلُّهم عِيالُ ... اللَّهِ تَحتَ ظلالِهِ

---

(١) في المطبوعة والشرح: ويثنيها.

(٢) **موضوع**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٨٥٧٤)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٠١)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١)، والخطيب في «التاريخ» (٨/ ٣٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٦٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٢٩)، وذكره الذهبي في «الميزان» (١/ ٥١٤)، وحكم عليه الإمامان أحمد ويحيى بن مَعين **بالوضع** ـ كما نقله عنهم المُناوي في «الفيض» (٣/ ٣٤٥) ـ. وقال الإمام ابن عدي: «هٰذا لم أكتبه مرفوعًا إلا من هٰذا الشيخ، ولا أدري برفع الحديث إلا من هٰذا الوجه، وهو معروف عن الأعمش موقوفًا»، **وأقرّه** الإمام البيهقي في «الشعب» (١١/ ٣٠٨)، وقال الإمام ابن الجوزي: «هٰذا حديث **لا يصحُّ** عن رسول اللَّه ﷺ»، وقال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص١٧٢): «**هو باطلٌ مرفوعًا وموقوفًا**». وقال الشيخ الألباني: «**موضوع**»، وكذا قال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وقال محقق «الشعب» (١١/ ٣٠٧): «**ضعيف جدًّا**». **[ط]**

(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.

فأحــبُّهُمْ طُــرًّا إلـــيهِ أبـــرُّهم لعــــيالِهِ[١]

[أنواع البر]:

والبِرُّ نوعان: صِلَةٌ، ومعروف.

[١] **فأمَّا الصِلَةُ:** فهي التبرُّع ببذل المال في جهاتٍ محمودة[٢]، لغير عِوَضٍ مطلوب؛ وهٰذا يبعث عليه سماحةُ النفس وسخاؤها، ويمنَعُ منه شُحُّها وإباؤها.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

(١٠٥٦) ورَوى محمدُ بن إبراهيمَ التَّيمي، عن علقمةَ بن وقَّاص، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«السَّخِيُّ قَرِيبٌ من اللَّهِ ﷻ، قَرِيبٌ من الجنَّةِ، قَرِيبٌ من النَّاسِ، بَعِيدٌ من النَّارِ. والبَخِيلُ بَعِيدٌ من اللَّهِ ﷻ، بَعِيدٌ من الجنةِ، بَعيدٌ من النَّاسِ، قَرِيبٌ من النَّار»**[٤].

---

(١) **طُرًّا:** جَميعًا. **والعيال:** الفقراءُ المحاويج. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: الجهات المحدودة بالتعريف.

(٣) في الأصل: إبراهيم بن محمد التيمي عن عروة بن الزبير عن النَّبي ﷺ.

(٤) **ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٣٥٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٣٥٢)، ورواه عن سعيد بن المسيب عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ابن شاهين في «الترغيب» (٢٦٦)، والبغدادي في «حديث أبي الفضل الزهري» (٧٠٦)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٩٤)، **وضعَّفه** الإمام البيهقي، والإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠)، وقال الإمام الدَّارَقُطْني: «لهٰذا الحديث طرقٌ لا يثبت منها شيء»، وقال ابن عدي: «**ليس له أصل**»، **وأقرَّهما** الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٤١٧)، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣١٥)، والإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (٤٣٣)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٣٤١)، و«الضعيفة» (١٥٤).

وقد ورد الحديث من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ رواه الترمذي (١٩٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٢٩)، **وضعَّفه** الإمام الترمذي، والحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤١٧)، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠)، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٣/ ٩١)، **وضعَّفه** الأئمة ابن الجوزي والعُقيلي والمنذري في «الترغيب» (٣٩٤٥)، وغيرهم كثير، **وضعفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٥٤)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، ومحقق «شعب الإيمان»، للبيهقي (١٣/ ٢٩٤). =

(١٠٥٧) وقال ﷺ لعديِّ بن حاتم[1]: **«رَفَعَ اللَّهُ عن أبيك العذابَ الشَّديدَ لسخائه»**[2].

(١٠٥٨) وبلغه ﷺ عن الزُّبير إمساكٌ، فجذَبَ عِمامتَه إليه، وقال: **«يا زُبَير، أنا رسولُ اللَّه إليكَ وإلى غيرك، يقولُ: أَنفِقْ أُنفِقْ عليك، ولا تُوكِ فأُوْكِ عليك[3]»**[4].

(١٠٥٩) ورَوى أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من يوم غَرَبَتْ**

= وانظر: «الكامل» لابن عدي (٢/ ١١٧)، و«العلل» للدَّارَقُطْني (٢/ ١١٧). [ط]

(١) عدي بن حاتم الطائي، الصحابي المشهور، الذي يضرب به الأمثال في السخاء، توفي عام (٦٦).

ترجمته في: تهذيب الكمال (١٩/ ٥٢٤)، تاريخ بغداد (١/ ١٨٩)، الإصابة (ترجمة ٥٤٧٥).

(٢) **باطل**: ولا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ، وحاتمٌ الطائي كان من أهل الجاهلية، ولم يثبُت بدليل صحيح أنه مات على الإيمان ـ بل الدليلُ على خلافه ـ وولدُه عديٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل إسلامِه كان نصرانيًّا، فأحسن أحوال والده أن يكون كذٰلك ـ وإن كان الظاهرُ من ترجمته أنه كان وثنيًّا ـ؛ وأقطعُ دليلٍ على بطلان هٰذا الأثر ما ثبت عن عديٍّ نفسِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه، إن أبي كان يَصِلُ الرحمَ، ويفعلُ ويفعل (أي: من أعمال الخير)، فهل له في ذٰلك ـ يعني من أجر ـ ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنَّ أباكَ طلبَ أمرًا فأصابَه»**. أي: كان يفعل ذٰلك للسمعة والرياء بين الناس، وقد نال ما أراد. والحديثُ **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٣٩٧)، وابن حِبَّان (٣٣٢)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٣٦١)، وغيرهم، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. وكلُّ هٰذا مما يؤكد بطلان الأثر، وانظر بعض أخبار حاتم الطائي في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٥٢ ـ ط: هجر)، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) **الإيكاء**: الرَّبْط. والمقصود: البُخل. [ط]

(٤) **لم أجده بهٰذا اللفظ**: ويغني عنه ما يلي:

ـ ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«قال ربُّنا ﷻ: يا ابنَ آدم، أنفِقْ أُنفِقْ عليك»**، **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٦٤)، والبخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣)، وابن ماجه (٢١٢٣).

ـ وثبت عن أسماءَ بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قلتُ للنبي ﷺ: ليس لي إلا ما أَدخَلَ الزُّبيرُ بيتي! قال: **«أنفِقي، ولا تُوكِي فيُوكَى عليكِ»**. **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٣٤٤)، وأبو داود (١٦٩٩)، والترمذي (١٩٦٠)، والنسائي (٢٥٥١)، و«الكبرى» (٢٣٤٣)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. وفي لفظٍ عند ابن حِبَّان (٣٢٠٩) عن أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وكانت إذا أنفقت شيئًا تُحصي، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: **«أنفِقي ولا تُحصِي فيُحصِي اللَّهُ عليكِ، ولا تُوعي فيُوعِي اللَّهُ عليكِ»**. **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

فيه شمسُه، إلَّا ومَلَكانِ يُناديان: اللَّهم أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ومُمسِكًا تَلَفًا[(١)]». وأُنزل في ذٰلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل][(٢)].

(١٠٦٠) وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿مَنْ أَعْطَىٰ﴾ فيما أُمِر، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ فيما حُظِر، ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني بالخُلْف من عطائه؛ فعند هٰذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سادةُ[(٣)] الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»[(٤)].

(١٠٦١) وقيل في منثور الحِكم: «الجُودُ. عَنْ مَوجُود».

(١٠٦٢) وقيل في المثل: «سُؤْدُدٌ[(٥)] بلا جُود، كمُلْكٍ بلا جُنود».

(١٠٦٣) وقال بعضُ الحُكماء: «الجُودُ حارسُ الأعراض».

(١٠٦٤) وقال بعضُ الأدباء: «مَن جاد ساد، ومَن أَضعَفَ ازداد[(٦)]».

(١٠٦٥) وقال بعضُ البلغاء: «جُودُ الرجل يحبِّبُه إلى أضداده، وبُخلُه يُبغِّضُه إلى أولاده»[(٧)].

(١٠٦٦) وقال بعضُ الفصحاء: «خيرُ الأموال ما استرقَّ حُرًّا، وخيرُ الأعمال ما استحقَّ شكرًا».

---

(١) أي: يدعوانِ للمنفق بالخَلَفِ وسعةِ الأرزاق، ويدعوانِ على المُمسِك بتلف ماله. [ط]

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٩٧)، والطيالسي (٩٧٩)، وعبدُ بن حُميد (٢٠٧)، والطبري في مسند ابن عباس من «تهذيب الآثار» (١/ ٢٦٦)، وابن حبان (٦٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١٢)، والحاكم (٢/ ٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨١٠) ، والبيهقي في «الشعب» (٣٤١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٤٥)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وليس عندهم ذكر الآية، وإنما هي ثابتةٌ في «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٦٥)، من رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١٤/ ٣٧٥). [ط]

(٣) في المطبوعة: سادات، وفي الشرح: لسادات.

(٤) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ١٠٧ ـ خبر: ٢٠٥).

(٥) السُّؤدُد: الشرف والسيادة. [ط]

(٦) أي: ومن أضعف الإحسان للآخرين ازداد محبةً منهم وكثرةَ أعوان. [ط]

(٧) في الأصل: يحببه إلى الإضداد وبخله يبغضه إلى الأولاد.

(١٠٦٧) وقال صالح بن عبدالقُدُّوس:

ويُظهرُ عيبَ المرء في الناسِ بُخْلُهُ ... ويسترُهُ عنهم جميعًا سخاؤُهُ

تغطَّ بأثواب السَّخاء فإنني ... أَرَى كُلَّ عيبٍ السَّخاءُ غطاؤُهُ

وحدُّ السَّخاء: بَذْلُ ما يُحتاج إليه عند الحاجة، وأن يُوصَلَ إلى مستحقِّه بقدرِ الطاقة، وتدبيرُ ذٰلك مستصعَب، ولعلَّ بعضَ من يُحبُّ أن يُنسَبَ إلى الكرم يُنكِرُ حدَّ السَّخاء، ويجعل تقديرَ العطيةِ[1] فيه نوعًا من البخل، وأنَّ الجودَ بَذْلُ الموجود[2]! وهٰذا تكلُّف يُفضي إلى الجهل بحدودِ الفضائل، ولو كان حَدُّ الجودِ بذلَ الموجود، لَمَا كان للسَّرَفِ موضعًا، ولا للتبذير موقعًا، وقد ورد الكتاب بذمِّهما، وجاءت السُّنة بالنهي عنهما.

وإذا كان السَّخاءُ محدودًا، فمَنْ وقَفَ على حدِّه سُمِّي «كريمًا»، وكان للحمدِ مُستَحِقًّا، ومن قَصَّر عنهُ كان «بخيلًا»، وكان للذَّمِّ مُستوجبًا.

وقد قال اللَّه تعالى: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾** [آل عمران: ١٨٠].

(١٠٦٨) ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أقسَمَ اللَّهُ تعالى بعزَّته: لا يُجاوِرُه بخيلٌ**»[3].

(١٠٦٩) وَرُوي عنه ﷺ أنه قال: «**طعامُ الجَوَاد دواء، وطعامُ البخيل داء**»[4].

---

(١) تقدير العطية: إعطاؤها بقدَرٍ معلوم. [ط]

(٢) أي: كله. [ط]

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٤٧)، و«الأوسط» (٥٥١٨)، وتمَّام في «الفوائد» (٢٥٨)، وأبو نُعيم في «صفة الجنة» (١٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجوَّد إسناده الحافظ المنذري في «الترغيب» (٥٧٥٥)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٧)، بينما ضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٥٥٢). ولفظ الحديث: «**خَلق اللَّهُ جنةَ عدْنٍ بيده، ودلَّى فيها ثِمارَها، وشَقَّ فيها أنهارَها، ثم نَظر فيها، فقال لها: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾** [المؤمنون]، **فقال: وعزَّتي لا يُجاوِرُني فيكِ بخيلٌ**». [ط]

(٤) موضوع: رواه الديلمي في «الفردوس» (٣٩٥٤)، والخطيب في «المؤتلف» ـ كما في «لسان الميزان» (١/ ٢٦٩) ـ، وعزاه السيوطي في «الجامع الكبير» ـ كما في «الفيض» (٤/ ٢٦٤) ـ =

(١٠٧٠) وسمع رسولُ اللَّه ﷺ رجلًا يقول: الشَّحيحُ أعذَرُ من الظالم، فقال: «**لَعَنَ اللَّه الشحيحَ، ولعَنَ اللَّه الظالم**»[(١)].

(١٠٧١) وقال بعضُ الحكماء: «البُخْلُ جِلبابُ المَسْكَنة[(٢)]».

(١٠٧٢) وقال بعضُ الأدباء: «البخيل ليس له خليل».

(١٠٧٣) وقال بعضُ البلغاء: «البخيلُ حارسُ نعمتِه، وخازنُ وَرَثتِه».

(١٠٧٤) وقال بعضُ الشعراء:

إذا كُنتَ جَمَّاعًا لِمالِكَ مُمْسِكًا ... فأنتَ عليه خازنٌ وأمينُ

تؤدِّيه مذمُومًا إلى غيرِ حامدٍ ... فيأكلُه عفوًا وأنت دفينُ

(١٠٧٥) وتظاهَرَ بعضُ ذوي النَّباهة بحبِّ الثناء مع إمساكٍ فيه، فقال فيه بعضُ الشعراء:

أراكَ تؤمِّلُ حُسنَ الثَّناءِ ... ولم يرزُقِ اللَّهُ ذاكَ البخيلا

وكيف يَسُودُ أخو بِطنةٍ ... يَمُنُّ كثيرًا ويعطي قليلا[(٣)]

وقد بينا حُبَّ الثناء وحُبَّ المال؛ لأنَّ حُبَّ الثناء يبعثُ على البَذْل، وحُبَّ المالِ يمنعُ منه؛ فإن ظهرا كان حبُّ الثناء كاذبًا.

= للخطيب في «البخلاء»، والخِرَقي في «الفوائد»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحكم عليه الحافظ الذهبي في «الميزان» بأنه من **الأكاذيب**، والحافظ ابن حجر **بالنكارة** في «اللسان» (١/ ٢٦٩)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٨٢٤). [ط]

(١) **باطل**: ولا أعلم له أصلًا عنه ﷺ، وإنما ورد ـ بنحوه ـ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الطبراني في «الأوسط» (٤٠٦٦) أنه سمع رجلًا يقول: الشحيحُ أعذرُ من الظالم، فقال ابن عمر: كذبتَ، سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الشحيحُ لا يدخلُ الجنة**»، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٣). [ط]

وأخرج الخطيب في «البخلاء» ـ كما في «كنز العمال» (٧٤٠٧) ـ عن أبي شجرة، عن النَّبي ﷺ: «**تقولون: أعذر من الظالم، وأي ظُلم أظلمُ عند اللَّه من الشح**».

(٢) **المَسكنة** ـ هنا ـ: الذل ـ واللَّهُ أعلم ـ. [ط]

(٣) **البِطْنة**: التخمة، والمقصود: الشَّرِهُ كثير الأكل. [ط]

(١٠٧٦) وقد قال بعضُ الشعراء:

جَمَعتَ أمرين ضاع الحزمُ بينهما تِيهَ الملوكِ وأخْلاقَ المماليكِ
أردْتَ شكرًا بلا بِرٍّ ولا صِلَةٍ لقد سلَكْتَ طريقًا غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَك لم يُقرَع بقارعةٍ وما أراكَ على حالٍ بمتروكِ
لئنْ سَبقْتَ إلى مالٍ حَظِيتَ بهِ فما سَبقْتَ إلى شيءٍ سوى النُّوكِ[١]

وقد يحدُثُ عن البُخْل من الأخلاق المذمومة ـ وإن كان ذريعةً إلى كُلِّ مَذِمَّة ـ أربعةُ أخلاق ـ ناهيك بها ذمًّا ـ ، وهي: الحِرْصُ، والشَّرَه، وسُوء الظَّنِّ، ومَنْعُ الحقوق.

١ ـ **فأمَّا الحِرْصُ**: فهو شدَّةُ الكَدْح[٢]، والإسرافُ في الطلب.

٢ ـ **وأما الشَّرَه**: فهو استقلالُ الكفاية، والاستكثارُ لغير حاجةٍ، وهٰذا فرق ما بين الحِرْص والشَّرَه.

(١٠٧٧) وقد رَوىَ العلاءُ بن جَرير، عن أبيه، عن سالم بن مسروقٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ لا يَجزيهِ منَ العيش ما يَكفيه، لم يَجِدْ ـ ما عاش ـ ما يُغنيه**»[٣].

(١٠٧٨) وقال بعضُ الحكماء: «الشَّرَهُ من غرائز اللؤم».

٣ ـ **وأمَّا سوء الظَّنِّ**: فهو عدمُ الثقةِ بمن هو لها أهل، فإن كان بالخالقِ كان شكًّا يؤولُ إلى ضلال، وإن كان بالمخلوق كان استخانةً[٤] يصير بها مُختانًا وخوَّانًا[٥]، لأنَّ ظنَّ الإنسان بغيره بحسبِ ما يراه من نفسه، فإنْ وَجد فيها خيرًا ظنَّه في غيره، وإن رأى فيها سُوءًا اعتقده في الناس.

(١٠٧٩) وقد قيل في المثل: «كُلُّ إناءٍ ينضَح بما فيه».

---

(١) **النوك**: الحُمق. [ط]
(٢) **الكَدح**: التعب والمعناة. [ط]
(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
(٤) **الاستخانة**: التخوين. [ط]
(٥) أي: لو خوَّن غيره لكان هو ـ أيضًا ـ خائنًا. [ط]

(١٠٨٠) فإن قيل: قد تقدَّم من قول الحكماء: «أن مِن الحزم سُوء الظنِّ».
قيل: تأويله قِلَّةُ الاسترسال إليهم، لا اعتقادُ السوء فيهم[١].

٤ ـ وأمَّا منعُ الحقوق: فإنَّ نفسَ البخيل لا تسمحُ بفِراقِ محبوبِها، ولا تنقادُ إلى ترك مطلوبِها، فلا تُذعِن لحقٍّ، ولا تُجيب إلى إنصاف.

وإذا آلَ البخيلُ إلى ما وصفنا من هٰذه الأخلاق المذمومةِ، والشِّيم اللئيمة، لم يَبقَ معه خيرٌ مرجُو، ولاصلاحٌ مأمول[٢].

(١٠٨١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال للأنصار: «**مَنْ سيِّدُكم؟**»، قالوا: الجِدُّ بن قيس ـ على بُخلٍ فيه ـ! فقال ﷺ: «**وأيُّ داءٍ أدوأُ من البخل!**»، قالوا: وكيف ذٰلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**إنَّ قومًا نزلوا بساحل البحر، فكَرِهوا ـ لبخلهم ـ نزولَ الأضياف بهم، فقالوا: لِيَبْعدِ الرجالُ منَّا عن النساء، حتى يعتذرَ الرجالُ إلى الأضياف بِبُعد النساء، ويعتذرَ النساءُ بِبُعدِ الرجال، ففعلوا، وطال ذٰلك بهم، فاشتغل الرجالُ بالرجال، والنساءُ بالنساء**[٣]»[٤].

وأمَّا السَّرَفُ والتبذير: فإنَّ من زَاد على حدِّ السَّخاء فهو مُسرفٌ ومبذِّر، وهو بالذَّمِّ جدير، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) المقصود: شدة الحذر. [ط]

(٢) من هنا إلى آخر الحديث سقط من المطبوعة، وهو ثابت في الأصل والشرح.

(٣) أي: وقع كلٌّ منهم ببعضهم، فوقع بين الرجال اللواط، وبين النساء السحاق، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٤) **صحيح ـ دون ذكر القصة ـ**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٣٥٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٧)، وفي «معرفة الصحابة» (١١٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩١٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٩١)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني.

وورد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٣/ ٢٤٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٣٥٨)، وأبي نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٥)، و«الأوسط» (٣٦٥٠)، وأبي الشيخ في «الأمثال» (٩٠)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٠٤).

وأما قصة الساحل المذكورة، فقد ذكرها الإمام المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٦/ ٣٦٠)، وعزاها للمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يذكر لها مُخرِّجًا، ولا أعلم لها سندًا. [ط]

(١٠٨٢) ورُوي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**ما عالَ مَنِ اقتصد**[١]»[٢].

(١٠٨٣) وقد قال المأمون رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خيرَ في السَّرف، ولا سَرَف في الخير».

(١٠٨٤) وقال بعضُ الحكماء: «صَديقُ الرجل قصدُه، وعدوُّه سَرَفه».

(١٠٨٥) وقال بعضُ البلغاء: «لا كثيرَ مع إسراف، ولا قليلَ مع احتراف».

[الفرق بين السَّرَف والتبذير]:

واعلم أنَّ «السَّرف» و«التبذيرَ» قد يفترق معناهما:

- فالسَّرف هو الجهلُ بمقادير الحقوق.
- والتبذيرُ هو الجهلُ بمواقع الحقوق.

وكلاهما مذمومٌ، وذمُّ التبذير أعظم؛ لأنَّ المسرفَ يخطئُ في الزيادة، والمبذِّرُ يُخطئُ في الجهل[٣].

ومَنْ جَهِلَ مواقعَ الحقوق ومقاديرَها بماله وأخطأها، فهو كمن جهِلها بفعاله فتعدَّاها، وكما أنه بتبذيره قد يضعُ الشيءَ في غير موضعه، فهٰكذا قد يَعدِلُ به[٤] عن موضعه؛ لأنَّ المال أقلُّ من أن يُوضَعَ في كلِّ موضع - من حقٍّ وغير حقٍّ -.

(١٠٨٦) وقد قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ سَرَفٍ فبإزائه حقٌّ مُضَيَّع».

(١٠٨٧) وقال بعضُ الحكماء: «الخطأُ في إعطاء ما لا ينبغي ومَنعِ ما ينبغي واحدٌ».

---

(١) **عال**: افتُقر. أي: ما افتقر من عاش بالقصد والتوسط في أموره. [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ٤٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩٠)، والشاشي (٧١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠١١٨)، و«الأوسط» (٥٠٩٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦١٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٦٩)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٣٤٨)، وأبو الشيخ في الأمثال (٨٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٥٢)، والشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥١٠١)، و«الضعيفة» (٤٤٥٩). وقد جاء لفظ أبي الشيخ: «**لا يُعيلُ أحدٍ على قصدٍ، ولا يبقى على سرفٍ كثيرٌ**»، ولفظ ابن أبي الدنيا: «**ما عال مقتصدٌ**». [ط]

(٣) في الأصل: مخطئ في الجميع.

(٤) **يعدل به**: يميل ويبتعد. [ط]

(١٠٨٨) وقال سُفيان الثَّوري: «الحلالُ لا يحتملُ السَّرَف[١]».

وليس يتمُّ السَّخاءُ ببذْلِ ما في يدِهِ، حتَّى تسخوَ نفسه عمَّا بيد غيره، فلا يميلُ إلى طلبٍ، ولا يكفُّ عن بَذْلٍ.

(١٠٨٩) وقد حُكي أنَّ اللَّه تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أتدري لِمَ اتخذتك خليلًا؟ قال: لا ـ يارَبِّ ـ! قال: إني رأيتك تُحبُّ أن تُعطيَ، ولا تُحب أن تأخذ».

(١٠٩٠) ورَوى سَهلُ بن سَعدٍ السَّاعِديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىَ رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول اللَّه، مُرني بعملٍ يُحبُّني اللَّهُ عليه، ويُحبُّني الناس، فقال: **«ازهَدْ في الدنيا يُحبَّك اللَّه، وازهَدْ فيما في أيدي الناس يُحبَّك النَّاس»**[٢].

(١٠٩١) وقال أيوبُ السَّختياني[٣]: «لا ينبُلُ الرجلُ حتَّى يكون فيه خَصْلتان: العفَّةُ عن أموالِ النَّاس، والتجاوزُ عنهم»[٤].

(١٠٩٢) وقيل لسفيان: «ما الزُّهدُ في الدُّنيا؟ قال: الزُّهدُ في الناس[٥]».

---

(١) لأن طرق كسب الحلال قليلةٌ ـ بالنسبة للحرام ـ، ومن ثم يكون صاحب الحلال حريصًا عليه. [ط]

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أبو عُبيد القاسم بن سلَّام في «المواعظ» (١٣١)، وابن ماجه (٤١٠٢)، وابن حِبَّان في «روضة العقلاء» (٤٣٩ ـ بعنايتي)، والحاكم (٤/ ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٤)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٠٢)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١١)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، والشيخ الألباني، **وحسَّنه** الإمام النووي في «الأربعين النووية ـ مع جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٧٤) ـ، بينما **ضعَّفه** الإمام البوصيري في «زوائد ابن ماجه»، وحكم الإمام الذهبي على أحد رواته بأنه «**وضَّاع**»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم» (٢/ ١٧٤)، **وضعَّفه جدًّا** في تحقيق «سنن ابن ماجه (٥/ ٢٢٥). [ط]

(٣) أيوب بن أبي تميمة، واسمُه كيسان، السختياني، أبو بكر البصري، من التابعين، توفي عام (١٣١).

ترجمته في: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٦٣)، حلية الأولياء (٣/ ٢ ـ ١٤).

(٤) العبارة في الحلية (٣/ ٥): «لا يسُودُ العبدُ حتى يكونَ فيه خَصلتان: اليأسُ مما في أيدي الناس، والتغافلُ عما يكونُ منهم».

(٥) أي: الزهد فيما عندهم. أو الاستغناء عنهم. [ط]

(١٠٩٣) وكتب كسرى إلى ابنه هُرْمُز: «يا بُني، استقلِلِ الكثيرَ مما تُعطي، واستكثِرِ القليل مما تأخذ؛ فإنَّ قُرَّةَ عيونِ الكرام في الإعطاء، وسرورَ اللئام في الأخذ، ولا تَعُدَّ الشَّحيحَ أمينًا، ولا الكذَّاب حُرًّا؛ فإنَّه لا عفَّة مع الشحِّ، ولا مروءة مع الكذب».

(١٠٩٤) وقال بعض الحكماء: «السَّخاء سخاآن؛ فأشرفُهما سخاؤك عمَّا بيد غيرك».

(١٠٩٥) وقال بعضُ البلغاء: «السَّخاء: أن تكون بمالك مُتبرِّعًا، وعن مال غيرك متورِّعًا».

(١٠٩٦) وقال بعضُ الصلحاء: «الجودُ غايةُ الزُّهْدِ، والزُّهْدُ غايةُ الجود».

(١٠٩٧) وقال بعض الشعراء:

إذا لم تكن نَفْسُ الشَّريف شريفةً ... وإن كان ذا قَدْرٍ فليس له شَرَفْ



فصل

[نوعا البذل]

والبذلُ على وجهين:

أحدهما: ما ابتدأ به الإنسانُ مِن غير سؤال.

والثاني: ما كان عن طلبٍ وسؤال.

[١] فأمَّا المبتدأُ به فهو أطبعُهما سخاءً، وأشرفُهما عطاءً.

(١٠٩٨) وسُئل عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن السَّخاء، فقال: «ما كان منه ابتداءً، فأمَّا ما كان منه عن مسألةٍ فحياءٌ وتكرُّم».

(١٠٩٩) وقال بعضُ الحكماء: «أجلُّ النَّوال ما وَصل قبل السؤال».

(١١٠٠) وقال بعضُ الشعراء:

وفتًى خَلا من مالِه ... ومِنَ المروءةِ غيرُ خالْ

أعطاكَ قَبْلَ سؤالك ... فكفاك مَكْرُوه السؤالْ

[أسبابُ البذل المبتدأ من غير سؤال]:

وهٰذا النوع من البَذْل قد يكون لأحدِ تسعةِ أسباب:

فالسببُ الأوَّل: أن يَرى خَلَّةً يَقدِرُ على سدِّها، وفاقةً يتمكَّنُ من إزالتها، فلا يدَعُه الكرَمُ والتديُّنُ إلَّا أن يكونَ زعيمَ صلاحها، وكفيلَ نجاحها؛ رغبةً في الأجر إن تديَّن، وفي الشكر إن تكرَّم.

(١١٠١) وقال أبو العتاهية:

ما النَّاسُ إلَّا آلةٌ مُعتَمَلَةْ ... للخير والشرِّ جميعًا فَعَلَةْ

والسببُ الثاني: أن يرى في ماله فضلًا عن حاجته، وفي يده زيادةً عن كِفايته، فيرى انتهازَ الفرصة بها، فيَضعُها حيث تكون له ذُخْرًا مُعَدًّا، وغُنمًا مستجدًّا.

(١١٠٢) وقد قال الحسن البصري: «ما أنصفَكَ مَنْ كلَّفك إجلالَه، ومَنَعَك مالَه».

(١١٠٣) وقيل لهند بنتِ الخسِّ[١]: «مَنْ أعظمُ الناسِ في عينِكِ؟ قالت: مَن كان لي إليه حاجة».

(١١٠٤) وقال الشاعر:

وما ضاع مالٌ ورَّثَ الحمدَ أهلَـهُ ... ولٰكــنَّ أمــوالَ البخــيلِ تـضيعُ

والسببُ الثالث: أن يكونَ لتعريضٍ يتنبَّهُ عليه بفِطنته، وإشارةٍ يَستدلُّ عليها بكرمه، فلا يدعه الكرمُ أن يَغفُل، ولا الحياءُ أن يكفَّ[٢].

(١١٠٥) وقد حُكي أنَّ رجلًا سايَر[٣] بعض الوُلاة، فقال: «ما أهزَلَ بِرْذَونَك[٤]! فقال: يدهُ مع أيدينا[٥]».

فوصلَه اكتفاءً بِهٰذا التعريض الذي بَلغ ما لا يبلغُه صريحُ السؤال.

(١١٠٦) ولذٰلك قال أكثمُ بن صيفي: «السَّخاءُ حُسن الفِطنة، واللؤمُ سوءُ التغافُل[٦]».

(١١٠٧) وحُكي أن عُبيدَاللَّه بن سُليمان لمَّا تقلَّد وزارة المعتضِد، كتب إليه عُبيدُاللَّه بن عبدِاللَّه بن طاهر:

أبَى دَهْـرُنا إسـعافَنا في نفوسـنا ... وأسـعَفنا فـيمن نُحِـبُّ ونُكـرمُ

فقلـت لـهُ: نُعمـاكَ فـيهم أتِمَّهـا ... وَدَعْ أمــرَنا إنَّ المُهِـــمَّ مُقَـــدَّمُ

---

(١) هند بنت الخسِّ بن حابس الإيادي، كانت من أهل الدهاءِ، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة. «البيان والتبيين».

(٢) يعني أن يكون إعطاؤه بسبب تعريضٍ عرَّض به السائل ـ دون تصريح ـ، فلا يتركُه كرمُه ولا حياؤه أن يتغافلَ عن ذٰلكم التعريض؛ إلا أن يعطيَ السائلَ ما يريد. [ط]

(٣) سايَر: ماشَى. [ط]

(٤) البِرْذون: الدابة. ويطلقُ ـ أيضًا ـ على نوعٍ من الدوابِ الفارهة؛ إذا مشت تبخترت براكبِها، والمقصود ـ هنا ـ هو الأول. [ط]

(٥) يعني أنه يشاركُنا حالنا الضعيف ـ أيُّها الوالي ـ. [ط]

(٦) نعم؛ فاللئيم يتغافلُ في موضعٍ لا يصلحُ فيه التغافل، كلِئامِ الأغنياء الذين يرَون الصالحين محتاجين وقد عضَّهم الدهر بنابِهِ، فيتصنَّعون عدمَ الفهم والدرايةِ بحالهم، ليتركوهم فيما هم فيه من شدة الحال. [ط]

فقال عُبيدُاللَّه: ما أحسَنَ ما شكا أمره بينَ أضعافِ مَدْحِه!»، وقَضَى حاجته.

(١١٠٨) وقال بعضُ الشعراء:

ومَنْ لا يَرَى من نفسِهِ مُذْكِرًا لها ... رَأَى طلَبَ المُستنجِدِينَ ثقيلَا

والسببُ الرابع: أن يكون ذٰلك رعايةً ليدٍ، أو جزاءً على صنيعة، فيرى تأديةَ الحقِّ عليه طوعًا، إمَّا أَنفةً، وإمَّا شكرًا، ليكونَ مِن أَسْر الامتنانِ طليقًا، ومن رِقِّ الإحسان وعبوديته عتيقًا.

(١١٠٩) قال بعضُ الحكماء: «الإحسانُ رِقّ، والمكافأة عِتق».

(١١١٠) وقال أبو العتاهية:

ولَيسَتْ أيادي النَّاس عندي غنيمةً ... ورُبَّ يدٍ عندي أشدُّ من الأسْرِ

والسببُ الخامس: أن يُؤثِرَ الإذعانَ بتقديمِهِ، والإقرارَ بتعظيمه[1]، توطيدًا لرئاسةٍ هو لها مُحِب، وعلى طلبها مُكِب.

(١١١١) وقد قال الشاعر:

حُبُّ الرِّياسةِ داءٌ لا دَوَاءَ لـهُ ... وقلَّما تَجِدُ الرَّاضينَ بالقِسَمِ

فتَستصعبُ عليه إجابةُ النفوس لهُ طوعًا إلَّا بالاستعطاف، وإذعانُها إلَّا بالرَّغبة والإسعاف[2].

(١١١٢) وقد قال بعضُ الأدباء: «بالإحسان يرتبط الإنسان».

(١١١٣) وقال بعضُ البُلغاء: «مَنْ بَذَلَ مالَه أدرَكَ آمالَه».

(١١١٤) وقال بعضُ الشعراء:

أترجُو أن تسُودَ بلا عَناءٍ[3] ... وكيفَ يسُودُ ذو الدَّعَةِ البخيلُ

والسببُ السادس: أن يستدفعَ[4] به سَطوةَ الأعداء، ويستكِفَّ به نِفارَ

---

(١) أي: يكونُ محبًّا لأن يُقَدَّم بين الخلق، وأن يُقَرَّ بتعظيمه. [ط]

(٢) أي: فلا تطيعه النفوس وتخضع له إلا إذا أحسن إليها وأسعف طلباتِها. [ط]

(٣) في الأصل: ولا تعنّى.

(٤) في المطبوعة والشرح: يدفع.

الخصماء[١]، ليصيروا له بعد الخصومة أعوانًا، وبعدَ العداوة إخوانًا، إمَّا لصيانةِ عِرْض، وإمَّا لحراسةِ مَجْد.

(١١١٥) وقد قال أبو تمام الطائي:

ولم[٢] يَجتمعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لِقَاصِدٍ ... ولا المَجْدُ في كفِّ امرئٍ والدَّرَاهِمُ
ولم أَرَ كالمعروفِ تُدْعَى حُقُوقُه ... مَغَارمَ في الأقوامِ وهيَ مَغَانِمُ

(١١١٦) وقال بعضُ الأدباء: «من عَظُمت مَرافِقُه[٣]، أعظَمَه مُرافقُه».

والسببُ السابع: أن يَرُبَّ به سالفَ صنيعةٍ أولاها[٤]، ويُراعيَ به قديمَ نعمةٍ أسْدَاها، كيلا يُنْسَى ما أولاه، أو يُضاعَ ما ابتداهُ[٥]؛ فإنَّ مقطوع البرِّ ضائع، ومُهْمَلَ الإحسانِ ضال[٦].

(١١١٧) وقد قال الشاعر:

وَسَمْتُ امرأً بالبِرِّ[٧] ثمَّ اطَّرحْتُه ... ومن أفضل الأشياء رَبُّ الصنائعِ

(١١١٨) وقال محمدُ بن داود الأصبهاني[٨]:

بدأتَ بنُعْمَى أوجَبَتْ لِيَ حُرْمةً ... عليك فعُدْ بالفَضْلِ فالعَوْدُ أحمَدُ

والسببُ الثامن: المحبةُ التي يُؤثِرُ بها المحبوبَ على مالِه، فلا يَضِنُّ عليه بمرغوب، ولا ينفسُ عليه بمطلوب؛ لِلَّذَّةِ التي هي عنده أحظَى، وإلى نفسِه أشهى؛

(١) في المطبوعة والشرح: يدفع به سطوة أعدائه، ويستكف به نفار خصمائه.
(٢) في الأصل: فلن.
(٣) المَرافق: الإحسان. [ط]
(٤) أي: يكون العطاءُ الجديدُ إصلاحًا وتذكيرًا بنعمةٍ قدَّمها من قبلُ. [ط]
(٥) في المطبوعة والشرح: ما أسداه.
(٦) أي: من أحسن مرةً، ثم ترك الإحسان نُسي ما فعله أولًا، وضاع معروفه بين الخلق. [ط]
(٧) في الأصل: أمرًا بالعرف. ووَسَمْت: وصفت.
(٨) محمد بن داود بن عليِّ بن خلَف الأصبهاني، المعروف بالظاهري، كان فقيهًا أديبًا شاعرًا، توفي عام (٢٩٧).
ترجمته في: وَفَيات الأعيان (٤/ ٢٥٩)، تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦)، الوافي بالوفيات (٣/ ٥٨).

لأنَّ النفس إلى محبوبِها أشوقُ، وإلى مُمَالَئتِه[(١)] أسبق.

(١١١٩) وقد قال الشاعر:

ومـا زرتُكُـمْ عَمْـدًا ولٰكـنَّ ذا الهـوى ... إلى حيث يَهْوَى القَلْبُ تَهْوِي به الرِّجْلُ

وهٰذا ـ وإنْ دخلَ في أقسام العطاء ـ فخارجٌ عن حدِّ السَّخاء، وهٰكذا الخامس والسادس من هٰذه الأسباب، وإنَّما ذكرناها لِدخُولها تحت أقسام العطاء.

والسببُ التاسع ـ وليس بسببٍ ـ : أن يفعلَ ذٰلك لغير ما سبب، وإنَّما هي منه سجيةٌ قد فُطِر عليها، وشيمةٌ قد طُبِع بها، فلا يُميز بين مُستحقٍّ ومحرومٍ، ولا يفرِّق بين محمودٍ ومذموم[(٢)].

(١١٢٠) كما قال بشَّارُ بن بُرد:

لـيس يُعطـيكَ للـرَّجاءِ ولا لِلـ ... ـخـوفِ ولٰكـن يَلَـذُّ طَعْـمَ العَطَـاءِ

وقد اختلَفَ الناسُ في مثل هٰذا، هل يكون منسوبًا إلى السَّخاء فيُحمَدُ، أو خارجًا عنه فيُذم؟.

وقال قوم: هٰذا هو السخيُّ طبعًا، والجوادُ كرمًا، وهو أحقُّ من كان به ممدوحًا، وإليه منسوبًا.

(١١٢١) وقال أبو تمام:

مِـنْ غَيْـرِ مـا سَـبَبٍ يُـدْني كَفَـى سَبَبًا ... لِلحُـرِّ أن يَجْـتَدِي حُـرًّا بـلا سَـبَبِ

(١١٢٢) وقال الحسنُ بنُ سهل[(٣)]: «إذا لم أُعطِ إلَّا مستحِقًّا، فكأني أعطيتُ

---

(١) **المُمالئة**: الموافقة. [ط]

(٢) وهٰذا ـ في الميزان الشرعي ـ ليس ممدوحًا بإطلاق؛ فإن الديِّنَ العاقلَ هو الذي يُعطي المستحقَّ، لا سيما أهلَ الصلاح والبر، ويمنعُ المال عن أهل الشرِّ والرعونة؛ لأنهم غالبًا ما يستخدمونه في مَغاضب الرب الجليل؛ وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، والعبدُ الديِّنُ وقَّافٌ دومًا عند أوامرِ اللّٰهِ تعالى، ولا يسترسلُ مع طبعه فيما يؤدي إلى عواقبَ غيرِ حَميدة، واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) أبو محمد الحسن بن سهل بن عبداللّٰه السَّرْخسي، تولَّى وزارة المأمون بعد أخيه الفضل، توفي عام (٢٣٥).

=

غريمًا».

(١١٢٣) وقال: «الشرفُ في السَّرف، فقيل له: لا خيرَ في السَّرف! فقال: ولا سَرَف في الخير»[١].

(١١٢٤) وقال الفضلُ بن سهل: «العجَبُ لمن يرجو مَنْ فَوْقَه[٢]، كيف يَحْرِمُ من دُونه؟!»[٣].

(١١٢٥) وقال بشَّارٌ:

وما الناسُ إلَّا صاحبُكَ فمنهمُ ... سَخِيٌّ ومغلولُ اليدَينِ من البُخْلِ
فسامِحْ يدًا ما أمكنتك فإنَّها ... تُقِلُّ وتُثْرِي والعَواذِلُ في شُغْلِ

وقال آخرون: هٰذا خارجٌ من السَّخاء المحمودِ إلى السَّرف والتبذير المذموم، لأنَّ العطاء إذا كان لغير سبب، كان كالمنعِ لغير سبب؛ لأنَّ المال يقِلُّ عن الحقوق، ويَقصُرُ عن الواجبات، فإذا أَعطى غير المستحِقِّ فقد يَمنع مستحقًّا، وما يناله من الذمِّ بمنع المستحِقِّ أكثرُ مما يناله من الحمدِ لإعطاءِ غير المستحِق؛ وحسبُك ذمًّا ممن كانت أفعاله تصدُرُ عن غير تمييز، وتوجَد لغير علَّة، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]، فنهَى عن بَسطها سَرَفًا، كما نَهى عن قَبْضها بُخلًا، فدلَّ على استواءِ الأمرين ذمًّا، وعلى اتفاقهما لَومًا.

(١١٢٦) وقال الشاعر:

وكان المالُ يأتينا فكُنَّا ... نُبذِّره وليس لنا عُقُولُ
فلمَّا أنْ تولَّى المالُ عنَّا ... عقَلْنا حينَ ليس لنا فضُولُ[٤]

= ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ١٢٠)، تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٩).

(١) العبارة في ترجمته في «الوفيات»، ولفظها: قيل للحسن: ليس في السرف خير، فقال: بل ليس في الخير سرف.

(٢) وهو اللَّهُ تبارك وتعالى. [ط]

(٣) العبارة في الوفيات، منسوبة إلى الحسن بن سهل، واللَّه أعلم.

(٤) **الفُضول**: زيادة المال. [ط]

قالوا: ولأنَّ العطاءَ والمنعَ إذا كانا لغير علَّةٍ، أفضيا إلى ذمِّ الممنوع، وقلَّةِ شُكْرِ المُعطَى، أمَّا الممنوع فلأنَّه قد فُضِّل عليه مَنْ سواه، وأمَّا المُعطَى فإنه وُجد ذٰلك اتفاقًا، وربَّما أمَّل بالاتفاق أضعافًا، فصار ذٰلك مُفْضيًا إلى اجتلاب الذمِّ، وإحباط الشكر، وليس فيما أفضى إلى واحدٍ منهما خيرٌ يُرجى، وهو جديرٌ أن يكون شرًّا يُتَّقى.

(١١٢٧) ولمثل هٰذا قيل[١]: «منْعُ الجميع إرضاءٌ للجميع، وعطاءٌ يكون المنْعُ أرضَى منه خُسرانٌ مبين[٢]».

[٢] فأمَّا إذا كان البَذْلُ والعطاءُ عن سؤالٍ وطلب؛ فشروطه معتبرةٌ من وجهين:

أحدهما: في السائل.

والثاني: في المسؤول.

[أ] فأمَّا ما كان مُعتبرًا في السائل، فثلاثةُ شروط:

الشرط الأول: أن يكونَ السؤالُ لسبب، والطَّلبُ لموجِب، فإن كان لضرورةٍ ارتفع عنه الحرَجُ، وسقط عنه اللوم.

(١١٢٨) وقد قال بعضُ الحكماء: «الضرورة تُوَقِّحُ[٣] الصورة».

(١١٢٩) وقال بعضُ الشعراء:

أَلَا قبَّحَ اللَّهُ الضَّرورةَ إنَّها ... تُكلِّفُ أعلَى الخَلْق أدنَى الخلائقِ[٤]

وللَّهِ درُّ الاتِّساعِ فإنَّه ... يُبيِّن فَضْلَ السَّبْق مِن غير سابقِ

(١١٣٠) وقال الكُميتُ:

إذا لم يكنْ إلَّا الأسِنَّةَ مَركبٌ ... فلا رأْيَ للمضطرِّ إلَّا ركوبُهَا

---

(١) في المطبوعة والشرح: كان.

(٢) وإنما قصد العطاء للبعض دون الآخرين، فإن من فعل ذٰلك ذمَّه من لم يُعطِهِ، أما منع الجميع فهو إرضاء للكل ـ على مذهب هٰذا القائل ـ، ولن يكونَ فيه ذمٌّ. [ط]

(٣) أي: تجعل صورته صورة الرجل الوقح، قال في اللسان: (٦/ ٤٧٢): وقُحَ الرجل إذا صار قليل الحياء.

(٤) **الخلائق:** الأخلاق. [ط]

فإن ارتفعت الضرورةُ، ودعتِ الحاجةُ[١] فيما هو أولى الأمرين أن يكونَ ـ وإن جاز ألَّا يكون ـ :

١ ـ فالنفسُ المسامِحةُ[٢] تغلِّبُ الحاجة، وتسمَحُ في الطلب، وتُراعي ما استقام به الحال، وانتظم به الأمر، وإن ناله ذلٌّ، ولَحِقَه وهْنٌ.

(١١٣١) فيتأوَّل صاحبُها قول البُحترِي:

وَرُبَّما كـان مكـروهُ الأمـورِ إلى … مَحبُوبِها سَبَبًا مـا مِـثلُهُ سَبَبُ

٢ ـ والنفس الشريفة تطلبُ الصيانة، وتراعي النزاهة، وتحتمِلُ من الضُّرِّ ما احتملت، ومن الشدَّة ما أطاقتْ، فيبقى تحمُّلُها، ويدومُ تصوُّنُها.

(١١٣٢) فتكون كما قال الشاعر:

وقـد يكتسِي المـرءُ خَزَّ الثيابِ … ومِـنْ دُونِهـا حالـةٌ مُـضْنِيةْ[٣]

كمـا يَكْتسِي خَـدُّهُ حُمـرةً … وعِلَّتُهُ وَرَمٌ في الـرِّيةْ[٤]

ولا يَرى أن يتدنَّس بمَطالبِ الشؤمِ ومطالع اللؤم؛ فإنَّ من البهائم الوحشيةِ ما تأبى ذٰلك، وتأنفُ منه.

(١١٣٣) قال الشاعر:

ولـيسَ اللـيثُ مِـنْ جُـوعٍ بِغـادٍ … على جِيَفٍ تُطِيفُ[٥] بها الكلابُ

فكيف بالإنسان الفاضل ـ الذي هو أكرمُ الحيوان جنسًا، وأشرفُه نفسًا ـ ! هل يَحسنُ به أن يَرى لوحشيِّ البهائم عليه فضلًا؟.

---

(١) الفرقُ بين الحاجة والضرورة: أن الضرورة إذا فُقدت فقد معها أصلٌ من الأصول التي جاءت الشريعة بصيانتها، كالدين والنفس والنسب والعِرض والمال، أما الحاجة فإذا فُقدت لحقت العبدَ المشقة لٰكنها لا تُخلُّ بأحد هٰذه الضروريات، كمن مُنع عنه الماء البارد ـ مثلًا ـ ، فإنه يتأذى بذٰلك في أوقاتِ الحرِّ؛ لٰكنه يمكنه العيش بدونه، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) يقصد المتساهلة. [ط]

(٣) خز الثياب: ثياب الحرير. [ط]

(٤) الرِّية: الرئة. واللَّهُ أعلم. [ط]

(٥) في الأصل: تحيط.

(١١٣٤) وقد قال الشاعر:

علـى كُـلِّ حـالٍ يأكُـلُ المـرءُ زادَه   علـى البؤسِ والـضرَّاءِ والحَدَثانِ[١]

(١١٣٥) والفضل في مثل هٰذا ما قيل لبعض الزهاد: «لو سألتَ جارَك أعطاك، فقال: واللَّهِ ما أسألُ الدُّنيا مَن يملكُها، فكيف مَن لا يملكُها؟!».

(١١٣٦) ووصف بعضُ الشعراء قومًا، فقال:

إذا افتُقروا أغضَوْا على الضُّرِّ حِسْبةً   وإن أيْسَروا عادوا سِراعًا إلى الفقرِ

٣ـ وأمَّا من يَسألُ من غير ضرورةٍ مَسَّتْ، ولا حاجةٍ دَعَتْ، فذٰلك صريحُ اللؤم، ومحضُ الدناءة، وقلَّما تجدُ مثلَه ملحوظًا، أو مُتموِّلًا محفوظًا[٢]؛ لأنَّ الحِرمان قادهُ إلى أضيق الأرزاق، واللؤمَ ساقه إلى أخبثِ المطاعم، فلم يَبْقَ لوجهه ماءٌ إلَّا أراقه، ولا ذلٌّ إلَّا ذاقه.

(١١٣٧) كما قال عبدالصَّمد بن المعذَّل[٣]، لأبي تمام الطائي:

أنتَ بينَ اثنتين تبرزُ للناسِ   وكلتاهما بوجْهٍ مُذَالِ[٤]

لستَ تنفكُّ طالبًا لوصالٍ   من حبيبٍ أو طالبًا لنوالِ

أيُّ ماءٍ لحُرٍّ وجْهِكَ يَبقَى   بين ذُلِّ الهَوى وذُلِّ السؤالِ!

ولو استقبَح العارَ، وأنِف من الذلِّ، لوجدَ غيرَ السؤال مَكْسَبًا يَمُونه[٥]، ولقَدَرَ على ما يُقِلُّهُ ويصُونُه.

---

(١) **الحدثان**: تقلبات الزمان. [ط]

(٢) أي: صاحب مالٍ محفوظ. [ط]

(٣) عبدالصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البحتري بن المختار، كان شاعرًا فصيحًا من شعراء الدولة العباسية، هجَّاءً خبيث اللسان، شديد العارضة، لا يسلم منه من مدحه من الهجو فضلاً عن غيره، توفي عام (٢٤٠).
ترجمته في: الأغاني (١٣/ ٢٢٨)، فوات الوفيات (٢/ ٣٣٠).

(٤) **مُذال**: مُهان. [ط]

(٥) **يَمونُه**: يكفيه. [ط]

(١١٣٨) وقد قال الشاعر:

لا تَطلُبَنَّ معيشةً بمَذِلَّةٍ[١] فَليأتيَنَّكَ رِزْقُكَ المقدُورُ
واعلمْ بأنك آخِذٌ كُلَّ الذي لَكَ في الكتابِ مُحَبَّرٌ[٢] مَسْطُورُ

والشرط الثاني من شروط السؤال: أن يَضيقَ الزمانُ عن إرجائه[٣]، ويقصُرَ الوقتُ عن إبطائه، فلا يجدُ لنفسِه في التأخير فُسحةً، ولا في التمادي مُهْلةً، فيصيرُ مِن المعذُورين، وداخلًا في عِداد المُضطرين، فأمَّا والوقتُ متَّسِعٌ والزمان ممتدٌّ، فتعجيلُ السؤال لؤمٌ وقُنوط.

(١١٣٩) وقال الشاعر:

أبَى ليَ إغضاءَ الجفونِ على القذَى يَقينيَ أنْ لا عُسْرَ إلَّا مُفَرَّجُ
ألا رُبَّما ضاقَ الفضاءُ بأهلِهِ وأمكنَ مِنْ بين الأسنةِ مَخْرَجُ

والشرط الثالث: اختيارُ المسؤولِ أن يكون مرجوَّ الإجابة، مأمولَ النُّجْح؛ إمَّا لحرمةِ السائل، أو كرمٍ في المسؤول؛ فإن سأل لئيمًا لا يَرعَى حُرمةً، ولا يُولي مَكرُمةً، فهو في اختياره ملُوم، وفي سؤاله محروم.

(١١٤٠) وقد قال بعضُ الحكماء: «المخذولُ مَن كانت له إلى اللئام حاجةٌ».

(١١٤١) وقد قال بعضُ البلغاء: «أذلُّ من اللئيم سائلُه، وأقلُّ من البخيل نائلُه[٤]».

(١١٤٢) وقال بعضُ الشعراء:

مَنْ كان يأمَلُ أن يَرَى مِن ساقطٍ نَيْلًا سَنِيًّا
فلقَد رجا أنْ يَجتَني مِن عَوسَجٍ رُطَبًا جَنِيًّا[٥]

(١) في المطبوعة والشرح: بتذلل.
(٢) في المطبوعة والشرح: مقدَّر.
(٣) **الإرجاء:** التأخير. [ط]
(٤) **النائل:** المعطي. والمقصود: أن البخيل ساقط، وأسقط منه من يعطيه. [ط]
(٥) **العَوسج:** شجرٌ من شجر الشوك، كثير الشوك. (لسان العرب ٤/ ٣٣٢) باب (عسج).

[ب] وأمَّا الشروط المعتبَرةُ في المسؤول، فثلاثة:

الشرط الأوَّل: أن يَكتفيَ بالتعرِيض، ولا يُلجِئَ إلى السؤالِ الصريح، ليصونَ السائلَ عن ذلِّ الطلب؛ فإنَّ الحالَ ناطقة، والتعريضَ كافٍ.

(١١٤٣) وقد قال الشاعر:

أقولُ وسِترُ الدُّجى مُسْبَلٌ	**كما قال حين شكا الضِّفْدَعُ:**
كلاميَ إنْ قلْتُهُ ضائري[١]	**وفي الصَّمْتِ حَتْفي فما أصنعُ؟!**

ورُبما فَهِم المسؤولُ الإشارة، فألْجأَ إلى التصريح بالعبارة، تَهجيناً للسائل[٢]؛ ليَخجَلَ فيُمسك، ويَستحيي فيَكُف.

(١١٤٤) فيكون كما قال أبو تمام:

مَن كان مفقُودَ الحَياء فوجهُهُ	**من غيرِ بوَّابٍ لهُ بوَّابُ**

والشرط الثاني: أن يَلْقَى بالبشر والترحيب، ويُقابلَ باللطافةِ[٣] والتقريب، ليكون مشكورًا إن أَعطَى، ومعذورًا إن مَنع.

(١١٤٥) وقد قال بعضُ الحكماء: «اِلْقَ صاحبَ الحاجةِ بالبِشر، فإن عَدِمتَ شكرَه، لم تَعدَمْ عُذْره».

(١١٤٦) وقال ابن لَنْكَك: إنَّ أبا بكر بن دُريدٍ قَصَد بعضَ الوزراء في حاجةٍ، فلم يقضِها له، وظهر له منه ضجَرٌ، فقال[٤]:

لا تَدْخُلنَّك ضَجْرَةٌ من سائلٍ	**فَلَخيْرُ دهرِك أن تُرَى مَسؤولَا**
لا تَجْبَهَنْ بالردِّ وَجْهَ مُؤمِّلٍ	**فبقاءُ عِزِّك أن تُرى مأمُولَا[٥]**

---

(١) في المطبوعة والشرح: ضائع.

(٢) التهجين: التقبيح. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: بالطلاقة.

(٤) الخبر والأبيات في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٢٧)، سورة البقرة: ٢٦٣.

(٥) **تَجْبَهَن:** تواجهن. [ط]

تلقَـى الكـريمَ فتَـستدِلُّ ببِـشْرِه ... وتَـرَى العُبُوسَ على اللئيم دَلِيلَا

واعْلَـمْ بأنَّـك عـن قليلٍ صـائرٌ ... خَبَـرًا فكُـن خبـرًا يـرُوق جَميلَا

والشرط الثالث: تصديقُ الأمل فيه، وتحقيق الظنِّ به، ثم اعتبارُ حالِه وحالِ سائله، فإنَّهما لا يخلوانِ من أربعة أحوال:

فالحال الأولى: أن يكون السائلُ مستوجِبًا، والمسؤولُ متمكنًا[(١)]، فالإجابةُ هاهنا تُستحقُّ كرمًا، وتُستلزَم مُروءةً، وليس إلى الرد سبيلٌ إلَّا لمَنِ استولى عليه البُخل، وهان عليه الذمُّ.

(١١٤٧) فيكون كما قال عبدُالرَّحْمٰن بن حسَّان[(٢)]:

إنِّـي رأيـتُ من المكارمِ حَسْبَكُم ... أن تلبـسُوا خَـزَّ الثـياب وتشبَعُوا

فـإذا تُذُكِّـرَتِ المكـارمُ مـرَّةً ... في مجلـسٍ أنـتم بـه فتَقَـنَّعُوا

فنعوذ باللَّهِ ممَّن حَرَمَ ثروةَ ماله، ومَنَعَ حُسْنَ حالِه أن يكون مستودَعًا في صنيعٍ مشكور، وبِرٍّ مذخُور.

(١١٤٨) وقد قيل لبخيل: «لِمَ حَبَسْتَ مالَـك؟ قـال: للنوائب، فقيل له: فقد نزلَتْ بك[(٣)]».

(١١٤٩) وقال بعض الشعراء:

مـا لَـكَ مِـنْ مالِـكَ إلَّا الذي ... قـدَّمْتَ فابْـذُل طائعًـا مالَكَـا

تقـولُ أعمالي: ولـــو فَتَّشوا ... رأيْـتَ أعمـالَكَ أعْمَــى لَكَا

وقد أسقط حقَّ نفسه، ورفَعَ أسبـاب شُكْـره، فصـار ـ بألَّا حقَّ له ـ مذمومًا كمشكور، ومأثومًا كمأجور.

---

(١) أي: أن يكون السائلُ مستحقًّا بالفعل، والمسؤول قادرًا على إعطائه. [ط]

(٢) هو عبدالرَّحْمٰن بن حسان بن ثابت الأنصاري، يقال: إنه أدرك رسول اللَّه ﷺ، وله رواية عن أبيه، توفي في حدود السبعين للهجرة.
ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٤/ ٢٨٨ ـ ٣٠٢)، تهذيب الكمال (١٧/ ٦٤).

(٣) أي: إن المصائب حلَّت بك فعليًّا لمَّا منعت مالك عن المحتاجين. [ط]

(١١٥٠) وقال أبو العتاهية[١]:

جُزيَ البخيلُ على صَنائِعِهِ عَنِّي بخفَّتِهِ على ظَهري
ما فاتني خيرُ امرئٍ وضَعَتْ عنِّي يداهُ مُؤونَةَ الشُّكْرِ
ورُزقتُ مَن جدواهُ عارفةً ألَّا يضيقَ بشكره صَدْرِي

فإذا لم يكن إلى الرد في مثل هٰذه الحال سبيلٌ، نَظَر:

ـ فإن كان التأخيرُ مُضِرًّا عَجَّل بَذْلَه، وقَطَعَ مُطْلَه[٢]، وكانت إجابتُه فعلًا، وقولُه عملًا.

(١١٥١) وقد قالت الحكماء: «مِن مُرُوءة المطلوب إليه: ألَّا يُلجِئَ إلى الإلحاح عليه».

(١١٥٢) وقال محمدُ بن حازم[٣]:

ومنتظِرٍ سؤالَكَ بالعطايا وأشرفُ من عطاياهُ السؤالُ
إذا لم يأتك المعروفُ طوعًا فَدَعْهُ فالتنزُّهُ عنه مالُ

ـ وإن كان في الوقتِ مُهْلة، وفي التأخير فُسحة، فقد اختلفت مذاهب الفضلاء فيه:

١ ـ فذهب بعضهم إلى أن الأولى تعجيلُ الوعد قولًا، ثم يَعقُبُه[٤] الإنجازُ فعلًا؛ ليكونَ السائلُ مسرورًا بتعجيل الوعد، ثم بآجل الإنجاز، ويكونَ المسؤولُ موصوفًا بالكرم، ملحوظًا بالوفاء.

(١١٥٣) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**العِدَةُ عَطيَّةٌ**»[٥].

---

(١) الأبيات في ديوانه (٢٧٠) وقد أصلحت كثيرًا من الألفاظ من الديوان.
(٢) **المُطل**: المراوغة والتهرُّب. [ط]
(٣) هو محمد بن حازم الباهلي، أبو جعفر، مولًى لباهلة، شاعر عباسي.
ترجمته في: معجم الشعراء (ص٤٣٤)، الوافي (٢/ ٣١٧)، تاريخ بغداد (٣/ ١١٣).
(٤) في الأصل: يتعقبه.
(٥) ضعيف: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٨/ ٢٥٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦)، وأبو =

(١١٥٤) وقال الفضلُ بن سهلٍ لرجل سأله حاجةً: «أَعِدُك اليوم، وأَحْبُوكَ[١] غدًا بالإنجاز؛ لتذوقَ حلاوةَ الأمل، وأتزيَّنَ بثوب الوفاء».

(١١٥٥) ووعد يحيى بنُ خالد رجلًا بحاجةٍ سأله إياها، فقيل له: «تَعِدُ وأنتَ قادرٌ[٢]؟! فقال: إنَّ الحاجة إذا لم يتقدَّمها وَعْدٌ يَنتظرُ صاحبُها نُجْحَه، لم يجد سُرورها؛ لأنَّ الوعد طَعْمٌ والإنجازَ طعامٌ، وليس مَن فاجأه الطعامُ كمن يَجد رائحتَه ويَطعَمه، فدعِ الحاجةَ تختمرُ بالوعد، ليكون لها طعمٌ عند المصطنَع إليه».

(١١٥٦) وقال بعضُ البلغاء: «إذا أحسنتَ القول فأحسِنِ الفعل؛ ليجتمعَ لك مزيَّةُ[٣] اللسان، وثمرةُ الإحسان، ولا تقُلْ ما لا تفعل؛ فإنَّك لا تخلو في ذٰلك من ذنبٍ تكتسبُه، أو عجْزٍ تُكثِرُ منه»[٤].

٢ ـ ومنهم من ذهبَ إلى أن تعجيل البَذْل فعلًا ـ من غير وَعْدٍ ـ أولى، وتقديمَه ـ من غير ترقُّبٍ ولا انتظارٍ ـ أَهْنَا[٥].

وإنَّما يُقدِّم الوعدَ واحدٌ من رجلين:

= الشيخ في «الأمثال» (٢٤٩)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٨٤): «فيه نظر»، وضعَّفه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم»، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٨٥٥)، و«الضعيفة» (١٥٥٤).

ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٧٥٢)، عن قباث بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/ ١٥٤)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٦٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٨٤).

ورواه عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/ ١٩٥)، وأبو داود في «المراسيل» (٥٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٥٣)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٠٦) من روايةِ الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، وإسناده صحيح؛ لٰكنه مرسل، كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم» (٢/ ٤٨٤)، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(١) أَحبُوك: أعطيك. [ط]

(٢) لأن القادر يعطي مباشرةً؛ إذا لا مانع يمنعه. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: ثمرة.

(٤) في المطبوعة والشرح: تلتزمه.

(٥) في المطبوعة والشرح: أحرى.

- إما مُعْوِز[(١)] ينتظرُ جِدَةً[(٢)].
- وإمَّا شحيحٌ يُروِّضُ نفسه توطئةً[(٣)].

وليس للوعدِ في غير هاتين الحالتين وجهٌ يَصِح، ولا رأيٌ يتَّضِح، مع ما يغيِّره الليلُ والنهار، وتتقلَّب به الحالُ من يَسار وإعسار.

(١١٥٧) وقال بعضُ الشعراء:

يـــا أيُّهـــا المَلِـــكُ المقـــدَّمُ أمـــرُهُ شَـــرقًا وغَـــرْبَا
امـــنُنْ بخَـــتْمِ صـــحيفتي مـــا دام هٰـــذا الطِّـــينُ رَطْـــبَا
واعْلَـــمْ بـــأنَّ جَفَافَـــه ممَّـــا يُعِـــيدُ الـــسَّهلَ صَـــعْبَا

قالوا: ولأنَّ في الرجوع عنه مِنَ الانكسار، وفي توقُّع الوعدِ من مرارة الانتظار، وفي العَود إليه من بِذْلةِ الاقتضاء، وذِلةِ الاجتداء[(٤)]: ما يُكدِّرُ بِرَّه، ويُوهِنُ شُكره.

(١١٥٨) وقال الشاعر:

إنَّ الحـــوائجَ رُبَّمـــا أزْرَى بهـــا عـــندَ الـــذي تُقْـــضَى لـــه تطـــويلُها
فـــإذا ضمِنْتَ لصاحبٍ لك حاجةً فـــاعلَمْ بـــأنَّ تمامَهـــا تعجـــيلُها

والحالُ الثانية[(٥)]: أن يكون السائلُ غيرَ مستوجِب، والمسؤولُ غيرَ متمكِّن، ففي الردِّ فُسْحة، وفي المنع عُذرٌ، غير أنه يَلينُ عند الردِّ لِينًا يَقِيهِ الذمَّ، ويُظهر عُذْرًا يدفعُ عنه اللوم، فليس كُلُّ مقلٍّ يُعْرَف، ولا كُلُّ معذورٍ يُنْصَف.

(١١٥٩) وقد قال أبو العتاهية يصفُ الناس[(٦)]:

يـــا ربِّ إنَّ الـــنَّاسَ لا يُنـــصِفوني وإن أنـــا لـــم أُنـــصِفهُم ظَلَمُـــوني

---

(١) في الأصل: معزورٌ.
(٢) **الجِدَة**: الغِنى واليسار. [ط]
(٣) أي: شحيح يجاهد نفسه ويحاول توطئتها على البذل. [ط]
(٤) **الاقتضاء والاجتداء**: الطلب والالتماس. [ط]
(٥) أي: من حال السائل والمسؤول، وقد سبقت الأولى ص (٣٧٣). [ط]
(٦) الأبيات في ديوانه (٥٢٥).

وإن كـان لـي شـيءٌ تـصدَّوا لأخذِهِ ... وإن جـئتُ أبغـي شـيأَهُم مَـنعوني
وإن نـالهُم بَذْلـي فـلا شُكْرَ عندَهم ... وإن أنــا لـم أبــذُلْ لهُـم شـتمُوني
وإن طرَقَتنِــي نكــبةٌ فَكِهُــوا بهـــا ... وإن صـــحِبتني نعمـــةٌ حَـــسدوني
ســـأمنعُ قلبـــي أن يَحِـــنَّ إلـــيهمُ ... وأَحجُـبُ عـنهم ناظِـري وجُفُـوني
وأقطـــعُ أيامِـــي بـــيومِ سُـــهُولةٍ ... أُقضِّي بهـا عُمـري ويـومِ حـزوني
ألا إنَّ أصْـفى العَـيْشِ مـا طـاب غِبُّهُ ... ومـــا نِلـــتُه في لـــذَّةٍ وسُـــكُونِ

والحالُ الثالثة: أن يكونَ السائل مستوجبًا، والمسؤولُ غيرَ متمكِّن، فيأتي[(١)] بالحَمل على النفس ـ ما أمكن ـ مِن يسيرٍ يسُدُّ به خَلَّةً، أو يدفعُ به مَذِمَّةً، أو يوضِّحُ من أعذار المعذورين[(٢)]، وتوجُّع المتألِّمينَ ما يجعله في المنع معذورًا، وبالتوجُّع مشكورًا.

(١١٦٠) وقد قال أبو نصر العُتْبي[(٣)]:

اللَّـــهُ يعلـــمُ أنَّـــي لـــستُ ذا بَخَـــلٍ ... ولـستُ ملتمـسًا في الـبخل لـي عِلَلا
لٰكـــنَّ طاقـــةَ مثلـــي غيـــرُ خافـــيةٍ ... والـنَّملُ يُعـذَرُ في القَـدْر الذي حَمَلا

وربما تحسَّر بحدوث العَجْزِ ـ بعد تقدُّم القدرة ـ على فوتِ الصنيعة، وزوال العادة، حتى صار أضنى جسدًا، وأزيدَ كَمدًا[(٤)].

(١١٦١) كما قال الشاعر:

وكـنتُ كـبَازِ الـسُّوقِ قُـصَّ جَـناحُه ... يَـرَى حـسراتٍ كُلَّمـا طـارَ طائِـرُ[(٥)]

(١) أي: المسؤول. [ط]
(٢) في المطبوعة والشرح: المعوزين.
(٣) هو محمد بن عبدالجبار، العتبي، مؤرخ، أديب، شاعر، توفي عام (٤٢٧).
ترجمته في: يتيمة الدهر للثعالبي (٤/ ٣٩٧)، معجم المؤلفين (٣/ ٣٨٤).
(٤) أي: ربما تحسَّر المسؤولُ أنه لم يُعطِ وقتَ اقتداره للسائل، فيكونُ تحسُّرُه على فوتِ الإحسان للغير، فيصبحُ مريضًا كمَدًا على فواتِ المعروف. [ط]
(٥) الباز: الصقر. [ط]

يــرى طائــراتِ الجــوِّ تَخفُــقُ حَــوْلَه ... فيذكُــرُ إذ ريــشُ الجناحَــين وافــرُ

والحالُ الرابعةُ: أن يكونَ السائلُ غيرَ مُستوجِبٍ، والمسؤولُ متمكِّنًا، وعلى البذل قادرًا، فينظر:

١ ـ فإن خاف بالردِّ قَدْحًا في عِرضٍ، أو قُبحَ هجاءٍ مُمِضٍّ(١)، كان البذلُ إليه مندوبًا، صيانةً لا جُودًا.

(١١٦٢) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما وَقَى به المرءُ عِرضَه فهو له صدقة**»(٢).

٢ ـ وإن أَمِن من ذٰلك، وسَلم منهُ:

[أ] فمن الناس من غَلَّب المسألة، وأَمر بالبَذْل، لئلَّا يقابِلَ الرجاء بالخيبة، والأملَ بالإياس، ثم لما فيه من اعتياد الردِّ، واستسهالِ المنعِ المُفضي إلى الشُّح، وكما أن اعتيادَ البَذْل مفضٍ إلى السَّخاء، كذٰلك اعتيادُ المَنع مفضٍ إلى الشُّح.

(١١٦٣) وأنشد الأصمعيُّ عن الكِسائي:

كأنَّـك في الكتاب وَجدْتَ «لاءً» ... مُحــرَّمةً علــيك فــلا تحِــلُّ

فمــا تــدري إذا أعطــيتَ مــالًا ... أيُكثِــرُ مــن سـماحك أم يُقِــلُّ!

---

(١) مُمِض: مؤلِم. [ط]

(٢) ضعيف: رواه أبو يعلى (٢٠٤٠)، وعبد بن حُميد (١٠٨٣)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٣/ ٣٢)، والحاكم (٢/ ٥٠)، والدَّارَقُطْني (٣/ ٢٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٠)، والطيالسي (١٧١٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٢٢٠)، و«الكبرى» (١٠/ ٤٠٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٣)، وتمام في «الفوائد» (١٧٢٤)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٩)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وضعَّفه الإمام ابن عدي، وصحَّحه الحاكم، وردَّه عليه الذهبي مضعِّفًا، وذكره الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ١٩١)، وبيَّن أن فيه من ضعَّفه الجمهور، وضعَّفه الأئمة: الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٣٦)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٢٦)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (ص١٨٤)، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٢٥٤)، و«الضعيفة» (٨٩٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٨٨). [ط]

إذا حَـضَرَ الـشتاءُ فأنْـتَ شـمسٌ ... وإن حَـضَرَ المَـصِيفُ فأنتَ ظِلُّ

[ب] ومِن الناس من اعتبر الأسباب، وغلَّبَ حال السائل، ونَدَبَ إلى المنع ـ إذا كان العطاءُ في غير حقٍّ ـ، ليَقوَى[1] على الحقوق إذا عَرَضت، ولا يَعجِزُ عنها إذا لزِمت وتعيَّنت.

(١١٦٤) وقد قال بعضُ الشعراء:

لا تَجُـدْ بالعطـاءِ في غيـر حـقٍّ ... لـيس في مَـنْعِ غَيْـرِ ذي الحـقِّ بُخْـلُ

إنَّمـا الجـودُ أن تَجـودَ على مَـنْ ... هـو للجـود والـنَّدى مـنك أهـلُ

فأمَّا من أجاب السؤالَ، ووعد بالبَذْل والنَّوال، فقد صار بوعده مرهونًا، وصار وفاؤه بالوعد مقرونًا، ولا اعتبار بحقِّ السائل بعد الوعد، ولا سبيلَ إلى مُراجعةِ نفسِه في الرَّد، فيستوجبُ مع ذمِّ المنع لؤمَ الخُلْف، ومَقْتَ الغادر[2]، وهُجْنةَ الكذوب، ثم لا سبيلَ إلى مُطْله بعد الوعد، لما في المُطل من تكدير الصنيع[3]، وتمحيقِ الشكر.

(١١٦٥) والعربُ تقـول في أمثالهـا: «المُطْلُ أحـدُ المَنْعَيـن، واليـأسُ أحدُ النُّجْحَين[4]».

(١١٦٦) وقال بشَّارُ بن بُرْد[5]:

أظلَّـتْ علينـا مـنكَ يـومًا غمامـةٌ ... أضـاءتْ لـنا بَـرْقًا وأَبْطـأ رَشَاشُـهَا

فـلا غَـيْمُها يُجْلَـى فيـيأسَ طامـعٌ ... ولا غَيـثُها يأتِـي فيُـروَى عِطاشُـهَا

ثم إذا أنجز وعدَه، وأوفى عهدَه، لم يُتبع نفسَه ما أعطى، ويُسَرُّ أَنْ[6] كانت يدُه

---

(١) في الأصل: ليقوم.
(٢) في المطبوعة والشرح: لؤم البخل ومقت القادر.
(٣) في الأصل: الصنع.
(٤) أي: يأسُك من أخذ ما تريد يتساوى مع نيل ما تريد، لأنك إذا وطنت نفسك على اليأس ابتداءً لم تحزن ولم تتألَّم إذا لم تنل مبتغاك. [ط]
(٥) الأبيات في ديوانه (١٤٥)، ولفظه: أظلت علينا منك يومًا سحابة. والباقي سواء.
(٦) في الأصل: إذا.

العليا.

(١١٦٧) فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «اليَدُ العُلْيَا خَيرٌ منَ اليدِ السُّفْلَى»[١].

(١١٦٨) وقال الشاعر:

فإنَّك لا تدري إذا جاءَ سائلٌ ... أأنتَ بما تُعطيه أم هُوَ أَسْعَدُ

عسى سائلٌ في حاجةٍ إن مَنعتَهُ ... مِنَ اليوم سُؤلًا أن يكونَ له غَدُ

وليكنْ من سروره ـ إذ كانت الأرزاقُ مقدرةً ـ أن تكون على يده جاريةً، ومن جهته واصلةً، لا تنتقلُ عنه بمنع، ولا تتحولُ عنه بإياس.

(١١٦٩) حُكي أن رجلًا شكا كثرةَ عيالِه إلى بعض الزهاد، فقال: «انظر مَن كان منهم ليس رِزقُه على اللَّه ﷻ، فحوِّلْه إلى منزلي».

(١١٧٠) وقال ابنُ سيرين لرجل كان يأتيه على دابة؛ ففَقَد الدابة: «ما فعل بِرْذَوْنُك؟ قال: اشتدَّت عليَّ مُؤنته فبِعتُه، قال: أفتراه خَلَّفَ رِزقَه عندك؟!».

(١١٧١) وقال ابنُ الرومي:

إنَّ للَّه غيرَ مَرْعَاك مَرعى ... نَرتعيهِ وغيرَ مائِك ماءَ

إنَّ للَّهِ بالبرية لُطفًا ... سَبَقَ الأمهاتِ والآباءَ

ثم لْيكنْ غالبُ عطائِه للَّه تعالى، وأكثَرُ قَصْدِه ابتغاءَ ما عند اللَّه ﷻ.

(١١٧٢) كالذي حكاه أبو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أعرابيًّا أتاه، فقال:

يا عُمَرَ الخيرِ جُزيتَ الجَنَّةْ ... اُكْسُ بُنيَّاتي وأمَّهُنَّهْ

وكُنْ لنا من الزَّمان جُنَّةْ ... أُقسِمُ باللَّهِ لتفعلَنَّهْ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤)، والبخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣)، وأبو داود (١٦٤٨)، والنسائي (٢٥٣٣)، وفي «الكبرى» (٢٣٢٤)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
ورواه أحمد (٣/ ٢٠٤)، والبخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤)، والترمذي (٢٤٦٣)، والنسائي (٢٥٣١)، وفي «الكبرى» (٢٣٢٢)؛ من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإن لم أفعَلْ، يكون ماذا؟ فقال:

إذًا أبا حفْصٍ لأذهَبَنَّهْ

فقال: فإذا ذهبْتَ يكون ماذا؟ فقال:

يكـونُ عـن حالـي لتُـسألَنَّهْ   يـومَ تكون الأعطيات هَنَّهْ[١]

ومـوقـفُ المسؤول بينهُنَّهْ   إمَّـا إلى نـارٍ وإمَّـا جَـنَّـهْ

فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى اخْضَلَّت لحيته، ثم قال: يا غلام، أعطِه قميصي هٰذا لذٰلك اليوم ـ لا لِشعْرِه ـ، أمَا ـ واللَّهِ ـ ما أملِكُ غيره»[٢].

وإذا كان العطاءُ على هٰذا الوجهِ[٣]، خلا من طلب جَزاءٍ وشكر، وعَرِيَ عن امتنانٍ ونشْر[٤]، فكان ذٰلك أشرفَ للباذل، وأهنأ للقابل.

وأما المُعطي إذا التمس بعطائه الجزاءَ، وطَلب به الشكرَ والثناء، فهو خارجٌ بعطائه عن حكم السَّخاء؛ لأنَّه إنْ طلَب به الشُّكْرَ والثَّناء، كان صاحبَ سُمْعةٍ ورياء، وفي هٰذين من الذَّمِّ والسمعة ما ينافي السخاء، وإن طلب به الجزاءَ كان تاجرًا متربِّحًا؛ لا يستحقُّ حَمْدًا ولا مَدْحًا.

(١١٧٣) وقد قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر]: «إنه الذي يُعطي عطيةً يَلتمسُ بها أفضلَ منها».

(١١٧٤) وكان الحسنُ البصري يقول في تأويل ذٰلك: «﴿وَلَا تَمْنُن﴾ بعَمَلك، ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ على ربِّك»[٥].

(١١٧٥) وقال أبو العتاهية[٦]:

---

(١) هنَّه: بكاءً، أي: يوم يكون البكاء على فوات الصدقات في الدنيا. مستفاد من طبعة دار ابن كثير (ص٣٢٠). وقد سمعت هٰذه الأبيات من بعض أهل الأدب بلفظ: «مِنَّة» بدلًا من «هنَّة» [ط]

(٢) الخبر والأبيات في تاريخ بغداد (٤/ ٣١٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٦٤).

(٣) أي: ابتغاء وجه اللّٰهِ تبارك وتعالى. [ط]

(٤) النشر: الإذاعة والإعلان. [ط]

(٥) العبارة في النكت والعيون (٦/ ١٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/ ٣٦٧).

(٦) الأبيات في ديوانه (٢٢٦).

وليــــسَتْ يَــــدٌ أولَيْــــتَها بغنــــيمَةٍ إذا كُــنْتَ تَبغــي[1] أن تُعِـدَّ لهـا شُـكْرا

غِنَـى المـرءِ مـا يَكْـيفه من سدِّ حاجةٍ فـإنْ زادَ شَـيئًا عـادَ ذاكَ الغِنـى فَقْـرا

واعْلَم أنَّ الكريم يُجْتَـدى[2] بالكرامـةِ واللطف، واللئيـم يُجْتَـدَى بالمهانة والعُنْف، فلا يجودُ إلَّا خوفًا، ولا يُجيبُ إلَّا عُنفًا.

(١١٧٦) كما قد قال الشاعر:

رأيــتُك مِــثْلَ الجَــوْزِ يَمــنَعُ لُــبَّهُ صـحيحًا ويُعطِـي خيـرَهُ حـينَ يُكسَرُ

فاحْذَرْ أن تكونَ المهانةُ طريقًا إلى اجتدائك، والخوفُ سبيلًا إلى عطائك، فيَجُرَّ إليك سَفَهَ الطَّغَام[3]، وامتهانَ اللئام، ولْيَكُنْ جُودُك كرمًا ورغبة، لا لؤمًا ورهبة، كيلا يكونَ مع الوصمة[4].

(١١٧٧) كما قال العباس بن الأحنف:

صِــرْتُ كأنِّــي ذُبالــةٌ نُــصِبتْ تُـضيءُ للـنَّاسِ وهْيَ تَحترِقُ[5]

[٢] **وأمَّا النوع الثاني من البِرِّ**[6]: فهو المعروف، ويتنوَّع ـ أيضًا ـ نوعين: قولًا، وعملًا.

١ ـ **فأمَّا القولُ**: فهو طِيبُ الكلام، وحُسْنُ البِشر، والتَّودُّدُ بجميل القَوْل؛ وهٰذا يبعَثُ عليه حُسْنُ الخُلق، ورقَّةُ الطبع، ويجب أن يكون محدودًا كالسَّخاء؛ فإنَّه إن أسرف فيه كان مَلَقًا مذمومًا، وإن توسَّط واقتصَدَ فيه كان معروفًا وبرًّا محمودًا.

(١١٧٨) وقد قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

(١) في المطبوعة والشرح: ترجو، والتصحيح من الأصل والديوان.

(٢) في الشرح (ص٣٥٠): يقال اجتداه: إذا سأله حاجة، وأجداه إذا أعطاه.

(٣) **الطغام**: أراذل الناس وأوغادهم. لسان العرب (٤/ ١٨٠) باب (طغم).

(٤) **الوصمة**: العيب في الكلام، والفترة في الجسد، والعيب والعار. لسان العرب (٦/ ٤٥١) باب (وصم).

(٥) **الذُّبالة**: فتيلة المصباح. [ط]

(٦) سبق النوع الأول ص (٣٥٢)، وهو «الصِّلة». [ط]

[الكهف] ـ : «إنها الكلامُ الطِّيب».

(١١٧٩) وكان سعيد بن جُبير يتأوَّل أنها الصَّلواتُ الخمس[(١)(٢)].

(١١٨٠) ورَوى سعيدُ بن أبي سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالِكُم، ولٰكنْ يَسَعُهُمْ**[(٣)] **منكم بَسْطُ الوجه، وحُسْنُ الخُلُق**»[(٤)].

(١١٨١) ورُوي أنَّ النبي ﷺ أُنشد عنده قول الأعرابيِّ هٰذا:

وَحَيٍّ ذوي الأضغانِ تَسْبِ قلوبَهُم ... تَحيَّتُك الحُسنَى فقد يُدْبَغُ النَّغلْ[(٥)]

فإن دَحَسُوا بالمكر فاعْفُ تكرُّمًا ... وإن خَنَسوا عنك الحديثَ فلا تَسَلْ[(٦)]

فإنَّ الذي يؤذيك منه سماعُهُ ... وإنَّ الذي قالوا وراءَك لم يُقَلْ

فقال النبي ﷺ: «**إنَّ مِن الشِّعر لحكمةً، وإنَّ مِن البيان لسِحْرًا**»[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٩٢).

(٢) لا منافاة بين هٰذه الأقوال، فكل هٰذا «مِن» الباقيات الصالحات، وهي شاملةٌ لجميع الأعمال الصالحة التي يُبتغى بها وجهُ اللَّهِ تبارك وتعالى، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أنها «**سبحان اللَّه، والحمد للَّهِ، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّهُ أكبر**»، وبيَّن ﷺ أن هٰذه الكلمات المباركة «من» الباقيات الصالحات، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. **[ط]**

(٣) في الأصل والمطبوعة والشرح: فليسعهم، والتصحيح من كتب التخريج.

(٤) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ** : رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٢)، وأبو يعلى (٦٥٥٠)، والحاكم (١/ ٢١٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٥)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٩٠)، وفي «مداراة الناس» (٥٤)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨١٠ ـ تهذيبي)، والبزار (١٩٧٨)، **ووثق** الحافظ العراقي بعض طرق البزَّار، **وحسَّنه** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٩)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٤٣)، و«الضعيفة» (٦٣٤). **[ط]**

(٥) **النَّغل**: الأديم الفاسد. قاله في «الشرح» (ص٣٥١). وفي أكثر النسخ: يرقع النعل.

(٦) **دحَسوا**: أفسدوا. **خنسوا**: كفُّوا وانصرفوا. **[ط]**

(٧) **لا يصحُّ ـ بِهٰذا اللفظ ـ** : ذكره صاحب «كنز العمال» (٨٩٥١)، وعزاه لابن النجار، وذكر نحوه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٥٠٨)، والحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٣٥٥) ـ دون قوله: «**إن من البيان...**» إلخ ـ، وذكر الحافظ أنه **موضوع**.

=

(١١٨٢) وقيل للعَتَّابيِّ[1]: «إنك تلقَى العامةَ ببِشر وتقريب! فقال: دفعُ ضغينة بأيسرِ مؤنة، واكتسابُ إخوانٍ بأهون[2] مبذول».

(١١٨٣) وقيل في منثور الحكم: «مَنْ قلَّ حياؤه قلَّ أحبَّاؤه».

(١١٨٤) وقال بعضُ الشعراء:

بُنَيَّ إنَّ البِشْرَ شيءٌ هَيِّنُ ... وَجْهٌ طليقٌ وكلامٌ لَيِّنُ

(١١٨٥) وأنشدني بعض أهل العلم:

المرءُ لا يُعْرَفُ مِقدارُهُ ... ما لم تَبِنْ للناس أفعالُهُ

وكلُّ مَنْ يمنعُني بِشْرَهُ ... فقلَّما ينفعُني مالُهُ

٢ ـ وأمَّا العمل: فهو بذلُ الجاه، والإسعادُ[3] بالنفس، والمعونةُ في النائبة، وهٰذا يبعثُ عليه حُبُّ البر[4] للناس، وايثارُ الصلاح لهم، وليس في هٰذه الأمور سَرَفٌ، ولا لغايتها حدٌّ، بخلاف النوع الأوَّل؛ لأنَّها ـ وإن كثُرت ـ فهي أفعالُ خيرٍ، تعودُ بنفعين:

= والحديث ثابتٌ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ، فتكلَّم بكلام بيِّن، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ من البيان سِحرًا، وإنَّ من الشعر حُكمًا**».صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٠٣)، والطيالسي (٢٦٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٢)، وأبو داود (٥٠١١)، والترمذي (٢٨٤٥)، وأبو يعلى (٢٣٣٢)، وابن حبان (٥٧٨٠)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٧٥٨)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني.

وثبت عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلين قدِمَا في زمانِ رسول اللَّه ﷺ، فخطبا، فعَجِب الناسُ من كلامهما، فالتفت إلينا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**إنَّ من البيان سِحرًا**»، أو: «**إن بعضَ البيان لسِحرٌ**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٦)، والبخاري (٥٧٦٧)، وأبو داود (٥٠٠٧)، والترمذي (٢٠٢٨). [ط]

(١) هو كلثوم بن عمرو، أبو عمرو، شاعر، أديب مصنف، كان يتزهد ويتصوف، توفي عام (٢٢٠). ترجمته في: الوافي (٢٤/ ٣٥٥)، تاريخ بغداد (١٤/ ٥١٥)، معجم الأدباء (٥/ ٢٢٤٣).

(٢) في المطبوعة والشرح: بأيسر.

(٣) في المطبوعة والشرح: والمساعدة.

(٤) في المطبوعة والشرح: الخير.

ـ نفعٍ على فاعلها في اكتساب الأجرِ وجميلِ الذِّكر.
ـ ونفعٍ على المُعانِ بها، في التخفيف عنه والمساعدةِ له.

(١١٨٦) وقد رَوَى محمدُ بن المنكدر، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كُلُّ معروفٍ صدقةٌ**»(١).

(١١٨٧) وقال النبي ﷺ: «**صنائعُ المعروف تَقِي مصارعَ السُّوء**»(٢).

(١١٨٨) وعنه ﷺ أنه قال: «**المعروفُ كاسْمِـه، وأوَّلُ مَـن يَدخُلُ الجنةَ يوم القيامة المعروفُ وأهلُه**»(٣).

(١١٨٩) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يُزهِّدنَّكَ في المعروف كُفْرُ من كَفَره، فقد يَشكرُ الشاكرُ بأضعافِ جُحودِ الكافر».

(١١٩٠) وقال الحُطيئْة(٤):

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٤٤)، والبخاري (٦٠٢١)، و«الأدب المفرد» (٢٢٤)، وعبد بن حُميد (١٠٩٠)، وابن حِبَّان (٣٣٧٩). [ط]

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٦١)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وحسَّنه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١١٥)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٩٧).
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢)، عن معاوية ابن حَيْدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه **جهالة** ـ كما قال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩٤) ـ، وحكم عليه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٢٦٢) بالنكارة، لكن الجملة ثابتةٌ بما قبلها، واللَّهُ أعلم. وفي الباب عن غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [ط]

(٣) **لم أجده بلفظه**: وأخرج ابن النجار ـ كما في «كنز العمال» (١٦٤٤٩) ـ عن ابن شهاب الزهريِّ **مرسلًا**: «**المعروفُ معروفٌ كاسمه**»، وهو **ضعيف** ـ كما ترى ـ.
وأخرج الطبراني في «الكبير» (٨٠١٥)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يرفعه: «**إن أهلَ المعروفِ في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، وإنَّ أول أهلِ الجنةِ دخولًا الجنة أهلُ المعروف**». وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٦٠): «**فيه من لم أعرفه**»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٨٣٨).
وعن قبيصةَ بن برمةَ الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ عند النبي ﷺ، فسمعته يقول: «**أهلُ المعروف في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، وأهلُ المنكر في الدنيا هم أهلُ المنكر في الآخرة**»، **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٧٥)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٥٧٤٠)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني. [ط]

(٤) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، يلقب بـ«الحطيئة»، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية =

مَـنْ يفعِـلِ الخَيْـرَ لا يَعْـدَمْ جَـوازِيَهُ ... لا يَـذْهَبُ العُـرْفُ بين اللَّهِ والنَّاسِ(١)

(١١٩١) وأنشد الرياشي:

يـدُ المعـروفِ غُـنْمٌ حيثُ كانَتْ ... تَحمَّلَهـا كفـورٌ أم شـكورُ

ففـي شُـكْرِ الـشَّكور لهـا جـزاءٌ ... وعـند اللَّـهِ مـا كَفَـر الكفـورُ

فينبغي لمن يقدرُ على ابتداءِ المعروف أن يُعجِّلَه حَذَرَ فَواته، ويبادرَ به خِيفةَ عَجْزِه، ولْيَعْلَم أنه من فُرَص زمانه، وغنائمِ إمكانه، ولا يُهملُه ثقةً بالقدرة عليه، فكم من واثقٍ بقُدرةٍ فاتت فأعقَبتْ ندمًا، ومُعوِّلٍ على مُكْنةٍ زالت فأورَثتْ خجلًا.

(١١٩٢) وقد قال الشاعر:

مَـا زلـتُ أسـمعُ كـمْ من واثق حَجِلٍ ... حتـى ابتُلِيتُ فكنْتُ الواثِقَ الحَجِلَا(٢)

ولو فَطِن لنوائب دهره، وتحفَّظ من عواقب مَكْرِه، لكانتْ مَغانمُه مَذخورة، ومغارمُهُ مجبورة.

(١١٩٣) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من فُتِحَ له(٣) بابٌ من الخير فلْيَنتهِزْه؛ فإنَّه لا يدري متى يُغْلَقُ عنه**»(٤).

= والإسلام، فأسلم ثم ارتد، وكان هجاءً مُرًّا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، توفي نحو عام (٤٥).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١١/ ٦٩)، معجم المؤلفين (١/ ٤٨٤).

(١) **العُرف**: المعروف. [ط]

(٢) **الأحجال**: القيود. لسان العرب (٢/ ٣٣) باب (حجل)، وفي المطبوعة والشرح: خجل، الخجلا.

(٣) في الأصل: عليه، والتصحيح من كتب التخريج.

(٤) ضعيف: رواه عبداللَّه بن المبارك في «الزهد» (١١٧)، وعبداللَّه بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢٣٨٠)، وهناد في «الزهد» (٩٦١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٣٥)، من رواية حكيم بن عُمير مرسلًا، وهو ضعيف للإرسال ـ كما ترى ـ، واللَّهُ أعلم.
ويغني عنه ما ثبت عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**التؤدةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ؛ إلا في عمل الآخرة**». **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨١٠)، وأبو يعلى (٧٩٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٥٩٢)، و«الزهد الكبير» (٧١٤)، والحاكم (١/ ٦٣)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩٤ ـ تهذيبي)، **وصحَّحه الإمام الحاكم، ووافقه الإمام الذهبي ـ، وصحَّحه** =

(١١٩٤) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**لِكُلِّ شيءٍ ثمرةٌ، وثمرةُ المعروف تعجيلُ السَّراح**[١]»[٢].

(١١٩٥) وقيل لأنوشِرْوان: «ما أعظمُ المصائب عندكم؟ فقال: أن تَقدِرَ على المعروف، ولا تصطنعَه حتى يفوت».

(١١٩٦) وقال عبدُالحميد: «مَنْ أخَّر الفرصةَ عن وقتها، فلْيَكُن على ثقةٍ من فَوْتِها».

(١١٩٧) وقال بعضُ الشعراء:

إذا هَبَّتْ رياحُك فاغتنِمْها ... فإن لِكُلِّ خافقةٍ سُكونُ

ولا تغفُلْ عن الإحسانِ فيها ... فما تدري السكونُ متى يكونُ

إن دَرَّت نياقُك فاحْتَلِبْها ... فما تدري الفصيلُ لمن يكونُ[٣]

(١١٩٨) ورُوي أنَّ بعضَ وزراء بنى العبَّاس مَطَل راغبًا إليه في عملٍ يستكفيهِ إياه، فكتب إليه بعد طُول المُطْل به:

أما يدعوكَ طُولُ الصَّبْر مِنِّي ... على استئنافِ منفعتي وشُغلي

وعلمُكَ أنَّ ذا السلطان غادٍ ... على خطرين من مَوتٍ وعَزْلِ

وأنَّك إن تركت قضاءَ حَقِّي ... إلى وقتِ التفرُّغِ والتخلي

ستصبحُ نادمًا أسِفًا مُعَزًّى ... على فَوتِ الصَّنيعةِ عند مثلي

(١١٩٩) وكتب بعضُ ذوي الحُرُمات إلى والٍ قد قصَّر في رعايةِ حرمتِه، يقول:

= الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٠٩)، بينما مال **لتضعيفه** الحافظ المنذري، والشيخ شعيب الأرنؤوط، فانظر: «تحقيق سنن أبي داود» (٧/ ١٨٧). [ط]

(١) **السَّرَاح**: العطية. [ط]

(٢) **لا أصل له**: كما قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ٢٤٥). [ط]

(٣) **درَّت**: سالت باللبن. **نياقك**: جمع «ناقة». [ط]

أَعَلَى الصِّراطِ تريدُ رَعْيَةَ حُرْمتي ... أمْ في الحساب تَمُنُّ بالإنعامِ؟!
لِلنَّفعِ في الدُّنيا أردتُكَ فانْتَبِهْ ... لحوائجي مِن رَقْدة النُّوَّامِ

(١٢٠٠) وكتب أبو عليٍّ البصير[١] إلى بعض الوزراء، وقد اعتذر إليه بكثرة الأشغال، يقول:

لنا كُلَّ يومٍ نَوبةٌ قد نَنوبُها ... وليس لنا رزقٌ ولا عندنا فضلُ
فإن تعتذِرْ بالشُّغل عنَّا فإنَّما ... تُناطُ بك الآمالُ ما اتَّصلَ الشُّغلُ

[شروطُ المعروف]:

واعلم أنَّ للمعرُوْف شروطًا، لا يتمُّ إلَّا بها، ولا يكمُلُ إلَّا معها:

١ ـ فمِن ذٰلك: سَترُه عن إذاعةٍ يستطيلُ بها، واخفاؤُه عن إشاعةٍ يُستَدَلُّ بها.

(١٢٠١) فقد قال بعضُ الحكماء: «إذا اصطنعتَ المعروف فاسْتُرْه، وإذا صُنِع إليك فانْشُرْه».

(١٢٠٢) وقال دِعْبِلٌ الخُزاعيُّ:

إذا انْتَقَمُوا أعلَنُوا أمرَهُم ... وإن أنْعَمُوا أنْعَمُوا باكتِتامِ
يقومُ القُعُودُ إذا أقبَلُوا ... وتقعُدُ هيبتُهُمْ بالقِيامِ

على أنَّ سِتْرَ المعروف من أقوى أسباب ظهوره، وأبلغِ دواعي نَشْرِه، لِمَا جُبِلت عليه النُّفوس من إظهار ما أُخفي، وإعلان ما كُتِم.

(١٢٠٣) وقد قال سهلُ بن هارون[٢]:

---

(١) الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس أبو عليٍّ النخَعي، الشاعر المعروف بـ«البصير»، من أهل الكوفة، توفي عام (٢٥٥). والأبيات في ترجمته في «معجم المرزباني».
ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٧)، معجم المرزباني (٤٢٢)، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٣٢)، الفهرست (ص١٣٧).

(٢) سهل بن هارون راهبون، أبو عمرو، الفارسي الأصل، كان أديبًا كاتبًا شاعرًا حكيمًا شعوبيًّا، يتعصب للعجم على العرب، توفي عام (٢١٥).
ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١٤٠٩)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١٨).

خِـلٌّ إذا جئـتَه يـومًا لتسـألَهُ ... أعطـاكَ مـا ملكَتْ كفَّاهُ واعتذَرَا

يُخفـي صـنائعَهُ واللّـهُ يُظهِـرُها ... إنَّ الجمـيلَ إذا أخفيـتَهُ ظَهـرَا

٢ ـ ومن شروطِ المعروف: تصغيرُه عن أن يراه مستكبِرًا، وتقليلُه عن أن يكون مستكثَرًا، لئلا يصيرّ به مُدِلًّا بطِرًا، أومستطيلًا أشِرًا[(١)].

(١٢٠٤) وقال العبَّاس بن عبدِالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يتمُّ المعروفُ إلَّا بثلاثِ خصالٍ: تعجيلِهِ، وتصغيرِه، وسَتْرِه؛ فإذا عَجَّلْتَه هَنَّأْتَه[(٢)]، وإذا صغَّرته عظَّمته، وإذا سترته أتممتَه»[(٣)].

(١٢٠٥) وقال بعضُ الشعراء:

زادَ معـروفَكَ عـندي عِظَمًـا ... أنَّـه عِـنْدَكَ مـستُورٌ حقيـرُ

وتناسـيْتَ كـأنْ لـم تأتِـهِ ... وَهْـوَ عـندَ النَّاس مَشْهُورٌ خَطِيرُ

٣ ـ ومن شروط المعروف: مجانبةُ الامتنان به، وتَرْكُ الإعجاب بفعله، لِمَا فيهما من إسقاط الشُّكْر، وإحباطِ الأجر.

(١٢٠٦) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والامتنانَ بالمعروف؛ فإنَّه يُبطِلُ الشُّكْر، ويَمْحَقُ الأجْر**»، ثم تـلا قولـه تعـالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤][(٤)].

(١٢٠٧) وسمع ابنُ سيرين رجلًا يقولُ لرجل: «فعلْتُ إليكَ وفعلْتُ! فقال ابنُ سيرين: اسكتْ؛ فلا خيرَ في المعروف إذا أُحْصِي»[(٥)].

---

(١) أي: لئلَّا يصبح به معجبًا متكبرًا، ولا ممتنًّا متفاخرًا. [ط]

(٢) أي: أسعدت به من أسديته له. [ط]

(٣) الخبر في المجالسة (٦٨٥)، وعيون الأخبار (٣/ ١٩٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهي التذكرة (٨/ ١٥٣)، وربيع الأبرار، عن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **لا أصل له**: أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٣٣٠ ـ سورة البقرة: ٢٦٤)، بلا سند، وكذا فعل الإمام الهيتمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٤٢٧)، ولا أعلم له أصلًا، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٥) الخبر في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٣٠)، وفي عيون الأخبار (٣/ ٦٥) منسوب لابن =

(١٢٠٨) وقال بعضُ الحكماء: «المَنُّ مَفْسدةٌ للصنيعة».

(١٢٠٩) وقال بعضُ الأدباء: «كَدَّرَ معروفًا امتنانٌ، وضيَّعَ حَسَبًا امتهانٌ».

(١٢١٠) وقد قال بعضُ البُلغاءِ: «مَنْ مَنَّ بمعروفِهِ سقط شُكرُه، ومَن أُعجبَ بعمله حَبِطَ أجرُه».

(١٢١١) وقال بعضُ الفصحاء: «قُوَّةُ المِنن مِن ضَعف المُنن[١]».

(١٢١٢) وقال بعضُ الشعراء[٢]:

أفسدْتَ بالمَنِّ ما أسدَيْتَ من حَسَنٍ ... ليس الكريمُ إذا أَسْدَى بمنَّانِ

(١٢١٣) وقال أبو نُوَاس:

فامْضِ لا تَمنُنْ عَلَيَّ يدًا ... مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِهْ

(١٢١٤) وأُنشِدْت عن الرَّبيع للشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا تَحمِلَنَّ لِمَنْ يَمُنُّ ... مِنَ الأنام عليكَ مِنَّةْ

واخْتَرْ لنفسِكَ حظَّها ... واصْبِرْ فإنَّ الصَّبْرَ جُنَّةْ[٣]

مِنَنُ الرِّجالِ على القُلوبِ ... أَشَدُّ مِن وَقْعِ الأَسِنَّةْ

٤ ـ **ومن شروط المعروف**: ألَّا يحتقرَ منه شيئًا ـ وإن كان قليلًا نَزْرًا ـ، إذا كان الكثيرُ مُعْوِزًا، وكنتَ عنه عاجزًا؛ فإنَّ من حَقَّر يسيرَهُ فمَنع منه، أعجزه كثيرُه فامتنع عنه؛ وفِعْلُ قليلِ الخير أفضلُ من تَرْكِه.

(١٢١٥) فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يَمنعْكم منَ المعروف صغيرُه**»[٤].

= شبرمة.

(١) **المُنن**: العزائم والإرادات. والمقصود: أن من كثُر منُّه على الناس، دلَّ ذٰلك على ضعف عزيمته وإرادته، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) ذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس (١/ ٣٠٦)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٣/ ١٧٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٣٠)، غير منسوب.

(٣) **الجُنَّة**: الوقاية والستر. [ط]

(٤) **لم أقف عليه**: واللَّهُ أعلم.

=

(١٢١٦) وقال عبدُاللَّه بن جعفر[١]: «لا تستحِي من القليل؛ فإنَّ البُخلَ أقلُّ منه، ولا تجبُنْ عن الكثير؛ فإنَّك أكثرُ منه».

(١٢١٧) وقد قال الشاعر:

اعمَلِ الخَيْرَ ما اسْتَطَعْتَ وإن كانَ ... قليلًا فلن تُحيطَ بكلِّهِ

ومتى تفعلُ الكثيرَ مِنَ الخَيرِ ... إذا كنتَ تاركًا لأقلِّهِ؟!

على أنَّ من المعروف ما لا كُلْفَةَ على مُولِيه، ولا مشقَّةَ على مُسْدِيه، وإنَّما هو جاهٌ يَسْتظِلُّ به الأَدْنى، ويرتَفِقُ به التَّابع.

(١٢١٨) وقد قال الشاعر:

ظِلُّ الفَتى يَنفَعُ مَنْ دُونَه ... وما لَهُ في ظِلِّه حَظُّ

واعلم بأنَّك لن تستطيعَ أن تُوسِعَ جميعَ النَّاس معروفَك، ولا أن تُولِيَهُم إحسانَك، فاعتمِدْ بذٰلك أهلَ الفَضْل منهم والحِفاظ[٢]، واقصِد به ذَوِي الرِّعايةِ والوِداد، ليكون معروفُكَ فيهم ناميًا، وصنيعُك عندهم زاكيًا.

(١٢١٩) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تنفَعُ الصَّنيعةُ إلَّا عند ذي حَسَبٍ**

= ويغني عنه ما ثبت عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تَحقرنَّ من المعروف شيئًا**»، **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٧٣)، ومسلم (٢٦٢٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يا نساءَ المؤمنات، لا تَحْقِرَنَّ إحداكُنَّ لجارتها، ولو كُراعَ شاةٍ مُحْرَّقًا**»، **صحيح**: رواه مالك (١٦٦٣)، وأحمد (٤/ ٦٤)، والدارمي (١٦٧٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٢)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. **وكُراع الشاة المُحرَّق**: اللحم القليل في كعب الشاة. والمراد: ولو شيئًا قليلًا، فلْتُهْدِهِ إلى جارتها. [**ط**]

(١) عبداللَّه بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، آخر من رأى النَّبي ﷺ من بني هاشم، له صحبة ورواية، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالحبشة، يقال: لم يكن في المسلمين أجود منه، توفي عام (٨٠).

ترجمته في: تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٤٨ ـ ٢٩٨)، الوافي بالوفَيات (١٧/ ١٠٧)، تهذيب الكمال (١٤/ ٣٦٧).

(٢) **الحِفاظ**: أهل الدين والأمانة الشاكرين للناس. قاله في «فيض القدير» (١/ ٢٥٤). [**ط**]

ودين»[١].

(١٢٢٠) وقال النبي ﷺ: «إذا أرادَ اللَّـهُ بعَبْـدٍ خيـرًا جَعَـلَ صنائعَـه في أهلِ الحِفاظ»[٢].

(١٢٢١) وقال حسانُ بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنَّ الـصَّنيعةَ لا تكـونُ صَـنِيعةً حتَّـى يُـصابَ بهـا طَـريقُ المَـصْنَعِ

فـإذا صـنعْتَ صـنيعةً فاعمَـلْ بهـا للَّـهِ أو لـذَوي القـرابةِ أو دَعِ

(١٢٢٢) وقيل في منثور الحكم: «لا خيرَ في معروف إلى غير عَرُوف[٣]».

(١٢٢٣) وقد ضرب الشاعر به مثلا، فقال:

كحِمـارِ الـسَّوْءِ إن أشْـبَعْتَه رَمَـحَ النَّاسَ وإن جاع نَهَقْ[٤]

(١٢٢٤) وقد قـال بعـضُ الحكمـاء: «على قـدْر المَغـارس، يكـونُ اجتناءُ الغارس»[٥].

(١٢٢٥) فأخذه بعضُ الشعراء، فقال:

لَعَمْـرُكَ مـا المعـروفُ في غيـر أهلِـهِ وفي أهلِـه إلَّا كـبعضِ الودائـعِ

---

(١) موضوع: رواه العُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٣٢)، وابـن عـدي في «الكامل» (٣/ ٢٨٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٤٦٤)، والبزار (١٩٤٥)، والديلمي في «الفردوس» (٧٧٧٧، ٧٩٩٨)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٤/ ٣٢٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٣١٥)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الإمام العُقيلي: «**لا يصح**»، وحكم عليه **بالنكارة** الإمام البزار، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٤): «فيه عبيد بن القاسم، وهو كذاب»، وحكم عليـه **بالوضـع** الإمـام الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٢٢)، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٣٨). [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٣٦) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكذا عزاه إليه فقط في «كنز العمال» (١٦٢٣٣)، لكن من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا عزاه إليه من روايته الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٢٢٢)، وحكم عليه **بالضعف**، وكذا في «ضعيف الجامع» (٣٢٨). [ط]

(٣) **العَرُوف**: الشاكر. [ط]

(٤) **رمح الناس**: رفسهم. [ط]

(٥) لم أتبيَّنها جيدًا، ولعل المعنى يتضح إجمالًا من الشعر القادم. [ط]

فمستودَعٌ ضاع الذي كان عندَه ... ومستودَعٌ ما عندَه غيرُ ضائعِ
وما النَّاس في شُكْرِ الصَّنيعه عندَهم ... وفي كفرها إلَّا كبعض المزارعِ
فمزرَعَةٌ طابتْ وأضعفَ نبتُها ... ومزرعةٌ أكدَتْ على كُلِّ زارعِ

وأمَّا مَن أُسْدِي إليه المعروفُ، واصطُنِع إليه الإحسانُ، فقد صار بأسْر المعروف موثوقًا، وفي مِلكِ الإحسان مرقوقًا[1]، ولزمه ـ إن كان من أهل المكافأة ـ أن يكافئَ عليها، وإن لم يكن من أهلها: أن يقابلَ المعروفَ بنَشْره، ويقابلَ الفاعلَ بشُكْره.

(١٢٢٦) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أُودِعَ معروفًا فلينْشُره، فإنْ نَشَرَه فقد شكره، وإن كَتَمه فقد كَفَرَه»**[2].

(١٢٢٧) ورَوى الزُّهري، عن عُرْوة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأنا أتمثَّل بِهٰذين البيتين:

ارفَعْ ضعيفَكَ لا يُحَونُكَ ضَعفُه ... يومًا فتدركَهُ العواقِبُ قد نَمى
يَجْزِيك أو يُثني عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جَزَى

فقال النبي ﷺ: **«رُدِّي عليَّ قولَ اليهودي ـ قاتلَه اللَّه ـ، لقد أتاني جبرائيلُ برسالةٍ من ربي تعالى: أيُّما رجلٍ صَنَع إلى أخيه صنيعةً، فلم يَجِدْ لها جَزاءً إلَّا الدُّعاءَ والثناءَ**

---

(١) مرقوقًا: عبدًا. [ط]

(٢) حسن: رواه ـ بنحوه ـ الطبراني في «الكبير» (١/ ١١٥)، من حديث طلحة بن عبيداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨١): «فيه من لم أعرفه». وحسَّنه لغيره الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٧٤)، ولفظ الحديث: **«مَن أُولِيَ معروفًا فلْيَذكُرْه، فمَن ذَكَره فقد شكره، ومَن كَتَمه فقد كفره»**.
وثبت عن جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«مَن أُعطي عطاءً، فوَجَد، فلْيَجْزِ به، فإن لم يَجِدْ فلْيُثْنِ به، فمن أثنى به فقد شَكَره، ومَن كَتَمه فقد كفره»**. صحيح: رواه أبو داود (٤٨١٣)، والترمذي (٢٠٣٤)، وابن حِبَّان (٣٤١٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٦٨٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ١٤٧)، وأبو يعلى (٢١٧٣)، وقال الإمام الترمذي: «حسن غريب»، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

فقد كافأه»[١].

(١٢٢٨) وقيل في منثور الحكم: «الشكرُ قَيدُ النِّعم».

(١٢٢٩) وقال عبدُالحميد: «مَنْ لم يشكر الإنعام فاعدُدْه من الأَنعام».

(١٢٣٠) وقيل في منثور الحكم: «قيمةُ كُلِّ نِعْمةٍ شُكْرُها».

(١٢٣١) وقال بعضُ الحكماء: كُفْر النِّعم من أمارات البَطَر، وأسبابِ الغِيَر[٢]».

(١٢٣٢) وقال بعضُ الفصحاء: «الكريمُ شَكُورٌ أو مشكور، واللئيم كَفُورٌ أو مكفور».

(١٢٣٣) وقال بعضُ البلغاء: «لا زوال للنِّعمةِ مع الشكر، ولا بقاءَ لها مع الكفر».

(١٢٣٤) وقال بعضُ الأدباء:

شُكْرُ الإلٰهِ بطولِ الثناءِ ... وشُكْرُ الولاةِ بصِدْقِ الولاءِ
وشُكْرُ النظيرِ بحسنِ الجزاءِ ... وشُكْرُ الدنِيِّ بحسن العطاءِ

(١٢٣٥) وقال بعضُ الشعراء:

فلو كان يَسْتغني عن الشكر ماجدٌ ... لِعزَّةِ مُلْكٍ أو عُلُوِّ مكانِ
لَمَا أَمَرَ اللَّهُ العبادَ بشُكْرِه ... فقال: اشكروا لي أيُّها الثَّقلانِ

فإنَّ مَن شَكَر معروفَ مَن أحسن إليه، ونَشَرَ إفضالَ من أنْعَمَ عليه[٣]، فقد أدَّى حقَّ النِّعمة، وقضَى مُوجِبَ الصَّنيعة، ولم يبقَ عليه إلَّا استدامةُ ذٰلك، إتمامًا

---

(١) ضعيف: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٣٤٨)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٧١٤)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٧٥)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٧)، وبنحوه الطبراني في «الأوسط» (٣٥٨٠)، و«الصغير» (٤٥٤)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢٠/ ٨٨)، وابن الأعرابي في «معجمه» ـ مختصرًا ـ (٢٠٨٨)، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٣٠)، وكذا محقق «الشعب» (١١/ ٣٨٧). [ط]

(٢) الغِيَر: تغيُّر أحوال المنعمين عليك. [ط]

(٣) في الأصل: ونشر إنعام من أفضل عليه.

لشكره، ليكونَ للمزيد مستحقًّا، ولمتابعة الإحسان مستوجِبًا.

(١٢٣٦) حُكي أنَّ الحجَّاج[١] أُتِيَ إليه بقومٍ من الخوارج، وكان فيهم صديقٌ له، فأمر بقتلهم إلَّا ذٰلك الصديق ـ فإنَّه عفا عنه، وأطلقه ووَصَله ـ، فرجع الرجل إلى قَطَرِيٍّ بنِ الفُجَاءة[٢] ـ وكان من أصحابه ـ، فقال له: عُدْ إلى قِتالِ الحجَّاج عدوِّ اللَّه، فقال: هيهات! غَلَّ يدًا مُطْلِقُها، واسترقَّ رقبةً مُعْتِقُها[٣]، وأنشأ يقول:

أَأُقاتِلُ الحجَّاجَ عن سُلطانه ... بيدٍ تُقِرُّ بأنَّها مَولاتُهُ

إني إذًا لأخو الدَّناءةِ والذي ... شهِدَتْ بأقبحِ فِعْله غَدَراتُهُ

ماذا أقولُ إذا وقفْتُ إزاءَهُ ... في الصفِّ واحتجَّتْ له فَعَلاتُهُ

أأقول: جارَ عليَّ! لا إنِّي إذًا ... لأَحَقُّ مَن جارَتْ عليه وُلاتُهُ

وتَحدَّثَ الأقوامُ أن صنائعًا ... غُرِسَتْ لديَّ فَحَنْظَلَتْ نخلاتُهُ

(١٢٣٧) وقيل في منثور الحكم: «المعروف رِقّ، والمكافأة عِتق».

(١٢٣٨) ومِن أَشكرِ الناس الذي يقول:

لأَشْكُرنْ لَكَ معروفًا هَممْتَ به ... إنَّ اهتمامك بالمعروفِ مَعروفُ

ولا ألُومُكَ إنْ لم يُمضِه قَدَرٌ ... فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مَصْرُوفُ

وهٰذا النوع من الشكر ـ الذي يتعجَّلُ المعروفَ، ويتقدَّم البِرَّ ـ، قد يكونُ على وجوه:

[أ] فيكون تارةً من حُسن الثقة بالمشكورِ في وصُولِ برِّه، وإسداءِ عُرْفه، ولا

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، أبو محمد، الثقفي، الأمير المشهور، توفي عام (٩٥).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٩ ـ ٥٤).
قلت: كان ظالمًا سفَّاكًا للدماء منتهكًا لحرماتِ اللَّه. ورحم اللَّهُ عمرَ بن عبدالعزيز حين قال قولتَه الخالدة: «لو تخابثت الأمم، فجاءت كلُّ أمةٍ بخبيثها، وجئناهم بالحَجاج لَغلبناهم». [ط]

(٢) أبو نعامة قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد بن زياد، الخارجي، توفي عام (٧٨).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٩٣ ـ ٩٥)

(٣) أي: من فك عبدًا من كربةٍ صار أسيرًا لمن فكَّه طيلة حياتِه. [ط]

رأي لمَن يَحسُن به ظنُّ شاكرٍ أن يُخلِفَ حُسن ظنِّه فيه(١).

(١٢٣٩) فيكون كما قال العَتَّابي(٢):

قد أَوْرَقَتْ فيكَ آمالي بوعدِكَ لي ... وليس في وَرَقِ الآمالِ لي ثَمَرُ

[ب] وقد يكون تارةً من فرط شُكْر الرَّاجي، وحُسْنِ مكافأةِ الآمل، فلا يرضَي لنفسهِ إلَّا بتعجيل الحقِّ وإسلافِ الشكر، وليس لمَن صادف معروفُه مَعْدِنًا زاكيًا، ومَغْرِسًا ناميًا أن يفوِّتَ نفسه غُنمًا، ولا يحرمَها رِبحًا؛ فهٰذا وجهٌ ثان.

[ت] وقد يكون تارةً ارتهانًا للمأمول، وحثًّا للمسؤول، وبحسَب ما أسلَفَ من الشُّكر يكونُ الذَّمُّ عند الإياس(٣).

(١٢٤٠) وقال بعضُ الأدباء ـ من حُكماءِ المتقدِّمين ـ: «مَن شَكَرك على معروفٍ لم تُسْدِهِ إليه، فعاجِلْه بالبرِّ، وإلَّا انعكس فصار ذمًّا».

(١٢٤١) وقال ابنُ الرومي في ذٰلك:

وما الحِقْدُ إلَّا توأمُ الشُّكْر في الفَتى ... وبعضُ السَّجايا ينتسِبْنَ إلى بعضِ

فحيثُ ترى حقدًا على ذي إساءةٍ ... فثمَّ شُكْرًا على حَسَنِ الفرضِ

إذا الأرضُ أدَّت رَيْع ما أنتَ زارعٌ ... من البذْر فيها فهي ناهيك من أرضِ(٤)

وأمَّا من سَتر معروفَ المنعِم، ولم يشكْره على ما أولاه من نِعَمِهِ، فقد كَفَرَ النِّعمة، وجَحَدَ الصَّنيعة، وإنَّ من أذمِّ الخلائق(٥)، وأسوأِ الطرائق؛ ما يُستوجَبُ به قبحُ الرَّدِّ، وسوءُ المَنْع.

(١٢٤٢) فقد رَوَى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يَشكرُ اللَّهَ مَن لا**

(١) أي: ليس من العقل والمروءة أن يُحسِنَ بك أحدٌ الظن أنك تسدي إليه المعروف، ثم لا تبادر إلى فعل ما ظنَّه فيك. [ط]

(٢) في الأصل: الغساني.

(٣) أي: بحسب ما قدَّمه الشاكر من الشكر لمن ظن فيه الإحسان، يكون ذمُّه إياه إذا أخلف وعده وظهر منه خلاف ما ظنَّه الشاكر. [ط]

(٤) **الرَّيع**: النماء. [ط]

(٥) **الخلائق**: الأخلاق. [ط]

يشكُرُ النَّاس»[١].

(١٢٤٣) وقال بعضُ الأدباء: «مَن لم يشكُرْ لمُنعِمِه، استحقَّ قَطْعَ النِّعمة»[٢].

(١٢٤٤) وقال بعضُ الفصحاء: «مَن كفر نعمةَ المُفِيد[٣]، استوجب حرمان المَزيد».

(١٢٤٥) وقال بعضُ البلغاء: «من أنكر الصَّنيعة، استوجَبَ قُبْحَ القطيعة».

(١٢٤٦) وأنشدني بعض الأدباء ما ذُكر أنه لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَــن جــاورَ الــنِّعمةَ بالــشكر لم ... يَخْــشَ على الــنِّعمة مُغــتالَها

لــو شــكروا الــنِّعمة زادْتْهُــمُ ... مقالــةُ اللَّـــهِ التـــي قالَهـــا:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ... لٰكــنَّمــا كُفْــرهُمُ غالَهــا[٤]

والكُفـــر بالـــنِّعمة يدعـــو إلى ... زوالِهـــا والـــشُّكرُ أبقَـــى لهـــا

وهٰذا آخر ما يتعلَّق بالقاعدة الثانية[٥]، من أسباب الألفة الجامعة.

* فأمَّا القاعدة الثالثة: فهي المادَّةُ الكافية:

لأنَّ حاجَة الإنسان لازمةٌ، لا يَعْرَى منها بشرٌ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا[٦] لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وابن حِبَّان (٣٤٠٧)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) في الأصل: من لم يشكر نعمة، استحق قطع أنعمه.

(٣) **المفيد**: المحسن إليه. [ط]

(٤) **غالها**: اغتالها. والمقصود: منعها. [ط]

(٥) وكانت بدايتها ص (٢٨٦)، وهي: «الألفة الجامعة». [ط]

(٦) قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المسير»: «قال مجاهد: وما جعلناهم جسدًا ليس فيهم روح. قال ابن قُتيبة: ما جعلنا الأنبياءَ قبله أجسادًا لا تأكل الطعام ولا تموت فنجعله كذٰلك. قال المبرد وثعلب جميعًا: العربُ إذا جاءت بين الكلام بجَحْدين كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطعام. قال قتادة: المعنى: وما جعلناهم جسدًا إلا ليأكلوا =

فإذا عَدِمَ المادةَ ـ التي هي قِوامُ نفسه ـ لم تدُمْ لهُ حياة، ولم تستقم لهُ دنيا، وإذا تعذَّر شيءٌ منها عليه، لَحِقه من الوَهْن في نفسِه، والاختلالِ في دنياه، بقدر ما تعذَّر من المادة عليه؛ لأنَّ الشيء القائمَ بغيره يكمُل بكماله، ويختلُّ باختلاله.

ثم لمَّا كانت الموادُّ مطلوبةً لحاجةِ الكافة إليها، أُعوزت بغير طلب، وعُدِمَت لغير سبب[1]؛ وأسبابُ المواد مختلفة، وجهاتُ المكاسِب مُتشعِّبة، ليكونَ اختلافُ أسبابِها علَّةَ الائتلاف بها، وتشعُّبُ جهاتِها توسعةً لطُلَّابِها، كيلا يجتمعوا على سببٍ واحدٍ فلا يلتئمون، أو يشتركوا في جهةٍ واحدةٍ فلا يكتفون.

ثم هداهم إليها بعقولهم، وأرشدَهم إليها بطباعهم، حتى لا يتكلَّفوا ائتلافَهم في المعايش المختلفةِ فيَعجِزوا، ولا يُعانوا بتقدير موادِّهم بالمكاسب المتشعِّبةِ فيختلوا، حكمةً منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، اطلع بها على عواقب الأمور.

وقد أنبأ اللَّه تعالى في كتابه العزيز إخبارًا وإذكارًا، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه].

اختلف المفسرون في تأويل ذلك:

(١٢٤٧) فقال قتادة: «أعطَى كُلَّ شيءٍ ما يصلحُه، ثم هداه».

(١٢٤٨) وقال مجاهد: «أعطَى كُلَّ شيءٍ صورته، ثم هداه لمعيشته».

(١٢٤٩) وقال ابن عباس: «أعطَى كُلَّ شيءٍ زوجَه، ثم هداه لنكاحِهِ»[2].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم]، يعني معايشهم متى يَزرَعون، ومتى يَغرِسون[3][4].

= الطعام.». [ط]

(١) لم أتبين المراد، ولم يفسره صاحب «منهاج اليقين» (ص٣٦٣). [ط]

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٨١)، تفسير البغوي (٣/ ٢٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٧١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٤٠٠).

(٤) لا ريب أن هٰذه الآية خارجةٌ مخرج الذمِّ لأقوام نسُوا دينهم، وانكبُّوا على دنياهم، ومن أروع ما قرأتُ في تفسير هٰذه الآية الكريمة قولُ الحسنِ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللَّهِ لَبَلَغَ من أحدهم علمًا بدنياه: أنه يُقلِّبُ الدِّرهمَ على ظُفرِه، فيُخبرُكَ بوزنه، وما يُحسِنُ أن يُصلِّي!!». «الدر المنثور»، للإمام السيوطي (١١/ ٥٨٦). [ط]

وقال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فصِّلت].

(١٢٥٠) قال عكرمة: «قدَّر في كُلِّ بلدةٍ منها ما لم يجعلْه في الأخرى، ليعيشَ بعضُهم من بعضٍ بالتجارة من بلدٍ إلى بلد».

(١٢٥١) وقال الحسنُ البصريُّ وعبدالرَّحْمٰن بن زيد: «﴿وَقَدَّرَ﴾ أرزاقَ أهلها، ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ الزيادةَ في أرزاقهم»(١).

ثم إن اللَّه تعالى جعل لهم ـ مع ما هَداهم إليه من مكاسبهم، وأَرشدَهم إليه من معايشهم ـ دِينًا يكون عليهم حَكَمًا، وشَرعًا يكون لهم قِيَمًا(٢)، ليَصِلوا إلى موادِّهم بتقديره، ويطلبوا أسبابَ مكاسبهم بتدبيره، حتى لا ينفردوا بإرادتِهم فيتغالبوا، وتستوليَ عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا(٣).

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(١٢٥٢) قال المفسِّرون: «﴿ٱلْحَقُّ﴾ ـ في هٰذا الموضع ـ: هو اللَّه ﷻ»(٤).

فلأجل ذٰلك لم يَجعل الموادَّ مطلوبةً بالإلهام، حتى جَعَلَ العقلَ هاديًا إليها، والدِّينَ قاضيًا عليها، لتتمَّ السَّعادة، وتعُمَّ المصلحة.

[طرُق نَيلِ المنافع]:

ثم إنه ـ جلَّت قُدرتُه ـ جَعَلَ سدَّ حاجتهم، وتَوَصُّلَهم إلى منافعهم من وجهين: بمادةٍ، وكسْب.

١ ـ **فأمَّا المادة**: فهي حادثةٌ عن اقتناءِ أصولٍ نامية بذواتِها، وهي شيئان: نَبْتٌ

(١) النكت والعيون (٥/ ١٧٠)، تفسير البغوي (٤/ ١٠٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٩٥).
(٢) قِيَمًا: قويمًا مستقيمًا. [ط]
(٣) فالدين ـ أحبابي ـ يعلِّمُ الناس كيف تنتظمُ بهم الحياة، وكيف يَسعَون في الأرض، وكيف لا يبغي بعضُهم على بعض؛ ومِن ثم فإن العباد إذا اختلَّت بهم تلك الموازين، وصار همُّ أحدِهم أن يجلبَ لنفسه المنافع ـ ولو بظلم الآخرين والعدوان عليهم ـ ، فلنعلم أنه مختلُّ الدين منحرفٌ عن الصراط المستقيم، وما غاب الدينُ الصحيح عن حياةِ عبدٍ إلا ورأيتَ منه كلَّ خُلُقٍ فاسد ورأيٍ كاسد، ونسأله تعالى أن يصونَ علينا ديننا كما يحبُّ ويرضى. [ط]
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٧١).

نامٍ، وحيوانٌ متناسل؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم].

(١٢٥٣) قال أبو صالح: «﴿أَغْنَىٰ﴾ خَلْقَه بالمال، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: جعل لهم قِنيةً، وهي أصولُ الأموال»[١].

٢ ـ **وأمَّا الكسب**: فيكونُ بالأفعال الموصِّلةِ إلى المادة، والتصرُّفِ المؤدِّي إلى الحاجة، وذٰلك من وجهين:

أحدهما: تقلُّبٌ في تجارة.

والثاني: تصرُّفٌ في صناعة.

وهٰذان الوجهان **هُما** فرعٌ لوجهَي المادة، فصارت أسبابُ الموادِّ المألوفة، وجهاتُ المكاسِب المعروفة، من أربعة أوجُه:

١ ـ نماءُ زراعةٍ.

٢ ـ ونتاجُ حيوانٍ.

٣ ـ ورِبحُ تجارةٍ.

٤ ـ وكَسْبُ صناعةٍ.

(١٢٥٤) وقد حكى الحسنُ بن رجاء[٢] نحو ذٰلك عن المأمون، قال: سمعتُه يقول: «مَعايشُ الناس على أربعة أقسام: زراعةٌ، وصناعةٌ، وتجارةٌ، وإمارةٌ، فمن خرج عنها كان كَلًّا عليها».

وإذ قد تقرَّر أسبابُ المواد بما ذكرنا، فسَنَصِفُ حالَ كُلِّ واحدٍ منها بقولٍ مُوجزٍ.

*** أمَّا الأول من أسبابها ـ وهو الزراعةُ ـ:**

فهي مادةُ أهلِ الحضَر وسُكانِ الأمصار والمُدن، والاستمدادُ بها أعمُّ نفعًا

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٦١).

(٢) الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، أبو عليٍّ الكاتب، الجرجرائي البغدادي، كان أحد البلغاء الكتاب الشعراء، توفي بفارس سنة (٢٤٤).
ترجمته في: تاريخ دمشق (١٣/ ٨٤)، الوافي بالوفيات (١٢/ ٩).

وأوفرُ[١] فرعًا، ولذلك ضرب اللَّهُ تعالى بها المثل، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة].

(١٢٥٥) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيرُ المال: عينٌ ساهرةٌ لِعينٍ نائمةٍ**»[٢].

(١٢٥٦) وقال ﷺ: «**نَعِمَتْ لكم النَّخْلة، تَشربُ من عَينٍ خَرَّارة**[٣]**، وتُغرسُ في أرض خَوَّارة**[٤]»[٥].

(١٢٥٧) وقال ﷺ في النخل: «**هي الرَّاسخاتُ في الوَحْل، المُطعِماتُ في المَحْل**[٦]»[٧].

(١٢٥٨) وقال بعضُ السلف: «خيرُ المال عينٌ خرَّارة في أرض خوَّارة، تفجِّرُها القارَّة[٨]، تسهرُ إذا نِمْتَ، وتشهَدُ إذا غِبْتَ، وتكون عَقِبًا إذا مِتَّ»[٩].

(١٢٥٩) ورَوى هشامُ بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال

---

(١) في المطبوعة والشرح: أوفى.

(٢) **لا أعلم له أصلًا**: وقد أورده الإمام ابن الجوزي ـ بلا سندٍ ـ في «صفة الصفوة» (١/ ٢٠٥)، تحت عنوان: «ومن كلامه المتقَن وأمثاله العجيبة ﷺ»! [ط].

(٣) **الخَرَّارَةُ**: عين الماء الجارية، سميت خرارة لخرير مائها، وهو صوته. «اللسان» (٢/ ٢٣٨).

(٤) **أرض خَوَّارة**: لينة سهلة. «اللسان» (٢/ ٣٢٨).

(٥) **لا أعلم له أصلًا**: وذكره العسكري في «الحكم والأمثال» (ص٤٦٢)، ونسبه إلى بعض الحكماء.

(٦) **المَحْل**: المجاعة. [ط]

(٧) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٩١٦)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٦٨): «فيه المعلَّى بن ميمون، وهو متروك».
وفي الباب عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الرامهرمزي في «الأمثال» (٣٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣١٢)، **وإسناده ضعيف**.
وورد ـ أيضًا ـ عن عبداللَّه بن عبدالرَّحْمٰن الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي يعلى (١٥١٥)، وأبي الشيخ في «الأمثال» (٢٦١)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٦٨)، ومحقق «الأمثال»، وقال الشيخ حسين الداراني ـ عند أبي يعلى ـ: «**إسناده تالف**». [ط]

(٨) **القارَّة**: الأرض لأنها تقر وتسكن. [ط]

(٩) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٦٤ ـ خبر: ١٢١١) غير منسوبة.

رسول اللَّه ﷺ: «**التمِسوا الرزقَ في خَبايا الأرض**»[١]. يعنى: الزَّرْع.

(١٢٦٠) وحُكِي عن المعتضد[٢] أنه قال: «رأيتُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام يُناولُني المِسْحاة[٣]، وقال: خُذْها؛ فإنَّها مفاتيحُ خزائن الأرض».

(١٢٦١) وقال كسرى للمُوبَذ[٤]: «ما قيمةُ تاجي هٰذا؟ فأطرق ساعةً، ثم قال: ما أعرفُ له قيمةً[٥]؛ إلَّا أن تكونَ مَطْرةٌ في نَيْسان[٦]، فإنَّها تُصلِحُ مِن معايش الرعيةِ ما تكونُ قيمتُه مثلَ تاج الملك».

(١٢٦٢) ولقيَ عبدُاللَّه بنُ عبدِالملك ابنَ شهاب الزُّهريَّ، فقال له: ادلُلني على مالٍ أُعالجه، فأنشأ ابنُ شهاب يقول:

تتبَّعْ خَبايا الأرض وادْعُ مليكَها ... لعلَّك يومًا أن تُجابَ فتُرْزَقا

فيؤتيك مالًا واسعًا ذا مثابةٍ[٧] ... إذا ما مياهُ الأرضِ غارَتْ تَدَفَّقا

وقد اختلف النَّاس في تفضيل الزرع والشجر، مما ليس يتَّسِعُ كتابُنا هٰذا لبسْط القول فيه؛ غيرَ أنَّ من فضَّل الزرع فلقُرب مداه، ووُفورِ جدواه[٨]، ومَن فضَّل

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٤٣١)، وأبو يعلى (٤٣٨٤)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٣/ ٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٧٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٩٤)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢١٣)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٦٣)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١١٥٠)، وكذا الشيخ وصي اللَّه عباس في تحقيق «فضائل الصحابة» (١/ ٣٨٣)، وكذا فعل محقق «الشعب» (٢/ ٤٣٩). [ط]

(٢) هو أمير المؤمنين أحمد بن طلحة المعتضد باللَّه بن الموفق باللَّه، كان شجاعًا عادلًا، ذا هيبة عظيمة، مع سطوة وجبروت، وحزم رأي، وذكاء مفرط في أحكامه، وكان مُحبًّا للعدل مؤثرًا له، توفي سنة (٢٩٠).
ترجمته في: تاريخ بغداد (٦/ ٧٩)، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢٨)، تاريخ دمشق (٧١/ ١٩٧).

(٣) **المِسْحاة**: من آلات الزراعة. [ط]

(٤) **الموبذ**: القاضي، والموبذان للمجوس: كقاضي القضاة للمسلمين. لسان العرب (٦/ ١٠٨) باب (موبذ).

(٥) أي: قيمته نفيسة لا تقدر بثمن. [ط]

(٦) **نَيسان**: شهر إبريل عند النصارى. [ط]

(٧) في المطبوعة والشرح: متانة.

(٨) في الأصل: جراه.

الشجر، فلثُبوت أصله، وتوالي ثمره.

*** وأمَّا الثاني من أسبابِها ـ وهو نِتاجُ الحيوان ـ:**

فهو مادةُ أهل الفَلَواتِ[(١)] وسكَّانِ الخيام، لأنَّهم لمَّا لم تستقرَّ بهم دار، ولم تضمَّهم أمصار، افتقَروا إلى الأموال المتنقِّلةِ معهم، وما لا ينقطع نماؤُه بالظَّعْن والرِّحْلة، فاقتنَوا الحيوان، لأنَّه يستقلُ في النُّقلةِ بنفسِه، ويستغني عن العَلُوفةِ برَعْيه، ثم هو مركوبٌ ومحلوب، فكان اقتناؤه على أهل الخيام أيسَرَ لقلَّة مؤونته، وتسهيلِ الكُلفةِ به، وكانت جَدواه عليهم أكثَرَ، لوفور نسلِه، واقتيات رِسْلِه[(٢)]، إلهامًا من اللَّه تعالى لخلْقه، في تعديل المصالح فيهم، وإرشادًا لعباده في قِسمةِ المنافع بينهم.

(١٢٦٣) وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيرُ المالِ: مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ، وسِكَّةٌ مأبُورةٌ**»[(٣)].

ومعنى قوله ﷺ: «**مُهرةٌ مأمورة**»: أي كثيرةُ النسل[(٤)].

(١٢٦٤) ومنه ما تأوَّل الحسَنُ وقتادةُ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً

---

(١) **الفَلَوات**: جمع «فلاة»، والفلاة: القَفْر من الأرض، لأنها فُليت عن كل خير، وقيل: هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة، وقيل: التي لا ماء بها ولا أنيس (اللسان ٥/ ١٦٢) باب (فلا)

(٢) **الرِّسْل**: اللبن. أي التغذي بلبنه.(اللسان ٣/ ٧١، الصحاح ص٤٠٦).

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٤٦٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٩١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٧٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٦٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٤٧)، والدولابي في «الكُنى» (٢/ ١٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢١٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٥٠)، وابن الجوزي في «التحقيق» (٢/ ٣٧٩)، من حديث سويد بن هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٥٨): «**رجاله ثقات**»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٥/ ١٧٣)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٩٢٦). **[ط]**

(٤) قال الإمام السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**مُهرة**» ـ بضم ميم وسكون هاء ـ : ولد الفرس. «**مأمورة**»: كثيرة النسل والنِّتاج بأمر التكوين ـ لا بأمر التكليف ـ . «أو **سِكَّةٌ**» ـ بكسر فتشديد ـ : هي الطريقة المُصطفَّة من النخل. «**مأبورة**»: ملقحة». «تحقيق المسند» (٢٥/ ١٧٤). **[ط]**

أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]: «أي: كَثَّرنا عَدَدهم»(١).

وأمَّا «**السِّكَّة المأبورة**»: فهي النخلة المؤبَّرة الحَمل.

(١٢٦٥) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال ـ في الغنم ـ: «**سَمْنُها مَعاش، وصُوفُها رِياش**»(٢).

(١٢٦٦) ورُوي عن أبي ظَبْيان، أنه قال: قال لي عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما مالُكَ ـ يا أبا ظَبْيان ـ؟ قال: قلت: عطائي ألفان، قال: اتخِذْ من هٰذا الحرْثِ والسائبات، قبل أن تَليَكَ غِلْمةٌ(٣) من قريش لا تَعُدُّ العطاءَ معهم مالًا»(٤).

والسائبات: النِّتاجُ.

(١٢٦٧) ورُوي أنَّ امرأةً أتت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّه، إنِّي اتَّخَذْت غنمًا أبتغي نَسْلَها ورِسْلها، وإنَّها لا تَنمِي! فقال لها النبي ﷺ: «**ما ألوانُها؟**»، قالت: سُودٌ، فقال لها: «**عَفِّري**»(٥).

وهٰذا مثلُ قوله ﷺ في مَناكِح الآدميين: «**اغتربُوا؛ لا تُضْووا**»(٦).

* **وأمَّا الثالث من أسبابها ـ وهي التجارة ـ:**

فهي فَرْعٌ لمادتَي الزَّرع والنِّتاج.

(١٢٦٨) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**تِسعةُ أعشارِ الرِّزق في التجارةِ والحَرْث، والجزءُ الباقي في السائبات**»(٧).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٤٥).

(٢) **لا أعلم له أصلًا.** [ط]

(٣) **الغِلمة**: جمع «غلام». [ط]

(٤) الخبر أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٧٦).

(٥) **ضعيف**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٤٠٦ ـ ترجمة هشام بن زياد أبو المقدام)، وذكر أنه ضعيف ليس بشيء. [ط]

(٦) **لا أصل له**: وقد تقدم ص(٨٨٢)، فراجعه مع التعليق عليه. [ط]

(٧) **ضعيف**: رواه أبو عبيد في «الغريب» (٢/ ٥٢)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٢١٣) ـ دون الجملة الأخيرة ـ، وهو مذكور **بلا سند** في «تاريخ ابن معين ـ رواية الدوري» (٤/ ٤٩)، وكذا ذكره **بصيغة التمريض** الحافظ ابن عبدالبر في «الاستذكار» (٨/ ٦١٩)، وعزاه الحافظ =

وهي نوعان:

[**الأول:**] تَقَلُّبٌ في الحَضر، من غير نُقْلةٍ ولا سفر، وهٰذا تربُّصٌ واحتكار، وقد رغِبَ عنه أولو الأقدار، وزهِدَ فيه ذوو الأخطار.

والثاني: تقلُّبُ المالِ بالأسفار، ونَقلُه إلى الأمصار، فهٰذا أليقُ بأهل المروءة، وأعمُّ جَدْوَى ومنفعةً، غير أنه أكثرُ خَطَرًا، وأعظَمُ غَرَرًا.

(١٢٦٩) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ المسافر ومالَه لَعلَى قَلَتٍ؛ إلَّا ما وقَى اللَّه**»[١]. يعني: على خَطَرٍ.

(١٢٧٠) وقيل: «في التوراة: يا ابنَ آدم، أَحْدِثْ سَفَرًا، أُحدِثْ لكَ[٢] رزقًا».

*** أمَّا الرابع من أسبابها ـ وهو الصناعة ـ:**

فقد يتعلَّق بما مضى من الأسباب الثلاثة، وتنقسمُ أقسامًا ثلاثة:

ـ صناعةُ فِكر.

ـ وصناعةُ عمل.

ـ وصناعةٌ مشتركةٌ بين فكرٍ وعمل.

لأنَّ النَّاس آلاتٌ للصناعة، فأشرفُهم نفسًا مُتهيئٌ لأشرفها جنسًا؛ كما أنَّ أرذلَهم نفسًا متهيئٌ لأرذلها جنسًا، لأنَّ الطبع يبعثُ على ما يلائمه، ويدعو إلى ما يجانسه.

(١٢٧١) حُكي أنَّ الإسكندر لمَّا أراد الخروجَ إلى أقاصي الأرض، قال

= العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٧٥) للحربي في «غريب الحديث»، **وضعَّفه** للإرسال، **وأقرَّه** الإمام المُناوي في «فيض القدير» (٣/ ٢٤٤)، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٤٣٤)، و«الضعيفة» (٣٤٠٢)، وذكر أنه رواه كذٰلك سعيد بن منصور. [ط]

(١) **ضعيف**: ذكره ـ بلا سند ـ الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٠٦٥)، وابن الأثير في «غريب الحديث» (مادة: قَلت)، وكذا ابن عساكر في «التاريخ» (٥٠/ ٥٨)، وذكره الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٣/ ٩٨)، وعزاه للسِّلَفي في «أخبار أبي العلاء المعرِّي»، **وضعَّفه** في «كشف الخفا» (٢٢٨٩). [ط]

(٢) في الأصل: يحدث اللَّه.

لأَرِسْطاطاليس[١]: «اخرج معي، قال: قد نَحِل جسمي، وضعُفتُ عن الحركة، فلا تُزعجني، قال: فما أصنع في عُمَّالي خاصةً؟! قال: انظر إلى مَن كان لهُ عَبيدٌ فأحسَنَ سياستهم، فولِّهِ الجُنود، ومَن كانت لهُ ضَيْعةٌ[٢] فأحسَنَ تدبيرها، فولِّه الخَراج».

فنبَّهَ باعتبار الطِّباع على ما أغناه عن كُلْفةِ التجربة.

[أشرفُ الصناعات صناعةُ الفِكر]:

وأشرفُ الصناعات صناعةُ الفكر، وأرذلُها صناعةُ العَمل؛ لأنَّ العمل نتيجةُ الفكر، وهو مُدَبِّرُه.

فأمَّا صناعةُ الفكر، فقد تنقسمُ قسمين:

أحدهما: ما وَقَفَتْ على التدبيرات الصادرةِ عن نتائجِ الآراءِ الصحيحة، كسياسةِ الناس، وتدبير البلاد، وقد أفردنا للسياسة كتابًا[٣]؛ لخَّصْنا فيه من جُمَلِها ما ليس يَحتمِلُ هٰذا الكتابُ زيادةً عليها.

والثاني: ما أدَّتْ إلى المعلوماتِ الحادثةِ عن الأفكار النظرية، وقد مضى في فضل العلم ـ من كتابنا هٰذا ـ بابٌ أغنى ما فيهِ عن زيادة قولٍ فيه[٤].

وأمَّا صناعةُ العمل، فقد تنقسمُ قسمين: عملٌ صناعي، وعملٌ بَهيمي.

فالعمل الصناعي أعلاهما رتبةً؛ لأنَّه يحتاج إلى مُعاطاةٍ في تعلُّمِه، ومعاناةٍ في تصوُّرِه، فصار آخذًا بنسبةٍ من المعلومات الفكرية[٥].

والآخر إنما هو صناعةُ كدٍّ، وآلةُ مَهْنةٍ، وهي الصناعةُ التي تقتصرُ عليها

(١) أرسطاطاليس بن نيقوماخوس الحكيم اليوناني، تلميذ أفلاطون، ومعلِّم الأسكندر، وهو المقدم المشهور، والمعلم الأول، والحكيم المطلق عند اليونانيين، وإنما سمي المعلم الأول لأنه واضع للتعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة إلى الفعل.
ترجمته في: تاريخ الحكماء، للشهرزوري (ص١٦٠)، تاريخ الحكماء، للقِفْطي (ص٢٧).

(٢) **الضَّيعة**: الأرض. [ط]

(٣) هو كتاب «الأحكام السلطانية».

(٤) راجع باب: «أدب العلم» ص (٨٧). [ط]

(٥) في المطبوعة والشرح: فصار بِهٰذه النسبة من المعلومات الفكرية.

النفوس الرَّذْلة، وتقفُ عليها الطباعُ الخاسئة[١].

(١٢٧٢) كما قال أكثمُ بن صَيفي: «لِكُلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ[٢]».

(١٢٧٣) وكما قال المتلمِّس[٣]:

ولا يُقيمُ على ضَيمٍ يُسامُ به ... إلا الأذلَّانِ: عَيْرُ الحيِّ والوَتَدُ[٤]

هٰذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ ... وذا يُشجُّ فلا يَرثي له أحَدُ[٥]

وأما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل، فقد تنقسم قسمين:

أحدهما: أن تكونَ صناعةُ الفكرِ أغلبَ، والعَمَلُ تبعًا لها ـ كالكتابة ـ.

والثاني: أن تكون صناعةُ العملِ أغلبَ، والفكرُ تبعًا لها ـ كالبناء ـ.

وأعلاهما رتبةً ما كان صناعةُ الفكر أغلبَ عليها، والعملُ تبعًا لها.

فهٰذه أحوالُ الخَلْقِ التى ركَّبهم اللَّهُ ﷻ عليها في ارتيادِ مَوادِّهم، ووَكَلهم إلى نظرهم في طلب مكاسبهم، وفرَّق بين هِمَمِهم في التماسها، ليكونَ ذٰلك سببًا لأُلفتهم، فسبحان مَن تفرَّد فينا بلطيفِ حكمته، وأظهَرَ لفطنتنا عزائمَ قُدْرته.

[أحوالُ الإنسان مع كسب المال]:

وإذ قد وَضَح القولُ في أسباب المَوادِّ وجهاتِ الكسْب، فليس يخلو حالُ الإنسان فيها من ثلاثةِ أمور:

أحدُها: أن يطلبَ منها قَدْرَ كفايته، ويلتمسَ وَفْق حاجته، مِن غير أن يتعدَّى إلى زيادةٍ عليها، أو يقتصِرَ على نقصانٍ منها، فهٰذه أحمدُ أحوالِ الطالبين، وأعدَلُ مراتب المقتصدين.

---

(١) **الخاسئة**: العاجزة. [ط]

(٢) أي: كل ما هو ساقط حقير، سوف تجد من يأخذه ويفرح به. [ط]

(٣) جرير بن عبد المسيح، شاعر جاهلي، من ربيعة، من أهل البحرين، توفي (٥٠ق هـ). ترجمته في: معجم المؤلفين (١/ ٤٨٤ ـ ترجمة: ٣٦٣٥).

(٤) **الضَّيم**: الذل. [ط]

(٥) الأبيات في بهجة المجالس (١/ ٢٣٨)، ومحاضرات الأدباء (٤/ ٥٦٧).

(١٢٧٤) وقد رَوى قتادةُ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**أُوحي إليَّ**[(١)] **كلماتٍ، فدخلْن في أُذُني، ووَقَرْنَ في قلبي: مَنْ أعْطَى فَضْلَ مالِهِ فهو خيرٌ له، ومن أمسَكَ فهو شرٌّ له، ولا يَلُومُ اللَّهُ على كَفافٍ**»[(٢)].

(١٢٧٥) ورَوى حُميدٌ، عن معاويةَ بنِ حَيْدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول اللَّه، ما يكفيني من الدُّنيا؟ قال: «**ما يسدُّ جَوْعتك، ويَسترُ**[(٣)] **عَوْرتك، فإن كان دارٌ فذاك، وإن كان حِمارٌ فبَخٍ بخٍ، فِلَقٌ من خُبْزٍ، وجَرٌّ من ماء**[(٤)]**، وأنت مسؤولٌ عمَّا فوق الإزار**»[(٥)].

(١٢٧٦) وقد رُوي عن ابن عبَّاس ومجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]: «أنَّ كُلَّ مَنْ ملكَ بيتًا وزوجةً وخادمًا فهو مَلِكٌ»[(٦)].

(١٢٧٧) ورَوى زيدُ بن أسلمَ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن كان له بيتٌ وخادمٌ فهو مَلِكٌ**»[(٧)].

وهو في المعنى صحيح؛ لأنَّهُ بالزوجة والخادم مُطاعٌ في أمره، وفي الدار محجوبٌ إلَّا عن رأيه[(٨)].

---

(١) في المطبوعة والشرح: أوحى اللَّه تعالى إليَّ.

(٢) **ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤)، وعزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٣)، وكذا فعل صاحب «كنز العمال» (١٦١٦٥)، **وسنده ضعيف للإرسال** ـ كما ترى ـ.
ويغني عنه ما ثبت عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا ابن آدم، إنك أن تَبذُلَ الفضلَ خيرٌ لك، وأن تُمسِكَه شرٌّ لك، ولا تُلامُ على كَفاف، وابدأ بمَن تعول، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلَى**». رواه مسلم (١٠٣٦)، والترمذي (٢٣٤٣). [ط]

(٣) في الأصل: سد، ستر.

(٤) **الجَرُّ**: آنية الفخار. [ط]

(٥) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٩٨٨٠)، وفي «الأربعين الصغرى» (٥٦)، وأبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (٤٠)، **وضعَّفه** محقق «الشعب» (١٣/ ١٢). [ط]

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير، سورة المائدة، آية: (٢٠)، حديث (١١٦٣٦).

(٧) **ضعيف**: رواه ابن جرير في «التفسير» (٨/ ٢٧٩)، أبو داود في «المراسيل» (٢٠٤)، وهو مرسلٌ **ضعيف** ـ كما نرى ـ، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٨) في المطبوعة والشرح: إذنه.

وليس على مَن طلب قَدْرَ الكفاية، ولم يجاوز تَبِعاتِ الزيادة، إلَّا توخِّي الحلالِ منه، وإجمالُ الطلب فيه، ومجانبةُ الشُّبهةِ المُمازِجةِ له.

(١٢٧٨) فقد رَوى نافع، عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**الحلالُ بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ مشتبِهاتٌ؛ فدَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك، فإنَّك لن تَجِدَ فَقْدَ شيءٍ تركتَه للَّه**»[1].

(١٢٧٩) وسُئل رسول اللَّه ﷺ عن الزُّهد، فقال: «**أمَّا إنه ليسَ بإضاعةِ المال، ولا تحريمِ الحلال، ولٰكن أن تكونَ بما بيدِ اللَّهِ أوثَقَ منك بما في يديك، وأن يكونَ ثوابُ المصيبةِ أرجحَ عندك من بقائها**[2]»[3].

(١) حسن: رواه ـ مختصرًا ـ الطبراني في «الأوسط» (٢٨٦٨)، و«الصغير» (٣٢)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٤)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٨٦٥)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٥٢)، وضعَّفه، بينما حسَّنه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٧٤)، وليس في هٰذه الروايات قوله: «فإنك لن تَجِدَ فقد...».
وثبت عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الحلالُ بيِّن، والحرامُ بيِّن، وبينهما مشبهاتٌ لا يعلمُها كثيرٌ من الناس؛ فمن اتقى المشبهاتِ استبرأ لدينِه وعِرضه، ومَن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حولَ الحمى يُوشِكُ أن يواقعَه، ألَا وإن لكل مَلِكٍ حِمًى، ألا إن حِمَى اللَّهِ في أرضه محارِمُهُ، ألَا وإن في الجسد مضغةً إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه؛ ألا وهي القلب**». **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٦٩)، والبخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٤٤٥٣)، وفي «الكبرى» (٥٢٠٠)، وابن ماجه (٣٩٨٤).
ويشهد للجملة الأخيرة من الحديث: ما ثبت عن أبي قتادة، وأبي الدهماء، قالا: كانا يُكثِرانِ السفرَ نحو هٰذا البيت، قالا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول اللَّه ﷺ، فجعل يُعلِّمُني مما علمه اللَّهُ، وقال: «**إنك لن تَدَعَ شيئًا اتقاءَ اللَّهِ؛ إلا أعطاك اللَّهُ خيرًا منه**». **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٧٨)، وحسين المروزي في «زياداته على «زهد» ابن المبارك» (١١٦٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٣٣٥)، و«الزهد الكبير» (٨٦٠)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١٧٥)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) أي: أن يكون ثواب المصيبة ـ إذا أصابتك ـ أحب إليك مما لو لم تصبك. [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه الترمذي (٢٣٤٠)، وابن ماجه (٤١٠٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٢٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٦٩)، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **واستغربه** الإمام الترمذي، وحكم على أحد رجاله **بالنكارة**، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(١٢٨٠) وحَكَى عبدُاللَّه بـن المبـارك، قـال: «كتب عُمَرُ بن عبدِالعزيز إلى الجَرَّاح بن عبدِاللَّه الحَكَمي[١]: إنِ استطعتَ أن تدَعَ ممَّا أحَلَّ اللَّهُ لكَ ما يكون حاجزًا بينك وبين الحـرام فافْعَلْ؛ فإنَّـه مـن استوعب الحـلالَ، تاقت نفسُه إلى الحرام».

وقد اختلف أهلُ التأويل في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

(١٢٨١) فقال عكرمة: «يعنى كسْبًا حرامًا».

(١٢٨٢) وقال ابن عباس: «هو إنفاقُ مَنْ لا يُوقِنُ بالخَلَف»[٢][٣].

(١٢٨٣) وقال يحيى بن مُعاذ[٤]: «الدِّرهم عَقرب، فإذا أحسنتَ رُقْيَتَها؛ وإلَّا فلا تأخذْها».

(١٢٨٤) وقيل: «مَنْ قلَّ توقِّيه كثُرت مَساوِيه».

(١٢٨٥) وقال بعضُ البلغاء: «خيرُ الأموال ما أخذتَه من الحلال، وصرَفتَه في النَّوال[٥]، وشرُّ الأموال ما أخذته من الحرام، وصرَفته في الآثام».

(١٢٨٦) وكان الأوزاعيُّ ـ الفقيهُ ـ كثيرًا ما يتمثَّل بِهٰذه الأبيات:

المـالُ يَـنفَدُ حِلُّـهُ وحَـرَامُـهُ ... يـومًا ويبقَـى بَعْـدَه آثامُـهُ

---

(١) هو الجراح بن عبد اللَّه الحكمي، الأمير أبو عُقبة، والي البصرة، توفي عام (١٢٠).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١١/ ٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٥٧).

(٣) الضَّنك عامٌّ لكلِّ من أعرض عن دين ربِّه تبارك وتعالى، فإنه تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]، فالضنك ـ وهو المعيشة النكدةُ الضيقة ـ تحيطُ بمَن ترك ذكر ربِّه ـ وهو دينُه وشرعه ـ في دُوره الثلاثة: الدنيا والقبر والآخرة، وإذا ثبت ما ذُكر أعلاه عن هٰؤلاء السلف في تفسير «الضَّنك»، فيكون عقوبةً عاقبَهم اللَّهُ تعالى بها بسبب إعراضهم عن هداه، لينالوا الآلام والشداد في تلك الدُّور الثلاثة، واللَّهُ الهادي. [ط]

(٤) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أبو زكريا، له لسان في الرجاء وكلام في المعرفة، توفي عام (٢٥٨).
ترجمته في: حلية الأولياء (١٠/ ٥١ ـ ٧٠)، الرسالة القشيرية (ص٤١٤).

(٥) **النوال**: ما تنال به شرف الدنيا والآخرة. [ط]

لــيسَ التقــيُّ بمــتَّقٍ لإلٰهــهِ ... حتَّـى يطـيبَ شـرابُهُ وطعامُـهُ

ويطـيبَ مـا يَجني ويُكسِبُ أهلَه ... ويطـيبَ من لفظِ الحديثِ كلامُهُ

نطـقَ النبـيُّ لـنا بـه عـن ربِّـهِ ... فعلـى النَّبـيِّ صـلاتُهُ وسـلامُهُ

(١٢٨٧) حُكي عن ابن المُعتمِر السُّلَمي[١]، أنه قال: «الناسُ ثلاثةُ أصناف: أغنياءُ، وفقراءُ، وأوساط؛ فالفقراء مَوْتَى إلَّا من أغناه اللَّهُ بعزِّ القناعة، والأغنياء سُكَارى إلَّا من عصمه اللّه تعالى بتوقُّع الغِير[٢]، وأكثرُ الخيرِ مع أكثر الأوساط، وأكثرُ الشرِّ مع أكثر الفقراء والأغنياء، لسُخْف الفقر، وبَطَرِ الغِنَى»[٣].

والأمر الثاني: أن يُقَصِّرَ عن طلب كفايته، ويَزهدَ[٤] في التماس مادَّته، وهٰذا التقصيرُ قد يكون على ثلاثةِ أوجُهٍ:

- فيكون تارةً كَسلًا.
- وتارةً توكلًا.
- وتارةً زُهدًا وتقنُّعًا.

١ ـ فإن كان تقصيرُه لكَسَل: فقد حُرِم ثروةَ النشاط، ومَرَحَ الاغتباط؛ فلن يعدَمَ أن يكونَ كَلًّا قصِيًّا، أو ضائعًا شَقِيًّا.

(١٢٨٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**كادَ الحسَدُ أن يَغلبَ القَدَرَ، وكاد الفقرُ أن يكون كُفْرًا**»[٥].

---

(١) قال في الشرح: بشر بن المعتمر السلمي، من البلغاء والمتكلمين، ينسب إليه البشرية من المعتزلة.
قلت: بشر بن المعتمر البصري، أبو سهل، ليس بالسلمي.
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١٠/ ١٥٥).

(٢) الغِيَر: تقلُّبُ الأحوال. [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٧٢ ـ خبر: ١٨٥٣).

(٤) في المطبوعة: ويزيد.

(٥) ضعيف: رواه العُقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٥٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٤٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦١٨٨)، وأبـو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٥٣)، والقضاعي (٥٨٦)، والدولابي في «الكُنى» (١٨٧٧)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح =

(١٢٨٩) وقال بُزُرْجَمِهر: «إن كان شيءٌ فوق الحياة فالصِّحَّة، وإن كان شيءٌ مثلها فالغِنى، وإن كان شيءٌ فوق الموت فالمرض، وإن كان شيءٌ مثله فالفقر».

(١٢٩٠) وقيل في منثور الحكم: «القبرُ خيرٌ من الفقر».

(١٢٩١) ووُجِدَ في نيل مصرَ مكتوبٌ على حَجَرٍ:

عُقْبَةُ[١] الصَّبْرِ نجاحٌ وغِنًى ... ورداءُ الفقرِ مِن نَسجِ الكَسَلْ

(١٢٩٢) وقال بعض الشعراء:

أعوذُ بكَ اللَّهمَّ مِن بَطَرِ الغِنَى ... ومِن نَهْكَةِ البَلْوَى ومِن ذِلَّةِ الفَقْرِ[٢]

ومِن أملٍ يمتدُّ بي كُلَّ شارقٍ ... يُرَجِّعني منهُ بحظٍ يدٍ صِفرِ

إذا لم تُدنِّسْني الذُّنوبُ بعارِهَا ... فلستُ أبالي ما تشعَّثَ من أمري

٢ ـ **وإن كان تقصيرُه لتوكُّلٍ**: فذلك عَجْزٌ قد أَعذَر به نفسه، وتَرْكُ حَزْمٍ قد غيَّر اسمَه؛ لأنَّ اللَّه تعالى إنما أَمَر بالتوكل عند انقطاع الحِيل، والتسليمِ إلى القضاء بعد الإعواز.

(١٢٩٣) وقد رَوَى مَعمَر، عن أَيُّوب، عن أبي قِلابة، قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجلٌ، فذُكر فيه خيرٌ، فقالوا: يا رسول اللَّه، خَرج معنا حاجًّا، فإذا نزلنا منزلًا لم يزل يُصلِّي حتى نرحَلَ، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكرُ اللَّهَ ﷻ حتى ننزل، فقال ﷺ: «**فمَن كان يكفيهِ عَلَفَ ناقتِه، وصَنيعَ[٣] طعامه؟!**»، قالوا: كُلُّنا يا رسول اللَّه! قال: «**كُلُّكم خيرٌ منه**»[٤].

= المال» (١٤٤)، وضعَّفه الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٦٣)، والحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/ ١٥٦)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/ ٣١٨)، وكذا ضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٥)، ومحقق «الشعب» (٩/ ١٢). [ط]

(١) في المطبوعة والشرح: عقب.

(٢) **النَّهكة**: التعب. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: وصنع.

(٤) **ضعيف**: رواه عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/ ٢٤٤)، وهو **ضعيف لإرساله** واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(١٢٩٤) وقال بعضُ الحكماء: «ليس مِن توكُّل المرء إضاعتُه للحزْم، ولا من الحزم إضاعةُ نصيبه من التوكُّل».

٣ ـ وإن كان تقصيره لزُهدٍ وتقنُّع: فهٰذه حالُ من عَلِمَ بمحاسبةِ نفسه بتَبِعاتِ الغنى والثروة، وخاف عليها بوائقَ الهوى والقُدرة، وآثر الفقرَ على الغنى، وزَجَر النفسَ عن ركوب الهوى.

(١٢٩٥) فقد رَوَى أبو الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من يوم طَلَعَتْ فيه شمسُه؛ إلَّا وعلى جَنْبتيها مَلَكانِ يناديان، يسمعُهما خَلْقُ اللَّهِ كلُّهم إلَّا الثقلين: يأيُّها النَّاس، هَلُمُّوا إلى ربِّكم، إنَّ ما قلَّ وكفى خيرٌ ممَّا كثُرَ وألْهَى»**[١].

(١٢٩٦) وروى زيدُ بن عليٍّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه ـ رضي اللَّه تعالى عنهم أجمعين ـ أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«انتظارُ الفرج من اللَّهِ بالصَّبْر عبادة، ومَن رضي منَ اللَّه عَجَّلَ بالقليل منَ الرِّزق، رضيَ اللَّهُ عَجَّلَ منه بالقليل من العمل»**[٢].

(١٢٩٧) ورُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «مِن نُبْلِ الفقر أنَّك لا تجدُ أحدًا يَعصِي اللَّه ليُفتقَر».

(١٢٩٨) فأخذه محمود الورَّاق، فقال:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٩٧)، والطيالسي (٩٧٩)، وعبد بن حُميد (٢٠٧)، والطبري في مسند ابن عباس من «تهذيب الآثار» (١/ ٢٦٦)، وابن حبان (٦٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١٢)، وابن السني في «القناعة» (٢٢)، والحاكم (٢/ ٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٤٥)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٧٩): «**رواته رواة الصحيح**»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٢٦)، **وصحَّحه** في «الصحيحة» (٤٤٣). [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٩٥٣١)، وفي «الآداب» (٧٥٩)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٣٢١)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٢٩)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٢٨)، وكذا **ضعَّفه** محقق «الشعب» (١٢/ ٣٥٥). [ط]

يـا عائـبَ الفَقْـرِ أَلَا تنزجِـر(١) عَـيْبُ الغِنَـى أكثَـرُ لـو تَعْتَبِـرْ
مِـن شَـرفِ الفَقْـرِ ومِـن فَضْلِه على الغِنَـى إن صـحَّ منك النَّظَرْ
أَنَّـك تعـصِي لتـنالَ الغِنَـى ولسْتَ تعـصِي اللَّـهَ كـي تُفتقَرْ

(١٢٩٩) وقال ابن المقفَّع:

دلـيلُك أنَّ الفقـرَ خيـرٌ مـن الغِنَـى وأنَّ قلـيلَ المـالِ خيـرٌ مـن المُثْـرِي:
لقـاؤك مخلـوقًا عَـصَى اللَّـهَ بالغِنَـى ولـم تَـرَ مخلـوقًا عـصى اللَّهَ بالفقرِ(٢)

وهٰذه الحالُ إنَّما تصِحُّ لمن نَصَحَ نفسَه فأطاعته، وصَدَقَها فأجابته، حتى لان قيادُها، وهانَ عِنادُها، وعلِمَتْ أنَّ من لم يقنَعْ بالقليل، لم يقنَعْ بالكثير.

(١٣٠٠) كما كتب الحسنُ البصري إلى عمر بن عبدِالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يا أخي، من استغنَى باللَّه اكتفى، ومَن انقطع إلى غيره تعنَّى، ومَن كان من قليل الدُّنيا لا يشبع، لم يُغنِه منها كثرةُ ما يجمَع، فعليك منها بالكَفاف، وأَلزِم نفسَك العفاف، وإيَّاك وجَمْعَ الفُضُول، فإنَّ حسابَه يطول»(٣).

(١٣٠١) وقال بعضُ الحكماء: «هيهاتَ منك الغِنى، إن لم يُقْنِعك ما حَوَيْتَ».

وأمَّا من عَزَفَتْ(٤) نفسُه عن قبُولِ نُصحِه، وجَمَحت به عن قناعةِ زُهده، فليس إلى إكراهِها سبيل، ولا إلى الحَمـل عليهـا وجـهٌ؛ إلَّا بالرياضة والمُرون، وأن يستنزلَها إلى اليسيرِ الذي لا تَنفرُ منه، فإذا استقرَّت عليه أنزلها إلى ما هو أقلُّ منه، لتنتهيَ بالتدريج إلى الغايةِ المطلوبـة، وتستقـرَّ بالرياضـة والتمرين على الحال المحبوبة.

(١٣٠٢) وقد تقدَّم قولُ الحكماء: «إن المكروه يسهُلُ بالتمرين».

فهٰذا حكمُ ما في الأمر الثاني من التقصير عن طلب الكفاية.

---

(١) في المطبوعة والشرح: ألا تزدجر.
(٢) كيف هٰذا؟! وكثيرون من الفقراء لم يَصبروا على الفقر، فارتكبوا منَ المعاصي ما هو معلوم! اللهم إلا أن تكون الباء في كلمتي «بالغنى» و«بالفقر» بمعنى اللام، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط].
(٣) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٩٨) باختصار.
(٤) في المطبوعة والشرح: أعرضت.

وأمَّا الأمر الثالث: فهو ألَّا يقنعَ بالكفاية، ويطلبَ الزيادةَ والكثرة، فقد يدعو إلى ذٰلك أربعةُ أسباب:

أحدها: منازعةُ الشهواتِ التي لا تُنال إلَّا بزيادة المالِ وكثرةِ المادة، فإذا نازعته الشهوةُ طلبَ من المال ما يوصلُه إليها. وليس للشهوات حدٌّ مُتناهٍ، فيصيرُ ذٰلك ذريعةً إلى أنَّ ما يطلبه من الزيادة غيرُ متناهٍ، ومَن لم يتناهَ طلبه، استدامَ كَدُّه وتعبُه، ومَن استدام به الكدُّ والتعب، لم يَفِ التذاذُه بنيل شهواتِه بما يُعانيه من استدامةِ كدِّهِ وأتعابه[١]، مع ما قد لزمه من ذمِّ الانقيادِ لمغالبةِ الشهوات، والتعرُّض لاكتساب التَّبِعات، حتَّى يصيرَ كالبهيمةِ التي قد انصرف طلبُها إلى ما تدعو إليه شهوتُها، فلا تنزَجرُ عنه بعقل، ولا تنكفُّ عنه بقناعة.

(١٣٠٣) وقد رُوي عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أراد اللَّهُ به خيرًا حالَ بينهُ وبين شهوته، وحالَ بينهُ وبين قلبه[٢]، وإذا أراد اللَّهُ به شرًّا وكَلَهُ إلى نفسِهِ**»[٣].

(١٣٠٤) وقد قال الشاعر:

وإنَّـك إن أعطـيتَ بطـنَكَ همَّـهُ ... وفَـرْجَك نـالا مُنْتَهى الذَّمِّ أجمعَا

والسبب الثاني: أن يطلبَ الزِّيادة، ويلتمسَ الكثرةَ ليصرفَها في وجوه الخير، ويتقرَّب بها في جهات البِرِّ، ويصطنعَ بها المعروف، ويُغيثَ بها الملهوف؛ فهٰذا أعذر، وهو بالحمد أولى وأجدر[٤]، إذا انصرفت عنه تَبِعاتُ المطالب، وتَوَقَّى

---

(١) أي: من طال كدُّه وتعبه لتحصيل الشهوات لم يجد لذة الشهوات التي أرادها بسبب تنغُّص عيشه عليه بطول الكد والتعب. **[ط]**

(٢) أي: منع قلبه أصلًا عن التفكير فيما يجلب عليه المهالك. **[ط]**

(٣) **لا أعلم له أصلًا**. ويغني عنه ما ثبت عن قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللَّهُ عبدًا حَمَاهُ الدنيا كما يَحمِي أحدُكم مريضَه الماءَ**». **صحيح**: رواه أحمد في «الزهد» (٥٨)، والترمذي (٢٠٣٦)، وابن حِبَّان (٦٦٩)، والحاكم (٤/ ٣٤٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٩٦٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٥٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٢)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. **[ط]**

(٤) في المطبوعة والشرح: وبالحمد أحرى وأجدر.

شُبُهاتِ المكاسب، وأحسَنَ التقديرَ ـ في حالتَي فائدتِه وإفادته ـ على قدْرِ الزيادة، وبقدر الإمكان؛ لأنَّ المال آلةُ المكارم، وعونٌ على الدِّين، ومُتألِّفٌ للإخوان، ومَن فقدَه من أبناء الدنيا قلَّت الرغبةُ فيه، والرَّهبةُ منه، ومَن لم يكن منهم بموضع رهبةٍ ولا رغبةٍ، استهانوا به.

(١٣٠٥) وقد رَوَى عبدُاللَّه بن بُريدة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ أحسابَ أهلِ الدُّنيا هذا المالُ**»[١].

(١٣٠٦) وقال مُجاهد: «الخيرُ كُلُّه في القرآن: المال؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات]، يعنى: المال[٢]. ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]، يعنى: المال[٣]. ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، يعنى: مالًا[٤]. وقال شُعيبٌ ـ النبيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤]، يعني: الغِنى والمال»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٥٣)، والنسائي (٣٢٢٥)، وفي «الكبرى» (٥٣١٦)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٢٨)، وابن حبان (٧٠٠)، والحاكم (٢/ ١٦٣)، والدَّارَقُطْني (٣/ ٣٠٤)، وتمَّام في «فوائده» (١٦٣٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٢٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٤٤). [ط]

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٤٤٠)، السنن الكبرى (١٠/ ٣١٨).

(٣) في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٩٢) يعني بالخير: الخيل، والعرب تسميها كذلك. واللَّه أعلم.

(٤) أي: كاتبوهم إذا علمتم أنهم قادرون على كسب المالِ والأداء. ولْتعلم ـ علَّمني اللَّهُ وإياك ـ أن تفسير «الخير» بالمال ـ هنا ـ ليس إجماعًا، بل الأقربُ إلى الصواب غيرُ ما قاله الإمام مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أن المراد: الدِّينُ والأمانة ـ كما قاله الحسن والنخعي والطحاوي وابن عبدالبر ـ، وراجع ـ لزامًا ـ : «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٣٨ ـ الآية ٣٣ من سورة «النور» ـ المسألة الرابعة). وعليه، فيكون كلام الإمام مجاهد في تعميم معنى «الخير» على أن المرادَ به «المال» في كل القرآن الكريم فيه نظر، بل إنك إذا استقرأتَ معاني «الخير» في «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي رَحِمَهُ اللَّهُ، لعلمتَ أن الأمر بخلاف ما قال الإمام مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٥) السنن الكبرى (١٠/ ٣١٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٣٨)، المصنف لعبدالرزاق =

وإنَّما سَمَّى اللَّهُ تعالى المالَ «خيرًا» إذا كان في الخير مصروفًا؛ لأنَّ ما أدى إلى الخير، فهو في نفسه خيرٌ.

وقد اختلفَ أهلُ التأويل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة]:

(١٣٠٧) فقال السُّدِّي[(١)]، وعبدالرَّحْمَن بن زيد[(٢)]: «الحسنة في الدنيا: المال، وفي الآخرة: الجنَّة»[(٣)].

(١٣٠٨) وقال الحسنُ البصريُّ، وسُفيان الثَّوري: «الحسنة في الدنيا: العِلْمُ والعِبادة، وفي الآخرة الجنَّة»[(٤)].

(١٣٠٩) وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الدَّراهمُ والدَّنانيرُ خواتمُ اللَّه في الأرض، لا تُؤكَلُ ولا تُشْرَبُ، حيثُ قَصَدْتَ بها قضيتَ حاجتك»[(٥)].

(١٣١٠) وقال قيسُ بن سعد[(٦)]: «اللَّهم ارزقنى حَمْدًا ومجدًا؛ فإنَّه لا حَمْدَ إلَّا بفِعال، ولا مَجْدَ إلا بمال»[(٧)].

= (١٥٥٧٠).

(١) إسماعيل بن عبدالرَّحْمٰن بن أبي ذُؤيب، أبو محمد الحجازي، السُّدِّي الكبير، المفسر مات عام (١٢٧).
ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، معجم المؤلفين (١/ ٣٦٨)، الوافي بالوفيات (٩/ ١٤٢).

(٢) عبدالرَّحْمٰن بن زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان صاحب قرآنٍ وتفسير، توفي عام (١٨٢).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٧/ ١١٤).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤١٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٥٧)، وجامع البيان (٣٨٨٢)، والدر المنثور (١/ ٤١٩).

(٥) أخرج الطبراني في «الأوسط» (٦٥٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الدنانيرُ والدراهم خواتم اللَّه في أرضه، من جاء بخاتم مولاه قُضيت حاجته**». **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٦٥)، وذكره العلَّامة الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٥٣). [ط]

(٦) قيس بن سعد بن عبادة، أبو عبد اللَّه الخزرجي، الصحابي. توفي عام (٨٥).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٠)، الاستيعاب (٣/ ١٢٨٩)، الإصابة (٥/ ٧١٩٢).

(٧) العبارة في ترجمة سعد في «تاريخ بغداد» (١/ ٥٢٩).

(١٣١١) وقيل لأبي الزِّناد[١]: «لِمَ تُحِبُّ الدَّراهم وهي تُدنيكَ من الدُّنيا؟ فقال: هي وإن أدنَتنى منها، فقد صانتنى عنها»[٢].

(١٣١٢) وقال بعضُ الحكماء: «من أصلحَ مالَه، فقد صان الأكرمَينِ: الدِّين والعِرْض».

(١٣١٣) وقيل في منثور الحكم: «مَنْ استغنَى كَرُم على أهلِه».

(١٣١٤) ومرَّ رجلٌ من أرباب الأموال ببعض العُلماء، فتحرَّك له وأكرمه، فقيل له بعد ذٰلك: «أكانت لك إلى هٰذا حاجةٌ؟ قال: لا، ولٰكني رأيتُ ذا المال مَهِيبًا».

(١٣١٥) وسأل رجلٌ محمدَ بن عُمَير بن عُطارد[٣]، وعَتَّابَ بنَ وَرْقاء[٤]، في عَشْرِ دِيَات[٥]، فقال محمدٌ: «عليَّ دِيَةٌ، وقال عتَّاب: الباقي عليَّ، فقال محمد: نِعمَ العونُ على المجد اليسارُ».

(١٣١٦) وقال الأحنفُ بن قيس:

فلو مُدَّ سَرْوِي بمالٍ كثيرٍ ... لَجُدْت وكُنْتُ له باذِلَا[٦]

فإنَّ المروءةَ لا تُستطاعُ ... إذا لم يكُنْ مالُها فاضِلَا

(١٣١٧) وكان يُقال: «الدَّراهمُ مراهم؛ لأنَّها تداوي كُلَّ جُرح، ويَطيبُ بها كُلُّ صُلْح».

---

(١) عبداللَّه بن ذَكْوان القرشي، أبو عبدالرَّحْمٰن المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقةٌ من أتباع التابعين، توفي عام (١٣٠).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١٤/ ٤٧٦)، تاريخ دمشق (٢٨/ ٤٤ ـ ٦٨).

(٢) العبارة في ترجمة عبداللَّه في تاريخ دمشق (٢٨/ ٦١).

(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٤) كتب د. إحسان عباس في حاشية «معجم الأدباء» (٤/ ١٥٨٤) ترجمة عتاب بن ورقاء الشيباني: لا يمكن أن يكون هو عتاب بن ورقاء الذي كان يُعد أحد الثلاثة من أجواد أهل الكوفة. البيان والتبيين (٢/ ٢٣٥).

(٥) الدِّيَة: ثمن القتيل. [ط]

(٦) سَرْوِي: شرفي ومجدي. [ط]

(١٣١٨) وقال ابن الجلال(١):

رُزِقْتَ مالًا ولم تُرْزَقْ مُروءَتَهُ ... وما المروءةُ إلا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ رُقَى العلياءِ يُقعدُنِي ... عَمَّا يُنَوِّهُ باسمي رِقَّةُ الحالِ

(١٣١٩) وقيل في منثور الحكم: «الفَقْرُ مَخْذَلة، والغِنَى مَجْذَلة(٢)، والبؤس مَرْذلةٌ، والسؤال مَبْذَلة(٣)».

(١٣٢٠) وقال أوْس بن حَجَر(٤):

أقيمُ بدارِ الحَزْمِ ما دامَ حَزْمُها ... وأَحْرِ إذا حالتْ بأنْ أتحولَا(٥)
فإنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إلَّا أقلَّهم ... خِفَافَ عُهودٍ يُكثِرُون التنقُّلَا
بَني أمِّ ذي المالِ الكثيرِ يَرونَهُ ... وإن كان عبدًا سيِّدَ القوم جَحْفلَا(٦)
وهُم لمُقِلِّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ ... وإن كان مَحضًا في العشيرة مُخوِلَا(٧)

(١٣٢١) وقال بشرٌ الضَّرير(٨):

كَفَى حُزْنًا أني أَرُوحُ وأغتدِي ... وما لِيَ من مالٍ أصونُ به عِرْضِي
وأكثَرُ ما أَلْقَى الصَّديقَ بمرحبًا ... وذٰلك لا يكفي الصَّديقَ ولا يُرضِي

(١٣٢٢) وقال آخر:

أجَلَّكَ قومٌ حين صِرْتَ إلى الغِنَى ... وكُلُّ غَنِيٍّ في العيون جَليلُ

---

(١) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٣٤٨)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٠٦) منسوبة إلى ابن الأعرابي.
(٢) مَجْذلة: فوز وسعادة. [ط]
(٣) مَبْذلة: ذلٌّ وهوان. [ط]
(٤) أوس بن حجر التميمي، أحد شعراء الجاهلية.
ترجمته في: وَفَيات الأعيان (٢/ ٤١٧).
(٥) أَحْر: جديرٌ بي. [ط]
(٦) جَحفلًا: عظيم القَدْر. [ط]
(٧) مُخوِلًا: صاحب وفاءٍ وتعهُّد لعشيرته. أو: كريم الأخوال. [ط]
(٨) لم أجده، والله أعلم.

وليسَ الغِنَى إلا غنًى زَيَّنَ الفَتَى عَشِيَّةَ يَقْرِي أو غَدَاةَ يُنِيلُ

[أيهما أفضل: الغنى أم الفقر؟!]:

وقد اختلف الناسُ في تفضيل الغِنَى والفقر، مع اتفاقهم على أنَّ ما أحوجَ من الفقر مكروه، وما أبطَرَ من الغِنَى مذموم.

١ ـ فذهبَ قومٌ إلى تفضيل الغِنَى على الفقر؛ لأنَّ الغنيَّ مقتدر، والفقيرَ عاجز، والقدرةُ أفضلُ من العجز. وهٰذا مذهبُ من غلب عليه حُبُّ النباهة.

٢ ـ وذهبَ آخرون إلى تفضيل الفَقْر على الغِنَى؛ لأنَّ الفقير تاركٌ، والغنيَّ مُلابس، وتركُ الدُّنيا أفضَلُ من مُلابَستها، وهٰذا مذهبُ من غَلَب عليه حُبُّ السَّلامة.

٣ ـ وذهبَ آخرون إلى تفضيل التوسُّط بين الأمرين؛ بأن يخرجَ عن حدِّ الفَقْر إلى أدنَى مراتبِ الغِنَى، ليصلَ إلى فضيلةِ الأمرين، ويَسلَمَ من مَذِمَّةِ الحالَتْين، وهٰذا مذهبُ من يرى تفضيلَ الاعتدال، وأنَّ خيارَ الأمور أوساطُها، وقد مضى من شواهد كلِّ فريقٍ في موضعه، بما أغنَى عن إعادته[١].

والسبب الثالث: أن يطلبَ الزِّيادة، ويقتنيَ الأموالَ ليدَّخِرَها لولده، ويخلِّفها لورثته، مع شدَّة ضَنِّهِ على نفسِه، وكفِّه عن صرفِ ذٰلك في حقِّه، إشفاقًا عليهم من كَدْح الطلب، وسُوء المُنقلب.

وهٰذا شقيٌّ بجمعها، مأخوذٌ بوزرها[٢]، قد استحقَّ اللَّوم، واستوجب الذمَّ من وجوهٍ لا تخفى[٣] على ذي لبٍّ:

منها: سوءُ ظنِّه بخالقه في أنه لا يرزقُهم إلَّا من جهته.

(١٣٢٣) وقد قيل: «قَتَل القُنوطُ صاحبه، وفي حُسن الظنِّ باللَّه تعالى راحةُ

---

(١) والقولُ الفصل ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ أن العبرةَ بما يؤدِّي إليه الغِنى أو الفقر؛ فما كان منهما يعينُ على الدِّين، ويقرِّب من رب العالمين، فحيَّهلًا به، وإذا كان العبدُ ـ مثلًا ـ لا يقتربُ من ربِّه إلا إذا كان غنيًّا مكفِيًّا فالغنى له أفضل، ولا يختلفُ اثنان أن ابتذال العبدِ نفسه، ومدَّ يديه للغير مذموم، ولا أظنُّ أحدًا يمدح الفقر إذا كان هٰكذا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) في الأصل: بإثمها.

(٣) في الأصل: لا تختل.

القلوب».

(١٣٢٤) وقال عبدُالحميد: «كيف تبقَى على حالتك، والدَّهْرُ في إحالتك[١]؟».

ومنها: الثِّقةُ ببقاء ذٰلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه.

(١٣٢٥) وقد قيل: «الدَّهْر حَسُودٌ، لا يأتى على شيءٍ إلا غيَّره».

(١٣٢٦) وقيل في منثور الحِكَم: «المالُ مَلُول[٢]».

(١٣٢٧) وقال بعضُ الحكماء: «الدُّنيا إن بَقِيَتْ لك، لم تبقَ لها».

ومنها: ما حُرِم من منافع مالِه، وسُلِبَ من وفور حاله.

(١٣٢٨) وقد قيل: «إنَّما مالُكَ لك، أو للوارث، أو للجائحة[٣]، فلا تكن أشقى الثلاثة».

(١٣٢٩) وقال عبدُالحميد: «اطْرَحْ كواذِبَ آمالِك، وكُن وارثَ مالك».

ومنها: ما لحقه من شقاءِ جَمْعِه، ونالَهُ من عناءِ كَدِّه، حتى صار ساعيًا محرومًا، وجاهدًا مذمومًا.

(١٣٣٠) وقد قيل: «رُبَّ مغبوطٍ بمَسَرَّةٍ وهي داؤه[٤]، ومرحومٍ من سَقَمٍ هو شِفاؤه».

(١٣٣١) وقال الشاعر:

ومَن كلَّفَتْهُ[٥] النَّفْسُ فَوْقَ كَفافِها … فَمَا ينقضِي حتَّى المماتِ عَناؤُهُ

ومنها: ما يؤاخَذُ به مِن وِزرِه وآثامه، ويحاسَبُ عليه من تبعاتِه وإجرامه.

(١٣٣٢) وقد حُكي أنَّ هشام بن عبدِالملِك لما ثَقُلَ[٦] بكى عليه ولدُه، فقال

(١) أي: والدهر يعمل على تغيير أحوالك. [ط]

(٢) أي: يذهب عن العبد سريعًا. [ط]

(٣) **الجائحة**: المصيبة التي تصيب المال. [ط]

(٤) أي: رُبَّ فرحٍ بأمرٍ؛ وفيه هلاكه وشقاؤه. [ط]

(٥) في الأصل: وما كلفته.

(٦) أي: في مرض موته. [ط]

لهم: «جادَ لكم هشامٌ بالدُّنيا، وجَدْتُم عليه بالبكاء، وتَرَكَ لكم ما كَسَبَ، وتركتم عليه ما اكتسَبَ، ما أسوأَ حالَ هشامٍ إن لم يَغفِرِ اللَّهُ له!»(١).

(١٣٣٣) فأخذ هٰذا المعنى محمودٌ الورَّاق، فقال:

تَمــتَّعْ بمالِـكَ قَـبْلَ الممـاتِ ... وإلَّا فــلا مــالَ إنْ أنْــتَ مِـتَّا

شَـــقِيتَ بـــه ثُـــمَّ خَلَّفْــتَه ... لغيــركَ بُعْــدًا وسُــحقًا وَمَقْــتَا

فجـادُوا علــيكَ بــزُورِ الــبُكاءِ ... وَجُـدْتَ علـيهِمْ بما قـد جَمَعتا

وأرهنــتهُم كُــلَّ مــا في يــديكَ ... وَخَلَّـوْك رَهْـنًا بما قـد كَسَبتا(٢)

(١٣٣٤) ورُوي أنَّ العباس بن عبدِالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، وَلِّني. فقال النبي ﷺ: **«يا عباس، يا عمَّ النَّبي، قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يُرْديك. يا عباسُ، يا عمَّ النَّبي، نفسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارة لا تُحصيها. يا عباسُ، يا عمَّ النَّبي، إنَّ الإمارة أوَّلُها ندامةٌ، وأوسطُها ملامة، وآخرُها خزيٌ يوم القيامة»**، فقال: يا رسول اللَّـه، إلَّا مـن عـدل. فقـال رسـول اللَّه ﷺ: **«كيف تَعدِلُونَ مع الأقارب؟!»**(٣).

---

(١) الخبر في محاضرات الراغب (٢/ ٤٩٥)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢١٨).

(٢) **الرَّهن**: الحبيس. [ط]

(٣) **لم أقف عليه بِهٰذا اللفظ**: وقد جاء بنحوه مقطَّعًا:

فورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في آخر حديث ـ أنه ﷺ قال: **«إنَّ ما قلَّ وكفى خيرٌ ممَّا كثُرَ وألْهَى»**، وهو حديث **صحيح**، وقد تقدم برقم (١٢٩٥).

وورد عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه، ألا تستعملُني؟ فقال: **«يا عباسُ ـ يا عمَّ رسول اللَّه ـ ، نفسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها»**. **ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤١٩)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٦٤)، من رواية ابن المنكدر، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٥٦)، للإرسال.

وثبت عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال عن الإمارة ـ في آخر حديثٍ ـ : **«أوَّلُها ملامة، وأوسطُها ندامة، وآخِرُها خزيٌ يوم القيامة»**. **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٢٤) ، وفي «الشاميين» (١٥٨٠)، والحارث في «مسنده» (٥٩٩)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧١٨).

وورد عن شدادِ بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: **«أولُ الإمارة ملامة، وثانيها ندامة، وثالثُها** =

(١٣٣٥) وقال رجلٌ للحسن البصري: «إني أخافُ الموتَ وأكرَهُه، فقال: إنَّك خلَّفت مالك، ولو قدَّمْتَه لسرَّك اللحاقُ به(١)».

(١٣٣٦) وقيل في منثور الحكم: «كثرةُ مالِ الميت تُعزِّي ورثتَه عنه(٢)».

(١٣٣٧) فأخذ هٰذا المعنى ابنُ الرومي، فقال وزاد:

أبقَيْتَ مالَكَ ميراثًا لوارثِهِ ... فليْتَ شِعْرِي ما أبقى لكَ المالُ(٣)!

القَوْمُ بعدَكَ في حالٍ تَسُرُّهُمُ ... فكيفَ بعدهُمُ حالتْ بكَ الحالُ!

ملُّوا البكاءَ فما يَبكيكَ من أحدٍ ... واستحكَم القَوْلُ في الميراثِ والقالُ

= عذابٌ من اللَّه يوم القيامة، إلا من رحم وعدل، وقال هٰكذا وهٰكذا بيده بالمال»، ثم سكت ما شاء اللَّه، ثم قال: «كيف بالعدل مع ذوي القربى؟!». رواه الطبراني في «الكبير» (٧١٨٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٧٠)، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٠٠)، لٰكن صحَّحه ـ بنحوه ـ الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٦٢) من حديث عوف ابن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعليه فيكون المتن ثابتًا، واللَّهُ أعلم. [ط]

(١) في هٰذا الأثر نظر، واللَّهُ أعلم بصحته عن الحسن، ولا ريب أن كراهية الموت أمرٌ فطريٌّ، وكفانا هنا الحديث الثابت عن أمنا عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّهُ لقاءَه، ومَن كَرِهَ لقاءَ اللَّهِ كره اللَّهُ ﷻ لقاءه»، فقالت عائشة: يا رسول اللَّه، كراهيةُ لقاء اللَّه أن يَكرهَ الموت؟ فواللَّهِ أنا لنكرهُها! فقال: «لا؛ ليس بذاك؛ ولٰكن المؤمن إذا قضى اللَّهُ ﷻ قَبْضَه فرَّج له عمَّا بين يديه من ثوابِ اللَّهِ ﷻ وكرامته، فيموتُ ـ حين يموتُ ـ وهو يُحبُّ لقاءَ اللَّهِ ﷻ، واللَّهُ يُحبُّ لقاءه. وإن الكافر والمنافق إذا قَضى اللَّهُ ﷻ قَبْضَه فرَّج له عمَّا بين يديه من عذاب اللَّهِ ﷻ، فيموتُ ـ حين يموت ـ وهو يكره لقاء اللَّه، واللَّهُ يكرهُ لقاءه». **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢١٨)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. وانظر ـ كذٰلك ـ الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٨٥). وفي الحديث القدسي المشهور أنه ﷻ قال: «... وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مَساءته». **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢)، وابن حبان (٣٤٧). وانظر ـ لزامًا ـ الكلام على سنده في «الصحيحة»، للعلامة الألباني (٤/ ١٨٤)، و«تحقيق صحيح ابن حبان»، للعلَّامة شعيب الأرنؤوط (٢/ ٥٨)، و«إتحاف السادة المتقين»، للإمام الزبيدي (١/ ٦٦٥).
والمقصود أن كراهية الموت ليست لأن العبد خلَّف مالًا ـ لا سيما إذا تركه لأولاده ـ، وانظر التعليق القادم قريبًا. [ط]

(٢) أي: من ترك مالًا كثيرًا فرح به ورثتُه، فنسوا حزنَهم على ميِّتِهم. [ط]

(٣) **ليت شعري**: ليتني أعلم. [ط]

ألهتهُمْ عنكَ دُنيا أقبلتْ لهمُ   وأدبرتْ عنك والأيامُ أحوالُ[١]

والسبب الرابع: أن يجمَع المالَ، ويطلبَ المكاثرة، استحلاءً لجمعه، وشغفًا باحتجانه[٢]، فهٰذا أسوأُ الناس حالًا فيه، وأشدُّهم حِرمانًا له، قد توجَّهَتْ إليه سائرُ المَلاوم، حتى صار وبالًا عليه، ومَذَامَّ له.

(١٣٣٨) وفي مثله قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة]، فقال النبي ﷺ: «**تبًّا للذهب، وتبًّا للفضة**»، فشقَّ ذٰلك على أصحاب النبي ﷺ؛ فقالوا: أيَّ مالٍ نتخذ؟ فقال عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا أعلمُ لكم ذٰلك، فقال: يا رسول اللَّه، إن أصحابك قد شقَّ عليهم، فقالوا: أيَّ مالٍ نتخذ؟ فقال: «**لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تُعين أحدَكم على دينِه**»[٣].

(١٣٣٩) ورَوى شَهرُ بن حَوْشَب عن أبي أُمامة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: مات رجلٌ من

---

(١) إذن من كل ما مضى ـ أحبتي ـ ذهب الإمامُ الماوردي رَحِمَهُٱللَّهُ إلى أن من جَمَع المال ليتركَه لورثته فهو ملومٌ مذموم، وعلل كلَّ ما مضى بالأسباب السالفة؛ لٰكنَّ المتأملَ في نصوص الشرع المطهر يرى أن ما قاله ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل:
ـ فإن كان العبد إنما خلَّف المال لورثته لسوءِ ظنه بربِّه، واعتقادِه أنه لن يرزقهم من بعده، فلا ريب أن هٰذا من الضلال البعيد والجهل الشديد؛ لا سيما إذا انضاف إلى ذٰلك عدم تأديته حقوق ربِّه عَزَّوَجَلَّ وحقوق عباده ـ كالزكاة والنفقات الواجبة ـ.
ـ وإن كان ترك لهم مالًا ليغنيهم عن سؤال العباد ـ لا سيما في مثل هٰذه الأزمان ـ، فهٰذا من أعظم القربات للَّهِ تبارك وتعالى، بشرط أن يكون العبد مؤدِّيًا في حياتِه حقوق ربِّه وحقوق عباده، ويكفينا دليلًا على هٰذا قوله ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ لمَّا مرض بمكة: «**إنك أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَك أغنياءَ؛ خيرٌ من أن تَذَرهم عالةً يتكفَّفون الناس**»، **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٦٨)، والبخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)، والنسائي (٣٦٢٦)، و«الكبرى» (٦٢٨٥)، وابن ماجه (٢٧٠٨)، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) **احتجانه**: ضمُّه واكتنازه. [ط]

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٦٦)، و«الزهد» (١٠٤)، والترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٦٥)، والطبري (١٠/ ١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٧٤)، و«الصغير» (٨٩٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥٨٤)، وهو مرويٌّ عن عمر وثوبان رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحسَّنه الإمام الترمذي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

أهل الصُّفَّة، فَوُجدَ في مِئزره دينارٌ، فقال النبي ﷺ: «كَيَّةٌ[١]»، ثم مات آخر، فَوُجدَ في مئزره ديناران، فقال النبي ﷺ: «كَيَّتان»[٢].

وإنما ذكر ذٰلك فيهما ـ وإن كان قد مات على عهده مَن ترك أموالًا جَمَّةً وأحوالًا ضخمةً، فلم يكن منه ما كان في هٰذين ـ؛ لأنَّهما تظاهرا بالقناعة، واحتَجَنا ما ليس بهما إليه حاجة، فصار ما احتجناه وزرًا عليهما، وعقابًا لهما[٣].

(١٣٤٠) وقد قال الشاعر:

إذا كـنْتَ ذا مـالٍ ولم تكُ ذا ندًى ... فأنــتَ إذًا والمُقتِّــرون ســواءُ[٤]

علـى أنَّ في الأمـوال يـومًا تِباعةً ... علـى أهلهــا والمُقتِّــرونَ بَــراءُ

(١٣٤١) وأُنشدت عن الرَّبيع للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنَّ الــذي رُزِقَ اليــسارَ فلــم يُـصِبْ ... حَمْـــدًا ولا أجــرًا لَغَيْــرُ مُوفَّــقِ

والجَــدُّ يُــدني كُــلَّ شــيءٍ شاســعٍ ... والجَـدُّ يفـتحُ كُـلَّ بــابٍ مُغْلَـقِ[٥]

وأحــقُّ خَلْــقِ اللَّـــهِ بــالْهَمِّ امْــرؤٌ ... ذو هِمَّـــةٍ عَلـــيا وعـــيشٍ ضـــيِّقِ

ومِــن الدَّلــيلِ على القــضاء وكــونِه ... بـؤسُ اللبيب وطِيبُ عيشِ الأحمقِ

فــإذا ســمِعتَ بــأنَّ مجـدودًا حـوَى ... عُــودًا فــأورقَ في يديــهِ فحقِّــقِ[٦]

---

(١) أي: ستكويه النارُ كيةً. [ط]

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٢)، وعبدالرزاق في «التفسير» (١٠٧٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٠٥)، وفي «مسند الشاميين» (٦٨٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٢٣٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٩٧٣)، والروياني (١٢٨٤)، وهنَّاد في «الزهد» (٦٣١)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٤٨٣). وانظر «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٥). [ط]

(٣) الظاهر ـ واللَّهُ تعالى أعلم ـ أن هٰذين الرجلين منعا حقًّا واجبًا كان عليهما ـ كدَينٍ ونحوه ـ، لذٰلك تعرَّضا للعقاب من اللَّهِ تبارك وتعالى، وليس لمجرد أنهما خلَّفا مالًا، وقد ثبت أن كثيرًا من الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ماتوا وخلَّفوا لورثتِهم أموالًا كثيرة ـ كما أشار المصنف ـ. [ط]

(٤) **المُقتِّرون**: الفقراء. [ط]

(٥) **الجَد**: الغِنى. [ط]

(٦) **المجدود**: الغني. [ط]

وإذا سـمِعتَ بـأن محـدودًا أتـى مـاءً ليـشربـهُ فجـفَّ فـصَدِّقِ[١]

وآفةُ من بُلِيَ بالجمع والاستكثار، ومُنِيَ بالإمساك والادِّخار، حتى انصرف عن رُشده فغَوَى، وانحرف عن سَنَن قَصْدِه فَهَوى: أن يستوليَ عليه حُبُّ المالِ وبُعْدُ الأمل، فيبعثه حُبُّ المالِ على الحرص في طلبه، ويدعوه بُعْدُ الأمل على الشُّحِّ به. والحِرصُ والشُّحُّ أصلٌ لكُلِّ ذَم، وسببٌ لكُلِّ لَوم؛ لأنَّ الشُّحَّ يمنَعُ من أداء الحقوق، ويبعَثُ على القطيعة والعقوق.

(١٣٤٢) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**شَرُّ ما أُعطي العَبدُ: شُحٌّ هالِع، وجُبْنٌ خالع**»[٢].

(١٣٤٣) وقال بعضُ الحكماء: «الغنيُّ البخيلُ كالقويِّ الجبان[٣]».

وأمَّا الحِرْصُ، فيسلُبُ فضائلَ النفس، لاستيلائه عليها، ويمنَعُ من التوفُّر على العبادة، لتشاغلِه عنها، ويبعثُ على التورُّط في الشبهات، لِقلَّة تحرُّزه منها، وهٰذه الثلاثُ خصالٌ هُنَّ جامعاتُ الرذائل، وسالباتُ الفضائل، مع أنَّ الحريصَ لا يستزيدُ بحِرصِه زيادةً على رزقه، سوى إذلالِ نفسه، وإسخاطِ خالقه.

(١٣٤٤) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحريصُ الجاهدُ**[٤]**، والقَنوعُ الزَّاهد، يستوفيان أُكُلَهما غيرَ مُنتقَصٍ منه، فعلامَ التهافُتُ في النار؟!**»[٥].

(١٣٤٥) وقال بعضُ الحكماء: «الحِرْصُ مَفسَدةٌ للدِّين والمروءة، واللّٰهِ ما عرفتُ من وجهِ رجلٍ حرصًا فرأيت أن فيه مصطنَعًا[٦]».

(١٣٤٦) وقال آخر: «الحريصُ أسيرُ مَهانةٍ لا يُفَكُّ أسرُه».

(١٣٤٧) وقال بعضُ البلغاء: «المقاديرُ الغالبـةُ لا تُنـالُ بالمغالَبـة، والأرزاقُ

---

(١) **المَحدود**: الفقير. [ط]

(٢) **صحيح**: وقد تقدم برقم (٤٣٠). [ط]

(٣) يعني أن كليهما لا ينتفع بما عنده من ميزات. [ط]

(٤) **الجاهد**: المتعب نفسه. [ط]

(٥) **لا أعلم له أصلًا**: واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]

(٦) أي: علمت أنه ليس من أهل الخير والنفع للخلق. [ط]

المكتوبةُ لا تُنالُ بالشدَّة والمُكالبة، فذلِّل للمقادير نفسَك، واعلم بأنَّك غيرُ نائل بالحرص إلَّا حظَّك».

(١٣٤٨) وقال بعضُ الأدباء: «رُبَّ حظٍّ أدركَهُ غيرُ طالبه، ودَرٍّ[١] أحرزه غيرُ حالِبه».

(١٣٤٩) وأنشدني بعضُ أهل الأدب لمحمد بن حازم:

يـا أسيرَ الطَّمـع الكـاذبِ ... في غُـلِّ الهَـوانِ[٢]

إنَّ عـزَّ الـيأسِ خيـرٌ ... لـكَ مِـن ذُلِّ الأمـاني

سـامِحِ الدَّهـرَ إذا عَـزَّ ... وخُـذْ صـفوَ الـزَّمانِ

ربَّمـا أعْـدَمَ ذو الحـرصِ ... وأثـرى ذو الـتواني[٣]

وليس للحريص غايةٌ مقصودةٌ يقفُ عندها، ولا نهايةٌ محدودةٌ يَقنَعُ بها؛ لأنَّه إذا وَصَل بالحرص إلى ما أمَّل، أغراه ذٰلك بزيادةِ الحرص والأمل، وإذا لم يِصلْ رأى إضاعةَ العناء لَومًا، والصبرَ عليه حزمًا، وصار بما سلف من عنائِه به أقوى رجاءً، وأبسط أملًا.

(١٣٥٠) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَشيبُ ابنُ آدم ويبقَى معه خَصْلتان: الحرصُ والأمل**»[٤].

(١٣٥١) وقيل للمسيح عليه السلام: «ما بالُ المشايخ أحرصَ على الدنيا من الشباب؟ قال: لأنَّهم ذاقوا مِن طعم الدنيا ما لم يذُقْه الشباب».

ولو صَدَق الحريصُ نفسَه، واستنصَحَ عقلَه، لعلم أنَّ من تمام السعادة، وحُسن التوفيق: الرِّضا بالقضاء، والقناعةَ بالقَسْم.

---

(١) **الدَّر**: اللبن. والمراد: الخير. [ط]

(٢) **الغُل**: القيد أو الأَسْر. [ط]

(٣) **أعدَم**: افتَقر. [ط]

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١١٥)، والبخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧)، والترمذي (٢٣٣٩)، وابن ماجه (٤٢٣٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ولفظ الحديث: «**يَهرَمُ ابن آدم...**»، وفي آخر: «**يكبر ابن آدم...**». [ط]

(١٣٥٢) ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «**اقتصِدُوا في الطلب؛ فإنَّ ما رُزِقْتُموه أشدُّ طلبًا لكم منكم له، وما حُرمتموه فلن تنالُوه ولو حَرَصْتُم**»[١].

(١٣٥٣) ورُوِي أنَّ جبريل عليه السلام هبط على النبي ﷺ؛ فقال: «**إنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: اقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾**[٢]، **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)﴾** [طه]. فأمر النبيُّ ﷺ مناديًا يُنادي: «**مَن لم يتأدَّبْ بأدب اللَّه تعالى، تقطَّعَتْ نفسُه على الدُّنيا حسراتٍ**»[٣].

(١٣٥٤) وقيل: مكتوبٌ في بعض الكتب: «**رُدُّوا أبصارَكم عليكم؛ فإنَّ لكم فيها شُغلًا**».

(١٣٥٥) وقال مجاهدٌ ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

---

(١) **لم أقف عليه بهذا اللفظ**، ويغني عنه ما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أيُّها الناس، اتقوا اللَّهَ، وأجْمِلوا في الطلب؛ فإن نفسًا لن تَموتَ حتى تستوفِيَ رِزقَها وإن أبطأ عنها**». وفي لفظٍ آخر: «**لا تستبطِئُوا الرزقَ؛ فإنه لن يموتَ العبدُ حتى يبلغَه آخِرُ رِزقٍ هو له، فأجْمِلوا في الطلب: أخذُ الحلال، وتركُ الحرام**». **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن حِبَّان (٣٢٣٩)، والحاكم (٢/ ٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٠٢٣)، و«الكبرى» (٥/ ٢٦٤)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وضعَّفه** الإمام البوصيري، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

وثبت عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الرزق ليطلبُ العبد كما يطلبُه أجَلُه**». **صحيح**: رواه ابن حِبَّان (٣٢٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦٤)، والقضاعي في «مسنده» (٢٤١)، والبزار (١٢٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٨٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٧٤)، وعزاه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٧٢) للطبراني في «الكبير»، وقال: «**رجاله ثقات**»، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣٠). [ط]

(٢) وضعت البسملة بين قوسي القرآن تبعًا للرأي ـ الراجح لديَّ ـ من أن البسملة آيةٌ مستقلةٌ قبيل كل سورة، وهو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وفي المسألة خلاف واسع، راجع تفاصيله في مطولات الفقه، كتاب: «فقه صفة الصلاة». [ط]

(٣) **لم أجده**: وأخرج العسكري في «الأمثال» ـ كما في «كشف الخفاء» (٢٦٣٥) ـ : عن أنس رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «**مَن لم يتعزَّزْ بعِزَّةِ اللَّه تقطعت نفسه على الدنيا حسرات...**» الحديث. **وضعَّفه** الإمام العجلوني.

وقد ورد الأثر من كلام الحسن البصري رحمه الله عند ابن المبارك في «الزهد» (٣٩٧). [ط]

[النحل: ٩٧]، قال: «بالقناعة[١]»[٢].

(١٣٥٦) وقال أكثمُ بن صَيْفي: «مَنْ باع الحِرْصَ بالقناعة، ظفِرَ بالغِنى والمروءة».

(١٣٥٧) وقال بعضُ السلف: «قد يَخيبُ الجاهدُ الساعي، ويَظفرُ الوادعُ الهادي».

(١٣٥٨) فأخذه البُحتري، فقال:

لم ألْقَ مقدورًا على استحقاقِهِ ... في الحظِّ إما ناقصًا أو زائدَا
وعجبتُ للمحدُودِ يُحرَمُ ناصِبًا ... كَلِفًا وللمجدُود يَغنمُ قاعدَا[٣]
ما خطبُ مَن حُرِمَ الإرادةَ قاعدًا ... خَطْبَ الذي حُرم الإرادةَ جاهِدَا

(١٣٥٩) وقال بعضُ الحكماء: «إنَّ من قنعَ كان غنيًّا ـ وإن كان مقتَّرًا[٤] ـ، ومَن لم يقنَعْ كان فقيرًا ـ وإن كان مكثرًا ـ».

(١٣٦٠) وقال بعضُ البلغاء: «إذا طلبْتَ العِزَّ فاطلبه بالطَّاعة، وإذا طلبْتَ الغِنَى فاطلبه بالقناعة، فمن أطاع اللَّهَ ﷻ عزَّ نصرُه، ومن لزم القناعة زال فقره».

(١٣٦١) وقال بعضُ الأدباء: «القناعة عِزُّ المعسِر، والصَّدقةُ حِرْزُ الموسِر».

(١٣٦٢) وقال بعضُ الأدباء:

إني أرى مَن له قُنُوعٌ ... يُدرك ما نال من تَمنَّى
والرزقُ يأتي بلا عناءٍ ... وربَّما فات من تعنَّى

[أقسام القناعة]:

والقناعةُ قد تكون على ثلاثةِ أوجُه:

---

(١) وأعظم من ذٰلك أن يجد العبدُ حلاوة الإيمان. [ط]
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٤٢٣)، وجامع البيان في تأويل القرآن (١٤/ ٣٥٢).
(٣) **المحدود**: الفقير. **ناصبًا**: تعِبًا. **كَلِفًا**: مشغوفًا. **المجدود**: الغني. [ط]
(٤) **المقتَّر**: الفقير. [ط]

فالوجه الأول: أن يَقنَعَ بالبُلْغةِ من دنياه، ويصرفَ نفسَه عن التعرُّض لما سواه، وهٰذا أعلى منازل أهل القناعة.

(١٣٦٣) وقال الشاعر:

إذا شئتَ أن تَحيا غنيًّا فلا تكن على حالةٍ إلّا رضيتَ بدونها

(١٣٦٤) وقال مالك بن دينار: «أزهدُ الناس مَن لا تتجاوزُ رغبتُه من الدنيا بُلْغَتَه».

(١٣٦٥) وقال بعضُ الحكماء: «الرِّضا بالكَفاف يؤدِّي إلى العفاف».

(١٣٦٦) وقال بعضُ الأدباء: «رُبَّ ضِيقٍ أفضلُ من سَعَة، وعناءٍ خيرٌ من دَعَة».

(١٣٦٧) وأنشدني بعضُ أهل الأدب ـ وذُكر أنه لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:

أفادتني القناعةُ كلَّ عزٍّ وأيُّ غنًى أعزُّ من القناعةْ

فصيِّرْها لنفسِكَ رأسَ مالٍ وصَيِّرْ بعدَها التَّقوى بضاعةْ

تَحَرَّزْ حين تَغنَى عن بخيلٍ وتَنْعَمُ في الجنان بصبرِ ساعةْ

والوجه الثاني: أن تنتهيَ به القناعةُ إلى الكفاية، ويَحذفَ الفضولَ والزيادة، وهٰذا أوسَطُ أحوال المقتنِع.

(١٣٦٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما مِن عبدٍ إلّا بينَه وبين رزقِه حجاب؛ فإن قَنِعَ واقتصَدَ أتاه رزقُه، وإن هَتك الحجابَ لم يَزِدْ في رِزقِه**»(١).

(١٣٦٩) وقال بعضُ الحكماء: «طلبُ ما فَوْقَ الكفافِ إسراف(٢)».

---

(١) **لا أعلم له أصلًا**. وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس» (٢١٦٢)، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ: «**بين العبد وبين رزقه حجابٌ؛ فإن صبر خرج إليه رزقه، وإن عَجِل مُزِّق عنه جلده، ولا يأخذ إلا ما قُدِّر له جلده ودينه**»، ولم أجد له سندًا، واللَّه أعلم.
وقد أورد لفظ المصنف الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٠٥)، من كلام الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [ط]

(٢) فيه نظر، والفيصلُ هنا هو نيةُ العبد في طلب ما فوق الكفاف: هل يطلبُه للتمتع بشهوات الدنيا التي تبعده عن ربِّه، أم يطلبه للتقرُّب إليه بالأعمال الصالحة، ونيل الدرجات العُلا؟! [ط]

(١٣٧٠) وقال بعضُ البلغاء: «مَن رَضِيَ بالمقدور، قَنِع بالميسور».

(١٣٧١) وقال البُحتري:

تَطْلُبُ الأكثَر في الدنيا وقد ... تبلُغُ الحاجةَ منها بالأقلْ

(١٣٧٢) وأُنشِدت لإبراهيم بن المدبِّر[١]:

إنَّ القناعةَ والعفافَ ... لَيُغنيانِ عن الغِنَى

فإذا صَبَرْتَ عن المُنَى ... فاشْكُر فقد نِلْتَ المُنى

والوجه الثالث: أن تنتهيَ به القناعةُ إلى الوقوف على ما سَنح[٢]، فلا يَكره ما أتاه ـ وإن كان كثيرًا ـ، ولا يطلبُ ما تعذَّر ـ وإن كان يسيرًا ـ.

وهٰذه الحال أدنى منازلِ أهل القناعة؛ لأنَّها مشتركةٌ بين رغبةٍ ورهبة:

ـ أمَّا الرغبةُ فلأنَّه لا يَكرهُ الزيادة على الكفايةِ إذا سَنحت.

ـ وأمَّا الرَّهبةُ فلأنَّه لا يطلب المتعذِّرُ عن نقصان المادة، إذا تعذرت.

(١٣٧٣) وفي مثله قال ذو النون رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «مَن كانت قناعتُه سمينة، طابت له كُلُّ مَرَقة».

(١٣٧٤) وقد روى الحسنُ بن الحسنِ بنِ عليٍّ، عن أبيه، عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الدُّنيا دُوَلٌ، فما كان منها لك أتاك على ضَعفك، وما كان منها عليك لم تدفَعْه بقوَّتك، ومَن انقطع رجاؤه ممَّا فات استراح بدنُه، ومن رضي بما رزقه اللَّهُ تعالى قرَّت عينُه»**[٤].

---

(١) إبراهيم بن محمد بن عبيداللَّه بن المدبر، أبو إسحاق، الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، توفي عام (٢٧٩).
ترجمته في: معجم الأدباء (١/ ١٠٢)، نشوار المحاضرة (١/ ٢٧٠).

(٢) سَنح: تَهيَّأ. [ط]

(٣) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، المصري، المعروف بذي النون، الصالح المشهور، أحد رجال الطريقة، توفي عام (٢٤٨).
ترجمته في: حلية الأولياء (٩/ ٣٣١ ـ ٣٩٥)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٩٣)

(٤) **ضعيف**: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣١١٣) عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، =

(١٣٧٥) وقال أبو حازم الأعرج: «وجدْت الدُّنيا شيئين: شيئًا هو لي؛ لن أعْجَلَه قبل أجله، ولو طلبتُه بقوَّةِ السَّماوات والأرض، وشيئًا هو لغيري، وذٰلك ممَّا لم أنله فيما مضى، ولا أنالُه فيما بقي، يُمنع الذي لي من غيري، كما يُمنع الذي لغيري مني(١)، ففي أي هٰذين أُفني عمري؛ وأُهلك نفسي؟!».

(١٣٧٦) وقال أبو تمام الطائي:

لا تأخذنِّي بالزَّمان فلَيْسَ لي ... تَبَعًا ولسْتُ على الزَّمان كَفيلا

مَنْ كان مَرْعَى عَزْمِهِ وهُمومِهِ ... رَوْضُ الأماني لم يَزَلْ مهزُولا

لو جار سلطانُ القُنوعِ وحُكمُه ... في الخَلقِ ما كان القليلُ قليلا

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عليه فإنَّه ... يأتِي ولم تَبْعَثْ إليه رَسُولا(٢)

(١٣٧٧) وأنشدني بعضُ أهل الأدب، لابن الرومي:

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بما يكونُ ... فسِيَّانِ التحرُّكُ والسكونُ(٣)

جنونٌ منكَ أن تسعَى لرزْقٍ ... ويُرزَقَ في غشاوته الجنينُ(٤)

ونحن نسألُ اللَّه تعالى ـ أكرمَ مسؤول، وأفضلَ مأمول ـ أن يُحسنَ إلينا التوفيقَ فيما مَنَح، ويَصرفَ عنَّا الرَّغبةَ فيما مَنَع، استكفافًا لتبعاتِ الثروة، ومُوبقاتِ الشهوة.

(١٣٧٨) رَوى شَريك بن أبي نَمر، عن أبي الجذع، عن أعمامه وأجداده، عن النبي ﷺ أنه قال: **«خيرُ أمتي الذين لم يُعْطَوا حتى يَبْطَروا، ولم يُقَتَّروا حتى يَسْألوا»**(٥).

= وذكره المُناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٢)، وذكر أن الديلمي بيَّض لسنده، وأقلُّ أحواله الضعف، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(١) أي: ما كان لي لن يأخذه غيري، وما كان لغيري فلن أناله أبدًا. [ط]

(٢) **تكمد**: تحزن. [ط]

(٣) **سِيَّان**: مثلان متساويان. [ط]

(٤) السعي للرزق ليس جنونًا؛ بل الجنونُ ألا يرضى العبد ـ بعد سعيه ـ بما قسم اللَّهُ له. [ط]

(٥) **ضعيف**: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٣٣) من هٰذا الطريق، **وفي إسناده** =

(١٣٧٩) وقال أبو تمَّام الطائي:

عــندي مــن الأيَّــام مــا لــو أنــهُ ... أضـحَى بـشاربِ مُـرقَدٍ مـا غمَّـضا

لا تطلــبَنَّ الــرِّزْقَ بَعْــد شِماسِــه ... فتــرُومَه سَــبُعًا إذا مــا غَيَّــضا[1]

مــا عُــوِّض الـصَّبْرَ امـرؤٌ إلَّا رأى ... مــا فاتــه دُون الــذي قــد عُوِّضــا

= جهالةٌ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(١) شماسه: نفوره وابتعاده. غيَّضا: امتنع في وسط الأشجار. [ط]

الباب الخامس

أدبُ النفْس



[الباب الخامس]

بابُ: أدبِ النَّفْس

اعلم أنَّ النفس مجبُولـةٌ على شِيَـمٍ مُهمَلَـة، وأخلاقٍ مُرسَلَة، لا يُستغنى بمُجرَّدِها[١] عن التأديبِ، ولا يُكتفى بالمَرضيِّ منها عنِ التهذيب؛ لأنَّ لمحمُودها أضدادًا مُقابِلة؛ يُسْعِدُها هوًى مُطاعٌ وشهوةٌ غالبة؛ فإنْ أُغفل تأديبها تفويضًا إلى العقل، أو توكُّـلًا على أن تنقـادَ إلى الأحسـن بالطبـع، أعدمَـهُ التفويضُ دَرْك المجتهدين، وأعقبه التوكُّلُ ندمَ الخائبين، فصار من الأدب عاطلًا، وفي صورة الجهل داخلًا؛ لأنَّ أكثرَ الأدب مكتسَبٌ بالتجربة، أو مستحسَنٌ بالعَادة، ولكُلِّ قومٍ مُواضَعة[٢]، وكُلُّ ذٰلك لا يُنال بتوقيف العقل، ولا بالانقيادِ للطبع، حتى يُكتسَبَ بالتجربة والمُعاناة، ويُستفاد بالدُّربةِ والمُعاطاة، ثم يكُون العقلُ عليه قَيِّمًا، وَزكيُّ الطبع إليه مُسَلِّمًا، ولو كان العقلُ مُغنيًا عن الأدب، لكان أنبياءُ اللَّه تعالى عن أدبهِ مُستغنين، وبعقولهم مستكفين[٣].

(١٣٨٠) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعِثتُ لأُتمِّم مكارمَ الأخلاق**»[٤].

---

(١) في المطبوعة والشرح: محمودها.

(٢) **المُواضعة**: الاتفاق على الشيء. [ط]

(٣) في المطبوعة والشرح: مكتفين.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وفي «التاريخ الكبير» (٧/ ١٨٨)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٣)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والبزار (٢٤٧٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص٢)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩١)، و«الشعب» (٧٦٠٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٦٥)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٣٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجُلُّ الروايات: «**صالح الأخلاق**»، وفي بعضها: «**مكارم الأخلاق**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٢٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٤٣): «**رجاله ثقات**»، **وصحَّحه** =

(١٣٨١) وقيل لعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أدَّبَكَ؟ قال: ما أدَّبني أَحَدٌ، ولٰكني رأيتُ جَهْلَ الجاهل فاجْتَنبتُه».

(١٣٨٢) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن اللَّه تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنَها وَصلًا بينه وبينكم، فحسْبُ الرَّجل أن يتَّصل منَ اللَّه تعالى بخُلقٍ منها».

(١٣٨٣) وقال أَردشيرُ بن بابَك: «من فضيلة الأدب أنه مَمدُوحٌ بكُل لسان، وَمتزيَّنٌ به في كل مكان، وباقٍ ذكرُه على أيام الزمان».

(١٣٨٤) وقال مهبُود: «شُبِّه العالِمُ الشريفُ العديمُ الأدب بالبُنيان الخراب؛ الذي كُلما عَلا سَمْكُهُ[١] كان أشدَّ لوحشتهِ، وبالنهرِ اليابسِ الذي كُلما كَان أعْرَضَ وأعْمَق كان أشدَّ لوُعورتهِ، وبالأرض الجيِّدةِ المُعطَّلَةِ التي كُلما طال خرابُها، ازداد نباتُها غيرُ المنتفَع بِهِ التفافًا، وصار للهوام مسكنًا».

(١٣٨٥) وقال ابنُ المُقفَّع: «ما نحن إلى ما نتقوَّى به على حَواسنا ـ من المطعم والمشرب ـ بأحْوجَ منَّا إلى الأدب، الذي هُو لِقاحُ عقولنا، فإنَّ الحَبةَ المدفونةَ في الثرى لا تَقدِرُ أن تُطلِعَ زهرتَها ونضارتَها إلَّا بالماء الذي يعودُ إليها من مستودَعِها».

(١٣٨٦) وحَكى الأصمعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ أعرابيًا قال لابنه: يا بُنيَّ، الأدب دعامةٌ، أمَدَّ[٢] اللَّه تعالى بها الألباب، وحِليةٌ زيَّنَ اللَّهُ بها عواطلَ الأحساب، فالعاقلُ لا يستغني ـ وإن صَحَّت غريزته ـ عن الأدب المُخرِجِ زَهرتَه، كما لا تستغني الأرضُ ـ وإن عذُبت تربتُها ـ عن الماء المخرِجِ ثمرتَها».

(١٣٨٧) وقال بعضُ الحكماء: «الأدَبُ صورةُ العقل، فصَوِّر عقلَك كيف شئت».

(١٣٨٨) وقال آخر: «العقلُ بلا أدبٍ كالشجر العاقِر، ومع الأدب كالشجر المثمر».

= الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٩). [ط]

(١) السَّمْك ـ بفتح السين وسكون الميم ـ : السَّقف. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: أيد.

(١٣٨٩) وقيل: «الأدبُ أحدُ المَنصِبَين».

(١٣٩٠) وقال بعض البلغاء: «الفضلُ بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب[١]، لأنَّ من ساء أدبُه ضاع نسَبُه، ومن قلَّ عقلُه ضلَّ أصلُه».

(١٣٩١) وقال بعضُ الأدباء: «ذَكِّ قلبك بالأدب، كما تُذكَّى النارُ بالحطب، واتخذ الأدب غُنْمًا، والحرصَ عليه حَظًّا، يرتجيك راغِب، ويخاف صَولتَك راهب، وَيؤمَّلُ نفعُك، ويُرْجَى عَدْلُك».

(١٣٩٢) وقالَ بعضُ العُلماء: «الأدبُ وسيلةٌ إلى كُلِّ فضيلة، وذريعةٌ إلى كُلِّ شريفة»[٢].

(١٣٩٣) وقال بعضُ الفُصحاء: «الأدب يسترُ قبيحَ النَّسب».

(١٣٩٤) وقال بعضُ الشعراء:

فما خَلَق اللَّهُ مثلَ العقولِ ... ولا اكتسبَ النَّاسُ مثلَ الأدَبْ

وما كَرَمُ المرء إلَّا التُّقى ... ولا حَسَبُ المرءِ إلَّا النَّسَبْ

وفي العلم زينٌ لأهلِ الحِجا ... وآفةُ ذي الحِلْم طيشُ الغضَبْ

(١٣٩٥) وأنشد الأصمعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإن يكُ العقلُ مَولُودًا فلستُ أَرَى ... ذا العقلِ مُستغنيًا عن حادثِ الأدبِ

إني رأيتهما كالماء مختلِطًا ... بالتُّرب تَظهرُ منه زَهْرةُ العُشُبِ

وكُلُّ من أخطأَتْهُ في موالدِهِ ... غريزةُ العقلِ حاكَى البَهْمَ في النسبِ[٣]

[التأديبُ لازمٌ من وجهين]:

والتأديب يلزمُ من وَجهين:

أحدهما: ما لزم الوالدُ لولدِه في صغره.

---

(١) في المطبوعة والشرح: والحسب.

(٢) في المطبوعة والشرح: شريعة.

(٣) في المطبوعة والشرح: الحسب.

والثاني: ما لزم الإنسانَ في نفسِه عند نشأتِه وكِبَره.

[١] فأمَّا التأديب اللازم للأب: فهو أن يأخذَ ولدَه بمبادئ الآداب، ليأنس بها، وينشأَ عليها، فيسهُل عليه قبولُها عند الكبر، وذٰلك لاستئناسِه بمبادئها في الصغر، لأنَّ نشأة الصغير على الشيءِ تجعلُه مُنْطبعًا به، ومن أُغفِل في الصغر كان تأديبُه في الكبر عزيزًا[١].

(١٣٩٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما نَحَلَ**[٢] **والدٌ ولدَهُ نِحْلَةً أفضلَ من أدبٍ حسنٍ يُفيده إياه، أو جهلٍ قبيحٍ يَكُفُّهُ عنهُ، ويمنعه منه**»[٣].

(١٣٩٧) وقال بعضُ الحكماء: «بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكُم الأشغال، وتفرُّقِ البال».

(١٣٩٨) وقال بعض الشعراء:

إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلتْ ... ولا يَلينُ إذا قوَّمته الخَشَبُ[٤]

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ ... وليس ينفعُ عند الشَّيبة الأدَبُ

(١٣٩٩) وقال آخر:

يَنشُو الصغيرُ على ما كان والدُه ... إن الأصولَ عليها يَنبُتُ الشجرُ[٥]

[٢] وأمَّا الأدبُ اللازمُ للإنسان عند نشأتِه وكِبَره، فأدبان:

- أدب مُواضَعةٍ واصطلاح.

---

(١) في المطبوعة والشرح: عسيرًا.

(٢) **النِّحْلة**: العطية. [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٤/ ٧٧)، والبخاري في «تاريخه الكبير» (١/ ٤٢٢)، والترمذي (١٩٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٢٨٤)، والعُقيلي في «الضعفاء» (١٣٢١)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٤٠)، والحاكم (٤/ ٢٦٣)، من حديث سعيدِ بن العاص، وقال الإمام البخاري: «**مرسل**»، وقال الإمام الترمذي: «**غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وتعقبه** الذهبي بالإرسال والضعف، **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط، ولفظ الحديث: «**ما نحل والدٌ ولدَه نِحلةً أفضلَ من أدبٍ حسنٍ**». [ط]

(٤) في الأصل: إذا قومتها بخشب.

(٥) **ينشُو**: ينشأ. [ط]

ـ وأدبُ رياضةٍ واستصلاح.

[أ] فأمَّا أدبُ المواضعةِ والاصطلاح: فيؤخذُ تقليدًا على ما استقرَّ عليه اصطلاحُ العقلاء، واتفق عليه استحسانُ الأُدباء، وليس لاصطلاحِهم على وَضْعِهِ تعليلٌ مُستنبَط، ولا لاتفاقهم على استحسانِه دليلٌ مُوجِب، كاصطلاحهم على مواضعاتِ الخِطاب، واتفاقِهم على هيئاتِ اللباس، حتَّى إن الإنسانَ الآن إذا تجاوَز ما اتَّفقوا عليه منها صَار مُجانبًا للأَدب، مستوجبًا للذمِّ، لأنَّ فراقَ المألوف في العادة، ومجانبةَ ما صار متَّفَقًا عليها بالمواضَعةِ مُفضٍ إلى استحقاقِ الذمِّ بالعقل، ما لم يكُن لمخالفته عِلةٌ ظاهرةٌ، ومعنًى حادث.

وقد كان جائزًا في العقل أن يُوضَع ذٰلك على غيرِ ما اتفقوا عليه، فيَرونه حسنًا، ويَرون ما سواهُ قبيحًا، فصار هٰذا مشاركًا لما وَجب بالعقل؛ من حيثُ توجُّهِ الذمِّ على تاركِهِ، ومُخالفًا له من حيث إنه كان جائزًا في العقل أن يوضَعَ على خلافه.

[ب] وأمَّا أدبُ الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان محمولًا على حالٍ لا يَجوزُ في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلفَ العقلاءُ في صلاحِها وفسادها، وما كان كذٰلك فتعليلُه بالعقل مُستنبَط، ووضوحُ صحتِه بالدليل مرتبط، وللنفس على ما يأتي من ذٰلك شاهدٌ، ألهمها اللَّه تعالى إرشادًا لها، قال اللَّه تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس].

(١٤٠٠) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بيَّن لها ما تأتي من الخير، وتَذَرُ من الشر»[(١)].

وسنذكُرُ تعليل كُلِّ شيءٍ في موضعه، فإنَّهُ أولى بهِ وأحق.

[أول أصلٍ في إصلاح النفس]:

فأوَّل مُقدمات أدب الرياضة والاستصلاح: ألَّا يَسبقَ إلى حُسِن الظن بنفسه، فيخفَى عنه مذمومُ شِيَمِه ومساوئُ أخلاقه، لأنَّ النفس بالشهوات آمِرة، وعن الرُّشْد زاجرة. وقد قال اللَّه تعالى: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [يوسف: ٥٣].

(١٤٠١) وقال النبي ﷺ: «**أعدى عَدوِّك: نفسُك التي بين جَنْبَيك، ثم أهلُك، ثم**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٤/ ٤٤١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٣١٢).

عيالُك»[(١)].

(١٤٠٢) وَدَعت أعرابيةٌ لرجلٍ[(٢)] فقالت: «كَبَتَ اللَّهُ كُلَّ عدوٍّ لك إلَّا نفسَك».

(١٤٠٣) فأخذهُ بعضُ الشُّعراء، فقال:

قلبي إلى ما ضرَّني داعِي ... يُكثِّر أسقامِي وأوجاعي

كيف احتراسِي مِن عَدُوِّي إذا ... كان عدوِّي بين أضلاعي؟!

فإذا كانت النفس كذٰلك، فحُسن الظن بها ذريعةٌ إلى تحكيمِها، وتحكيمُها داعٍ إلى سلاطتها، وفسادِ الأخلاق بها، وإذا صَرف حُسنَ الظن عنها، وتوسَّمها بما هي عليه من التسويف والمكر، فاز بطاعتها، وانحازَ عن معصيتها.

(١٤٠٤) وقد قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العاجزُ مَن عَجَز عن سياسةِ نفسه».

(١٤٠٥) وقال بعضُ الحكماء: «من ساس نفسَه ساد ناسه».

[هل يجوزُ سوءُ الظنِّ بالنفس؟!]:

فأمَّا سُوء الظنِّ بها، فقد اختلف النَّاسُ فيه:

[أ] فمنهم من كرههُ، لما فيه من اتهام طاعتِها، وردِّ مناصحتِها؛ فإنَّ النفس وإن كان لها مكرٌ يُردِي، فلها نُصحٌ يَهدي، فلما كان حُسن الظن بها يُعْمِي عن

(١) موضوع: رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٤٣)، وذكره أبو عبدالرَّحْمٰن السلمي في «آداب الصحبة» (٦٨) ـ بلا سند ـ، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحكم عليه **بالوضع** الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ٤)، وكذا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١١٦٤).
ولفظ الحديث: «**أعدى عدوِّك نفسُك التي بين جَنْبيك**».
وروى الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٤)، وفي «مسند الشاميين» (ص٣٣٢)، عن أبي مالك الأشعري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ليس عدوُّك الذي إن قتلتَه كان لك نورًا، وإن قتَلك دخلت الجنة، ولٰكنَّ أعدى عدوِّك ولدُك الذي خَرج من صُلبك، ثم أعدى عدوٍّ لك مالُك الذي مَلَكَتْ يمينُك**». وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٥)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٣٧٥)، وبنحوه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم» (١/ ٤٩٠)، وضعَّفه الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) لعل الأصل: «على رجل»، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

مَساوِيها، كان سُوء الظنِّ بها يُعمي عن محاسنها، ومَن عَمِي عن محاسِنَ نفسِه، كان كمن عَمِي عن مَساوِيها، فلم يَنفِ عنها قبيحًا، ولم يُهْدِ إليها حسنًا.

(١٤٠٦) وقد قال الجاحظ في كتاب «البيان»: «يَجِبُ أن يكونَ في التُّهمةِ لنفسه مُعتدِلًا، وفي حُسن الظنِّ بها مقتصدًا، فإنَّه إن تجاوَز مقدارَ الحق في التهمة ظَلَمها، فأودَعَها ذِلَّةَ المظلُومين، وإن تجاوز بها الحقَّ في مقدار حُسن الظنِّ أودعها تهاوُنَ الآمنين، ولكُلِّ ذٰلك مقدارٌ من الشُّغل، ولكل شغلٍ مقدارٌ من الوَهْن، ولكلِّ وهْنٍ مقدارٌ من الجهل».

(١٤٠٧) وقال الأحنف بن قيس: «مَن ظلم نفسَه كان لغيره أظلم، ومَن هدم دينَه كان لمَجدِه أهدَم».

[ب] وذهب قومٌ إلى أنَّ سوء الظنِّ بها أبلغُ في صلاحِها، وأوفرُ في اجتهادها، لأنَّ للنفس جَوْرًا لا ينفكُّ إلَّا بالسُّخط عليها، وغُرورًا لا ينكشفُ إلَّا بالتهمة لها، لأنَّها مَحبوبةٌ تجورُ إدلالًا، وتَغِرُّ مكرًا، فإن لم يُسئ الظن بها، غلب عليه جَوْرها، وتموَّهَ[1] عليه غرورُها، فصار بمَيسورها قانعًا، وبالشبهة مِن أفعالها راضيًا.

(١٤٠٨) وقد قالت الحكماء: «مَن رَضِيَ عن نفسِهِ، أسخط عليه الناس».

(١٤٠٩) وقال كُشَاجم[2]:

لم أرضَ عن نفسي مخافَةَ سُخْطِها ... ورضـا الفتَـى عـن نفسِه إغضابُها
ولَـوَ انني عـنها رضـيت لقصَّرَتْ ... عمَّـا تـزيدُ بمـثله آدابُهـا
وتَبيَّـنتْ آثـارَ ذاك فأكثـرتْ ... عذْلـي علـيه فطـال فـيه عِـتابُها

(١٤١٠) وقد استُحْسِن قول أبي تمام الطائي:

ويُسِيء بالإحسان ظنًّا لا كَمَنْ ... هُـوَ بابْـنِهِ وبـشِعْرِه مَفْـتُونُ

(١) تَموَّه: اضطرب، والمقصود: خدعته. [ط]

(٢) هو محمود بن حسين، كُشاجم، أحد فحول الشعراء، كان من الشعراء المجيدين، والفضلاء المبرزين، قيل: إن لقبه منحوت من عدة علوم كان يتقنها، فالكاف للكتابة، والشين من الشعر، والألف من الإنشاء، والجيم من الجدل، والميم من المنطق، توفي عام (٣٦٠).
ترجمته في: شذرات الذهب (٤/ ٣٢١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٠)، الوافي (٢٥/ ٢٥٨).

فلم يرَوا إساءة ظنِّه بالإحسان ذمًّا، ولا استقلالَ عملِه لَوْمًا، بل رأوا ذٰلك أبلغَ في الفضل، وأبعثَ على الازدياد، فإذا عرفَ من نفسه ما تُجِنُّ، وَتَصَوَّر منها ما تُكِنُّ، ولم يُطاوِعْها فيما تحبُّ إذا كان غَيًّا، ولا صرفَ عنها ما تكرهُ إذا كان رُشْدًا، فقد ملكها بعد أن كان في مِلكها، وغلبها بعد أن كان في غَلَبتها.

(١٤١١) وقد رَوَى أبو حازم، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشَّديدُ من غلب نفسَه**»[١].

(١٤١٢) وقال عونُ بن عبداللَّه: «إذا عَصتكَ نفسُك فيما كرِهَتْ، فلا تُطِعها فيما أحبَّتْ، ولا يغرَّنَّك ثناءُ مَن جَهِلَ أمرَك».

(١٤١٣) وقال بعضُ البلغاء: «من قوِيَ على نفسه، تناهى في القوَّة[٢]، ومن صبر عن شهوته، بالغ في المروءة، فحينئذٍ يأخذُ نفسَهُ عند معرفة ما أكنَّتْ، وخبرِ ما أجنَّتْ، بتقويم عِوَجِها، وإصلاح فسادها».

(١٤١٤) وقد رُوِي عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: يا رسول اللَّه، متى يَعرفُ الإنسانُ ربَّه؟ قال: «**إذا عَرَف نفسه**»[٣].

ثم يُراعي منها ما صلحَ واستقام، من زَيْغٍ يَحْدُثُ عن إغفال، أو ميلٍ يكونُ من إهمال، ليتمَّ له الصلاحُ، وتستديمَ لهُ الاستقامةُ[٤]، فإن المُغْفَل بعد المُعاناة ضائع[٥]، والمُهمَلَ بعد المراعاة ذائع.

(١) صحيح: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠١٥٦)، وابن حِبَّان (٧١٧)، والطيالسي (٢٦٤٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥١٦)، والبغوي في شرح السنة (٣٥٨٢)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٦٣)، والآجري في «أدب النفوس» (٥)، بلفظ: «**إن الشديدَ ليس من غَلَب الرجالَ، ولٰكنَّ الشديدَ من غلب نفسه**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط.
ورواه أحمد (٢/ ٢٣٦)، والبخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٥٤)، بلفظ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة؛ إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضب**». [ط]

(٢) أي: بلغ غاية القوة. [ط]

(٣) **موضوع**: وقد سبق برقم (٣٥٨). [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: السعادة.

(٥) أي: ما عانيت سنواتٍ لإصلاحه، ثم أغفلته مدةً انقلب حاله، وبِهٰذا تكون ضيَّعتَ سنوات الخير. [ط]

وسنذكرُ من أحوال «أدبِ الرياضة والاستصلاح» فصولًا تحتوي على ما يلزم مراعاتُه من الأخلاق، ويجب مُعاناته من الآداب، وهي ستةُ فصولٍ متفرعة.



الفصل الأول

في مجانبة الكِبر والإعجاب

لأَنَّهما يسلُبان الفضائل، ويُكْسِبان الرذائل، وليس لمَن استَوليا عليه إصغاءٌ لِنُصْحٍ، ولا قبولٌ لتأديب؛ لأنَّ الكِبرَ يكون بالمنزلة، والعُجْبَ يكون بالفضيلة، فالمتكبِّرُ يُجِلُّ نفسه عن رُتبةِ المُتعلِّمين، والمُعْجَبُ يستكثر فضلَه عن استزادة المُتأدبين، فلذٰلك وجب تقديمُ القول فيهما، بإبانةِ ما يَكْسِبانه من ذَمٍّ، ويوجبانه من لومٍ، فنقول:

[الكِبر]:

أمَّا الكِبرُ: فيَكْسِبُ المَقْت، ويُلهي عن التألُّف، ويُوغِر صدور الإخوان، وحسبُك بذٰلك سوءًا عن استقصاء ذمِّه.

(١٤١٥) ولذٰلك قال النبي ﷺ لعمِّه العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أنهاكَ عن الشِّرْك باللَّهِ والكِبْر، فإنَّ اللَّهَ يَحتجِبُ منهما**[١]»[٢].

(١٤١٦) وقال أردَشِيرُ بن بابَك: «ما الكِبرُ إلَّا فضلُ حُمْق، لم يَدْرِ صاحِبُه أين يَذْهَبُ به، فصَرَفه إلى الكبر»[٣].

وما أشبَهَ ما قال بالحق!!.

---

(١) أي: لا يستجيب دعاء أصحابِهما، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. وروى النسائي في «الكبرى» (١٠٦٠٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٣٢)، عن رجل من الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال نوحٌ لابنه: إني مُوصِيكَ بوصيةٍ، وقاصِرُها كي لا تنساها، أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أما اللتان أوصيك بهما فيَستبشِرُ اللَّهُ بهما وصالحُ خلقه، وهما يُكثِرانِ الولوجَ على اللَّه تعالى: أوصيك بـ«لا إلٰهَ إلا اللَّه»؛ فإن السماواتِ والأرضَ لو كانتا حلقةً قَصَمَتْهما، ولو كانت في كفةٍ وَزَنَتْهما، وأوصيك بـ«سبحان اللَّه وبحمده»؛ فإنها صلاةُ الخلق، وبها يُرزَقُ الخلق، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب اللَّهُ منهما وصالحُ خلقه، أنهاك عن الشِّركِ والكبر**». **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٤٣). [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٨٨ ـ خبر: ١٣٥٨) غير منسوبة.

(١٤١٧) وحُكِي أن مطرِّف بـن عبـدِاللَّه بـن الشِّخِّير[١]، نظر إلى المهلَّب بن أبي صُفرة، وعليه حُلةٌ يَسحبُها، ويمشي الخُيلاء، فقال له: «يا أبا عبداللَّه، ما هٰذه المِشيةُ التي يُبغضُها اللَّـهُ ورسولـه؟! فقـال المهلب: أوَ مـا تعرفُني؟ فقال: بلى أعرفك، أوَّلُك نُطفةٌ مَذِرَة[٢]، وآخرك جيفةٌ قذِرة، وحَشْوُك فيما بين ذٰلك بَوْل وعَذِرة[٣]».

(١٤١٨) فأخذ ابنُ عون هٰذا الكلام فنظَمه شِعرًا، فقال[٤]:

عَجِبْتُ مِـن مُعْجَبٍ بصُورتِهِ ... وكـان بـالأمسِ نُطفـةً مَـذِرَةْ

وفي غـدٍ بعـد حُسنِ صُورته ... يـصيرُ في اللَّحـدِ جِيفةً قَذِرَةْ

وَهْــوَ على تِــيهِهِ ونَخْــوَتِهِ ... مـا بـينَ ثَوبـيه يَحملُ العَذِرَةْ

وقد كان المهلَّبُ أفضلَ من أن تُخْدَع نفسُه بِهٰذا الجواب، ولٰكنها زَلَّةٌ من زلاتِ الاسترسال، وخطيئةٌ من خطايا الإدلال.

فأمَّا الحُمقُ الصَّريح، والجَهلُ القبيح، فهو:

(١٤١٩) ما حُكي عن نافع بين جُبير بن مُطعم[٥]، أنه جلس في حلقةِ العلاء ابن عبدالرَّحْمٰن الخِرَقي[٦]، وهو يُقرئُ النَّاس، فلما فرغ قال: «أتدرون لِمَ جلستُ إليكم؟ قالوا: جلستَ لتسمع، قال: لا، ولٰكني أردتُ أن أتواضع للَّه بالجلوس

(١) أبو عبداللَّه مطرف بن عبداللَّه بن الشِّخِّير بن عوف، كان فقيهًا، وكان لوالده عبداللَّه صحبة، وكان مطرفٌ من أعبد الناس وأنسكهم، توفي عام (٨٧).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٢١١).

(٢) مَذِرة: حقيرة. [ط]

(٣) العَذِرة: الغائط. [ط]

(٤) الخبر والأبيات في ترجمة يزيد بن المهلب في وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٨)، والأبيات منسوبة إلى عبداللَّه بن محمد البسامي الخوارزمي.

(٥) أبو محمد، نافع بن جبير بن مطعم بن عدي القرشي، أحد الأئمة، كان من خيار الناس، وكان يحج ماشيًا وناقته تقاد، وكان يُعد من فصحاء قريش، توفي عام (٩٩).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٧٢).

(٦) لم أجده، واللَّه أعلم.

إليكم»(١).

فهل يُرجَى مِن مثل هٰذا فَضل، أو ينفعُ فيه عَذْل(٢)؟!.

(١٤٢٠) وقد قال ابن المُعتز: «لمَّا عرف أهلُ النقص حالَهم عند ذَوي الكمال، استعانوا بالكِبر، ليُعظِّم صغيرًا، ويرفع حقيرًا، وليس بفاعلٍ».

[العُجْب]:

وأمَّا الإعجاب: فيُخفِي المحاسنَ، ويُظهر المساوئ، ويُكسب المذامَّ، ويَصُدُّ عن الفضائل.

(١٤٢١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ العُجْبَ ليأكُلُ الحسنات كما تأكُل النَّارُ الحَطَبَ**»(٣).

(١٤٢٢) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإعجابُ ضدُّ الصَّواب، وآفةُ الألباب».

(١٤٢٣) وقال بُزُرْجَمِهْر: «النعمةُ التي لا يُحْسَدُ صاحبُها عليها: التواضع(٤)، والبلاءُ الذي لا يُرْحَمُ صاحبهُ منه: العُجْب».

(١٤٢٤) وقال بعضُ الحكماء: «عُجب المرءُ بنفسه أَحَدُ حُسَّاد عقلِه».

وليس إلى ما يكسبه الكِبرُ من المَقت حَدٌّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العُجب من الجهل غاية، حتى إنه لَيَطمِسُ(٥) من المحاسن ما انتشر، ويَسلُبُ من الفضائل ما اشتُهر، وناهيك بسيئةٍ تُحبِط كُلَّ حسنة، وبمذمَّةٍ تَهدِمُ كُلَّ فضيلة، مع ما يثيرهُ من حَنَق، ويُكْسِبه من حقدٍ.

(١٤٢٥) حَكى عُمَرُ بن حفص(٦)، قال: «قيل للحَجَّاج: كيف وجدتَ منزلك

---

(١) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٣٨٧ ـ خبر: ١٣٥٥).

(٢) العَذْل: اللوم. [ط]

(٣) **باطل**: وقد تقدم برقم (٣٢٩)، وقد سلف أنه ورد من كلام يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ، فراجع التعليق على الحديث المذكور. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٨٢)، ولفظها: ويقال: كل نعمة محسود عليها إلا التواضع.

(٥) في المطبوعة والشرح: ليطفئ.

(٦) لم أجده، وكتب في الشرح: عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، والله أعلم.

بالعراق؟ قال: خيرُ منزلٍ، لو كان اللَّهُ بلَّغني أربعة، فتقرَّبتُ إليه بدمائهم. قيل: ومَنْ هم؟ قال: مُقاتِل بن مِسْمَع[(١)]؛ وَلِيَ سَجِسْتان، فأتاه النَّاس، فأعطاهم الأموال، فلمَّا عُزِلَ دخل مسجدَ البصرة، فبسط الناسُ له أرديتهم، فمشى عليها، وقال لرَجُل يُماشيه: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات]!!.

وعُبيدُاللَّه بن زياد بن ظَبْيان التَّيْمي[(٢)]، خوَّف أهلَ البصرة أمرًا، فخطب خطبةً أوجز فيها، فنادى النَّاسُ من أعراض المسجد: أكثر اللَّهُ فينا مثلك، فقال: لقد كَلَّفتمُ اللَّهَ شَطَطًا[(٣)]!.

ومعبَد بن زُرارة[(٤)]، كان ذات يوم جالسًا في طريقٍ، فمَّرت به امرأةٌ، فقالت: يا عبد اللَّه، كيف الطريقُ إلى موضع كذا؟ فقال: يا هَنتاهْ[(٥)]، مثلي يكُون من عَبِيد اللَّه؟!.

وأبو سَمَّال الأسدي[(٦)]، أضلَّ راحلته، فالتمسها النَّاس، فلم يجدوها، فقال: واللَّهِ إن لم يَرُدَّ إليَّ راحلتي لا صلَّيتُ لهُ أبدًا! فالتمسها النَّاس حتَّى وجدوها، فقالوا له: قد ردَّ اللَّهُ راحلتك فصَلِّ، فقال: إن يميني يمينُ مُصِرٍّ»[(٧)].

فانظُر إلى هٰؤلاء، كيف أفضى بهم العُجْبُ إلى حُمقٍ صاروا به نكالًا في الأوَّلين، ومَثَلًا في الآخِرين!.

ولو تَصوَّر المُعجَبُ المتكبِّرُ ما فُطِر عليه من جِبِلَّةٍ، وبُلِي به من مَهْنةٍ، لَخَفض جَناح نفسه، واستبدل لِينًا من عُتُوِّه، وسكونًا من نفوره.

(١٤٢٦) قال الأحنفُ بن قيس: «عجِبتُ لمن جرى في مجرى البول مرتين،

---

(١) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٢) كتب في الشرح (ص٣٩٩): «عدَّه الجاحظ من الخطباء، وقال: كان أفتك الناس وأخطب الناس».

(٣) **الشَّطط**: الأمر البعيد. [ط]

(٤) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٥) **هنتاه**: لغةُ نداء للمؤنث عند عدم التصريح باسمه. [ط]

(٦) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٧) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٣٨٧ ـ خبر: ١٣٥٢)، والبيان والتبيين (١/ ٣٢٦).

كيف يتكبر؟!»[١].

(١٤٢٧) وقد وصف بعضُ الشعراء الإنسان، فقال[٢]:

يـا مُظْهِـرَ الكِبـر إعجابًـا بـصُورتِهِ — انظُـرْ خَـلاكَ فـإنَّ النَّـتْنَ تثـريبُ[٣]

لـو فكَّـر الـناسُ فـيما في بطُـونِهِمُ — مـا استـشعرَ الكِبـرَ شُـبَّانٌ ولا شِـيبُ

هـل في ابـن آدم مـثلُ الـرأس مكرُمةً — وهْـو بخَمْـسٍ مـن الأقـذارِ مَضْرُوبُ

أنــفٌ يــسيلُ وأُذنٌ ريحُهـا سَــهَكٌ — والعـينُ مُرمِـصةٌ والثغـرُ ملغـوبُ[٤]

يـا ابـنَ التـرابِ ومأكـولَ الترابِ غَدًا — أقــصِرْ فإنــك مأكُــولٌ ومــشروبُ

وأحقُّ مَن كان للكِبرِ مجانبًا، وللإعجاب مُباينًا: من جلَّ في الدنيا قدْرُه، وعظُم فيها خطره؛ لأنَّه قد يستقلُّ بعالي هِمَّته كُلَّ كثير، ويستصغرُ معها كُلَّ كبير.

(١٤٢٨) وقد قال محمدُ بن عليٍّ[٥]: «لا ينبغي للشريف أن يرى شيئًا من الدُّنيا لنفسه خطيرًا، فيكون به نابِهًا».

(١٤٢٩) وقال ابن السمَّـاك، لعيسى بـن موسـى[٦]: «تواضُعُك في شرفكَ أشرفُ[٧] لك من شرفك».

(١٤٣٠) وكان يقال: «اسمانٌ مُتضادانِ بمعنًى واحد: التواضعُ والشرف»[٨].

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٨٩ ـ خبر: ١٣٦٧)، وربيع الأبرار (٤/ ٣٢٧).

(٢) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٣٩١ ـ خبر: ١٣٧٥) غير منسوبة.

(٣) **الخلا**: الغائط. تثريب. عيب وفضيحة. [ط]

(٤) **السَهَك**: الرِّيح القبيحة. **الرَّمَص**: الوسَخ الذي يجتمع في أطراف العين. **ملغوب**: ضعيف. [ط]

(٥) محمد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، سيد بني هاشم في وقته، كان أحد من جَمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد، تُوفي عام (١١٤).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٤/ ١٠٢).

(٦) عيسى بن موسى بن محمد بن عليِّ بن عبداللّه بن عباس، الأمير العباسي، توفي عام (١٦٨).
ترجمته في: شذرات الذهب (٢/ ٣٠٤).

(٧) لفظ عبارة عيون الأخبار: خير لك.

(٨) العبارتان في عيون الأخبار (١/ ٣٨٢ ـ خبر: ١٣١٤، ١٣٢٦).

[أسبابُ الكِبر والإعجاب]:

وللكبر أسبابٌ، فمن أقوى أسبابِهِ: علوُّ اليد، ونفوذُ الأمر، وقلَّةُ مُخالطة الأكفاء.

(١٤٣١) وحُكي أن قومًا مَشَوا خلف عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «أبعدوا عني خَفْقَ نعالكم، فإنَّها مَفسَدةٌ لقلوبِ نَوكى الرجال».

(١٤٣٢) ومشَوا خَلف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «ارجعوا؛ فإنَّها ذِلةٌ للتابع، وفتنةٌ للمتبوع».

(١٤٣٣) وروى قَيسُ بن حازم أنَّ رجلًا أُتِيَ به للنبيِّ ﷺ فأصابته رِعدةٌ، فقال له النبي ﷺ: «**هوِّنْ عليك، فإنَّما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تأكُل القَديد**[1]»[2].

وإنَّما قال ذلك ﷺ حَسمًا لموادِّ الكِبر، وقطعًا لذرائع الإعجاب، وكسرًا لإسراف[3] النفس، وتذليلًا لسطوةِ الاستعلاء[4].

(١٤٣٤) ومثل ذلك ما رُوي عن عُمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه نادى: «الصلاةُ جامعةٌ، فلما اجتمع النَّاس صَعِد المنبر، فحمدَ اللَّه وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه ﷺ، ثم قال: أيُّها الناس، لقد رأيتُني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزوم، فيَقبِضْنَ لي القبضةَ من التمر والزبيب، فأَظَلُّ عليها اليوم، فقال له عبدالرَّحْمٰن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واللَّهِ ـ يا أمير المؤمنين ـ ما زدتَ على أن قصَّرتَ بنفسك[5]! فقال: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويْحَك ـ يا ابن عوف ـ ! إني خلوتُ بنفسي فحدَّثتني، فقالت: أنت أميرُ المؤمنين، فمن ذا أفضلُ منك؟! فأردتُ أن أعرِّفها نفسَها».

---

(١) **القَديد**: اللحم المملَّح المجفَّف في الشمس. [ط]

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم (٣/ ٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (١٣٨)، من حديث عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الإمام البوصيري، والشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٣) في الشرح: وكسرًا لأشر النفس.

(٤) قلت: بل ليعلِّم الإنسانيةَ كلَّها كيف يكون التواضع للَّه ﷻ، صلوات ربي وسلامه عليه.
قلت: التعليقُ السابق هو الأصحُّ والأسد، وإلا فالنبيُّ ﷺ ـ بل جميعُ الأنبياء والمرسلين ـ لا يحقُّ لنا أن ننسبَ إليهم كبائرَ الذنوب ـ كالكبر ـ ، فقد انعقد الإجماع على براءتِهم ونزاهتهم من تلك المهلكات ـ وإن كان وقع الخلاف حول عصمتهم من الصغائر ـ . [ط]

(٥) أي: انتقصت نفسك. [ط]

وللإعجاب أسبابٌ: فمن أقوى أسبابه: كثرةُ مديح المتقرِّبين، وإطراء المُتملقين، الذين جعلوا النفاق عادةً[١] ومكسبًا، والتملُّقَ خديعةً وملعبًا، فإذا وجدُوه مقبولًا في العقول الضعيفة، أغرَوا أربابَها باعتقاد كذِبِهم، وجعلوا ذٰلك ذريعةً إلى الاستهزاء بهم.

(١٤٣٥) وقد رُوي عن النبي ﷺ، أنه سمع رجُلًا يُزكِّي رجلًا، فقال لهُ: **«قَطعت مطاهُ[٢]، لو سَمِعها ما أفلَحَ بعدَها»**[٣].

(١٤٣٦) وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المَدحُ ذبحٌ»[٤].

(١٤٣٧) وقال ابن المقفع: «قابِلُ المدحِ كمادحِ نفسه»[٥].

(١٤٣٨) وقال بعضُ الحكماء: «مَن رضي أن يُمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساخرَ منه».

(١٤٣٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إياكم والتمادُحَ؛ فإنَّه الذبح، إن كان أحدُكم مادحًا أخاه لا محالةَ، فلْيَقُل: أحسَبُه، ولا أُزكي على اللَّهِ أحدًا»**[٦].

---

(١) في الأصل: مادة.

(٢) مطاه: أي ظهره، ولفظ الرواية الصحيحة تفسره.

(٣) **لم أجده بِهٰذا اللفظ**: وروى أبو بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكر رجلٌ عند النبي ﷺ، فأثنى عليه رجلٌ خيرًا، فقال نبي اللَّه ﷺ: **«ويحك! قَطعت عُنقَ أخيك، واللَّهِ لو سمِعها ما أفلح أبدًا...»** الحديث. رواه أحمد (٥/ ٥١)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٨٤) ـ، وضعَّف جُملة: **«واللَّهِ لو سمعها...»** الحافظُ العراقي، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط. وأشار إلى هٰذه الجملة ـ أيضًا ـ الإمام البيهقي في «الشعب» (٦/ ٥٠٠)، ذاكرًا أنها من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ووردت ـ أيضًا ـ عند ابن المبارك في «الزهد» (٥١)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/ ٢٧٢) من رواية الحسن البصري مرسلًا.
وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبي ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل فقال: **«لقد أهلتُكم، أو قطعتم ظهر الرجل»**. **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٤١٢)، والبخاري (٦٠٦٠)، ومسلم (٣٠٠١). [ط]

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٣٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٠٦).

(٥) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٩٤ ـ خبر: ١٤١١) نقلا عن الأدب الكبير لابن المقفع (٤٥).

(٦) **صحيح ـ مقطَّعًا ـ**: وهو ملفقٌ من حديثين:
الأول: حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إياكم والتمادُحَ؛ فإنه الذبحُ»**. رواه أحمد (٤/ ٩٢)، وابن ماجه (٣٧٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٥)، والطحاوي في =

(١٤٤٠) وقيل: «فيما أنزل اللَّه ﷻ من الكتب السالفة: عجبتُ لمن قيل فيه الخير ـ وليس فيه ـ؛ كيف يفرح؟! وعجبتُ لمن قيل فيه الشر ـ وهو فيه ـ؛ كيف يغضب؟!»[١].

(١٤٤١) وقال بعضُ الشعراء:

يا جاهلًا غرَّه إفراطُ مادحِهِ ... لا يَغلبنْ جهلُ من أطراك علمَكَ

أثنى وقال بلا علمٍ أحاط بهِ ... وأنت أعلم بالمحصول مِن رِيَبِكْ

وهٰذا أمرٌ ينبغي للعاقل أن يضبطَ نفسَه عن أن يستفزَّها، ويمنعَها من تصديق المدح لها، فإنَّ للنفس ميلًا لحُبِّ الثناء، وسماعِ المدح.

(١٤٤٢) وقال الشاعر:

يَهْوَى الثناء مُبرِّزٌ ومقصِّرٌ ... حُبُّ الثناءِ طبيعةُ الإنسانِ

فإذا سامَح نفسَه في هٰذه الصَّبْوَة[٢] وتابعها على هٰذه الشهوة، تشاغَل بها عن الفضائل الممدوحة، ولَهَا[٣] بها عن المحاسِن الممنوحة، فصار الظاهرُ مِن مدحِه كذبًا، والباطنَ من ذمِّة صدقًا، وعند تقابلهما يكونُ الصِّدقُ ألزمَ الأمرين، وهٰذه خُدعةٌ لا يرتضيها عاقل، ولا ينخدعُ بها مميِّز.

= «شرح مشكل الآثار» (١٦٨٧)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١٣٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٥٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٨٢٥)، وحسَّنه الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ الألباني، وجوَّده الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

الثاني: حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: أَثنى رجلٌ على رجل عند النبي ﷺ، فقال: «ويلك! قطعتَ عُنقَ صاحبك، قطعتَ عنقَ صاحبك» ـ مرارًا ـ، ثم قال: «**مَن كان منكم مادحًا أخاه ـ لا محالة ـ، فليقل: أحسبُ فلانًا ـ واللَّهُ حسيبُه، ولا أزكِّي على اللَّهِ أحدًا ـ، أحسبُه كذا وكذا، إن كان يعلمُ ذٰلك منه**». رواه أحمد (٥/ ٤١)، والبخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠)، وأبو داود (٤٨٠٥)، وابن ماجه (٣٧٤٤). [ط]

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٩٤ ـ خبر: ١٤٠٨).

(٢) في المطبوعة والشرح: مدح الصبوة.

(٣) من اللهو. [ط]

ولْيُعلَمْ أن المتقرِّبَ بالمدح يُسرِفُ مع القبول، ويَكُفُّ مع الإباء، فلا يغلبُه حُسْنُ الظنِّ على تصديق مدحٍ هو أعرفُ بحقيقته، وليكن تُهمةُ المادح أغلبَ عليه، فقلَّ مدحٌ كان جميعُه صدقًا، وقلَّ ثناءٌ كان كُلُّه حقًّا، ولذٰلك كَرِهَ أهلُ الفضل أن يُطلقوا ألسنتَهم بالثناء والمدح، تَحرُّزًا من التجاوز فيه، وتنزيهًا عن التملُّق به.

(١٤٤٣) وقد رَوَى مكحولٌ[١]، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تكونوا عَيَّابين، ولا تكونوا لعَّانين، ولا مُتمادحين، ولا مُتماوِتين**»[٢].

(١٤٤٤) وحكى الأصمعي، أنَّ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا مُدح، قال: «اللَّهم أنت أعلمُ بي من نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللَّهم اجعَلْني خيرًا مما يحسَبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخِذْني بما يقولون»[٣].

(١٤٤٥) وقال بعضُ الشعراء:

إذا المـرء لم يَمدَحْهُ حُسْنُ فِعاله فمادِحـهُ يَهذِي وإن كان مُفْصِحَا

ورُبَّما آلَ حُبُّ المَدح بصاحبه إلى أن يصيرَ مادحَ نفسه:

- إمَّا لتوهُّمه أن النَّاس قد غفَلوا عن فضله، وأخلُّوا بحقه.
- وإمَّا ليخدعهُم بتدليس نفسه بالمدح والإطراء، فيعتقدوا أن قوله حَقٌّ مُتَّبَعٌ، وصدقٌ مستمَع.
- وإمَّا ليتلذَّذَ بسماع الثناء، ويَسُرُّ نفسَه بالمدحِ والإطراءِ، كما يتغنى بنفسِه طربًا إذا لم يسمع صَوتًا مطربًا، ولا غناءً ممتعًا.

ولأيٍّ ذٰلك كان، فهو الجهلُ الصريح، والنقص الفاضح.

(١٤٤٦) وقال بعضُ الشعراء:

---

(١) هو مكحول الشامي، أبو عبداللَّه، الدمشقي الفقيه، عالِم أهل الشام، توفي عام (١١٣).
ترجمته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥)، تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٩١)، والقضاعي «مسند الشهاب» (٩٤٠)، وابن عساكر في «التاريخ» (٥٧/ ٨١)، **وإسناده ضعيف للإرسال**، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٩٦ ـ خبر: ١٤١٣)، وربيع الأبرار (٥/ ١٥٥).

وما شرفٌ أن يمدحَ المرءُ نفسه ... ولٰكنَّ أعمالًا تُذمُّ وتُمدحُ
وما كُلُّ حينٍ يصدُقُ المرءَ ظنُّه ... ولا كُلُّ أصحاب التجارةِ يربحُ
ولا كُلُّ من ترجو لغيبك حافظًا ... ولا كُلُّ من ضَمَّ الوديعةَ يصلحُ

[أهميةُ الاسترشاد بالإخوان في إصلاح عيوب النفس]:

وينبغي للعاقل أن يَسترشدَ إخوانَ الصدق، الذين هم أصفياءُ القلوب، ومَرايا المحاسِنِ والعيوب، على ما يُنبِّهونه عليه مِنْ مساويهِ، التي صَرَفه حُسنُ الظنِّ عنها، فإنَّهم أمكنُ نظرًا، وأسلمُ فِكرًا، ويجعلون ما يُنبِّهونه عليه[1] مِن مساويه، عِوَضًا عن تصديق المدح فيه.

(١٤٤٧) وقد رَوَى أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ مِرآةُ المؤمنِ، إذا رأى فيه عيبًا أصلحَه**»[2].

(١٤٤٨) وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «رَحِمَ اللَّهُ امرأً أهدى إلينا مساوِيَنا».

---

(١) في الأصل: ما نبهوا به.

(٢) **صحيح**: رواه ـ بتمامه ـ الطبراني في «الأوسط» (٢١١٤)، ورواه دون قوله: «إذا رأى...»: البزار (٦١٩٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٤)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٤٣)، وتمَّام في «الفوائد» (٤٧١)، وأبو الشيخ في «التنبيه والتوبيخ» (٥٥)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦٤): «فيه عثمان بن محمد ـ من ولد ربيعة بن أبي عبدالرَّحْمٰن ـ، قال ابن القطان: الغالبُ على حديثه الوهم، وبقية رجاله ثقات»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٥٥).

ورواه ـ أيضًا ـ بلفظه: البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٨)، وابن وهب في «الجامع» (٢٠٣)، وأبو الشيخ في «التنبيه والتوبيخ» (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أيضًا ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**المؤمنُ مِرآةُ المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن؛ مِن حيث لَقِيَه يكفُّ عنه ضيعتَه، ويَحُوطُه من ورائِه**». **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٩)، وأبو داود (٤٩١٨)، وابن وهب في «الجامع» (٢٣٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٢٣٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٩٢)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(١٤٤٩) وقيل لبعض الحكماء: «أتُحِبُّ أن تُهدَى إليك عيوبُك؟ قال: نَعَمْ، من نَاصحٍ».

(١٤٥٠) وممَّا يُقَاربُ معنى هٰذا القول: ما رُوي عن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَن ترى أن نُولِّيَه حِمْصَ؟ فقال: رجلًا صحيحًا منك، صحيحًا لَكْ. قال: تكون أنت ذٰلك الرجل؟ قال: لا تنتفعُ بي مع سُوءِ ظني بك، وسوءِ ظنك بي[1]».

(١٤٥١) وقيل في منثور الحكم: «مَن أظهر عيبَ نفسه فقد زكَّاها».

فإذا قَطع أسبابَ الكِبْر، وحَسم موادَّ العُجْب، اعتاض بالكبر تواضُعًا، وبالعُجْبِ تَودُّدًا، وذٰلك مِن أَوْكَد أسباب الكرامة، وأقوى موادِّ النعم، وأبلَغِ شافعٍ إلى القلُوب، يَعطفُها إلى المحبة، ويَثنيها عن البغض.

(١٤٥٢) وقال بعضُ الحكماء: «مَن بَرِئَ من ثلاثٍ نال ثلاثًا: مَن برئ من الشَّره[2] نال العزَّ، ومَن برئَ من البُخلِ نال الشرف، ومَن برئ من الكِبر نال الكرامة».

(١٤٥٣) وقال مصعبُ بن الزُّبير: «التواضعُ مصايدُ الشرف»[3].

(١٤٥٤) وقيل في منثور الحكم: «من دام تواضعُهُ كثُر صديقُه».

[أثرُ المناصب والولايات على الناس]:

وقد تُحدِثُ المنازلُ والولاياتُ لقوم أخلاقًا مَذمُومةً، يُظهرُها سوءُ طباعهم، ولآخرينَ فضائل محمودةً، يبعثُ عليها زكاءُ[4] شِيَمِهم، لأنَّ لتقلُّب الأحوالِ سَكرةٌ تُظهر من الأخلاق مكنُونَها، ومنَ السرائر مخزونَها، لا سيَّما إذا هَجمت من غير

(١) خبرٌ عجيب، وما أعلم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يسيئون الظن ببعضهم البعض، بل كانوا يولُّون بعضهم عن ثقةٍ ويقينٍ تام بأمانتِهم وصدقهم ووفائهم، والأمر موقوفٌ على صحةِ سندِ الأثر. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: السرف.

(٣) العبارة في البيان والتبيين (٤/ ٩٦)، منسوبة لمصعب بن الزبير، وفي عيون الأخبار (١/ ٣٨٢ ـ خبر: ١٣١٣) منسوبة إلى عروة بن الزبير.

(٤) الزكاء: الطهارة. [ط]

تدريج، وطَرَقت من غير تأهُّبٍ.

(١٤٥٥) وقد قال بعضُ الحكماء: «في تقلُّبِ الأحوال تُعرفُ جواهرُ الرِّجال».

(١٤٥٦) وقال الفضلُ بن سهل: «مَن كانت ولايتُه فوق قَدْرِهِ تكبَّر لها، ومن كانت ولايتُه دون قدْره تواضَعَ لها»[1].

(١٤٥٧) وقال بعضُ البُلغاء: «النَّاسُ في الولاية رجُلان: رجلٌ يَجلُّ عن العمل بفضله ومروءتِه، ورجلٌ يَجلُّ بالعمل لنقصِه ودناءته، فمن جلَّ عن عملِهِ ازداد به تواضُعًا وبشرًا، ومَن جلَّ بعمله لَبِس به تجبُّرًا وتكبرًا».



(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٣٨٥ ـ خبر: ١٣٤٠) منسوبة إلى عُبيد بن بسام.

الفصل الثاني

في حُسنِ الخُلُق

(١٤٥٨) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللَّهَ تعالى اختار لكمُ الإسلامَ دينًا، فأكرمُوه بحُسْن الخُلق والسَّخاء، فإنَّه لا يكمُل إلَّا بهما**»[١].

(١٤٥٩) وقال الأحنف بن قيس: «ألَا أُخبركم بأدوأِ الداء؟ قالوا: بلى، قال: الخُلُقُ الدنيء، واللسانُ البذيء».

(١٤٦٠) وقال بعضُ الحكماء: «مَن ساء خُلُقه ضاق رِزقُه».

وعِلةُ هٰذا القول ظاهرة.

(١٤٦١) وقال بعضُ البلغاء: «الحَسَنُ الخُلُقُ مِنْ نفسه في راحة، والنَّاسُ منه في سلامة، والسيئُ الخُلُقُ النَّاسُ منه في بلاء، وهو مِنْ نفسهِ في عناء».

(١٤٦٢) وقال بعضُ الحكماء: «عاشِر أهلَك بأحسن أخلاقِك، فإنَّ الثَّواء[٢] فيهم قليل».

---

(١) ضعيف: رواه ابن عساكر في «التاريخ» (٥٠/ ٢٨٩) بلفظ: «**يا أيُّها الناس، إن اللَّهَ قد اختار لكم الإسلام دينًا، فأحسِنوا صُحبةَ الإسلام بالسخاءِ وحسنِ الخلق، ألَا إن السخاءَ شجرةٌ في الجنة، وأغصانُها في الدنيا، فمن كان منكم سخيًّا لا يزالُ متعلِّقًا بغُصنٍ من أغصانِها حتى يوردَه اللَّهُ الجنةَ، ألَا إن اللؤمَ شجرةٌ في النار، وأغصانُها في الدنيا؛ فمن كان منكم لئيمًا لا يزالُ متعلِّقًا بغُصنٍ من أغصانِها حتى يوردَه اللَّهُ النار**». ثم قال مرتين: «**السخاء في اللَّه، السخاءُ في اللَّه**». وبنحوه عند البيهقي في «الشُّعَب» (١٠٣٧٥)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٢٤٥)، وعزاه الحافظ العراقي ـ أيضًا ـ في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٤٣) لابن عدي، والدَّارَقُطْني في «المستجاد»، من روايةِ عدةٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وضعَّفه الحافظ العراقي، وكذا فعل الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٣٤٠). [ط]

وورد عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «**إن اللَّهَ استخلص هٰذا الدينَ لنفسه، فلا يصلُحُ لدينكم إلا السخاءُ، وحُسنُ الخلق، ألا فزينوا دينكم بهما**». رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٥٩)، و«الأوسط» (٨٢٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٦٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٢٧): «فيه عمرو بن الحصين العُقيلي، وهو متروك»، وضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٨)، بينما حكم عليه بالوضع الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٥٥١)، و«الضعيفة» (١٢٨٢). [ط]

(٢) **الثواء**: طول المقام.

(١٤٦٣) وقال بعضُ الشعراء:

إذا لم تتسعْ أخلاقُ قومٍ　　تضيقُ بهم فسيحاتُ البلادِ
إذا ما المرءُ لم يُخْلَقْ لبيبًا　　فليس اللبُّ عن قِدَم الولادِ

فإذا حَسُنت أخلاقُ الإنسان كثُر مُصافُوه، وقلَّ مُعادوه، فتسهَّلت عليه الأمورُ الصِّعاب، ولانت له القلوبُ الغِضاب.

(١٤٦٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**حُسْنُ الخُلُق، وحُسْنُ الجوار يُعَمِّرَان الدِّيار، ويَزيدانِ في الأعمار**»[١].

(١٤٦٥) وقال بعضُ الحكماء: «مِن سَعَةِ الأخلاق تثورُ الأرزاق»[٢].

وسبب ذٰلك: ما ذكرناه من كثرة الأصفياء المُسعِدين، وقلةِ الأعداء المُجحِفين.

(١٤٦٦) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّكم إليَّ أحاسنُكم أخلاقًا، الموطَّؤون أكنافًا**[٣]**، الذين يأْلفون ويُؤلفون**»[٤].

وحُسْنُ الخُلُق أن يكون سهلَ العَريكة[٥]، ليِّنَ الجانب، طَلْقَ الوجه، قليلَ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٥٩٩)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٢٩)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٥)، **ووثق رجاله** الإمامان المنذري في «الترغيب» (٣/ ٣٣٦)، والهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٥٣)؛ إلا أنهما **أعلَّاه بالانقطاع** بين عبدالرَّحْمٰن بن القاسم وأمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وعقب على ذٰلك محقق «الشعب» (١٠/ ٣٤٤) بأن الغالب أن نسخة «المسند» التي كانت بأيديهما كان قد سقط منها: «حدثنا القاسم» ـ وهو الواسطة بين أبيه عبدالرَّحْمٰن وعائشة ـ ، وهي ثابتةٌ في النسخة المطبوعة، ثم **صحَّحه**. وكذا **وثَّق رجاله** الحافظ ابن حجر في «الفتح» ـ كما في «فيض القدير» للمُناوي (٤/ ١٩٦) ـ ، وكذا **صحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨١٥)، وفي «صحيح الجامع» (٣٦٦١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) في المطبوعة: كنوز الأرزاق.

(٣) أي: الهيِّنون الليِّنون. [ط]

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٢٢)، و«الصغير» (٦٠٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٦١٦)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ٥٨)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٧٥١)، و«صحيح الجامع» (١٢٣١). [ط]

(٥) **العريكة**: الطبيعة والنفس.

النُّفور، طيبَ الكلمة.

(١٤٦٧) وقد بيَّن رسولُ اللَّه ﷺ هٰذه الأوصافَ؛ فقال: **«أهلُ الجنَّة كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ، سَهْلٍ طَلْقٍ»**[(١)].

ولِما ذكرناهُ من هٰذه الأوصاف حدودٌ مقدَّرة، ومواضعُ مستحقَّة.

(١٤٦٨) كما قال الشاعر:

أصفُو وأكدُر أحيانًا لمُختبري ... وليس مُستحسنًا صفوٌ بلا كَدَر

وليس يريدُ بالكَدَر الذي هو البذاءُ وشراسةُ الخلق؛ فإن ذٰلك ذمٌّ لا يُستحسَن، وعيبٌ لا يُرتَضى، وإنَّما يُريدُ الكفَّ والانقباضَ في موضعٍ يُلامُ فيه المساعِد، ويُذمُّ فيه الموافِق، فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدودٌ مقدَّرة، ومواضعُ مستحقة، فإن تجاوز بها الحدَّ صارت مَلَقًا[(٢)]، وإن عَدل بها عن مواضعها صارت نفاقًا، والمَلَقُ ذُلٌّ، والنفاقُ لؤمٌ، وليس لمن وُسِمَ بهما ودٌّ مبرور، ولا أثرٌ مشكور.

(١٤٦٩) وقد رَوىَ حكيمٌ، عن جابر بن عبدِاللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«شرُّ النَّاس ذو الوَجْهَين؛ الذي يأتي هٰؤلاء بوجهٍ، وهٰؤلاء بوجهٍ»**[(٣)].

(١٤٧٠) ورَوىَ مكحولٌ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لا ينبغي لذي الوَجْهين أن يكون وجيهًا عند اللَّهِ تعالى»**[(٤)].

---

(١) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعب» (٨١٢٤)، والطبراني في «الصغير» (٨٣)، والدَّارَقُطْني في «جزء أبي طاهر» (٩١)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٢٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** محقق «الشعب» (١٠/ ٤٤٤).

وورد الحديث عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: **«حَرُم على النار كلُّ هيِّنٍ لينٍ سهلٍ قريبٍ من الناس»**، **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤١٥)، والترمذي (٢٤٨٨)، وأبو يعلى (٥٠٥٣)، وابن حبان (٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٦٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٠٥)، وقال الإمام الترمذي: **«حسن غريب»**، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني.

وفي الباب عن أبي هريرة، وجابر، وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. **[ط]**

(٢) **المَلَق**: الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، لسان العرب (٦/ ٩١) باب (ملق).

(٣) **صحيح ـ من حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: رواه أحمد (٢/ ٢٤٥)، والبخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦)، وأبو داود (٤٨٧٢). ولم أقف على حديث جابرٍ، واللَّهُ أعلم. **[ط]**

(٤) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٦)، والخرائطي في «مساوئ =

(١٤٧١) وقال سعيدُ بن أبي عَروبة[١]: «لَأَن يكون لي نصفُ وجهٍ ونصفُ لسانٍ ـ على ما فيهما من قُبح المنظر، وعَجْزِ المَخبر ـ أحبُّ إليَّ مِن أن أكون ذا وجهين، وذا لسانين، وذا قولين مختلفين».

(١٤٧٢) وقال الشاعر:

خَلِّ النِّفاقَ لأهلِهِ ... وعليكَ فالتَمس الطَّريقا
وارغَبْ بنفسِكَ أن تُرى ... إلَّا عدوًّا أو صديقا

(١٤٧٣) وقال إبراهيم بن محمد[٢]:

وكم من صديقٍ ودُّه بلسانِهِ ... خَؤونٍ بظهر الغيبِ لا يتذمَّمُ[٣]
يُضاحِكُني عُجْبًا إذا ما لقيتُه ... ويُقذِعُني منهُ إذا غِبتُ أسهمُ[٤]
كذٰلك ذو الوجهين يُرضيك شاهدًا ... وفي غيبِهِ إن غابَ صابٌ وعلقمُ[٥]

= الأخلاق» (٢٩٦)، و«اعتلال القلوب» (٣٩٠)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
وثبت بلفظ آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا**». رواه أحمد (٢/ ٢٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٣)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٤٦)، و«الشعب» (٤٨٨٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٦١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٦٩)، والخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (٢٩١)، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحه» (٣١٩٧). [ط]

(١) في المطبوعة والشرح: عروة، وهو سعيد بن أبي عروبة العدوي، أبو النضر البصري، أحد الأئمة الحفاظ، توفي عام (١٥٦).
ترجمته في: تهذيب الكمال (١١/ ٥)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣).

(٢) إبراهيم بن محمد بن عليٍّ بن عبداللَّه بن عباس، المعروف بإبراهيم الإمام، العباسي، أخو السفاح، توفي عام (١٣٢).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٦/ ١٠٥).

(٣) **لا يتذمم**: لا يحافظ على عهده. [ط]

(٤) **القَذْع**: الخنا والفحش. [ط]

(٥) **الصاب والعلقم**: الحنظل. [ط]

[أسبابُ تغيُّرِ حسنِ الخُلق]:

وربما تغيَّر حُسْنُ الخُلق والوِطاء[١] إلى الشراسة والبذاء، لأسبابٍ عارضة، وأمورٍ طارئة، تجعل اللين خشونةً، والوِطاء غلظةً، والطلاقة عُبُوسًا.

١ ـ فمن أسباب ذٰلك: الولايةُ التي قد تُحدِثُ في الأخلاقِ تغيُّرًا، وعلى الخلطاء تنكُّرًا، إمَّا من لؤم طبع، وإمَّا من ضيق صدر.

(١٤٧٤) وقد قيل: «من تاه في ولايته ذَلَّ في عَزْله».

(١٤٧٥) وقيل: «ذُلُّ العزْل يَضحَكُ من تيهِ الولاية».

٢ ـ ومنها العزلُ؛ فقد يسُوءُ منه الخُلق، ويَضيقُ به الصدر، إمَّا لشدة أسفٍ، أو لقلة صبر.

(١٤٧٦) حكى حُميدٌ الطويل: «أن عمارَ بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عُزل عن ولاية، فاشتدَّ ذٰلك عليه[٢]، وقال: إني وجدتُها حُلوةَ الرَّضاع، مُرَّةَ الفِطام».

٣ ـ ومنها الغِنى، فقد تتغيَّرُ به أخلاقُ اللئيم بَطَرًا، وتسوءُ طرائقُه أشَرًا.

(١٤٧٧) ولذٰلك قيل: «من نَالَ استطال».

(١٤٧٨) وأنشد الرِّياشي[٣]:

غضبانُ يعلمُ أنَّ المالَ ساق لهُ ... ما لم يَسُقهُ لهُ دينٌ ولا خُلُقُ

فمن يكُن عن كرامِ الناسِ يسألُني ... فأكرمُ الناسِ من كانت له وَرِقُ[٤]

(١٤٧٩) وقال بعضُ الشعراء:

لَئِنْ تكنِ الدنيا أنالَتْك ثروةً ... فأصبحتَ ذا يُسرٍ وقد كنتَ ذا عُسْرِ

لقد كشفَ الإثراءُ منكَ خلائقًا ... من اللؤم كانت تحتَ ثوبٍ من الفقرِ

وبحسب ما أفسده الغنى، كذٰلك يُصلحهُ الفقر.

---

(١) الوِطاء: الوفاق والليونة. [ط]

(٢) اللَّهُ أعلم بصحة الأثر، وما كان الصحابة ليحزنوا على الدنيا! [ط]

(٣) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٣٤٩ ـ خبر: ١١٠٤)، والعقد الفريد (٣/ ٢٩).

(٤) الوَرِق ـ بكسر الراء ـ: الفضة. [ط]

(١٤٨٠) كتب قتيبةُ بن مسلم[١] إلى الحَجَّاج أن أهلَ الشام قد التاثوا[٢] عليه، فكتب إليه: «أنِ اقطع عنهم الأرزاق، ففعل، فساءت حالتُهم، فاجتمعوا إليه، فقالوا: أَقِلنا[٣]، فكتب إلى الحجاجُ فيهم، فكتب إليه: إنْ كنتَ آنستَ منهم رُشدًا، فأجْرِ عليهم ما كُنت تُجري».

واعلم أن الفقر جُندُ اللَّه الأكبر، يُذِلُّ به كُلَّ جبَّارٍ عنيدٍ متكبر.

(١٤٨١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لولا أن اللَّهَ تعالى أذلَّ ابنَ آدم بثلاثٍ، ما طأطأ رأسه لشيء: الفقرُ، والمرضُ، والموتُ**»[٤].

٤ ـ ومنها الفقر، فقد يتغير به الخُلُق؛ إمَّا أنفةً من ذُلِّ الاستكانة، أو أسفًا على فائتِ الغنى.

(١٤٨٢) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**كاد الفقر أن يكون كُفرًا، وكاد الحسدُ أن يغلب القَدَر**»[٥].

(١٤٨٣) وقال أبو تمام الطائي:

وأَعجبُ حالاتِ ابنِ آدمَ خُلْقُهُ ... يَضِلُّ إذا فكَّرتَ في كُنهِهِ الفِكْرُ

فيفرحُ بالشَّيء القليلِ بقاؤُهُ ... ويَجزعُ ممَّا صارَ وَهْوُ له ذُخْرُ

وربَّما تسلَّى من هٰذه حاله[٦] بالأماني، وإن قلَّ صدقها.

(١٤٨٤) فقد قيل: «قلَّما تصدقُ الأمنية، ولٰكن قد يُعتاضُ بها سَلْوةٌ مِن هَمٍّ، أو مسرَّةٌ تُرجى».

---

(١) أبو حفص، قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو الباهلي، أمير خراسان، كان شهمًا مقدامًا نجيبًا، افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى، توفي عام (٩٦).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٨٦).

(٢) **التاثوا**: فسدوا عليه. قاله في «الشرح» (ص٤٠٩).

(٣) **أقِلْنا**: سامحنا واغفر لنا. [ط]

(٤) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٥) **ضعيف**: وقد تقدم برقم (١٢٨٨). [ط]

(٦) في المطبوعة والشرح: الحالة.

(١٤٨٥) وقد قال أبو العتاهية:

حرِّك مُناك إذا اغتممت ... فإنَّهن مراوحُ

(١٤٨٦) وقال آخر:

إذا تَمنيتُ بتُّ اللَّيلَ مغتبطًا ... إن المُنَى رأسُ أموالِ المفاليسِ

٥ ـ ومنها الهمومُ التي تُذْهل اللب، وتَشغلُ القلب، فلا تستطيعُ الاحتمال، ولا تَقوى على صبر.

(١٤٨٧) وقد قيل: «الهَمُّ كالسُّمِّ».

(١٤٨٨) وقال بعضُ الأدباء: «الحُزن كالدَّاء المخزون في فؤادِ المحزون».

(١٤٨٩) وقال بعضُ الشعراء:

همومُك بالعيش مقرونةٌ ... فما تقطعُ العيش إلا بِهَمْ
إذا تمَّ أمرٌ بدا نقصُه ... ترقب زوالًا إذا قيل تمْ
إذا كنت في نعمةٍ فارْعها ... فإن المعاصي تزيل النعمْ
وحامِ عليها بشُكرِ الإلٰهِ ... فإن الإلٰهَ سريعُ النقمْ
حلاوةُ دنياكَ مسمومةٌ ... فما تأكلُ الشهدَ إلا بسُمْ
فكم قدَرٍ دَبَّ في مُهلةٍ ... فلم يعلمِ الناسُ حتى هَجَمْ

٦ ـ ومنها الأمراضُ التي يتغيَّرُ بها الطبعُ، كما يتغيَّرُ بها الجسمُ، فلا تبقى الأخلاقُ على اعتدال، ولا يُقدَرُ معها على احتمال.

(١٤٩٠) وقد قال المتنبي:

آلةُ العيشِ صحَّةٌ وشبابٌ ... فإذا ولَّيا عن المرء وَلَّى
وإذا الشَّيخُ قالَ: أُفٍّ؛ فما مَلَّ ... حَياةً ولٰكنَّ الضَّعفَ مَلَّا
وإذا لم تَجِدْ من النَّاس كُفْأً ... ذاتُ خِدْرٍ أرادتِ المَوْتَ بَعْلَا

أبـدًا تـستردُّ مـا تَهَـبُ الدُّنـيا ... فـيا لـيت جـودَها كـان بُخـلَا

٧ ـ ومنها عُلوُّ السِّن، وحدوثُ الهَرَم، لتأثيره في آلةِ الجسد، كذٰلك يكونُ تأثيرُه في أخلاقِ النفس، فكما يَضعُفُ الجسدُ عن احتمالِ ما كان يُطيقُه من الأثقال، فكذٰلك تَعجِزُ النفسُ عن احتمال ما كانت تصبرُ عليه من مخالفةِ الوِفاق، ومَضِيقِ الشِّقاق، وكذٰلك ما ضاهاه.

(١٤٩١) وقال منصور النَّمرِي:

مـا كُـنْتُ أُوفي شـبابي كُـنْهَ عِـزَّتِهِ ... حتَّـى مـضَى فـإذا الدُّنـيا لـه تَـبَعُ

أصـبحتِ لـم تَطْعَمِـي ثُكلَ الشباب ولم ... تَـشْجَي لغـصته فالعـذرُ لا يقـعُ

مـا كـان أقـصرَ أيـامَ الـشباب ومـا ... أبقـى حـلاوةَ ذِكـراهُ التـي تَـدَعُ!

مـا واجَـهَ الـشيبَ مِـن عـينٍ وإن رمقتْ ... إلا لهـا نَـبوةٌ عـنهُ ومـرتدَعُ

قد كدتَ تقضي على فَوْتِ الشَّبابِ أسًى ... لـولا يُعـزِّيكَ أن العمـرَ مـنقطعُ

فهٰذه سبعةُ أسباب، أحدثت سوءَ خُلقٍ عامًّا، وهاهنا سببٌ خاص يُحدث سوءَ خلقٍ خاص، وهو:

٨ ـ البغضُ الذي تنفرُ منه النفس، فتُحدِثُ نفورًا على المبغوض، فيؤولُ إلى سُوءِ خُلقٍ يَخُصُّه دون غيره، فإذا كان سوءُ الخلق حادثًا بسبب، كان زواله مقرونًا بزوال ذٰلك السبب، ثم بالضدِّ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

في الحيــاء

اعلمْ أنَّ الخيرَ والشرَّ مَعَانٍ كامنةٌ، تُعرفُ بسماتٍ دالة.

(١٤٩٢) كما قالت العرب في أمثالها: «يُخبِرُ عن مجهولِه مِرآتُه».

(١٤٩٣) وكما قال سَلْم بن عمرو الشاعر[(١)]:

لا تــسألِ المــرءَ عــن خلائقِــهِ في وجهــه شــاهدٌ مــن الخَبَــرِ

فسِمةُ الخير: الدَّعةُ والحياء، وسمةُ الشر: القِحَة[(٢)] والبَذَاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلًا، وكفى بالقِحَةِ والبذاء شرًّا أن يكونا إلى الشر سبيلًا.

(١٤٩٤) وقد رَوَى حسانُ بن عطية، عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«الحَياءُ والعِيُّ شُعْبتانِ من الإيمانِ، والبَذاءُ والبيانُ شُعْبتانِ من النِّفاق»**[(٣)].

ويشبهُ أن يكون «العِيُّ» في معنى الصمت، و«البيانُ» في معنى التشدق.

(١٤٩٥) كما جاء في الحديثِ الآخر: **«إن أبغضَكم إليَّ الثرثارون المُتَفَيْهِقون المُتشدِّقُون[(٤)]»**[(٥)].

---

(١) سلم بن عمرو بن حمَّاد بن عطاء بن ياسر، مولى أبي بكر الصديق، كان شاعرًا مكثرًا مطبوعًا سريًّا عالمًا بأشعار العرب، توفي عام (١٨٠).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٠٢)، الأغاني (٢١/ ١١٠).

(٢) **القِحَة**: قلة الحياء. لسان العرب (٦/ ٤٧١) باب (وقح).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٩)، والترمذي (٢٠٢٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٤٤)، وفي «الإيمان» (١١٨)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٧٤)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٠٥٩)، والطحاوي (٢٩٨٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٤٩)، والحاكم (١/ ٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٠٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٩٤)، **وحسَّنه** الإمام الترمذي، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط دون قوله: «**والبذاء والبيان...**» إلخ. [ط]

(٤) **الثرثارون**: كثيرو الكلام بلا فائدة. **المتفيهقون**: المتكبرون. **المتشدقون**: متصنعو البلاغة. [ط]

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥١٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» =

(١٤٩٦) ورَوى أبو سَلَمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الحَياءُ من الإيمان، والإيمانُ في الجنَّةِ، والبذَاءُ من الجَفاء، والجفاءُ في النَّارِ**»[1].

(١٤٩٧) وقال بعضُ الحكماء: «مَنْ كساه الحياءُ ثوبَه، لم يَرَ الناسُ عيبَه».

(١٤٩٨) وقال بعضُ البلغاء: «حياةُ الوجه بحيائه، كما أن حياةَ الغَرْس بمائه».

(١٤٩٩) وقال بعضُ الأدباء العلماء: «يا عجبًا! كيف لا تَستحيي من كثرةِ ما لا تستحيي، وتتَّقي من طول ما لا تتقي؟!».

(١٥٠٠) وقال صالح بن عبدِالقدوس[2]:

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤهُ ... ولا خيرَ في وَجْهٍ إذا قلَّ ماؤهُ

حياءَك فاحفظْه عليك وإنَّما ... يَدُلُّ على فعل الكريم حياؤهُ

وليس لمن سُلِب الحياءَ صادٌّ عن قبيح، ولا زاجرٌ عن محظور، فهو يُقدِمُ على ما يشاء، ويأتي ما يَهوَى، وبذلك جاء الخبر:

(١٥٠١) رَوى شُعْبة، عن منصور، عن رِبعيٍّ، عن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ ممَّا أدرك النَّاسَ من كلام النبوَّة الأولى: يا ابنَ آدم، إذا لم تستحْي فاصْنَعْ ماشئتَ**»[3].

= (ص٥)، وابن حبان (٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٥٨٨)، وفي «الشاميين» (٣٤٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٤٦١٦) عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وحسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وفي الباب عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٠١٨)، والخطيب في «التاريخ» (٥/ ١٠١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٩)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [**ط**]

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٣)، والترمذي (٢٠٠٩)، وابن حبان (٦٠٨)، والحاكم (١/ ٥٢)، وابن وهب في «الجامع» (ص٧٣)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وسكت عليه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [**ط**]

(٢) الأبيات في روضة العقلاء (١/ ٢٥٩) منسوبة إلى محمد بن عبد اللَّه البغدادي، وفي لباب الآداب (ص٢٨٥) غير منسوبة.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٢١)، والبخاري (٣٤٨٤)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه =

وليس هٰذا القولُ إغراءً منه بفعل المعاصي عند قلةِ الحياء؛ كما توهَّمه بعضُ من جَهِل معاني الكلام، ومواضعات الخطاب!!.

(١٥٠٢) وفي مثل هٰذا الخبر قولُ الشاعر(١):

إذا لم تَخْشَ عاقبةَ الليالي ... ولم تستحْيِ فاصنعْ ما تشاءُ

فلا واللَّهِ ما في العيش خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى العُودُ ما بقي اللِّحاءُ

واختلف أهلُ العلم في معنى هٰذا الخبر:

(١٥٠٣) فقال أبو بكر محمد الشَّاشي(٢) ـ في أصول الفقه ـ: «معنى هٰذا الحديث: أن مَن لم يستحْي دعاه تركُ الحياء إلى أن يعملَ ما يشاءُ، لا يَردعُه عنه رادعٌ، فلْيستحي المرءُ، فإن الحياء يردعه».

(١٥٠٤) وسمعتُ من يحكي عن أبي بكر الرازي(٣) ـ من أصحاب أبي حنيفة ـ أن المعنى فيه: «إذا عُرضت عليك أفعالُك التي هَمَمْتَ بفعلها، فلم تستحي منها ـ لحُسنها وجمالها ـ، فاصنع ما شئت منها».

فجعل الحياءَ حَكَمًا على أفعاله، وكِلا القولين حسنٌ، والأول أشبهُ؛ لأنَّ الكلام خَرج من النبي ﷺ مخرج الذَّمِّ؛ لا مخرج الأمر، لٰكن قد جاء الحديثُ بما يضاهي القولَ الثاني:

(١٥٠٥) وهو قوله ﷺ: **«ما أحببتَ أن تَسمعَه أذناك فأتِه، وما كرهتَ أن تسمعه**

= (٤١٨٣). وليس في الحديث قوله: «يا ابن آدم». [ط]

(١) الأبيات في روضة العقلاء (١/ ٢٦٢) منسوبة لرجل من خزاعة، وفي بهجة المجالس (باب الحياء) منسوبة لحبيب بن أوس، وفي لباب الآداب (ص٢٨٤) غير منسوبة.

(٢) أبو بكر، محمد بن عليٍّ بن إسماعيل، القفال الشاشي، من كبار الفقهاء الشافعية فيما وراء النهر، توفي سنة (٣٦٦).
ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٠٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٨).

(٣) أبو بكر، أحمد بن عليٍّ الرازي الحنفي، المعروف بالجصاص، فقيه مجتهد، توفي عام (٣٧٠).
ترجمته في: الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤١)، معجم المؤلفين (١/ ٢٠٢).

أذناك فاجتنبه»[1].

ويجوزُ أن يُحمَلَ هٰذا الحديثُ على المعنى الصريح فيه، ويكونُ التأويلُ الأول في الحديث المتقدِّمِ أصح، إذ ليس يلزمُ أن تكون أحاديثُ رسول اللَّه ﷺ كُلُّها متفقةَ المعاني؛ بل اختلافُ معانيها أدخلُ في الحكمة، وأبلغُ في الفصاحة، إذا لم يضادَّ بعضُها بعضًا.

[أقسام الحياء]:

واعلم أن الحياءَ قد يكون في الإنسان من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من اللَّه تعالى.

والثاني: حياؤه من الناس.

والثالث: حياؤه من نفسه.

١ ـ **فأمّا حياؤه من اللَّه تعالى:** فيكون بامتثالِ أوامره، والكفِّ عن زواجِره.

(١٥٠٦) رَوى ابن مسعودٍ رَضِوَاللَّهُعَنهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**اسْتَحْيُوا من اللَّهِ عَجَّلَ حَقَّ الحَياء**»، فقيل: يا رسول اللَّه، كيف نستحيي من اللَّهِ عَجَّلَ حق الحياء؟ قال: «**مَنْ حَفِظ الرأس وما حَوَى، والبطنَ وما وَعَى، وتَرك زينةَ الحياة الدنيا، وذَكَر الموتَ والبِلَى، فقد استحيا من اللَّه عَجَّلَ حقَّ الحياء**»[2].

---

(١) **لم أجده بِهٰذا اللفظ**: ويغني عنه ما ثبت عن حَرملة العنبريِّ رَضِوَاللَّهُعَنهُ قال: أتيتُ رسول اللَّه ﷺ، فقلت: يا رسول اللَّه، أوصني. قال: «**اتق اللَّـهَ، وإذا كنت في مجلس فقمتَ منه فسمعتَهم يقولون ما يُعجبُك فأته، وإذا سمعتهم يقولون ما تكره فاتركه**»، **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٠٥)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ١٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٥٠)، والطيالسي (١٢٠٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٧٦)، **وصحَّحه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٣)، والترمذي (٢٤٥٨)، وأبو يعلى (٥٠٤٧)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٣٠)، و«الآداب» (١٠١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٩٠)، و«الصغير» (٤٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٩)، وقال الإمام الترمذي: «**غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، ووقع تحريف في اسم «الصباح بن محمد» في مطبوع «المستدرك» إلى «الصباح بن محارب» ـ كما في «تحقيق المسند» (٦/ ١٨٨) ـ، وقال الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣٩٩٩، ٥٠٥٦): «وقد قيل: =

وهٰذا الحديث من أبلغ الوصايا.

وقال أبو الحسن الماوردي ـ مصنفُ الكتاب ـ : رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ في المنام ذات ليلة، فقلت: يا رسول اللَّه، أوصِني، فقال: «استحْيِ من اللَّه ﷻ حق الحياء»، ثم قال: «تغيَّر الناس»، قلت: وكيف ذٰلك ـ يا رسول اللَّه ـ ؟ قال: «كنتُ أنظرُ إلى الصبي فأرى في وجهه البِشرَ والحياء، وأنا أنظر إليه اليوم فلا أرى ذٰلك في وجهه».

ثم تكلَّم بعد ذٰلك بوصايا وعظاتٍ تصورتُها، وأذهلني السُّرور عن حِفظِها، ووددتُ لو أني حفظتها، فلم يبدأ بشيءٍ ﷺ قبل الوصية إلَّا بالحياء من اللَّه ﷻ، وجَعل ما سُلِبه الصبيُّ من البشر والحياء سببًا لتغيُّر الناس، وخَصَّ الصبيَّ لأنَّ ما يأتيه بالطبع، من غير تكلُّف.

فصلَّى اللَّه وسلم على مَن هَدى أمَّته، وتابع إنذارَها، وقَطع أعذارها، وواصَل تأديبَها، وحفظ تهذيبَها، وجَعل لكل عصر حظًّا من زواجره، ونصيبًا من أوامره، أعان اللَّه على قبولها بالعمل، وعلى استدامتِها بالتوفيق.

(١٥٠٧) وقد رُوي أن علقمةَ بن عُلاثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول اللَّه، عِظني، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«استحْيِ من اللَّهِ تعالى استحياءَك من ذَوِي الهيئةِ من قومك»**[(١)].

= إن الصباح إنما رفع هذا الحديث وهمًا منه، وضُعِّف برفعه، وصوابه موقوف، واللَّهُ أعلم»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(١) **صحيح**: ولم أقف على حديث علقمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي وقفت عليه رواية معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البزار (١٩٧٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٢٥)، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ بعثه إلى قوم فقال: يا رسول اللَّه، أوصني، قال: **«أفشِ السلام، وابذُلِ الطعام، واستحِ من اللَّهِ استحياءَ رجلٍ ذي هيبةٍ من أهلك، وإذا أسأت فأحسِن، ولْتُحسِّنْ خُلُقَك ما استطعت»**، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٥٢): «فيه ابن لهيعة، وفيه لين، وبقية رجاله ثقات»، **وضعَّفه** محقق «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٨٢٧)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٥٥٩).

وثبت عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: **«أُوصيكَ بتقوى اللَّه، وأن تستحي من اللَّه كما تستحي رجلًا صالحًا من قومك»**. **صحيح**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٣٤٣)، وأبو عبدالرَّحْمٰن السلمي في «آداب الصحبة» (٢٥)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٣٢٦١)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤١)، وفي =

وهٰذا النوع من الحياء يكونُ من قوة الدِّين، وصحةِ اليقين.

(١٥٠٨) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**قلَّةُ الحياء كفرٌ**»[١].

يعني [قلةَ الحياءِ] من اللَّه تعالى، لِمَا فيه من مخالفة أوامره.

(١٥٠٩) وقال النبي ﷺ: «**الحياءُ نظامُ الإيمان**[٢]**، فإذا انحلَّ نظامُ الشيء، تبدَّدَ ما فيه وتفرَّق**»[٣].

٢ ـ وأمَّا حياؤه من الناس: فيكون بكفِّ الأذى، وتركِ المُجاهَرةِ بالقبيح.

(١٥١٠) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِنْ تقوى اللَّهِ اتقاءُ الناس**»[٤].

(١٥١١) ورُوي أن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى الجُمعة، فوجد النَّاس قد انصرفوا[٥]، فتنكَّب الطريقَ عن الناس[٦]، وقال: «لا خيرَ فيمن لا يستحيي من الناس».

(١٥١٢) وقال بشَّارُ بن بُرد:

ولقد أصرفُ الفؤادَ عن الشيءِ   حياءً وحُبُّه في السَّوادِ

= «الصحيحة» (٧٤١). [ط]

(١) **ضعيف**: أخرجه الحكيم الترمذي، والشيرازي في «الألقاب» عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في «كنزالعمال» (٥٧٩٠)، وأورده الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» (٩/ ٢٣٦)، من كلام سعيد بن المسيب، وقال: «وبعضهم يرفعه»، ورواه **مرسلًا** عن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ: ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٣)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٨٤)، وهناد في «الزهد» (١٣٥٢)، وأورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/ ١٨٤) من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبين أنه من أكاذيب أحمد بن سليمان الأرمني. [ط]

(٢) **النظام**: العِقد الذي يعلَّق في الأعناق. [ط]

(٣) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ أعلم. ويغني عن معناه ما ثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الحياءَ والإيمانَ قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر**»، **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ٧٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ٢٩٧)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠٣). [ط]

(٤) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٥) إن صحَّ هٰذا عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيكون قد تأخر عن الجُمعة لعذرٍ. [ط]

(٦) أي: أخذ يتخفى منهم وهو راجعٌ إلى بيته. [ط]

أُمسِكُ النفسَ بالعفافِ وأُمسي ذاكرًا في غَدٍ حديثَ الأعادي

وهٰذا النوعُ من الحياءِ قد يكون من كمال المروءة، وحب الثناء.

(١٥١٣) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**مَن ألقى جلبابَ الحياءِ فلا غِيبةَ له**»[١].

يعني ـ واللَّه أعلم ـ: لقلَّةِ مروءتِه، وظهور شهوته.

(١٥١٤) وَرَوى الحسنُ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنَّ من مروءةِ الرجل: مَمْشاه، ومُدْخَلُه، ومُخْرجُه، ومَجْلِسُه، وإلفُه، وجليسُه**»[٢].

(١٥١٥) وقال بعضُ الشعراء[٣]:

وَرُبَّ قبيحةٍ ما حال بيني وبين رُكوبِها إلَّا الحياءُ

إذا رُزِقَ الفتى وجهًا وَقاحًا تقلَّب في الأمورِ كما يشاءُ

(١٥١٦) وقال آخر[٤]:

إذا لم تصُنْ عِرضًا ولم تَخْشَ خالقًا وتستحي مخلوقًا فما شئت فَاصْنَعْ

٣ ـ وأمَّا حياؤه من نفسه: فيكُون بالعفةِ، وصيانةِ الخلوات.

(١٥١٧) وقال بعضُ الحكماء: «ليكُنِ استحياؤُك من نفسك أكثرَ من استحيائِك من غيرك».

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٣/ ١٥٧)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢١٠)، و«الشعب» (٩٢١٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢٦)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٠٢)، وابن جُميع الصيداوي في «معجم شيوخه» (١/ ٢٨٦)، والخطيب في «التاريخ» (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٢٩٦)، **وضعَّفه** الإمام البيهقي، والحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٧٣)، والفتني في «تذكرة الموضوعات» (١٩٦)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٨٥)، و«ضعيف الجامع» (٥٤٨٣). [ط]

(٢) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) الأبيات في روضة العقلاء (١/ ٢٦٥)، ولباب الآداب (ص٢٨٦) غير منسوبة.

(٤) البيت في روضة العقلاء (١/ ٢٦٨)، والأمالي للشجري (٢/ ١٩٧) منسوبة لعبدالعزيز بن سليمان الأبرش.

(١٥١٨) وقال بعضُ الأُدباء:« من عمل في السرِّ عملًا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسِه عنده قدْرٌ».

(١٥١٩) ودعا قومٌ رجلًا كان يألَفُ عِشرتَهم، فلم يُجبهم، وقال: «إني دخلتُ البارحةَ في الأربعين، وأنا أستحيي من سِنِّي».

(١٥٢٠) وقال بعض الشعراء:

فسِرِّي كإعلاني وتلك خليقتي ... وظُلمةُ ليلي مثلُ ضوءِ نهاريا

وهٰذا النوعُ من الحياء قد يكونُ مِن فضيلة النفس، وحُسنِ السريرة، فمتى كمُل حياءُ الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كمُلت فيه أسبابُ الخير، وانتفت عنه أسبابُ الشر، وصار بالفضل مشهورًا، وبالجميل مذكُورًا.

(١٥٢١) وقال بعضُ الشعراء:

وإني لَيَثْنيني عن الجهلِ والخَنا ... وعن شَتمِ ذي القربى خلائقُ أربعُ

حياءٌ وإسلامٌ وتقوى وأنَّني ... كريمٌ ومثلي من يضرُّ وينفعُ

وإن أخلَّ بأحدِ وجوه الحياءِ، لحقه من النقصِ بإخلالهِ بقَدْر ما كان يلحقُه من الفضل بكماله.

(١٥٢٢) وقد قال الرِّياشي: يُقال أنَّ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتمثل بِهٰذا الشعر:

وحاجةٍ دون أخرى قد سَنَحتُ لها ... جعلتُها للتي أخفيتُ عنوانا

وإنني لأرى مَنْ لا حياءَ له ... ولا أمانةَ وسَطَ القوم عُريانا

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع

في الحِلمِ والغضب

(١٥٢٣) رَوى محمدُ بن حارث الهلالي[١]: «أنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل على النبي ﷺ فقال: «يا محمد، إني أتيتُك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]»[٢].

(١٥٢٤) وَرَوىَ سُفيان بـن عُيينـة أنَّ النبي ﷺ حين نزلت هٰذه الآية: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾، قال: «يا جبريل، ما هٰذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالِمَ. ثم عاد جبريل، وقال: يا محمد، إنَّ ربك يأمُرُك أنْ تَصِلَ من قطعكَ، وتعطيَ من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»[٣].

(١٥٢٥) ورَوَى هشام، عن الحسن أنَّ النبي ﷺ قال: «أيعجِزُ أحَدُكم أن يكون كأبي ضَمْضَم؟ كان إذا خَرج مـن منزلـه قال: اللَّهُم إني تصـدَّقتُ بعِرضي على عبادك»[٤].

(١٥٢٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اللَّهَ يُحبُّ الحليمَ الحييَّ، ويُبغِضُ

---

(١) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٢) **لا أعلم له أصلًا**، والعلم عند اللَّهِ تعالى. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٧٠٧). [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه الطبري في «التفسير» (١٠/ ٦٤٣)، وعبدالرزاق (١/ ٢٤٦)، ورواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٥) عن أُمَيِّ الصيرفي ـ كذا ـ ، وذكره القاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٩٨)، **وأقلُّ أحواله الانقطاع والإرسال**، وبِهٰذا حكم عليه محقق «الشفا» [ط]

(٤) **ضعيف**: رواه أبو داود (٤٨٨٧)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٩٣)، والخطيب في «الموضِّح» (١/ ٢٧)، من رواية عبداللَّه بـن عجلان مرسلًا، **وضعَّفه** الشيـخ الألباني، والشيـخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

ورواه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٧٢٧)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٩٣)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٥٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام العُقيلي، **وأقرَّه** الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٩٧)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/ ٢١٩)، وكذا **ضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٢٠)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقق «سنن أبي داود» (٧/ ٢٤٩)، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٨٥). [ط]

الفاحشَ البذيء»[١].

(١٥٢٧) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من حَلُمَ ساد، ومن تفهم ازداد»[٢].

(١٥٢٨) وقال بعض الأدباء: «مَن غَرس شجرةَ الحِلم، اجتنى ثمرةَ السِّلْم».

(١٥٢٩) وقال بعضُ البلغاء: «ما ذبَّ عن الأعراضِ كالصَّفح والإعراض».

(١٥٣٠) وقال بعضُ الشعراء:

أُحبُّ مكارمَ الأخلاق جُهدِي ... وأكره أن أَعيب وأن أُعابا

وأصفحُ عن سِباب النَّاس حِلمًا ... وشرُ النَّاس مَن يَهوَى السِّبابا

ومن هاب الرِّجال تَهيَّبوه ... وَمَن حَقَر الرجال فلن يُهابا

فالحلمُ من أشرفِ الأخلاقِ، وأحقِّها بذوي الألباب، لِما فيه من سلامَة العِرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد.

(١٥٣١) قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أوَّلُ ما يُعوَّضُ الحليمُ عن حِلمِه: أنَّ النَّاس أنصارُه»[٣].

وحدُّ الحلم: ضَبْطُ النفسِ عند هيجان الغَضب، وهٰذا يكون لباعثٍ وسبب.

[أسبابُ الحِلم]:

وأسبابُ الحلم الباعثة على ضبطِ النفس عشرة:

*** أحدُها: الرحمةُ للجُهال:**

وذٰلك من خيرٍ يوافق رِقةً.

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٦) و(٢٢/ ٤١٣)، في حديثٍ فيه طولٌ عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن اللهَ يُحبُّ الحييَّ الحليمَ العفيف المتعفف، ويُبغِضَ الفاحشَ البذي اللسان المُلحِف**»، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٧٠): «فيه سوار بن مصعب، وهو متروك»، وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٣٨٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٤٤)، **ولا أعلم درجة صحته**، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) العبارة في البيان والتبيين (٤/ ٩٣) منسوبة لعبدالملك بن صالح، وفي العقد الفريد (٢/ ٢٨٣) منسوبة لعليٍّ بن أبي طالب، وفي عيون الأخبار (١٤٧١) غير منسوبة.

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٠٨ ـ خبر: ١٤٩٥).

(١٥٣٢) وقد قيل في منثور الحكم: «مِن أوكَدِ أسباب الحلم رحمةُ الجهال».

(١٥٣٣) وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل أسمَعهُ كلامًا: «يا هٰذا، لا تُغرِقَنَّ في سبِّنا، ودَع للصُّلح موضعًا، فإنَّا لا نكافئُ مَن عصى اللَّهَ فينا، بأكثرَ من أن نُطيعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فيه»[١].

(١٥٣٤) وشتم رَجُلٌ الشعبي، فقال: «إن كُنْتُ كما قلتَ فغَفر اللَّهُ لي، وإن لم أكنْ كما قلت، فغفر اللَّهُ لك».

(١٥٣٥) واغتاظت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على خَادم لها، ثم رجعت إلى نفسِها، فقالت: «للَّه دَرُّ التقوى، ما تركت لِذي غيظٍ شفاءً[٢]»[٣].

(١٥٣٦) وقسَّم مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُطُفًا، فأعطى شيخًا من أهل دمشق قطيفةً فلم تعجبه، فحَلف أن يضربَ بها رأسَ معاوية، فأتاه فأخبره، فقال له معاوية: «أَوْفِ بنذرك، ولْيَرفُقِ الشيخُ بالشيخ».

*** والثاني من أسبابه: القُدرةُ على الانتصار:**

وذٰلك من سَعَة الصدر، وحُسن الثقة.

(١٥٣٧) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قدَرتَ على عَدُوِّك، فاجعل العفوَ عنه شكرًا للقُدرةِ عليه**»[٤].

(١٥٣٨) وقال بعضُ الحكماء: «ليس منَ الكرم عُقوبةُ مَن لا يَجِدُ امتناعًا من السطوة[٥]».

(١٥٣٩) وقال بعضُ البلغاء: «أَحسنُ المكارم عفوُ المقتدِر، وجُود المفتقِر».

*** والثالث من أسبابه: الترفُّعُ عن السِّباب:**

وذٰلك من شرف النفس، وعُلوِّ الهِمة.

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٠٩ ـ خبر: ١٤٩٨)، والتذكرة الحمدونية (١/ ١٤٠) منسوبة إلى أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أي: ما تركت له فرصةً ليشفي غليله وحقده. [ط]
(٣) العبارة في التذكرة الحمدونية (١/ ١٤٥) خبر (٣٠٩).
(٤) **لا أعلم له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
(٥) أي: ليس من الكرم عقوبةُ الضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه. [ط]

(١٥٤٠) كما قالت الحكماء: «شَرفُ النفس أن تَحمِلَ المكاره، كما تَحمِلَ المكارم».

(١٥٤١) وقد قيل: «إن اللَّه تعالى سَمَّى يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ «سيِّدًا» لحِلمِه».

(١٥٤٢) وقد قال الشاعر[١]:

لا يبلُغَ المجدَ أقوامٌ وإن كرُموا ... حتى يَذِلُّوا ـ وإن عزُّوا ـ لأقوامِ

ويُشْتَمُوا فترى الألوان مُسْفرةً ... لا صَفْحَ ذُلٍّ ولٰكن صَفحَ أحلامِ

*** والرابع من أسبابه: الاستهانة بالسَّاب[٢]:**

وذٰلك عن ضَربٍ من الكبر والإعجاب.

(١٥٤٣) كما حُكي عن مُصْعب بن الزبير: أنه لما وَلِيَ العراق، جلس يومًا لعطاء الجند، وأمر مناديَه فنادى: «أين عمرو بن جُرموز ـ وهو الذي قتل أباه الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ؟ فقيل له: أيّها الأمير، إنه قد تباعَد في الأرض، فقال: أوَ يَظنُّ الجاهل أني أُقِيدهُ[٣] بأبي عبدِاللَّه؟! فلْيَظهَرْ آمِنًا، وليأخُذ عطاءهُ موفَّرًا».

فعدَّ الناس ذٰلك من مُستحسن الكبر.

(١٥٤٤) ومثل ذٰلك قولُ بعض الزعماء في شعرِهِ:

أو كُلَّما طَنَّ الذُّبابُ طردتُه! ... إن الذُّباب إذَنْ عليَّ كريمُ

(١٥٤٥) وأكثَرَ رجلٌ من سَبِّ الأحنف، وهو لا يُجيبه، فقال[٤]: «واللَّهِ ما منعهُ من جوابي إلَّا هواني عليه»[٥].

(١٥٤٦) وفي مثله يقولُ الشاعر:

نجا بك لؤمُك مَنْجَى الذُّبابِ ... حَمَتْه مقاذيرُه أن يُنالا

---

(١) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٤١٢ ـ خبر: ١٥١٦) غير منسوبة.

(٢) في المطبوعة والشرح: بالمسيء.

(٣) أي: أقتله به، من القَوَد، وهو القِصاص. [ط]

(٤) أي: السابُّ. [ط]

(٥) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٠٦ ـ خبر: ١٤٧٧).

(١٥٤٧) وأسمعَ رجلٌ ابنَ هبيرة، فأعرض عنهُ، فقال له الرجل: «إياكَ أَعني، فقال له: وعنك أُعرِض».

(١٥٤٨) وفي مثله يقول الشاعر:

فاذهب فأنت طليقُ عِرْضك إنه ... عِـرْضٌ عَـزَزْتَ بـه وأنت ذليلُ

(١٥٤٩) وقال عُمر بن عليٍّ:

إذا نطــق الــسفيهُ فــلا تُجـبْهُ ... فخيـرٌ مـن إجابـته الـسكوتُ

سـكَتُّ عـن السفيه فظن أني ... عَييتُ عن الجواب وما عييتُ

*** والخامس مِن أسبابِهِ: الاستحياءُ مِن خَنا[1] الجواب:**

وهٰذا يكون من صيانةِ النفس، وكمالِ المروءة.

(١٥٥٠) وقد قال بعضُ الحكماء: «احتمالُ السفيهِ أيسرُ من التحلِّي بصورته، والإغضاءُ عن الجاهل خيرٌ من مُشاكَلته».

(١٥٥١) وقال بعض الأدباء: «ما أفحش حَليمٌ، ولا أوحش كَريمٌ».

(١٥٥٢) وقال لَقيط بن زُرارة[2]:

وقُـل لبنـي سعدٍ فما لي وما لكُم ... تُـرِقُّون منِّـي ما استطعت وأُعْتِقُ

أغـــرَّكُم أني بأحـــسنِ شـــيمةٍ ... بـصيرٌ وأني بالفـواحش أخـرقُ

وإن تـكُ قـد سـاببتَني فقهرتَنـي ... هنيـئًا مريئًا أنت بالفُحشِ أحذقُ

*** والسَّادس مِنْ أسبابه: التفضُّلُ على السَّاب:**

وهٰذا يكون من الكَرمِ، وحُب التألف.

(١٥٥٣) كما قيل للإسكندر: «إن فلانًا وفلانًا يَنقُصانِك ويَثلُبانِـك[3]، فلو

---

(١) في المطبوعة والشرح: جزاء.
قلت: والخَنا: الفحش. [ط]

(٢) لم أجده، والله أعلم.

(٣) الثَّلْب: العيب. [ط]

عاقبتهما، فقال: هُما بعدَ العقوبةِ أعذرُ في تَنقُّصي وثَلْبي».
فكان هٰذا تفضُّلا منه وتألُّفًا.

(١٥٥٤) وقد حُكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: «ما عاداني أحدٌ قطُّ، إلَّا أخذتُ في أمره بإحدى ثلاث خصالٍ: إن كان أعلى مني عَرفتُ لهُ قَدْرَه، وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه، وإن كان نظيري تفضَّلتُ عليه».

(١٥٥٥) فأخذه الخليل فنظمه شعرًا فقال[1]:

سأُلزِمُ نفسي الصفحَ عَنْ كُل مذنبٍ ... وإن كثُرت منهُ إليَّ الجرائمُ
فما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ ... شَريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوِمُ[2]
فأمَّا الذي فوقي فأعرِفُ قَدْرَهُ ... وأتْبَعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأمَّا الذي هو دوني فأَحلُم دائبًا ... أصونُ به عِرضي وإن لام لائمُ
وأمَّا الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضَّلتُ إن الفضل بالفخرِ حاكمُ

*** والسابعُ مِنْ أسبابه: استكفاف السَّاب، وقطع السِّباب:**

وهٰذا يكون من الحزم.

(١٥٥٦) كما حُكي أن رجلًا قال لضِرار بن القعقاع[3]: «واللَّهِ لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا، فقال له ضرار: واللَّهِ لو قلتَ عشرًا لم تَسمع واحدةً».

(١٥٥٧) وحُكي أن عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لعامر بن مُرَّةَ الزُّهري[4]: «من أحمقُ الناس؟ قال: مَن ظنَّ أنه أعقلُ الناس، قال: صدقتَ، فمن أعقلُ الناس؟ قال: مَن لم يتجاوزِ الصمتَ في عقوبةِ الجهال[5]».

---

(١) الأبيات في ديوان المعاني (١/ ١٣٤)، منسوبة للخليل، وفي روضة العقلاء (٥٤١) منسوبة إلى منصور بن محمد الكُريزي.
(٢) مقاوِم: مساوٍ. [ط]
(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.
(٤) لم أجده، واللَّه أعلم.
(٥) هٰذا الكلامُ ليس على إطلاقه، وسوف تأتي قريبًا كلماتٌ قيمةٌ للشيخ مصطفى العدوي. [ط]

(١٥٥٨) وقال الشَّعبي: «ما أدركتُ أمي فأَبرَّها، ولٰكنْ لا أسُبُّ أحدًا فيَسُبَّها[١]».

(١٥٥٩) وقال بعضُ الحكماء: «في إعراضِك صونُ أَعراضك».

(١٥٦٠) وقال بعضُ الشعراء:

وفي الحلم رَدْعٌ للسفيهِ عن الأذى ... وفي الخُـرْقِ إغـراءٌ فلا تكُ أخْرقَا

فتـندمَ إذ لا تنفعـنَّك ندامـةٌ ... كمـا نَـدِمَ المغـبون لمَّـا تفـرَّقَا

(١٥٦١) وقال آخَر[٢]:

قُـلْ مـا بـدا لـكَ مِـنْ زُورٍ ومِنْ كذبٍ ... حِلْمِـي أصـمٌّ وأُذني غَيـرُ صـمَّاءِ

* **والثامن مِن أسبابه: الخوفُ من العقوبةِ على الجواب:**

وهٰذا يكون من ضَعف النفس، ورُبما أَوجبه الرأي، واقتضاه الحزم.

(١٥٦٢) وقد قيل في منثور الحكم: «الحِلمُ حجابُ الآفات».

(١٥٦٣) وقال الشاعر:

ارفُـقْ إذا خِفـت مـن ذي هَفـوة خُرُقًا ... لـيس الحلـيم كمـن في أمـره خُـرُق

والتاسعُ مِن أسبابه: الرعايةُ ليدٍ سالِفة، وحُرمةٍ لازِمة:

وهٰذا يكونُ من الوفاء، وحُسن العَهدِ.

(١٥٦٤) وقد قيل في منثور الحكم: «أكرمُ الشيم أرعاها للذمم».

(١٥٦٥) وقال الشاعرُ:

إن الـوفاءَ على الكـريم فريـضةٌ ... واللـؤمُ مقـرونٌ بـذِي الإخـلافِ

---

(١) وقد ثبت عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِن أكبر الذنب أن يسُبَّ الرجلُ والديه**» قالوا: وكيف يسُبُّ الرجلُ والديه؟ قال: «**يسُبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسُبُّ أمَّه، فيَسُبُّ أمه**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٩٥)، والبخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠)، وأبو داود (٥١٤١)، والترمذي (١٩٠٢). [ط]

(٢) البيت في عيون الأخبار (١/ ٤٠٨ ـ خبر: ١٤٨٦).

وتـرى الكريم لِمَن يُعاشِرُ مُنصِفًا وتـرى اللئـيمَ مُجانِـبَ الإنصافِ

والعاشرُ مِن أسبابه: المكرُ، وتوقُّعُ الفُرَص الخفيَّة:

وهٰذا يكونُ من الدَّهاء.

(١٥٦٦) وقد قيل في منثور الحكم: «مَن ظهر غضبُه قلَّ كَيدُه».

(١٥٦٧) وقال بعضُ الأدباء: «غضبُ الجاهل في قولِه، وغضبُ العاقل في فعله».

(١٥٦٨) وقال بعضُ الحكماء: «إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعتَهُ جَوابًا، وأوجعته عقابًا».

(١٥٦٩) وقال إياسُ بن قتادة[(١)][(٢)]:

تُعاقِـبُ أيديـنا ويَحلُـمُ رأيُـنَا ونـشتُمُ بالأفعـالِ لا بالـتكلُّمِ

(١٥٧٠) وقال بعض الشعراء[(٣)]:

ولَلْكَـفُّ عـن شـتم اللئيم تكرمًا أضـرُّ لـه مـن شـتمهِ حـين يُشتمُ

فهٰذه عشرةُ أسباب تدعُو إلى الحلم، وبعضُ الأسباب أفضلُ من بعض، وليس إذا كان بعضُ أسبابِه مفضولًا به ما يقتضي أن تكونَ نتيجتُه من الحِلم مذمومة، وإنَّما الأولى بالإنسان أن يدْعوَه للحلم أفضلُ أسبابه ـ وإن كان الحلم كلُّه فضلًا ـ، وإن عَرا عن أحد هٰذه الأسباب، كان ذُلًّا ولم يكن حلمًا، لأننا قد ذكرنا في حَدِّ الحلم: «أنَّهُ ضبطُ النفسِ عند هيجانِ الغضب»، فإذا فُقد الغضب بسماع ما يُغضِبُ، كان ذٰلك من ذلِّ النفس، وقِلَّةِ الحَمِيَّة.

(١٥٧١) وقد قالت الحكماء: «ثلاثةٌ لا يُعرفون إلَّا في ثلاثةِ مواطن: لا يُعرفُ

---

(١) هو إياس بن قتادة بن أوفى من بني مناة بن تميم، من الطبقة الأولى من التابعين، ولأبيه صحبة، وكان ثقة قليل الحديث، توفي عام (٨٣).
ترجمته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٩٢)، الوافي (٩/ ٤٦٣).

(٢) البيت في عيون الأخبار (١/ ٤١٠) خبر (١٥٠٧).

(٣) هو المؤمل بن أميل، وهٰذه الأبيات أوردها الحموي في ترجمته في معجم الأدباء (٢/ ٢٧٣٣).

الجَوَادُ إلَّا في العُسرة، والشجاعُ إلَّا في الحرب، والحليم إلَّا في الغضب»(١).

(١٥٧٢) وقال الشاعر:

ليستِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا   إنما الأحلامُ في حالِ الغضبْ

(١٥٧٣) وقال آخر:

مَنْ يدَّعي الحلم أغْضِبْهُ لِتعرفه   لا يُعرفُ الحِلْمُ إلا ساعةَ الغضبِ

(١٥٧٤) وأنشد النابغةُ الجَعْدي(٢) بحَضْرةِ رسول اللَّه ﷺ(٣):

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكنْ لَهُ   بوادِرُ تَحمِي صفوَهُ أن يُكدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ لَهُ   حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرَا(٤)

فلم يُنكر ﷺ قوله عليه(٥).

ومَن فقد الغضبَ في الأشياء المُغضِبة، حتى استوت حالتاهُ قبلَ الإغضاب وبعده، فقد عَدِمَ من فضائل النفس: الشجاعة، والأنفة، والحميَّة، والغيرَة، والدفاع، والأخذَ بالثأر؛ لأنَّها خصالٌ مُركبةٌ من الغضب؛ فإذا عَدِمَها الإنسان هان بها، ولم يكن لباقي فضائلِه في النفوس موضع، ولا لوفور حِلمهِ في القلوب مَوقع.

(١٥٧٥) وقد قال المنصورُ: «إذا كان الحِلمُ مَفْسدة، كان العفوُ مَعْجَزة»(٦).

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٤٩٨ ـ خبر: ٤٢٩١).

(٢) النابغة الجعدي، الشاعر المشهور المعمَّر، اختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، مات بأصبهان وله مِئتان وعشرون سنة، كان النابغة ممن فكر في الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وهجر الأزلام، واجتنب الأوثان، وذكر دين إبراهيم.
ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٥٠)، الإصابة (٦/ ٣٠٨ ـ ترجمة: ٨٦٦٠).

(٣) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٤٦٦ ـ خبر: ١٨٢٨).

(٤) أي: إذا دخل في أمرٍ عرف كيف يعالجه ويخرج منه. [ط]

(٥) ضعيف: رواه الحارث في «مسنده» (٨٩٤)، وتمام في «الفوائد» (١٤٨٤)، وعزاه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٢٦) للبزار، وقال: «فيه يعلى بن الأشدق، وهو ضعيف». [ط]

(٦) نعم؛ فالحلم ليس مندوبًا إليه دومًا، وفي هٰذا يقول الشيخ مصطفى بن العدوي ـ حفظه اللَّه ـ: «كم مِن ظالِمٍ إذا تُرك يتمادى في ظُلمِه وفي غَيِّه وشَرِّه وفساده! وكذٰلك العفوُ؛ لا يُندَبُ إليه ولا يُرشَدُ إليه في كلِّ الأوقات، فقد يُفهَمُ العفوُ عند أهل الغباء والجهلِ على أنه ضَعفٌ =

(١٥٧٦) وقال بعضُ الحكماء: «العفو يُفسِدُ من اللئيم بقَدْر إصلاحِه من الكريم».

(١٥٧٧) وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أكرموا سفهاءكم؛ فإنَّهم يكفونكم[1] العارَ والشَّنار»[2].

(١٥٧٨) وقال مصعبُ بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما قلَّ سُفهاءُ قومٍ إلا ذلُّوا».

(١٥٧٩) وقال أبو تمام الطائي:

والحربُ تَركبُ رأسَها في مَشهدٍ ... عُدِلَ السفيهُ به بألفِ حليمِ

وليس هٰذا القولُ إغراءً بتحكُّمِ الغضب، والانقيادِ له عند حدوثِ ما يُغضِب، فيَكتسبَ بالانقيادِ للغضب من الرذائل أكثرَ مما يَكسِبُه عدمُ الغضب من الفضائل؛ ولٰكن إذا ثار به الغضبُ عند هجومِ ما يُغضِبُه، كفَّ سَوْرَته[3] بحَزْمه، وأطفأ نائرته[4] بحِلمه، ووَكَلَ مَن استحق المقابلة إلى غيره، ولا يَعدِمُ مسيءٌ مكافئًا، كما لن يعدِمَ محسنٌ مجازيًا.

(١٥٨٠) والعرب تقول: «دخل بيتًا ما خَرج منه».

أي: إن خرج منه خيرٌ دخله خير، وإن خرج منه شرٌّ دخله شر.

(١٥٨١) وأنشد ابن دُريد عن أبي حاتم:

إذا أَمِنَ الجُهالُ جَهْلَكَ مرةً ... فعِرضُك للجُهالِ غُنْمٌ من الغُنْمِ[5]

فعُمَّ عليه الحِلمَ والجهلَ والقَهُ ... بمنزلةٍ بين العداوةِ والسِّلمِ

= وخَوَرٌ؛ وقد يُفهَمُ الصَّفحُ على أنه استسلامٌ للظلم؛ ومِن ثَمَّ يتمادى الظالِمُ في ظُلمه، والطاغي في طغيانه، والباغي في بَغيه». «فقه الأخلاق والتعامل بين المؤمنين» (١/ ٨٨). [ط]

(١) في المطبوعة والشرح: يقونكم.

(٢) لأن صيانة السفهاء تجعلهم يدافعون عن الشرفاء إذا ما عدا عليهم عادٍ. [ط]

(٣) السَّورة: الغضب. [ط]

(٤) في المطبوعة: ثائرته.
قلت: والنائرة: العداوة. [ط]

(٥) **جَهْلك**: عقابك، وليس المراد الجهل والتهور، لٰكنه من باب المشاكلة. [ط]

إذا أنت جارَيتَ السفيهَ كما جرى ... فأنت سفيهٌ مثلهُ غيرُ ذي حِلمِ
ولا تَعْضِبَنْ عِرْضَ السفيهِ ودَارِه ... بحِلمٍ فإن أعيا عليك فبالصَّرمِ[1]
فيرجوك تاراتٍ ويَخشاكَ تارةً ... ويأخذ فيما بين ذٰلك بالحَزمِ
فإن لم تَجِدْ بُدًّا من الجهل فاستعِنْ ... عليه بجُهَّالٍ فذاك منَ العزمِ

وهٰذه من أحكم أبياتٍ وجدتُها في تدبير الحِلمِ والغضب، وهٰذا التدبيرُ إنما يُستعملُ فيما لا يَجِدُ الإنسانُ بُدًّا من مقاربته، ولا سبيلَ إلى اطِّراحِهِ ومتاركتِه، إمَّا لخوفِ شرِّه، أو للزوم أمره، فأمَّا مَن أمكن اطِّراحُه، ولم يضرَّ إبعادُه، فالهوانُ به أولى، والإعراضُ عنه أصوب، فإذا كان على ما وصفتُ، استفاد بتحرِّيكَ الغضبَ فضائلَه، وأمِنَ بكفِّ نفسِه عن الانقيادِ له رذائلَه، وصار الحلمُ مدبِّرًا للأمور المغضِبةِ بقَدرٍ لا يعتريهِ نقصٌ بعد الغضب، ولا يَلحقُهُ زيادةٌ بفَقدِ الحلم.

ولو عَزَب عنه[2] الحلمُ حتى انقادَ لغضبه، ضلَّ عنهُ وجهُ الصواب فيه، وضعُف رأيُه عن خِبرةِ أسبابِه ودواعيه، حتى يصيرَ بليدَ الرأي، مغمورَ الرَّوِية، مقطوع الحُجة، مسلوبَ العزاء، قليلَ الحيلة، مع ما ينالُه من أثر ذٰلك في نفسِه وجسدِه، حتى يصيرَ غضبُه أضرَّ عليه مما غَضِب له.

(١٥٨٢) وقد قال بعضُ الحكماء: «من كَثُر شططُه كثُر غلطُه».

(١٥٨٣) ورُوي أن سلمانَ قال لعليٍّ رَضِوَاللَّهُعَنهُمَا: «ما الذي يُباعدُني عن غضب اللَّه عَجَّلَ؟ قال: ألَّا تغضب».

(١٥٨٤) وقال بعضُ السلف: «أقربُ ما يكونُ العبد من غضب اللَّه عَجَّلَ إذا غضِب».

(١٥٨٥) وقال بعضُ البلغاء: «مَن ردَّ غضبه هدَّ من أغضبه».

(١٥٨٦) وقال بعضُ الأدباء: «ما هيَّج جاشَك كغيظٍ أجاشك[3]».

---

(١) **العَضْب**: الشتم. **دارِه**: عامله بالحسنى، من المداراة. **الصَّرم**: القطيعة. [ط]
(٢) **عَزَب**: غاب. [ط]
(٣) **جاشك**: جأشك، وهو القلب أو الصدر. **أجاشك**: أثارك. [ط]

(١٥٨٧) وقال رجلٌ لبعض الحكماء: «عظني، قال: لا: تغضب[(١)]».

فينبغي لذي اللُّبِّ السَّويِّ والحزمِ القوي، أن يتلقَّى قوةَ الغضب بحِلمه فيصدَّها، ويقابلَ عوادي شِرَّتِه بحزمِه فيردَّها، ليحظى بانجلاءِ الحَيْرة، ويَسعَدَ بحميدِ العاقبة.

(١٥٨٨) وقال بعض الأدباء: «في إغضائِك[(٢)] راحةُ أعضائك».

[سببُ الغضب والحزن، والفرقُ بينهما]:

وسببُ الغضب: هجومُ ما تكرهُه النفس ممَّن دونها.

وسببُ الحزن: هجوم ما تكرهُه النفس ممَّن فَوقها.

والغضبُ يتحركُ من داخل الجسد إلى خارجه، والحُزن يتحركُ من خارج الجسدِ إلى داخله، فلذٰلك قَتل الحزنُ ولم يَقتل الغضب، لبروز الغضب، وكمونِ الحُزن، وصار الحادثُ عن الغضب السطوةَ والانتقامَ لبروزه، والحادثُ عن الحزن المرضَ والأسقام لكُمونه؛ فمن أجل ذٰلك أفضى الحُزنُ إلى الموت، ولم يُفضِ إليه الغضب، فهٰذا فرقُ ما بين الحزنِ والغضب.

[أسبابُ تسكينِ الغضب]:

واعلم أن لتسكين الغضبِ ـ إذا هجم ـ أسبابًا، يُستعان بها على الحلم.

* **منها: أن يذكرَ اللّٰهَ عَجَّلَ:**

فيدعوُه ذِكرُ اللّٰه إلى الخوف منه، ويبعثُه الخوفُ منه على الطاعةِ له، فيرجعُ إلى أدبه، ويأخذُ بنَدْبه[(٣)]، فعند ذٰلك يزول الغضب. قال اللّٰه تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

(١٥٨٩) قال عكرمة: «يعني: إذا غضبتَ[(٤)]».

---

(١) وقد ثبت هٰذا من كلامه ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا جاء رسول اللّٰه ﷺ، فقال له: أوصني، فقال: «**لا تغضب**». صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والبخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠). [ط]

(٢) **الإغضاء**: التغافل. [ط]

(٣) **ندبه**: دعائه. أو ما استحبه له. [ط]

(٤) الآية ـ بلا ريب ـ أعمُّ من هٰذا، فهي شاملةٌ لكل سببٍ يصرف العبدَ عن ذكر ربِّه عَجَّلَ؛ سواءٌ =

وقال اللَّه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف].

ومعنى قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾، أي: يُغضِبنَّك، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يعني: أنه سميعٌ بجَهل من جَهِل، عليمٌ بما يُذهِبُ عنك الغضب[1].

(١٥٩٠) وذُكر أن في التوراة مكتوبًا: «يا ابن آدم، اذكُرْني حين تغضب، أذكُرْك حين أغضب، فلا أمحقُك فيمن أمْحَق».

(١٥٩١) وحُكي أن بعض ملوكِ الفُرس كتب كتابًا ودفعهُ إلى وزير له، وقال: «إذا غضبتُ فناوِلْنيهِ، وكان فيه مكتوب: ما لَكَ والغضب؟! إنما أنت بشَر، ارحم مَن في الأرض، يرحمْك مَن في السماء».

(١٥٩٢) وقال بعضُ الحكماء: «مَن ذَكَر قُدرةَ اللَّه، لم يَستعمِلْ قدرتَه في ظُلم عبادِ اللَّه».

(١٥٩٣) وقال عبدُاللَّه بن مسلم بن محارب[2] لهارونَ الرشيد: «يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديهِ أذلُّ مني بين يديك، وبالذي هو أقدرُ على عقابِك منك على عقابي: لَمَا عفوتَ عني». فعفا عنه لمَّا ذكَّره قدرةَ اللَّه تعالى[3].

(١٥٩٤) ورُوي أن رجلًا شكا إلى رسول اللَّه ﷺ القسوةَ، فقال: «**اطَّلِع في القبور، واعتبِرْ بالنشور**»[4].

= كان غضبًا أو نسيانًا مجردًا أو غير ذٰلك، وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب»، للشيخين سليم الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر (٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧١). **[ط]**

(١) وهٰذه ـ أيضًا ـ عامةٌ في كل شيءٍ، وليست قاصرةً على حال الغضب فقط. **[ط]**

(٢) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٣) العبارة في البيان والتبيين (٣/ ٢٨٢)، والعقد الفريد (٢/ ٢٥٦)، وعيون الأخبار (١/ ١٥٨ ـ خبر: ٥١٤).

(٤) **موضوع**: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٣١٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٨٥٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٧٦٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحكم عليه الإمام البيهقي **بالنكارة**، وهو في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٧٦ ـ ترجمة محمد بن يونس الكديمي)، **وهو متهمٌ بالوضع**، وكذا هو في «اللسان» (٦/ ٨٨)، **وأقرَّ** كلام الإمام البيهقي، وحكم عليه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٧٩٩)، و«ضعيف الجامع» (٩١٢) **بالوضع**. **[ط]**

(١٥٩٥) وكان بعضُ ملوكِ الطوائفِ إذا غضب، أُلقي عنده مفاتيحُ تُرَب الملوك، فيزولُ غضبه.

(١٥٩٦) ولذٰلك قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن أكثرَ مِن ذِكرِ الموت، رَضِي من الدنيا باليسير».

*** ومنها: أن ينتقلَ عن الحالةِ ـ التي هُو فيها ـ إلى حالةٍ غيرها:**

فيزولُ عنه الغضب بتغيُّر الأحوال، والتنقلُ من حالٍ إلى حال، وكان هٰذا مذهب المأمون إذا غضِب أو سَئِمَ.

(١٥٩٧) وكانت الفُرس تقول: «إذا غضِب القائمُ فلْيَجلس، أو الجالسُ فلْيَقُم»[(١)].

*** ومنها: أن يتذكَّر ما يؤولُ إليه الغضبُ من الندم، ومَذِمَّةِ الانتقام:**

(١٥٩٨) كتب أَبْرَوِيزُ إلى ابنه شِيرَوَيهِ: «إن كلمةً منك تَسفِكُ دمًا، وأخرى منك تَحقِن دمًا، وإنَّ نَفاذَ أمرك مع ظهورِ كلامك، فاحترِسْ في غضبك من قولِك أن تخطئ، ومن لونِك أن يتغيَّر، ومن جسدِك أن يَخِف؛ فإن الملوكَ تُعاقِبُ قُدرةً، وتعفو حِلمًا»[(٢)].

(١٥٩٩) وقال بعضُ الحكماء: «الغضبُ على مَن لا تَملِك عجز، وعلى من تملك لؤم».

(١٦٠٠) وقال بعض الأدباء: «إياك وعِزَّةَ الغضب، فإنَّها تُفضي إلى ذلِّ

---

(١) وقد ثبت عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا غَضِب أحدُكم وهو قائمٌ فلْيَجلس، فإن ذهب عنه الغضبُ وإلا فلْيَضطجع**». **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٢)، وأبو داود (٤٧٨٢)، وابن حِبَّان (٥٦٨٨)، وهناد في «الزهد» (١٣٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.
وثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تسابَّ وأنت صائمٌ، وإن سابَّك أحدٌ فقل: إني صائم، وإن كنتَ قائمًا فاجلس**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٣٢٤٦)، والطيالسي (٢٣٦٧)، وابن خزيمة (١٩٩٤)، وابن حِبَّان (٣٤٨٣)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «الإرواء» (٤/ ٣٥). [ط]

(٢) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤١٣) خبر (١٥٢٦).

العُذر»(١).

(١٦٠١) وقال بعضُ الشعراء:

وإذا مـا اعْتَـرَتْك في الغضبِ العزَّةُ فاذْكُــرْ تــذلُّلَ الاعــتذارِ

*** ومنها: أن يذكر ثواب العفو، وحُسن الصفح:**

فيقهرَ نفسَه على الغضب، رغبةً في الجزاء والثواب، وحذرًا من استحقاق الذم والعقاب.

(١٦٠٢) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُنادي منادٍ يوم القيامة: مَنْ له أجرٌ على اللَّهِ ﷻ فليَقُمْ، فيقوم العافُون عن النَّاس**»، ثم تلا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠](٢).

(١٦٠٣) وقال رجاءُ بن حَيْوة(٣) لعبدِالملِك بن مَرْوان ـ في أُسارى ابن الأشعث ـ: «إن اللَّهَ قد أعطاك ما تحبُّ منَ الظفَر، فأعطِ اللَّهَ ما يحبُّ من العفو».

(١٦٠٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخيرُ ثلاثُ خصال، فمن كُنَّ فيه فقد استكملَ الإيمان: من إذا رَضِيَ لم يُدخلهُ رضاهُ في باطل، وإذا غضِب لم يُخرجه غضبُه من حقٍّ، وإذا قَدَر عفا**»(٤).

---

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤١٥ ـ خبر: ١٥٤١).

(٢) ضعيف: رواه العُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٧)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٩٨)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٦)، وابن ابي عاصم في «الديات» (١/ ٥٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٩٦٠)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** محقق «الشعب» (١٠/ ٥٤٣). [ط].

(٣) رجاء بن حَيْوة بن جرول بن الأحنف بن السمط، أبو المقدام، كان ثقةً فاضلًا كثير العلم، توفي عام (١١٢).
ترجمته في: تهذيب الكمال (٩/ ١٥١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٠١)، السِّيَر (٤/ ٥٥٧).

(٤) موضوع: رواه الطبراني في «الصغير» (١٦٤)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ١٦٨)، ولفظه: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ثلاثٌ من أخلاق الإيمان: مَن إذا غضِب لم يُدخِلْه غضبُه في باطل، ومَن إذا رضي لم يُخرِجْه رضاه من حق، ومَن إذا قَدَر لم يتعاطَ ما ليس له**»، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٦٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٢٣): «فيه بشر بن الحسين، وهو كذاب»، وحكم عليه **بالوضع** =

(١٦٠٥) وأسمع رجلٌ عمرَ بنَ عبدِالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا، فقال عمرُ: «أردتَ أن يستفزَّني الشيطانُ بعِزَّةِ السلطان فأنالَ منك اليومَ ما تنالهُ مني غدًا؟! انصرف ـ رحِمك اللّه ـ»[1].

* ومنها: أن يَذكرَ انعطافَ القلوب عليه، ومَيلَ النفوس إليه:

فلا يَرى إضاعةَ ذٰلك بتنفير الناس عنه وبُعدهم منه، فيكُفُّ عن متابعةِ الغضب، فيرغب في التآلف وجميلِ الثناء.

(١٦٠٦) ورَوى ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما ازداد أحدٌ بعفوِ اللّهِ إلّا عِزًّا، فاعْفُوا يُعزَّكم اللّه**»[2].

(١٦٠٧) وقال بعضُ البلغاء: «ليس من عادةِ الكرام سرعةُ الانتقام، ولا مِن شروطِ الكرم إزالةُ النعم».

(١٦٠٨) وقال المأمون لإبراهيم بن المهدي: «إني شاورتُ في أمرك، فأشاروا عليَّ بقتلك، إلا أني وجدتُ قَدْرَك فوقَ ذَنبِك، فكرهتُ القتلَ لِلازِمِ حُرمتِك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المشيرَ أشار بما جَرت به العادةُ في السياسة، إلا أنك أبيتَ أن تطلُبَ النصرَ إلَّا من حيثُ عُوِّدْتَه من العفوِ، فإن عاقبتَ فلك نظيرٌ، وإن عفوتَ فلا نظير لك[3].

= الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٥٣١)، و«الضعيفة» (٥٤١)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٧٢). [ط]

(١) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤١٤ ـ خبر: ١٥٣٢).

(٢) **ضعيف**: وهٰذا السند فيه «عطية العَوْفي» ـ الراوي عن أبي سعيد ـ، وهو **ضعيف**، واللّهُ أعلم.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٧٠)، و«الصغير» (١٤٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨١٧)، من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٧٥): «فيه زكريا بن دويد، وهو ضعيف جدًّا»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الترغيب» (١٤٦٣).
ويغني عنه ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**ما نَقصت صدقةٌ من مال، وما زاد اللّهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضَع أحدٌ للّهِ إلا رفعه اللّهُ**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٨٦)، ومسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩). [ط]

(٣) وأين هو من عفو رسول اللّه ﷺ عن قريش ـ بعد كل ما فعلوه به ـ يوم فتح مكة ـ خاصةً ـ، وفي مواقف غير هٰذا ـ عامةً ـ؟!! [ط]

وأنشأ يقول:

البِرُّ بي منك وطَّا العُذرَ عندك لي ... فيما فعلتُ فلم تَعْذِلْ ولم تلُمِ
وقام عِلمُك بي فاحتجَّ عندك لي ... مَقامَ شاهِدِ عدلٍ غيرَ مُتَّهَمِ
لئنْ جَحدتُكَ معروفًا مَننتَ به ... إني لفي اللؤم أحظى منك بالكرمِ
تعفُو بعدلٍ وتسطُو إن سطوتَ به ... فلا عَدِمتُك من عافٍ ومنتقمِ».



الفصل الخامس

في الصِّدقِ والكَذِب

قال اللَّهُ تعالى ـ وهو أصدقُ القائلين ـ : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل].

(١٦٠٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال للحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**دَعْ مَا يَرِيبُك إلى ما لا يَريبُك، فإنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ، والصِّدْقَ طُمأنينةٌ**»[١].

(١٦١٠) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**رحم اللَّهُ امرأً أصلح من لسانه، وقصَّر من عِنانِه، وألزم طريقَ الحقِّ بقوله، ولم يُعوِّدِ الخَطَل مِفصَلَه**»[٢].

(١٦١١) ورَوى صفوانُ بنُ سُليم، قال: قيل للنبيِّ ﷺ: أيكون المُؤمن جبانًا؟ قال: «**نعم**»، قيل: أفيكون بخيلًا؟ قال: «**نعم**»، قيل: أفيكون كذابًا؟ قال: «**لا**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، وفي «الكبرى» (٥٢٠١)، وابن حبان (٧٢٢)، والحاكم (٢/ ١٥)، والطيالسي (١١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٧٠٨)، وأبو يعلى (٦٧٦٢)، والبزار (١٣٣٦)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) **لم أقف عليه بِهٰذا التمام**: وقد أخرج قوله: «**رحمَ اللَّهُ امرأً أصلح من لسانه**»، ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٤١)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٢١٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٠٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٠)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٠٩)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٣٩٢) في مناكير «عيسى بن إبراهيم بن طهمان»، وقال الحافظ: «**هٰذا ليس بصحيح**»، وحكم عليه الإمام الصغاني **بالوضع**، **وأقرَّه** الشيخ الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٥٢)، وكذا فعل الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٤١٤)، **وضعَّفه** محقق «الشعب» (٣/ ٢١٠). وانظر: «فيض القدير» (٤/ ٢٣). [ط]

وباقي الحديث لم أقف عليه، **ولا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه مالك في «الموطأ» (١٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٤٧٢)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٤٧)، وابن وهب في «جامعه» (٥٢١)، جَميعهم من رواية صفوان ابن سُليم عن النبيِّ ﷺ وهو **ضعيف للإرسال**، وبِهٰذا حكم الحافظ المنذري في «الترغيب» =

(١٦١٢) وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢] ـ : «أي: لا تخلِطوا الصدقَ بالكذِب».

(١٦١٣) وقيل في منثور الحكم: «الكذابُ لِص، لأنَّ اللصَّ يَسرِقُ مالَك، والكذابَ يَسرِقُ عقلك».

(١٦١٤) وقال بعضُ الحكماء: «الخَرَسُ خيرٌ من الكذب، وصِدقُ اللسان أول السعادة».

(١٦١٥) وقال بعضُ البلغاء: «الصادِقُ مصونٌ جليل، والكاذبُ مُهانٌ ذليل».

(١٦١٦) وقال بعض الأدباء: «لا سيف كالحقِّ، ولا عونَ كالصدق».

(١٦١٧) وقال بعضُ الشعراء:

وما شيءٌ إذا فكَّرتَ فيهِ ... بأذهبَ بالمروءةِ والجَمالِ
من الكَذِبِ الذي لا خيرَ فيه ... وأبعَدَ بالبهاءِ منَ الرجالِ

والكَذِبُ جُمَّاعُ كُلِّ شر، وأصلُ كُل ذَم، لسُوءِ عواقبه، وخبثِ نتائجه؛ لأنه يُنتِجُ النميمة، والنميمةُ تُنتِجُ البغضاء، والبغضاءُ تؤولُ إلى العداوة، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة.

(١٦١٨) ولذلك قيل: «من قلَّ صِدقُه قلَّ صديقُه».

والصدقُ والكذبُ يدخُلانِ الأخبار الماضِية، كما أن الوفاءَ والخُلفَ يدخلان المواعيدَ المُستقبَلة، فالصدقُ هو الإخبارُ عن الشيءِ على ما هو عليه، والكَذبُ هو الإخبارُ عن الشيءِ بخلاف ما هو عليه، ولكُلِّ واحدٍ منهما دواعٍ، فدواعي الصدق لازمة، ودواعي الكذبِ عارضة؛ لأن الصدقَ يدعو إليه عقلٌ موجِب،

= (٤٤٥٧)، والشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٧٥٢). وقد قال الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦/ ٢٥٣): «لا أحفظ هٰذا الحديث مسندًا ـ بهٰذا اللفظ ـ من وجه ثابت، وهو حديث حسن». وإنما قصد بالحسن: حُسن المعنى، لا حُسن السند ـ واللَّهُ أعلم ـ ، ثم قال: «ومعناه أن المؤمن لا يغلبُ عليه الكذبُ حتى لا يكادَ يَصدُق؛ هٰذا ليس من أخلاق المؤمنين، وأما قوله في المؤمن: «**إنه يكون جبانًا وبخيلًا**»؛ فهٰذا يدلُّ على أن البخل والجبن قد يوجدانِ في المؤمن وهما خُلقانِ مذمومان». [ط]

وشرعٌ مؤكِّد، والكذبُ يمنعُ منهُ العقلُ، ويصُدُّ عنهُ الشرع، ولذٰلك جاز أن تستفيضَ الأخبارُ الصادقةُ حتى تصيرَ متواترةً، ولم يجُزْ أن تستفيضَ الأخبارُ الكاذبة، لأن اتفاقَ الناس في الصدقِ والكذبِ إنما هو لاتفاقِ الدواعي.

فدواعي الصدق يجوزُ أن يتَّفقَ الجَمعُ الكثيرُ عليها، حتى إذا نَقلوا خبرًا، وكانوا عددًا يَنتفي عن مثلِهم المُواطأة، وَقع في النفس صِدقُه؛ لأن الدواعي إليه نافعة، واتفاقُ الناس في الدواعي النافعةِ ممكن، ولا يجوزُ أن يَتفقَ العددُ الكثيرُ ـ الذي لا يمكنُ مواطأةُ مثلِهم ـ على نقلِ خبرٍ يكون كذبًا؛ لأن الدواعي إليه غيرُ نافعة، وربما[1] كانت ضارة.

وليس في جاري العادة، أن يَتفقَ الجمعُ الكثيرُ على دواعٍ غيرِ نافعة، ولذٰلك جاز اتفاقُ الناس على الصِّدقِ لجوازِ اتفاقِ دواعيهم، ولم يجُز أن يتفِقوا على الكذب، لامتناع اتفاقِ دواعيهم، وإذا كان للصدق والكذب دواعٍ، فلابد مِن ذِكر ما سَنح به الخاطرُ من دواعيهما.

[دواعي الصِّدق]:

أمَّا دواعي الصدق:

* **فمنها: العقل:**

لأنه مُوجِبٌ لقبح الكذب، لا سيما إذا لم يَجلبْ نفعًا، ولم يَدفع ضَررًا، والعقلُ يدعُو إلى فعلِ ما كان مُستحسَنًا، ويمنعُ من إتيانِ ما كان فيه مستقبَحًا، وليس ما استُحسِنَ من مبالغاتِ الشعراء ـ حتى صار كذبًا صُراحًا ـ استحسانًا للكذب في العقل.

(١٦١٩) كالذي أنشدنيه الأزدي لبعض الشُّعراء:

تَوهَّمهُ فكري فأصبحَ خَدُّهُ ... وفيه مكانَ الوَهم من فكرتي أثَرُ
وصافحَهُ كفِّي فآلَمَ كفَّه ... فمِن لَمْسِ كفي في أنامله عَقْرُ[2]

(١) في الأصل: وإنما.
(٢) العَقْر: الجراح. [ط]

وَمــرَّ بقلبــي خاطــرًا فجــرحتُــهُ ... ولـم أر شـيئًا قـط يَجـرحُهُ الفِكـرُ

(١٦٢٠) وكَقولِ العباس بن الأحنف ـ وإن كان بدون هٰذه المبالغة ـ :

تقـولُ ـ وقـد كتبت دقيقَ خطِّي ... إلـيها ـ : لِـمْ تَجنَّـبتَ الجلـيلا؟

فقلـتُ لها: نَحُلْـتُ فصار خطِّي ... مُـــساعدةً لكاتِـــبِهِ نحـــيلَا

لأنه خَرج مخرجَ المُبالغة في التشبيه، والاقتدارِ على صَنعةِ الشِّعر، وإنَّ شواهدَ الحال تُخرجُه عن تلبيس الكذب، فلذٰلك استُحسن في الصَّنعة، ولم يُستقبح في العقل، وإن كان الكذبُ مستقبَحًا فيه.

* ومنهَا: الدِّين، الواردُ باتباع الصِّدق وحَظْرِ الكَذب[١]:

لأنَّ الشَّرع لا يَجُوزُ أن يَرِد بإرخـاصِ مـا حَظَـره العقل[٢]؛ بل قد جاء الشرعُ زائدًا على ما اقتضاهُ العقل مِن حظر الكَذب؛ لأنَّ الشرع وَرَد بحظر الكذب ـ وإن جرَّ نفعًا، أو دفع ضَررًا ـ ، والعقلُ إنما حَظر ما لا يجلبُ نفعًا، ولا يدفع ضررًا.

* ومنها: المروءة:

فإنَّها مانعةٌ من الكـذب، باعثـةٌ على الصـدق؛ لأنها قد تَمنعُ مِن فِعل ما كان مستكرَهًا، فأولى أن تَمنعَ مِن فِعل ما كان مُستقبحًا.

---

(١) لاحظ كيف قدَّم المصنف ـ غفر اللَّهُ له ـ دلالةَ العقل على دلالة الشرع؛ تبعًا لمذهبه الأشعري! وراجع ما قدمناه عن مسألة التحسين والتقبيح العقليين ص (٤٩). [ط]

(٢) فيه نظرٌ بيِّن، ويكفينا هنا أن العقل ينفِرُ مِن أكل الميتة، وقد جاءنا الشرع أن «**ذكاة الجنين ذكاةُ أمه**» [**صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٩)، وأبو داود (٢٨٢٨) وغيرهما]، فإذا ذَبَحْنا البهيمة، ووَجْدنا في بطنها جنينًا ميتًا، كان الجنينُ حلالًا، فأين رأيُ العقل من هٰذا؟ والعقل كذٰلك استحسن بعضَ الأمور ورأى فيها نفعًا ـ كالربا ـ ، بينا جاء الشرعُ بردِّها ونفى مساواته بالبيوع، وغير هٰذا كثير، ومعلومٌ أن العقول تتفاوت، وقد يرى بعضها أمرًا حسنًا، ولا يراها البعض كذٰلك، والحاكم هو الشرع المطهر؛ سواءٌ استساغ العقل الأمر أم لا، ورحم اللَّهُ شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره حين قالوا: «الشرع قد يأتي بما تحارُ فيه العقول، لٰكنه لا يأتي بما تُحيله العقول». [ط]

*** ومنها: حُبُّ الثناء، والاشتهار بالصِّدق:**

حتى لا يُردَّ عليه قولٌ، ولا يلحقَه ندم[١].

(١٦٢١) وقد قال بعضُ البلغاء: «لِيكُنْ مَرجِعُك إلى الحقِّ، ومَنزعُك[٢] إلى الصدق، فالحقُّ أقوى مُعين، والصدقُ أفضلُ قرين».

(١٦٢٢) وقال بعض الشعراء:

عَوِّدْ لسانَك قولَ الصِّدقِ تَحْظَ به ... إن اللسانَ لِمَا عَوَّدتَ مُعتَادُ

مُوكَّلٌ بتقاضي ما سَننتَ له ... في الخيرِ والشرِّ فانظرْ كيف تَرتادُ

[دواعي الكذب]:

وأمَّا دوَاعي الكذب:

*** فمنها: اجتلابُ النفع، واستدفاعُ الضر:**

فيرى أن الكذبَ أسلمُ وأغنم، فيُرخِّصُ لنفسهِ فيه اغترارًا بالخُدَع، واستشفافًا للطَّمع[٣]، ورُبما كان الكذبُ أبعدَ لِمَا يؤمِّل، وأقربُ لِمَا يخاف؛ لأن القبيحَ لا يكونُ حسنًا، والشرَّ لا يصيرُ خيرًا، وليس يُجنى من الشَّوكِ العنب، ولا من الكَرْم الحنظل[٤].

(١٦٢٣) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«تَحرَّوُا الصِّدقَ، وإن رأيتُم أن فيه الهَلَكة؛ فإن فيه النجاة، وتَجنَّبوا الكذبَ، وإن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهَلَكة»**[٥].

---

(١) في الأصل: ولا يخلف بذم.

(٢) منزعك: ميلُك. [ط]

(٣) الاستشفاف: التطلع. [ط]

(٤) الكَرْم: العنب. الحنظل: شجر مر. [ط]

(٥) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٣٧)، و«الصمت» (٤٤٦)، من رواية منصور بن المعتمر عن رسول اللَّه ﷺ، ورواه ـ أيضًا ـ هناد في «الزهد» (١٣٧٥) من رواية مجمع بن يحيى مرسلًا، وحكم عليه **بالضعف** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٤٤٢)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٨٩) و(٢٣٩٩). [ط]

(١٦٢٤) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ يَضَعَني الصدقُ ـ وقلما يضعُ ـ أحبُّ إليَّ من أن يرفعَني الكذب ـ وقلما يفعل ـ».

(١٦٢٥) وقال بعضُ الحكماء: «الصدقُ مُنجيك ـ وإن خِفتَه ـ، والكذبُ مُرديك[١] ـ وإنْ أَمِنْتَه ـ».

(١٦٢٦) وقال الجاحظ: «الصدقُ والوفاءُ توأمان، والصبرُ والحِلمُ توأمان، فيهنَّ تمامُ كلِّ دين، وصلاحُ كلِّ دنيا، وأضدادُهما سببُ كلِّ فُرقة، وأصلُ كلِّ فساد».

*** ومنها: أن يُؤثِرَ أن يكون حديثُه مُستعذَبًا، وكلامُه مُستظرفًا:**

فلا يجد صِدقًا يَعذُب، ولا حديثًا يُستظرف، فيَستحلِي الكذبَ الذي ليست غرائبُه مُعوِزة، ولا طرائفُه مُعجِزة[٢].

وهٰذا النوع أسوأُ حالًا مما قبلُ، لأنه يَصدُرُ عن مَهانةِ النفس، ودناءةِ الهمة.

(١٦٢٧) وقد قال الجاحظ: «لم يكذب أحدٌ قطُّ إلَّا لِصِغَر قدْرِ نفسِه عنده».

(١٦٢٨) وقال ابن المقفع: «لا تتهاوَنْ بإرسال الكِذْبةِ من الهزل؛ فإنَّها تُسرعُ إلى إبطال الحق»[٣].

*** ومنها: أن يَقصِدَ بالكذب التشفِّي من عدُو:**

فيشتمَه بقبائحَ يخترعُها عليه، ويَصِفَه بفضائحَ يَنسِبُها إليه، ويرى أن مَعرَّةَ الكذب غُنم، وأن إرسالَها في العدو سهمٌ وسُم! وهٰذا أسوأُ حالًا من النوعين الأوَّلَين، لأنه قد جَمَع بين الكذِب المُعِر، والشرِّ المُضِر، ولذٰلك ورد الشرعُ برد شهادةِ العدوِّ على عدوِّه[٤].

---

(١) **مُرديك**: مهلكك. [ط]

(٢) أي: الكذب سهلُ التناول، فلا يعسُرُ على الكذاب أن يأتي بالغرائب المختَرَعةِ ولا العجائب المستغربة. [ط]

(٣) العبارة في الأدب الكبير (٦١)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٥ ـ خبر: ٢٠٩٨).

(٤) فقد ثبت عن عبداللّٰه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «**لا تجوزُ شهادةُ خائنٍ ولا خائنة، ولا ذي غَمْرٍ على أخيه...**» الحديث، **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٠٤)، وأبو داود =

*** ومنها: أن تكون دواعي الكذبِ قد ترادفَتْ عليه حتى أَلِفها، فصار الكذبُ له عادة، ونفسُه إليه مُنقادة:**

حتى لو رام مُجانبةَ الكذب عَسُر عليه؛ لأن العادة طبعٌ ثانٍ.

(١٦٢٩) وقد قالت الحكماء: «من استَحلَى رَضاعَ الكذب عسُر فِطامُه».

(١٦٣٠) وقيل في منثور الحكم: «لا يلزمُ الكذابُ شيئًا إلا غَلب عليه».

[علامات الكذَّاب]:

واعلم أن للكذاب ـ قَبل خِبرتِه ـ أماراتٍ دالةً عليه:

فمنها: أنك إذا لقَّنتَه الحديثَ تلقَّنه، ولم يكن بين ما لقَّنتَه وبين ما أورده فرقٌ عنده[1].

ومنها: أنك إذا شكَّكتَه فيه تشكَّك، حتى يكادَ يَرجعُ فيه، ولولاك ما تخالَجَه الشكُّ فيه.

ومنها: أنك إذا رددتَ عليه قولَه حُصِر وارتبك، ولم يكن عنده نُصرةُ المحتجِّين، ولا بُرهَانُ الصادقين.

(١٦٣١) ولذلك قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكذابُ كالسراب».

ومنها: ما يَظهرُ عليه مِن رِيبةِ الكذَّابين، ويَنِمُّ عليه من ذِلَّةِ المتوهِّمين؛ لأن هذه أمورٌ لا يمكن الإنسانَ دفعُها عن نفسه، لما في الطبع من إثارتِها.

(١٦٣٢) ولذلك قالت الحكماء: «العينان أنمُّ من اللسان».

(١٦٣٣) وقال بعضُ البلغاء: «الوجوهُ مَرايا، تُريك أسرارَ البرايا».

(١٦٣٤) وقال بعضُ الشعراء:

تُريك أعينُهم ما في صدُورهِم ... إن العيون يؤدِّي سرَّها النظرُ[2]

= (٣٦٠٠)، وابن ماجه (٢٣٦٦)، والبغوي (٢٥١١)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٠)، والدارقطني (٤/ ٢٤٣)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وصحَّحه الشيخ الألباني. و«ذو الغمر» هو صاحب الحقد والغل. [ط]

(١) أي: أن تعلِّمه الصدق، وهو يغيره ويتحدثُ بالكذب، ولا فرق عنده بين الأمرين. [ط]

(٢) ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى:
=

وإذا وسِمَ بالكذب، نُسِبت إليه شواردُ الكذِبِ المجهولة[١]، وأُضِيفت إلى أكاذيبِه زياداتٌ مفعولة، حتى يصيرَ الكاذبُ مكذوبًا عليه، فيَجمعَ بين مَعرَّةِ الكذب منه، ومَضرَّةِ الكذب عليه.

(١٦٣٥) وقد قال الشاعر[٢]:

حَسْبُ الكذوبِ مِنَ البليَّةِ ... بَعضُ ما يُحكى عَليهِ

فإذا سمعتَ بكِذبةٍ ... مِن غيرِه نُسِبتْ إليهِ

ثم إنه إنْ تحرَّى الصِّدقَ اتُّهِم، وإن جانَب الكذب كُذِّب، حتى لا يُعتقدَ له حديثٌ مُصدَّق، ولا كذِبٌ مُستنكَر.

(١٦٣٦) وقد قال الشاعر:

إذا عُرِف الكذابُ بالكذِبِ لم يكَد ... يُصدَّقُ في شيءٍ وإن كانَ صادقَا

ومِن آفةِ الكذَّابِ نِسيانُ كِذبِهِ ... وتراه ذا حِفظٍ إذا كان حَاذِقَا

وقد وَردت السُّنةُ بإرخاصِ الكذبِ في الحرب، وإصلاحِ ذاتِ البين[٣]، على وجهِ التوريةِ والتأويل ـ دون التصريح به ـ؛ فإن السُّنة لا تَرِدُ بإباحةِ الكذب، لما فيه من التنفير، وإنما جاز ذٰلك على طريق التوريةِ والتعريض[٤].

= والنفسُ تعرفُ في عينَيْ مُحدِّثِها ... إن كان مِن حِزبها أو مِن أعاديها

عيناك قد دلَّتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنتُ أدريها!

(١) أي: تُنسب إليه الأكاذيب التي لا يُعرف قائلُها. [ط]

(٢) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ٣٧ ـ خبر: ٢١١٤).

(٣) كما ورد هٰذا في «المسند» (٦/ ٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٦٠٥)، لٰكن هٰذه الجملة مدرجة من كلام الزهري، حيث جاء الحديث كاملًا هٰكذا: عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط ـ وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ ـ أنها سمعت رسول اللَّه ﷺ وهو يقول: «**ليس الكذابُ الذي يُصلِحُ بين الناس، فيقولُ خيرًا، ويَنمِي خيرًا**». قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخَّصْ في شيءٍ مما يقولُ الناس كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. وانظر: «تحقيق المسند» (٤٥/ ٢٤١)، وكذا «تحقيق سنن أبي داود» (٧/ ٢٨٢). [ط]

(٤) هٰذه المسألة فيها خلافٌ بين أهل العلم، فمنهم من أباح التصريح بالكذب إذا كان لمصلحةٍ =

(١٦٣٧) كما سُئل رسولُ اللَّه ﷺ وقد تطرَّفَ بِرداء[١]، وانفرد عن أصحابه، فقال لهُ رجلٌ: ممن أنت؟ فقال: «**من ماء**»[٢].

فورَّى عن الإخبار بنَسَبِهِ بأمرٍ مُحتمَل، فظنَّ السائلُ أنه عني القبيلةَ المنسوبةَ إلى ذٰلك، وإنما أراد رسولُ اللَّه ﷺ أنه منَ الماء الذي يُخلق منهُ الإنسان، فبلغ ما أحبَّ من إخفاءِ نفسهِ، وصَدَق في خبرِه.

(١٦٣٨) وكالذي حُكي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يسيرُ خلف رسُولِ اللَّه ﷺ حين هاجَر معهُ، فتلقاهُ العرب ـ وهم يعرفون أبا بكرٍ، ولا يعرفون رسُولَ اللَّه ﷺ ـ، فيقولون: «يا أبا بكر، من هٰذا؟ فقال: هادٍ يَهديني السبيل»[٣].

فيظنون أنه يعني هدايةَ الطريق، وهو إنما يُريد هدايةَ سبيل الخير، فصَدَق في قوله، وورَّى عن مُراده.

(١٦٣٩) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في المعاريض لَمندوحةً[٤] عن الكذِب**»[٥].

= شرعية، ومنهم من قال: لا يُباح إلا ما كان من باب التورية والتعريض ـ كما ذهب إليه الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، والأول أقوى. وانظر التفاصيل في «الآداب الشرعية»، للعلامة ابن مفلح الحنبلي (١/ ٥٥) فما بعد. [ط]

(١) لعل المقصود: أنه لبس رداءً جديدًا. واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه ابن هشام في «السيرة» (٣/ ١٦٢)، وعنه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٧)، وابن كثير في «البداية» (٥/ ٧٥)، من رواية محمد بن يحيى بن حبان، **وإسناده ضعيف للإرسال**، وبِهٰذا جزم الشيخ مشهور حسن في تحقيق «إعلام الموقِّعين» (٥/ ١١٥). [ط]

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢١١)، والبخاري (٣٩١١). [ط]

(٤) **المَندوحة**: المتسع. [ط]

(٥) **ضعيف**: رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٠١١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٩٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٣٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٢٨) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «الآداب الشرعية» (١/ ٤٩).
ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٥٧)، موقوفًا على عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «الآداب الشرعية» (١/ ٤٩)، والشيخ الألباني.

(١٦٤٠) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن في المعاريض ما يكفي أن يُعِفَّ الرجل عن الكذب»(١).

(١٦٤١) وقال بعضُ أهل التأويل - في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣] - : «إنه لم ينسَ، ولٰكنه معاريضُ الكلام»(٢).

(١٦٤٢) وقال ابنُ سيرين: «الكلامُ أوسعُ من أن يُصرَّح فيه بالكذب»(٣).

[ما هو الصدقُ القبيح]:

واعلمْ أن من الصدقَ ما يقومُ مقامُ الكذبِ في القُبح والمَعَرَّة، ويزيدُ عليه في الأذى والمضَرَّة، وهي: الغيبةُ، والنميمةُ، والسعايةُ.

* **[الغِيبة]**:

فأمَّا الغيبةُ فإنَّها خيانةٌ وهتكُ سِترٍ يَحْدُثانِ عن حسدٍ وغَدْرٍ.

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، يعني: أنه كما لا يحلُّ لحمُه ميتًا، لا تحلُّ غِيبتُه حيًّا.

(١٦٤٣) ورُوي أن امرأتين صَامتا على عهدِ رسول اللّٰه ﷺ، وجعلتا تغتابانِ الناس، فأُخبرَ بذٰلك النبي ﷺ فقال: «**صَامتا عمَّا أُحِل لهُما، وأفطَرَتا على ما حُرِّم عليهما**»(٤).

---

(١) ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٤٤)، البيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٩)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - موقوفًا - ، بلفظ: «أما في المعاريض ما يكفي المسلمَ من الكذب»، وصحَّحه الشيخ شعيب الأرنؤوط في الموضع السابق. [ط]

(٢) نعم؛ ورد هٰذا عن ابن عباس وغيره من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، لٰكنَّ الأصح - وهو القول الثاني - أنه على بابه، والقاعدة القرآنية تقول: لا يُلجأ إلى التأويل وإخراج اللفظ عن حقيقته إلا عند تعذُّرِ الحمل على الحقيقة، والنسيان أمرٌ فطريٌّ بشري، وليس فيه غضاضةٌ ولا نقص، وهو يعتري الأنبياء فمن سواهم، واللّٰهُ تعالى أعلم. وانظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٢٩). [ط]

(٣) العبارتان في عيون الأخبار (٢/ ٣٧ - خبر: ٢١١٨) منسوبتان إلى ابن سيرين.

(٤) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/ ٤٣١)، والبخاري في «تاريخه» (٥/ ٤٤٠)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٨٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٥٧٦)، =

(١٦٤٤) وروت أسماءُ بنتُ يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولِ اللَّه ﷺ: «**مَنْ ذَبَّ عن لحم أخيهِ بظهرِ الغيب، كان حقًّا على اللَّه ﷻ أن يُحرِّم لَحمَه على النَّار**»[١].

(١٦٤٥) وقال عديُّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الغيبةُ رَعْيُ اللئام».

(١٦٤٦) وكان الحسنُ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يقول: «الغيبةُ فاكهةُ النساء»[٢].

(١٦٤٧) وقال رجلٌ لابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني اغتبتُك، فاجْعَلني في حلٍّ، فقال: ما أُحِبُّ أن أُحِلَّ لك ما حَرَّم اللَّه عليك».

(١٦٤٨) وقال ابن السمَّاك: «لا تُعِنِ الناسَ على غَيبك بسوءِ عَيبك».

(١٦٤٩) وقال الشاعر[٣]:

لا تلتمِسْ من مَساوي الناس ما سَتَروا ... فيَهتِكَ اللَّهُ سِترًا عن مساوِيكَا

واذكُر محاسَن ما فيهم إذا ذُكِرُوا ... ولا تَعِب أحدًا منهم بما فِيكَا

وَرُبَّما عَذَر المُغتاب نفسه بأنه يقولُ حقًّا، ويُعلنُ فسقًا.

(١٦٥٠) ويَستشهدُ بما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثةٌ ليست غِيبتهم بغِيبةٍ: الإمامُ الجائر، وشاربُ الخمر، والمُعلِنُ بفِسقِه**»[٤].

= وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٥٣٨)، عن عبيدٍ ـ مولى رسول اللَّه ﷺ ـ، **وضعَّفه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (١٦٤٨)، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٩١)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٠٠)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/ ٦٠)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥١٩). [ط]

(١) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٦٨٧)، وأحمد (٦/ ٤٦١)، والطيالسي (١٦٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٧٥)، وعبدُ بن حُميد (١٥٧٩)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٦٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٢٩)، **وحسَّنه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٣١٢)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩٥)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٠)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) في الأصل: النساك.

(٣) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ٢٥) خبر (٢٠٤٨).

(٤) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، ورواه من كلام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: البيهقي في «الشعب» (٩٦٦٩)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٣٤)، ورواه البيهقي في «الشُّعَب» (٦٧٩٢) من =

فيبعُد من الصواب، ويجانبُ الأدب، لأنه وإن كان بالغيبة صَادقًا، فقد هَتك سِترًا كان بصونهِ أولى، وجاهر مَن أسرَّ وأخفى.

ورُبَّما دَعا المُغتابَ ذٰلك إلى إظهارِ ما كان يسترُه، والمجاهرةِ بما كان يُضمِرُه، فلم يُفده ذٰلك إلَّا فساد أخلاقه، من غير أن يكون فيه صلاح لغيره.

(١٦٥١) وقد قيل لأنوشِروان: «من الذي لا خيرَ فيه؟ قال: من ضرَّني ولم ينفعْ غيري، أو ضرَّ غيري ولم ينفعني، فلا أعلم فيه خيرًا».

(١٦٥٢) وقيل في منثور الحكم: «لا تُبدِ من العيُوبِ ما سَترَه علَّامُ الغيوب».

(١٦٥٣) وقد رَوى العلاءُ بن عبدالرَّحْمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ عن الغِيبة، فقال: «**أن تقولَ لأخيكَ ما فيه، فإن كنت صَادِقًا فقد اغتبته، وإن كنتَ كاذبًا فقد بَهَتَّه**»[1].

(١٦٥٤) وقال عبدالرَّحْمٰن بن زيد ـ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] ـ : «إنه استهزاءُ المسلم بمَن أعلن بفِسقِه[2]»[3].

(١٦٥٥) ودخلت امرأةٌ على النبي ﷺ تستفتيه، فلما خرجت قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول اللَّه، ما أقصَرَها؟ فقال: «**مهلًا، إياكِ والغيبة**»، فقالت: يا رسول اللَّه، إنما قلتُ ما فيها! قال: «**أجل، ولولا ذٰلك لكان بُهتانًا**»[4].

= كلام ابن عيينة، وهو عند ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٢٣) عن إبراهيم النخعي. [ط]

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٣٠)، ومسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أتدْرُون ما الغِيبة**»، قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «**ذِكرُك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتَبتَه، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه**». [ط]

(٢) كلامٌ وجيه؛ خاصةً وأن الخاتمةَ مغيَّبةٌ عن العباد، فلعل الفاسقَ يتوب، والساخرَ ينتكس. [ط]

(٣) العبارة في الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣٨٧).

(٤) **لم أقف عليه بهٰذا اللفظ**، وروى أحمد (٦/ ١٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٢٩٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٨٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبُك من صفيةَ كذا وكذا (تشير إلى أنها قصيرة)، فقال: «**لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماءِ البحر لمَزَجَتْه**». **وصحَّحه الشيخ الألباني، والشيخ شعيب** =

(١٦٥٦) وسُئل بعض الأدباء عن صفةِ اللئيم؟ فقال: «اللئيمُ إذا غاب عَاب، وإذا حَضر اغتاب».

فأمَّا الخبرُ[١] فمحمولٌ على الإنكارِ لأفعال هٰؤلاء، ولا يكونُ الإنكارُ غيبةً، لأنه نَهْيٌ عن منكر، وفرقٌ بين إنكارِ المجاهِر وغِيبةِ المُساتر.

* **[النميمة]:**

وأمَّا النميمةُ: فهي أن تجمَعَ إلى مَذِمَّةِ الغيبة رداءةً وشرًّا، وتضُمُّ إلى لؤمها دناءةً وغدرًا، ثم تؤولُ إلى تقاطُعِ المتواصِلين، وتباعُدِ المتقاربين، وتباغُضِ المتحابِّين.

(١٦٥٧) وقد رَوى شهرُ بن حَوشب، عن أسماءَ بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أُخبِرُكم بشِراركم؟**»، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ ، قال: «**مِن شِراركم المشَّاؤُونَ بالنميمة، المُفسِدون بين الأحبة، الباغُون العيوب**»[٢].

(١٦٥٨) وروى محمدُ بن عمرٍو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَلعُونٌ ذو الوجهين، مَلعُونٌ ذو اللسانين، مَلعُونٌ كلُّ شَغَّار، مَلعُونٌ كل قتَّات، مَلعُونٌ كل منَّان**»[٣].

الشَّغَّار: المحرِّشُ بين الناس، يُلقي بينهم العدواة.

والقتَّات: النمامُ.

وقيل: النمامُ هو الذي يكونُ مع القوم يتحدَّثون فيَنُم حديثهم[٤]، والقتاتُ: هو

= الأرنؤوط.[ط]

(١) لعله يقصد المتقدم برقم (١٦٥٠)، واللَّهُ أعلم.[ط]

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ٤٥٩)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٣٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٥٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٦٧)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٥٠٨)، و«مساوئ الأخلاق» (٢٢٤)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.[ط]

(٣) **لم أقف عليه**، واللَّهُ تعالى أعلم. وقال الإمام العجَلوني في «كشف الخفا» (٢٣٣٧): «رواه الديلمي». قلت: ولم أجده، واللَّه تعالى أعلم.[ط]

(٤) أي: يرفعه لأهل السُّلطة.[ط]

الذي يتسمَّعُ عليهم وهم لا يعلمون، فيَنِمُّ حديثهم.

والمنَّانُ: هو الذي يفعل الخير ويَمُنُّ به.

(١٦٥٩) وقيل في منثور الحكم: «النميمةُ سيفٌ قاتل».

(١٦٦٠) وقال بعض الأدباء: «لم يَمْشِ ماشٍ شرٌّ مِنْ وَاشٍ».

*** [السِّعاية]:**

فأمَّا السِّعايةُ فهي شَرُّ الثلاثة؛ لأنَّها تجمعُ ـ إلى مذمةِ الغيبة، ولؤم النميمة ـ التغريرَ بالنفوس والأموال، والقدحَ في المنازل والأحوال.

(١٦٦١) ورَوى ابنُ قتيبة: أنَّ النبي ﷺ قال: «**الجنةُ لا يدخلها ديُّوثٌ، ولا قَلَّاعٌ**»[1].

فالديوثُ: هو الذي يَجمعُ بين الرجال والنساء، سُمي بذٰلك لأنَّه يَدِيثُ بينهم[2].

والقَلَّاعُ: هو الساعي الذي يقعُ في الناس عند الأمراء، سُمي بذٰلك لأنه يأتي الرجلَ المتمكِّنَ عند الأمير، فلا يزالُ يقعُ فيه حتى يَقلعَه.

(١٦٦٢) وقال بعضُ الحُكماء: «السَّاعي بين منزلتينِ قبيحتَين، إمَّا أن يكون صَدَقَ فقد خان الأمانة، وإمَّا أن يكون قد كَذَب فخالف المروءة».

(١٦٦٣) وقال بعض حُكماء الفرس: «الصدقُ يُزيِّنُ كُلَّ أحدٍ إلا السُّعاة؛ فإن الساعى أذمُّ وأنمُّ ما يكون إذا صدق».

(١٦٦٤) وقال بعض البُلغاء: «النميمةُ دَناءة، والسِّعايةُ رَداءة، وهما رأس الغدر، وأساسُ الشر، فتجنَّب سبيلَهما، واجتنِبْ أهلَهما».

---

(١) **لم أقف عليه بهٰذا اللفظ**، وروى الطيالسي (٦٧٧)، والطبراني ـ كما في «المجمع» (٤/ ٣٢٧) ـ عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة ديُّوثٌ**». والمتن صحيح، يشهد له ما ثبت عن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**ثلاثةٌ قد حرم اللَّهُ عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديُّوثُ الذي يُقِرُّ في أهله الخبَث**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٦٩) وغيره، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) **الديُّوث**: الذي لا يغار على أهله، كما في «النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٤٧) باب (الدال مع الياء).

(١٦٦٥) ووقَّع الفضلُ بن سهل على قُصَّةٍ[1] ساعٍ سعى إليه: «نحن نرى قبول السعاية شرًّا منها؛ لأن السِّعايةَ دِلالة، والقبولَ إجازةٌ[2]؛ فاتقوا الساعي؛ فإنَّه إن كان في سعايته صادقًا، كان في صدقه آثمًا، إذ لم يحفظ الحُرمة، ولم يستُر العورة».

(١٦٦٦) وقال الإسكندرُ لساعٍ سعى إليه برجل: «أتُحِبُّ أن نقبلَ منك ما تقول فيه، على أن نقبل منه ما يقولُ فيك؟ قال: لا، قال: فكفَّ عن الشر، يُكَفَّ عنك الشر»[3].

(١٦٦٧) وحُكي أن اللَّه تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «إن في بلدك ساعيًا، ولست أُمطِرُك، وهو في أرضك، فقال: يا رب، دُلَّني عليه حتى أُخرِجَه. فقال: يا موسى، أكرهُ النميمة وأنِمُّ؟!».



(١) أي: ورقةً. [ط]

(٢) أي: السعاية إرشاد، بينما قبولُها إجازةٌ لها وإنفاذ لمقتضاها. [ط]

(٣) العبارتان في عيون الأخبار (٢/ ٣١ ـ خبر: ٢٠٧٤، ٢٠٨٠).

الفصل السادس

في الحسد والمُنافسة

اعلم أن الحسد خُلقٌ ذميم، مع إضراره بالبدنِ وإفسادِه بالدين، حتَّى لقد أمر اللَّه بالاستعاذة من شرِّه، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق]، وناهيك بحالِ ذٰلك شرًّا.

(١٦٦٨) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**دَبَّ إليكُم داءُ الأمم قبلَكم: البغضاءُ والحسد؛ هي الحالقة ـ حالقةُ الدين، لا حالقة الشعر ـ ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده، لا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا، ألا أُنبِّئُكُم بأمرٍ إذا فعلتموه تحاببتُم؟ أفشُوا السلام بينكُم**»(١).

فأخبر ﷺ بحال الحسد، وأن التحابُب يَنفيه، وأن السلام يبعثُ على التحابب، فصار السلامُ ـ إذن ـ نافيًا للحسد، وقد جاء كتابُ اللَّه تعالى بما يُوافق هٰذا القول.

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت].

(١٦٦٩) قال مجاهد: «معناه: ادفع بالسلامِ إساءةَ المُسيء».

(١٦٧٠) وقال الشاعر:

قـد يَلبثُ النَّاسُ حينًا ليس بينهمُ ودٌّ فيــزرعهُ التـسليمُ واللُّطْـفُ

(١٦٧١) وقال بعضُ السلـف: «الحسـدُ أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللَّـهُ بـه في السماء ـ يعني: حسد إبليس لآدم عليه السلام ـ ، وأولُ ذنبٍ عُصِيَ اللَّهُ بهِ في الأرضِ ـ يعني: حَسدَ ابنِ آدم لأخيه حتى قتَله ـ »(٢).

---

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ١٦٧)، والترمذي (٢٥١٠)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٦/ ١٢١)، والطيالسي (١٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٤٧)، والبزار (٢٠٠٢)؛ من حديث الزبير بن العوَّام رضي الله عنه وجود إسناده الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ٥٤٨)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٠)، وحسَّنه الشيخ الألباني، بينما ضعف القسم الأول ـ دون جُملة السلام ـ الشيخ شعيب الأرنؤوط للجهالة؛ وراجع ـ لزامًا ـ : «تحقيق المسند» (٣/ ٤٣)، و«تحقيق سنن الترمذي» (٤/ ٤٨٥). [ط]

(٢) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٧ ـ خبر: ١٩٩٩) غير منسوبة.

=

(١٦٧٢) وقال بعضُ الحكماء: «مَن رضي بقضاءِ اللَّه تعالى لم يُسْخِطه أحد، ومَن قَنِع بعطائهِ لم يَدخلهُ حَسَد».

(١٦٧٣) وقال بعضُ البلغاء: «الناسُ حاسِدٌ ومحسود، ولكُلِّ نعمةٍ حسُود».

(١٦٧٤) وقال بعض الأدباء: «ما رأيتُ ظالمًا أشبَه بمظلومٍ من الحسُودِ، نَفَسٌ دائم[1]، وهمٌّ لازم، وقلبٌ هائم[2]».

(١٦٧٥) فأخذه بعضُ الشُّعراء، فقال:

إِنَّ الحَسُوْدَ الظلُومَ في كَرَبٍ   يَخالُهُ مَن يراهُ مظلومَا
ذا نفَسٍ دائمٍ على نفَسٍ   يُظْهِرُ منه ما كانَ مكتُومَا

ولو لم يكُن من ذمِّ الحسد إلا أنه خُلقٌ دنيء، يتوجَّهُ نحو الأكْفاءِ والأقارب، ويختصُّ بالمُخالِط والمُصاحب، لكانت النزاهةُ عنهُ كَرَمًا، والسلامةُ منهُ مَغنمًا، فكيف وهوَ بالنفْسِ مُضِر، وعلى الهَمِّ مُصِر، حتى ربما أفضَى بصَاحبهِ إلى التلف، من غير نكايةٍ في عدو، ولا إضرارٍ بمحسُود.

(١٦٧٦) وقد قال معاويةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ليس في خِصالِ الشرِّ أعدلُ من الحسد، يقتلُ الحاسدَ قبل أن يصلَ إلى المحسُود».

(١٦٧٧) وقال بعضُ الحكماء: «يكفيك من الحسُود[3] أنه يغتمُّ في وقتِ سرورك».

(١٦٧٨) وقيل في منثور الحكم: «عُقوبةُ الحاسدِ من نفسه».

(١٦٧٩) وقال الأصمعيُّ: «قلت لأعرابيٍّ: ما أطولَ عُمرَك؟ قال: تركتُ الحسد فبقيت»[4].

(١٦٨٠) وقال رجلٌ لشُريحٍ القاضي: «إني لأَحسُدُك على ما أرى من صبرك

= قلت: وهٰذا الأثر لا يتنافى مع قول من قال: إن أول ذنب عُصي اللَّهُ تعالى به هو الكِبر، فإبليس جمع بين البليتين، حيث تكبَّر على ربِّه، وحسد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. [ط]

(١) أي: زفراتٌ حارَّةٌ لا تفارقه. [ط]

(٢) هائم: مشتت هنا وهناك. [ط]

(٣) في المطبوعة: الحاسد.

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٨ ـ خبر: ٢٠٠٢).

على الخصوم، ووقوفِك على غامض الحُكْم! فقال: ما نفعك اللَّهُ بذٰلك، ولا ضَرَّني».

(١٦٨١) وقال عبدُاللَّه بن المعتز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اصبِرْ على كيدِ الحسو ... دِ فإنَّ صَبْرَك قاتِلُهْ
فالنارُ تأكُلُ بعضَها ... إن لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ

[الفرقُ بين الحسد والمنافسة]:

وحقيقةُ الحَسد: شدةُ الأَسَى على الخيراتِ تكونُ للناسِ الأفاضل، وهو غيرُ المُنافسة، ورُبما غَلِط قومٌ فظنوا أنَّ المنافسة في الخيرِ هي الحسد، وليس الأمرُ على ما ظنوا، لأن المنافسةَ طلبُ التشبُّهِ بالأفاضل، مِن غير إدخالِ ضررٍ عليهم[١]، والحسدُ مصروفٌ إلى الضرر، لأن غايتَه أن يُعدم الأفاضل فضلهم[٢]، من غيرِ أن يصيرَ الفضلُ له، فهٰذا هو الفرقُ بين المنافسة والحسد.

فالمُنافسة إذن فضيلة، لأنها داعِيةٌ إلى اكتساب الفضائل، والاقتداءِ بالأخيار والأفاضل.

(١٦٨٢) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن يَغْبطُ، والمنافق يَحسُد**»[٣].

(١٦٨٣) وقال الشاعر:

نافِس على الخيرات أهل العُلا ... فإنما الدُّنيا أحاديثُ
كُلُّ امرئٍ في شأنه كادِحٌ ... فوارثٌ منهمُ وموروثُ

---

(١) كما عرَّف بعضهم الفرق بين الحسد والمنافسة ـ أو الغِبطة ـ : أن الحسد تمنِّي زوال النعمة من المحسود ـ سواءٌ نالها الحاسد أم لا ـ ، أو أن الحسد هو كراهةُ رؤية النعمة على الغير. أما المنافسة، فهي تمنِّي مثل ما عند الغير، من غير أن يزول ما عند الآخرين من خيرات. [ط]

(٢) في الأصل: على الفاضل فضله.

(٣) **لا أعلم له أصلًا**، وكذا قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٩٨)، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كما رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥)، وكذا قال الإمام العجَلوني في «كشف الخفاء» (٢٦٩٤)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٤). [ط]

[أسباب الحسد]:

واعلَم أن دَواعي الحسد ثلاثة:

أحدُها: بُغضُ المحسُود، فيأسَى عليه[١] بفضيلةٍ تظهر، أو مَنقَبةٍ تُشكر، فيُثيرُ حسدًا قد خامَرَ[٢] بُغضًا، وهٰذا النوعُ لا يكون عامًّا ـ وإن كان أضرَّها ـ، لأنه ليس يُبغِضُ كل الناس.

والثاني: أن يَظهر من المحسُود فضلٌ يَعجِزُ عنهُ الحاسد، فيَكرهُ تقدُّمَه فيه، واختصاصَه به، فيثيرُ ذٰلك حسدًا لولاهُ لكفَّ عنه، وهٰذا أوسطُها؛ لأنه لا يحسُدُ الأكْفاءَ ومَن دنا، وإنما يختصُّ بحسدِ مَن علا، وقد يمتزجُ بِهٰذا النوع ضربٌ من المنافسة، ولٰكنها مع عجز، فلذٰلك صارت حسدًا.

والثالث: أن يكُونَ في الحاسد شُحٌّ بالفضائل وبُخلٌ بالنِّعم؛ وليست إليه فيَمنع منها، ولا بيدِه فيدفع عنها؛ لأنها مواهبُ قد مَنحها اللّٰهُ مَن يشاء، فيَسخَطُ على اللّٰه ﷻ في قضائه، ويحسُد على ما مَنح من عطائه، وإن كانت نعمُ اللّٰه ﷻ عنده أكثر، ومِنَحُه عليه أظهر، وهٰذا النوعُ من الحسد أعمُّها وأخبثُها، إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاهُ غاية، فإنِ اقترن بشرٍّ وقُدرةٍ كان بَوارًا[٣] وانتقامًا، وإن صادف عجْزًا ومهانةً كان جَهدًا وسَقامًا.

(١٦٨٤) وقد قال عبدُالحميد: «الحسودُ مِن الهمِّ كساقي السُّم، فإن سَرى سُمُّه زال عنه هَمُّه».

واعْلم أنه بحسبِ فضل الإنسان، وظهورِ النعمةِ عليهِ يكُون حسدُ الناسِ له، فإن كثُر فضلُه كثُر حُسَّادُه، وإن قَلَّ قلُّوا؛ لأن ظهورَ الفضل يُثيرُ الحسد، وحدوثُ النعمة يضاعف الكَمَد.

(١٦٨٥) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**استعينوا على قضاءِ حوائجِكم بسَترها؛ فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسُود**»[٤].

---

(١) يأسى: يحزن ويغتمُّ. [ط]

(٢) خامر: خالط. [ط]

(٣) بورًا: هلاكًا. [ط]

(٤) حسن: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٣٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٤)، =

(١٦٨٦) وقال عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كانت للَّهِ تعالى على أحدٍ نعمةٌ، إلا وَجد لها حاسدًا، فلو كان الرجلُ أقوَمَ من القِدْح لما عَدِم غامزًا».

(١٦٨٧) وقد قال الشاعر[1]:

إن يَحسُدُوني فإني غيرُ لائِمِهم ... قبلي من الناس أهلُ الفضل قد حُسِدُوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرُنا غيظًا بما يَجِدُ

وربما كان الحسد مُنبِّهًا على فضلِ المحسُود، ونقص الحسُود.

(١٦٨٨) كما قال أبو تمام الطائي[2]:

وإذا أراد اللَّهُ نَشْرَ فضيلةٍ ... طُويت أتاح لها لسانَ حَسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ... ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

لولا التخوُّفُ للعواقبِ لم يزلْ ... للحاسد النُّعمَى على المحسُودِ

[كيف يتخلَّصُ الإنسانُ من الحسد؟!]:

فأمَّا ما يستعملُهُ مَن كان غالبًا عليه الحسدُ، وكان طَبعُه إليه مائلًا، لينتفيَ عنه فيُكْفَاه، ويسلمَ من ضررهِ وعَدْواه، فأمورٌ هي له حَسْم، إن صادفها عَزْم.

* **فمنها: اتباع الدِّين في اجتنابِه[3]، والرجُوعُ إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في آدابه:**

فيَقهرُ نفسَه على مذموم خُلُقِها، وينقُلُها عن لئيمِ طبعِها، وإن كان نَقلُ الطباع

= و«الأوسط» (٢٤٥٥)، و«الصغير» (١١٨٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٢٢٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٩٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٧)، والرُّوياني (١٤٤٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٠٤)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠٨)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحكم عليه **بالنكارة** الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٤١)، **وأقرَّه** الحافظ الذهبي في «اللسان» (٣/ ٣١)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٨٨)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٥٧)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٣)، و«الصحيحة» (١٤٥٣). [ط]

(١) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ١٧) غير منسوبة.

(٢) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ١٤ ـ خبر: ١٩٨٠).

(٣) أي: اجتناب الحسد. أو اتباع الدينِ فيما أمر باجتنابِه. [ط]

عَسِرًا، لٰكنْ بالرياضةِ والتدريجِ يسهُلُ منها ما استُصعب، ويُجيب منها ما أُتعب.

(١٦٨٩) وإن تقدم قول القائل: «مَنْ رَبُّه خَلَقَه، كيف يُخَلِّي خُلقه».

غير أنه إذا عانى تهذيبَ نفسه، تظاهَرَ بالتخلُّق دون الخُلق، ثم بالعادةِ يصيرُ كالخُلق.

(١٦٩٠) قال أبو تمام الطائى:

فلـم أَجِـد الأخلاقَ إلا تخلُّقًا ... ولـم أجدِ الإفضالَ إلا تفضُّلَا

*** ومنها: العقلُ الذى يَستقبحُ به من نتائج الحسدِ ما لا يَرتضيه، ويستنكفُ مِن هُجنةِ مساويه:**

فيُذلل نفسَه أَنَفةً، ويقهرها[1] حَمِيَّةً، فتُذعِنُ لرشدِهَا، وتجيبُ إلى صلاحها، وهٰذا إنما يصحُّ لذي النفْسِ الأبيَّة، والهمَّةِ العلِية، وإن كان ذو الهمة يَجِلُّ عن دناءة الحسد.

(١٦٩١) وقد قال الشاعر:

أَبِـيٌّ لـه نفسان: نفـسٌ زكـيةٌ ... ونفسٌ إذا ما خافت الظلم تَشْمُس[2]

*** ومنها: أن يستدفع ضررَه، ويتوقَّى أثرَه، ويعلمَ أن نكايتَه في نفسه أبلغ، ومن الحسود أبعد:**

فيَستعملُ الحزمَ في دفع ما كَدَّهُ وأكمده[3]، ليكون أطيبَ نفسًا، وأهنأَ عيشًا.

(١٦٩٢) وقد قيل: «العُجبُ لغفلةِ الحُساد، من سلامةِ الأجساد».

(١٦٩٣) وقد قال الشاعر[4]:

بَـصيرٌ بأعقـابِ الأمـورِ كأنمـا ... يَرى بصوابِ الرأي ما هو واقعُ[5]

---

(١) في المطبوعة والشرح: ويطهرها.

(٢) تشمُس: تنفر منه. [ط]

(٣) كده وأكمده: أتعبه وأعياه. [ط]

(٤) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٦١) غير منسوبة.

(٥) وهٰذه هي الفراسة. [ط]

*** ومنها: ما يرى من نفور الناس عنه، وبُعدُهم منه:**

فيخافُهم: إمَّا على نفسِهِ من عَداوة، أو على عِرضِه من مَلامة، فيتلقاهم[١] بمعالجةِ نفسِه، ويراهم إن صَلَحوا أجدى نفعًا، وأخلصَ ودًّا.

(١٦٩٤) وقد قال ابنُ العميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

داوى جَوًى بجَوًى وليس بحازم مَن يستكفُّ النارَ بالحلفاءِ[٢]

(١٦٩٥) وقال المؤمَّل بن أُميل[٣]:

لا تحسَبُوني غنيًّا عن مودتكُم إني إليكم ـ وإن أيسرتُ ـ مُفتقرُ

*** ومنها: أن يُساعد القضاءَ، ويستسلمَ للمقدور:**

ولا يرى أن يُغالِبَ قضاءَ اللَّه تعالى، فيرجعُ مغلوبًا، ولا أن يُعارضه في أموره، فيُرَدُّ محزونًا[٤] مسلوبًا.

(١٦٩٦) وقد قال أَرْدشير بن بابك: «إذا لم يُساعدنا القضاءُ ساعدناه[٥]».

(١٦٩٧) وقال محمود الوراق:

قَدَرُ اللَّهِ كائنٌ حين يُقضى وُرودُهُ

قد مضى فيك علمُهُ وانتهى ما يُرِيدُهُ

وأخو الحزم حزمُهُ ليس ممَّا يزيدُهُ

فأَرِدْ ما يكونُ إنْ لم يكنْ ما تريدُهُ

---

(١) في المطبوعة والشرح: فيتألفهم.

(٢) **الجَوى**: الحزن. **يستكفُّ**: يطفئ. **الحَلْفاء**: نوعٌ من الحشيش توقد به النار. [ط]

(٣) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي، من محارب خصفة بن قيس، كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكان شاعرًا مجيدًا ودون طبقة الفحول، توفي عام (١٩٠). ترجمته في: الأغاني (٢٢/ ٢٥٤)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٣٣).

(٤) في المطبوعة والشرح: محرومًا.

(٥) أي: رضينا به. [ط]

فإن أظفرتْه السعادةُ بأحد هٰذه الأسباب، وهَدَتْهُ المراشِدُ إلى استعمال الصواب، سَلِم من سَقامِهِ، وخَلَص من غَرامه[١]، واستبدل بالنقصِ فَضلًا، واعتاضَ من الذم حَمدًا؛ فإنَّ من[٢] استنزَلَ نفسه عن مَذِمة، وصَرفها عن لائمة، فهو أظهرُ حزمًا، وأقوى عزمًا، ممن كفَتْه النفسُ جهادها، وأعطته قيادها.

(١٦٩٨) ولذٰلك قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «خياركم كُل مُفَتَّنٍ توَّاب».

[عقوبات الحاسد ـ إذا لم يعالج الحسد ـ]:

وإن صدَّته الشهوةُ[٣] عن مَراشده، وأضلَّهُ الحرمانُ عن مقاصدِهِ، فانقاد للطبع اللئيم، وغَلَبَ عليه الخُلُقُ الذميم، حتى ظَهر حَسدُه، واشتد كَمَدُه، فقد باء بأربع مذام:

إحداهن: حسراتُ الحسد، وسَقامُ الجسد، ثم لا يجِدُ لحسرته انتهاءً، ولا يؤمِّلُ لسقامِه شفاءً.

(١٦٩٩) وقد قال ابن المعتز: «الحسدُ داءُ الجسد».

والثانية: انخفاضُ المنزلة، وانحطاطُ المرتبة[٤]، لانحرافِ الناس عنه، ونفورِهم منه.

(١٧٠٠) وقد قيل في منثور الحكم: «الحسود لا يسُود».

والثالثة: مَقْتُ الناسِ له، حتى لا يجِدَ فيهم محبًّا، وعداوتُهم له، حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصيرُ بالعداوة مأثورًا، وبالمقتِ مزجُورًا.

(١٧٠١) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**شرُّ الناس مَن يُبغِضُ الناسَ ويُبغِضُونه**»[٥].

---

(١) **الغرام**: الملازمة. والمراد: الهمُّ اللازم. [ط]

(٢) في المطبوعة: ولمن، وقال في الحاشية: كذا في منهاج اليقين، وفي طبعة الأميرية: فإن من. قلت: وهي كذٰلك في الأصول، واللّٰه أعلم.

(٣) في الأصل: الشقوة.

(٤) في الأصل: الرتبة.

(٥) **ضعيف جدًّا**: رواه أحمد في «الزهد» (١٧٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣١٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٩)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٤٠)، والحارث في «مسنده» (١٠٧٠)، وابن عساكر في «التاريخ» (٥٥/ ١٣٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصدَّره =

والرابعة: إسخاطُ اللَّه تعالى في مُعارضته، واجتناءُ الأوزارِ في مخالفته، إذ ليس يرى قضاءَ اللَّه عدلًا، ولا لنِعَمِه من الناس أهلًا.

(١٧٠٢) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**إنَّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ، كما تأكُلُ النَّارُ الحطب**»[1].

(١٧٠٣) وقال عبدُاللَّه بن المعتز: «الحاسدُ مُغتاظٌ على من لا ذنب له، بخيلٌ بما لا يملِكُه، طالبٌ لما لا يجده».

فإذا بُلي الإنسانُ بمن هٰذه حالُه من حُسَّادِ النِّعَمِ وأعداءِ الفضل، استعاذ باللَّه من شرِّه، وتوقَّى مصارعَ كيده، وتحرَّز من غوائل حَسَده، وأَبعد عن ملابستِه وإدنائه، لعَضلِ دائه، وإعوازِ دوائه[2].

(١٧٠٤) فقد قيل: «حاسدُ النعمة لا يُرضيه إلا زوالُها».

(١٧٠٥) وقال بعضُ الحكماء: «من ضرَّ بطبعه فلا تأنسْ بقُربه، فإنَّ قَلْبَ

= الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٢٦٧) **بصيغة التمريض**، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٣٤): «فيه عنبس بن ميمون، وهو متروك»، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٧٢)، وكذا فعل محقق «الزهد» للإمام أحمد، وهٰذه الجملة ضمن حديث طويل، ولفظها: «**ألَا أُنبِّئُكم بشراركم؟**»، قلنا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «**الذي يَنزلُ وحده، ويَمنعُ رِفدَه، ويَجلِدُ عبدَه**»، ثم قال: «**ألا أنبِّئُكم بشرٍّ من هٰذا؟**»، قلنا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «**الذي يُبغِضُ الناسَ ويُبغِضُونه...**» الحديث. [ط]

(١) **حسن**: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٩٤)، وأبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢١٠)، وأبو يعلى (٣٦٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٦٦)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ١٣)، وعبد بن حُميد (١٤٣٠)، والقضاعي (١٠٤٨). وقد رواه بعضهم عن أبي هريرة، وبعضهم عن أنس، وبعضهم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وضعَّفه** الإمام البخاري، وقال الإمام الدَّارَقُطْني: «**باطل**» ـ كما في «الإتحاف» للزَّبيدي (١/ ٤٧٢) ـ، **وحسَّن رواية** «تاريخ بغداد» الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٠٦ ـ بعنايتي)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٩٠١)، **وضعَّفه** الشيخ بشَّار عوَّاد في تحقيق «تاريخ بغداد»، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ حسين الداراني عند أبي يعلى. بينما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق سنن أبي داود» (٧/ ٢٦٤): «**حسن لغيره**»، وكذا قال في الرواية (٤٩٠٤)، «سنن أبي داود» (٧/ ٢٦٥)، وانظر تحقيقه لـ«سنن ابن ماجه» (٥/ ٢٩٥). [ط]

(٢) أي: لشدة علاجه وصعوبته. [ط]

الأعيان صعبُ المرام[١]».

(١٧٠٦) وقال عبدُالحميد: «أسدٌ تقارِبُه، خيرٌ من حسودٍ تراقبه».

(١٧٠٧) وقال محمودٌ الوراق:

أعطيتُ كُلَّ الناس من نفسي الرضا ... إلَّا الحسودَ فإنه أعياني

ما إنَّ لي ذنبًا إليه عَلِمتُهُ ... إلا تظاهرُ نعمةِ الرَّحْمٰنِ

وأبَى فما يُرضيهِ إلا ذِلَّتي ... وذهابُ أموالي وقَطعُ لساني

(١٧٠٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثةٌ لا يَسلَمُ أحدٌ منهن: الطِّيَرة، وسوءُ الظن، والحسد، فإذا تطيَّرتَ فلا تَرجِعْ، وإذا ظننتَ فلا تُحقِّقْ، وإذا حَسدتَ فلا تَبغِ**»[٢].



(١) أي: تغيير الطباع صعبٌ عسير. [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٢٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٦٢)، والمحاملي في «الأمالي» (٣٤٣)، وأبو الشيخ في «التنبيه والتوبيخ» (١٥٥، ٢٤٢)، من حديث حارثة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٨٧)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٥٢٦).
وقد أورد الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٩٤٢) رواية بلفظ: «**إذا ظننتم فلا تُحقِّقوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى اللَّهِ فتوكَّلوا، وإذا وزنتم فأرجحوا**»، ومال إلى **تصحيح ألفاظه بشواهده**، وانظر ـ لزامًا ـ الكلام عليه في «الصحيحة» (٧/ ١٦٤٩). [ط]

فصل

[أدبُ المواضعة والاصطلاح]

وأمَّا أدبُ المُواضعةِ والاصطلاح فضربان:

أحدهما: ما تكونُ المواضعةُ في فروعه، والعقلُ موجِبٌ لأصُولِه.

والثاني: ما تكون المواضعةُ في فروعِه وأصوله؛ وذٰلك مُتضحٌ في الفصول التي نذكرها إذا سُبرت ـ إن شاء اللَّه ـ، وهي ثمانية:

الفصل الأول

في الكلام والصمت

اعلم أنَّ الكَلام تَرْجُمانٌ يُعبِّرُ عن مستودعاتِ الضمائر، ويُخبِرُ بمكنوناتِ السرائر، لا يُمكن استرجاعُ بوادِرِه، ولا يُقْدَرُ على ردِّ شَوارده، فَحُقَّ على العاقلِ أن يحترزَ من زَلَلِهِ بالإمساك عنه، أو بالإقلال منهُ.

(١٧٠٩) رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «**رَحِمَ اللَّهُ من قال خيرًا فغنِمَ، أو سكَت فسلِمَ**»[١].

(١٧١٠) وقال ﷺ لِمُعاذ: «**يا مُعاذُ، أنت سالِمٌ ما سكتَّ، فإذا تكلمتَ فعليك أو لك**»[٢].

(١٧١١) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللسانُ مِعْيارٌ[٣] أطاشَهُ الجهلُ، وأَرْجَحَهُ العقلُ».

(١٧١٢) وقال بعضُ الحكماء: «الزَمِ الصَّمتَ تُعَدَّ حكيمًا؛ جاهلًا كُنت أو عليمًا».

(١٧١٣) وقال بعضُ الأدباء: «سَعِد من لسانُه صَمُوت، وكلامه قُوت[٤]».

---

(١) **حسن**: رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٤٥٨٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٠٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١١٠)، **وحسَّنه** الإمام السيوطي في «الجامع الصغير»، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٦)، و«الصحيحة» (٨٥٥)، ومحقق «الشعب» (٧/ ١٩)، ولفظ الحديث: «**رحم اللَّهُ امرأً تكلَّم فغنم، أو سكت فسلِم**». [ط]

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٤٦٠٨)، والطيالسي (٥٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٧٣)، والديلمي (١٥٨٠) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٠٠): «رواه الطبراني بإسنادين؛ رجال أحدهما ثقات»، **وأقرَّه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ«جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٣٤)، **وصحَّحه لغيره** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٦)، و«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦). [ط]

(٣) **المِعيار**: الميزان. [ط]

(٤) أي: على قدرِ الحاجة. [ط]

(١٧١٤) وقال بعضُ العُلماء: «مِن أعْوَزِ ما يتكلمُ به العاقلُ: ألَّا يتكلم إلا لحاجته، أو لحُجَّته، ولا يفكِّرَ إلَّا في عاقبته، أو في آخرته».

(١٧١٥) وقال بعضُ البلغاء: «الزَمِ الصمتَ؛ فإنه يُكْسِبُكَ صَفْوَ المحبَّة، ويُؤمِّنُك سُوءَ المغِبَّة[١]، ويُلبسُكَ ثوب الوقار، ويكفيك مُؤْنة الاعتذار».

(١٧١٦) وقال بعضُ الفُصحاء: «اعقِلْ[٢] لسانك إلَّا عن حقٍّ توضِّحُه، أو باطلٍ تدحضُه، أو حكمةٍ تنشرها، أو نعمةٍ تشكُرُها»[٣].

(١٧١٧) وقال الشاعر[٤]:

رأيت العِزَّ في أدبٍ وعقلٍ ... وفي الجهل المذلَّةُ والهوانُ
وما حُسْنُ الرِّجالِ لهم بحسنٍ ... إذا لم يُسعدِ الحُسْنَ البيانُ
كَفى بالمرءِ عيبًا أن تراهُ ... لهُ وجهٌ وليس لهُ لِسانُ

[شروطُ الكلام]:

واعلَم أنَّ للكلام شُروطًا، لا يَسلمُ المُتكلِّمُ من الزلل إلا بها، ولا يَعرَى من النقص إلا بعد أن يستوعبها[٥]، وهي أربعة:

فالشرطُ الأول: أن يكُون الكلامُ لداعٍ يدعُو إليه، إمَّا في اجتلابِ نفع، أو دفعِ ضَرر.

والشرطُ الثاني: أن يأتِيَ به في موضعه، ويتوخَّى به إصابةَ فُرصتِه.

والشرطُ الثالث: أن يقتصرَ منهُ على قدْرِ حاجتِه.

والشرطُ الرابع: أن يتخيَّر اللفظَ الذي يتكلمُ به.

فهٰذه أربعةُ شروطٍ، متى أخلَّ المتكلمُ بشرطٍ[٦] منها فقد أوهَنَ فضيلةَ باقيها،

---

(١) المَغِبة: العاقبة. [ط]
(٢) اعقِل: اربط. [ط]
(٣) في المطبوعة والشرح: تذكرها.
(٤) الأبيات في عيون الأخبار (٢/ ١٩١) غير منسوبة.
(٥) في المطبوعة والشرح: يستوفيها.
(٦) في الأصل: بشيء.

وسنذكرُ من تعليل كُلِّ شرطٍ منها، بما يُنبئ عن لزومهِ.

فأمّا الشَّرطُ الأول ـ وهو الداعي إلى الكلام ـ : فلأنَّ ما لا داعيَ إليه هَذَيان، وما لا سبب لهُ هُجْر[1]، ومَن سامح نفسَه في الكلام إذا عَنَّ[2]، ولم يُراعِ صحَّة دواعيه، وإصابةَ معَانيه، كان قولُه مرذُولًا، ورأيُه معلُولًا.

(١٧١٨) كالذي حَكَى ابنُ عائشة: «أن شابًّا كان يُجالسُ الأحنف، ويُطيل الصمتَ، فأعجَبَ ذٰلك الأحنفَ، فخَلَتِ الحلقةُ يومًا، فقال له الأحنف: تكلم ـ يا ابن أخي ـ ؛ فقال: يا عمُّ، أرأيتَ لو أن رُجلًا سقط من شُرفةِ هٰذا المسجد، هل كان يضُرُّه شيء؟ فقال: يا ابن أخي، ليتنا تركناك مستورًا!

ثم تمثل الأحنفُ بقول الأعور الشَّنِّي[3]، حيث يقول:

وكائِنْ تَرَى مِنْ صامِتٍ لكَ مُعجِبٍ ... زيادتُه أو نقصُه في التكلُّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ... فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللَّحم والدَّمِ».

(١٧١٩) وكالذي حُكِي عن أبي يوسف الفقيه[4]: «أنَّ رجلًا كان يجلسُ إليه فيُطيل الصمت، فقال أبو يوسف: ألا تسأل؟ قال: بلى، متى يُفطرُ الصائم؟ قال: إذا غربتِ الشمس، قال: فإن لم تغرُب إلى نصف الليل؟ قال: فتبسَّم أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتمثل ببيتي الخَطَفي[5] ـ جدِّ جرير[6] ـ :

عجبتُ لإزراءِ العَيِيِّ بنفسِه ... وصمتِ الذي قد كان بالقول أعلما

(١) الهُجر: القبيح. [ط]
(٢) عَنَّ: بدا له. [ط]
(٣) هو بشير ـ ويقال: بشر ـ بن منقذ، أبو منقذ العبقسي، شاعر كان على عهد معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (تاريخ دمشق).
(٤) يعقوب بن إبراهيم بن الحسين بن سعيد بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة، كان صدوقًا من أهل العلم، وكان قاضي القضاة لثلاثة من الخلفاء: المهدي والهادي والرشيد، توفي عام (١٨٢).
ترجمته في: تذكرة الحفاظ (ص٢٩٢).
(٥) حذيفة بن بدر، جد جرير، لسان العرب (٢/ ٢٧٩) باب (خطف).
(٦) الأبيات في معجم الأدباء (١/ ٢٩) منسوبة إليه، وفي عيون الأخبار (٢/ ١٩٧) غير منسوبة.

وفي الصَّمت سِترٌ للعَيِيِّ وإنما صحيفةُ لُبِّ المرء أن يتكلَّما».

ومما أُطْرِفُكَ به عني: أني كُنتُ يومًا في مجلسي بالبصرة، وأنا مقبِلٌ على تدريس أصحابي[1]، إذ دَخَل عليَّ شيخٌ[2] مُسِنٌّ ـ قد ناهَز الثمانين أو جاوزها ـ، فقال لي: قد قصدتُك بمسألةٍ اخترتُك لها، فقلت: سَلْ ـ عافاك اللَّه ـ، وظننته يسألُ عن حادثٍ نزل به، فقال: أخبِرْني عن نجم إبليس، ونجم آدم ما هُو؟ فإن هٰذين لعُظم شأنِهما لا يُسأل عنهُما إلا علماء الدين، فعجبتُ وعَجِب مَن في مجلسي من سؤاله، وبَدَر إليه قومٌ منهم بالإنكار والاستخفاف، فكَفَفْتُهم، وقلتُ: هٰذا لا يَقنعُ ـ مع ما ظهر من حاله ـ إلا بجوابٍ مثله، فأقبلت عليهِ وقلتُ: يا هٰذا، إن المنجِّمين يزعمون أن نجومَ الناس لا تُعرف إلا بمعرفةِ مواليدهم، فإن ظَفِرتَ بمن يعرفُ ذٰلك فاسأله، فحينئذٍ أقبل عليَّ، وقال: جزاك اللَّه خيرًا، ثم انصرف مسرورًا، فلمَّا كان بعد أيام عاد، وقال: ما وجدتُ إلى وقتي هٰذا مَن يعرفُ مولد هٰذين.

فانظر إلى هٰؤلاء؛ كيف أبان الكلامُ عن جهلهم، وأعرب السؤالُ عن نقصهم، إذ لم يكن لهم داعٍ إليه، ولا رَوِيَّةٌ فيما تكلموا به، ولو صَدَر [الكلامُ] عن رَوِيَّةٍ، ودعا إليهِ داعٍ لسَلِموا من شَينِه، وبرِئُوا من عيبه.

(١٧٢٠) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**لسانُ العاقل من وراءِ قلبه، فإذا أراد الكلامَ رَجع إلى قلبه، فإن كان له تكلم، وإن كان عليه أمسَكَ، وقلبُ الجاهل مِن وراءِ لسانه، يتكلمُ بكلِّ ما عَرَض له**»[3].

(١٧٢١) وقال عُمر بن عبدالعزيز: «مَن لم يَعُدَّ كلامَه من عمله كثُرت خطاياه».

(١٧٢٢) وقال بعضُ الحكماء: «عقلُ المرءِ مخبوءٌ تحت لسانِهِ»[4].

(١٧٢٣) وقال بعضُ البلغاء: «احبِسْ لسانك قبل أن يُطيلَ حَبسَك، أو يُتلِفَ

---

(١) يعني تلاميذي، وهٰذا من أدب السلف ـ كما سمعتُه من الشيخ شعيب الأرنؤوط في أحد اللقاءات ـ أنهم كانوا يَصِفون تلاميذهم بالأصحاب. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: رجلٌ.

(٣) **لا أعلم له أصلًا مرفوعًا**، وإنما هو من كلام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، كما ذكره البيهقي في «الشُّعَب» (٤٣٧١)، وأورده ـ **بلا سند** ـ الحافظ ابن عبدالبر في «أدب المجالسة» (٨٩) [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٩١) غير منسوبة.

نفْسَك، فلا شَيءَ أولى بطولِ حبسٍ من لسان، يَقصُرُ عن الصَّواب، ويُسرعُ إلى الجوابِ».

(١٧٢٤) وقال أبو تمام الطائي:

وممَّا كانت الحكماء قالتْ: لِسانُ المرءِ مِن خَدْمِ الفؤادِ

(١٧٢٥) وكان بعضُ الحُكماء يحسِمُ الرُّخصة في الكلام، ويقول: «إذا جالستَ الجُهال فأنصِت لهم، وإذا جالستَ العلماءَ فأنصِتْ لهم، فإن في إنصاتِك للجُهال زيادةٌ في الحلم، وفي إنصاتك للعُلماءِ زيادةٌ في العلم».

وأمَّا الشرطُ الثاني: فهو أن يأتِيَ بالكلام في موضعِه؛ لأن الكلامَ في غير حينه لا يقعُ موقعَ الانتفاع به، وما لا يَنفعُ من الكلام فقد تَقدَّمَ القولُ فيه بأنَّه هذَيانٌ وهُجْرٌ؛ فإن قدَّم ما يقتضي التأخيرَ كان عَجَلةً وخُرْقًا، وإن أخَّر ما يقتضي التقديمَ كان توانيًا وعجزًا؛ لأن لكلِّ مقامٍ قولًا، وفي كُلِّ زمانٍ عَملًا.

(١٧٢٦) وقد قال الشاعر:

تضعُ الحديثَ على مَواضِعِه وكلامُها من بعده نَزْرُ

وأمَّا الشرطُ الثالث ـ وهو أن يقتصر منهُ على قدرِ حَاجتِهِ ـ: فإن الكلامَ إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يُقدَّرْ بالكفاية، لم يكن لحدِّه غاية، ولا لقَدرِه نهاية، وما لم يكن من الكلام محصُورًا، كان إمَّا حَصَرًا[١] إن قَصُر، أو هَذَرًا[٢] إن كَثُر.

(١٧٢٧) ورُوي أن أعرابيًّا تكلَّم عند رسول اللَّه ﷺ وطوَّل، فقال النبي ﷺ: **«كم دونَ لسانِك مِن حجاب؟!»**، قال: شفتاي وأسناني، قال: **«فإن اللَّهَ ﷻ يكره الانبعاق[٣] في الكلام، فنضَّر اللَّهُ وَجهَ امرئٍ أوجَزَ في كلامِه، واقتَصر على حاجته»**[٤].

(١) **الحَصَر**: العجز. [ط]

(٢) **الهَذَر**: الكلام الفارغ. [ط]

(٣) **الانبعاق في الكلام**: هو الانصباب فيه بشدة، مختار الصحاح (ص٥٨) باب (بعق).

(٤) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٩٣)، عن عمرو بن دينار ـ مرسلًا ـ، وضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١١٥)، ولفظ الحديث: **«كم دون لسانك من** =

(١٧٢٨) وحُكي أن بعض الحُكماء رأى رجُلًا يُكثر الكَلام، ويُقِلُّ السكوت، فقال له: «إن اللَّه تعالى إنما خَلق لك أُذنَين ولسانًا واحدًا، ليكُون ما تسمعُه ضِعفَ ما تتكلم به».

(١٧٢٩) وقال بعضُ الحُكماء: «من كثُر كلامُه كثُرت آثامُه».

(١٧٣٠) وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُنذركُم فضولَ المنطق[1]».

(١٧٣١) وقال بعض البلغاء: «كلامُ المرء بيانُ فضله، وتَرجُمانُ عقله، فاقصُرْه على الجميل، واقتصِرْ منه على القليل، وإياك وما يُسخِطُ سُلطانك، أو يُوحِشُ إخوانك، فمَن أسخطَ سُلطانه تعرَّض للمَنيَّة، ومَن أوحش إخوانه تبرأ من الحُرية».

(١٧٣٢) وقال بعض الشُّعراء:

وَزِنِ الكــلامَ إذا نطقــتَ فإنَّمــا   يــبدي عيوب ذوي العقول المنطقُ

ولمُخالفةِ قدْرِ الحاجة من الكلام حالتان: تقصيرٌ يكون حصَرًا، وتكثيرٌ يكون هذَرًا، وكلاهما شَينٌ[2]، وشَينُ الهَذَر أشنعُ، وربما كان في الغالب أخوف.

(١٧٣٣) قال النبي ﷺ: **«وهل يَكُبُّ النَّاسَ على مناخِرهم في نار جهنم إلا حصائدُ أَلسِنَتِهم»**[3].

(١٧٣٤) وقال بعضُ الحُكماء: «مقتلُ الرجل بين فكَّيه»[4].

(١٧٣٥) وقال بعض البلغاء: «الحَصَرُ خيرٌ مـن الهـذَر؛ لأن الحصرَ يُضعِفُ

= **حجاب؟»، قال: أسناني وشفتاي، قال: «أما كان في هٰذا ما يردُّ من كلامك؟! إن من البيان لسِحرًا»**، والجملة الأخيرة صحيحة، وقد سبقت تحت الحديث رقم (١١٨١). [ط]

(١) **الفضول**: ما زاد على الحاجة. [ط]

(٢) **الشَّين**: العار. [ط]

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٤٩)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** ـ كذٰلك ـ الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٧١) خبر (١٨٤٩) منسوبة لأكثم بن صيفي.

الحُجَّة، والهَذرُ يتلفُ المُهجة».

(١٧٣٦) وقد قال الشاعر[١]:

رأيــتُ اللــسان على أهلِــهِ إذا ساسَـهُ الجهـلُ ليثًـا مُغيرًا[٢]

(١٧٣٧) وقال بعض الأدباء:

أيــا رُبَّ ألــسنةٍ كالــسيوفِ تقطــعُ أعــناقَ أصــحابِها

ومـا يُنـتقصْ من هيئاتِ الرجالِ يَــزِدْ في بهــائهـا وألــبابِها

وقد ذهب بعضُهم، إلى أن الكلامَ إذا كثُر عن قَدْرِ الحاجة، وزاد على حدِّ الكفاية، وكان صوابًا لا يشُوبُه خطل، وسليمًا لا يَعتوِرُه زلل، فهو البيانُ، والسحرُ الحلال.

(١٧٣٨) وقال سُليمان بن عبدِالملِك ـ وقد ذُم الكلامُ في مجلسه ـ: «كَلَّا؛ إنَّ مَن تكلم فأحسنَ، قدَرَ على أن يَسكُت فيُحسِن، وليس كلُّ مَن سكت فأحسَن، قَدَر على أن يتكلم فيُحسِن»[٣].

(١٧٣٩) ووصف بعضُهم الكاتب، فقال: «الكاتبُ مَن إذا أَخذ شِبرًا كَفَاه، وإذا وَجَدَ طُومارًا[٤] أملاه[٥]».

(١٧٤٠) وأنشد بعضُهم في خطباء إياد:

يَــرمُون بالخُطــب الطِّــوالِ وتــارةً وحــيَ المَلاحــظِ خِــيفةَ الــرُّقبـاءِ

(١٧٤١) وقال الهيثم بن صالح[٦] لابنه: «يا بُنيَّ، إذا أقللتَ من الكلام، أكثرتَ من الصَّواب، فقال: يا أبت، فإن أنا أكثرتُ وأكثرتُ ـ يعنى كلامًا وصوابًا ـ؟ فقال:

---

(١) البيت في عيون الأخبار (١/ ٤٧٠) غير منسوب.
(٢) ساسه: قاده. [ط]
(٣) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٩٨ ـ خبر: ٣٠٤٢).
(٤) **الطومار**: الصحيفة، لسان العرب (٤/ ١٩٥) باب (طمر).
(٥) **أملاه**: ملأه. [ط]
(٦) لم أجده، والله أعلم.

يا بُنَيَّ، ما رأيتُ موعُوظًا أحقَّ بأن يكون واعظًا منك».

(١٧٤٢) وأُنشدت لأبي الفتح البُسْتي[١]:

تكلَّمْ وسدِّد ما استطعتَ فإنما ... كلامُك حيٌّ والسُّكوت جَمادُ
فإن لم تَجِدْ قولًا سديدًا تقولُهُ ... فصمتُكَ عن غير السَّدادِ سَدادُ

(١٧٤٣) وقيل لإياس بن معاوية[٢]: «ما فيك عيبٌ إلا كثرةُ الكلام! فقال: أفتسمعون صوابًا أم خطأ؟ قالوا: لا؛ بل صَوابًا، قال: فالزيادةُ من الخير خيرٌ»[٣].

(١٧٤٤) وقال أبو عثمان الجاحظ: «وليس كما قال؛ فللكلام غايةٌ، ولنشاطِ السامعين نهاية، وما فَضَلَ عن مقدار الاحتمال، ودعَا إلى الاستثقال والمُلال، فذٰلك الفاضل هو الهَذَر»[٤].

وصدق أبو عثمان؛ لأن الإكثار منه ـ وإن كان صوابًا ـ يُمِلُّ السامع، ويُكِلُّ[٥] الخاطر، وهو صادرٌ عن إعجابٍ منه، لولاه لأقصَرَ عنه، ومن أُعجب بكلامِهِ استَرسل فيه، والمسترسِلُ في الكلام كثيرُ الزلل، دائم العثار[٦].

(١٧٤٥) وقال بعض الحكماء: «من أُعجب بقوله أُصيب بعقلِه، وليس لكثرة

---

(١) أبو الفتح، عليُّ بن محمد البستي، الشاعر المشهور، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس، توفي عام (٤٠٠).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ٣٧٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٤).

(٢) إياس بن معاوية بن قرة، أبو واثلة المزني، قاضي البصرة، كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء، والسؤدد والعقل، توفي عام (١٢١).
ترجمته في: أخبار القضاة لوكيع (ص١٩٩)، حلية الأولياء (٣/ ١٢٣)، تهذيب الكمال (٣/ ٤٠٧ ـ ٤٤٠).

(٣) الخبر في تهذيب الكمال (٣/ ٤٣٦).

(٤) الخبر في البيان والتبيين (١/ ٩٩).

(٥) يُكلُّ: يُتعب. [ط]

(٦) في كلام الجاحظ والماوردي نظر؛ فإن الخبرَ السالف ليس فيه إنه يُطيل حتى يُملَّ؛ نعم تُكرهُ الإطالةُ المؤديةُ للضجَر والمَلل، لٰكنَّ الإطالةَ النافعة ـ والتي فيها تفصيلاتٌ وتفسيراتٌ لما عساه إن أُجمل ألا يفهم ـ ؛ فهٰذا مطلوبٌ مستحب؛ وهو من علامات الفهم والحنكة لدى المتكلم، ولكلِّ مقامٍ مقال، واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]

الهَذَر رجاءٌ يُقابل خوفه، ولا نفعٌ يوازي ضرره؛ لأنه يَخافُ من نفسه الزلل، ومن سامعيه السآمةَ والمَلل، وليس في مقابلة هٰذين حاجةٌ داعية، ولا نفعٌ مرجُوٌّ».

(١٧٤٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أبغضُكم إليَّ المتفيهقُ المِكثار**[١]، **والمُلِحُّ المِهذار**»[٢].

(١٧٤٧) وسأل رجلٌ حكيمًا، فقال: «متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيتَ الصَّمت، فقال: متى أصمُت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام[٣]».

(١٧٤٨) وقال الشاعر:

الـصَّمتُ زيـنٌ والسُّكوتُ سلامةٌ ... وإذا نطقْـتَ فـلا تكـنْ مِهـذارَا

فلَـئِنْ نـدِمتَ على سـكوتك مرَّةً ... فلَتَـنْدَمَنَّ على الكـلام مِـرارَا

(١٧٤٩) وقال جعفر بن يحيى: «إذا كان الإيجازُ كافيًا، كان الإكثارُ عِيًّا، وإن كان الإكثارُ واجبًا، كان التقصير عجزًا»[٤].

(١٧٥٠) وقيل في منثور الحكم: «إذا تمَّ العقلُ نَقَص الكلام».

(١٧٥١) وقال بعض الأدباء: «من أطال صمتَه، اجتلب منَ الهيبة ما ينفعُه، ومن الوحشةِ ما لا يضرُّه».

(١٧٥٢) وقال بعض البلغاء: «عِيٌّ يُسلَمُ منه، خيرٌ من نُطقٍ يُندَمُ عليه، فاقتصِرْ من الكلام على ما يقيمُ حجتك، ويبلغُ حاجتك، وإياك وفُضوله، فإنَّه يُزِلُّ القَدَم، ويُورِّثُ النَّدم».

(١٧٥٣) وقال بعضُ الفصحاء: «فمُ العاقل مُلْجَم[٥]، إذا همَّ بالكلام أحجَم[٦]،

---

(١) **المتفيهق**: المتكبر. [ط]

(٢) **لم أقف عليه بِهٰذا اللفظ**، ويغني عنه الحديث السالف برقم (١٤٩٥). [ط]

(٣) هٰذا الكلامُ فيه تفصيل، فإن اشتهاءَ الكلام لا يكونُ دومًا مرفوضًا، فإن كان الاشتهاءُ نابعًا من الكبر والعجب والرياء والسمعة، فالكلامُ وجيه، وإن كان الاشتهاءُ نابعًا من الرغبةِ في الرد على الطاعنين على الحق، أو ملاطفة الإخوان، أو نشر دين الرَّحْمٰن ـ وما أشبه ذٰلك ـ ، فهٰذا يدورُ بين الاستحباب والوجوب، والعلمُ عند علَّام الغيوب. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ١٩٧ ـ خبر: ٣٠٣٢).

(٥) **مُلجَم**: مربوط. [ط]

(٦) **أحجم**: توقَّف. [ط]

وفَمُ الجاهل مُطلق، كلما شاء أطلق».

(١٧٥٤) وقال بعض الشعراء:

إن الكــلام يَغِــرُّ القــومَ جَلْــوَتُهُ حتَّــى يَلِــجَّ بــهِ عِــيٌّ وإكــثارُ

وأمَّا الشرطُ الرابع ـ وهو اختيارُ اللفظ الذي يتكلمُ به ـ : فلِأنَّ اللسان عُنوانُ الإنسان، يُترجم عن مجهولِه، ويُبرهِنُ عن محصوله، فيَلزمُه أن يكونَ بتهذيب ألفاظه حَرِيًّا، وبتقويم لسانه مليًّا[١].

(١٧٥٥) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لعمِّه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يُعجبُنى جَمالُك**»، قال: وما جَمالُ الرَّجل ـ يا رسول اللّه ـ؟ قال: «**لسانه**»[٢].

(١٧٥٦) وقال خالدُ بن صفوان: «ما الإنسانُ لولا اللسان! هل كان إلا بَهيمةً مُهملة، أو صورةً مُمَثَّلة».

(١٧٥٧) وقال بعضُ الحكماء: «اللسانُ وزيرُ الإنسان».

(١٧٥٨) وقال بعضُ الأدباء: «كلامُ المرء وافدُ أدبِه[٣]».

(١٧٥٩) وقال بعضُ البلغاء: «يُستدلُّ على عقل الرجـل بقولِـه، وعلى أصله بفعله».

(١٧٦٠) وقال بعضُ الشعراء:

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لـم تكُن لهُ حَـصاةٌ على عَـوراته لَدليـلُ

---

(١) مليًّا: معتنيًا. [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه الحاكم (٣/ ٣٣٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٥٢)، عن عليّ بن الحسين ـ **مرسلًا** ـ ، وبِهذا **ضعَّفه** الحافظ الذهبي، والمعلق على «المستدرك» (٤/ ٣٩٥ ـ ط: دار المعرفة). [ط]

وروي عن جابر بن عبداللّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللّه ﷺ قال: «**جمالُ الرجلِ فصاحةُ لسانه**»، وهو **موضوع**: رواه القضاعي (٢٣٣)، وأورده الحافظ الذهبي في «الميزان» في ترجمة «أحمد بن عبدالرَّحْمٰن بن الجارود الرقي»، وذكر أنه من «بلاياه»، وكذا هو في «اللسان» (١/ ٢١٣)، وفي «الفوائد المجموعة» (١٤٢)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٠٤)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦٣٤)، بينما حكم عليه **بالوضع** في «الضعيفة» (٣٤٦٦). [ط]

(٣) أي: دليلٌ على أدبِه. [ط]

[تعريفات البلاغة]:

وليس يصحُّ اختيارُ الكلام إلَّا لمن أَخذ نفسَه بالبلاغة، وكلَّفَها لزومَ الفصاحة، حتى يصيرَ مُتدرِّبًا بها، مُعتادًا لها، فلا يأتي بكلام مستكرَهِ اللفظ، ولا مُختلِّ المعنى؛ لأن البلاغة ليست معانٍ مفردة، ولا ألفاظًا عارية[1]، وإنما البلاغة: أن تكونَ المعاني الصحيحةُ مستودعةً في ألفاظٍ فصيحة، فتكونُ فصاحةُ الألفاظ مع صحةِ المعاني هي البلاغة.

(١٧٦١) وقد قيل لليوناني: «ما البلاغة؟ قال: اختيارُ الكلام، وتصحيحُ الأقسام».

(١٧٦٢) وقيل ذٰلك للرومي، فقال: «حُسن الاقتصارِ عند البديهة، والغزارةُ يومَ الإطالة».

(١٧٦٣) وقيل للهندي، فقال: «معرفةُ الفصل من الوصل».

(١٧٦٤) وقيل للعربي، فقال: «ما حَسُن إيجازه، وقلَّ مجازه».

(١٧٦٥) وقيل للبدوي، فقال: «ما دُون السِّحر، وفوق الشِّعر، يفُتُّ الخَردل، ويَحُطُّ الجَنْدل».

(١٧٦٦) وقيل للحَضَري، فقال: «ما كثُر إعجازُه، وتناسبت صدورُه وأعجازه».

(١٧٦٧) وقال ابنُ المقفع: «البلاغةُ قِلَّةُ الحَصَر، والجراءةُ على البَشَر».

(١٧٦٨) وسأل الحجاجُ ابنَ القِرِّيَّة[2] البعثريَّ عن الإيجاز، قال: «أن تقول فلا تُبطئ، وأن تصيبَ فلا تخطئ. ثم قال: أقِلْني، فقال: قد فعلت، فقال: هو ألَّا تبطئَ ولا تخطئ».

(١٧٦٩) وقال الشاعرُ:

خيرُ الكلامِ قليلٌ ... على كثيرٍ دليلُ

---

(١) في المطبوعة والشرح: ولا لألفاظها غاية.

(٢) هو الحجاج بن أيوب بن زيد، منسوب إلى أمه، كان أحد بلغاء الدهر، خطيبًا يضرب به المثل، وكان أعرابيًّا أميًّا، قتل سنة (٨٤).
ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٨٤).

والعِيُّ معنى قصيرٌ يَحويهِ لفظٌ طويلُ
وفي الكلام فُضولٌ وفيه قالٌ وقيلُ

[صحةُ المعاني]:

وأمَّا صحة المعاني، فتكون من ثلاثة أوجُهٍ:

أحدها: إيضاحُ تفسيرها، حتى لا تكونَ مُشكلةً ولا مُجمَلة.

والثاني: استيفاءُ تقسيمها، حتى لا يدخلَ فيها ما ليس منها، ولا يخرجَ عنها ما هو منها.

والثالث: صحة مقابلاتِها.

والمقابلةُ تكون من وجهين:

أحدهما: مقابلةُ المعنى بما يوافقه، وحقيقةُ هٰذه المقابلة، لأن المعاني تصيرُ مشاكلة.

والثاني: مقابلتُه بما يُضاده، وهو حقيقةُ المقابلة، وليس للمقابلة إلَّا أحدُ هٰذين الوجهين: الموافقةُ في الائتلاف، أو المضادَّة مع الاختلاف.

[فصاحة الألفاظ]:

فأمَّا فصاحةُ الألفاظ، فتكون بثلاثةِ أَوجُه:

أحدُها: مجانبةُ الغريبِ الوحشي؛ حتى لا يَمُجَّه سمع، ولا يَنفِرَ منه طبع.

والثاني: تنكُّبُ اللفظِ المستبذَل، والعدولُ عن الكلام المسترذَل، حتى لا يَستسقِطَه خاصِّيٌّ[1]، ولا ينبو عن فهمه عَامِّيٌّ.

(١٧٧٠) كما قال الجاحظ في كتاب «البيان»: «أمَّا أنا فلم أرَ قومًا أمثلَ طريقةً في البلاغة من الكُتَّاب؛ وذٰلك أنهم قد التمَسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّرًا وحشيًّا، ولا ساقطًا عامِّيًّا».

والثالث: أن يكون بينَ الألفاظ ومعانيها مناسبةٌ ومطابقة.

---

(١) أي: لا يراه ساقطًا، **والخاصيُّ**: الأديب الفَهِم. [ط]

أمَّا المطابقة فهي: أن تكونَ الألفاظُ في القوالِبِ مناسبةً لمعانيها، فلا تَزيدُ عليها ولا تقصرُ عنها.

(١٧٧١) وقد قال بِشرُ بن المعتمر ـ في وصيته في البلاغة ـ : «إذا لم تجِدِ اللفظةَ واقعةً موقعها، ولا صائرةً إلى مُستقَرِّها، ولا حالَّةً في مركزها؛ بل وجدتَها قَلِقةً في مكانِها، نافرةً عن مَوضِعها، فلا تُكرِهْها على القرار في غير مَوضعها، فإنك إن لم تتعاطَ قريضَ الشِّعرِ الموزون، ولم تتكلَّفِ اختيارَ الكلام المنثور، لم يَعِبْك بترك ذٰلك أحدٌ، وإذا أنت تكلَّفتَهما، ولم تكن حاذقًا فيهما، عابَك مَن أنت أقلُّ عيبًا منه، وأزرى عليك مَن أنت فوقه».

وأمَّا المناسبة فهي[1]: أن يكونَ المعنى يليقُ ببعضِ الألفاظ، إمَّا لعُرفٍ مُستعمَل، أو لاتفاقٍ مُستحسَن، حتى إذا ذُكِرَتْ تلك المعاني بغيرِ تلك الألفاظ، كانت نافرةً عنها، وإن كانت أفصحَ وأوضح، لاعتياد ما سواهَا.

(١٧٧٢) وقد قال بعضُ البُلغاء: «لا يكونُ البليغ بليغًا، حتى يكونَ معنى كلامِه أسبقَ إلى فَهمِك مِن لفظه إلى سمعك».

[أهَمية الإعراب، وتجنُّبُ اللحن]:

وأمَّا مُعاطاةُ الإعراب وتجنُّبُ اللحن، فإنما هو من صفاتِ الصَّواب، والبلاغةُ أعلى منهُ رتبةً، وأشرفُ منزلةً، وليسَ لمن لَحَن في كلامِه مَدخلٌ في الأدباء، فضلًا عن أن يكون في عدادِ البُلغاء والفصحاء.

[آدابُ الكلام]:

واعلم أن للكلام آدابًا، إن أغفلها المُتكلم، أذهب رَونقَ كلامه، وطَمَس بهجةَ بيانِه، ولَهَا[2] الناسُ عن محاسِن فضلِه بمساوئ أدبِه، فعَدَلوا عن نشر مناقبِه بذِكر مثالبه.

١ ـ فمن آدابه: ألَّا يتجاوَزَ في مدح، ولا يُسرفَ في ذَم، وإن كانت النزاهةُ عن

(١) في الأصل: فهو.
(٢) لها: أعرض وابتعد، من اللهو. [ط]

الذَّمِّ كَرمًا، والتجاوزُ في المدح مَلَقًا يَصدُرُ عن مَهانة، والسَّرفُ في الذمِّ انتقامٌ يصدُرُ عن شَر، وكلاهُما شَينٌ؛ وإن سَلِم من الكَذِب.

(١٧٧٣) يُروى أنه لما قَدِمَ على رسول اللَّه ﷺ وفدُ تميم، سأل رسولُ اللَّه ﷺ عمرَو بن الأهتمِ عن قيسِ بن عاصم[1] فمدحهُ، فقال قيسٌ: واللَّهِ ـ يا رسول اللَّه ـ، لقد علم أني خيرٌ مما وصف، ولٰكنهُ حسدني، فذمَّهُ عَمرو، وقال: واللَّهِ ـ يا رسول اللَّه ـ لقد صدقتُ في الأولى، وما كذبتُ في الأخرى، لأني رضِيتُ في الأولى، فقلتُ أحسنَ ما علمتُ، وسخِطتُ في الأخرى، فقلتُ أقبحَ ما علمت. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ من البيانِ لسحرًا**»[2].

على أن السلامةَ منَ الكذِب في المدحِ والذمِّ مُتعذِّرة، لا سيما إذا مَدَح تقرُّبًا، وذمَّ تحنُّقًا[3].

(١٧٧٤) وحُكِيَ عن الأحنف بن قيس، أنه قال: «سهرتُ ليلتي أفكِّرُ في كلمةٍ أُرضي بها سُلطاني، ولا أُسخِطُ بها ربي، فما وجدتُها».

(١٧٧٥) وقال عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الرَّجُل لَيدخُلُ إلى السلطان ومعه دينُه، فيخرجُ وما معهُ دينُه، قيل: وكيف ذٰلك؟! قال: يُرضيه بما يُسخِطُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

(١٧٧٦) وسمع ابنُ الرُّومي رجُلًا يصفُ رجُلًا، ويُبالغ في مدحه، فأنشأ يقول:

إذا ما وصفتَ امرأً لامرئٍ ... فلا تَغْلُ في وَصفِهِ واقصِدِ

فإنك إن تَغْلُ تَغْلُ الظُّنونُ ... فيهِ إلى الأمدِ الأبعدِ

فيَضأَلُ مِن حيث فخَّمتَهُ ... لِفَضلِ المَغيبِ على المَشهدِ

---

(١) في حاشية طبعة الاستاذ مصطفى السقا، قال: هٰذا وهم، والصواب: الزبرقان بن بدر، كما في منهاج اليقين، وزهر الآداب للحصري، وانظر الخبر في صحيح البخاري، كتاب النكاح، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **حسن**: رواه الحاكم (٣/ ٦١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧٦٧١)، وعزاه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١١٧) لـ«الكبير» ـ أيضًا ـ، وهو وارد من حديث ابن عباس وأبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٣٢)، والإمام الهيثمي في «المجمع»، بينما **حسَّنه بطُرقه** المعلِّق على «المستدرك» (٦/ ٨٠٥ ـ ط: دار المعرفة). [ط]

(٣) **تحنُّقًا**: غيظًا وحنقًا. [ط]

٢ ـ ومن آدابه: ألَّا تبعثه الرغبةُ والرهبةُ على الاسترسالِ في وعدٍ أو وعيدٍ يَعجِزُ عنهما، ولا يَقدِرُ على الوفاء بهما؛ فإن من أطلقَ بهما لسانَه، وأرسل فيهما عَنانَه، ولم يَستثقل من القولِ ما يستثقلُه من العمل، صار وعدُه نكْثًا، ووعيدهُ عجزًا.

(١٧٧٧) حُكي أن سُليمان بن داود عليهما السلام مرَّ بعُصفورٍ يدورُ حَول عُصفورة، فقال لأصحابه: «هل تدْرُون ما يقولُ لها؟ قالوا: لا ـ يا نبي اللَّه ـ! قال: إنه يَخطِبها لنفسه، ويقول لها: زوِّجيني نفسك، أُسكِنْك أيَّ غُرفِ دمشق شئتِ. قال سُليمان: وكَذَب العصفور، فإن غُرف دمشق مبنيةٌ بالصخر، لا يَقدِرُ أن يُسكنَها هناك، ولٰكن كُلُّ خاطبٍ كذاب».

٣ ـ ومن آدابه: أنه إذا قال قولًا حقَّقه بفِعله، وإذا تَكلَّم بكلام صدَّقهُ بعمله، فإن إرسالَ القول اختيار، والعملَ بهِ اضطرار، ولأَنْ يفعلَ ما لم يَقُل أجملُ من أن يقول ما لم يفعل.

(١٧٧٨) وقال بعضُ الحكماء: «أحسنُ الكلام ما لا يُحتاج فيه إلى كلام».

أي: يُكتفى بالفعل من القول.

(١٧٧٩) وقال محمودٌ الوراق:

القـولُ مـا صـدَّقه الفِعـلُ — والفِعـلُ مـا وكَّـده العقـلُ

لا يثبتُ القـولُ إذا لـم يكُـن — يُقِلُّـهُ مـن تحتِهِ الأصـلُ[1]

٤ ـ ومن آدابه: أن يراعيَ مخارجَ كلامِهِ بحسبِ مقاصدهِ وأغراضه، فإن كان ترغيبًا قرَنه باللين واللُّطف، وإن كان ترهيبًا خَلَطَه بالخشونةِ والعُنف؛ فإنَّ لِينَ اللفظ في الترهيب، وخُشونتَه في الترغيب: خروجٌ عن موضعهما، وتعطيلٌ للمقصود بهما، فيصيرُ الكلام لَغْوًا، والغرضُ المقصود لهوًا.

(١٧٨٠) وقد قال أبو الاسود الدُّؤلي لابنه: «يا بُني، إذا كنتَ في قومٍ فلا تتكلمْ بكلامِ مَن هو فوقَك فيمقتوك، ولا بكلامِ مَن هو دونك فيَزدرُوك».

٥ ـ ومن آدابه: ألَّا يرفعَ بكلامِه صوتًا مُستكرَهًا، ولا ينزعجُ له انزعاجًا

(١) يُقِلُّه: يحمله. [ط]

مُستهجَنًا، ولْيَكفُفْ عن حركةٍ تكون طيشًا، وعن إشارةٍ تكونُ عِيًّا؛ فإنَّ نَقصَ الطيش أكثرُ من فضل البلاغة.

(١٧٨١) وقد حُكي أن الحجاجَ قال لأعرابي: «أخطيبٌ أنا؟ قال: نعم، لولا أنك تُكثِرُ الرَّد، وتشيرُ باليد، وتقول: أمَّا بعد[١]».

٦ ـ **ومن آدابه**: أن يتجافَى هُجْرَ القول، ومُستقبحَ الكلام، ولْيَعدِل إلى الكناية عما يُستقبحُ صريحُه، ويُستهجنُ فصيحُه، ليبلُغَ الغرض، ولسانُه مُنزَّه، وأدبُهُ مَصُون.

(١٧٨٢) وقد قال محمدُ بن عليٍّ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان] ـ ، قال: «كانوا إذا ذكروا الفُروج كَنَّوْا عنها[٢]»[٣].

وكما أنه يَصُونُ لسانَه عن ذٰلك، فهٰكذا يَصُونُ سمعَه عنه، فلا يسمعُ خَنًا، ولا يصغي إلى فُحشٍ؛ فإنَّ سماعَ الفُحش داعٍ إلى إظهاره، وذريعةٌ إلى إكثاره، وإذا وُجِد عن الفحش مُعرِضًا، كفَّ قائلُه، وكانَ إعراضُهُ أحدَ النُّكرين، كما أنَّ سماعه أحدُ الباعثين.

(١٧٨٣) وأنشدني أبو الحسن بن الحارث الهاشمي[٤]:

تَحَرَّ مِنَ الطُّرْقِ أوساطَها ... وعَدِّ عنِ المَوضِعِ المشتَبِهْ
وسَمْعَك صُنْ عَنْ قبيحِ الكلامِ ... كصونِ اللسانِ عنِ النُّطق بِهْ
فإنك عندَ استماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائلِهِ فانتَبِهْ

ومما يجري مجرى فُحشِ القول وهُجرِه ـ في وجوب اجتنابه، ولزومِ تنكُّبِه[٥] ـ

---

(١) أي: تكثر منها في ثنايا الكلام، ولم يقصد عدم ذكرها نهائيًّا؛ كيف، وقد كثرت في خطب وكلام أفصح الخلق ﷺ؟! [ط]

(٢) هٰذا نوعٌ من المقصود من الآية، ومعناها العام أن عباد الرَّحْمٰن كانوا إذا مرُّوا بأشكال الفساد، تركوها وابتعدوا عنها ـ إن لم يستطيعوا تغييرها ـ . [ط]

(٣) العبارة في الطبري (٩/ ٤٢١) منسوبة إلى مجاهد.

(٤) لم أجده، واللّٰه أعلم.

(٥) تنكُّبه: الإعراض عنه. [ط]

ما كان شنيعَ البديهة، مستنكَرَ الظاهر، وإن كان مع التأمل سليمًا، وبعدَ الكشف والروية مستقيمًا.

(١٧٨٤) كالذي رواه الأزدي عن الصُّولي لبعض المتكلفين من الشعراء:

إننـــي شـــيخٌ كبيـــرٌ كافـرٌ، باللَّـه سِـيري
أنـــتَ ربِّـــي، وإلٰهـــي رازقُ الطفـلِ الـصغيرِ

يُريدُ بقولهِ: «كافر»: أي لابس، لأن الكفر التغطيةُ، ولذٰلك سُمي الكافرُ باللَّه «كافرًا»، لأنَّه قد غطَّى نعمةَ اللَّه بمعصيته، وقولهُ: «باللَّه سيري»: أقسَمَ عليها باللَّه أن تسير، وقوله: «أنت ربي»، يعني ربِّي من التربية، وإلٰهى رازقُ الطفل الصغير، كما أنه رازقُ الولد الكبير.

فانظر إلى هٰذا التكلُّفَ الشنيع، والتعمُّق البشيع، ما اعتاض من حيث البديهة ـ إذا سَلِم بعد الفكر والرويَّة ـ إلا لومًا إن حسُن فيه الظن، أو ذمًّا إن قويَ فيه الارتياب، وقلما يكون ذٰلك إلا من خليعٍ بَطِر، أومرتابٍ أشِر.

(١٧٨٥) فأمَّا الحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُصَلُّوا على النَّبي**»(١).

فخارجٌ عن هٰذا النوع من التلبيس، وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أنه أراد النهيَ عن الصلاةِ في المكان المرتفِع المُحدودب، مأخوذٌ من النَّبْوة.

والثاني: أنه أراد الطريقَ، ومنه سُمِّي رُسل اللَّه «أنبياءَ»، لأنَّهم الطريقُ إليه، وإنما زال عنه التلبيس إذ قاله رسولُ اللَّه ﷺ ـ وإن كان مِن قول غيره تلبيسًا شنيعًا ـ ؛ لأنَّ موضوعَ خطابهِ وشواهدَ أحوالِه يَصرفانِ كلامَه عن التجوُّزِ والاسترسال، في أمرٍ أو نَهي إلى ما لا يجوز أن يَرِدَ به شرع، وينهى عنه نبي، وليس يمتنع ذٰلك في غيره، ولذٰلك افترق وجودُه منه ومن غيره(٢).

---

(١) **باطلٌ لا أصل له**، ولفظه منكر، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) هٰذا تكلف زائد، فليس هٰذا بحديث، ولا معنى حديث، واللَّه أعلم.

قلت: نعم؛ وأهل العلم يقولون: «أثبت العرش ثم انقش»! فلابد أولًا من ثبوت الحديث، ثم =

٧ ـ ومن آدابه: أن يجتنبَ أمثـالَ العامـةِ الغَوغـاء، ويتخصَّص بأمثال العُلماء والأُدباء، فإنَّ لكُل صنفٍ من الناس أمثالًا تُشاكلُهم، فلا تجدُ لساقطٍ إلا مَثلًا ساقطًا، وتشبيهًا مُستقبحًا، وللسُّقَّاطِ أمثالٌ، فمنها تمثيلهم للشيء المريب.

(١٧٨٦) كما قال الصُّنوبري:

إذا مـا كُـنتَ ذا بـولٍ صـحيحٍ ألا فاضـربْ بـه وجـه الطبـيبِ

ولذلك علتان:

إحداهما: أنَّ الأمثالَ من هواجس الهِمم، وخطَراتِ النفوس، فلم يكن لذي الهمةِ الساقطةِ إلا مثلٌ مرذول، وتشبيهٌ معلول.

والثانية: أنَّ الأمثال مُستخرَجةٌ من أحوال المتمثِّلين بها، فبحسب ما هم عليه تكونُ أمثالهم.

فلهاتينِ العلتينِ وقع الفرقُ بين أمثالِ الخاصةِ وأمثالِ العامة.

وربما أَلِف المتخصِّصُ مثلًا عاميًّا، أو تشبيهًا ركيكًا، لكثرة ما يَطرُقُ سمعَهُ من مُخالطةِ الأنذال، فيَسترسلُ في ضربه مثلًا، فيصيرُ به في الناس مثلًا.

(١٧٨٧) كالذي حُكي عن الأصمعي: «أن الرشيدَ سأله يومًا عن أنساب بعض العرب، فقال: على الخبيـر سقطْتَ ـ يا أميـر المؤمنيـن ـ ! فقـال لـه الفضلُ بن الربيع[١]: أسقَط اللّٰه جَنبيك، أتخاطبُ أمير المؤمنين بمثل هٰذا الخطاب؟!».

فكان الفضلُ بن الربيع ـ مع قلَّـة علمـه ـ أعرفَ بما يُستعملُ من الكلامِ في محاورةِ الخلفاءِ، من الأصمعي الذي هو واحدُ عَصْرِه، وقريعُ دَهْرِه.

وللأمثال في الكلام مواقعُ في الأسماع، وتأثيرٌ في القلوب، لا يكادُ الكلام المرسَلُ يبلغُ مبلغَها، ولا يؤثِّرُ تأثيـرها، لأن المعـاني بها لائحةٌ، والشواهدَ بها واضحةٌ، والنفوس بها وامقة[٢]، والقلوبَ بها واثقة، والعقولَ لها موافقة.

= بعد ذٰلك نبحث عن معانيه الصحيحة. **[ط]**

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس، الأمير الكبير، حاجب الرشيد، توفي عام (٢٠٨). ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٩).

(٢) المِقَةُ: المحبة.

[شروط ضرب الأمثال]:

ولذلك ضرب اللَّه ﷻ الأمثالَ في كتابِه العزيز، وجَعلها من دلائل رُسله، وأوضحَ بها الحُجةَ على خلقه، لأنَّها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة، ولها أربعة شروط:

أحدها: صحةُ التَّشبيه، وإصابةُ التمثيل.

والثاني: أن يكون العلمُ بها سابقًا، والكُلُّ عليها مُوافقًا.

والثالث: أن يُسرِعَ وصُولُها للفهم، ويُعجِّلَ تصوُّرُها في الوَهم، مِن غير ارتياءٍ في استخراجها، ولا كدٍّ في استنباطها.

والرابع: أن تُناسِبَ حال السامع، لتكون أبلغ تأثيرًا، وأحسنَ موقعًا.

فإذا اجتَمعت في الأمثال المضروبةِ هٰذه الشروطُ الأربعة، كانت زينةً للكلام، وجَلاءً للمعاني، وتدبُّرًا للأفهام.



الفصل الثاني

في الصَّبْر والجَزَع

اعلم أنَّ مِن حُسنِ التوفيق، وأماراتِ السعادة: الصَّبرَ على المُلِمَّات، والرفقُ عند النوازل، وبذٰلك نزل الكتابُ، وجاءت السنةُ.

قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

يعني ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ على ما افترَض اللَّه عليكم، ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ عَدُوَّكم.

﴿وَرَابِطُوا۟﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: رابطوا على الجهاد.

والثاني: رابطوا على انتظار الصلوات.

(١٧٨٨) رَوى أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ألَا أدلُّكُم على ما يَحُطُّ**[١] **اللَّهُ به الخطايا، ويرفعُ به الدرجات؟**»، قالوا: بلى ـ يا رسُول اللَّه ـ ، قال: «**إسباغُ الوضُوء على المَكاره، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجد، وانتظارُ الصَّلاة بعدَ الصَّلاة، فذٰلكم الرِّباط، [فذٰلكم الرِّباط، فذٰلكم الرِّباط]**»[٢].

فنزل الكتابُ بتأكيدِ الصبرِ فيما أَمر بهِ وندبَ إليه، وجَعلِه من عزائم التقوى، فيما افترضَه وحثَّ عليه.

(١٧٨٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصَّبرُ سِترٌ من الكروب، وعَونٌ على الخُطوب**»[٣].

(١٧٩٠) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «الصَّبرُ مَطيـةٌ لا تكبُو[٤]، والقَناعةُ سيفٌ لا ينبُو[٥]».

---

(١) لفظ رواية الصحيح: «**يمحو**».

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٣)، ومسلم (٣٦٩)، والترمذي (٥١)، والنسائي (١٤٣)، وفي و«الكبرى» (١٣٨)، ورواه ابن ماجه (٤٢٨) بلفظ: «**كفاراتُ الخطايا: إسباغُ الوضوءِ على المكاره، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاة**». [ط]

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٤) تكبو: تتعثَّر. [ط]

(٥) ينبو: ينحرف. [ط]

(١٧٩١) وقال عبدُالحميد: «لم أسمع أعجبَ من قولِ عُمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أنَّ الصَّبرَ والشكرَ بعيران، ما باليتُ أيَّهُما رَكِبتُ».

(١٧٩٢) وقال عبدُاللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أفضلُ العُدَّة الصَّبرُ على الشدة».

(١٧٩٣) وقال بعضُ البُلغاء: «مِن خير خِلالِك الصَّبرُ على اختلالك[1]».

(١٧٩٤) وقيلَ في منثُور الحكم: «مَن أحبَّ البقاء فلْيُعِدَّ للمصائب قلبًا صبُورًا».

(١٧٩٥) وقال بعضُ الحُكماء: «بالصَّبرِ على مواقِع الكُرهِ تُدْرَك الحُظوظ».

(١٧٩٦) وقال عُبيدُ بن الأبرص[2]:

صَبِّرِ النفسَ عند كُلِّ مُلمٍّ	**إن في الصبرِ حِيْلَةَ المُحتالِ**
لا تَضِيقَنَّ بالأمُور فقد	**تُكشَفُ غَمَّاؤُها بغير احتيالِ**
رُبَّما تجزعُ النفُوسُ منَ	**الأمرِ له فُرْجَةٌ كحلِّ العقالِ**

(١٧٩٧) وقال ابن المقفع في كتابِ «اليتيمة»: «الصَّبرُ صَبران، فاللئامُ أصبرُ أجسامًا، والكرامُ أصبرُ نفوسًا، وليس الصَّبرُ الممدوح صاحبُه أن يكونَ الرجلُ قويَّ الجسد على الكَدِّ والعمل؛ لأن هٰذا من صفات الحَمِير؛ ولٰكنْ أن يكون للنفسِ عُلْوًا، وللأمور مُتحمِلًا، ولجأشه عند الحفاظ مُرتبطًا».

[أقسامُ الصبر]:

واعلم أن الصبرَ على ستةِ أقسام، وهو في كل قسمٍ منها محمود:

*** فأول أقسامه وأَولاها: الصبرُ على امتثال ما أمر اللَّه تعالى به، والانتهاء عمَّا نَهى اللَّهُ سبحانه عنه:**

لأنَّ به تخلُصُ الطَّاعة، وبخلوص الطَّاعةِ يصحُّ الدِّين، وتؤدَّى الفروض،

---

(١) أي: من خيرِ خصالك أن تصبرَ عن المعصية التي تراودُك عنها نفسُك، فالمعصيةُ اختلالٌ في حياةِ العبد، وانحرافٌ عن الطريق السوي. [ط]

(٢) هو عُبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير، شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وصاحب إحدى المعلقات السبع، جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء.
ترجمته في: الأغاني (٢٢/ ٥٨ـ ٦٩).

ويُستحق به الثواب، كما قال في مُحكم الكتاب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر].

(١٧٩٨) ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**الصَّبرُ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسد**»[١].

وليس لمن قلَّ صبرهُ على طاعة اللَّه تعالى حظٌّ من بِر، ولا نصيبٌ من صلاح، ومن لم يَر لنفسِه صبرًا يُكسبُها ثوابًا ويدفعُ عنها عقابًا، كان مع سُوء الاختيار، بعيدًا من الرشاد، حَقيقًا بالضلال.

(١٧٩٩) وقد قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا من يطلبُ منَ الدُّنيا ما لا يلحقه، أترجُو أن تلحقَ من الآخرة ما لا تطلبُه؟!».

(١٨٠٠) وقال أبو العتاهية[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ:

أراكَ امرأً ترجُو من اللَّه عَفْوه ... وأنتَ على ما لا يُحبُّ مُقِيمُ

تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ ... فيا منْ يُداوي الناس وهو سقيمُ

وهٰذا النوعُ من الصبر إنما يكون لفَرْطِ الجزعِ وشدَّةِ الخوف؛ فإنَّ من خاف اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَبر على طاعته، ومَن جَزِع من عِقَابِهِ وقف عند أوامرِهِ.

*** والقسم الثاني: الصَّبرُ على ما تقتضيه أوقاتُه:**

من رَزيةٍ قد أجهدهُ الحزنُ عليها، أو حادثةٍ قد استكدَّه الكمدُ والهمُّ بها؛ فإن الصبرَ عليها يُعقِبُه الراحةَ منها، ويُكسِبُه المَثُوبة عنها، فإنْ صبر طائعًا، وإلا احتَمل هَمًّا لازمًا، وصَبَر كارهًا آثمًا.

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٤٠)؛ من حديثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٦٢)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٨٩)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٥٣٥)، و«الضعيفة» (٣٧٩٣).
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٧٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٧٦)، موقوفًا على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في الموضع السالف.
وذكره ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٩٤) من قول بعض الصالحين. **[ط]**

(٢) الأبيات في ديوانه (٤٩٤).

(١٨٠١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللَّهُ تَعَالَى: مَن لم يرض بقضائي، ويصبرْ على بلائي، فلْيَختَرْ ربًّا سِواي**»(١).

(١٨٠٢) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأشعَثِ بن قيس: «إنك إن صَبَرْتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأجُور، وإن جزِعتَ جرى عليك القلمُ وأنت مأزور».

(١٨٠٣) وقد ذكر ذٰلك أبو تمام في شِعره، فقال:

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ … وخاف عليه بعضَ تلك المآثمِ

أتصبرُ للبلوى عَزَاءً وحِسبةً … فتُؤجَر أو تسلُو سُلُوَّ البهائمِ!

(١٨٠٤) وقال شبيبُ بن شيبة للمَهدي: «إنَّ أحقَّ ما صُبر عليه: ما لم يُوجد إلى دَفعهِ سبيلٌ.

وأنشد:

ولئنْ تُصِبْك مُصيبةٌ فاصبرْ لها … عَظُمَتْ مصيبةُ مُبتلًى لا يصبرُ».

(١٨٠٥) وقال آخر:

تصبَّرتُ مغلوبًا وإني لَمُوجَع … كما صَبَرَ الظمآنُ في البلدِ القَفْرِ

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٧٣)، و«الصغير» (٩٠٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٦٩)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٧٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ١٦٨)، ونقل عن أبي سعدٍ السمعاني قوله: «**إسناد مظلم لا أصل له**»، **وأقرَّه** على ذٰلك، **وضعَّفه** الأئمة: العجلوني في «كشف الخفا» (١٨٩٨)، والفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٨٩)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٩٨)، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٥٣)، **وضعَّفه جدًّا** في «الضعيفة» (٧٤٧).
وورد الحديث - أيضًا - من رواية أبي هندٍ الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٢٠)، وأبي نُعيم في «معرفة الصحابة» (٧٠٥٤)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢١/ ٦٠)، **وضعَّفه** الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٣٨)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/ ٣٠)، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٥٥)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٤٢١): «فيه زياد بن هند، وهو متروك»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٥٤)، **وضعَّفه جدًّا** في «الضعيفة» (٥٠٥). **[ط]**

وليس اصطباري عنك صَبرَ استطاعةٍ ... ولٰكنه صبرٌ أمرُّ من الصبرِ

* والقسم الثالثُ: الصَّبرُ على ما فات إدراكُه من رَغبةٍ مرجُوَّة، وأعوزَ نَيْلُهُ من مسرَّةٍ مأمولة:

فإن الصبرَ عنها يُعقِبُ السَّلوَةَ منها، والأسفُ بعد اليأس خُرْق.

(١٨٠٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أُعطِيَ فشكر، ومُنع فصبر، وظُلِم فغفر، وظَلَم فاستغفر، فأولٰئك لهم الأمنُ، وهم مهتدون»(١).

(١٨٠٧) وقال بعض الحُكماء: «اجعلْ ما طلبته من الدنيا فلم تَنَلْه، مثلَما لا يخطرُ ببالك فلم تقُلْه».

(١٨٠٨) وقال بعضُ الشُّعَراء:

إذا مَلَكَ القضاءُ عليك أمرًا ... فليس يَحُلُّهُ غيرُ القضاءِ
فما لَكَ والمُقامَ بدارِ ذُلٍّ ... ودَارُ العِزِّ واسعةُ الفضاءِ

(١٨٠٩) وقال بعضُ الحكماء: «إن كنتَ تَجزَعُ على ما فات مِن يَدِك، فاجْزَعْ على ما لم تَصِلْ إليه»(٢).

(١٨١٠) فأخذه بعض الشعراء، فقال:

لا تُطلِ الحُزنَ على فائتٍ ... فقلَّما يُجْدي عليك الحَزَنْ
سِيَّانِ مَحزُونٌ على فائتٍ ... ومُضمِرٌ حُزنًا لِمَا لم يَكُنْ

(١) ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٣٨)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٣٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤١١٧)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٣٣)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٧٦)، و«معرفة الصحابة» (٣٦٥٣)، من حديث سخبرة الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضعَّفه الإمام البيهقي ـ عقبه ـ، وصدَّره الإمام المنذري في «الترغيب» (٥١٥١) بصيغة التمريض، وضعَّفه جدًّا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٢٣)، و«الضعيفة» (٤٥٢٧). [ط]

(٢) العبارة في نهج البلاغة (١/ ٢٧٤) منسوبةً إلى الإمام عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

*** والقسمُ الرابعُ: الصَّبرُ فيما يَخشى حدُوثَه من رهبةٍ يخافُها، أو يَحذرُ حلُولَه من نكبةٍ يَخشاها:**

فلا يتعجل هَمَّ ما لم يأتِ؛ فإن أكثرَ الهموم كاذبةٌ، والأغلبُ من الخوف مدفوع.

(١٨١١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بالصبر يُتوقَّع الفرج، ومن يُدمنْ قَرْعَ الأبواب يَلِج**»(١).

(١٨١٢) وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تحملنَّ على يومك همَّ غدٍ، فحسبُ كُل يوم هَمُّه».

(١٨١٣) وأنشد الجاحظُ لحارثة بن زيد:

إذا الهَمُّ أمسَى وهو داءٌ فأمضِهِ ... ولستَ بمُمضِيهِ وأنت تُعادِلُهْ

ولا يَنزِلَنَّ أمرُ الشديدةِ بامرئٍ ... إذا همَّ أمرًا عوَّقتْه عواذلُهْ

وقلْ للفؤاد إنْ تَجِدْ بك نزوةً ... منَ الرَّوع فافرُخ أكثرُ الهمِّ باطلُهْ

*** والقسمُ الخامس: الصَّبرُ فيما يتوقعه من رغبةٍ يرجُوها، أو ينتظره من نعمةٍ يأمَلُها:**

فإنَّه إن أدهشه التوقُّعُ لها، أو أذهله التطلُّعُ إليها، انسدَّت عليه سُبُل المطالب، واستفزَّه تسويلُ المطامع، فكان أبعدَ لرجائه، وأعظمَ لبلائه. وإذا كان مع الرغبة وَقُورًا، وعند الطلب صَبورًا، انجَلَتْ عنه عَمايةُ الدَّهَش، وانجابت عنه حَيرةُ الوَلَه، فأبصر رُشْدَه، وعرف قصده.

(١٨١٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصَّبرُ ضياء**»(٢).

يعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنه يكشف ظُلمةَ الحَيرة، ويُوضح حقائق الأمُور(٣).

---

(١) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٤٢)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وفي «الكبرى» (٢٢٢٩)؛ من حديث أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ضمن حديث ـ. [ط]

(٣) ليس هٰذا فقط، بل هو ضياءٌ في القلب والروح والحياة بأسرها، لمن اهتدى به، وسار على =

(١٨١٥) وقال أكثمُ بن صيفي: «مَن صَبَرَ ظفر».

(١٨١٦) وقال ابن المقفع: «كان مكتوبًا في قصر أَرْدَشير: الصَّبرُ مفتاح الدَّرَك[1]».

(١٨١٧) وقال بعضُ الحُكماء: «بحسن التأنِّي تسهلُ المطالب».

(١٨١٨) وقال بعض البُلغاء: «مَن صَبَرَ نال المُنى، ومن شكر حَصَّن النُّعْمَى».

(١٨١٩) وقال محمد بن بشير:

إنَّ الأمــورَ إذا سُــدَّت مطالــبُها ... فالـصبرُ يَفـتُقُ مـنها كلَّ ما ارتَـتَجا[2]

لا تيأسَــنَّ وإن طالــت مُطالــبةٌ ... إذا اسـتعَنْتَ بـصبرٍ أن تـرى فَـرَجا

أخلِقْ بـذي الصبر أن يَحظَى بحاجته ... ومُـدمنِ القَـرْعِ لـلأبـواب أن يَلِجَـا

*** والقسمُ السَّادسُ: الصَّبرُ على ما نزل من مكروه، أو حلَّ من أمرٍ مَخُوف:**

فبالصبرُ في هٰذا تنفتحُ وجوهُ الآراء، وتُستدفعُ مكايدُ الأعداء، فإن مَن قلَّ صبرهُ عَزَب رأيُه، واشتدَّ جزعُه، فصار صريعَ هُمومهِ، وفريسةَ غُمُومه.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].

(١٨٢٠) رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنِ استطعتَ أن تعملَ للَّه تعالى بالرضا في اليقين فافعَلْ، فإن لم تستطِعْ فاصبر، فإنَّ في الصبرِ على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا، واعلم أن النصرَ مع الصَّبر، والفَرَجَ مع الكرب، واليُسرَ مع العُسر**»[3].

= دربه، ولم يفارق سبيله. [ط]

(١) **الدَّرَك**: إدراك الآمال. [ط]

(٢) ارتتج: أُغلق. [ط]

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، والحاكم (٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٥٢٨)، و«الآداب» (٧٥٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٣١٤)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٤٥)، والفريابي في «القدر» (١٥٥)، وابن بشران في «الأمالي» (١٨٨)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٠٤)، وهناد في «الزهد» (٥٣٦)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد **ضعَّف** الشيخ الألباني جُملة: «**إن استطعت أن تعمل للَّهِ** =

(١٨٢١) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصبرُ يُناضِلُ[١] الحَدَثان، والجزَعُ من أعوان الزمان»[٢].

(١٨٢٢) وقال بعضُ الحكماء: «بمفتاح عَزيمةِ الصبر، تُعالَجُ مغاليقُ الأمور».

(١٨٢٣) وقال بعضُ البُلغاء: «عند انسداد الفُرَج تبدو مطالعُ الفَرَج».

(١٨٢٤) وروىَ ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن سُليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا استكدَّ[٣] شياطينَه في البناء، شكَوا ذٰلك إلى إبليس ـ لعنه اللَّه ـ، فقال: ألستم تذهبون فُرَّغًا وترجعون مشاغيل؟ قالوا: بلى، قال: ففي ذٰلك راحة، فبلغ ذٰلك سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فشغلهم ذاهِبينَ وراجعين، فشكَوا ذٰلك إلى إبليس ـ لعنه اللَّه ـ، فقال: ألستم تستريحون بالليل؟ قالوا: بلى، قال: ففي هٰذا راحةٌ لكم نصفَ دهركم، فبلغ ذٰلك سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فشغلهم بالليل والنهار، فشكَوا ذٰلك إلى إبليس ـ لعنه اللَّه ـ، فقال: الآن جاءكم الفرجُ، فما لبِثوا أن أُصيب سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ميتًا على عصَاه»[٤].

فإذا كان هٰذا في نبيٍّ من أنبياء اللَّهِ يَعملُ بأمره، ويَقفُ على حدِّه، فكيف بما جَرَّتهُ الأقدارُ من يدٍ عادِية، وساقَه القضاءُ من حوادثَ نازِلة، هل تكُون مع التناهي إلا مُنقرضة، وعند بلوغ الغايةِ إلا منحسِرة؟!.

(١٨٢٥) وأنشد بعضُ الأدباء لعُثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خليلَيَّ لا واللَّهِ ما من مُلِمَّةٍ	تَدومُ على حَيٍّ وإن هي جَلَّتِ
فإن نزلت يومًا فلا تَخضَعنَّ لها	ولا تُكثِرِ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
فكم من كريمٍ قد بُلي بنوائبٍ	فصابَرَها حتى مضتْ واضمحلَّتِ
وَكم غمرةٍ هَاجت بأمواجِ غَمرةٍ	تلقَّيتُها بالصَّبر حتى تَجلَّتِ

= بالرضا مع اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا»، فانظر: «الضعيفة» (٥١٠٧). [ط]

(١) في الأصل: مستأصل، والتصحيح من نهج البلاغة.

(٢) العبارة في نهج البلاغة (١/ ٢٧١).

(٣) استكدَّه: طلب منه الكَدَّ، والكَدُّ: الشدة في العمل، لسان العرب (٥/ ٣٨٠) باب (كدد).

(٤) أحسن أحوال هٰذا الأثر أن يكون من الإسرائيليات، وليس بحُجَّة. [ط]

وكانــت على الأيــام نفــسي عزيــزةً ... فلمَّـا رأت صــبري على الــذل ذلَّــتِ
فقلـت لهـا: يـا نفـسُ مُـوتي كـريمةً ... فقــد كانــتِ الدنــيا لــنا ثــم وَلَّــتِ

[أسبابُ تسهيل المصائب]:

ولتسهيل المصائبِ وتخفيفِ الشدائد أسبابٌ، إذا قارنت حزمًا، وصادفت عزمًا، هان وقعها، وقلَّ تأثيرها وضررها.

١ ـ **فمنها**: استشعارُ النفس بما تعلَمهُ من حلول[1] الفناء، وتقضِّي المَسَار، وأن لها آجالًا مُنصرمةً، ومُدَدًا منقضيةً، إذ ليس للدنيا حالٌ تدوم، ولا لمخلوقٍ فيها بقاء.

(١٨٢٦) رَوى ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما مَثَلي ومثلُ الدنيا إلا كمَثَلِ راكبٍ مال إلى ظِلِّ شجرةٍ في يومٍ صائفٍ، ثم راح وتركها**»[2].

(١٨٢٧) وسُئل عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدُّنيا، فقال: «تَغُرُّ وتَضُرُّ وتُمِرُّ[3]».

(١٨٢٨) وسأل بعضُ خلفاء بني العباس جليسًا له عن الدنيا، فقال: «إذا أقْبلت أدْبرت».

(١٨٢٩) وقال عمرُو بن عُبيد[4]: «الدنيا أمَد[5]، والآخرة أبَد[6]».

---

(١) **في المطبوعة والشرح**: نزول.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٩١)، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والحاكم (٤/ ٣١٠)، وأبو يعلى (٥٢٩٢)، والشاشي (٣٤٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٧٢)، والرامَهُرمزي في «الأمثال» (٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، من حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وسكت عليه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٣) **تُمِرُّ**: من المرارة. ويصحُّ أن تضبط: «وتَمُرُّ»، أي: ترحل سريعًا، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٤) عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور، كان داعيةً إلى بدعته، اتَّهمه جماعة، مع أنه كان عابدًا.
ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ١٢٣).

(٥) أمد: مدةٌ معلومة منقضية. [ط]

(٦) العبارة في ترجمة عبيد بن عُمير بن قتادة في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٦٦).

(١٨٣٠) وقال أنوشروان: «إن أحببتَ ألَّا تغتم، فلا تقتنِ ما به تَهتم»[١].

(١٨٣١) فأخذه بعض الشعراء، فقال:

ألم تر أن الدهرَ من سُوءِ فِعلهِ ... يُكدِّرُ ما أعطى ويسلُبُ ما أسْدَا

فمَن سرَّه أن لا يرى ما يسوؤُهُ ... فلا يتَّخِذْ شيئًا يَخافُ له فَقْدَا

(١٨٣٢) وأنشد بعضُ الحُكماء:

لِحكيمنا بِقْرَاطَ خيرُ قضيةٍ ... ووصيةٍ تنفِي الهمومَ الرُّكَّدَا

قال الهمومُ تكونُ من طبع الورى ... في لُبث ما في طبعِه أن ينفدَا

فإذا اقتنيتَ من الزجاجةِ قابلًا ... للكسر فانكسرت فلا تكُ مُكمَدَا

(١٨٣٣) وأنشدني بعضُ أهل العلم، لسعيد بن مُسلم:

إنَّما الدُّنيا هباتٌ ... وعوارٍ مُستردَّةْ

شدةٌ بعدَ رخاءٍ ... ورخاءٌ بعدَ شِدَّةْ

(١٨٣٤) ولمَّا قُتل بُزُرْجَمِهر وُجِدَ في جيب قميصِه رقعةٌ مكتوب فيها: «إذا لم يكن جَدٌّ، ففيم الكَدُّ؟ وإن لم يكن للأمر دوام، ففيم السرور؟ وإذا لم يُرِدِ اللَّهُ دوام مُلكٍ، ففيم الحِيلة؟».

(١٨٣٥) وقال ابن الرومي:

رأيتُ حَياةَ المرءِ رَهْنًا بموتهِ ... وصحَّتَهُ رهنًا كذٰلك بالسُّقْمِ

إذا طاب لي عيشٌ تنغَّص طِيبُه ... بصدقِ يقيني أنْ سيذهبُ كالحُلْمِ

ومن كان في عيشٍ يراعي زوالَهُ ... فذٰلك في بؤسٍ وإن كان في نُعْمِ

٢ ـ ومنها: أن يَتصوَّرَ انجلاءَ الشدائد، وانكشافَ الهموم، وأنَّها تتقدرُ بأوقاتٍ لا تنصرمُ قبلها، ولا تستديمُ بعدها، فلا تقصُرُ بجزَع، ولا تطولُ بصبر، وإن كان

---

(١) في الأصل: فلا تقتن شيئًا.

كُلَّ يوم يمُرُّ بها يَذهبُ منها بشطرٍ، ويأخذُ منها بنصيب، حتى تنجليَ وهو عنها غافل.

(١٨٣٦) حُكي أن الرشيد حبسَ رجُلًا، ثم سأل عنهُ بَعْد زمان، فقال[1] للموكَّل به: «قُل له: كُلَّ يومٍ يمضي مِن نعيمِك، يمضي من بُؤسى مثلُه، والأمرُ قريبٌ، والحُكم للّه تعالى».

(١٨٣٧) فأخذ هٰذا المعنى بعضُ الشُّعراء، فقال:

لـو أن مـا أنـتُمْ فـيه يـدومُ لكُـم — ظنـنتُ مـا أنـا فـيه دائمًا أبـدَا

لٰكنني عـالِمٌ أنِّي وأنَّكُـم — سنستجدُّ خلافَ الحالتين غَدَا

(١٨٣٨) وأُنشدت لبعضِ الشُّعراء:

عـواقبُ مكـروهِ الأمـور خـيارُ — وأيـامُ ضُـرٍّ لا تـدومُ قِـصارُ

ولـيس بـباقٍ بؤسُـها ونعـيمُها — إذا كـرَّ لـيلٌ ثـم كـرَّ نَهـارُ

(١٨٣٩) وأنشدَ عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حضرته الوفاة:

ألـم تَـرَ أنَّ رَبَّـكَ لـيس تُحْـصَى — أياديـهِ الحديـثةُ والقديمـةْ

تـسلَّ عـن الهُمومِ فليس شيءٌ — يُقِـيمُ ولا هُمـومُك بالمُقـيمةْ

لعـلَّ اللَّـهَ ينظـرُ بعـدَ هٰـذا — إلـيك بنظـرةٍ مـنه رَحـيمةْ

٣ ـ ومنها: أن يعلم أنَّ فيما وُقيَ من الرزايا، وكُفِي من الحوادث ما هو أعظم من رزيَّته، وأَشدُّ من حادثته، ليعلمَ أنه ممنوحٌ بحسن الدفاع.

(١٨٤٠) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**إن للّه تعالى في أثناء كلِّ مِحنةٍ مِنْحةً**»[2].

---

(١) أي: المسجون. [ط]

(٢) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ بِهٰذا اللفظ**، واللّهُ تعالى أعلم. ويغني عنه ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أنزل اللّهُ المعونة على قدر المؤونة، وينزلُ الصبر على قدرِ البلاء**»؛ **صحيح**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٩٤٨١، ٩٤٨٣)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١١١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» =

(١٨٤١) وقيل للشعبي ـ في نائبةٍ ـ: «كيف أصبحتَ؟ قال: بين نِعمتين، خيرٍ منشور، وشرٍّ مستور».

(١٨٤٢) وقال بعض الشُّعراء:

لا تَكْرَه المكرُوهَ عندَ حُلولِهِ ... إن العواقبَ لم تزل مُتبايِنَةْ
كم نعمةٍ لا تستقلُّ بشكرِها ... للَّه في طيِّ المكارِهِ كامِنَةْ

٤ ـ ومنها: أن يتأسَّى بذَوي الغِيَر[1]، ويتسلَّى بأُولي العِبَر، ويعلمُ أنهم الأكثرُون عَددًا، والأسرعون مَدَدًا، فيستجدُّ من سَلوةِ الأسى وحُسن العزا، ما يُخَفِّفُ شَجْوَه، ويُقلُّ هَلَعه.

(١٨٤٣) قال عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَقُوا بذَوي العِبر، تتسع قلوبكم».

وعلى مثل ذٰلك كانت مراثي الشعراء.

(١٨٤٤) حتى قال البُحتري:

فلا عجبٌ للأُسْدِ إن ظَفِرَتْ بها ... كِلابُ الأعادي مِن فصيحٍ وأعجَمِ
فحربةُ وحشيٍّ سقتْ حَمزةَ الرَّدَى ... وموتُ عليٍّ مِن حُسام ابنِ مُلْجَمِ[2]

(١٨٤٥) وقال أبو نُواس:

المرءُ بين مصائبٍ لا تنقضي ... حتَّى يُوارَى جسمُه في رَمْسِهِ[3]
فمؤجَّلٌ يلقى الرَّدى في أهلِهِ ... ومُعجَّلٌ يلقى الرَّدى في نفسِهِ

= (٩٩٢)، والحارث في «مسنده» (٤٢٣)، وابن شاهين في «الفضائل» (٢٧٣)، وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٩١٩)، بينما ضعَّفه محقق «شعب الإيمان» (١٢/ ٣٣٧). [ط]

(١) الغِيَر: تقلُّب الأحوال. [ط]

(٢) هٰذا البيت كان يحتاج إلى مزيدٍ من الأدب ـ وإن كان المعنى العام معلومًا ـ، فإنه لما تحدث عن كلاب الأعادي ضرب مثالًا بوحشيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهٰذا لا يليق بحالٍ مع صحابيٍّ جليل مثله، واللَّهُ المستعان. [ط]

(٣) الرَّمْس: التراب. [ط]

٥ ـ **ومنها**: أن يعلمَ أن النعم زائرة، وأنها ـ لا محالةَ ـ زائلة، وأن السرور بها إذا أقبلت مشُوبٌ بالحذرِ من فِراقها إذا أدبرت، وأنها لا تَمزُجُ بإقبالها فرحًا، حتى تُعقِبَ بفراقها ترَحًا، فعلى قدْر السرور يكون الحُزن.

(١٨٤٦) وقد قيل في منثور الحكم: «المفروحُ به هو المحزونُ عليه».

(١٨٤٧) وقيل: «مَن بَلغ غايةَ ما يُحب، فلْيَتوقَّعْ غايةَ ما يكره»[١].

(١٨٤٨) وقال بعض الحكماء: «مَنْ عَلِم أنَّ كل نائبةٍ إلى انقضاء[٢]، حَسُن عزاؤه عند نزول البلاء».

(١٨٤٩) وقيل للحسن البصري، رَحِمَهُ اللَّهُ: «كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقُّع بلائها عن الفرح برخائها».

(١٨٥٠) فأخذه أبو العتاهية، فقال:

تزيدُه الأيامُ إن أقبلت ... شدَّة خوفٍ لتصاريفها
كأنَّها في حال إسعافها ... تُسمِعُه وقعةَ تخويفها

٦ ـ **ومنها**: أن يعلمَ أن سرورَه مقرونٌ بمَساءةِ غيرِه، وكذٰلك حُزنُه مقرونٌ بسرور غيره، إذ كانت الدنيا تنتقلُ مِن صاحبٍ إلى صاحب، وتصلُ صاحبًا بفراق صاحبٍ، فتكون سرورًا لمن وصلته، وحُزنًا لمن فارقته.

(١٨٥١) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**ما قُرعتْ عصًا على عصًا، إلا فرِحَ لها قومٌ، وحَزِنَ آخرون**»[٣].

(١٨٥٢) وقال البُحتري:

متى أرتِ الدنيا نباهةَ خاملٍ[٤] ... فلا ترتقبْ إلا خُمولَ نبيهِ

(١٨٥٣) وأوضحه المتنبِّي بقوله:

بذا قضتِ الأيام ما بينَ أهلِها ... مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

---

(١) ليست قاعدةً مضطردةً، اللهم إلا في الكفرة والفساق، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) في الأصل: كل بائت إلى القضاء.

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٤) في الأصل: جاهل.

(١٨٥٤) وأنشد بعض أهل الأدب:

ألا إنمـا الدنـيا غَـضارةُ أيكـةٍ ... إذا اخضَرَّ منها جَانبٌ جفَّ جَانبُ[1]

فـلا تفـرحَنْ مـنها لـشيءٍ تفـيدُه ... سـيذهبُ يـومًا مثلما أنـت ذاهـبُ

ومـا هٰـذه الأيـامُ إلا فجائـعٌ ... ومـا العـيشُ واللَّـذاتُ إلا مـصائبُ

٧ ـ ومنها: أن يعلمَ أن طوارقَ الإنسان من دلائل فضله، ومِحَنَه من شواهد نُبلِه، وذٰلك لإحدى عِلتين:

[أ] إمَّا لأن الكمال مُعوِز، والنقصَ لازم، فإذا تواتر الفضلُ عليه، صار النقصُ فيما سواهُ.

(١٨٥٥) وقد قيل: «مَن زاد في عقلِه نُقص من رزقه».

(١٨٥٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما انتُقِصَتْ جارحةٌ من إنسان، إلا كانت ذكاءً في عقله»[2].

(١٨٥٧) وقال أبو العتاهية:

مَـا جَـاوزَ المرءُ من أطرافه طَرَفًا ... إلا تَخـوَّنه النقـصانُ مـن طَـرَفِ

(١٨٥٨) وأنشدني بعض أهل الأدب لإبراهيم بن هلال الكاتب[3]:

إذا جَمَعَـتْ بـين امْـرَأَين صِـناعةٌ ... فأحببتَ أن تـدري الـذي هـو أحذقُ

فـلا تـتفقَّد منهما غيـرَ مـا جـرتْ ... بـه لهمـا الأرزاقُ حـين تَفَـرَّقُ

فحيثُ يكـونُ الـنقصُ فالرزقُ واسعٌ ... وحـيث يكـونُ الفـضلُ فالرزق ضيقُ

[ب] وإمَّا لأنَّ ذا الفضـل محسـود، وبالأذى مقصـود، فلا يَسلَمُ في بِرِّه من

---

(١) الغضارة: الطراوة والنضارة. الأيكة: الشجرة. [ط]

(٢) لا أعلم له أصلًا عنه، وقد سلف أن أحاديث العقل لا تصح، فراجع الحديث رقم (٣). [ط]

(٣) أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني، الصابئ، صاحب الرسائل المشهورة، توفي عام (٣٨٤).
ترجمته في: معجم الأدباء (٢/ ٢٠)، وفيات الأعيان (١/ ٥٢).

مُعادٍ، واشتطاطِ مُناوٍ[١].

(١٨٥٩) وقد قال الصَّنَوبريُّ:

مِحَنُ الفتَى يُخْبِرنَ عن فضلِ الفتَى ... كالنَّار مُخبرةٌ بفضلِ العنبرِ

وقلَّما تكون محنةُ فاضلٍ إلا من جهةِ ناقص، وبلوى عالِم إلَّا على يدِ جاهل، وذٰلك لاستحكام العداوةِ بينهما بالمباينة، وحدوثِ الانتقام لأجلِ التقدُّم.

(١٨٦٠) وقد قال الشاعر:

فلا غَرْوَ أن يُمنَى أديبٌ[٢] بجاهلٍ ... فمِن ذَنَبِ التِّنِّين تنكسفُ الشمسُ

٨ ـ ومنها: ما يعتاضُه من الارتياضِ بنوائب عصره، ويستفيدُه من الحُنكةِ بلأواء[٣] دهره، فيَصلُب عُودُه، ويستقيمُ عَمودُه، ويُكمِلُ مادتَيْ شدَّتِه ورخائِه، ويتَّعظُ بحالتي عفوِه وبلائه.

(١٨٦١) حُكي عن ثعلب، قال: «دخلت على عُبيدِاللَّه بن سُليمان بن وهب، وعليه خِلَعُ الرضا بعد النَّكبة، فلما مَثَلْتُ بين يديه، قال لي: يا أبا العباس، اسمع ما أقول:

نوائبُ الدَّهر أدبتني ... وإنما يُوعظُ الأديبُ

قد ذُقْتُ حُلوًا وذُقْتُ مُرًّا ... كذاكَ عيشُ الفتى ضُروبُ

لم يَمضِ بؤسٌ ولا نعيمٌ ... إلا ولي فيهما نصيبُ

كذاكَ مَن صاحَبَ الليالي ... من كُلِّ خَطبٍ لهُ خُطوبُ[٤]

فقلت لمن هٰذه الأبيات؟ قال: لي».

٩ ـ ومنها: أن يَخْبُرَ أُمورَ زمانه، ويتنبَّهَ على صلاح شانِه، فلا يغترَّ برخاء، ولا

---

(١) **اشتطاط مناوٍ:** تجاوزات المُعادي. [ط]

(٢) في المطبوعة والشرح: عليم.

(٣) في المطبوعة والشرح: ببلاء. **قلت: واللأواء:** الشدة والتعب. [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: تغذوه من درها الخطوب.

يطمعُ في استواء، ولا يأملُ أن تَبْقَى الدنيا على حالة، أو تخلوَ من تقلُّبٍ واستحالة؛ فإنَّ من عَرف الدنيا وخَبِر أحوالَها، هان عليهِ بؤسُها ونعيمُها.

(١٨٦٢) وأنشد بعضُ الأدباء[1]:

إنِّي رأيتُ عواقبَ الدُّنيا فتركتُ ما أهوى لِمَا أخشَى
فكَّرتُ في الدنيا وعالَمِها فإذا جميعُ أمورِها تَفْنَى
وبلَوتُ أكثرَ أهلِها فإذا كُلُّ امرئٍ في شأنه يَسْعَى
أسنَى منازِلِها وأرفعُها في العزِّ أقربُها من المَهْوَى
تعفو مساويها محاسِنَها لا فَرْقَ بين النَّعي والبُشرى[2]
ولقد مررْتُ على القبور فما ميَّزتُ بين العبدِ والمولَى
أتُراكَ تدري كم رأيتَ من الأحياء ثم رأيتَهمْ مَوْتَى!

فإذا ظفِرَ المصابُ بأحد هٰذه الأسباب، تخفَّفت عنه أحزانُه، وتسهَّلَتْ عليه أشجانُه، فصار وَشِيكَ السَّلْوة، قليلَ الجزَع، حسنَ العزاء.

(١٨٦٣) وقال بعضُ الحكماء: «مَن حاذَر لم يَهْلع، ومَن راقب لم يَجزَعْ، ومَن كانَ متوقِّعًا لم يكن متوجِّعًا».

(١٨٦٤) وقال بعضُ الشعراء:

ما يكونُ الأمرُ سهلًا كُلُّه إنما الدُّنيا سرورٌ وحُزُونْ
هَوِّنِ الأمرَ تعِشْ في راحةٍ قَلَّما هوَّنتَ إلَّا سيهونْ
تطلبُ الرَّاحةَ في دار العَنا ضَلَّ مَنْ يطلُبُ شيئًا لا يكونْ

فإنْ أَغفَلَ عن دواعي السَّلْوة نفسَه، ومَنعها من أسباب الصَّبْر، تضاعف عليه من شدَّة الأسَى وهمِّ الجزعِ ما لا يُطيق عليه صبرًا، ولا يجدُ عنه سُلُوًّا.

---

(١) وردت الأبيات الأخيرة في التذكرة الحمدونية (١/ ٢١٩) منسوبة لأبي العتاهية.
(٢) **تعفو مساويها محاسنَها**: تزيل المساوئُ المحاسنَ. [ط]

(١٨٦٥) وقال ابن الرومي:

إنَّ البلاءَ يُطَاقُ غيرَ مضاعفٍ ... فإذا تضاعفَ صارَ غيرَ مُطاقِ

[أسبابُ الجزَع]:

فإذا ساعد جَزَعَه بالأسبابِ الباعثةِ عليه، وأمدَّ هَلَعَه بالذَّرائع الدَّاعية إليه، فقد سعَى في حَتْفه، وأعانَ على تَلَفه.

١ ـ **فمن أسباب ذٰلك**: تذكُّر المُصاب حتى لا يتناساه، وتصوُّرُه حتى لا يعزُبُ عنه، ولا يجدُ من التذكار سَلْوَة، ولا يخلِطُ مع التصور تعزية.

(١٨٦٦) وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تستفزوا الدُّموع بالتذكُّر»[١].

(١٨٦٧) وقال الشاعر:

.... ولا يَبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ

٢ ـ **ومنها**: الأسَفُ وشدَّةُ الحسرة، فلا يرى عن مصابه خَلَفًا، ولا يجدُ لمفقوده بدلًا، فيزداد بالأسف وَلَهًا، وبالحسرة هَلَعًا؛ ولذٰلك قال اللَّه تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

(١٨٦٨) وقال بعض الشعراء:

إذا ابتُليتَ فثِقْ باللَّهِ وارْضَ بهِ ... إن الذي يكشِفُ البَلْوَى هو اللَّهُ

إذا قضى اللَّهُ فاستسلِمْ لقدرتهِ ... ما لامرئٍ حِيلةٌ فيما قضَى اللَّهُ

اليأسُ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحبهِ ... لا تيأسنَّ فإنَّ الصانعَ اللَّهُ

٣ ـ **ومنها**: كثرةُ الشكوى، وبثُّ الجزَع.

(١٨٦٩) وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج]: «إنه الصَّبْرُ الذي لا شكوى فيه ولا بثَّ».

(١٨٧٠) رَوَى أنسُ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما صَبرَ من بَثَّ**»[٢].

---

(١) العبارة في البيان والتبيين (١/ ١٩٧)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٢٣ ـ خبر: ٣٥١٥).

(٢) موضوع: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣) بلفظ: «**مِن كنوزِ البِرِّ كتمانُ المصائب**، =

(١٨٧١) وحكى كعبُ الأحبارِ أنه مكتوب في التوراة: «مَن أصابتْه مصيبةٌ فشكا إلى الناس، فإنما يشكو ربَّه[١]».

(١٨٧٢) وحُكي أنَّ أعرابيةً دخلت من البادية، فسمعَتْ صُراخًا في دارٍ، فقالت: «ما هٰذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أُراهم إلَّا من ربِّهم يستغيثون، وبقضائِه يتبرَّمون، وعن ثوابه يرغبون».

(١٨٧٣) وقد قيل في منثور الحكم: «مَنْ ضاق قلبُه، اتَّسَع لسانُه[٢]».

(١٨٧٤) وأنشَدَ بعضُ أهل العلم:

لا تُكثِر الشَّكوى إلى الصَّديقِ

وارْجع إلى الخالق لا المخلوقِ

لا يَخرُج الغريقُ بالغريقِ

(١٨٧٥) وقال بعض الشعراء:

لا تشكُ دَهْرَك ما صَحَحْتَ به ... إن الغِنَى هو صِحَّةُ الجِسْمِ

هَبكَ الخليفةَ كُنْتَ منتفعًا ... بغضارةِ الدُّنيا مع السَّقَمِ

٤ ـ **ومنها**: اليأسُ من جَبْر مُصابه، ودَرَك طِلابه، فيقترنُ بحُزن الحادثةِ قنوطُ الإياس، فلا يبقى معهما صبْر، ولا يتَّسع لهما صَدْر.

(١٨٧٦) ولذٰلك قيل: «المصيبة بالصَّبر أعظم المُصيبتين».

(١٨٧٧) وقال ابنُ الرومي:

اصبري أيَّتها النَّفْسُ ... فإنَّ الصَّبْرَ أحْجَى

= **وما صَبَرَ مَن بث**». وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦٦٤). [ط]

(١) ليس هٰذا الكلام على إطلاقه؛ فإن النية هي الحد الفاصل في مسألة الشكوى، فمن الناس من يشكو تسخُّطًا واعتراضًا، ومنهم من يشكو تنفيسًا عن نفسه بعض ما يجد ـ دون تسخط على قدَرِ مولاه ـ، ومنهم من يشكو لبيان حاله فحسب، ولكلٍّ حال، والتعميم خطأ. [ط]

(٢) أي: من ضاق قلبه عن تحمُّل الصبر، اتسع لسانُه بالشكوى والتسخط. [ط]

رُبَّما خَابَ رجاءٌ   وأتى ما ليسَ يُرْجَى

(١٨٧٨) وأنشدني بعضُ أهل الأدب:

أَتَحسَبُ أنَّ البُؤسَ للحُرِّ دائمٌ   ولو دام شيءٌ عدَّهُ النَّاسُ في العجَبْ
لقد عَرَّفَتْك الحادثاتُ ببؤسِها   وقد أدَّبتْ إن كان ينفعُك الأدبْ
ولو طلب الإنسانُ مِن صَرف دَهرِه   دوام الذي يَخشَى لأعياه ما طَلَبْ

٥ ـ ومنها: أن يَغْرَى بمُلاحظةِ من حِيطت سلامتُه، وحُرِست نِعمتهُ، حتى التحفَ بالأمن والدَّعَة، واستمتع بالثروة والسَّعَة، ويرى أنه قد خُصَّ من بينهم بالرَّزيَّةِ بعد أن كان مساويًا، وأُفرِد بالحادثةِ بعد أن كان مُكافيًا، فلا يستطيع صَبرًا على بَلْوى، ولا يلتزم شكرًا على نُعْمَى.

ولو قابل بِهٰذه النظرةِ مُلاحظةَ مَن شاركَهُ في الرَّزية، وساواه في الحادثة، لتكافأ الأمران، فهان عليهِ الصَّبرُ، وحان منهُ الفرج.

(١٨٧٩) وأُنشدت لامرأةٍ من العرب:

أَيُّها الإنسانُ صَبْرًا   إنَّ بعدَ العُسْرِ يُسرَا
كم رأينا اليوم حُرًّا   لم يكن بالأمس حُرًّا
مَلك الصبرَ فأضحى   مالكًا خيرًا وشرًّا
اشرب الصَّبْرَ وإن كان   مِن الصَّبْر أمرًّا

(١٨٨٠) وأُنشدت لبعض أهل الأدب:

يُراعُ الفتَى للخطبِ تبدُو صدورُه   فيأسى وفي عُقباه يأتي سرورُهُ
ألم ترَ أن الليل لمَّا تراكمتْ   دُجاهُ بَدَا وجْهُ الصَّباح ونورُهُ[1]
فلا تصحبنَّ اليأس إن كنتَ عالمًا   لبيبًا فإنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أُمورُهُ

(١) دُجاه: ظلماته. [ط]

واعلم أنه قلَّ مَن صَبر على حادثة، وتماسَك في نكبة؛ إلَّا كان انكشافُها وشيكًا، وكان الفرجُ منها قريبًا.

(١٨٨١) أخبرني بعضُ أهل الأدب: «أن أبا أيوب الكاتب[1] حُبس في السجن خمسَ عشرةَ سنةً، حتى ضاقت حيلته، وقلَّ صبرُه، فكتبَ إلى بعض إخوانه يشكو له طولَ حبسه، وقلَّة صبره، فردَّ عليه جواب رقعته بهٰذا:

صبْرًا أبا أيوبَ صبر مُبَرَّحٍ ... فإذا عجزتَ عن الخطوب فمنْ لَها

إن الذي عَقَدَ الذي انعقدتْ لَهُ ... عُقَدُ المكاره فيك يَملِكُ حَلَّها

صبرًا فإن الصَّبر يُعْقِبُ راحةً ... ولعلَّها أن تنجلي ولعلَّها

فأجابه أبو أيوب يقول:

صَبَّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بَلْ لا أقولُ لعلَّها

ويَحُلُّها مَن كان صاحبَ عَقْدِها ... كَرَمًا به إذ كان يملكُ حَلَّها

قال: فلم يلبث بعد ذٰلك في السجن إلَّا أيامًا، حتى أُطلق مُكَرَّمًا».

(١٨٨٢) وأنشد ابنُ دُريد عن أبي حاتم:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ ... وضاقَ لِمَا بهِ الصَّدرُ الرَّحيبُ

وَأَوطنتِ المكارهُ واطمأنَّتْ ... وأرسَتْ في مكامنِها الخطوبُ

ولم ترَ لانكشافِ الضُّرِّ وجهًا ... ولا أغنى بحيلتِه الأريبُ

أتاكَ على قُنوطٍ منكَ غَوثٌ ... يَمنُّ به اللطيفُ المستجيبُ

وكُلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ ... فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

❁ ❁ ❁

---

(١) أبو أيوب، سُليمان بن أبي سُليمان المورياني الخوزي، وزير أبي جعفر المنصور، توفي عام (١٥٤).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٤١٠).

الفصل الثالث

في المشورة

اعلم أنَّ من الحزم لكلِّ ذي لُبٍّ ألَّا يُبرِمَ أمرًا، ولا يُمضي عزمًا، إلا بمشورةِ ذي الرأي الناصح، ومُطالعةِ ذي العقل الراجح؛ فإن اللَّه تعالى أمر بالمشورة نبيَّه ﷺ ـ مع ما تكفَّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده ـ؛ فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١٨٨٣) قال قَتادةُ: «أمرهُ بمُشاورتِهم تألُّفًا لهم، وتطييبًا لأنفسِهم».

(١٨٨٤) وقال الضَّحاك: «أمرهُ بمُشاورتِهم لِمَا علم فيها من الفضل».

(١٨٨٥) وقال الحسن البصري: «أَمَرهُ بمُشاورتِهم ليَستنَّ بهِ المُسلمون، ويتبعَه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورتِهم غنيًّا»(١).

(١٨٨٦) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المشورةُ حِصنٌ من الندامةِ، وأمانٌ من المَلامة**»(٢).

(١٨٨٧) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نِعم المُوازرة المُشاورة، وبئس الاستعدادُ الاستبداد».

(١٨٨٨) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الرجال ثلاثة: رجلٌ تَرِدُ عليه الأمور فيُصدِرُها برأيه، ورجلٌ يُشاور فيما أُشكل عليه، ويَنزلُ حيثُ يأمرُه أهلُ الرأي، ورجلٌ حائرٌ بأمره؛ لا يأتمرُ رُشدًا، ولا يُطيع مُرشدًا».

(١٨٨٩) وقال عمرُ بن عبدالعزيز: «إن المشورةَ والمناظرة بابَا رحمة، ومفتاحَا بركة، لا يضلُّ معهُما رأي، ولا يُفقد معهُما حَزْم».

(١٨٩٠) وقال سيفُ بن ذي يَزَن(٣): «مَنْ أُعْجِبَ برأيه لم يُشاوِرْ، ومَن استبدَّ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨١).

(٢) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، وأورده الإمام المُناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٧٥)، من كلام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

(٣) سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد، الحميري، ملك من ملوك اليمن قبل الإسلام. ترجمته في: المعارف (ص٦٣٨)، الروض الأُنف (١/ ١٥٤).

برأيهِ كان من الصواب بعيدًا».

(١٨٩١) وقال عبدُالحميد: «المُشاوِرُ في رأيهِ ناظرٌ من ورائه».

(١٨٩٢) وقيل في منثور الحكم: «المُشاورةُ راحةٌ لك، وتعبٌ على غيرك[١]».

(١٨٩٣) وقال بعضُ الحكماء: «الاستشارةُ عينُ الهداية، وقد خاطَر من استغنى برأيه».

(١٨٩٤) وقال بعضُ الأدباء: «ما خابَ من استخار، ولا نَدِمَ من استشار».

(١٨٩٥) وقال بعضُ البُلغاء: «مِن حَقِّ العاقل أن يُضيف إلى رأيه آراءَ العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء؛ فالرأيُ الفذُّ[٢] ربما زلَّ، والعقل الفردُ ربما ضلَّ».

(١٨٩٦) وقال بشارُ بن بُرد[٣]:

إذا بلغ الرأيُّ المشورةَ فاستعِنْ ... برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تجعلِ الشُّورى عليك غضاضةً ... فإنَّ الخوافي قُوةٌ للقوادمِ[٤]

[صفاتُ أهل المشورة]:

فإذا عَزمَ على المُشاورة، ارتادَ لها مِن أهلها، مَن قد استُكمِلتْ فيه خمسُ خصال:

*** إحداهن: عقلٌ كامل، مع تجربةٍ سالفة:**

فإنه بكثرة التجارب تصحُّ الرؤية[٥].

(١٨٩٧) وقد رَوى أبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**استرشِدُوا العاقل تَرْشُدوا، ولا تعصُوه فتندموا**»[٦].

---

(١) لأن من تستشيره يتعب فكره ويُكدُّ عقله لكي يعينك بالمشورة الصالحة. [ط]
(٢) الفَذ: المنفرد. [ط]
(٣) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٥٥) غير منسوبة.
(٤) الغضاضة: النقص. [ط]
(٥) في المطبوعة: الروية.
(٦) موضوع: رواه الخطيب في «الرواة عن مالك» ـ كما في «كنز العمال» (٧١٨٠) ـ، والقضاعي =

(١٨٩٨) وقال عبدُاللَّه بن الحسن[١] لابنه محمد: «احذرْ مُشاوَرةَ الجاهل، وإن كان ناصحًا، كما تحذرُ عداوةَ العاقلِ إذا كان عدوًا؛ فإنه[٢] يُوشك أن يُورِّطك بمشورته، فيسبقَ إليك مكرُ العاقل، وتوريطُ الجاهل».

(١٨٩٩) وقيل لرجُل من «عَبْس»: «ما أكثرَ صوابَكُم؟ قال: نحن ألفُ رجُل، وفينا حازمٌ، ونحن نطيعهُ، فكأنَّا ألفُ حازم»[٣].

(١٩٠٠) وكان يُقال: «إياك ومُشاورةَ رجُلين: شابٌّ مُعجَبٌ بنفسه، قليلُ التجارب في غيره، أو كبيرٌ قد أخذ الدهرُ من عقلِه، كما أخذ من جسمِه».

(١٩٠١) وقيل في منثور الحكم: «كلُّ شيء يحتاجُ إلى العقل، والعقلُ يحتاجُ إلى التجارب»[٤].

(١٩٠٢) ولذلك قيل: «الأيام تَهتِكُ لك عن الأستار الكامنة[٥]».

(١٩٠٣) وقال بعضُ الحُكماء: «التجاربُ ليست لها غاية، والعاقلُ منها في زيادة».

(١٩٠٤) وقال بعض البلغاء: «مَن استعان بذَوِي العقول، فاز بدَرَكِ المأمول».

= في «مسند الشهاب» (٧٢٢)، والحارث في «مسنده» (٨٣٩)، وأبو الحسن النعالي في «جزء من حديثه» (١/ ٢٧)، وفي بعض ألفاظه: «استشيروا ذَوي العقولِ ترشُدوا، ولا تعصُوهم فتندموا»، وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢١٩): «**هٰذا غير صحيح**»، **وأقرَّه** الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/ ١٠٠) وأورده ـ أيضًا ـ في (٤/ ٢٨٣)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦١٧)، وبِهٰذا فسّر عبارةَ الإمام الذهبي السالفة، أنه أراد كونه موضوعًا. [ط]

(١) عبد اللَّه بن الحسن بن السيد الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب، أبو محمد العلوي، أمه فاطمة بنت السيد الحسين، كان من العُباد، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان سديد، توفي عام (١٤٤).
ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/ ٩٠)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٣٥).

(٢) يعني الجاهل. [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٥٦ ـ خبر: ١٤٥).

(٤) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٦٠ ـ خبر: ١٥٩).

(٥) أي: تبين لك خفايا الأمور. [ط]

(١٩٠٥) وقال أبو الأسود الدؤلي:

وما كُلُّ ذي نصحٍ بمؤتيكَ نصحَهُ ... ولا كُلُّ مؤتٍ نُصحَه بلبيبِ

ولٰكن إذا ما استَجْمَعَا عندَ صاحبٍ ... فحُقَّ له من طاعةٍ بنصيبِ

*** والخصلةُ الثانية: أن يكُونَ ذا دِين وتُقًى:**

فإن ذٰلك عمادُ كُلِّ صلاح، وبابُ كُلِّ نجاح، ومَن غلَب عليه الدِّينُ فهو مأمون السريرة، مُوفَّق العزيمة[١].

(١٩٠٦) رَوَى عكرمةُ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَن أراد أمرًا فشاوَر فيه امرَأً مُسْلِمًا، وفَّقه اللَّهُ لأرشدِ أمورِه**»[٢].

*** والخصلةُ الثالثة: أن يكون ناصحًا ودودًا:**

فإنَّ النُّصح والمودَّة يَصْدُقانِ الفكر، ويُمحِّضان الرأي[٣].

(١٩٠٧) وقد قال بعض الحكماء[٤]: «لا تُشاور إلَّا الحازمَ غيرَ الحسُود، واللبيبَ غيرَ الحقود، وإياك ومشاورةَ النساء؛ فإنَّ رأيَهنَّ إلى الأفَن[٥]، وعزمَهُن إلى الوَهَن[٦]».

---

(١) وقد ورد عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «وشاوِرْ في أمرك من يخافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»، ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «بهجة المجالس» (٢/ ٤٥١)، وذكر نحوه الإمام ابن حجر الهيتمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٣٦) من قول جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ. [ط]

(٢) ضعيف: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٣٣)، ونقل الإمام المُناوي في «الفيض» (٦/ ٥٠) عن الحافظ العراقي أنه قال: «**إسناده واهٍ**»، وعن الحافظ ابن حجر قوله: «**ضعيف جدًّا**»، **وأقرَّهما**. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩٦): «فيه عمرو بن الحصين العُقيلي، وهو متروك»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٨٦). [ط]

(٣) أي: يجعلانِه خالصًا صافيًا. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ٢٧٠) خبر (٥٧٥٤) منسوبة إلى ابن المقفع.

(٥) **الأفَن**: الفساد، يقال: أفن الجوز، إذا صار أفينًا لا خير فيه. الشرح (ص٤٩٢).

(٦) لا ريب أن هٰذا الكلام ليس على إطلاقه، فلقد رأينا ـ ورأى أسلافُنا ـ من النساء الديِّنات مَن كانت مشوراتُهنَّ خيرًا ألفَ مرة من مشوراتِ الرجال، ويغلبُ على الظنِّ أن القائلَ أراد النساء =

(١٩٠٨) وقال بعضُ الأدباء: «مَشورةُ المُشفِق الحازم ظَفَر، ومشُورةُ غير الحازم خَطَر».

(١٩٠٩) وقال بعضُ الشعراء:

اصْفُ ضميرًا لمن تُعاشرُهُ ... واسْكُن إلى ناصحٍ تُشاورُهُ

وارضَ مِن المرء في مودَّتِهِ ... بما يُؤدِّي إليك ظاهرُهُ

مَنْ يكشِفِ النَّاسَ لا يَجِدْ أحدًا ... تصحُّ منهم له سرائرُهُ

أوشَكَ ألَّا يدومَ وصلُ أخٍ ... في كلِّ زَلاتِه تُنافِرُهُ

*** والخصلةُ الرابعة: أن يكُون سَليمَ الفكرِ مِن همٍّ قاطِع، وغمٍّ شاغِل:**

فإنَّ من عارضَتْ فكرَه شوائبُ الهموم، لا يسلَمُ لهُ رأي، ولا يستقيم لهُ خاطرٌ.

(١٩١٠) وقد قيل في منثور الحكم: «بترداد الفِكر ينجابُ لك العمى».

(١٩١١) وكان كسرى إذا دهَمَهُ أمرٌ، بعث إلى مَرازبته[١] فاستشارهم، فإن قَصَّروا في الرأي، ضرب قَهارِمَتَه[٢]، وقال: أبطأتم بأرزاقهم، فأخطؤوا في آرائهم»[٣].

(١٩١٢) وقال صالح بن عبدِالقدُّوس:

ولا مُشِيرَ لذي نصحٍ ومَقْدِرَةٍ ... في مُشكلِ الأمر فاخترْ ذاك منتصحًا

*** والخصلة الخامسة: ألَّا يكونَ لهُ في الأمر المستشارِ غَرضٌ يُتابعه، ولا هوًى يُساعده:**

فإنَّ الأغراضَ جاذبة، والهوى صَادٌّ، والرأيُ إذا عارضه الهوى، وجاذبتْه الأغراض فَسد.

= اللاتي لا يتقيَّدنَ بدينٍ، وإنما يمِلنَ مع عواطفهن وأهوائهن. [ط]

(١) **المَرازبة**: الوزراء. [ط]

(٢) **القهارمة**: جمع «قهرمان»، وهو المسؤول عما تحت يده. كذا في «اللسان». [ط]

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٥٥ ـ خبر: ١٣٨).

(١٩١٣) وقد قال الفضلُ بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب[١]:

وقد تُحْكِم الأيامُ مَن كان جاهلًا ... ويُردِي الهوى ذا الرأي وَهْو لبيبُ

ويُحمَدُ في الأمر الفتى وَهْو مُخطئٌ ... ويُعذَلُ في الإحسانِ وهْوَ مُصيبُ

فإذا استُكملت هٰذه الخصالُ الخمس في رجُل، كان أهلًا للمشورة، ومعدنًا للرأي، فلا تعدِلْ عن استشارتِه اعتمادًا على ما تتوهَّمهُ من فضلِ رأيك، وثقةً بما تستشعرهُ من صِحَّة رَوِيَّتك؛ فإنَّ رأي غيرِ ذي الحاجةِ أسلم، وهو من الصوابِ أقرب، لخلوص الفكر[٢]، وخلوِّ الخاطر، مع عدم الهوى، وارتفاع الشهوة.

(١٩١٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأسُ العقل ـ بعد الإيمانِ باللَّه تعالى ـ التودُّدُ إلى النَّاسِ، وما استغنى مستبدٌّ برأيه، وما هَلك أحدٌ عن مشورة، فإذا أراد اللَّهُ بعبدٍ هَلَكةً كان أولَ ما يُهلِكُه رأيُه**»[٣].

(١٩١٥) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الاستشارةُ عَينُ الهداية، وقد خاطر مَنِ استغنى برأيه».

(١٩١٦) وقال لقمانُ الحكيم لابنه: «شاوِرْ مَنْ جَرَّب الأمور؛ فإنَّه يُعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه مجَّانًا».

(١٩١٧) وقال بعضُ الحكماء: «ضِفْ رأيَك إلى رأي أخيك بالمشورة، ليكمُلَ

---

(١) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم.
ترجمته في: تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٣٥)، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٥٠)، الأغاني (١٦/ ١١٩).

(٢) في الأصل: لخلوه من الفكر.

(٣) **ضعيف**: وقد تقدم تخريج الجملة الأولى ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ برقم (١٠٤٢)، ولم أقف على هٰذا الحديث بتمامه، وإنما أورد ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٢١)، وهنادٌ في «الزهد» (٢/ ٥٩٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٨٧)، و«الشُّعَب» (٨٦٣٦)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (١٧)، عن سعيد بن المسيب ـ مرسلًا ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**رأسُ العقل ـ بعد الإيمانِ باللَّهِ ـ التودد إلى الناس، وما يستغني رجلٌ عن مشورة، وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة**»، وقال الإمام البيهقي: «هذا هو المحفوظ: مرسل»، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠٣٧). [ط]

لك الرأي».

(١٩١٨) وقال بعضُ الأدباء: «من استغنى برأيه ضَل، ومن اكتفَى بعقله زَل».

(١٩١٩) وقال بعضُ البُلغاء: «الخطأُ مع الاسترشاد أحمدُ من الصَّواب مع الاستبداد[١]».

(١٩٢٠) وقال الشاعر[٢]:

خليليَّ ليس الرأيُ في صدرِ واحدٍ   أشيرا عليَّ بالذي تَريانِ

ولا ينبغي أن يَتصور في نفسِه أنه إن شاوَر في أمره ظهر للناس ضَعفُ رأيه، وفسادُ رَوِيَّته، حتى افتُقر إلى رأيِ غيره؛ فإن هٰذه معاذيرُ النَّوكَى، وليس يُرادُ الرأيُ للمباهاة به، وإنما يُراد للانتفاع بنتائجه، والتحرُّزِ من الخطأ عند زلَلِه، وكيف يكون عارًا ما أدَّى إلى صواب، وصَدَّ عن خطأ[٣].

(١٩٢١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَقِّحُوا عقولَكم بالمُذاكرة، واستعِينوا على أموركم بالمُشاورة**»[٤].

(١٩٢٢) وقال بعضُ الحكماء: «مِن كمال عقلك استظهارُك على عقلك[٥]».

(١٩٢٣) وقال بعض البلغاء: «إذا أُشكلَتْ عليك الأمور، وتغيَّر لك الجُمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافْزَع إلى استشارة العلماء، ولا تأنَفْ من الاسترشاد، ولا تستنكِفْ من الاستمداد؛ فلأَن تسألَ وتسلَم، خيرٌ لك من أن تستبدَّ وتندَم».

وينبغي أن تُكثِر من استشارةِ ذَوِي الألباب ـ لا سيَّما في الأمر الجليل ـ؛ فقلَّما يَضلُّ عن الجماعة رأي، ويذهبُ عنهم صواب؛ لأنَّ إرسالَ الخواطر الثاقبة، وإجالةَ

(١) في هٰذا الكلام مبالغةٌ لا تخفى، فالصواب خيرٌ على كلِّ حالٍ من الخطأ، وإنما قصد القائل أهمية المشورة. [ط]

(٢) أورده ابن عبد البر في التمهيد (١٤/ ٣٤٦).

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٥٣)، نقلاً عن أدب ابن المقفع، مع تغيير في بعض الألفاظ.

(٤) **لا أعلم له أصلًا عنه** ﷺ، وإنما أورده الإمام المُناوي في «الفيض» (٥/ ٤٤٢)، وصدره بقوله: «وفي بعض الآثار». [ط]

(٥) أي: من كمال عقلك انتصارُك على عقلك؛ وهٰذا بعدم الإذعانِ لما يُشيرُ به عليك قبل استشارةِ النُّصَحاء. [ط]

الأفكار الصادقة، لا يعزُب عنها ممكن، ولا يخفَى عليها جائز.

(١٩٢٤) وقد قيل في منثور الحكم: «مَنْ أكثرَ من المشورةَ، لم يَعدِمْ عند الصواب مَادحًا، وعند الخطأ عاذرًا، وإن كان الخطأُ من الجماعة بعيدًا».

[أفضلُ طُرق المَشورة]:

فإذا استشار الجماعة، فقد اختلف أهلُ الرأي في اجتماعهم عليه، أو انفراد كُلِّ واحدٍ منهم به.

ـ فمذهب الفُرس: أنَّ الأولى اجتماعُهم على الارتياء[١]، وإجالةِ الفكر، ليذكُر كُلُّ واحدٍ من الجماعة ما قَدَحه خاطرُه، وأنتجه فكرُه، حتى إذا كان فيه قَدحٌ عُورِض، وإن تَوجَّه عليه ردٌّ نُوقِض، كالجدلِ الذي تكون فيه المُناظرة، وتقعُ فيه المُنازعة والمُشاجرة؛ فإنه لا يبقى فيه ـ مع اجتماع القرائح عليه ـ خللٌ إلا ظهر، ولا زللٌ إلَّا بان.

ـ وذهب غَيرُهم من أصنافِ الأمم: إلى أن الأولى استسرارُ كُلِّ واحدٍ بالمشورة، ليُجيلَ كُلُّ واحدٍ منهم فكرَه في الرأي، طمعًا في الحَظوةِ بالصواب؛ فإن القرائح إذا انفردت استكدَّها الفكر، واستفرغها الاجتهاد، وإذا اجتمعت فوَّضت، وكان الأول من بدائهما متبوعًا[٢].

ولكُلِّ واحدٍ من المذهبين وجهٌ، ووجْهُ الثاني أظهر.

والذي أراه في الأَوْلى غيرُ هٰذين المذهبين على الإطلاق، ولٰكنْ يُنظر في الشورى:

١ ـ فإن كانت في حالٍ واحدة ـ هل هي صواب أم خطأ؟ ـ كان اجتماعُهم عليها أولى؛ لأنَّ ما تردَّد بين أمرين، فالمراد منه الاعتراضُ على فساده، أو ظهورُ الحُجة في صلاحه، وهٰذا مع الاجتماع أبلغ، وعند المناظرةِ أوضح.

٢ ـ وإن كانت الشورى في خَطبٍ قد استبُهم صوابهُ، واستُعجم جوابُه، من

---

(١) الارتياء: النظر والتأمل. [ط]

(٢) يقصد أن العقول إذا انفردت ـ دون مساعدة ـ اجتهدت في انتقاء الأصلح، وبلغت في هٰذا جهدها، أما إذا اجتمعت مع غيرها فقد تتواكل على ذٰلك الغير، وتتكاسل عن الاجتهاد في استخراج الآراء. [ط]

أمورٍ خافية، وأحوالٍ غَامضة، لم يحصُرها عدد، ولم يجمعها تقسيمٌ، ولا عُرِف لها جوابٌ يُكشَفُ عن خطئه وصوابه، فالأولى في مثله انفرادُ كُلِّ واحدٍ بفكره، وخلُوُّه بخاطره، ليجتهدَ في الجواب، ثم يقعُ الكشف عنه: أخطأٌ هو أم صواب؟ فيكونُ الاجتهادُ في الجواب منفردًا، والكشفُ عن الصواب مجتمعًا، لأن الانفراد في الاجتهاد أوضح، والاجتماعَ في المناظرة أبلغ، فهٰكذا هٰذا.

[محاذير الشورى]:

وينبغي أن يسلَم أهلُ الشورى من حسدٍ أو تنافُسٍ، فيمنعُهم من تسليم الصواب لصاحبه، ثم يَعرض المستشيرُ ذٰلك على نفسه ـ مع مشاركتهم في الارتياء والاجتهاد ـ ، فإذا تصفَّح أقاويلَ جميعهم، كشفَ عن أصولها وأسبابِها، وبحث عن نتائجها وعواقبها، حتى لا يكونَ في الأمر مُقلدًا، ولا في الرأي مُفوِّضًا؛ فإنه يستفيد بذٰلك ـ مع ارتياضِهِ بالاجتهاد ـ ثلاثَ خصال:

إحداهن: معرفة عَقلِه، وصحة رؤيته.

والثانية: معرفةُ عقل صاحبه، وصواب رأيه.

والثالثة: وضوحُ ما استُعجم من الرأي، وانفتاح ما انغَلق من الصواب.

فإذا تقرر لهُ الرأيُ أمضاه، ولم يأخذهم[1] بعواقب الإكداء فيه؛ فإنما على الناصح الاجتهاد، وليس عليه ضمان النُّجح، لا سيَّما والمقاديرُ غالبة.

ومتى عُرِف منه تعقُّبُ المشير[2]، وُكِلَ إلى رأيه، وأُسلم إلى نفسِه، فصار فردًا لا يُعانُ برأي، ولا يُمدَّ بمشُورة.

(١٩٢٥) وقد قالت الفرس في حِكَمها: «أضعفُ الحِيلة خيرٌ من أقوى الشدة، وأقلُّ التأنِّي خيرٌ من أكثر العجلة، والدَّولةُ رسولُ القضاء المُبرم، وإذا استبدَّ المَلِكُ برأيه عَميت عليه المَراشد».

وإذا ظفر برأيٍ من خاملٍ ـ لا يراهُ للرأي أهلًا، ولا للمشُورة مُستوجبًا ـ اغتنمه

---

(١) في المطبوعة والشرح: ولا يؤاخذهم.

(٢) يقصد من ابتُلِي بشهوة النقد. [ط]

عفوًا؛ فإنَّ الرأي كالضَّالة تُؤخذ أين وجِدَتْ، ولا يَهُون لمهانةِ صاحبِه فيُطرح؛ فإنَّ الدُّرَّة لا يضعُها مهانةُ غائصِها[1]، والضَّالةُ لا تُترَكُ لِذلَّة واجدِها، وليس يُراد الرأيُ لمكان المشير به، فيُراعَى قدرهُ، وإنَّما يُراد لانتفاع المستشير.

(١٩٢٦) وأنشد أبو العيناء عن الأصمعي:

النُّصْحُ أرخَصُ ما باع الرجالُ فلا ... تَرْدُدْ على ناصحٍ نُصحًا ولا تلُمِ

إن النَّصائحَ لا تَخفَى مَناهجُها ... على الرِّجالِ ذوي الألباب والفَهَمِ

ثم لا وَجْهَ ـ لمن تقرر له رأيٌ ـ أن يَنِيَ في إمضائه[2]؛ فإن الزمان غادرٌ، والفُرصُ منتهَزة، والثقة عجزٌ.

(١٩٢٧) قيل لملك زالَ عنه ملكُه: «ما الذي سَلَبك مُلكك؟ قال: تأخيرُ عمل اليوم إلى الغد».

(١٩٢٨) وقال الشاعر:

إذا كُنْتَ ذا رأي فكُن ذا عزيمةٍ ... ولا تكُ بالتَّرداد للرأي مُفسِدا

فإني رأيتُ الرَّيثَ في العَزم هُجنةً ... وإنفاذَ ذي الرأي العزيمةَ أرشَدَا

[الواجبُ على المُستشار]:

وينبغي لمن أُنزِلَ منزلةَ المستشار، وأُحِلَّ محلَّ النَّاصح الوادِّ ـ حتى صار مأمولَ النُّجح، مرجُوَّ الصَّواب ـ أن يؤدِّي حقَّ هٰذه النِّعمةِ بإخلاصِ السريرة، ويكافئ على الاستسلام ببذل النُّصح.

(١٩٢٩) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ من حقِّ المُسلم على المُسلم إذا**

(١) ومن روائع الأشعار ـ في هٰذا ـ قول من قال:

لا تَحقِرنَّ الرأيَ وهو موافقٌ ... حُكمَ الصواب إذا أتى مِن ناقصِ

فالدُّرُّ ـ وهو أعزُّ شيءٍ يُقتَنَى ـ ... ما حَطَّ قيمتَه هوانُ الغائصِ

«أضواء البيان»، للعلامة الشنقيطي (١/ ٩). [ط]

(٢) أي: أن يتكاسل في إنفاذه. [ط]

استنصحه أن يَنصحَه»(١).

وربما أبطرته المُشاورة، فأُعجب برأيه، فاحْذَرهُ في المُشاورة، فليس للمعجب رأيٌ صحيح، ولا رَوِيَّةٌ سليمة، وربما شحَّ بالرأيِ لعداوةٍ أو حسدٍ أو مكرٍ، فورَّى(٢)، فاحذَرِ العدوَّ، ولا تثِق بحسودٍ ولا عُذرَ لمن استشاره عدوٌّ أو صديقٌ أن يكتم رأيًا وقد استُرشِد، ولا أن يخون وقد ائتُمن.

(١٩٣٠) روى محمدُ بن المُنكدِر، عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ قال: **«المُستشير مُعانٌ، والمُستشار مُؤتَمَن»**(٣).

(١٩٣١) وقال سُليمان بن يزيد(٤):

وأجِبْ أخاك إذا استشارك ناصحًا ... وعلى أخيكَ نصيحةٌ لا تَرْدُدِ

ولا ينبغي أن يُشيرَ قبل أن يُستشارَ إلَّا فيما مَسَّ، ولا أن يتبرع بالرأي إلا فيما لزم، فإنَّه لا ينفكُّ من أن يكون رأيًا مُتَّهمًا أو مُطَّرحًا، وفي أيِّ هٰذين كان وَصمة، وإنما يكون الرأي مقبولًا إذا كان عن رغبةٍ وطلب، أو كان لباعثٍ وسبب.

(١٩٣٢) روى أبو بلال العِجْلي، عن حُذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«قال لقمانُ لابنه: إذا استُشهِدت فاشهَدْ، وإذا استُعنت فأعِنْ، وإذا استُشرت**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٧٢)، ومسلم (٢١٦٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ**»، قيل: ما هن ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطِس فحَمِد اللَّهَ فسَمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه**». وفي الباب أحاديث متقاربة عن غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [ط]

(٢) **ورَّى الخبر**: ستره وأظهر غيره.

(٣) **ضعيف ـ بِهٰذا السياق ـ**: ذكره في «كنز العمال» (٧١٨٧)، وعزاه للعسكري في «الأمثال»، وأقلُّ أحوالِه الضعف ـ والعلمُ عند اللَّه تعالى ـ، فليس معلومًا ولا مشهورًا عند أهل العلم.
وأما قوله: «**المستشار مؤتَمن**»، **فصحيح**: رواه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٨٨٨)، و«الكبرى» (١٠/ ١٩١)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٤) لم أجده، واللَّه أعلم.

فلا تَعْجَلْ حتى تنظُر»[١].

(١٩٣٣) وقال بَيْهسٌ[٢] الكِلابي[٣]:

مِنَ الناس مَنْ أن يَستشرك فتجتهدْ ... لهُ الرأي يَستغشِشْكَ ما لا تُتابعُهْ

فلا تَمنحنَّ الرأيَ من ليس أهلَهُ ... فلا أنت محمودٌ ولا الرأيُ نافعُهْ

❁ ❁ ❁

(١) **لا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) في الأصل: ابن ينهش.

(٣) لم أجد بِهٰذا الاسم غير بيهس بن صهيب بن عامر بن عبداللَّه بن قضاعة، أبو المقدام، فارس شجاع، شاعر من شعراء الدولة الأموية، كانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن.
ترجمته في: الوافي بالوفَيات (١٠/ ٣٦٩)، الأغاني (١٩/ ١٠٧).

الفصل الرابع

في كتمان السِّر

اعْلَم أنَّ كِتمان الأسرارِ من أقوى أسبابِ النجاح، وأدومُ لأحوال الصلاح.

(١٩٣٤) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**استعِينوا على الحاجاتِ بالكِتمان، فإن كُلَّ ذي نعمةٍ مَحسُود**»[١].

(١٩٣٥) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سِرُّك أسِيرُك، فإن تكلَّمتَ به صِرْتَ أسيرَه».

(١٩٣٦) وقال بعضُ الحكماء لابنه: «يا بُني، كُنْ جَوَادًا بالمال في موضع الحق، ضَنينًا بالأسرار عن جميع الخَلق؛ فإن أحمدَ جُودِ المرء الإنفاقُ في وجه البر، والبخلُ بمكتوم السر».

(١٩٣٧) وقال بعضُ الأدباء: «مَن كتم سِرَّه كان الخِيارُ إليه، ومن أفشاه كان الخيارُ عليه».

(١٩٣٨) وقال بعض البُلغاء: «ما أسرَّكَ ما كتمتَ سِرَّك»[٢].

(١٩٣٩) وقال بعض الفُصحاء: «ما لم تغيِّبْه الأضالع[٣]، فهو مكشوفٌ ضائع».

(١٩٤٠) وقال بعضُ الشعراء ـ وهو أنس بن أسيد[٤] ـ:

ولا تُفْشِ سِرَّك إلا إليكَ ... فإنَّ لكل نصيح نصيحَا

فإني رأيتُ وُشاةَ الرِّجالِ ... لا يتركون أديمًا صحيحَا

وكم من إظهار سرٍّ أراقَ دمَ صَاحِبِه، ومَنَع من نيل مَطالبِه، ولو كتمه كان من

---

(١) حسن: وقد تقدم برقم (١٦٨٥). [ط]

(٢) لم أتبين المقصود جيدًا. [ط]

(٣) **الأضالع**: الضلوع. [ط]

(٤) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٦٧) منسوبة إلى عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سَطَواته آمنًا، ومن عواقبه سالمًا، ولنجاحِ حوائجِهِ راجيًا.

(١٩٤١) وقال أنُوشِروان: «مَنْ حصَّن سرَّهُ فله بتحصينه خَصلتان: الظفَرُ بحاجتِهِ، والسلامةُ من السَّطوات».

وإظهار الرَّجلِ سرَّ غيره أقبحُ من إظهارِهِ سرِّ نفسه؛ لأنَّه يبوء بإحدى وصمتين:

- إمَّا الخيانةُ إن كان مؤتمنًا.
- أو النميمة إن كان مُستودَعًا.

فأمَّا الضرر فرُبما استويا فيه، أو تفاضلَا، وكلاهما مذموم، وهو فيهما ملوم.

وفي الاسترسال بإبداءِ السر دلائلُ على ثلاثةِ أحوالٍ مذمومة:

أحدها: ضِيق الصدر، وقلةُ الصَّبر، حتى إنه لم يتَّسع لسِر، ولم يَقدِر على صبر.

(١٩٤٢) وقد قال الشاعر:

إذا المرءُ أفشى سرَّه بلسانهِ ... ولام عليه غيره فهو أَحمقُ

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسهِ ... فصدرُ الذي يُستودعُ السرَّ أضيقُ

والثاني: الغفلةُ عن تَحذُّرِ العُقلاء، والسهوِ عن يقظة الأذكياء.

(١٩٤٣) وقد قال بعضُ الحُكماء: «انفرِدْ بسرِّك، ولا تُودعهُ حازمًا فيزِل، ولا جاهلًا فيخون».

والثالث: ما ارتكبهُ من الغُرور، واستعمله من الخَطَر.

(١٩٤٤) وقد قال بعضُ الحُكماء: «سرُّك من دَمِك، فإذا تكلَّمتَ به فقد أَرَقْتَه».

واعلَم أنَّ مِنَ الأسرار ما لا يُستغنى فيه عن مُطالعةِ صديقٍ مُساهم[1]، واستشارةِ ناصحٍ مُسالِم، فلْيَختر العاقلُ لسرِّه أمينًا - إن لم يجد إلى كَتمه سبيلًا -، ولْيَتحرَّ في اختيارِ مَن يأتمنُه عليه ويستودعُه إياه، فليس كُلُّ مَن كان على الأموال أمينًا، كان على الأسرار مؤتمنًا، والعفَّةُ عن الأموال أيسرُ من العفةِ عن إذاعة الأسرار؛ لأن الإنسان قد يُذيعُ سرَّ نفسِه بمبادرة لسانه وسَقطِ كلامه، ويَشِحُّ باليسير من ماله، حفظًا له، وضنًّا به[2]، ولا يرى ما أذاع من سرِّه كبيرًا، في جنبِ ما حَفِظه من يسير مالِهِ، مع عِظَمِ الضررِ الداخلِ عليه.

(١) أي: يشاركه حياته. [ط]

(٢) في الأصل: حفاظًا له وصيانة.

فمن أجل ذٰلك كان أُمناءُ الأسرار أشدَّ تعذُّرًا، وأقلَّ وجودًا من أمناءِ الأموال، وكان حفظُ الأموال أيسرَ من كتم الأسرار، لأن أحرازَ الأموالِ منيعة، وأحرازَ الأسرارِ بارِزة، يُذيعها لسانٌ ناطق، ويُشيعُها كلامٌ سابق.

(١٩٤٥) وقال عمر بن عبدِالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القلوبُ أوعيةُ الأسرار، والشِّفاةُ أقفالُها، والألسُن مفاتيحها، فلْيَحفظْ كُلُّ امرئٍ مفتاحَ سرِّه».

[صفاتُ أمينِ السر]:

ومن صفاتِ أمين السر: أن يكون ذا عقلٍ صادٍّ، ودينٍ حاجز، ونُصحٍ مبذول، وودٍّ موفور، وكتومًا بالطبع؛ فإن هٰذه الأمورَ تمنعُ من الإذاعة، وتُوجِبُ حفظَ الأمانة، فمن كمُلت فيه فهو عَنقاءُ مُغْرِبٍ(١).

(١٩٤٦) وقيل في منثور الحِكم: «قلوبُ العقلاء حصونُ الأسرار».

ولْيَحذر صاحبُ السرِّ أن يُودِعَ سرَّه من يتطلعُ إليه، ويؤثرُ الوقوفَ عليه؛ فإن طالب الوديعة خائن.

(١٩٤٧) وقيل في منثور الحكم: «لا تُنكِحْ خاطبَ سِرِّك».

(١٩٤٨) وقال صالح بن عبدِالقُدوس:

لا تُـــذِعْ ســـرًّا إلى طالـــبِهِ ... مـنك فالطالـبُ للـسرِّ مُذيعُ

[الحَذرُ مِن كثرة المستودَعين للسر]:

ولْيَحذَرْ كثرةَ المستودَعيـن لِسـرِّه، فإن كثـرتَهم سببُ الإذاعة، وطريقٌ إلى الإشاعة، لأمرين:

أحدهما: أن اجتماعَ هٰذه الشروط في العدد الكثير مُعوِز، ولابدَّ ـ إذا كثُروا ـ من أن يكون فيهم مَن أَخلَّ ببعضها.

والثاني: أنَّ كُلَّ واحدٍ منهم يجدُ سبيلًا إلى نفي الإذاعةِ عن نفسه، وإحالةِ ذٰلك

(١) **عنقاءُ المُغرب**: كلمةٌ لا أصل لها، يقال: إنها طائر عظيم لا يُرى إلا في الدهور، ويقال: طائر لم يره أحد، لسان العرب (٤/ ٤٤٦ ـ باب: عنق).

إلى غيره، فلا يُضافُ إليه ذنب، ولا يتوجَّهُ عليه عَتْب.

(١٩٤٩) وقد قال بعضُ الحكماء: «كلما كثُر خُزَّانُ الأسرار ازدادت ضياعًا».

(١٩٥٠) وقال بعض الشعراء(١):

وسِرُّكَ ما كان عند امرئٍ　　　وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخَفِي

(١٩٥١) وقال آخرُ:

فلا تنطق بسرِّك كلُّ سرٍّ　　　إذا ما جاوز الاثنين فاشِي

(١٩٥٢) وقال آخر:

إذا جاوَزَ الاثنينِ سرٌّ فإنَّه　　　ببثٍّ وتكثيرِ الوُشاةِ قَمينُ(٢)

ثم لو سَلِم من إذاعته، لم يَسلَم من إدلالهم واستطالتهم؛ فإن لمن(٣) ظَفِر بسرٍّ من فَرط الإدلال، وكثرةِ الاستطالة، ما إن لم يَحجُزْه عنه عقل، ولم يكفَّه عنه فضل، كان أشدَّ من ذُلِّ الرِّق، وخُضوعِ العبد.

(١٩٥٣) ولذلك قال بعضُ الحكماء: «من أفشى سرَّه كثُر عليه المتآمِرون».

فإذا اختار - وأرجو أن يوفَّق للاختيار -، واضطُرَّ إلى استيداع سره - وليتَه كُفي الاضطرار -، وجَب على المستودَع له أداءُ الأمانة فيهِ بالتحفُّظِ والتناسي له، حتى لا يخطُر له ببال، ولا يدورُ له في خَلَد، ثم يرى ذلك حُرمةً يرعاها، ولا يُدِلُّ إدلال اللئام.

(١٩٥٤) حُكي أن رجلًا أسرَّ إلى صديقٍ له حديثًا، ثم قال له: أفهِمتَ؟ قال: بل جهلتُ، قال: أحفِظتَ؟ قال: بل نسيت»(٤).

(١٩٥٥) وقيل لرجل: «كيف كِتمانُك للسر؟ قال: أجحَدُ المُخبِر، وأحلِفُ للمُستخبِر»(٥).

---

(١) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٦٧) منسوبة إلى الصلتان العبدي.
(٢) قمين: جدير. [ط]
(٣) كذا في المطبوع، ولعل الأصح: «مَن»، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]
(٤) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٦٨)، والبيان والتبيين (٢/ ٣١٣).
(٥) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٦٨)، والعقد الفريد (١/ ٦٥)، وأمالي القالي (٢/ ١٧٣).

(١٩٥٦) وقال بعض الشعراء[1]:

ولـو قـدرتُ على نـسيان ما اشتملت ... منـي الـضُّلوع على الأسـرار والخَبـرِ

لكـــنتُ أولَ مـــن ينـــسى ســـرائرهُ ... إذ كـنتُ مـن نـشرها يـومًا على خطرِ

(١٩٥٧) وحُكي أن عبدَاللَّه بن طاهر تَذاكَر الناسُ في مجلسه حِفظَ السر، فقال عبدُاللَّه:

ومُـستودعي سـرًّا تـضمنتُ سرَّه ... فأودعـتُه مـن مُـستقرِّ الحشا قَبرا

فقال ابنه عُبيدُاللَّه ـ وهو صبي ـ:

ومـا الــسرُّ في قلبــي كـثاوٍ بحفــرةٍ ... لأني أرى المدفــونَ يَنتظِـرُ الحَــشْرَا

ولٰكننـــي أُخفـــيهِ عنـــي كأننـــي ... مـنَ الدهـر يـومًا مـا أَحطـتُ به خُبْرَا

❁ ❁ ❁

(١) الأبيات في عيون الأخبار (١/ ٦٨) غير منسوبة.

الفصل الخامس

في المُزاح والضَّحِك

اعلم أن المُزاحَ إزاحةٌ عن الحقوق، ومَخْرَجًا إلى القطيعةِ والعقوق، يَصِمُ المازح، ويؤذِي المُمازح.

فوصمة المازح: أن يُذهِبَ عنه الهيبة والبهاء، ويُجرِّئ عليه الغوغاء والسفهاء.

وأمَّا أذية المُمازح: فلأنه معقوقٌ بقولٍ كريه، وفِعلٍ مُمِضٍّ[1]، إن أمسك عنه أحزَنَ قلبه، وإن قابل عليه جانب أدبه.

فحُقَّ على العاقل أن يتَّقيه، ويُنزِّهَ نفسه عن وصمةِ مَساويه.

(١٩٥٨) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المُزاح استدراجٌ من الشيطان، واختداعٌ من الهوى**»[2].

(١٩٥٩) وقال عمر بن عبدِالعزيز: «اتقوا المُزاح، فإنَّه حَمقةٌ تُورِّث ضغينة».

(١٩٦٠) وقال بعض الحكماء: «إنما المُزاحُ سِبابٌ، إلا أن صاحبَه يضحك».

(١٩٦١) وقيل: «إنما سُمِّيَ المُزاحُ مُزاحًا، لأنَّه يُزيح عن الحقِّ[3]».

(١٩٦٢) وقال إبراهيمُ النَّخَعي: «المُزاحُ من سُخْفٍ أو بَطَر».

(١٩٦٣) وقيل في منثور الحكم: «المزاحُ يأكلُ الهيبةَ كما تأكلُ النارُ الحطب».

(١٩٦٤) وقال بعضُ الحُكماء: «مَن كثُر مُزاحُه زالت هيبته، ومَن كثُر خلافُه طالت غِيبتُه».

---

(١) مُمِضٌّ: مؤلِم. [ط]

(٢) **لا أعلمُ له أصلًا عنه ﷺ**، وقد أورده ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» (٣٩٩) من كلام الحسن بن حُيي. [ط]

(٣) قال الشيخ الفاضل ياسين السوَّاس ـ في تحقيقه لـ«أدب الدنيا والدين» (٤٨٩) ـ : «لو كان كذلك لسُمِّي مُزيحًا ـ اسم فاعل من «أزاح» ـ، والأقرب أنه: إما مِزاح ـ بكسر الميم ـ مصدر «مازح» ـ، وإما بضم الميم اسم من «مزح»، ويجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا، أو اسم مكان من الإزاحة، ولٰكن فيه تكلُّفًا». [ط]

(١٩٦٥) وقال بعضُ البُلغاء: «من قلَّ عقلُه كثُر هَزْلُه».

(١٩٦٦) وذَكَر خالدُ بن صفوان المُزاح، فقال: «يَصُكُّ أحدُهم صاحبَه بأشدَّ من الجندل[١]، ويُنشِّقُه أحرفَ من الخَردل[٢]، ويُفرِغَ عليه أحرَّ منَ المِرْجَل، ثم يقول: إنما كنتُ أُمازِحُك؟!».

(١٩٦٧) وقال بعضُ الحكماء: «خيرُ المُزاح لا يُنال، وشرُّه لا يُقال[٣]».

(١٩٦٨) فنظمه النَّيسابوري[٤] في قصيدته الجامعة للآداب، فقال وزاد:

شَرُّ مُزاحِ المرءِ لا يُقالُ ... وخيرُه ـ يا صاحِ ـ لا يُنالُ

وقَدْ يُقالُ كثرةُ المُزاحِ ... منَ الفتى تدعُو إلى التلاحي

إنَّ المُزاح بَدؤُهُ حلاوةْ ... لٰكنما آخِرُه عداوةْ

يَحتَدُّ منه الرَّجلُ الشَّريفُ ... ويَجتري بسُخفِه السَّخيفُ

(١٩٦٩) وقال أبو نُوَاس[٥]:

خَلِّ جَنبيك لرامِ ... وامضِ عنه بسلامِ

مُتْ بداء الصَّمتِ خيرٌ ... لكَ مِن داءِ الكلامِ

إنَّما السَّالِمُ من أَلْجمَ ... فاهُ بلجامِ

ربَّما استُفتِح بالمزحِ ... مغاليقُ الحِمامِ

والمنايا آكلاتٌ ... شارباتٌ للأنامِ

واعلم أنه قلَّما يعْرَى من المُزاح مَن كان سهلًا، فالعاقل يتوخَّى بمُزاحه إحدى

---

(١) **الجندل**: الصخرة مثل رأس الإنسان، لسان العرب (١/ ٤٧١ ـ باب: جندل).

(٢) **الخردل**: نبتٌ حار. وأحرَفُ: أشد حدَّةً. والمقصود: أن المُمازح يصيب بكلامه القاسي العنيف وجه صاحبه، ثم يقول له: كنت أمازحك!! [ط]

(٣) **يُقال**: يُسامح. [ط]

(٤) في الأصل والشرح: السابوري، ولم أعرفهما.

(٥) الأبيات في ديوانه (٦٢٠)، وفي عيون الأخبار (٢/ ١٩٩ ـ خبر: ٣٠٥٥).

حالتين، لا ثالثة لهما:

إحداهما: إيناسُ المُصاحبين، والتودُّد إلى المخالِطين، وهٰذا يكون بما أنِسَ من جميلِ القول، وبَسط من مستحسن الفعل.

(١٩٧٠) كما قال سعيدُ بن العاص لابنه: «اقتصِدْ في مُزاحك؛ فإنَّ الإفراط فيه يُذهب البهاء، ويجرِّئ عليك السفهاء، وإن التقصيرَ فيه يفُضُّ عنك المؤانِسين، ويُوحشُ منك المصاحبين».

والحالة الثانية: أن ينفيَ بالمُزاح ما طرأ عليه من سَأم، أو حَدَث به من هَمٍّ.

(١٩٧١) فقد قيل: «لابدَّ للمصدور[1] أن ينفُثَ».

(١٩٧٢) وأنشدت لأبي الفتح البُستي:

أفِدْ طبعكَ المكدُود بالجِدِّ راحةً ... يَجِمَّ وعَلِّلْهُ بشيءٍ مِن المَزْحِ

ولٰكن إذا أعطيته المزحَ فليكنْ ... بمقدارِ ما يُعطَى الطَّعامُ مِنَ المِلْحِ

وقد كان النبي ﷺ يمزحُ على هٰذا الوجه:

(١٩٧٣) رُوي عنه ﷺ أنه قال: «**إني لَأمزحُ، ولا أقولُ إلا حقًّا**»[2].

(١٩٧٤) فمن مزاحه ﷺ: ما رُوي أنَّ عجوزًا من الأنصار أتته، فقالت: يا رسول اللّٰه، ادعُ لي بالمغفرة، فقال: «**أمَا علِمتِ أن الجنةَ لا يدخلُها العجائزُ**»، فصرخت، فتبسَّم رسول اللّٰه ﷺ وقال: «**أما قرأتِ قولَ اللّٰهِ ﷻ**: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً

---

(١) أي: من بصدره ألم.

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٤٤٣) و«الأوسط» (٩٩٥) و«الصغير» (٧٧٩)، وحسَّنه الإمام الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٨)، **وصححه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع »(٢٤٩٤)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «الآداب الشرعية» للإمام ابن مفلح الحنبلي (٢/ ٣٣٥).

وروى أحمد (٢/ ٣٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي (١٩٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥٢٣٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قالوا: يا رسول اللّٰه، إنك تُداعبُنا! قال: «**إني لا أقولُ إلا حقًّا**»، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٠٩). وانظر: «إعلام الموقِّعين» بتحقيق الشيخ مشهور حسن آل سلمان (٤/ ٥٤١). [ط]

﴿٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ٣٦﴾ [الواقعة]»[(١)].

(١٩٧٥) وأتته أخرى في حاجةٍ لزوجها، فقال لها: «ومَنْ زَوجُكِ؟»، فقالت: فلان، فقال لها: «الذي في عينِه بياضٌ؟»، فقالت: لا، فقال: «بلى»، فانصرفت عَجْلَى إلى زوجها، وجعلت تتأملُ عينيه، فقال لها: ما شأنُكِ؟ فقالت: أخبرني رسول اللَّه ﷺ أن في عينيك بياضًا، فقال: أمَا تَرَينَ بياضَ عيني أكثرَ من سوادهما![(٢)].

(١٩٧٦) وسُئل الشعبيُّ عن أكل لحم الشيطان، فقال: «نحن نرضى منه بالكفاف».

(١٩٧٧) وقيل له: «ما اسمُ امرأةِ إبليس ـ لعنه اللَّه ـ ؟ فقال: ذٰلك نِكاحٌ ما شهدناه»[(٣)].

(١٩٧٨) وقال رجلٌ لغلام: «بكم تعملُ معي؟ قال: بطعامي، فقال له: أحسِنْ قليلًا، قال: فأصومُ الإثنين[(٤)] والخميس».

---

(١) **حسن**: رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ح١٩٠) والطبراني في «الأوسط» (٥٥٤١)؛ من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٢٩)، والإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩).
ورواه الترمذي في «الشمائل» (٢٤١)، والبغوي في «التفسير» (٤/ ٢٨٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٨٢)، عن الحسن البصري **مرسلًا**، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٦/ ١٢٢١)، وكذا الشيخ عباس الجليمي في تحقيق «الشمائل» (ص١٩٥). [ط]

(٢) **ضعيف**: رواه ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص٢٩٣) بغير إسناد، وذكره الغزَّالي في «الإحياء» (٣/ ١٢٩) عن زيد بن أسلم **مرسلًا**، وقال الحافظ العراقي: «أخرجه الزبير بن بكار في كتاب «الفكاهة والمزاح»، ورواه ابن أبي الدنيا ـ من حديث عبيدة بن سهم الفهري ـ مع اختلاف».
وروى أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٧٩٦)، وابن عساكر في «التاريخ» (٤/ ٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٠٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ما أكثرَ بياضَ عينيك!**»، **وضعَّفه** الإمام ابن عدي، والشيخ مشهور حسن في تحقيقه لـ«إعلام الموقعين» (٥/ ١٧٨). [ط]

(٣) الخبران في عيون الأخبار (١/ ٤٥١ ـ خبر: ١٧٤٦) منسوبان إلى الشعبي.

(٤) **فائدةٌ نحوية**: قرر النحاةُ أن الكلمة إذا كانت بألفِ وصل، فصارت عَلَمًا فإن أَلِفَها يصير ألفَ قطع، ومن ثم تكون كلمة مثل «الاثنين» ـ عَلَمٌ على اليوم المعروف ـ تُكتب بألف قطع: =

(١٩٧٩) وحُكي عن أبي صالح بن حسَّان ـ وكان محدِّثًا ـ : أنه قال يومًا لأصحابه مازحًا: أفقهُ الناس وضاحُ اليمن في قوله:

إذا قُلْتُ هاتِي نَوِّليني تَبَرَّمَتْ وقالتْ: معاذَ اللَّهِ من فِعْلِ ما حَرُمْ

فما نَوَّلَتْ حتَّى تضرَّعْتُ عندَها وأنبأْتُها ما رخَّص اللَّهُ في اللَّمَمْ(١)

فأمَّا الخروجُ إلى حَدِّ الخلاعة فهُجنةٌ وَمذمَّة.

(١٩٨٠) كالذي حُكي عن أبي مُعاوية الضرير ـ وكان محدِّثًا ـ أنه خرج يومًا إلى أصحابه، وهو يقول(٢):

فإذا المِعدةُ جاشتْ فارمِها بالمنجنيقِ

بثلاثٍ مِن نبيذٍ ليس بالحلو الرقيقِ

أما ترى كيف طَرَق بخلاعتِه التهمةَ على نفسِه بِهٰذا المُزاح، فيما لعلَّه بريءٌ منه، وبعيد عنه؟!.

وقد كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسترسلًا في مُزاحه.

(١٩٨١) حكى ابنُ قتيبةَ في «المعارف»: «أنَّ مروان ربما كان يستخلفُه على المدينة، فيركب حِمارًا قد شدَّ عليه بَرذعةً، فيَسيرُ فيَلقى الرجل، فيقول: الطريق، قد جاء الأمير»(٣).

(١٩٨٢) وربما أتى الصِّبيانَ وهم يلعبونَ لُعبة الأعراب، فلا يشعرون حتَّى يُلقي نفسه بينهم، ويضربُ برجله، فيفزعُ الصبيان فينفرون.

= «الإثنين». وفي هٰذا يقول العلامة النحوي عباس حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان العَلَمُ منقولًا من لفظٍ مبدوءٍ بِهَمزةِ وصلٍ فإن هَمزتَه بعد النقل تصير هَمزةَ قطع؛ نحو: «إستقبال» عَلَمُ امرأة، و«أل» عَلَمٌ على الأداة الخاصة بالتعريف أوغيره، بشرطِ أن تُكتب منفردة مقصودًا بها ذاتُها؛ فنقول: «أل» كلمة ثنائية، و«أل» فى اللغة أنواعٌ من حيث المدلول، ومثل: «يوم الإثنين»، بكتابة همزة «إثنين» لأنها علمٌ على ذٰلك اليوم». «النحو الوافي» (١/ ٣٠٤ـ ٣٠٦). [ط]

(١) **اللمَم**: الصغائر. [ط]

(٢) الخبر والأبيات في عيون الأخبار (١/ ٤٥٩ ـ خبر: ١٧٨٥).

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١/ ٤٥١ ـ خبر: ١٧٤٣).

وهٰذا خروجٌ عن القَدْر المستسمَحِ به، ويوشكُ أن يكون لهٰذا الفعل منه تأويلٌ سائغ(١).

(١٩٨٣) وقد كان صُهيبُ بن سِنان مزَّاحًا، فقال له النبي ﷺ: «**أتأكل تَمْرًا وبك رَمَد؟**»، فقال: يا رسول اللَّه، إنما أمضغُ على الناحية الأخرى(٢).

وإنما استجاز صُهيبٌ أن يُعَرِّض لرسول اللَّه ﷺ بالمَزح في جوابه، لأن استخباره ﷺ قد كان يتضمنُ المَزح، فأجابه عن استخباره بما يوافقُه من المزح، مساعدةً لغرضه، وتقربًا من قلبه؛ وإلا فليس لأحدٍ أن يجعل جوابَ رسول اللَّه ﷺ مزحًا؛ لأنَّ المزح هَزلٌ، ومن جعلَ جوابَ رسول اللَّه ﷺ المبيِّنِ عن اللَّه ﷻ أحكامَه، المؤدِّي إلى خَلْقه أوامرَه هزلًا ومزحًا، فقد عصى اللَّهَ ﷻ ورسولَه ﷺ، وصهيبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أطوعَ للَّه تعالى من أن يكون بهٰذه المنزلة.

(١٩٨٤) فقد قال ﷺ: «**أنا سابقُ العَرب، وصهيبٌ سابِقُ الروم، وسلمانُ سابقُ الفُرس، وبلالٌ سابقُ الحَبَش**»(٣).

ومن مُستحسَنِ المَزح، ومُستسمَحِ الدُّعابة:

---

(١) هٰذا إذا صحَّ الخبر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإلا فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم كانوا أهل وقارٍ وخشوع. [ط]

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٦١) و(٥/ ٣٧٤)، وابن ماجه (٣٤٤٣)، والحاكم (٣/ ٣٩٩) و(٤/ ٤١١)، والطبراني في «الكبير» (٧٣٠٤) والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٤٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٢٨)، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحافظ العراقي في التعليق على «الإحياء» (٣/ ٢٠٥): «**رجاله ثقات**». **وحسَّنه** الشيخ الألباني، وقد كان الشيخ شعيب الأرنؤوط قال في تحقيق «المسند» (٢٧/ ١٣٦): «**محتملٌ للتحسين**»، لٰكنه عاد **وضعَّفه** للاضطراب في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٤/ ٥٠١). [ط]

(٣) **ضعيف**: رواه الحاكم (٣/ ٤٠٢)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ١٨٥)، وفي «تاريخ أصبهان» (١/ ٧٤)، والبزار (٢٦٠٧)، والطبراني ـ كما في «المجمع» (٩/ ٢٤٢، ٥٠٣) ـ؛ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير «عمارة بن زاذان»، وهو ثقة، وفيه خلاف»، **وضعَّفه** الحافظ الذهبي في التعليق على «المستدرك».

ورواه ـ من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : الطبراني في «الكبير» (٨/ ١١١)، وفي «الأوسط» (٣٠٣٦)، و«الصغير» (٢٨٩)، وقال الإمام الهيثمي: «**إسناده حسن**»، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني ـ برواياته في «ضعيف الجامع» (١٣١٥) و(٣٣٣٣)، وفي «الضعيفة» (٢٩٥٣). [ط]

(١٩٨٥) ما حكى الزُّبير بن بكارٍ عن الكِندِي: «أن القُشيري وقف عليه شيخٌ من الأعراب، فقال: يا أعرابي، ممن أنت؟ قال: من بني عُقيل؟ فقال: من أي عقيل؟ قال: من بني خفاجة، فأنشأ القُشيري يقول:

*** رأيت شيخًا من بني خَفاجةْ ***

فقال الأعرابي: ما شأنه؟ فقال:

*** لهُ إذا جَـنَّ الظَّـلامُ حاجـةْ ***

فقال الأعرابي: ما هي؟ فقال:

*** كحاجة الدِّيكِ إلى الدَّجاجَةْ ***

فاستغرب الأعرابيُّ[١]، وقال: قاتلك اللَّه! ما أعرفَك بسرائر القوم!».

فانظر كيف بلغ بِهٰذا المزحُ غايتَه ـ ولسانُه نَزِهٌ، وعرضُه مصون ـ! وهٰذا غايةُ ما يتسامحُ به الفضلاء من الخلاعة، وإن كان مستكرَهَ الفحوى، والنزاهةُ عن مثلِه أولى.

ولْيَحذَرْ أن يسترسلَ في مُمازحة عدوٍّ، فيجعلَ له طريقًا إلى إعلان المساوئ هزلًا ـ وهو مُجِدٌّ ـ، ويُفسِحَ له في التشفِّي مزحًا ـ وهو مُحِقٌّ[٢] ـ.

(١٩٨٦) وقد قال بعضُ الحكماء: «إذا مازحتَ عدوَّكَ ظهرت عيوبُك».

وأمَّا الضَّحِك؛ فإن اعتياده شاغلٌ عن النظر في الأمور المهمة، مُذهِلٌ عن الفكر في النوائب المُلِمة، وليس لمن أكثرَ منه هيبةٌ ولا وقار، ولا لمن وُسِم به خطرٌ ولا مقدار.

(١٩٨٧) روىَ أبـو إدريس الخَـوْلاني، عن أبي ذرٍّ الغِفـاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إياكَ وكثرةَ الضَّحِك؛ فإنَّه يُميتُ القلب، ويَذهبُ بنور الوجه**»[٣].

---

(١) **استغرب**: انفجر ضاحكًا، والاستغراب هو الإفراط في الضحك خاصةً. [ط]

(٢) أي أن العدوَّ يعلنُ المساوئ مدَّعيًا المزاح، وهو في الحقيقة جادٌّ لا مازح، ويتشفى فيه ـ أيضًا ـ مدَّعيًا ذٰلك، وهو لا يقصدُ إلَّا حقيقة التشفي. [ط]

(٣) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن حِبَّان (٣٦١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٥٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦)، **وضعفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٢٢)، وكذا محقق «الشعب» (٧/ ٢١). =

(١٩٨٨) ورُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]: «أن الصغيرةَ الضحك، والكبيرةَ القهقهة[١]».

(١٩٨٩) وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن كُثر ضَحِكُه قلَّت هيبتُه».

(١٩٩٠) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا ضحِك العالِمُ ضِحكةً، مَجَّ من العلم مَجَّةً[٢]».

(١٩٩١) وقيل في منثور الحكم: «ضِحكةُ المؤمنِ غفلةٌ من قلبه».

والقولُ في الضحكِ كالقول في المُزاح، إن تجافاه الإنسانُ نَفَّر عنه، وأوحش منه، وإن ألِفه كانت حالُه ما وصفناه، فليكن بدلَ الضحكِ عند الإيناس تبسُّمًا وبِشرًا.

(١٩٩٢) وقد قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التبسُّم دُعابة».

وهٰذا أبلغُ في الايناس منَ الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجبًا.

وليس يُنكَرُ منه المرةُ النادرة، لطارئٍ استَغفل النفسَ عن دفعه.

(١٩٩٣) هٰذا رسولُ اللَّه ﷺ ـ وهو أملكُ الخَلْق لنفسه ـ قد تبسَّم حتى بدت نواجذه[٣].

= ويغني عنه ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال له ـ ضمن حديث ـ: «... **ولا تُكثر الضحك؛ فإن كثرةَ الضحك تُميتُ القلب**». وفي رواية: «**فإن في كثرةِ الضحكِ فسادَ القلب**». **حسن**: رواه أحمد (١٣/ ٤٥٨) والترمذي (٢٣٠٥) وأبو يعلى (٦٢٤٠)، **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والرواية الأخرى عند البيهقي في «الشعب» (٧/ ٥٠٠)، وهي في «صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

وثبت ـ أيضًا ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تُكثروا الضحك؛ فإن كثرةَ الضحكِ تُميتُ القلب**». **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٣) وابن ماجه (٤١٣٩) والعجلوني في «كشف الخفا» (١٩١٥)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٣٩)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٠٦). **[ط]**

(١) إن صحَّ هٰذا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيكون المراد فيما يغضب اللَّهَ تعالى كالسخرية من عباده ونحو ذٰلك، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٢) **المَجُّ**: الطرد. والمقصود: أنه يفقدُ من بهاء العلم بقدر انخراطه في الضحك. **[ط]**

(٣) ومن ذٰلك ما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال: =

وإنما كان ذٰلك منه ﷺ على الوجه الذي ذكرناه.



= يا محمد، إنا نجدُ أن اللَّهَ يجعلُ السماواتِ على إصبع، والأَرَضينَ على إصبع، والشجرَ على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائرَ الخلائق على إصبع، فيقول: «أنا المَلِك»! فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجِذُه تصديقًا لقول الحَبر... الحديث، **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٧٨)، والبخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٢٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٤٠).
وغير هٰذا كثير وكثير.
والأصل في ضحكه وتبسُّمِه ﷺ ما قالته أمُّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مُستجمعًا قطُّ ضاحكًا حتَّىٰ أرى منه لهَواته؛ إنَّما كان يتبسَّمُ»، **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٦٦) والبخاري (٤٨٢٨) ومسلم (٨٩٩) وأبو داود (٥٠٩٨). **واللَّهاة**: هي الجلدة في الحنك الأعلى.
وعليه فكل ما ورد عنه ﷺ أنه ضحك، فليس المراد ضحكًا بصوتٍ عالٍ ـ كما قد يُظن ـ، وإنما المراد التبسُّم حتى تبدو الضواحك ـ وهي الأسنان الأمامية ـ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

الفصل السادس

في الطِّيَرة[١] والفأل

اعلم أنه ليس شيءٌ أضرَّ بالرأي، ولا أفسدُ للتدبيرِ من اعتقاد الطِّيَرة، ومَن ظَّنَ أنَّ خُوارَ بقرةٍ، أو نعيبَ غُرابٍ يردُّ قضاءً، أو يدفعُ مقدورًا، فقد جَهِل.

(١٩٩٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا عَدْوى، ولا طِيَرة، ولا هامةَ، ولا صَفَر**».

١ ـ **فالعَدوى**: ما يظنُّه الناسُ من تعدِّي العلل والأمراض، فأخبر أنها لا تُعدي.

فقيل[٢]: يا رسول اللَّه، إنا نرى النُّقبةَ[٣] من الجَرَب في مِشْفَر البعير[٤]، فتتعدى إلى جَميعِه! فقال ﷺ: «**فمَن أعدى الأول؟!**»[٥].

٢ ـ **وأمَّا الهامة**: فهو ما كانت العربُ في الجاهلية تعتقدُه؛ من أن القتيلَ إذا طُلَّ دمُه[٦]، فلم يُدْرَك بثأره، صاحت هامتُه في القبر: اسقوني.

(١٩٩٥) قال الزِّبرقانُ بن بدر[٧]، يعنيها:

يـا عمـرُو إلَّا تـدعْ شَـتْمي ومنقـصتي ... أضـرِبْكَ حتَّـى تقولَ الهامةُ: اسقوني

(١٩٩٦) وقال إبراهيم بن هَرْمة:

---

(١) **الطِّيَرة**: التشاؤم.

(٢) هٰذا بقيةُ الحديث السابق.

(٣) **النُّقْبة**: أول شيءٍ يظهر. [ط]

(٤) **المِشفر**: الشفة. [ط]

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٢٧)، والبخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، وأبو داود (٣٩١١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٥٤٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وهو عند أحمد (١/ ٤٤٠)، والترمذي (٢١٤٣)، وأبو يعلى (٥١٨٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٠٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٦) **طُلَّ دمُه**: أُهدر. [ط]

(٧) في الأصول: زيد، وهو خطأ إنما هو: الزِّبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف، صحابي، وفد على رسول اللَّه ﷺ في قومه وكان أحد سادتِهم.
ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٢١٠)، الإصابة (١/ ٥٤٣)، الوافي بالوفيات (١٤/ ١٧٣).

وكيفَ قد صاروا عظامًا وأقبُرًا ... يَصيحُ صَدَاها بالعشيِّ وهامُها

تفانَوا ولم يبقوا وكُلُّ قبيلةٍ ... سريعٌ إلى وردِ الفناءِ كرامُها

٣ ـ وأمَّا الصَّفَر: فهو كالحيَّة، يكونُ في الجوف يصيبُ الماشية والناس، وهو أعدى عندهم من الجَرَب[1].

(١٩٩٧) وفيه يقول الشاعر:

لا يُمسِكُ السَّاق مِنْ أَيْنٍ ولا وصبٍ ... ولا يَعَضُّ على شُرسُوفِهِ الصَّفَرُ[2]

(١٩٩٨) ورَوى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا ظننتُم فلا تُحَقِّقوا، وإذا حَسدتُم فلا تَبْغُوا، وإذا تطيَّرتُم فامْضُوا، وعلى اللَّهِ فتوكَّلُوا**»[3].

(١٩٩٩) وقال الشاعر:

طِيرَةُ الناسِ لا تردُّ قضاءً ... فاعذِر الدَّهر لا تَشُبْه بلَومِ

أيُّ يوم تَخُصُّه بسُعودٍ ... والمنايا يَنزِلْنَ في كُلِّ يومِ

ليس يومٌ إلَّا وفيه سُعودٌ ... ونُحوسٌ تجري لقوم وقومِ

وقد كانت الفرسُ أكثرَ الناس طيرةً، وكانت العربُ إذا أرادت سفرًا، نفَّرت أوَّل طائرٍ تلقاه، فإن طار يَمْنةً سارت وتيمَّنت، وإذا طار يسرةً رجعت وتشاءمت.

(٢٠٠٠) فنهى النبيُّ ﷺ عن ذٰلك، وقال: «**أقِرُّوا الطَّير على مَكِناتِها**»[4][5].

---

(١) هٰذا تأويلٌ من تأويلَي الحديث، وهو الذي رجَّحه الإمام النووي. والتأويل الآخر: هو تأخيرهم تحريم المحرَّم إلى صفر، وهو النسيء، وبِهٰذا قال مالك وأبو عبيدة. انظر: «عون المعبود» (١٠/ ٢٩٣). [ط]

(٢) الشرسوف: أطراف الأضلاع. [ط]

(٣) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٠٩)، وأبو بكر الشافعي في «الفوائد» (٤/ ٣٩/ ٢)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٩٣). وتقدَّمت روايةٌ **صحَّحها** الشيخ الألباني تحت تخريج الحديث رقم (١٧٠٨). [ط]

(٤) في المطبوعة والشرح: «وكناتِها»، والتصحيح من أبي داود. قال الإمام الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بفتح الميم وكسر الكاف، جَمعُ مكنة، وهي بيضة الضب. وقيل: المَكِنات بمعنى الأمكنة». «عون المعبود» (٨/ ٢٦).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٣٨١)، وأبو داود (٢٨٣٥)، وابن حِبَّان (٦١٢٦)، والطبراني في =

(٢٠٠١) وحكَى عكرمةُ قال: «كُنَّا جلوسًا عند ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فمرَّ طائرٌ يصيح، فقال رجلٌ من القوم: خير، فقال ابن عباس: لا خيرٌ ولا شر».

(٢٠٠٢) وقال لَبيد:

لعمرُك ما تدري الضَّواربُ بالحصَى ... ولا زاجرتُ الطَّيرِ ما اللَّهُ صانعُ

واعلم أنه قلَّما يخلو من الطِّيرة أحدٌ، لا سيَّما مَن عارَضَتْه المقاديرُ في إرادته، وصدَّه القضاءُ عن طِلبته، فهو يرجُو واليأسُ عليه أغلب، ويأملُ والخوفُ إليه أقرب، فإذا عاقه القضاءُ، وخانه الرَّجاءُ، جعلَ الطِّيرةَ عُذرَ خَيبته، وغفلَ عن قضاء اللَّه عَجَّلَ ومشيئته؛ فهو إذا تطيَّر أحجم عن الإقدام، ويَئِس من الظَّفر، وظنَّ أنَّ القياسَ فيه مُطَّرد، وأنَّ العِبرةَ فيه مستمرَّة، ثم يصيرُ ذٰلك له عادةً، فلا ينجحُ له سَعْي، ولا يتمُّ له قصد.

فأمَّا مَن ساعدته المقاديرُ، ووافقه القضاءُ، فهو قليلُ الطيرةِ لإقدامهِ ثقةً بإقباله، وتعويلًا على سعادته، فلا يصُدُّه خوف، ولا يكفُّه حَذَر، ولا يؤوبُ إلا ظافرًا، ولا يعودُ إلا مُنجَحًا، لأن الغُنمَ بالإقدام، والخيبةَ مع الإحجام، فصارت الطيرةُ مِن سمات الإدبار، واطِّراحُها من أماراتِ الإقبال.

فينبغي لمن مُني بها وبُلي، أن يصرفَ عن نفسِه وساوسَ النَّوكى، ودواعيَ الخيبة، وذرائعَ الحرمان، ولا يجعلْ للشيطان سلطانًا في نقضِ عزائمه، ومعارضةِ خالقه، ويعلم أن قضاء اللَّهِ تعالى عليه غالب، وأن رزقَه له طالب[1]، وأن الحركةَ سبب، فلا يَثنيه عنها ما لا يضرُّ مخلوقًا، ولا يدفعُ مقدورًا، ولْيَمضِ في عزائمِه، واثقًا باللَّه تعالى إن أُعطي، وراضيًا به إن مُنع.

(٢٠٠٣) فقد رَوى أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن في الإنسان**

= «الكبير» (٢٥/ ١٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١١)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٩/ ٩٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣١١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٢٨٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط لوهمٍ في إسناده، ونقل هٰذا عن بعض الأئمة ـ كالإمام أحمد وأبي داود وغيرهما ـ، فانظر: «تحقيق المسند» (٤٥/ ١١٣)، و«تحقيق سنن أبي داود» (٤/ ٤٥٥). **[ط]**

(١) أي: الرزق سيسعى وراءه ويطلبه. **[ط]**

ثلاثةٌ: الطِّيرةَ، والظنَّ، والحسدَ، فمَخْرَجه من الطِّيرة ألّا يَرجع، ومَخرجُه من الظنِّ ألّا يُحقق، ومَخرَجُه من الحسد ألّا يبغي»(١).

(٢٠٠٤) ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**كفارةُ الطِّيرةُ التوكلُ على اللَّه تعالى**»(٢).

(٢٠٠٥) وقيل في منثور الحكم: «الخِيَرةُ في تركِ الطِّيَرة».

(٢٠٠٦) ولْيَقُل إن عارضه في الطيرة رَيبٌ، أو خامره فيها وهمٌ: ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن تطيَّر فلْيَقُل: اللَّهم لا يأتي بالخيراتِ إلا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّه**»(٣).

(٢٠٠٧) وقد رُوي أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إنا نزَلْنا دارًا، فكثُر فيها عددنا، وكثُرت فيها أموالُنا، ثم تحوَّلْنا عنها إلى أخرى، فقلَّت فيها أموالُنا، وقلَّ فيها عددُنا، فقال النبي ﷺ: «**ذرُوها وهي ذميمةٌ**»(٤).

---

(١) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (١١٣٠)، وأبو الشيخ في «التنبيه والتوبيخ» (٧٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢/ ٣٣٩)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٠٢٠)، و«ضعيف الجامع» (٣٩٩٣)، وكذا محقق «الشعب» (٢/ ٤٠٠)، وراجع تخريج الحديث (١٧٠٨). **[ط]**

(٢) **لم أقف عليه**: وثبت عن عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الطِّيرةُ شِركٌ، وما منَّا إلَّا؛ ولٰكنْ يُذهبُه اللَّهُ بالتوكل**». **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وابن حِبَّان (٦١٢٢)، والحاكم (١/ ١٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٥٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط.
وقوله: «**وما منَّا إلا**»، أي: وما منَّا إلا من يعتريه هٰذا في أول الأمر قبل التأمل.
تنبيه هام: هٰذه الجملة الأخيرة رجَّح الإمامُ البخاري وغيره أنها مدرجةٌ من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنَّ غيره من العلماء أثبتوها مرفوعةً للنبي ﷺ، فإذا كانت مرفوعة، فقوله: «وما منَّا» يقصد: وما من أمتنا، ولم يُرِدْ نفسَه ﷺ، لأن الأنبياء منزَّهون عن مثل هٰذه الأمور. واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. وانظر شروح الحديث، و«تحقيق المسند» (٦/ ٢١٤). **[ط]**

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩)، و«الشعب» (١١٨٢)، والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (١/ ١٦٥)، من حديث عروة بن عامر ـ وهو مختلفٌ في صحبته ـ، **وضعَّفه** الشيخ الألباني، بينما **حسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق سنن أبي داود» (٦/ ٦٢). **[ط]**

(٤) **ضعيف**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩١٨)، وأبو داود (٣٩٢٤)، والطبري في =

وليس هٰذا القولُ منه ﷺ على وجهِ الطِّيَرة، ولٰكن على طريق التبرُّك بما فارق، وتركِ ما استُوحش منه إلى ما أَنِس به.

وأمَّا الفأل، ففيه تقويةٌ للعزم، وباعثٌ على الجِد، ومعونةٌ على الظَّفَر؛ فقد تفاءل رسولُ اللَّه ﷺ في غزواته وحروبه.

(٢٠٠٨) وروى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللَّه ﷺ سمع كلمةً فأعجبَتْه، فقال: «**أَخَذْنا فأْلَكَ مِن فيك**»(١).

فينبغي لمن تفاءلَ أن يتأوَّل الفأل بأحسن تأويلاته، ولا يجعلَ لسوءِ الظن على نفسه سبيلًا.

(٢٠٠٩) فقد قال النبي ﷺ: «**إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطق**»(٢).

(٢٠١٠) رُوي أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ شكا إلى اللَّه تعالى طولَ الحبس، فأوحى اللَّه تعالى إليه: «يا يوسف، أنت حبستَ نفسك، حيث قلت: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

= «تهذيب الآثار»، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٤٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام البخاري في «الأدب» ـ عقبه ـ : «**في إسناده نظر**»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، بينما حسَّنه الشيخ الألباني، وانظر ـ لزامًا ـ : «تحقيق سنن أبي داود» (٦/ ٦٧). [ط]

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٨٨)، وأبو داود (٣٩١٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٢٦)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٧٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، **وحسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط، ورد على تصحيح الشيخ الألباني، فانظر: «تحقيق سنن أبي داود» (٦/ ٦٠). [ط]

(٢) **موضوع**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٩٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٧٧)، ومحقق «الشعب» (٧/ ٢٥).
ورواه البيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٩٨)، والخطيب في «التاريخ» (٨/ ٣٩٢)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢١٢)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٥٠)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٧٨)، **وضعَّفه** محقق «الشعب» (٧/ ٢٦)، وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**إسناده تالف**».
وذكره الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٨٣)، من حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «**لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ**»، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٨٠). [ط]

﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، ولو قلتَ: العافيةُ أحبُ إليَّ لعُوفيت[١]».

(٢٠١١) وحُكي أن المُؤمَّل بن أُميل الشاعر لمَّا قال يوم الحِيرة:

شَفَّ المُؤمَّلَ يومَ الحِيرة النظرُ ... ليتَ المؤمَّل لم يُخلق لهُ بصرُ

عَمِيَ، فأتاه آتٍ في منامه، فقال لهُ: هٰذا ما طلبت»[٢].

(٢٠١٢) وحُكي أن الوليد بن يزيدَ بنِ عبدِالملك[٣] تفاءل يومًا في المصحف، فخرج له قول اللَّه تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم]، فمزَّق المصحف، وأنشد يقول[٤]:

أَتوعِدُ كُلَّ جبارٍ عنيدٍ ... فها أنا ذاكَ جبارٌ عنيدُ

إذا ما جئتَ ربَّك يوم حَشْرٍ ... فَقُلْ: يا ربِّ مزَّقني الوليدُ

فلم يلبثْ إلا أيامًا حتى قُتل شَرَّ قِتلة، وصُلب رأسهُ على قصره، ثم على سُور بلده.

فنعوذ باللَّه من البغي ومصَارعه، والشيطانِ ومصايده، وهو حسبُنا، وعليه توكَّلْنا.

❁ ❁ ❁

---

(١) هٰذا خبرٌ من الإسرائيليات، ويوسف عليه السلام ـ وهو نبيٌّ من عند اللَّه تعالى ـ يعلمُ أن العافية خيرٌ من السجن، لٰكنه كان يقارنُ بين الحرية مع فعل الفحشاء، وبين السجنِ مع رضا اللَّه عز وجل. [ط]

(٢) الأبيات والخبر في ترجمته في فوات الوفيات (٤/ ١٧٧).

(٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، لُقب: البيطار، وخليع بني مروان، والفتك، والزنديق، توفي عام (١٢٦).
ترجمته في: الأغاني (٧/ ٣)، فوات الوفيات (٤/ ٢٥٦).

(٤) الأبيات والخبر في ترجمته في فوات الوفيات (٤/ ٢٥٧).

الفصل السابع

في المروءة

اعلم أنَّ من شواهدِ الفضل، ودلائلِ الكرم: المروءة، التي هي حِليةُ النفوس، وزينةُ الهِمم. فالمروءة: مُراعاةُ الأحوالَ إلى أن تكونَ على أفضلها، حتى لا يظهرَ منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّهُ إليها ذمٌّ باستحقاق.

(٢٠١٣) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن عامل الناس فلم يَظلِمْهم، وحدَّثهم فلم يَكذِبْهم، ووَعَدهم فلم يُخلِفْهم، فهو ممَّن كمُلت مُروءتُه، وظهرت عدالتُه، ووجبت أُخُوَّته**»[١].

(٢٠١٤) وقال بعضُ البلغاء: «من شرائط المروءة: أن يتعفَّف العبدُ عن الحرام، ويتصلَّف[٢] عن الآثام، وينصِفَ في الحكم، ويكُفَّ عن الظُّلم، ولا يطمعَ فيما لا يَستحق، ولا يستطيلَ على من لا يَسترِق[٣]، ولا يُعِينَ قويًّا على ضعيف، ولا يؤثِرَ دَنِيًّا على شريف، ولا يُسَرَّ بما يُعقِبُه الِوزرَ والإثم، ولا يفعلُ ما يُقبِّح الذِّكرَ والاسم».

(٢٠١٥) وسُئل بعض الحكماء عن الفَرْق بين العقل والمروءة؟ فقال: «العقل يأمرُك بالأنفع، والمروءةُ تأمرُك بالأجمل».

ولن تجدَ الأخلاقَ على ما وصفنا من حدِّ المروءة مُنطبعة، ولا عن المراعاةِ مستغنية، وإنما المراعاةُ هي المروءة، لا ما انطبعت عليه النفوسُ من فضائل الأخلاق، لأنَّ غُرورَ الهوى ونازعَ الشهوةِ يَصرفانِ النفسَ أن تركبَ الأفضل من خلائقها، والأجملَ من طرائقها، ولو سلِمت منها ـ وبعيدٌ أن تسلم ـ إلا لمن استكمل شرف الأخلاق طبعًا، واستغنى عن تهذيبها تكلُّفًا وتطبعًا.

---

(١) **موضوع**: رواه أبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٧١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٤٣)، من حديث عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٢٢٨). **[ط]**

(٢) **يتصلَّف**: يترفَّع. **[ط]**

(٣) أي: من ليس له بعبدٍ رقيق. **[ط]**

(٢٠١٦) قال الشاعر:

مَـنْ لك بالمحضِ وليسَ محضُ ... يَخـبُثُ بعـضٌ ويطـيبُ بعـضُ

ثم لو استكمل الفضـلَ طبعًـا ـ وفي المُعـوِزِ أن يكـون مستكمَلًا ـ ، لكان في المستحسَنِ من عاداتِ دهرِه، والموضوعِ من اصطلاح عصره، من حقوقِ المروءة وشروطها: ما لا يُتَوصَّلُ إليه إلا بالمعاناة، ولا يُوقفُ عليه إلا بالتفقد والمراعاة.

فثبت أنَّ مراعاةَ النفس على أفضل أحوالِها هي المروءة، وإذا كانت كذٰلك فليس ينقاد لها ـ مع ثُقلِ كُلَفِها ـ إلا مَن تسهَّلت عليه المشاقُّ رغبةً في الحمد، وهانت عليه الملاذُّ حذرًا من الذم.

(٢٠١٧) ولذٰلك قيل: «سيدُ القوم أشقاهُم».

(٢٠١٨) وقال أبو تمام الطائي:

والحمـدُ شَـهْدٌ لا يُـرى مُـشتارُهُ ... يَجنـيهِ إلَّا مـن نقـيعِ الحـنظلِ[1]

غُـلٌّ لحاملـه ويَحْـسَبُه الـذي ... لـم يُـوهَ عاتقُـه خفـيفَ المَحْمَـلِ

(٢٠١٩) وقد لحظَ المتنبي ذٰلك في قوله:

لـولا المـشقَّـةُ سادَ النَّاسُ كُلُّهمُ ... الجـودُ يُفْقِـرُ والإقـدامُ قـتَّالُ

(٢٠٢٠) وله ـ أيضًا ـ :

وإذا كانـتِ الـنُّفُوسُ كِـبارًا ... تعِـبَت في مُـرادها الأجـسامُ

[دواعي المروءة]:

والداعي إلى استسهال ذٰلك شيئان:

أحدهما: علو الهمة.

والثاني: شرف النفس.

١ ـ أمَّا علو الهمَّة: فلأنه بـاعثٌ على التقـدُّم، وداعٍ إلى التخصيص، أَنفـةً من

(١) المُشتار: الآخذ. [ط]

خُمول الضَّعة، واستنكارًا لمَهانة النقص.

(٢٠٢١) ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه يُحبُّ معاليَ الأمور وأشرافَها، ويَكرَهُ دَنِيَّها وسَفْسافها**»[1].

(٢٠٢٢) ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لا تَصْغُرَنَّ هِمَمُكُم، فإني لم أَرَ أقعدَ عن المكرُمات من صِغَر الهمم».

(٢٠٢٣) وقال بعض الحُكماء: «الهِمَّةُ راية المجد».

(٢٠٢٤) وقال بعض البُلغاء: «علوُّ الهِمَم بَذْرُ النِّعم».

(٢٠٢٥) وقال بعضُ العُلماء: «إذا طلب رجلان أمرًا، ظَفِر به أعظمُهما مُروءةً».

(٢٠٢٦) وقال بعض العلماء: «مَن ترك التماسَ المعالي بسوء الرجاء، لم ينلْ جسيمًا».

٢ ـ وأمَّا شرف النفس: فإنه به يكونُ قبولُ التأديب، واستقرارُ التقويم والتهذيب؛ لأنَّ النفس ربما جَمَحت عن الأفضل ـ وهي به عارفة ـ، ونَفَرت عن التأديب ـ وهي له مستحسِنة ـ؛ لأنَّها عليه غيرُ مطبوعة، وله غيرُ ملائمة، فتصيرُ منه أنفر، ولضدِّه المُلائم آثَر.

(٢٠٢٧) ولذلك قيل: «ما أكثرَ من يَعرفُ الحقَّ ولا يطيعُه».

وإذا شَرُفت النفسُ كانت للآداب طالبة، وفي الفضائلِ راغبة، فإذا مازجَها صارت طبعًا ملائمًا، فنما واستقر.

---

(١) **صحيح**: رواه ـ بلفظه ـ الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣١)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٧٦)، من حديث الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٤٤): «فيه خالد بن إلياس؛ **ضعَّفه** أحمد وابن معين والبخاري والنسائي، وبقية رجاله ثقات»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٩٠)، و«الصحيحة» (١٦٢٧).
ورواه ـ بنحوه ـ ابن حِبَّان في «روضة العقلاء» (١ ـ بعنايتي)، والحاكم (١/ ٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٨٩٤)، و«الأوسط» (٢٩٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥٥)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٨٨)، والإمام السيوطي في «الجامع الصغير»، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٩). **[ط]**

فأمَّا من مُنِيَ بعلوِّ الهمة، وسُلب شرفَ النفس، فقد صار عُرضةً لأمرٍ أعوزَتْه آلتُه، وأفسدته جهالته، فصار كضريرٍ يرومُ تعلُّمَ الكتابة، وأخرسَ يريدُ الخُطبة، فلا يزيدُه الاجتهادُ إلا عجزًا، والطلبُ إلَّا عَوزًا.

(٢٠٢٨) ولذلك قال النبي ﷺ: «**ما هلَكَ امرؤٌ عَرَف قَدْرَه**»[١].

(٢٠٢٩) وقيل لبعض الحكماء: «مَن أسوأُ الناس حالًا؟ قال: من بعُدت هِمَّتُه، واتَّسعت أُمنيَّتُه، وقصُرت آلتُه، وقلَّت مقدرتُه».

(٢٠٣٠) وقال أُفنون التَّغْلبي[٢]:

ولا خيرَ فيما يكذبُ المرءُ نفسَهُ ... وتقوالِهِ للشَّيء: يا ليتَ ذا لِيَا

لعمرُكَ ما يدري امرؤٌ كيف يتقي ... إذا هو لم يَجعلْ له اللَّهُ واقيَا

(٢٠٣١) وقال بعضُ الحكماء: «تجنَّبوا المُنَى؛ فإنَّها تَذْهب ببهجةِ ما خُوِّلتم، وتستصغرون بها نعمةَ اللَّه عليكم».

(٢٠٣٢) وقيل في منثور الحكم: «المُنَى من بضائع النَّوكى».

فإن صادف بِهمَّتِه حظًّا نال به أملًا، كان فيما ناله كالمغتصِب، وفيما وصل إليه كالمتغلِّب؛ إذ ليس في الحظوظ تقديرٌ لحق، ولا تمييزٌ لمستحق، وإنَّما هي كالسحابِ الذي يُمسِكُ من مَنابت الأشجارِ إلى مَغاويصِ البحار[٣]، وينزلُ حيث صادَفَ من خبيثٍ وطيب، فإن صادفَ أرضًا طيبةً نفع، وإن صادف أرضًا خبيثةً ضرَّ، كذلك الحظُّ، إن صادف نفسًا شريفةً نفع، وكان نعمةً عامة، وإن صادف نفسًا دنيةً ضرَّ، وكان نقمةً طامة.

(٢٠٣٣) حُكي أنَّ موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا على قوم بالعذاب، فأوحى اللَّه إليه: «قد مَلَّكتُ سِفْلتَها على عِليَتِها[٤]»، فقال: يا رب، كنتُ أُحِبُّ لهم عذابًا

---

(١) **لا يصح**: أورده القاضي عياض في «الشفا» (ص٩٤)، وصاحب «العجالة في الأحاديث المسلسلة» (ص٧٢)، وأورده السيوطي في «المناهل» (ص٤٩)؛ ونسبه إلى ابن السمعاني في «تاريخه» من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **بسندٍ فيه من لا يُعرف حاله. [ط]**

(٢) قال في «الشرح»: لقب: صريم بن معشر التغلبي، قلت: ولم أجده، واللَّه أعلم.

(٣) **المغاويص**: الأعماق. **[ط]**

(٤) أي: جعلتُ الأسافل والأراذل ذَوِي المناصب في البلاد، فتحكَّموا في رقاب عِليةِ القوم =

عاجلًا! فأوحى اللَّه تعالى إليه: أليس هٰذا كُلَّ العذاب العاجل الأليم؟!».

فأمَّا شرفُ النفس ـ إذا تجرَّد عن علو الهمة ـ، فإنَّ الفضلَ به عاطل، والقدْرَ به خامل، وهو كالقوةِ في الجَلْدِ الكَسِل، أو الجبانِ الفَشِل، تضيعُ قوَّتُه بكَسله، وجَلَدُه بفشَله.

(٢٠٣٤) وقد قيل في منثور الحكم: «مَن دام كسلُه، خاب أملُه».

(٢٠٣٥) وقال بعض الحُكماء: «نَكَح العجزُ التوانِيَ، فخَرج منهما الندامة، ونكح الشؤمُ الكسلَ، فخرج منهما الحرمان».

(٢٠٣٦) وقال بعضُ الشعراء:

إذا أنتَ لم تعرفْ لنفسِكَ حقَّها ... هوانًا بها كانت على الناس أهونَا

فنفسَكَ أكرِمها وإن ضاق مسكنٌ ... عليك لها فاطلُب لنفسِك مسكنَا

وإيَّاك والسُّكنى بمنزل ذِلَّةٍ ... يُعدُّ مسيئًا فيه من كان مُحسِنَا

وشرفُ النفس مع صِغَرِ الهمةِ أولى من علو الهمة مع دناءة النفس؛ لأن مَن عَلَت هِمَّتُه مع دناءةِ نفسِه كان متعديًا إلى طلب ما لا يستحقُّه، ومتخطِّيًا إلى التماس ما لا يستوجبُه، ومن شرُفت نفسه مع صِغر هِمَّتِه فهو تاركٌ لما يستحقُّ، ومقصِّرٌ عما يجبُ له، وفضلُ ما بين الأمرين ظاهر، وإن كان لكلِّ واحدٍ منهما من الذم نصيب.

(٢٠٣٧) وقد قيل لبعض الحكماء: «ما أصعبُ شيءٍ على الإنسان؟ قال: أن يعرفَ نفسه، ويكتمَ الأسرار».

فإذا اجتمع الأمران، واقترن بشرفِ النفس علوُّ الهمة، كان الفضل بهما ظاهرًا، والأدبُ بهما وافرًا، ومشاقُّ الحمد بينهما مُسَهَّلة، وشروطُ المروءة بينهما مُتأتِّية.

(٢٠٣٨) وقد قال الحُصَين بن المُنذر الرَّقاشي[1]:

= وأشرافهم! وحقًّا فهٰذا هو البلاء الكبير. [ط]

(١) حُضين ـ بالضاد المعجمة ـ ابن المنذر أبو ساسان، الرَّقاشي البصري، كان من سادات قومه، ومن كبار التابعين، توفي عام (٩٩). =

إن المروءةَ ليس يُدركُها امرؤٌ ... ورِثَ المكارمَ عن أبٍ فأضاعَها
أَمَرَتْهُ نفسٌ بالدَّناءة والخَنَا ... ونَهتْه عن سُبُلِ العُلا فأطاعَها
فإذا أصابَ من المكارم خَلَّةً ... يبني الكريمُ بها المكارمَ باعَها

[حقوق المروءة]:

واعلمْ أن حقوقَ المروءة أكثرُ من أن تُحصى، وأخفى من أن تَظهر، لأنَّ منها ما يقومُ في الوهم حِسًّا، ومنها ما يقتضيهِ شاهدُ الحال حَدْسًا[1]، ومنها ما يظهرُ بالفعل، ويخفى بالتغافل، فلذٰلك أعوَز استيفاءُ شروطها، إلا جُمَلًا يتنبَّه الفاضلُ لها بفطنتِه، ويستدلُّ العاقلُ عليها بفطرته، وإن كان جميعُ ما تضمنه كتابُنا هٰذا من حقوق المروءة وشروطها، وإنما نذكرُ في هٰذا الفصل الأشهرَ من قواعدها وأصولها، والأظهرَ مِن شروطها وحقوقها، محصورًا في تقسيمٍ جامع، وهو ينقسمُ قسمين:

أحدهما: شروط المروءة في نفسه.

والثاني: شروطها في غيره.

[أ] فأمَّا شروطُها في نفسه ـ بعد التزام ما أوجبه الشرعُ من أحكامه ـ فيكون بثلاثة أمور وهي: العفة، والنزاهة، والصيانة.

[١] فأمَّا العفة فنوعان:

أحدهما: العفة عن المحارم.

والثاني: العفةُ عن المآثم.

* فأمَّا العفة عن المحارم، فنوعان:

أحدهما: ضبطُ الفَرْج عن الحرام.

والثاني: كفُّ اللسان عن الأعراض.

١ ـ فأمَّا ضبط الفرج عن الحرام، فلأن عدمَه ـ مع وعيد الشرع، وزاجرِ العقل ـ

= ترجمته في: تاريخ دمشق (١٤/ ٣٩٠)، تهذيب الكمال (٦/ ٥٥٥)، الوافي بالوفَيات (١٣/ ٩٤).

(١) الحَدْس: الظن. [ط]

مَعَرَّةٌ فاضحة، وهَتْكةٌ واضحة.

(٢٠٣٩) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**مَن وُقي شرَّ ذبذبه ولَقْلَقِه وقَبْقَبه، فقد وُقي**»[١].

يريد بذبذبه: الفرج، وبلقلقه: اللسان، وبقبقبه: البطن.

(٢٠٤٠) وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَحَبُّ العفافِ إلى اللّٰه تعالى: عفافُ الفَرْج والبطن**»[٢].

(٢٠٤١) وحُكي أن معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل عَمْرًا عن المروءة، فقال: «تقوى اللّٰه تعالى، وصلةُ الرحم. وسأل المغيرةَ، فقال: هي العفةُ عمَّا حرَّم اللّٰهُ تعالى، والحِرفةُ فيما أحلَّ اللّٰه تعالى، وسأل يزيدَ، فقال: هي الصبرُ على البلوى، والشكرُ على النُّعمى، والعفوُ عند القدرة، فقال معاوية: أنت منِّي حقًّا».

(٢٠٤٢) وقال أنوشِرْوان لابنه هُرمز: «مَن الكاملُ المروءة؟ فقال: مَن حصَّن دينَه، ووصل رحِمَه، وأكرم إخوانه».

(٢٠٤٣) وقال بعضُ الحكماء: «مَنْ أحبَّ المكارم، اجتنب المحارم».

(٢٠٤٤) وقيل: «عارُ الفضيحة يكدِّرُ لذتَها».

(٢٠٤٥) وقد أنشدني بعضُ أهل الأدب، للحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

المـوتُ خيـرٌ مـن ركـوبِ العـارِ

والعـارُ خيـرٌ مـن دخـول الـنارِ

واللّٰـهُ مِـن هٰـذا وهٰـذا جـارِ

والداعي إلى ذٰلك شيئان:

أحدهما: إرسالُ الطَّرْف.

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٥٠٢٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٩٧٨)، بلفظ: «فقد وجبت له الجنة»، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٠٥)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٤٨)، و«ضعيف الجامع» (٥٨٧٩)، وكذا محقق «الشعب» (٧/ ٢٩١). **[ط]**

(٢) **لا أعلم له أصلًا**، واللّٰهُ تعالى أعلم. **[ط]**

والثاني: اتباع الشهوة.

(٢٠٤٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا عليُّ، لا تُتبع النَّظرةَ النظرة، فإنَّ الأولى لك، والثانية عليك**»[١].

وفي قوله: «**لا تُتبع النَّظرةَ النَّظرةَ**» تأويلان:

أحدهما: لا تُتبعْ نظر عينيك نظر قلبك.

والثاني: لا تُتبعِ الأولى ـ التي وقعت سهوًا ـ بالثانية ـ التي تُوقعها عمدًا ـ.

(٢٠٤٧) وقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياكم والنظرةَ بعد النظرة، فإنَّها تزرعُ في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فِتنة».

(٢٠٤٨) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العيونُ مصايدُ الشيطان».

(٢٠٤٩) وقال بعض الحكماء: «من أرسل طَرْفَهُ، استدعى حَتْفَه».

(٢٠٥٠) وقال بعض الشعراء:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدًا ... لقلبك يومًا أتعبتكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كُلُّه أنت قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

وأمَّا الشهوة: فهي خادعةُ العقول، وغادرةُ الألباب، ومُحسِّنةُ القبائح، ومُسوِّلةُ الفضائح، وليس عَطبٌ إلا وهي له سبب، وعليه ألبُّ[٢].

(٢٠٥١) ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه وجبتْ له الجنة، وحُفِظ من الشيطان: مَن مَلَك نفسَه حين يَرغَب، وحين يَرهَب، وحين يشتهي، وحين يغضب**»[٣].

[الأسبابُ المعينةُ على قهر الشهوة]:

وقهرُها عن هٰذه الأحوالِ يكون بثلاثةِ أمور:

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ١٥٩)، وأبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، والدارمي (٢٧٠٩)، والبزار (٩٠٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥٠)، وابن حبان (٥٥٧٠)، والحاكم (٣/ ١٢٣)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. **[ط]**

(٢) أَلبُّ: أشدُّ إصرارًا. **[ط]**

(٣) **ضعيف**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٩٨)، **وضعَّفه** الإمام المُناوي في «فيض القدير» (١/ ٤٦٤)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٩١٣). **[ط]**

أحدها: غضُّ الطرف عن إثارتِها، وكفُّه عن مساعدتِها؛ فإنَّه الرائدُ المحرِّك، والقائدُ المُهلك.

(٢٠٥٢) روى سعيدُ بن سِنان، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَقَبَّلُوا لِي سِتًّا أتقبلْ لكُمُ الجنَّة**»[1]، قالوا: وما هي ـ يا رسول اللَّه ـ ؟ قال: «**إذا حَدَّث أحدُكم فلا يَكذِب، وإذا وَعَد فلا يُخلِف، وإذا ائتُمن فلا يَخُن، [و]غُضُّوا أبصاركم، واحفَظوا فُروجكم، وكُفُّوا أيديَكم**»[2].

والثاني: ترغيبُها في الحلال عِوضًا، وإقناعُها بالمباح بدلًا؛ فإن اللَّه تعالى ما حرَّم شيئًا إلا وأغنى عنه بمباحٍ من جنسِه، لِمَا علِمه من نوازع الشهوة، وتركيبِ الفطرة، ليكون ذٰلك عونًا على طاعته، وحاجزًا عن مخالفته.

(٢٠٥٣) وقد قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أَمر اللَّهُ تعالى بشيءٍ إلا وأعان عليه، ولا نَهى عن شيءٍ إلا وأغنى عنه».

والثالث: إشعارُ النفس تقوى اللَّهِ تعالى في امتثال أوامره، واتقاؤُه في اجتناب زواجره، وإلزامُها ما أَلزم من طاعته، وتحذيرُها ما حذَّر من معصيته، وإعلامُها أنه لا يخفى عليه ضمير، ولا يعزُب عنه قِطمير، وأنه يجازِي المحسن، ويكافئُ المسيء، وبذٰلك نزلت كتبُه، وبلَّغت رسله.

(٢٠٥٤) روى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ آخِرَ ما نزل من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا

(١) في الأصل والمطبوعة: «تقبَّلوا إليَّ بستٍّ أتقبل إليكم بالجنة»، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٤/ ٣٥٨)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٢٨٨)، و«الشعب» (٥٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١١٦)، والشاشي في «مسنده» (١٢٦٤)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الحاكم، **وضعَّفه** الذهبي للإرسال، وكذا الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٩٢٧)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠١٨)، و«الصحيحة» (١٤٧٠).
وفي الباب عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ رواه أبو يعلى (٤٢٥٧)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٣٥٥)، **وضعَّفه** محقق «المسند» (٣٧/ ٤١٨)، لٰكن المتن ثابتٌ بما قبله، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وآخر ما نزل من التوراة: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت. وآخِرُ ما نزل من الإنجيل: شرُّ الناس من لا يبالي أن يراه الناسُ مسيئًا. وآخر ما نزل من الزَّبور: مَن يزرع خيرًا يحصد زرعَه غِبطةً».

فإذا أشعرها ما وصفتُ، انقادت إلى الكفِّ، وأذعنت بالاتقاء، فسلِم دينه، وظهرت مروءتُه، فهٰذا شرط.

٢ ـ وأمَّا كفُّ اللسان عن الأعراض[1]: فلأنَّ عدمَه ملاذُّ السفهاء، وانتقامُ أهل الغوغاء، وهو مستسهَلُ الكُلَف، وإذا لم يَقهر نفسَه عنه برادع كافٍّ، وزاجرٍ صادٍّ، تلبَّط بمعارِّه[2]، وتخبَّط بمضارِّه، وظنَّ أنه ـ لتجافي الناس عنه ـ حِمًى يُتقى، ورتبةٌ تُرتقى، فهلك وأهلك.

(٢٠٥٥) فلذٰلك قال النبي ﷺ: **«ألَا إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرام»**[3][4].

فجمع بين الدمِ والعرض، لِمَا فيه من إيغارِ الصدور، وإبداءِ الشرور، وإظهارِ البذاء، واكتسابِ الأعداء، ولايبقى مع هٰذه الأمور وزنٌ لموموق[5]، ولا مروءةٌ لملحوظ، ثم هو بها موتورٌ وموزور، ولأجلها مهجورٌ مزجور.

(٢٠٥٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«شرُّ الناسِ مَن أكرمَه الناسُ اتقاء لسانه»**[6].

(٢٠٥٧) وقال بعضُ الحكماء: «إنما هلك النـاسُ بفضـولِ الكلام، وفضول

---

(١) وهو النوع الثاني من أنواع العفة عن المحارم، وراجع ص (٥٩٣). [ط]

(٢) **تلبَّط**: تقلَّب. [ط]

(٣) في الأصل: حرام عليكم، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣١٣)، والبخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (٤٠٧٨)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. [ط]

(٥) **المِقة**: المحبة، **والموموق**: المحبوب، لسان العرب (٦/ ٤٩٤) باب (ومق).

(٦) **صحيح ـ بنحوه ـ**: رواه أحمد (٦/ ٣٨)، والبخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١)، وأبو داود (٤٧٩١)، والترمذي في «السنن» (١٩٩٦). ولفظه: **«شرُّ الناس منزلةً عند اللّٰه يومَ القيامة من وَدَعه الناسُ ـ أو تركه الناسُ ـ اتقاءَ فُحشه»**، وفي لفظٍ آخر: **«اتقاء شرِّه»**. [ط]

المال».

وما قَدَح في الأعراض من الكلام نوعان:

أحدهما: ما قَدح في عِرض صاحبه، ولم يتجاوَزْ إلى غيره، وذٰلك شيئان: الكذبُ، وفُحشُ القول.

والثاني: ما تجاوَزه إلى غيره، وذٰلك أربعة أشياء: الغِيبة، والنميمة، والسِّعاية، والسَّبُّ ـ بقذفٍ أو شتم ـ ، وربَّما كان السبُّ أنكاها للقلوب، وأبلغُها أثرًا في النفوس، ولذٰلك زجر اللّٰهُ عنه بالحد تغليظًا، وبالتفسيق تشديدًا وتصعيبًا.

وقد يكون ذٰلك لأحد شيئين: إمَّا انتقامٌ يصدرُ عن سفهٍ، أو بذاءٍ يحدثُ عن لؤم.

(٢٠٥٨) وقد روى أبو سلمةَ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**المؤمنُ غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم**[١]»[٢].

وقال ابن المقفَّع: الاستطالة لسان الجهالة. وكفُّ النفس عن هٰذه الحال بما يصدُّها من الزواجر أسلم، وهو بذي المروءة أجملُ. فهٰذا شرط.

[ب] وأمَّا العفة عن المآثم[٣]، فنوعان:

أحدهما: الكفُّ عن المجاهرة بالظلم.

والثاني: زجرُ النفس عن الإسرار بخيانة.

١ ـ فأمَّا المجاهرة بالظلم: فعُتوٌّ مهلك، وطُغيانٌ مُتْلِف، وهو يؤول إن استمرَّ

(١) أي: المؤمن سهلُ الخِداع ـ خاصةً في أوجُهِ الخير ـ ، لأن قلبَه صافٍ لا يعرفُ الخبث والتلاعب، بخلاف الفاجر، فهو خبٌّ ـ أي: خدَّاع ـ ، لئيمٌ غيرُ صافي السريرة. **[ط]**

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤١٨)، وأبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، والحاكم (١/ ٤٣)، وأبو يعلى (٦٠٠٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣١٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١١٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٥)، و«الشعب» (٨١١٥)، والبغوي (٣٥٠٦)، والعُقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الترمذي: «**غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٣) وهو النوع الثاني من أنواع العفة، وراجع ص (٥٩٣). **[ط]**

إلى فتنةٍ أو جلاء.

أمَّا الفتنةُ في الأغلب، فتُحيط بصاحبها، وتنعكسُ على البادئ بها، فلا تنكشفُ إلا وهو بها مصروع، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

(٢٠٥٩) ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الفتنةُ نائمة، فمَن أيقظها صار طعامًا لها**»[1].

(٢٠٦٠) وقال جعفرُ بن محمد: «الفتنةُ حصادُ الظالمين».

(٢٠٦١) وقال بعضُ الحكماء: «صاحبُ الفتنة أقربُ شيءٍ أجلًا، وأسوأُ شيءٍ عملًا».

(٢٠٦٢) وقال بعضُ الشعراء:

وكـنتَ كعنـزِ الـسُّوءِ قامـتْ لِحَـتفها ... إلى مديــةٍ تحـتَ الثَّـرى تـستثيرُها

وأمَّا الجلاء، فقد يكون من قوةِ الظالِم، وتطاوُلِ مدته، فيصير ظُلمُه مع المُكنة جلاءً وفناءً، كالنارِ إذا وقعت في يابس الشجر، فلا تُبقي معها ـ مع تمكُّنها ـ شيئًا، حتى إذا أفنت ما وجدت اضمحلَّت وخَمدت، فكذا حال الظالِم، مُهلِكٌ ثم هالك.

والباعث على ذٰلك شيئان: الجراءةُ والقسوة.

(٢٠٦٣) ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**اطلُبوا الفضلَ والمعروفَ عند الرُّحماءِ من أمتي، تعيشُوا في أكنافهم**»[2].

---

(١) **لا يصح**: ولم أجده بهٰذا اللفظ، وروى الرافعي في «تاريخ قزوين» (١/ ٢٩١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ: «**الفتنة نائمةٌ، لَعن اللَّهُ من أيقظها**»، وحكم عليه **بالنكارة** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٢٥٨). [ط]

(٢) **ضعيف جدًا**: رواه الحاكم (٤/ ٣٢١)، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الحاكم الإمام، **وردَّه عليه** الإمام الذهبي، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٥٧٨).
ورواه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٨٦)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧١٧)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٣١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٠)، وتمام في «الفوائد» (١١٧٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٦٨)، وحكم عليه الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ٦٠٢) **بالبطلان، وضعَّفه** الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/ ٤٤٦)، والحافظ العراقي في «تخريج =

والصادُّ عن ذٰلك: أن يَرى آثارَ اللّٰهِ تعالى في الظالمين؛ فإنَّ له فيهم عِبرًا، ويَتصوَّرُ عواقبَ ظلمهم؛ فإنَّ فيهم مُزدَجَرًا.

(٢٠٦٤) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أصبحَ ولم يَنْوِ ظُلم أحدٍ، غَفَرَ اللّٰهُ له ما اجترَم**»[١].

(٢٠٦٥) وروى جعفرُ بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ اللّٰه ﷺ: «**يا عليُّ، اتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه إنما يسألُ اللّٰهَ حقَّه، وإن اللّٰهَ لا يمنع ذا حقٍّ حقَّه**»[٢].

(٢٠٦٦) وقيل في منثور الحكم: «ويلٌ للظالِم من يوم المظالِم».

(٢٠٦٧) وقال بعض البُلغاء: «مَن جار حُكمُه أهلكه ظُلمُه».

(٢٠٦٨) وقال بعض الشعراء:

وما مِنْ يَدٍ إلّا يدُ اللّٰه فوقَها ... ولا ظالِمٍ إلا سَيُبلى بظالِمِ

٢ ـ وأمَّا الإسرارُ بالخيانة فضَعَةٌ[٣]، لأنَّه ببذلِ الخيانة مَهين، ولقلَّةِ الثقة به مستكين.

(٢٠٦٩) وقيل في منثور الحكم: «من يَخُنْ يَهُنْ».

(٢٠٧٠) وقال خالد الربَعي[٤]: «قرأتُ في بعض الكتب السالفة: إن ممَّا تُعَجَّل

= الإحياء» (٣/ ٢٤٤)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٥٧٧).

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن عساكر في «التاريخ» (٥٣/ ٢٧٣)، وابن أبي الدنيا في كتاب «النية» ـ كما في «تخريج الإحياء» (١/ ٣١٤) ـ، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٢٧٢)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٨٧٦)، و«ضعيف الجامع» (٥٤٣٠). **[ط]**

(٢) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٠٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٢)، والخطيب في «التاريخ» (١٠/ ٤١١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٦٠٦)، من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١١٠)، و«الضعيفة» (١٦٩٧)، وكذا محقق «الشعب» (٩/ ٥٣٣)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد». **[ط]**

(٣) **الضَّعَة**: الخسة. **[ط]**

(٤) خالد بن ربعي النهشلي التميمي، الصحابي، أحد الوفود الوجوه من بني تميم على رسول اللّٰه ﷺ.

ترجمته في: الإصابة (١/ ٤٠٤)، الاستيعاب (٢/ ٤٣٦)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٦٢).

عقوبتُه ولا تؤخَّر: الأمانة تُخان، والإحسانُ يُكفَر، والرحمُ تُقطع، والبغيُ على الناس».

ولو لم يكن من ذمِّ الخيانةِ إلَّا ما يجده الخائنُ في نفسِه منَ المَذِلة، لكفاه زاجرًا، ولو تَصور عُقبى أمانته، وجدوى ثقتِه، لعلم أن ذلك من أربح بضائع جاهِه، وأقوى شفعاءِ تقدُّمه، مع ما يجدُه في نفسه منَ العز، ويقابلَ عليه من الإعظام.

(٢٠٧١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتَمنك، ولا تَخُنْ من خَانك**»[1].

(٢٠٧٢) ورَوى سعيد بن جُبير قال: لمَّا نزلتْ هٰذه الآية: ﴿ ۞ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران]، يعنون أن أموالَ العرب حلالٌ لهم، لأنَّهم من غير أهلِ الكتاب، قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**كَذَب أعداءُ اللَّه، ما من شيءٍ كان في الجاهلية إلا وهو تحتَ قدمي، إلا الأمانةَ، فإنها مؤداةٌ إلى البَرِّ والفاجر**»[2].

ولا يَجعل ما يتظاهرُ به من الأمانة زُورًا، ولا ما يُبديهِ من العِفة غُرورًا، فينهتكَ الزور، وينكشفَ الغرور، فيكون مع هَتكِه للتدليس أقبح، ولمعرَّة الرياءِ أفضح.

(٢٠٧٣) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزالُ أمتي بخيرٍ ما لم ترَ الأمانة مَغْنمًا، والصَّدقة مَغْرَمًا**[3]»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والدارمي (٢٦٣٩)، والحاكم (٢/ ٤٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٨٧٣)، والدَّارَقُطْني (٣/ ٤٤٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٨٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، والشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٢) **ضعيف**: رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٨٤)، من رواية سعيد بن جُبير عن النبي ﷺ، وعزاه الإمام السيوطي ـ أيضًا ـ في «الدر المنثور» (٢/ ٤٤) لعبد بن حُميد وابن المنذر، وهو **ضعيفٌ للإرسال**، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٣) أي: إذا لم ينظروا للأمانات على أنها غنيمة فيخونوها، ولم ينظروا إلى دفع زكاةِ أموالِهم على أنها غرامةٌ فلا يُعطوها. **[ط]**

(٤) **ضعيف**: ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١/ ٥١٤ ـ ترجمة أبي تميمة)، وعزاه =

(٢٠٧٤) وقال بعضُ الحكماء: «من التمس أربعًا بأربع، التمس ما لا يكون: من التمس الجزاءَ بالرياء؛ التَمس ما لا يكون، ومَن التمس مودةَ الناس بالغلظة؛ التَمس ما لا يكون، ومَن التمس وفاءَ الإخوان بغير وفاء[1]؛ التمسَ ما لا يكون، ومن التمسَ العلم براحةِ الجسد التمس ما لا يكون».

والداعي إلى الخيانة شيئان: المهانة، وقلةُ الأمانة، فإذا حَسَمهما عن نفسه بما وصفتُ، ظهرت مروءته، فهٰذا شرطٌ قد استوفينا فيه أقسام العفة.

[٢] وأمَّا النزاهة فنوعان:

أحدهما: النزاهةُ عن المطامع الدنية.

والثاني: النزاهةُ عن مواقف الريبة.

١ ـ فأمَّا المطامعُ الدنيَّة: فلأنَّ الطمع ذُل، والدناءة لؤم، وهما أدفعُ شيءٍ للمروءة.

(٢٠٧٥) وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللَّهم إني أعوذُ بك من طَمَعٍ يَهدي إلى طَبَعٍ**[2]»[3].

(٢٠٧٦) وقال بعضُ الشعراء:

= للعُقيلي في كتابه عن «الصحابة»، ثم قال الحافظ: «هٰذا الحديث **لا يصحُّ إسناده**، ولا يُعرف في الصحابة أبو تميمة»، **وأقرَّه** الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٥٢). **[ط]**

(١) أي: أراد منهم أن يكونوا معه أوفياء، وهو غير وَفِيٍّ لهم. **[ط]**

(٢) قال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٢١٨): «الطبع: الدنس والعيب، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع».

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/ ٢٤٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٦)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٢١٨)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦٢)، والحاكم (١/ ٥٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٣)، و«الدعاء» (١٣٨٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧١٥)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٨٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٦٣)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم: «**مستقيم الإسناد**»، **وسكت عليه** الذهبي، بينما **أقرَّ** الحاكمَ الحافظُ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٧٨)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢١٢)، والشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٨١٥)، وفي «الضعيفة» (١٣٧٣). **[ط]**

لا تَخضعنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ ... فإن ذٰلك نقصٌ منكَ في الدِّينِ
واسترزقِ اللَّهَ ممَّا في خزائِنه ... فإنما هو بينَ الكافِ والنونِ

والباعثُ على ذٰلك شيئان: الشَّرَهُ، وقلَّة الأنَفة، فلا يقنعُ بما أُوتي ـ وإن كان كثيرًا ـ، لأجل شَرهه، ولا يستنكفُ مما مُنِع ـ وإن كان حقيرًا ـ، لقلَّة أنفته.

وهٰذه حالُ مَن لا يرى لنفسه قدرًا، ويرى المالَ أعظم خطرًا، فيرى بذلَ أهونِ الأمرين لأجلهما مغنمًا، وليس لمن كان المالُ عنده أَجَلّ، ونفسُه عليه أقلّ، إصغاءٌ لتأنيب، ولا قَبولٌ لتأديب.

(٢٠٧٧) ورُوي أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، أوصني، قال: «**عليك باليأس ممَّا في أيدي الناس، وإيَّاك والطمعَ؛ فإنَّه فقرٌ حاضر، وإذا صليتَ صلاةً فصلِّ صلاة مُودِّع، وإياك وما يُعتذر منه**»[(١)].

(٢٠٧٨) وقال بعض الحكماء: «عِزُّ النزاهة أشرفُ من سُرور الفائدة[(٢)]».

(٢٠٧٩) وقال بعض الشعراء:

ومَن كانت الدُّنيا مُناهُ وهَمَّهُ ... سَبَتْهُ المُنَى واستعبدتهُ المطامعُ[(٣)]

وحسمُ هٰذه المطامع شيئان: اليأس، والقناعة.

(٢٠٨٠) وقد رَوى عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ رُوح**

(١) **ضعيف**: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٦)، والبيهقي في «الزهد» (١٠١)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٤٧)، عن رجل من الأنصار، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، لكن عقَّب الحافظ المنذري في «الترغيب» (١٢٣٢) على تصحيح الحاكم بقوله: «**كذا قال!**»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤٩٩).

ويغني عنه ما ثبت عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، علِّمني وأوجز. قال: «**إذا قُمتَ في صلاتِكَ فصَلِّ صلاةَ مُودِّع، ولا تكلَّمْ بكلامٍ تَعتذرُ منه، وأَجْمِعِ اليأسَ عمَّا في أيدي الناس**». **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ١٥٤)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٣٦٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٠٢)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) أي: عزُّ النزاهة أجمل من أن تفيد أحدًا بشيء فتسعد به. [ط]

(٣) **سَبَتْه**: أَسَرَتْه. [ط]

القُدس نَفَث في رُوعي: أنَّ نفسًا لن تَموتَ حتَّى تستوفِيَ رزقَها، فاتقوا اللَّه، وأجْمِلوا في الطلب، ولا يَحمِلنَّكم إبطاءُ الرزق على أن تطلبوه بمعاصي اللَّهِ تعالى؛ فإن اللَّه ﷻ لا يُدرك ما عنده إلا بطاعته»[1].

فهٰذا شرط.

٢ ـ وأمَّا مواقفُ الرِّيبة: فهي التردُّد بين منزلتي حَمْدٍ وذم، والوقوفُ بين حالتي سلامةٍ وسُقْم، فتتوجه إليه لائمةُ المتوهِّمين، ويناله ذِلَّة المُريبين، وكفى بصاحبها موقفًا إن صحَّ افتُضِح، وإن لم يصحَّ امتُهِن.

(٢٠٨١) وقد قال النبي ﷺ: «**دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك**»[2].

(٢٠٨٢) وسُئل محمد بن عليٍّ عن المروءة؟ فقال: «ألَّا تعملَ في السرِّ عملًا تستحي منه في العلانية»[3].

(٢٠٨٣) وقال حسان بن أبي سِنان[4]: «ما وجدتُ شيئًا هو أهونَ من الورع، قيل له: وكيف؟ قال: إذا ارتبتُ بشيءٍ تركتُه».

والداعي إلى هٰذه الحال شيئان: الاسترسالُ، وحسنُ الظن.

والمانع منهما شيئان: الحياء، والحذر.

وربما انتفت الرِّيبةُ بحسن الثقة، وارتفعت التُّهمةُ بطول الخِبرة.

(٢٠٨٤) كالذي حُكي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه رآه بعضُ الحواريين وقد خرج من منزلِ امرأةٍ ذاتِ فجور، فقال: «يا رُوحَ اللَّه، ما تصنعُ هاهنا؟ فقال:

---

(١) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٨٩١)، وهناد في «الزهد» (٤٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١٣)، والبزار (٢٩١٤)، وابن فورك في «ثلاثة مجالس من أمالي ابن مردويه» (٢٤)، **وسكت عليه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وحسّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٦٧). **[ط]**

(٢) **صحيح**: وقد تقدم برقم (١٢٧٨) و(١٦٠٩). **[ط]**

(٣) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٢٤ ـ خبر: ١٥٨٦)، منسوبة إلى محمد بن عمران التيمي.

(٤) حسان بن سنان بن أوفَى بن عوف التنُوخي، أبو ليلى، سمع أنس بن مالك رضي الله عنه، توفي عام (١٨٠).

ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ١٩٤ ـ ترجمة: ٢٠٠).

الطبيبُ إنما يداوي المرضى[١]»[٢].

ولٰكن لا ينبغي أن يَجعلَ ذٰلك طريقًا إلى الاسترسال، ولْيَكن الحذرُ عليه أغلب، وإلى الخوف من تصديق التُّهم أقرب، فما كُلُّ ريبةٍ ينفيها حُسن الثقة.

(٢٠٨٥) هٰذا رسول اللَّه ﷺ ـ وهو أبعدُ خلق اللَّهِ من الرِّيب، وأصونُهم من التُّهم ـ وقف مع زوجتِه «صفيةَ» ذاتَ ليلةٍ على باب المسجد يحادثُها ـ وكان معتكفًا ـ، فمرَّ به رجلانِ من الأنصار، فلما رأياه أسرعا، فقال لهما: «**على رِسلكما**[٣]، **إنَّها صفيةُ بنتُ حُيي**»، فقالا: سبحان اللَّه! أوَ فيك شكٌّ ـ يا رسول اللَّه ـ ؟ فقال: «**مهْ، إن الشيطانَ يَجري من أحدكم مَجرَى لحمِه ودمه، فخشيتُ أن يقذف في قَلبَيكما سُوءًا**»[٤].

فكيف بمنْ تخالجت فيه الشكوك، وتقابلت فيه الظنون؟! فهل يَعرَى في مواقفِ الرِّيَب من قادحٍ محقَّق، ولائم مصدَّق؟!.

(٢٠٨٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا لم يَشْقَ المرءُ إلا بما عَمِل، فقد سَعِد**»[٥].

وإذا استَعمل الحزمَ، وغلَّب الحذر، وتركَ مواقف الرِّيَبِ ومَظانَّ التُّهم، ولم يقفْ موقفَ الاعتذار ـ ولا عُذْرَ لمختار ـ لم يَختلج في نزاهتِه شك، ولم يَقدح في عِرضِه إفك.

(٢٠٨٧) وقد قال الشاعر:

أصُـــونُك أن أدُلَّ علـيك ظـــنًّا ... لأنَّ الظـــنَّ مِفـــتاحُ اليقـــينِ

---

(١) خبرٌ من الإسرائيليات، ومعناه منكر، وما كان نبيٌّ من أنبياء اللَّهِ تعالى ـ بل من أولي العزم ـ ليدخل على زانية في بيتها ليلًا!! [ط]

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٣/ ٣٩٩)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٥٧).

(٣) أي: تمهَّلا. [ط]

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٣٣٧)، والبخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥)، وأبو داود (٢٤٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣٤٣)، وابن ماجه (١٧٧٩)، ولفظ آخِر الحديث: «**إنَّ الشيطان يبلغُ من ابن آدم مبلغَ الدم، وإني خَشِيتُ أن يقذفَ في قلوبكما شرًّا ـ أو قال: شيئًا ـ**». [ط]

(٥) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢٠٨٨) وقال سهلُ بن هارون: «مؤنة المتوقِّف أيسرُ من تكلُّف المُتعسِّف».

(٢٠٨٩) وقال بعضُ الحكماء: «من حسُنَ ظنُّه بمن لا يخافُ اللَّه تعالى فهو مخدوع».

(٢٠٩٠) وأنشدني بعضُ أهل الأدب لأبي بكر الصُّولي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله:

أحسنتُ ظنِّي بأهلِ دهري ... فحسنُ ظنِّي بهم دهاني

لا آمَنُ الناسَ بعدَ هٰذا ... ما الخوفُ إلَّا من الأمانِ

فهٰذا شرطٌ استوفينا فيه نوعَي النزاهة.

[٣] وأمَّا الصيانة ـ وهي الثالثُ من شروط المروءة ـ، فنوعان:

أحدهما: صيانةُ النفس بالتماس كفايتِها، وتقديمِ مادَّتِها.

والثاني: صيانتُها عن تحمُّل المننِ، والاسترسال في الاستعانة.

١ ـ فأمَّا التماس الكفاية وتقدير المادة: فلأن المحتاجَ إلى الناس كَلٌّ مُهتضم[1]، وذليلٌ مستثقَل، وهو لِمَا فُطِر عليه محتاجٌ إلى ما يستمدُّه، ليقيمَ أَوَدَ نفسِه[2]، ويدفعَ ضرورةَ وقته.

(٢٠٩١) ولذٰلك قالت العرب في أمثالها: «كلبٌ جوَّال خيرٌ من أسدٍ رابض».

وما يستمده نوعان: لازم، وندب.

فأمَّا اللازمُ فما قام بالكفاية، وأفضى إلى سدِّ الخَلة، وعليه في طلبه ثلاثةُ شروط:

أحدها: استطابتُه من الوجوهِ المباحة، وتوقِّي المحظورة، فإن الموادَّ المحرمةَ مستخبثةُ الأصول، ممحوقةُ المحصول، إن صَرَفها في برٍّ لم يؤجَر، وإن صرفها في مدحٍ لم يُشكر، ثم هو لأوزارها مُحتقِب[3]، وعليها معاقَب.

---

(١) أي: عبءٌ ثقيلٌ محتقر. [ط]

(٢) **الأَوَد:** الاعوجاج، والمراد: الضعف. [ط]

(٣) **احتقب فلان الإثم:** كأنه جَمَعه واحتقبه من خلفه، والاحتقاب: شدُّ الحقيبة من الخلف، لسان العرب (٢/ ١٢١).

(٢٠٩٢) وقد قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا يُعجِبْك رجلٌ كسب مالًا من غير حِلِّه، فإن أنفقه لم يُقبل منه، وإن أمسكه فهو زادُه إلى النار**»[١].

(٢٠٩٣) وقال بعضُ الحكماء: «شرُّ المال ما لزمك إثمُ مَكسَبه، وحُرمتَ أجرَ إنفاقه».

(٢٠٩٤) ونظر بعضُ الخوارج إلى رجلٍ من أصحاب السلطانِ يتصدقُ على مِسكين، فقال: «انظر إليهم؛ حسناتُهم من سيئاتِهم».

(٢٠٩٥) وقال عليُّ بن الجَهم[٢]:

سَـرَّ مـن عـاش مالُـه فـإذا ... حاسبه اللَّـهُ سَرَّهُ الإعدامُ[٣]

والثاني: طلبُه مِن أحسنِ جهاتِهِ التي لا يلحقُه فيها غضٌّ[٤]، ولا يتدنَّسُ له بها عِرض؛ فإن المال يُرادُ لصيانة الأعراض، لا لابتذالها، ولعزِّ النفوس، لا لإذلالها.

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣١٣)، والشاشي (٨٧٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٨٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ١٦٦)، والبزار (٣٥٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٠٣٠)، والطيالسي (٣١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٠٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وقال الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٦٧١): «رواه أحمد وغيره من طريق «أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد»، وقد حسَّنها بعضهم، واللَّهُ أعلم»، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٩٦)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢١٣): «رواه أحمد، ورجال إسناده بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٥٢).
وقد ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا أدَّيت زكاةَ مالك فقد قضيتَ ما عليك فيه، ومَن جَمع مالًا حرامًا، ثم تصدَّق به لم يكن له فيه أجرٌ، وكان إصرُه عليه**»، **حسن**: رواه ابن خزيمة (٢٤٧١)، وابن حِبَّان (٣٢١٦)، والحاكم (١/ ٣٩٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٢٠٢)، **وصحَّحه** الإمام الحاكم، **ووافقه** الإمام الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. [ط]

(٢) عليُّ بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود، أبو الحسن، أحد الشعراء المجيدين، توفي عام (٢٤٩).
ترجمته في: الأغاني (١٠/ ٢١٥)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٥)، معجم الشعراء للمرزباني (ص١٧٨).

(٣) **الإعدام**: الفقر. [ط]

(٤) **الغض**: النقص. [ط]

(٢٠٩٦) وقال عبدالرَّحْمٰن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يا حبَّذا المالُ؛ أصونُ به عرضي، وأُرضي به ربي».

(٢٠٩٧) وقال أبو بشر الضرير[1]:

كفى حُزنًا أنِّي أروحُ وأغتدِي ... وما لِيَ من مالٍ أصُون به عِرضي

وأكثر ما ألقَى صديقي بمرحبًا ... وذٰلك لا يكفي الصَّديق ولا يُرضِي

(٢٠٩٨) وسئل ابنُ عائشة[2] عن قول النبي ﷺ: «**اطلُبوا الحوائجَ من حِسانِ الوجوهِ**»[3]؟ فقال: معناه: «مِن أحسن الوجوه التي تحلُّ».

والثالث: أن يتأنَّى في تقدير مادَّته، وتدبيرِ كفايته، بما لا يلحقُه خلل، ولا ينالُه زَلَل، فإنَّ يسيرَ المال ـ مع حسن التقدير، وإصابة التدبير ـ أجدى نفعًا، وأحسنُ موقعًا، مِن كثيره مع سوء التدبير، وفسادِ التقدير، كالبَذرِ في الأرض، إذا رُوعيَ يسيرُه زكا، وإن أُهمل كثيره اضمحلَّ.

---

(١) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٢) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٣) **ضعيف**: رواه أبو يعلى (٤٧٥٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٩٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٥٠) و(١٦٥١)، وعبد بن حُميد في «مسنده» (٧٥١)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٢٤٨) و(٢/ ٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٨١)، و«الأوسط» (٣٧٨٧) و(٦١١٧)، و«الصغير» (٦٣٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٢٦٣) و(٣٢٦٤) و(٣٢٦٥) و(١٠٣٧٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٦)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٠٤) و(٣/ ٢٩٠، ٣٢٠) و(٦/ ١٨٩، ٢٢١) و(٧/ ٦٥)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٢١، ١٣٨) و(٢/ ٣٢٠) و(٣/ ٣٤٠) و(٤/ ١٠٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦١)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٥٢)، وتمام في «الفوائد» (٨٦٤)، من رواية عديدٍ من الصحابة الكرام، منهم عائشة، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وجابر، وأبي بكرة، وغيرهم، والحديث **ضعَّفه** الإمام البيهقي، والإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٦٥، ٥٧٢) وغير ذٰلك، وكذا الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/ ١٧٩) و(٣/ ١٠٢، ٤٠١) وغير ذٰلك، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٠): «**طرقه كلها ضعيفة**»، وكذا **ضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٥٥) و(٨/ ٣٥٥، ٣٥٦)، وقال الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (٦٠) مثلما قال الحافظ العراقي، وحكم على رواياته الشيخ الألباني تارةً **بالضعف**، وتارةً **بالضعف الشديد**، وتارة **بالوضع**، فانظر: «ضعيف الجامع» (٣١) و(٢٧٣) و(٩٠٣) و(٩٠٤) و(١١٤٨)، و«الضعيفة» (١٥٨٥) و(٢٧٩٦) و(٢٧٩٧) و(٢٨٥٥). [ط]

(٢٠٩٩) وقال محمدُ بن علي: «الكمالُ في ثلاثة: العفَّةُ في الدِّين، والصبرُ على النوائب، وحسنُ التدبير في المَعيشة».

(٢١٠٠) وقيل لبعض الحكماء: «فلانٌ غنيٌّ! فقال: لا أعرف ذٰلك ما لم أعرف تدبيرَه في مالِه».

فإذا استكمل هٰذه الشروطَ فيما يستمدُّه من قَدْرِ الكفاية، فقد أدَّى حقَّ المروءةِ في نفسه.

(٢١٠١) وسُئل الأحنفُ بن قيس عن المروءة، فقال: «العِفَّةُ والحِرفة[1]».

(٢١٠٢) وقال بعضُ الحُكماء لابنه: «يا بُني، لا تكنْ على أحدٍ كَلًّا؛ فإنك تزداد ذُلًّا، واضرِبْ في الأرض عَودًا وبَدْءًا، ولا تأسَفنَّ لمالٍ كان فذهب، ولا تعجِزنَّ عن الطلب لوَصَب ولا نَصَب».

فهٰذا حال اللازم.

وقد كان ذوُو الهِمم العَلية والنفوسِ الأبية، يَرون ما وَصل إلى الإنسان كسبًا أفضلَ مما وصل إليه إرثًا، لأنه في الإرثِ في جدوى غيره[2]، وبالكسب مُجدٍ إلى غيره، وفرقُ ما بينهما في الفضل ظاهر.

(٢١٠٣) وقال كُشاجم:

لا أستلذُّ العيشَ لم أدأَبْ له — طَلَبًا وسَعْيًا في الهواجر والغَلَسْ[3]
وأَرى حَرامًا أن يُواتيني الغِنَى — حتى يُحاولَ بالعناءِ ويُلتمسْ
فاصرِفْ نَوالكَ عن أخيك مُوفَّرًا — فالليثُ ليس يُسيغُ إلا ما افترسْ

وأمَّا الندب، فهو ما فَضلَ عن الكفاية، وزاد على قدْرِ الحاجة؛ فإنَّ الأمر فيه معتبرٌ بحال طالبه، فإن كان ممن تقاعَد عن مراتب الرؤساء، وتقاصَر عن مُطاولة النظراء، وانقبض عن منافسةِ الأَكْفاء، فحَسبُه ما كفاه، فليس في الزيادة إلا شَرَهٌ،

(١) أي: أن يكون المرء عفيفًا ذا حرفةٍ يتكسَّبُ منها. **[ط]**
(٢) أي: في إحسانِ غيره، وهو المورِّث. **[ط]**
(٣) **الهَواجر**: أوقات الصباح واشتداد الحر. **الغَلَس**: قبيل الفجر. **[ط]**

ولا في الفضول إلَّا نَهَمٌ، وكلاهما مذموم.

(٢١٠٤) ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**خيرُ الرزق ما يكفي، وخيرُ الذِّكْرِ الخَفِي**»[1].

(٢١٠٥) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدنيا كَلٌّ على العاقل».

(٢١٠٦) وقال عبدُاللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المستغني عن الدنيا بالدنيا، كمطفئِ النار بالتِّبن».

(٢١٠٧) وقال بعضُ الحكماء: «اشتَرِ ماءَ وجهِك بالقناعة، وتَسَلَّ عن الدنيا بتجافيها عن الكرام».

فإن كان ممن مُني بعلوِّ الهمم، وتحرَّكت فيه أريحيَّةُ الكرم، وآثر أن يكونَ رأسًا مقدَّمًا، وأن يُرى في النفوس مُعظمًا ومُفخَّمًا، فالكفايةُ لا تُقِلُّه حتى يكون مالُه فاضلًا، ونائلُه فائضًا.

(٢١٠٨) فقد قيل لبعض العرب: «ما المروءةُ فيكم؟ قال: طعامٌ مأكول، ونائلٌ مبذول، وبِشرٌ مقبول».

(٢١٠٩) وقد قال الأحنفُ بن قيس:

فلو مُدَّ سَرْوِي بمالٍ كثيرٍ ... لَجُدتُ وكنتُ له باذلَا

فإن المروءة لا تستطاعُ ... إذا لم يكن مالُها فاضلَا

(٢١١٠) وقال أُحيحة بن الجُلاح[2]:

رُزِقتُ مالًا ولم أُرزَقْ مُروءتَه ... وما المروءةُ إلا كثرةُ المالِ

إذا أردتُ مساماةً تقاعَد بي ... عمَّا ينوِّهُ باسمي رِقةُ الحالِ

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ١٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٨٤)، وعبد بن حُميد (١٣٧)، وابن حبان (٨٠٩)، وأبو يعلى (٧٣١)، ووكيع في «الزهد» (١١٨)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥٤٨)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (٤/ ٣٩٣)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٣٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢١٨)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأورده الفتني في «تذكرة الموضوعات»، وقال: «**صححه ابن حِبَّان وأبو عوانة**»، **وأقرَّهما على ذلك، وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٨٨٧). [ط]

(٢) راجع الإصابة (١/ ١٨٨ـ ترجمة: ٥٥)، واللَّه أعلم.

٢ ـ وأمَّا صيانتُها عن تحمُّل المِنَن، والاسترسالُ في الاستعانة، فلأنَّ المِنة استرقاقُ الأحرار، تُحدِثُ ذلَّةً في المَمنون عليه، وسطوةً في المانِّ به، والاسترسال في الاستعانة تثقيل، ومن ثَقُل على الناس هان، ولا قدْرَ عندهم لمُهان.

(٢١١١) وقال رجلٌ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَدَمك بنُوك، فقال: أغناني اللَّهُ عنهم».

(٢١١٢) وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في وصيته له ـ : «يا بُني، إنِ استطعتَ ألَّا يكونَ بينك وبين اللَّه ذو نعمةٍ فافعل، ولا تكن عبدَ غيرك، وقد جَعلك اللَّهُ حرًّا، فإن اليسيرَ من اللَّه تعالى أكرمُ وأعظمُ منَ الكثير من غيره، وإن كان كُلٌّ منه كثيرًا».

(٢١١٣) وقال زيادٌ لبعض الدَّهاقين[١]: «ما المروءة فيكم؟ قال: اجتناب الرِّيبَ؛ فإنَّه لا يَنبُلُ مُريب، واصلاحُ الرجل مالَه؛ فإنَّه من مروءته، وقيامُه بحوائجِه وحوائجِ أهله، فإنَّه لا ينبُلُ مَن احتاج إلى أهله، ولا مَن احتاج أهلُه إلى غيره».

(٢١١٤) وأنشد ثعلب:

مَنْ عفَّ خفَّ على الصَّديق لقاؤه ... وأخو الحوائج وجهُه مملولُ

وأخوكَ من وفَّرت ما في كِيسِهِ ... فإذا عَبِثْتَ به فأنت ثقيلُ

وإن كان الناس لُحمةٌ[٢] لا يَستغنون عن التعاون، ولا يَستقِلُّون عن المساعدة والتظافر[٣]، فإنما ذٰلك تعاونُ ائتلاف، يتكافَئُون فيه ولا يتفاضلون، وربما كان المستعينُ فيه مفضَّلًا، والمُعينُ مُستفضِلًا، كاستعانةِ السلطان بجُنده، والمُزارع بأكَرَته[٤]؛ فليس من هٰذا بُدٌّ، ولا لأحدٍ عنه غِنًى، وإنما الذي يتصوَّنُ عنه الكرامُ تعاونُ التفضيل، فيَنقبضون عن أن يستعينوا، لئلَّا يكون عليهم يدٌ، ويُسارِعون أن يُعينوا، لأَنْ يكون لهم يد، ومَن أَقدم ـ مِن غير اضطرار ـ على الاستعانة بجاهٍ أو بمال، فقد أوهى مروءتَه، واستبذل صيانتَه[٥]، ومن دعاه الاضطرارُ ـ لنائبٍ أَلَمَّ،

(١) الدهَّاقين: التجار. [ط]
(٢) اللُحمة: القرابة. [ط]
(٣) في المطبوعة والشرح: المساعد والمظافر.
(٤) الأكَرة: الذين يعملون في الأرض.
(٥) أي: أهان كرامته، وأراق ماء وجهه. [ط]

أو حادثٍ هَجَم ـ إلى الاستعانةِ بمن يتنفَّسُ به من خَناق كَربه، ويتخلصُ به من وَثاقِ نوائبه، فلا لومَ على مضطر.

فان أغنتْه الاستعانةُ بالجاه عن الاستعانة بالمال، فلا عُذر له في التعرُّض للمال، ويَعدِلُ إلى ولاة الأمور، فإن الحوائجَ عندهم أنجح، وهي عليهم أسهل، وهم لذلك مندوبون، فهم لا يَجِدُون لهم مساويًا، ولْيَصْبِرَنَّ على إبطائهم، فإنَّ تراكُم الأمور عليهم يَشغَلُهم، إلا عن المُلحِّ الصبور.

(٢١١٥) ولذلك قيل: «قدِّمْ لحاجتك بعضَ لَجاجتِك».

(٢١١٦) وقد تقدم من قول الحكماء: «ريحُ السلطان على قومٍ نَسيم، وعلى قومٍ سَموم».

(٢١١٧) وقال عبدُاللَّه بن المعتز: «مَن صَحِب السلطانَ فلْيَصبر على قسوته، كصبر الغوَّاصِ على ملوحةِ البحر».

(٢١١٨) وقال أبو سارة ـ سُحيم بن الأعرف[1] ـ:

نَعُـدُّ قـرابةً ونعـدُّ صِـهرًا ... ويَسعدُ بالقرابةِ من رَعاها
ومـا زُرنـاك مـن عَـدَمٍ ولٰكنْ ... يَهِشُّ إلى الإمـارة من رَجاها
وأيًّـا مـا فعلـتَ فـإن نفسي ... تعُـدُّ صلاحَ نفسك من غِناها

فإن تعذَّر عليه صلاحُ حالِه إلا بمالٍ يستعينُ به على نوائبه، كان له مع الضرورةِ فُسحةٌ فيه، لٰكن إن وَجده قرْضًا مردودًا لم يأخذه صِلةً وجُودًا، فإن القرضَ مُستسمَحٌ به في المروءات، هٰذا رسول اللَّه ﷺ ـ مع ما أعلى اللَّه من قدْرِه وفضلِه على خلقه ـ قد اقترض، ثم قضى فأحسن[2].

---

(١) لم أجده، واللَّه أعلم.

(٢) ومن ذٰلك ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان لرجلٍ على النبيِّ ﷺ سنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال ﷺ: «**أعطوه**»، فطلبوا سنَّه، فلم يجِدوا له إلا سنًّا فوقَها، فقال: «**أعطوه**»، فقال: أوفيتَني ـ أوفَى اللَّهُ بك ـ، فقال النبي ﷺ: «**إن خيارَكم أحسنُكم قضاءً**». **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٩٣)، والبخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١)، والترمذي (١٣١٦)، والنسائي (٤٦١٨)، و«الكبرى» (٦١٦٨)، ورواه ابن ماجه ـ مختصرًا ـ (٢٤٢٣). **[ط]**

(٢١١٩) وقال ﷺ: «مَن أعياه رزقُ اللَّهِ تعالى حلالًا، فلْيَستَدِنْ على اللَّه ورسولِه[(١)]»[(٢)].

(٢١٢٠) وقال ﷺ: «المستدينُ تاجِرُ اللَّهِ في أرضه»[(٣)].

(٢١٢١) وقال البُحتري:

إن لم يكن كُثْرٌ فكُلُّ عطيةٍ ... يبلُغ بها باغي الرضا بعضَ الرِّضا

أوْ لا تكنْ هِبةٌ فقرضٌ يُسِّرت ... أسبابُهُ وكواهبٍ من أقْرَضا

ولَئِنْ كان الدَّين رِقًّا، فهو أسهلُ من رِقِّ الإفضال.

(٢١٢٢) وقد رُوي عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «من أراد البقاء ـ ولا بقاء ـ فلْيُباكِرِ الغَداء، ولْيُخفِّفِ الرِّداء. قيل: وما في خِفَّةُ الرداء من البقاء؟ قال: قِلَّة الدَّين»[(٤)].

فإن أعوَزَه ذٰلك إلا استمناحًا، فهو الرِّق المُذلُّ.

(٢١٢٣) ولذٰلك قيل: «لا مُروءة لمُقِلٍّ».

(٢١٢٤) وقال بعضُ الحكماء: «مَن قَبل صِلَتَك، فقد باعَك مروءتَه، وأذلَّ لقَدْرِك عِزَّه وجلالته».

والذي يتماسَكُ به الباقي من مُروءة الراغبين، واليسيرُ التافهُ من صيانة السائلين ـ وإن لم يَبقَ لذي رغبةٍ مروءة، ولا لسائل تصوُّنٌ ـ أربعة أمور، هي جَهد المُضطَر: **أحدُها**: أن يتجافَى ضَرَع السائلين، وأُبَّهةَ المستقلِّين، فيَذِلَّ بالضَّرع، ويُحرم

(١) أي: ليجعل الثقة في اللَّهِ ورسوله أن يوفياه! وهٰذا الكلام عجيب، والحديث لا يصح ـ كما سيأتي ـ ، ولو صحَّ لكان خاصًّا بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأن معناه أن يكون العبدُ على ثقةٍ باللَّهِ تعالى أنه سبحانه سيوفيه، وأن رسوله ﷺ سيسدُّ عنه، وهٰذا لا يتأتَّى ـ كما هو ظاهرٌ ـ إلا في حياتِه ﷺ، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٢) **لا يصح**: ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢٥٤)، عن عبداللَّه المزني، لٰكن جعله صاحب «الكنز» (٩٢٥١) من رواية بكر بن عبداللَّه المزني، وعلى أيِّ حال فالحديث ظاهر الضعف ـ على أقلِّ تقدير ـ ، مع أن معناه منكرٌ عندي، ولم أقف على من تكلَّم فيه، ومعلومٌ أن «مسند الفردوس» من مظانِّ الضعاف والموضوعات، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٤) العبارة في عيون الأخبار (٣/ ١٥٧ ـ خبر: ٥٢٠٤) غير منسوبة.

بالأُبَّهة، وليكنْ منَ التجمُّل على ما يقتضيه حالُ مثلِهِ من ذوي الحاجات.

(٢١٢٥) وقد قيل لبعض الحكماء: «متى يَفْحُشُ زوالُ النِّعم؟ قال: إذا زال معها التجمُّل».

(٢١٢٦) وأنشد بعضُ أهل الأدب لعليِّ بن الجَهْم:

هيَ النَّفسُ ما حَمَّلتها تتحمَّلُ ... وللدَّهرِ أيامٌ تَجورُ وتعدِلُ

وعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ ... وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ التفضُّلُ

ولا عار إنْ زالتْ عن الحرِّ نعمةٌ ... ولٰكنَّ عارًا أن يزُولَ التجمُّلُ

والثاني: أن يقتصرَ في السؤال على ما دعَتْه إليه الضرورة، وقادتْه إليه الحاجة، ولا يجعلَ ذٰلك ذريعةً إلى الاغتنام، فيُحرمَ باغتنامه، ولا يُعذر في ضرورته.

(٢١٢٧) وقد قال بعض الحكماء: «مَن أَلِف المسألة، أَلِفه المَنعُ».

والثالث: أن يَعْذِر في المنع، ويَشكر على الإجابة؛ فإنَّه إن مُنِع فعمَّا لا يملك، وإن أُجيب فإلى ما لا يستحق.

(٢١٢٨) فقد قال النَّمِر بن تَوْلَب[1]:

لا تَغْضَبَنَّ على امرئٍ في مالِه ... وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فاغْضَبِ

والرابع: أن يعتمدَ على سؤالِ مَن كان للمسألة أهلًا، وكان النُّجْحُ عنده مأمولًا، فإن ذَوي المُكنة كثير، والمُعين منهم قليل.

(٢١٢٩) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**الخيرُ كثيرٌ، وقليلٌ فاعلُه**»[2].

---

(١) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن عبد كعب، صحابي، كان شاعرًا فصيحًا، وفد على النَّبي ﷺ وكتب له النَّبي ﷺ كتابًا، وكان جوادًا، وعمر طويلاً. والأبيات في ترجمته في الإصابة.
ترجمته في: الإصابة (٦/ ٣٧٠ ـ ترجمة: ٨٨٢٥)، الاستيعاب (٤/ ١٥٣١).

(٢) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٣٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٣٠١)، و«البزار» (٢٤٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٠)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢١)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٤٥)، والخطيب في «التاريخ» (٩/ ٥٠)، وأبو الفضل الزهري في فوائده (٢٠٨)؛ من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٢٥)، والشيخ الألباني في «ضعيف =

والمرجوُّ للإجابة مَن تكاملت فيه خصالُها، وهي ثلاث:

إحداهن: كرمُ الطبع، فإن الكريمَ مُساعِد، واللئيمَ مُعانِد.

(٢١٣٠) وقد قيل: «المخذولُ مَن كانت له إلى اللئام حاجةٌ».

والثانية: سلامةُ الصدر، فإنَّ العدوَّ أَلْبٌ على نكبتِك، وحربٌ في نائبتك.

(٢١٣١) وقد قيل: «مَن أوغَرْتَ صدرَه استدعيتَ شرَّه».

فإن رقَّ لك بكرم طبعه، ورَحِمَك بحُسن ظَفَره، فأعظِمْ بها محِنةً، أن يصير عدوُّك لك راحِمًا.

(٢١٣٢) وقد قال الشاعر:

وحَسْبُكَ مِن حادثٍ بامرئٍ ... تَرَى حاسِديه لهُ راحِمينَا

والثالثُ: ظهورُ المُكنة، فإن مَن سأل ما لا يمكنُ فقد أحال، وكان كمُستنهِضِ المسجون، ومُستسعِفِ المديون، وكان بالرد خليقًا، وبالحرمان حقيقًا.

(٢١٣٣) وقد قال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «مَنْ لا يعرف: «لا»، حتى يقال له: «لا»، فهو أحمق».

(٢١٣٤) ووصَّى عبدُاللَّه بن الأهتم ابنه فقال: «يا بني، لا تطلُبِ الحوائجَ مِن غير أهلها، ولا تطلُبْها في غير حينها، ولا تطلُبْ ما لستَ له مستحِقًّا، فإنك إن فعلتَ ذٰلك كنتَ حقيقًا بالحرمان».

(٢١٣٥) وقال الشاعر:

ولا تسألنَّ امرَأً حاجةً ... يُحاولُ من ربِّها مثلَهَا

فيترُك ما كنتَ حَمَّلتَه ... ويَبدأ بحاجته قبلَهَا

فهٰذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه.

[ب] وأمَّا شروط المروءة في غيره، فثلاثة: المؤازرة، والمياسرة، والإفضال.

[١] فأمَّا المؤازَرة، فنوعان:

= الجامع» (٢٩٥٣)، ومحقق «الشعب»، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ بشار عواد في «تاريخ بغداد». [ط]

أحدهما: الإسعاف بالجاه.

والثاني: الإسعاف في النوائب.

١ ـ فأمَّا الإسعاف بالجاه: فقد يكون من الأعلى قدرًا، والأنفَذِ أمرًا، وهو أرخصُ المكارم ثمنًا، وألطفُ الصنائع موقعًا، وربما كان أعظمَ من المال نفعًا، وهو الظلُّ الذي يلجأُ إليه المضطرون، والحِمَى الذي يأوي إليه الخائفون، فإن أوطأه(١) اتسع بكثرة الأنصارِ والشِّيَع، وإن قبضه انقطع بنُفور الغاشيةِ والتَّبع، فهو بالبذل يَنْمي ويزيد، وبالكفِّ ينقُصُ ويَبيد.

فلا عذرُ لمن مُنِح جاهًا أن يبخلَ به، فيكونَ أسوأَ حالًا من البخيل بماله، الذي قد يُعِدُّه لنوائبه، ويستبقيهِ للذَّته، ويَكنِزُه لذُرِّيته، وبضد ذٰلك من بخِلَ بجاهه؛ لأنه قد أضاعه بالشُّح، وبدَّده بالبُخل، وحَرَمَ نفسه غنيمةَ مُكْنته، وفُرصةَ قُدرته، فلم يُعقبه إلا ندمًا على فائت، وأسفًا على ضائع، ومَقتًا يستحكمُ في النفوس، وذمًّا ينتشر في الناس.

(٢١٣٦) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخَلقُ كلُّهم عِيالُ اللَّه، وأحبُّ خَلق اللَّهِ تعالى إليه أنفعُهم لعيالِه**»(٢)(٣).

(٢١٣٧) وقال بعض الحُكماء: «اصنَعِ الخيرَ عند إمكانه، يَبقَ لك حَمدُه عند

---

(١) **أوطأه:** مهَّده وسهله.

(٢) في المطبوعة والشرح: أحسنهم صنيعًا إلى عياله.

(٣) **ضعيف:** رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٣٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٨٦)، وفي «الأوسط» (٥٥٤١)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٤٤٨)، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٣٤٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٥٩)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٤٩)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤/ ٣٧٣)، **وضعَّفه جدًا** الشيخ بشار ابن عواد في «تحقيق تاريخ بغداد».

ورواه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٠٤٥ : ٧٠٤٧)، وأبو يعلى (٣٣١٥)، والبزار (٦٩٤٧)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦١١)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٢٤)، والحارث في «مسنده» (٩١١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٠٦)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩١)، والإمام العجلوني في «كشف الخفا» (١٢٢٠)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٩٠٠)، و«ضعيف الجامع» (٢٩٤٦)، ومحقق «الشعب» (٩/ ٥٢٢). **[ط]**

زوال أيامه، وأحسِنْ والدُّولةُ لك، يُحْسَنْ إليك والدولةُ عليك، واجعَلْ زمانَ رخائك عُدةً لزمان بلائك».

(٢١٣٨) وقال بعض البُلغاء: «مِن علامة الإقبال اصطناعُ الرجال».

(٢١٣٩) وقال بعضُ الأدباء: «بذلُ الجاه أحدُ الحِباءَين»[1].

(٢١٤٠) وقال ابنُ الأعرابي: «العرب تقول: من أمَّلَ شيئًا هابه، ومَن جهل شيئا عابه».

وبذلُ الجاهِ قد يكونُ مِن كرم النفس، وشُكرِ النعمة، وضدُّه مِن ضدِّه، وليس بَذلُ الجاه لالتماس الجزاء بذلًا مشكورًا، وإنما هو بائعُ جاهِه، ومُعاوِضٌ على نِعَمِ اللَّه تعالى وآلائه، فكان بالذمِّ أحق.

(٢١٤١) وأنشد بعض الأدباء لعليِّ بن عباس الرومي:

لا يـبذل العُـرْفَ حـين يبذلُهُ ... كمُشتري الحمدِ أو كمُعتاضِهْ

بـل يفعـل العُرفَ حين يفعله ... لجوهـرِ العُـرفِ لا لأعراضِـهْ

[ما الذي يجبُ على من يسَّر اللهُ ﷻ نفعَ الخلق على يديه؟]:

وعلى مَن أُسعد بجاهِهِ ثلاثةُ حقوق، يستكثرُ بها الشكر، ويستمدُّ بها المزيد من الأجر:

أحدُها: أن يستسهلَ المعونةَ مسرورًا، ولا يستثقلَها كارهًا، فيكونَ بنِعم اللَّه تعالى متبرِّمًا، ولإحسانه متسخطًا.

(٢١٤٢) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَظُمت نعمةُ اللَّهِ تعالى عليه، عَظُمت مُؤنةُ الناس عليه**»[2].

---

(١) **الحِباء**: العطية التي لا عوض لها.

(٢) **ضعيف**: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٨٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٢٥٨)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (٦/ ٤٩)، والخطيب في «التاريخ» (٦/ ٤٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٩٨)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٢٧)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الأئمة: ابن حِبَّان، والبيهقي، وابن عدي، وابن الجوزي، وكذا **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٢٩١)، ومحقق «شعب الإيمان» =

فمن لم يحتمل تلك المؤنة، عرَّض تلك النعمةَ للزوال.

والثاني: مجانبةُ الاستطالة، وتركُ الامتنان، فإنَّهما من لؤم الطبع وضِيق الصدر، وفيهما هدمُ الصنيع، وإحباطُ الشكر.

(٢١٤٣) وقد قيل للحكيم اليوناني: «مَن أضيقُ الناس طريقًا، وأقلُّهم صديقًا؟ قال: مَن عاشَرَ الناس بعبوس وجهه، واستطالَ عليهم بنفسه».

والثالث: ألَّا يَقرِنَ بمشكور سَعيِهِ تقريعًا بذنب، ولا توبيخًا على هَفْوة، فلا يفي مَضَضُ التوبيخ بإدراكِ النُّجْح، ويصيرُ الشكر وَجْدًا، والحمد عَيبًا.

(٢١٤٤) ولذلك قال النبي ﷺ: «**أقِيلوا ذَوِي الهيئاتِ عَثَراتِهم إلا الحدود**»[1].

(٢١٤٥) وقال النابغة الجَعْدي:

ألـم تعلمـا أنَّ الملامــةَ نفعُهــا ... قليلٌ إذا مـا الـشيءُ ولَّـى فأدبرا

وأمَّا الإسعافُ في النوائب، فلأن الأيامَ غادرة، والنوازلَ غائرة[2]، والحوادثَ عارضة، والنوائبَ راكِضة، فلا يُعذَرُ فيها إلا عليم، ولا يَستنقذُهُ منها إلا سليم.

(٢١٤٦) وقد قال عديُّ بن حاتم:

= (١٠/ ١١٨)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ بشار بن عواد، وقد أفاد الحافظ البيهقي أنه مشهور من كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويغني عنه **ما** ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من عبدٍ أنعم اللَّهُ عليه نعمةً فأسبَغَها عليه؛ إلا جَعل إليه شيئًا من حوائج الناس، فإن تبرَّم بهم، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال**». **حسن**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٢٥٤)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٨٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٤/ ١٢)، **وجوَّد إسناده** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ٣٩١)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦١٨). [ط]

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٥)، وأبو داود (٤٣٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٢٥٤)، وأبو يعلى (٤٩٥٣)، وابن حِبَّان (٩٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٣)، وابن حزم في «المُحلَّى» (١١/ ٤٠٥)، والدَّارَقُطْني (٣/ ٢٠٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٦١)، من حديث أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وجوَّد** الإمام ابن حزم بعض طرقه، وكذا **صحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. [ط]

(٢) في المطبوعة: عائرة.

كفى زاجرًا للمرء أيامُ دَهْرِهِ　　　تروحُ له بالواعظاتِ وتغتدي

فإذا وَجد الكريمُ مصابًا بحوادثِ دهره، حثَّه الكرم، وشَكَر النعم على الإسعاف فيها بما استطاع سبيلًا إليه، ووَجَد قدرةً عليه.

(٢١٤٧) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيرٌ منَ الخيرِ مُعطِيه، وشرٌّ من الشرِ فاعله**»[1].

(٢١٤٨) وقيل لبعض الحُكماء: «هل شيءٌ خيرٌ من الذهب والفضة؟ قال: مُعطيهما».

والإسعافُ في النوائب نوعان: واجبٌ، وتبرع.

١ ـ فأمَّا الواجب: فما اختُصَّ بثلاثة أصناف؛ وهم: الأهلُ، والإخوان، والجيران.

أمَّا الأهل: فلِمُماسَّةِ الرحم، وتعاطُفِ النسَب.

(٢١٤٩) وقد قيل: «لم يسُدْ مَن احتاج أهلُه إلى غيره».

(٢١٥٠) وقال حسانُ بن ثابت:

وإن امرأً نال الغِنى[2] ثم لم يَنَلْ　　　قريبًا ولا ذا حاجةٍ لزهيدُ

وإن امرأً عادى[3] الرِّجالَ على الغِنى　　　ولم يَسألِ اللَّهَ الغِنى لَحسودُ

وأمَّا الإخوان: فلِمُستحكَمِ الوُد، ومتأكِّدِ العهد.

(٢١٥١) وسُئل الأحنفُ بن قيس عن المروءة، فقال: «صدقُ اللسان، ومواساةُ الإخوان، وذكرُ اللَّه تعالى في كلِّ مكان».

(٢١٥٢) وقال بعضُ حكماء الفرس: «صفة الصديق: أن يبذُلَ لك مالَه عند الحاجة، ونفسَه عند النكبة، ويحفظَك عند المَغيب».

(٢١٥٣) ورأى بعضُ الحكماء رجلين يصطحبانِ لا يفترقان، فسأل عنهما،

(١) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم، وتقدم برقم (٣٦٦) من كلام البعض. [ط]
(٢) في المطبوعة والشرح: المُنى.
(٣) في الأصل: عادل.

فقيل: «هما صديقان، فقال: ما بالُ أحدهما فقيرٌ، والآخر غني؟!».

وأمَّا الجار: فلِدُنُوِّ داره، واتصالِ مَزاره.

(٢١٥٤) قال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ليس حُسن الجوارِ كفَّ الأذى، بل الصبرُ على الأذى».

(٢١٥٥) وقال بعضُ الحكماء: «من أجار جارَه، أعانه اللَّهُ وأجارَه».

(٢١٥٦) وقال بعضُ البلغاء: «مَن أحسن إلى جاره، فقد دلَّ على حسن نِجَاره»[1].

(٢١٥٧) وقال بعض الشعراء:

وللجار حقٌّ فاحترز من أذاته ... وما خيرُ جارٍ لَمْ يَزَلْ لك مُؤذيًا

فيجبُ في حقوقِ المروءة، وشروطِ الكرم في هٰؤلاء الثلاثة: تحمُّل أثقالِهم، وإسعافُهم في نوائبهم، ولا فُسحةَ لذي مروءةٍ ـ مع ظهور المُكنة ـ أن يَكِلَهم إلى غيره، أو يُلجِئَهم إلى سُؤاله، ولْيَكن سائلُ نفسِه عنهم[2]، فإنَّهم عيالُ كرمِه، وأضيافُ مُروءته، فكما أنه لا يُحسِنُ أن يُلجئَ عيالَه وأضيافَه إلى الطلب والرغبة، فهٰكذا من عالَه كرمُه، وأضافته مُروءته.

(٢١٥٨) وقال بعض الشعراء:

حقٌّ على السيدِ المرجوِّ نائلُهُ ... والمستجارُ به في العُربِ والعَجمِ

ألَّا يُنيل الأقاصي صَوبَ راحتِهِ ... حتى يَخُصَّ به الأدنى مِن الخَدمِ

إن الفراتَ إذا جاشت غواربُه ... رَوَّى السَّواحلَ ثم امتدَّ في الأممِ

٢ ـ وأمَّا التبرع: ففيمن عدا هٰؤلاء الثلاثةِ من البُعداء الذين لا يُدلُون بنَسَب، ولا يتعلَّقون بسبب، فإنْ تبرَّع بفضلِ الكرم، وفائضِ المروءة، فنَهض في حوادثهم، وتكفَّل بنوائبهم، فقد زاد على شرطِ المروءة، وتجاوَزَها إلى شروط

---

(١) النِّجار: الأصل والحسب، لسان العرب (٦/ ١٤٣) باب (نجر).

(٢) في المطبوعة: وليكن السائل عنهم كرم نفسه.

الرياسة.

(٢١٥٩) وقيل لبعض الحكماء: «أيُّ شيءٍ من أفعال الناس يشبهُ أفعال الإلٰه؟ قال: الإحسانُ إلى الناس»(١).

وإن كفَّ تشاغلًا بما لَزِم فلا لومَ، ما لم يلجأ إليه مضطرٌّ؛ لأن القيامَ بالكل مُعوِز، والتكفُّلَ بالجميع متعذِّر، فهٰذا حكمُ المُؤازرة.

[٢] وأمَّا المياسرة(٢)، فنوعان:

أحدهما: العفو عن الهفوات.

والثاني: المسامحة في الحقوق.

فأمَّا العفوُ عن الهفوات، فلأنَّه لا مُبرَّأ من سَهوٍ وزلل، ولا سليمَ من نقصٍ أو خلل، ومَن رام سليمًا من هفوة، والتمس بريئًا من نَبوة، فقد تعدَّى على الدهر بشَطَطِه، وخادَع نفسه بغَلَطه، وكان من وجود بُغيته بعيدًا، وصار باقتراحه فردًا وحيدًا.

(٢١٦٠) وقد قالت الحكماء: «لا صديقَ لمن أراد صديقًا لا عيب فيه».

(٢١٦١) وقيل لأنوشِرْوان: «هل من أحدٍ لا عيب فيه؟ قال: مَن لا موتَ له(٣)».

وإذا كان الدهرُ لا يوجِدُه ما طلب، ولا يُنيلُه ما أحب، وكان الوحيدُ في الناس مرفوضًا قصيًّا، والمنقطعُ عنهم وحشيًّا، لزمه مساعدةُ زمانه في القضاء، ومياسرةُ إخوانه في الصَّفح والإغضاء.

(٢١٦٢) رُوي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه تعالى أمرني بمُداراةِ الناس، كما أمرني بأداء الفرائض**»(٤).

---

(١) وأين الصفح، والرحمة، والحكمة... وغير ذٰلك؟!!. [ط]

(٢) وهو الثاني في شروط المروءة في غيره، وراجع ص (٦١٥). [ط]

(٣) يعني اللَّهَ تبارك وتعالى، واللَّهُ تعالى أعلم. [ط]

(٤) **ضعيف جدًّا:** رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٥) وابن مردويه في «ثلاثة مجالس من الأمالي» (٣٢)، وأبو مطيع المصري في «الأمالي» - أيضًا - (١ / ٣٣ / ٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٩)، من حديث أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وضعَّفه** الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٢)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/ ٢٦)، والإمام العجلوني في «كشف الخفا» =

(٢١٦٣) وقال بعضُ الأدباء: «ثلاثُ خصالٍ لا تجتمعُ إلا في كريم: حُسن المَحضَر، واحتمالُ الزَّلَّة، وقلَّةُ المُلال».

(٢١٦٤) وقال ابن الرومي:

فعُـذرُكَ مبسوطٌ لـذنبٍ مقـدَّمٍ ... ووُدُّك مقبولٌ بأهلٍ ومَرْحَبِ
ولـو بلَّغَتْني عنك أُذني أقمتُها ... لـديَّ مَقامَ الكاشِحِ المُتكذِّبِ
فلستُ بتقليب اللسان مُصارِمًا ... خليلًا إذا ما القلبُ لم يتقلَّبِ

وإذا كان الإغضاءُ حتمًا، والصفحُ لازمًا، ترتَّب بحسب الهفوة، وتنزَّلَ بقدر الذنب.

[أنواع المعاصي]:

والهفواتُ نوعان: صغائر، وكبائر.

١ ـ فالصَّغائر مغفورة، والنفوس بها معذورة، لأنَّ الناس مع أطوارهم المختلفة، وأخلاقِهم المتفاضلة لا يَسلَمون منها، فكان الوَجْد فيها مُطَّرَحًا[1]، والعَتبُ مستقبَحًا.

(٢١٦٥) وقد قال بعض العلماء: «مَن هجر أخاه مِن غير ذنبٍ، كان كمَن زَرَع زرعًا، ثم حَصده في غير أوانه».

(٢١٦٦) وقال أبو العتاهية[2]:

وشرُّ الأخلاءِ مَنْ لم يَزَلْ ... يُعَاتِبُ طَورًا وطورًا يَذُمْ
يُريكَ النصيحةَ عند اللقاءِ ... ويَبريكَ في السرِّ بريَ القَلَمْ

٢ ـ وأمَّا الكبائر فنوعان:

أحدهما: أن يهفوَ بها خاطئًا، ويَزِلَّ بها ساهيًا، فالحَرَجُ فيها مرفوع، والعتبُ

= (١/ ٤٨٣)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٨١٠)، و«ضعيف الجامع» (١٥٦٧). [ط]

(١) الوَجد: الحزن والغضب. مطرحًا: مستبعدًا. [ط]

(٢) الأبيات في ديوانه (٥٠٤).

عليها موضوع؛ لأن هفوةَ الخاطئ هَدَر، ولَومَه هَذَر.

(٢١٦٧) وقال بعضُ الحكماء: «لا تقطعْ أخاك إلا بعد عَجزِ الحيلةِ عن استصلاحه.

(٢١٦٨) وقال الأحنفُ بن قيس: «حقُّ الصَّديق أن تحتملَ له ثلاثًا: ظلمُ الغضب، وظلمُ الدَّالة[1]، وظلمُ الهفوة».

(٢١٦٩) وحكى ابنُ عَون: «أنَّ غلامًا هاشميًّا عَربَدَ[2] على قوم، فأراد عمُّه أن يسيءَ إليه، فقال: يا عم، إني قد أسأتُ وليس معي عقلي، فلا تُسِئْ بي ومعك عقلُك».

(٢١٧٠) وقال أبو نُواس:

لم أؤاخِذْك إذ جنيت لأنِّي	واثقٌ منك بالإخاءِ الصحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ	وقبيحُ الصَّديقِ غيرُ قبيحِ

فإن تشبَّه خطؤُه بالعَمد، وسهوُه بالقصد، تثبَّتَ، ولم يلُمْ بالتوهُّم فيكون ملومًا، ولا يلومَ بالظن فيصيرُ مذمومًا.

(٢١٧١) ولذلك قيل: «التثبُّتُ نصفُ العفو».

(٢١٧٢) وقال بعضُ الحكماء: «لا يُفسِدْك الظنُّ على صديقٍ أصلَحَك اليقينُ له».

(٢١٧٣) وقال بعض شعراء هُذيل:

فبعضُ الأمر تصلحُه ببعضٍ	فإنَّ الغثَّ يَحمِلُه السَّمينُ
ولا تَعْجَلْ بظنِّك قبلَ خُبْرٍ	فَعِنْدَ الخُبْرِ تنقطعُ الظُّنونُ
ترى بين الرِّجالِ العينُ فضلًا	وفيما أضمرُوا الفضلُ المُبينُ
كلونِ الماءِ مُشتبهًا وليستْ	تُخبِّرُ عن مذاقتِهِ العُيونُ

(١) الدَّالة: الإدلال، وهو إذا خرج عن حده صار ظلمًا. [ط]

(٢) العَربدة: سوء الخلق. [ط]

والثاني: أن يعتمدَ ما اجترم من كبائره، ويقصِدَ ما اجتَرح من سيئاته، ولا يخلو فيما أتاه من أربع أحوال:

فالحالة الأولى: أن يكون موتورًا[١]، قد قابَل على وَتِرَته، وكافأ على مساءته، فاللائمةُ على من وَتَرَه عائدةٌ، وإلى البادئ بها راجعة؛ لأنَّ المكافئَ أعذر[٢]، وإن كان الصفحُ أجمل.

(٢١٧٤) ولذلك قال النبي ﷺ: «**إياكم والمُشارَّة**[٣]**، فإنَّها تُميتُ الغُرَّة، وتُحيي الغِرَّة**[٤]»[٥].

(٢١٧٥) وقال بعضُ الحُكماء: «مَنْ فعل ما شاء، لقي ما لم يشأ».

(٢١٧٦) وقال بعضُ الأدباء: «مَن نالتْه إساءتُك، هَمَّتْه مساءتُك».

(٢١٧٧) وقال بعضُ البُلغاء: «مَن أُولِع بقبح المعاملة، أُوْجِعَ بقبح المقابلة».

(٢١٧٨) وقال صالحُ بن عبدِالقدوس:

إذا وَتِرتَ امرأً فاحذَرْ عداوتَهُ ... مَنْ يَزْرَعِ الشَّوك لا يَحصُدْ به عِنَبا

إنَّ العدوَّ وإن أبدى مسالمةً ... إذا رأى منك يومًا فُرصَةً وَثَبَا

والإغضاءُ عن هٰذا واجب[٦] ـ وإن لم تكن المكافأةُ ذنبًا ـ ؛ لأنه قد رأى عُقبى إساءته، فإن واصَل الشرَّ واصلته المكافأة.

(٢١٧٩) وقد قيل: «باعتزالك الشرَّ يعتزِلْك، وبحُسنِ النَّصَفةِ[٧] يكثُر الواصلون».

---

(١) **المَوتور**: الذي فقد أهله أو ماله. [ط]

(٢) أي: من كافأ من أساء إليه بمثل إساءته فهو معذور. [ط]

(٣) **المُشارَّة**: المخاصمة. [ط]

(٤) في المطبوعة: العُرة.
قلت: وعلى ما أثبتناه: **فالغُرَّة** ـ بالضم ـ : نورُ الوجه، **والغِرَّة** ـ بالكسر ـ : الغرور، وعلى ما في المطبوع، فإن العُرَّة هي المساوئ والمقابح، وأصل الكلمة من القذَر وعَذِرةِ الناس. [ط]

(٥) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللّٰهُ تعالى أعلم. [ط]

(٦) في المطبوعة: أوجب.

(٧) **النصفة**: الإنصاف. [ط]

(٢١٨٠) وقال بعضُ الحكماء: «من كنتَ سببًا لبلائه، وَجب عليك التلطُّفُ له في علاجه من دائه».

(٢١٨١) وقد قال أوس بن حُجر:

إذا أنت لم تُعرِضْ عن الجهل والخَنَا ... أصبت حليمًا أو أصابك جاهِلُ

والحالة الثانية: أن يكون عدوًّا قد استحكمت شحناؤُه، واستَوعرت سَرَّاؤه، واستخشَنت ضَرَّاؤه، فهو يتربَّصُ بدوائرِ السوءِ انتهازَ فُرَصِه، ويتجرَّعُ لمهانةِ العَجز مرارةَ غُصصِه، فإذا ظفر بنائبةٍ ساعدها، وإذا شاهَد نعمةً عاندها، فالبُعدُ منه حَذرًا أسلم، والكفُّ عنه مُتاركةً أغنم؛ فإنَّه لا يَسلَمُ من عواقب شرِّه، ولا يُفلت من غوائل مكره.

(٢١٨٢) وقد قالت الحكماء: «لا تَعرِضنَّ لعدوِّك في دولتِه، فإذا زالت كُفِيتَ شرَّه».

(٢١٨٣) وقال لقمان لابنه: «يا بني، كَذَب من قال: إن الشرَّ بالشرِّ يُطفأ، فإن كان صادقًا فلْيُوقِدْ نارَين، ولْيَنظر هل تُطفئُ إحداهما الأخرى؟ وإنما يُطفئُ الخيرُ الشرَّ، كما يطفئُ الماءُ النارَ»[١].

(٢١٨٤) وقال جعفرُ بن محمد: «كفاك من اللَّه نصرًا أن ترى عدوَّك يعصي اللَّهَ فيك».

(٢١٨٥) وقال بعضُ الحكماء: «بالسِّيرة العادلة يُقهر المُعادِي».

(٢١٨٦) وقال البُحتري:

وأُقْسِمُ لا أَجْزِيك بالشرِّ مثلَهُ ... كَفَى بالذي جازيتَني لكَ جازِيا

والحال الثالثة: أن يكون لئيمَ الطبع، خبيثَ الأصل، قد أغراه لؤمُ الطبعِ على سوءِ الاعتقاد، وبَعَثه خُبثُ الأصل على إتيانِ الفساد، فهو لا يستقبح الشرَّ، ولا يكفُّ عن المكروه، فهٰذه الحالة أطم[٢]، لأنَّ الإضرار بها أعَم، ولا سلامةَ من مثلِه

(١) الخبر في روضة العقلاء، لابن حبان (٥٥٤)، ومدارة الناس، لابن أبي الدنيا (١٤١).

(٢) في المطبوعة: أعظم.

إلَّا بالبُعد والانقباض، ولا خلاصَ منه إلَّا بالصَّفح والإعراض، فإنَّه كالسبُع الضاري في سوارح النَّعَم[(١)]، وكالنَّار المتأجِّجةِ في يابس الحطَب، لا يقربُها إلَّا تالف، ولا يدنو منها إلَّا هالك.

(٢١٨٧) رَوَى مكحولٌ، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الناسُ كشجرةٍ ذات جَنًى، ويوشِكُ أن يعودُوا كشجرةٍ ذات شَوك، إن ناقدتَهم ناقدوك، وإن هربتَ منهم طلبوك، وإن تركتَهم لم يتركوك**»، قيل: يا رسول اللَّه، وكيف المَخرج؟ قال: «**أقرِضْهم من عِرْضِك ليوم فاقتِك**»[(٢)].

(٢١٨٨) وقال عبدُاللَّه بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «العاقلُ الكريم صديقٌ لكُلِّ أحدٍ، إلا مَن ضرَّه، والجاهلُ اللئيمُ عَدُوٌّ لكلِّ أحدٍ، إلا من نفعه».

(٢١٨٩) وقال بعضُ الحكماء: «شرُّ ما في الكريم أن يمنعَك خيرَه، وخيرُ ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرَّه».

(٢١٩٠) وقال بعضُ البلغاء: «أعداؤك داؤك، وفي البُعد عنهم شفاؤُك».

(٢١٩١) وقال بعضُ البلغاء: «شرفُ الكريم تغافُلُه عن اللئيم».

(٢١٩٢) ووصَّى بعضُ الحكماء ابنه، فقال: «يا بني، إذا سَلِم الناسُ منك، فلا عليك ألَّا تسلمَ منهم، فإنَّه قلَّما اجتمعت هاتانِ النعمتان».

(٢١٩٣) وقال عبدُالمسيح بن عمرو بن بُقَيْلة[(٣)]:

الخيرُ والشَّرُّ مقرونانِ في قَرَنِ فالخيرُ مُسْتَتَبَعٌ والشرُّ محذورُ

والحال الرابعة: أن يكون صديقًا قد استَحدث نَبوةً وتغيُّرًا، أو أخًا قد استجدَّ

---

(١) في المطبوعة: الغنم.

(٢) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٢٦)، وفي «مسند الشاميين» (١٣٧١)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢١٩)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣١١)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٧٣٢)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٦/ ٣٩٨)، والخِلعي في «الفوائد» (٢/ ٦٠/ ١)، وقد بين الإمام ابن الجوزي أن من رفعه فقد أخطأ، وأنه من كلام أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قلت: وهو كذلك عند أغلب من خرَّجوه. **وضعَّف** المرفوع ـ أيضًا ـ الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٥٥٨)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٦٣٨). **[ط]**

(٣) لم أجده، واللَّه أعلم.

جَفوةً وتنكُّرًا، فأبدى صفحةَ عُقوقه، واطَّرح لازمَ حقوقه، وعَدَل عن بِرِّ الإخاء، إلى جفوةِ الأعداء، فهٰذا قد يَعرِضُ في المودَّات المستقيمة، كما تَعرِضُ الأمراضُ في الأجسام السليمة، فإن عُولجت أقلعت، وإن أُهملت أسقمت ثم أَتلفت.

(٢١٩٤) ولذٰلك قالت الحكماء: «دواءُ المودة بكثرةِ التعاهُد».

(٢١٩٥) وقال كُشاجم:

أَقِـلْ ذا الـوُدِّ عَثْـرَته وقِفْـهُ ... علـى سَنَن الطريق المُستقِيمةْ

ولا تُـسرِع بمَعتـبةٍ إلـيهِ ... فقـد يَهفُـو ونيَّـتُه سَـلِيمةْ

[هل الأصلح هَجْرُ الأخ عند فساده أم القُرب منه؟]:

ومِن الناس من يرى أنَّ متاركةَ الإخوان إذا نفَروا أصلَحُ، واطِّراحَهم إذا فسدوا أولى، كأعضاءِ الجسد، إذا فَسَدت كان قطعُها أسلم، فإن شحَّ بها سَرَت إلى نفسِه، وكالثوب إذا خَلِق، كان اطراحُه بالجديدِ أحمد مِن لبسه.

(٢١٩٦) وقد قال بعضُ الحكماء: «رغبتُك فيمن يزهدُ فيك ذُلُّ نفسٍ، وزُهدُك فيمن يرغبُ فيك صِغَر هِمَّة».

(٢١٩٧) وقد قال بُزُرْجَمِهر: «مَن تغيَّر عليك في مودته، فدَعْه حيث كان قبلَ معرفته».

(٢١٩٨) وقال نصرُ بن أحمد[1]:

صِـلْ مـن دنـا وتـناسَ مَـن بعُدا ... لا تُكـرِهَنَّ على الهـوى أَحَـدَا

قـد أكثـرتْ حـوَّاءُ إذ ولـدتْ ... فـإذا جفـا ولـدٌ فخـذ ولَـدَا

وهٰذا مذهبُ مَن قلَّ وفاؤه، وضعُف إخاؤه، وساءت طرائقُه، وضاقت خلائقه، ولم يكن فيه فضلُ الاحتمال، ولا صبرٌ على الإدلال، فقابلَ على الجفوة، وعاقَب

(١) نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون، أبو القاسم البصري، المعروف بالخُبزأُرزي، شاعر أمي مجيد، كان لا يتهجى ولا يكتب، وكان خبازًا يخبز خبز الأرز بالبصرة، توفي عام (٣٢٧).
ترجمته في: معجم الأدباء (٦/ ٢٧٤٥)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٧٦)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٦).

على الهفوة، واطَّرح سالفَ الحقوق، وقابَل العقوقَ بالعقوق؛ فلا بالفضل أخذَ، ولا إلى العفوِ أخلد، وقد عَلِمَ أن نفسه قد تطغى عليه فتُردِيه، وأن جسمَه قد يَسقَمُ عليه فيؤلمُه ويؤذيه، وهما أخصُّ به، وأحنى عليه من صديقٍ قد تميَّز بذاته، وانفصل بأدواته، فيريدُ من غيره لنفسِهِ ما لا يَجِدُه من نفسِه لنفسِه.

هٰذا عينُ المحال، ومَحضُ الجهل، مع أن مَن لم يَحتمل بقي فردًا، وانقلب الصديقُ فصار عدوًّا، وعداوةُ مَن كان صديقًا أعظمُ من عداوةِ من لم يزل عَدُوًّا.

(٢١٩٩) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**أحبِبْ حبيبَك هونًا ما**»[١].

(٢٢٠٠) وقال ﷺ: «**أوصاني ربي بسبع**[٢]**: الإخلاصُ في السرِّ والعلانية، وأن أعفوَ عمَّن ظَلَمني، وأُعطيَ مَن حرمني، وأصلَ من قَطَعني، وأن يكونَ صمتي فِكرًا، ونُطقي ذِكرًا، ونظري عِبرةً**»[٣].

(٢٢٠١) وقال لقمانُ لابنه: «يا بُني، لا تترك صديقَك الأوَّل، فلا يطمئنَّ إليك الثاني. يا بُني، اتخِذْ ألفَ صديق ـ والألفُ قليل ـ، ولا تتخذ عدوًّا واحدًا ـ والواحد كثير ـ».

(٢٢٠٢) وقيل للمهلَّب بن أبي صُفرة[٤]: «ما تقول في العفو والعقوبة؟ قال: هما بمنزلةِ الجُود والبخل، فتمسَّك بأيهما شئت».

(٢٢٠٣) وأنشد ثعلب:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم برقم (١٠١١). **[ط]**

(٢) لفظ الرواية المخرجة «**بتسع**».

(٣) **لا أعلم له أصلًا**، واللّٰهُ تعالى أعلم، وقد أشار إليه الإمام ابن الأثير في «جامع الأصول» (٩٣١٧)، والإمام التبريزي في «المشكاة» (٥٣٥٨)، وقال الشيخ الألباني: «**لم تتمَّ دراسته**». وأورد القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٥٩)، روايةً عن ابن عائشة عن أبيه أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «**إن ربي أمَرَني أن يكون نُطقي ذِكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عبرةً**»، **وضعَّفه** الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٥٠)، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٦٧)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/ ١٦٨). **[ط]**

(٤) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة، واسمه ظالِم بن سراق بن صبح بن كندي، الأزدي البصري، كان من أشجع الناس، وكان سيدًا جليلًا، توفي عام (٨٣).
ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٣٥٠).

إذا أنت لـم تستقبلِ الأمرَ لم تَجِد ... بكفَّـــيك في إدبـــاره مُـــتَعلَّقا

إذا أنــت لــم تتــركْ أخــاك وَزَلَّـةً ... إذا زلَّهـــا أوشــكتُما أن تفـــرَّقا

فإذا كان الأمرُ على ما وصفتُ، فمِن حُقوق الصَّفح الكشفُ عن سبب الهفوة، ليعرفَ الداءَ فيعالجَه، فإنَّ مَن لم يعرف الدَّاء، لم يقف على الدواء.

(٢٢٠٤) كما قال المتنبي:

فـإنَّ الجُـرحَ يَنغَـرُ بعـد حِـينٍ ... إذا كـان البــناءُ على فَــسَادِ[1]

وإذا كان ذٰلك كذٰلك، فلا يخلو حالُ السبب من أن يكون لِمللٍ أو زَلل؛ فإن كان لمللٍ فمودَّاتُ المَلول ظِلُّ الغمام، وحُلم النيام.

(٢٢٠٥) وقد قيل في منثور الحكم: «لا تأمنَنَّ لملولٍ وإن تحلَّى بالصِّلة».

وعلاجُه: أن يُترك على مَلَلِه، فيملَّ الجفاء، كما ملَّ الإخاء.

وإن كان لزللٍ لُوحظت أسبابُه، فإن كان لها مَدخلٌ في التأويل، وشُبهةٌ تؤولُ إلى جميل، حَمَله على أجمل تأويل، وصرفَه إلى أحسنِ جهة.

(٢٢٠٦) كالذي حُكي عن خالدِ بن صفوان: «أنه مَرَّ به صديقانِ له، فعرَّج عليه أحدهما، وطواه الآخر، فقيل لـه في ذٰلـك، فقـال: نَعم؛ عرَّج علينا هٰذا بفضله، وطوانا ذٰلك لثقته بنا».

(٢٢٠٧) وأنشد بعضُ أهل الأدب، لمحمدِ بن داود الأصفهاني:

وتــزعُمُ للواشــينَ أنِّــي فاســدٌ ... علـيك وأني لستُ فيما عهدتَني

ومـا فـسدتْ لـي يعلـمُ اللَّـهُ نـيةٌ ... علـيك ولٰكـن خُنتنـي فاتَّهمتَني

غـدرتَ بعهـدي عامدًا وأَخفتني ... فخِفــتَ ولــو آمنتنــي لأمِنتنــي

وإن لم يكن لزلَلِه في التأويل مدخل، نَظر حاله بعد زلَلِه، فإن ظهر ندمُه، وبان خجلُه، فالنَّدمُ توبة، والخجلُ إنابة، ولا ذنبَ لتائب، ولا لومَ على مُنيب، ولا يكلَّفُ عُذرًا عمَّا سلف، فيَلجأ إلى ذُلِّ التحريف، أو خَجل التعنيف.

---

(١) ينغر: يفسد أو يسيل دمُه. [ط]

(٢٢٠٨) ولذلك قال النبي ﷺ: «إياكم والمَعاذِر، فإنَّ أكثرَها مَفاجر»[١].

(٢٢٠٩) وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كفى بما يُعتذر منه تُهمةً».

(٢٢١٠) وقال مسلم بن قُتيبة، لرجل اعتذر إليه: «لا يدعُونَّك أمرٌ قد تخلَّصت منه، إلى الدخول في أمرٍ لعلك لا تخلصُ منه».

(٢٢١١) وقال بعضُ الحكماء: «شفيعُ المذنب إقرارُه، وتوبتُه اعتذارُه».

(٢٢١٢) وقال بعضُ البلغاء: «مَن لم يقبل التوبةَ عظُمت خطيئتُه، ومَن لم يُحسِن إلى التائب قبُحت إساءته».

(٢٢١٣) وقال بعضُ الحكماء: «الكريمُ أوسعُ ما يكونُ مغفرة، إذا ضاقت بالذنب المعذرة».

(٢٢١٤) وقال بعضُ الشعراء:

العذرُ يلحقُه التحريفُ والكذبُ ... وليسَ في غير ما يرضيك لي أَرَبُ

وقد أسأتُ فبالنُّعمى التي سلفتْ ... إلَّا مَنَنْتَ بعفوٍ ما له سَبَبُ

وإن عجَّل العُذر قبل توبته، وقدَّم التنصُّلَ قبل إنابته، فالعذرُ توبة، والتنصُّل إنابة، فلا يُكشفُ عن باطن عُذره، ولا يُعَنَّف بظاهر غَدره، فيكون لئيمَ الظفر، سَيئَ المكافأة.

(٢٢١٥) وقد قيل: «مَنْ غلبته الحِدَّة فلا تغترَّ بمودَّته».

(٢٢١٦) وقال بعض الحكماء: «شافعُ المذنب خضوعُه إلى عذره».

(٢٢١٧) وقال بعضُ الشعراء:

اقبَلْ معاذيرَ مَنْ يأتيك معتذرًا ... إنْ برَّ عندكَ فيما قالَ أو فَجرا

---

(١) **لا أعلم له أصلًا عنه ﷺ**، وإنما ورد ـ بنحوه ـ من كلام مطرِّف بن عبدالله أنه قال: «المعاذر مفاجر، والمعتاب مغاضب»، رواه ـ بلفظه ـ أحمد في «الزهد» (١٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٠٧)، وفي «ذمِّ الكذب» (٤٣)، مقتصرًا على الجملة الأولى.
وأخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٦٦٠) عن عبدِالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إياكم والمعاذر، فإن كثيرًا منها كذب». [ط]

فقـد أطاعـكَ مَـن يُرضِـيكَ ظاهـرُه وقـد أجلَّـك مَـن يعـصيكَ مُـسترَا

وإن تَرك نفسَه في زلَلِه، ولم يتداركْه بعُذره وتنصُّله، ولا محاه بتوبتِه وإنابته، راعيتَ حاله في المتاركة، فستجده لا ينفكُّ فيها من أمور ثلاثة:

أحدها: أن يكون قـد كفَّ عن سَيِّئ عملـه، وأقلعَ عن سالفِ زلَلِه، فالكفُّ إحدى التوبتين، والإقلاعُ أحـدُ العُـذرين، فكـنْ أنت المعتـذرَ عنـه بصَفْحِك، والمتنصِّلَ له بفضلك.

(٢٢١٨) فقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المحسِنُ على المسيء أمير».

والثاني: أن يكون قد وقف على مـا أَسلَف من زلَلِـه، غيرَ تاركٍ ولا متجاوز، فوقوفُ المرض أحد البُرْأين، وكفُّه عن الزيادة إحدى الحُسنَيين، وقد استبقى بالوقوفِ عن التجاوز أحدَ شَطرَيه، فعوِّل به على صلاح شطرِه الآخر، وإياك وإرجاءَه، فإن الإرجاءَ يُفسِدُ شطرَ صلاحه، والتلافي يُصلحُ شطرَ فساده؛ فإنَّ من سَقُم من جسمه ما لم يُعالجه سَرى السُّقمُ إلى صحته، وإن عالجه سَرَت الصحةُ إلى سُقمه.

والثالث: أن يتجاوَزَ مع الأوقات، فيزيدَ فيه على مرور الأيام، فهٰذا هو الدَّاء العُضال، فان أمكنَ استدراكُه، وتأتّى استصلاحُه، وذٰلك باستنزالِه عنه إن عَلا، وبإرغابِه إن دنا، وبعتابِه إن ساوى، وإلا فآخِرُ الداءِ العَياءِ[1] الكيُّ، ومَن بلغت به الأعذارُ إلى غايتها، فلا لائمةَ عليه، والمقيمُ على شِقاقِه باغٍ مصروع.

(٢٢١٩) وقد قيل: «مَن سلَّ سيفَ البغي، أغمِدْه في رأسه».

فهٰذا شرط.

وأمَّا المسامحةُ في الحقوق، فلأن الاستيفاءَ مُوحِش، والاستقصاءَ مُنفِّر، ومَن أراد كُل حقِّه من النفوس المستصعَبةِ بشُحٍّ أو طمع، لم يصِل إليه إلا بالمنافرة والمشاقة، ولم يقدِر عليه إلا بالمُخاشنة والمشاحَّة؛ لِمَا استقرَّ في الطباع من مَقْتِ من شاقَّها ونافَرها، وبُغضِ من شاحَّها ونازعها، كما استقرَّ فيها حُبُّ من ياسَرَها وسامَحها، فكان أليَقَ الأمور بالمروءةِ استلطافَ النفوس بالمُياسَرة والمسامحة،

---

(١) العَياء: الذي عجز عن علاجه الأطباء. [ط]

وتألُّفَها بالمقاربةِ والمساهلة.

(٢٢٢٠) قال بعضُ الحكماء: «مَن عاشَر إخوانَه بالمسامحة، دامت له مودَّاتُهم».

(٢٢٢١) وقال بعضُ الأدباء: «إذا أخذتَ عفوَ القلوب زكا رَيعُك، وإن استقصيتَ أكديتَ».

[نوعا المسامحة]:

والمسامحةُ نوعان: في عقود، وحقوق.

١ ـ فأمَّا العقود: فهو أن يكونَ فيها سَهلَ المُناجَزة، قليلَ المُحاجَزة، مأمونَ الغَيبة، بعيدًا من المكر والخديعة.

(٢٢٢٢) رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«أَجْمِلوا في طلب الدُّنيا، فإنَّ كُلًّا مُيسَّرٌ لِمَا كُتب له منها»**[١].

(٢٢٢٣) وقال ﷺ: **«ألَّا أدُلُّكم على شيءٍ يُحبُّه اللَّه تعالى ورسوله؟»**، قالوا: بلى ـ يا رسول اللَّه ـ، قال: **«التغابُنُ للضعيف[٢]»**[٣].

(٢٢٢٤) وحكى ابنُ عَون أن عمرَو بن عُبيدٍ[٤] اشترى للحسن البصري إزارًا بستةِ دراهمَ ونصف، فأعطى التاجرَ سبعةَ دراهم، فقال له: ثمنُه ستةُ دراهم ونصف! فقال: إني اشتريته لرجل لا يقاسِمُ أخاه درهمًا».

ومن الناس من يرى أن المساهلةَ في العقود عجزٌ، وأنَّ الاستقصاءَ فيها حَزْم،

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢١٤٢)، والحاكم (٢/ ٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤١٨)، وفي «الزهد» (٢٣٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧١٦)، والبزار (٣٧١٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٦٤)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٤٣٥)، عن أبي حُميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الإمام البزار: «لا نعلمه يُروى عن رسول اللَّه ﷺ بإسنادٍ أحسن من هٰذا الإسناد»، وقال الإمام أبو نُعيم: **«حديثٌ ثابت مشهور»، وضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط. **[ط]**

(٢) **التغابُن**: الخسارة، والمراد: التغافل والتسامح. **[ط]**

(٣) **لا أعلمُ له أصلًا**، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٤) في المطبوعة: عمر بن عبداللَّه.

حتى إنه ليُماكِسُ[1] في التافهِ الحقير، وإن جادَ بالجليل الكثير.

(٢٢٢٥) كالذي حُكي عن عبدِاللَّـه بـن جعفـر ـ وقد ماكَس في درهم، وهو يجودُ بما يجود به ـ ، فقيل له في ذٰلك، فقال: «ذٰلك مالي أجودُ به، وهٰذا عقلي بخِلتُ به».

وهٰذا إنما يسُوغُ من أهل المروءةِ في دفع ما يخادعُهم به الأدنياء، ويغابنُهم به الأشحَّاء، وهٰكذا كانت حالُ عبدِاللَّه بن جعفر، فأمَّا مُماكسةُ الاستنزال والاستسماح، فَكَلَّا، لأنَّه منافٍ للكرم، ومباينٌ للمروءة.

٢ ـ وأمَّا الحقوق: فتتنوعُ المسامحةُ فيها نوعين:

أحدهما: في الأحوال.

والثاني: في الأموال.

[أ] فأمَّا المسامحةُ في الأحوال: فهي اطراحُ المنازعةِ في الرُّتب، وترك المنافسة في التقدُّم، فإنَّ مُشاحَّةَ النفوس فيها أعظم، والعنادَ عليها أكثر، فإن سامَح فيها ولم ينافِس، كان ـ مع أخذه بأفضل الأخلاق، واستعمالِهِ لأحسنِ الآداب ـ أوقعَ في النفوس من إفضالِه برغائبِ الأموال، ثم هو أزيدُ في رُتبته، وأبلغُ في تقدُّمه.

وإن شاحَّ فيها ونازَعَ، كان ـ مع ارتكابه لأخشنِ الأخلاق، واستعمالِه لأهجَنِ الآداب ـ أنكى في النفوس من حدِّ السيفِ وطَعنِ السِّنان، ثم هو أخفضُ للمرتبة، وأمنعُ من التقدُّم.

(٢٢٢٦) حُكي أن فتًى من بنى هاشم تخطَّى رقابَ الناس عند ابن أبي داود، فقال: «يا بُني، إن الآدابَ ميراثُ الأشراف، ولستُ أرى عندك من سَلَفك إرثًا».

٢ ـ وأمَّا المسامحة في الأموال: فتتنوع ثلاثة أنواع:

ـ مسامحةُ إسقاطٍ لعُدْم.

ـ ومسامحةُ تخفيفٍ لعَجْز.

ـ ومسامحةُ إنكارٍ لعُسرة.

(١) في المطبوعة: لينافس.

وهي مع اختلاف أسبابها تفضُّلٌ مأثور، وتألُّفٌ مشكور، وإذا كان الكريمُ قد يجودُ بما تحويهِ يده، وينفُذُ فيه تصرُّفه، كان أولى أن يجودَ بما خرج عن يده، فطاب نفسًا بفِراقه.

وقد تصلُ المسامحةُ في الحقوق إلى مَن لا يقبلُ البر، ويأبى الصِّلة، فيكون أحسنَ موقعًا، وأزكى مَحِلًّا، وربما كانت المسامحةُ فيها آمنَ من ردِّ السائل، ومنعِ المُجتدي[1]؛ لأن السائلَ كما اجترأَ على سؤالك، فسيجترئُ على سؤالِ غيرك إن رددتَه، وليس كلُّ من صار أسيرَ حقِّك، ورهينَ دينِك، يجدُ بُدًّا من مسامحتِك ومُياسرتِك، ثم لك مع ذٰلك حسنُ الثناء، وجزيلُ الأجر.

(٢٢٢٧) وقال محمود الورَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المرءُ بعدَ الموت أُحدوثةٌ ... يَفنَى وتبقى منه آثارُهُ

فأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ ... تطيبُ بعد الموتِ أخبارُهُ

فهٰذه حالُ المُياسرة.

[٣] وأمَّا الإفضال[2] فنوعان: إفضالُ اصطناع، وإفضالُ استكفافٍ ودفاع.

١ ـ فأمَّا إفضالُ الاصطناع فنوعان:

أحدهما: ما أسداه جُودًا في شَكور.

والثاني: ما تألَّفَ به نَبْوةَ نَفُور.

وكلاهما من شروطِ المروءة، لما فيهما من ظهورِ الاصطناع، وتكاثُر الأشياع والأتباع، ومَن قلَّت صنائعُه في الشاكرين، وأعرضَ عن تألُّف النافرين، كان فردًا مهجورًا، وتابعًا محقورًا، ولا مروءةَ لمتروكٍ مُطَّرح، ولا قدْرَ لمحقورٍ مُهتضَم.

(٢٢٢٨) وقال عمرُ بن عبدِالعزيز: «ما طاوعني الناسُ على شيءٍ أردتُه من الحق، حتى بسطتُ لهم طرَفًا من الدنيا».

(٢٢٢٩) وقال بعضُ الحكماء: «أقلُّ ما يجبُ للمُنعِم بحقِّ نعمته: ألَّا يتوصلَ

(١) **المُجتدي**: الطالب. [ط]

(٢) وهو الثالث من شروط المروءة في غيره. [ط]

بها إلى معصيته».

(٢٢٣٠) وأُنشدت لبعض الأعراب:

مَن جَمَع المالَ ولم يَجُد بِهِ
وجَمَّعَ المالَ لعام جَدْبِهِ
هانَ على النَّاسِ هوانَ كلبِهِ

(٢٢٣١) وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

يبقى الثناءُ وتذهبُ الأموالُ ... ولكُلِّ دهرٍ دَوْلَةٌ ورجالُ
ما نالَ محمدةَ الرجالِ وشُكرَهم ... إلا الجوادُ بمالِه المفضالُ
لا ترضَ من رجلٍ حلاوةَ قولِه ... حتى يُصدِّقَ ما يقولُ فِعالُ

فإن ضاقت به الحالُ عن الاصطناع بماله، فقد عَدِم من آلةِ المكارم عمادَها، وفَقَد من شروطِ المروءة سِنادها[1]، فلْيُواسِ بنفسِه مواساةَ المسعِف، وليُسعِدْ بها إسعادَ المتألف.

(٢٢٣٢) قال المتنبي:

[لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ ... فليُسعدِ النُطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ]

وإن كان لا يراها ـ وإن أجهدها ـ إلَّا تبعًا للمُفضِلين، قليلةً بين المكثِرين؛ فإن الناس لا يساوون بين المعطي والمانع، ولا يُقنعُهم القولُ دون الفعل، ولا يُغنيهم الكلامُ عن المال، ويرَونه كالصَّدى إن ردَّ صوتًا، لم يُجْدِ نفعًا.

(٢٢٣٣) كما قال الشاعر:

يَجودُ بالوعدِ ولٰكنَّه ... يَدْهُن من قارورةٍ فارغةْ

فكلُّ ما خرج عندَهم عن المال كان فارغًا، وكلُّ ما عدا الإفضال به كان هينًا. وقد قدَّمنا من القولِ في شروط الإفضال ما أقنع.

---

(١) السِّناد: الأساس والأصل. **[ط]**

٢ ـ وأمَّا الإفضال للاستكفاف[١]: فلأنَّ ذا الفضلِ لا يَعدِمُ حاسدَ نعمة، ومعانِدَ فضيلة، يعتريهِ الجهلُ بإظهار عناده، ويبعثُه اللؤمُ على البَذاء بسفهه، فإن غَفل عن استكفافِ السفهاء، وأعرَض عن استدفاع أهلِ البذاء، صار عِرْضُه هدفًا للمثالب، وحالُه عُرضةً للنوائب، وإذا استكفَّ السَّفيهَ، واستدفع البذيءَ، صان عِرضَه، وحَمَى نعمته.

(٢٢٣٤) وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما وَقَى به المَرءُ عِرضَه فهو صدقة**»[٢].

(٢٢٣٥) وقالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ذُبُّوا بأموالِكم عن أحسابكم».

(٢٢٣٦) وامتدح رجلٌ الزُّهريَّ، فأعطاه قميصه، فقال له رجلٌ: «أتُعطي على كلام الشيطان[٣]؟! فقال: مَن ابتغى الخيرَ اتقى الشر».

(٢٢٣٧) ولذٰلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أراد برَّ الوالدين فلْيُعطِ الشعراء**»[٤].

وهٰذا صحيح؛ لأن الشِّعرَ ساتر، يُستر به ما ضُمِّن من مدحٍ أو هجاء.

(٢٢٣٨) ومن أجل ذٰلك قيل: «لا تؤاخِ شاعرًا، فإنَّه يمدحُك بثمن، ويهجوك مَجَّانًا».

ولاستكفاف السفهاءِ بالإفضال شرطان:

أحدهما: أن يُخفيَه، حتى لا تنتشرَ فيه مطامعُ السفهاء، فيتوصَّلوا إلى اجتذابه بسبِّه، وإلى ماله بثَلْبِه.

والثاني: أن يتطلبَ له في المجاملةَ وجهًا، ويجعلَ في الإفضال عليه سببًا، لئلَّا يرى أنه على السَّفه قد أُعطي، ولأجل البذاءِ قد حُبي، ليغريَه ذٰلك بزيادةِ السفه، واستدامة البذاء.

---

(١) في المطبوعة: وأما إفضال الاستكفاف.

(٢) **ضعيف**: وقد تقدم برقم (١١٦٢). **[ط]**

(٣) لعله قال هٰذا لمبالغة المادح في مدحه، وإلا فليس كلُّ الشعر من كلام الشيطان. **[ط]**

(٤) **باطل**: رواه ابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ١١٩)، والديلمي في «الفردوس» (٥٨٦١) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحافظ ابن حبان ـ عقبه ـ: «**هٰذا حديثٌ باطل**»، **وأقرَّه** الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/ ١٨)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/ ٣١). **[ط]**

واعلم أنك ـ ما حييتَ ـ ملحوظُ المحاسن، محفوظُ المساوئ، ثم مِن بعد ذٰلك حديثٌ منتشر، لا يراقبُك صديق، ولا يحامي عنك شقيق، فكن أحسنَ حديثٍ يُنشر، يَكنْ سعيُك في الناس مشكورًا، وأجرُك عند اللَّه مذخُورًا.

(٢٢٣٩) فقد رَوى زيادُ بن الجرَّاح، عن عمرو بن ميمون الأَوْدي، أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اغتنم خَمْسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمك، وغناك قبل فَقْرك، وفراغَك قبل شُغْلك، وحياتَك قبل مَوتك**»[1].

فهٰذا ما اقتضاه هٰذا الفصلُ من شروطِ المروءة، وإن كان كُلُّ كتابنا هٰذا من شروطها، وما اتصل بحقوقها، واللَّه تعالىٰ أعلم.



(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٤/ ٣٠٦)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١١١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٧٦٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وحسَّنه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٩٨)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧)، **وأقرَّ** الشيخُ شعيب الأرنؤوط الحاكمَ والذهبيَّ على التصحيح في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٨٧)، **وحسَّنه** محقق «الشعب» (١٢/ ٤٧٦). [**ط**]

الفصل الثامن

في آداب منثورة

اعلم أنَّ الآداب ـ مع اختلافها بتنقُّلِ الأحوال، وتغيُّر العادات ـ لا يمكنُ استيعابُها، ولا يُقدَرُ على حَصْرها، وإنما يَذكر كُلُّ إنسانٍ ما بلغه الوُسع من آداب زمانه، واستَحسن بالعُرف من عاداتِ دَهرِه، ولو أمكن ذٰلكَ لكان الأَولُ قد أغنى الثاني عنها، والمتقدمُ قد كَفى المتأخِّرَ تكلُّفَها.

وإنَّما حظُّ الأخير:

١ ـ أن يعانِيَ حفظَ الشارد، وجَمْعَ المفترق.

٢ ـ ثم يَعرِضُ ما تقدم على حُكم زمانِهِ وعاداتِ وقته، فيُثبتُ ما كان موافقًا، وينفي ما كان مخالفًا.

٣ ـ ثم يستمدُّ خاطرَه في استنباطِ زيادة، واستخراجِ فائدة، فإن أُسعف بشيء فازَ بدَرَكه، وحَظِيَ بفضيلته.

٤ ـ ثم يُعبِّرُ عن ذٰلك كلِّهِ بما كان مألوفًا من كلام الوقت، وعُرف أهله، فإن لأهل كلِّ وقتٍ في الكلام عادةً تُؤلَف، وعبارةً تُعرَف، ليكونَ أوقعَ في النفوس، وأسبقَ إلى الأفهام.

٥ ـ ثم يُرتب ذٰلك على أوائلِه ومقدِّماتِه، ويُثبِّته على أصولِه وقواعدِه، حسبَما يقتضيه الجنسُ؛ فإن لكلِّ نوعٍ من العلوم طريقةً، هي أوضحُ مسلكًا، وأسهلُ مأخذًا.

فهٰذه خمسةُ شروطٍ، هي حظُّ الأخير فيما يعانيه، وكذٰلك القولُ في كُل تصنيف مستحدَث، ولولا ذٰلك لكان تعاطي ما تقدَّم به الأولُ عناءً ضائعًا، وتكلُّفًا مستهجَنًا[1].

---

(١) ومن الكلمات المشابهة لما سبق: ما ذكره العلَّامة القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي حيان أنه قال: «ينبغي ألَّا يخلوَ تصنيفٌ من أحد المعاني الثمانيةِ التي تصنِّفُ لها العلماء؛ وهي: اختراعُ معدوم، أو جَمعُ مُفترق، أو تكميلُ ناقص، أو تفصيلُ مُجمَل، أو تهذيبُ مطوَّل، أو ترتيبُ مخلَّط، أو تعيينُ مبهم، أو تبيين خطأ». ثم قال القاسمي: «ويمكن الزيادة فيها». «قواعد التحديث» (٤٨). [ط]

وأرجو اللَّهَ أن يُمِدَّنا بالتوفيقِ لتأديةِ هٰذه الشروط، وتُنهِضنَا المعونةُ بتوفيةِ هٰذه الحقوق، حتى نسلَمَ من ذم التَّكلُّف، ونبرأَ من عيوبِ التقصير، وإن كان اليسيرُ مغفورًا، والخاطئُ معذورًا.

(٢٢٤٠) فقد قيل: «مَن صنَّف كتابًا فقد استُهدف، فإن أحسَنَ فقد استُعطف، وإن أساءَ فقد استُقذِف».

وقد مضتْ أبوابٌ تضمنت فصولًا، رأيتُ إتباعَها بما لا أُحبُّ الإخلالَ به؛ من ذٰلك:

[حال الإنسان في مأكله ومشربه]:

فإن الداعيَ إلى ذٰلك شيئان: حاجةٌ ماسَّة، وشهوة باعثة.

١ ـ فأمَّا الحاجة: فتدعُو إلى ما سدَّ الجُوع، وسكَّن الظمأ، وهٰذا مندوبٌ إليه عقلًا وشرعًا، لِما فيه من حفظِ النفس، وحراسةِ الجسد، ولذٰلك وَرَد الشرع، بالنهي عن الوصال بين صوم اليومين[1]، لأنَّه يُضْعِف الجسد، ويُميتُ النفس، ويُعجزُ عن العبادة، وكُل ذٰلك يمنعُ منه الشرع، ويدفعُ عنه العقل، وليس لمَن مَنع نفسه قدْر الحاجةِ حظٌّ من بِر، ولا نصيبٌ من زُهد؛ لأن ما حَرَمها من فعل الطاعاتِ بالعجز والضعف أكثرُ ثوابًا وأعظمُ أجرًا؛ إذ ليس في تركِ المباح ثوابٌ يقابلُ فعل الطاعاتِ وإتيانَ القُرَب، ومَن أخسَرَ نفسَه ربحًا موفورًا، أو حَرَمها أجرًا مذخورًا، كان زُهدُه في الخير أقوى من رغبته، ولم يَبقَ عليه من هٰذا التَّكلُّف إلا الشهوةُ بريائِه وسمعته.

٢ ـ وأمَّا الشهوة: فتتنوَّعُ نوعين:

ـ شهوة في الإكثار والزيادة.

ـ وشهوة في تناول الألوان اللذيذة.

فأمَّا النوع الأول ـ وهو شهوةُ الزيادة على قدْر الحاجة، والإكثارِ على مقدارِ الكفاية ـ : فهو ممنوعٌ منه في العقل والشرع؛ لأن تناولَ ما زاد على الكفاية نَهَمٌ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٥٣)، والبخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢)، وأبو داود (٢٣٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (٣٢٥٠)؛ من حديث عبداللَّه بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. **[ط]**

مُعِرّ، وشَرَهٌ مُضِرّ.

(٢٢٤١) وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إيَّاكُم والبِطْنة**[١]**، فإنَّها مُفْسِدةٌ للجسدِ، مُورِّثةٌ للسُّقْمِ، مُكسِلةٌ عَنِ العبادةِ**»[٢].

(٢٢٤٢) وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن كنت بَطِنًا، فعُدَّ نفسك زَمِنًا[٣]».

(٢٢٤٣) وقال بعض العلماء: «أقلِلْ طعامَك تجِدِ الصحة».

(٢٢٤٤) وقال بعضُ البلغاء: «أقلِلْ طعامًا تَحمَدْ منامًا».

(٢٢٤٥) وقال بعضُ البلغاء: «الرَّغَبُ لؤم[٤]، والنَّهَمُ شؤم».

(٢٢٤٦) وقال بعضُ الحكماء: «أكبرُ الدواء تقديرُ الغذاء[٥]».

(٢٢٤٧) وقال بعضُ الأدباء: «لا يسكُنُ العلمُ مَعِدةً مُلئت طعامًا».

(٢٢٤٨) وقال بعضُ الشعراء:

فكم من أَكلةٍ[٦] **مَنعت أخاها ... بلذَّةِ ساعةٍ أكلاتِ دَهْرِ!**

وكم من طالبٍ يسعى لأمرٍ ... وفيه هلاكُه لو كان يدرِي!

(٢٢٤٩) وقال آخر:

كم دخلت أكلةٌ حشَا شَرِهٍ ... فأخرجت رُوحهُ مِنَ الجسدِ

لا باركَ اللَّهُ في الطَّعام إذا ... كان هلاكُ النُّفوسِ في المِعَدِ

ورُبَّ أكلةٍ هاضت الآكل[٧]، وحَرَمته مآكل!.

(٢٢٥٠) روى أبو يزيد المَدَني، عن عبدالرَّحْمٰن بن المرقَّع قال: قال رسول اللَّه

---

(١) **البِطنة**: التخمة. [ط]

(٢) **موضوع**: رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٥٢٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكلام الحافظ ابن حبان يقتضي أنه **موضوع**، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٣) **الزَّمِن** ـ بكسر الميم ـ: المريض. [ط]

(٤) **الرَّغَب**: الطمع. [ط]

(٥) أي: تناوله بمقدار يسيرٍ محدد. [ط]

(٦) في المطبوعة: لقمة.

(٧) **هاضت**: كسرت، والمقصود: أعجزت. [ط]

ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لم يَخلُقْ وعاءً مُلِئ شرًّا من بطنٍ، فإن كان لابدَّ فاعلًا، فاجعلوا ثُلثًا للطعام، وثُلثًا للشراب، وثُلثًا للرِّيح»(١).

وأمَّا النوع الثاني ـ وهو شهوةُ الأشياء المُلِذة، ومنازعةُ النفس إلى طلب الأنواع الشهية ـ: فمذاهب الناس في تمكين النفسِ منها مختلفة.

ـ فمنهم مَن يرى أن صَرفَ النفس عنها أولى، وقهرَها عن اتباع شهواتِها أحرى، ليَذِلَّ له قيادُها، ويَهونَ عليه عِنادُها؛ لأن تمكينَها وما تَهوَى بطرٌ يُطغِي، وأَشَرٌ يُردِي؛ لأن شهواتِها غيرُ متناهية، فإذا أعطاها المرادَ من شهواتِ وقتها، تعدَّتْها إلى شهواتٍ قد استحدثَتْها، فيصيرُ الإنسانُ أَسيرَ شهواتٍ لا تنقضي، وعَبْد هَوًى لا ينتهي، ومَن كان بِهٰذه الحال لم يُرجَ له صلاح، ولم يُوجد فيه فضل.

(٢٢٥١) وأُنشدت لأبي الفتح البُستي:

يا خادِمَ الجسم كم تَشقى بخدمتِهِ ... أتطلبُ الرِّبح ممَّا فيه خُسرانُ

أقبِلْ على النَّفسِ واستكملْ فضائلها ... فأنت بالنَّفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

(٢٢٥٢) وللحَذر من هٰذه الحال، ما حُكي أنَّ أبا حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يمرُّ على الفاكهة فيشتهيها، فيقول: «موعِدُكِ الجنة»(٢).

ـ وقال آخرون: تمكينُ النفس من لذَّاتِها أولى، وإعطاؤها ما اشتهت من

---

(١) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه الطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (٥/ ١٥٩) ـ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٦٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ١٨٤٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٦٨)، ثم أورد شاهدًا لأول الحديث.
قلت: ويشهد للمتن ما ثبت عن المِقدام بن مَعدِي كَرِب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرًّا من بطنه، بحسبِ ابن آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صلبه؛ فإن كان لا محالة فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشَرابه، وثلثٌ لنَفَسِه**»، وهو **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٦٠٣)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وابن حِبَّان (٥٢٣٦)، والحاكم (٤/ ١٢١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧٢)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط، فهٰذه الرواية تقوِّي رواية المتن، والعلم عند اللَّهِ تعالى. **[ط]**

(٢) العبارة في عيون الأخبار (٢/ ٣٩٠ ـ خبر: ٣٧٤٩).

المباحاتِ أحرى، لِما فيه من ارتياح النفس بنيل شهواتِها، ونشاطِها بإدراك لذاتِها، فتنحسرُ عنها ذِلَّةُ المقهور، وبلادةُ المجبور، فلا تقصِّر عن دَرَك، ولا تعصي في نَهضة، ولا تَكِلّ عن استعانة.

ـ وقال آخرون: بل توسُّطُ الأمرين أولَى؛ لأن في إعطائها كلَّ شهواتِها سلاطة[1]، والنفسُ السليطةُ معانِدة، وفي منعها عن جميع شهواتِها بلادة[2]، والنفسُ البليدةُ عاجزة، وفي منعها عن البعض كفٌّ لها عن السلاطة، وفي تمكينِها من البعض حَسْمٌ لها عن البلادة.

وهٰذا ـ لَعمري ـ أشبهُ المذاهب بالسداد[3]، لأنَّ التوسُّط في الأمور أحمد.

وإذ قد مضى الكلام في المأكول والمشروب، فينبغي أن يُتبع بذكر الملبوس.

[الحاجة إلى الملبوس]:

اعلم أنَّ الحاجة وإن كانت في المأكول والمشروب أدعى، فهي إلى الملبوس ماسةٌ، وبها إليه فاقة، لما في الملبوس من حفظِ الجسد، ودفع الأذى، وسَترِ العورة، وحصولِ الزينة.

قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فمعنى قوله: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾: أي خلقنا لكم ما تلبَسون من الثياب، ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾: أي يستر عوراتكم، وسُمِّيت العورةُ سَوأةً، لأنَّه يسوءُ صاحبَها انكشافُها من جسده. وقوله: ﴿وَرِيشٗا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه المال، وهو قول مجاهد.

والثاني: أنه اللباسُ والعيشُ والنِّعم، وهو قولُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والثالث: أنه المعاش، وهو قول مَعبدٍ الجُهني.

والرابع: أنه الجَمال، وهو قول عبدالرَّحْمٰن بن زيد.

---

(١) السلاطة: القهر، أي: تقهر صاحبها. [ط]

(٢) البلادة: الحُمق. [ط]

(٣) في المطبوعة: بالسلام.

وقوله: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ فيه ستةُ تأويلات[١]:

أحدها: أن لباس التقوى هو الإيمان، وهو قولُ قتادةَ والسُّدِّي.

والثاني: أنه العملُ الصالح، وهو قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

والثالث: أنه السَّمتُ الحسن، وهو قول عثمانَ بنِ عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والرابع: هو خشيةُ اللّٰه تعالى، وهو قول عروةَ بن الزبير.

والخامس: أنه الحياءُ، وهٰذا قول مَعبدٍ الجُهني.

والسادس: هو سترُ العورة، وهٰذا قول عبدالرَّحْمٰن بن زيد.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ فيه تأويلان[٢]:

أحدهما: أن ذٰلك راجعٌ إلى جميع ما تقدَّم من قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾،ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: أي ذٰلك الذي ذكرتُه خيرٌ كله.

والثاني: أن ذٰلك راجعٌ إلى «لباس التقوى»، ومعنى الكلام: أن لباسَ التقوى خيرٌ من الرِّياش واللباس، وهٰذا قول قتادةَ والسُّدِّي.

فلما وصف اللّٰهُ تعالى حال اللباس، وأخرجه مَخرجَ الامتنان، عُلم أنه معونةٌ منه، لشدةِ الحاجة إليه.

*** [منافع اللباس]:**

وإذا كان كذٰلك، ففي اللباس ثلاثةُ أشياء:

أحدها: دفع الأذى.

والثاني: سَترُ العورة.

والثالث: الجمال والزينة.

١ ـ فأمَّا دفع الأذى به: فواجبٌ بالعقل؛ لأن العقل يُوجب دفع المضارِّ، واجتلابَ المنافع، وقد قال اللّٰه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا

---

(١) جامع البيان، للطبري (١٠/ ١٢٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ١٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٨٧).

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، فأخبر بحالها ولم يأمر بها، اكتفاءً بما يقتضيهِ العقل، واستغناءً بما يبعثُ عليه الطبع، ويَعنى بـ«الظلال»: الشجر، وبـ«الأكنان»: جَمع «كِن»، وهو الموضع الذي يُستكنُّ فيه، ويعني بقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: ثيابَ القطن والكتان والصوف، وبقوله: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: الدروعَ التي تَقي البأس ـ وهو الحرب ـ.

فإن قيل: كيف قال: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾، ولم يذكر البرد؟ وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾، ولم يذكر السَّهْل؟.

فعن ذٰلك جوابان:

أحدهما: أن القومَ كانوا أصحابَ جبالٍ وخيام، فذَكَر لهم الجبال، وكانوا أصحابَ حَرٍّ دون برد، فذَكَر لهم نعمته عليهم فيما هو مختصٌّ بهم، وهٰذا قول عطاء.

والجواب الثاني: أنه اكتفاءٌ بذِكرِ أحدهِما عن ذكر الآخر، إذ كان معلومًا أن السرابيلَ التي تقي الحرَّ ـ أيضًا ـ تقي البرد، ومَن اتخذ الجبالَ أكنانًا، اتخذ من السَّهل، وهٰذا قولُ الجمهور[(١)].

٢ ـ وأمَّا سترُ العورة: فقد اختلف الناس فيه، هل وجب بالعقل أو بالشرع[(٢)]؟.

فقالت طائفة: وجب سَترُ العورة بالعقل[(٣)]، لما في ظهورها من القبح، وما كان قبيحًا فالعقل مانعٌ منه، ألَا ترى أن آدم وحواءَ لمَّا أكلا من الشجرةِ التي نُهيا عنها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، تنبُّهًا بعقولهما لسَتر ما رأياه مستقبحًا من سوآتِهما؛ لأنَّهما لم يكونا قد كُلِّفا ستر ما لم يَبدُ لهما، ولا كُلِّفاه بعد أن بدت لهما، وقبلَ سترها.

وقالت طائفةٌ أخرى: بل سترُ العورة واجبٌ بالشرع؛ لأنَّه بعض الجسدِ الذي

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٣٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٤٠٥)، النكت والعيون (٣/ ٢٠٦).

(٢) راجع مسألة التحسين والتقبيح العقليين ص (٤٧).

(٣) في المطبوعة: وجب سترها بالعقل.

لا يُوجِبُ العقلُ سَتر باقيه، وإنما اختُصَّتِ العورةُ بحكمٍ شرعي، فوجب أن يكون ما أُلزم من سترها حكمًا شرعيًّا.

وقد كانت قريشٌ وأكثرُ العرب ـ مع ما كانوا عليهِ من وفورِ العقلِ وصحة الألباب ـ يطوفون بالبيت عُراةً، ويحرِّمون على أنفسهم اللحمَ والوَدَكَ[1]، ويرَون ذٰلك أبلغَ في القُربة، وإنما القُرَبُ ما استُحسنت في العقل[2]؛ حتى أنزل اللَّه تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف]، يعني بقوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾: الثيابَ التي تَسترُ عوراتكم، ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما حرَّمتُموه على أنفسِكم منَ اللحم والوَدَك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ تأويلان:

أحدهما: لا تُسرفوا في التحريم، وهٰذا قول السُّدِّي.

والثاني: لا تأكلوا حرامًا فإنَّه إسراف، وهٰذا قول ابن زيد[3].

فأوجَبَ بِهٰذه الآيةِ سَترَ العورة، بعد أن لم يكن العقلُ موجبًا له، فدلَّ ذٰلك على أن سترَها وجب بالشرع، دون العقل.

وأمَّا الجمالُ والزينة: فهو مستحسَنٌ بالعُرف والعادة، من غير أن يوجبَه عقلٌ أو شرعٌ[4]، وفي هٰذا النوع قد يقعُ التجاوزُ والتقصير، والتوسُّطُ المطلوبُ فيه معتبر من وجهين:

أحدهما: في صفةِ الملبوس وكيفيته.

والثاني: في جنسهِ وقيمته.

١ ـ فأمَّا صفته: فمعتبرةٌ بالعُرف من وجهين:

أحدهما: عُرف البلاد، فإن لأهل المشرقِ زيًّا مألوفًا، ولأهل المغرب زيًّا مألوفًا، وكذٰلك لما بينهما من البلادِ المختلفةِ عاداتٌ في اللباس مختلفة.

---

(١) الوَدَك: الدسم.[ط]

(٢) وهٰذا قبل ورود الشرع.[ط]

(٣) جامع البيان (١٠/ ١٥٥)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٠٢).

(٤) لٰكن الشرع يستحسنه ويندبُ إليه، كما هومعلومٌ من نصوص الكتاب والسنة.[ط]

والثاني: عُرفُ الأجناس، فإن للأجناد زيًّا مألوفًا، وللتجَّارِ زيًّا مألوفًا، وكذٰلك لمن سواهما من الأجناسِ المختلفةِ عاداتٌ في اللباس مختلفة، وإنما اختَلَفت عاداتُ الناس في اللباس من هٰذين الوجهين، ليكونَ اختلافهم سِمَةً يتميزون بها، وعلامةً لا يخفَون معها، فإن عَدَلَ[1] أحدٌ عن عُرف بلدِه وجنسه، كان ذٰلك منه خُرْقًا وحُمقًا.

(٢٢٥٣) ولذٰلك قيل: «العُريُ الفادح خيرٌ من الزي الفاضح[2]».

٢ ـ وأمَّا جنس الملبوس وقيمتُه، فمعتبر من وجهين:

أحدهما: بالمُكنةِ من اليسار والإعسار؛ فإن للموسِر في الزِّي قدْرًا، وللمعسِر دونه.

والثاني: بالمنزلةِ والحال، فإن لِذِي المنزلةِ الرفيعة في الزيِّ قدْرًا، وللمنخفض عنه دونه، ليتفاضلَ فيه على حسَب تفاضُلِ أحوالهم، فيصيروا به متميِّزين؛ فإنْ عَدَلَ الموسِرُ إلى زيِّ المعسِرِ كان شُحًّا وبُخلًا، وإن عدلَ الرفيعُ إلى زيِّ الدَّنيءِ كان مهانةً وذُلًّا، وإن عَدَل المُعسِرُ إلى زيِّ الموسرِ كان تبذيرًا وسَرَفًا، وإن عَدَل الدنيءُ إلى زيِّ الرفيع، كان جهلًا وحُمقًا.

ولزومُ العُرف المعهود، واعتبارُ الحدِّ المقصود أدلُّ على العقل، وأمنعُ من الذم.

(٢٢٥٤) ولذٰلك قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم ولِبْسَتَين: لبسةً مشهورة، ولبسةً محقورة».

(٢٢٥٥) وقال بعضُ الحكماء: «البَسْ من الثياب ما لا يَزدريك فيه العظماء، ولا يَعيبُه عليك الحكماء».

(٢٢٥٦) وقال بعضُ الشعراء:

إن العيونَ رَمَتْك إذْ فاجأتَها ... وعليك من شَهرِ الثياب لباسُ

أمَّا الطعامُ فكُلْ لنفسِكَ ما تَشا ... واجعَلْ لباسَكَ ما اشتهاهُ الناسُ

---

(١) عَدَل: مال وانحرف. [ط]

(٢) هٰذا من باب المبالغة كما لا يخفى. [ط]

واعلم أن من المروءةِ أن يكون الإنسانُ معتدلَ الحالِ في مراعاةِ لباسه، من غير إكثارٍ ولا اطِّراح، فإنَّ اطراحَ مراعاتِها، وتركَ تفقُّدِها مهانةٌ وذلٌّ، وكثرة مراعاتِها، وصرفَ الهمة إلى العناية بها دناءةٌ ونقص، وربما توهَّم بعضُ من خَلا من فضلٍ وعَرِيَ عن تمييزٍ أن ذٰلك هو المروءةُ الكاملة، والسِّيرةُ الفاضلة، لِما يرى من تميُّزه بذٰلك عن الأكثرين، وخروجِه عن جُملةِ العوام المسترذَلين، وخَفِيَ عليه أنه إذا تعدَّى طَورَه، وتجاوَزَ قدْرَه، كان أقبحَ لذِكرِه، وأبعثَ على ذمه.

(٢٢٥٧) وكان كما قال المتنبِّي فيه:

لا يُعجبنَّ مَضيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وهل يروقُ دفينًا جودةُ الكفنِ؟![1]

(٢٢٥٨) وحكى المبردُ: «أن رجلًا من قريشٍ كان إذا اتَّسع لَبِسَ أرثَّ ثيابه، وإذا ضاق لبس أحسنها، فقيل له في ذٰلك، فقال: إذا اتسعتُ تزيَّنتُ بالجود، وإذا ضقتُ فبالهيئة».

(٢٢٥٩) وقد أتى ابنُ الرومي بأبلغَ من هٰذا المعنى في شِعره، فقال:

وما الحَلْيُ إلا زينةٌ لنقيصةٍ ... يُتَمِّمُ من حسنٍ إذا الحسنُ قَصَّرا

فأمَّا إذا كان الجمالُ مُوَفَّرًا ... كحُسْنِك لم يَحتَجْ إلى أن يُزَوَّرَا

(٢٢٦٠) ولذٰلك قالت الحكماء: «ليست العِزَّة في حُسنِ البِزَّة».

(٢٢٦١) وقال بعض الشعراء:

وترى سفيهَ القومِ يُدَنِّسُ عِرْضَه ... سَفهًا ويمسحُ نَعلَه وشِراكَها[2]

وإذا اشتدَّ كَلَفُه بمراعاةِ لباسه، قَطَعه ذٰلك عن مراعاةِ نفسِه، وصار الملبوسُ عنده أنفس، وهو على مراعاتِه أحرص.

(٢٢٦٢) وقد قيل في منثور الحكم: «البَسْ منَ الثياب ما يخدُمُك، ولا يستخدمُك».

---

(١) المَضيم: المظلوم. [ط]

(٢) كما قيل: «رُبَّ مبيِّضٍ لثيابِه مدنِّسٍ لدينِه!». [ط]

(٢٢٦٣) وقال خالدُ بن صفوان لإياسِ بن معاوية: «أَراكَ لا تبالي ما لبِستَ؟ فقال: ألبسُ ثوبًا أقي به نفسي، أحبُّ إليَّ من ثوبٍ أقيه بنفسي».

وكما أنه لا يكونُ شديدَ الكَلَف بها، فكذٰلك لا يكونُ شديدَ الاطراح لها.

(٢٢٦٤) فقد حُكي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فنظر إليه رَثَّ الهيئة، فقال: «**ما مالُك؟**» قال: من كُلِّ المال قد آتاني اللَّه، فقال: «**إنَّ اللَّه تعالى يُحبُّ ـ إذا أنعَم على امرئٍ نعمةً ـ أن يَنظرَ إلى أثَرِها عليه**»[1].

(٢٢٦٥) وقد قيل: «المُروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة»[2].

[أهميَّةُ مراعاة الخَدَم والحشم]:

وهٰكذا القولُ في غلمانِه وحَشَمِه، إن اشتدَّ كَلَفُه بهم، صار عليهم قيِّمًا، ولهم خادمًا، وإنِ اطَّرَحهم قلَّ رشادُهم، وظهر فسادُهم، فصاروا سببًا لمقته، وطريقًا إلى ذمه، ولٰكن يكفُّهم عن سَيئ الأخلاق، ويأخذُهم بأحسن الآداب.

(٢٢٦٦) ليكونوا كما قال فيهم الشاعر:

سَهْلُ الفِناء إذا مَرَرْتَ ببابه ... طَلْقُ اليدَيْن مؤدِّبُ الخُدَّامِ

ولْيكن في تفقُّد أحوالهم على ما يحفظُ تجمُّلَه، ويصون مُبتذلَه.

(٢٢٦٧) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ادَّهِنوا يَذهب البؤسُ عنكم، والبَسوا تظهرْ نعمةُ اللَّه عليكم، وأحسِنوا إلى مماليكِكم، فإنَّه أكبتُ لعدوِّكم**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٧٣)، وأبو داود (٤٠٦٣)، والترمذي (٢٠٠٦)، والنسائي (٥٢٢٤)، وفي «الكبرى» (٩٤٨٥)، وابن حِبَّان (٥٤١٧)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (٢٠٥١٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٠٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٧٧)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٠)، و«الشعب» (٥٧٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣١١٨)، من حديث مالك بن نضلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني.**[ط]**

(٢) العبارة في عيون الأخبار (١/ ٤٢٥ ـ خبر: ١٥٩٤) منسوبة إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **ضعيف جدًا**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٦٧)، من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وضعَّفه جدًا** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٣٣)، وكذا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٩٦٤)، ولفظه: «**اللباسُ يُظهِرُ الغنى، والدُّهنُ يُذهِبُ البؤس، والإحسانُ إلى المملوكِ يَكبِتُ اللَّهُ به العدو**». =

ولْيَتوسَّطْ فيهم ما بين حالةِ اللِّين والخشونة؛ فإنَّه إن لانَ هان عليهم، وإن خَشُن مقتوه، وكان على خطرٍ منهم.

(٢٢٦٨) حُكي أن المُوبَذ سمع ضَحِك الخُدَّام في مجلس أنوشِروان، فقال: «أما تمنعُ هٰؤلاء الغلمان؟ فقال أنوشروان: إنَّما بهم يَهابُنا أعداؤنا».

(٢٢٦٩) وقال أبو تمام الطائي:

حَشَمُ الصَّديقِ عيُونُهُم بَحَّاثةٌ   لِصَديقِه عن صِدْقِهِ ونِفاقِهِ
فلْينظُرنَّ المرءُ مَن غِلْمانُه   فهُمُ خلائفُه على أخلاقِهِ

[أحوال النفس]:

واعلم أنَّ للنفس حالتين:

١ ـ حالةُ استراحة، إن حَرَمْتها إياها كلَّت.

٢ ـ وحالةُ تصرُّف؛ إن أرحتها فيها تخلَّت[1].

فالأولى بالإنسان تقدير حاليه: حالَ نومه ودَعَتِه، وحالَ تصرُّفِه ويقظته؛ فإنَّ لهما قدرًا محدودًا، وزمانًا مخصوصًا، يضُرُّ بالنفس مجاوزةُ حدِّهما، وتغييرُ زمانِهما.

(٢٢٧٠) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**نومةُ الصُّبحة**[2] **مَعجَزةٌ مَنفَخة، مَكْسَلةٌ مَوْرَمة، مَفشَلَةٌ مَنسأةٌ للحاجة**[3]»[4].

= ورواه أبو نُعيم في «الطب النبوي» (٢١٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢٥/ ١٠٥)، من حديث طلحة بن عبيدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠٣٢).
وذكره الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٣٢)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/ ٨٥) من رواية محمد بن الأشعث عن أبيه عن جده، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي، ونقل الحافظ ابن حجر عن الإمام العلائي أنه قال عنه: «**غريب جدًّا أو منكر**»، **وأقرَّه** على ذٰلك. قلت: ولفظ الحديثين الأخيرين قريبٌ جدًّا من لفظ حديث أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. **[ط]**

(١) **تخلَّت**: تكاسلت عن العمل. **[ط]**

(٢) **الصُّبحة**: هي النوم أول النهار. (لسان العرب ٤/ ٨).

(٣) معنى الحديث: أن نومَ الصبحة يُعجزُ الجسدَ عن النشاط، ويؤدِّي إلى انتفاخ العينين، وتورُّمِ الجسد، وهو مدعاةٌ للفشل في المساعي، ويؤخِّرُ العبد عن مهمَّاتِه. **[ط]**

(٤) **لا أعلم له أصلًا**، والركاكة ظاهرةٌ عليه، واللَّهُ تعالى أعلم. **[ط]**

(٢٢٧١) وقال عبدُاللَّه بـن العبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «النوم ثلاثةٌ: نومةُ خُرق؛ وهي الصُّبحة، ونومةُ خُلُق؛ وهي القائلة، ونومةُ حُمق؛ وهي العشاء».

(٢٢٧٢) وقد رَوى محمدُ بن يزداد، عن ميمونَ بن مهران، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**نوم الضُّحى خُـرْق، والقيلُولـة خُلُق، ونوم العشِي حُمق**»[1].

(٢٢٧٣) وقيل في منثور الحكم: «مَن لَزِم الرُّقاد عَدِم المراد».

فإذا أعطى النفسَ حقَّها من النوم والدَّعـة، واستوفَى حقَّـه بالتصرُّف واليقظة، خَلَص بالاستراحة من عجزها وكَلالها، وسَلِم بالرياضة من بلادتِها وفسادها.

(٢٢٧٤) وحُكي أنَّ عبدَالملك بن عمر بن عبدِالعزيز دخل على أبيه، فوجده نائما، فقال: «يا أبت، أتنامُ والناسُ بالباب؟! فقال: يا بُنيَّ، نفسي مَطيتي، وأكرهُ أن أُتعبَها فلا تقوم بي».

وينبغي أن يُقسِّم حالـةَ تصرُّفِـه ويقظتِـه على المهمِّ من حاجاتـه، فإنَّ حاجة الإنسان لازمة، والزَّمانُ يَقصُرُ عن استيعاب المهمِّ، فكيف به إن تجاوَزَ إلى ما ليس بمهم؟.

(٢٢٧٥) هل يكون إلَّا:

كَـتاركةٍ بَيْـضَها بالعَـراءِ ... ومُلْبِسة بَيْضَ أُخْرَى جَناحَا

ثم عليه أن يتصفَّح في ليلِه ما صدر من أفعال نهاره؛ فإنَّ الليل أخطرُ للخاطر[2]، وأجْمعُ للفكر، فإن كان محمودًا أمضاه، وأتبعه بما شاكَلَه وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركَه ـ إن أمكن ـ، وانتهى عن مثله في المستقبل؛ فإنَّه إذا فعل ذلك، وجد أفعالَه لا تنفكُّ من أربعة أحوال:

١ ـ إمَّا أن يكون قد أصاب فيها الغرَضَ المقصودَ بها.

٢ ـ أو يكونَ قد أخطأ فيها، فوضعها في غير موضعها.

---

(١) **لا يصح**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٧٣٦)، ولا أعلمُ له أصلًا صحيحًا، واللَّهُ تعالى أعلى وأعلم. [ط]

(٢) أي: أصفى لجلب الخواطر. [ط]

٣ ـ أو يكون قصَّر فيها، فنَقَصت عن حدودها.

٤ ـ أو يكون قد زاد فيها، حتى تجاوزت محدودَها.

وهٰذا التصفُّح إنما هو استظهارٌ بعد تقديم الفِكر قبل الفعل؛ لِيَعلمَ به مواقعَ الإصابة، وينتهزَ به استدراكَ الخطأ.

(٢٢٧٦) وقد قيل: «مَنْ كثُر اعتبارُه، قلَّ عِثارُه».

وكما يتصفَّح أحوالَ نفسه، فكذا يجبُ أن يتصفَّح أحوالَ غيره، فربما كان استدراكُه الصوابَ منها أسهلَ بسلامة النفسِ مِن شُبهةِ الهوى، وخُلوِّ الخاطر من حُسن الظن، فإن ظَفِر بصوابٍ وجده من غيره، أو أعجبه جميلٌ من فعله، زيَّن نفسَه بالعمل به، فإنَّ السعيد من تصفَّح أفعال غيره، فاقتدى بأحسنها، وانتهى عن سَيِّئها.

(٢٢٧٧) وقد رَوى زيدُ بن خالد الجُهَني، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**السعيد من وُعِظَ بغيره**»[(١)].

(٢٢٧٨) وقال الشاعر:

إنَّ الـسعيدَ لـه مـن غيـره عِظـةٌ ... وفي الـتجارب تحكـيمٌ ومعتبـرُ

(٢٢٧٩) وأنشدني بعضُ أهل العلم لطاهر بن الحسين:

إذا أعجبـتكَ خِـصالُ امـرئٍ ... فكُـنْهُ يكُـنْ مـنكَ مـا يُعجِـبُكْ

فلـيسَ على المجـدِ والمكرُماتِ ... إذا جئـتَها حاجـبٌ يَحْجُـبكْ

[أهميةُ التأمُّل قبل الإقدام]:

فأمَّا ما يرومُه من أعماله، ويؤثِرُ الإقدامَ عليه من مطالبه، فيجبُ أن يقدِّم الفكرَ فيه قبل دخوله، فإن كان الرجاءُ فيه أغلبَ من الإياس منه، وحُمِدت العاقبةُ فيه،

---

(١) **ضعيف**: رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٨) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وضعَّفه** مرفوعًا الشيخ الألباني في تحقيق «السنة»، **وأقرَّه** على ذٰلك الشيخ باسم الجوابرة في تحقيقه لكتاب «السنة» ـ أيضًا ـ (١/ ١٤٥)، ولم يعزُه في التحقيق إلا للقضاعي. والأثر ثابتٌ صحيح من كلام عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [ط]

سَلَكه من أسهل مطالبـهِ وألطفِ جهاتِـه، وبقَدْر شرفِـه يكـونُ الإقدام، وإن كان الإياسُ أغلبَ عليه من الرجاء، مع شدةِ التغرير، ودناءةِ الأمر المطلوب، فلْيَحذر أن يكون له متعرضًا.

(٢٢٨٠) فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا هَممتَ بأمرٍ ففكِّرْ في عاقبته، فإن كان رُشدًا فأَمضِهِ، وإن كان غَيًّا فانتهِ عنه**»[1].

(٢٢٨١) وقالت الحكماء: «طلبُ ما لا يُدْرَك عجزٌ».

(٢٢٨٢) وقال بعضُ الشعراء:

فإيـاكَ والأمـرَ الـذي إن توسعتْ ... مـوارِدُه ضـاقت عليك المصادرُ

فمـا حَـسَنٌ أن يَعـذِر المرءُ نفسَهُ ... ولـيس لـه مِـن سائرِ الناسِ عاذرُ

[إياكَ أن تُغالِطَ الزمان]:

ولْيَعلم العاقلُ أنَّ لكل حينٍ من أيام عمره خُلُقًا، وفي كل وقتٍ من أوقات دهره عملًا، فإنْ تَخلَّق في كِبره بأخلاقِ الصِّغَر، وتعاطى أفعالَ الفكاهةِ والبَطَر، استصغَرَه مَن هو أصغرُ منه، وحَقَره من هو أقلُّ وأحقر.

(٢٢٨٣) وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر:

وكُـــلُّ بــازٍ يَمَـــسُّه هَــرَمٌ ... تَخْـرَا على رأسِهِ العصافيرُ[2]

[وصيةٌ أخيرة]:

فكُن ـ أيُّها العاقل ـ مُقبلًا على شأنك، راضيًا عن زمانك، سِلْمًا لأهل دهرك، جاريًا على عادةِ عصرك، منقادًا لمن قدَّمه الناسُ عليك، متحنِّنًا على من قدَّمك الناسُ عليه، ولا تباينُهم[3] بالعُزلة عنهم فيمقُتوك، ولا تجاهِرهم بالمخالفةِ لهم

(١) **ضعيف**: أخرجه ابـن المبـارك في «الزهد» (٤١)، وهنـاد في «الزهد» (٥٣١)، ووكيع في «الزهد» (١٦) عن ابن مسور ـ أبي جعفر ـ **مرسلًا**، وهو **ضعيفٌ للإرسال**، واللَّهُ أعلم. [ط]

(٢) **الباز**: الصقر. **تَخْرا**: تتغوط. [ط]

(٣) **تباينهم**: تفارقهم. [ط]

* **قال أبو شُعيب** ـ عفا اللَّهُ عنه ـ : تم ـ بحمده تعالى ـ تخريجُ أحاديث الكتاب، والتعليقُ =

فيُعادوك، فإنَّه لا عيشَ لممقوت، ولا راحةَ لمُعَادي.

(٢٢٨٤) وأنشد بعضُ أهل الأدب لبعضِهم:

إذا اجتمعَ النَّاسُ في واحدٍ ... وخالَفهم في الرِّضا واحدُ
فقد دلَّ على إجماعهُم دونه ... على عقلِه أنه فاسِدُ

واجعَلْ نُصْح نفسِك غنيمةَ عقلك، ولا تداهِنْها بإخفاءِ عيبك، وإظهارِ عُذرك، فيصيرَ عدوَّك أحظى منك في زَجْر نفسه، بإنكارِك ومجاهرتِك من نفسكَ التي هي أخصُّ بك، لإغرائكَ لها بأعذارك ومَساءتك، فحسبُك سُوءًا برجل ينفعُ عدوَّه، ويَضُرُّ نفسه.

(٢٢٨٥) وقال بعضُ الحكماء: «أصلِحْ نفسَك لنفسك؛ يكُن النَّاسُ تبعًا لك».

(٢٢٨٦) وقال بعضُ البلغاء: «مَنْ أصلحَ نفسَه، أرغم أنفَ أعاديه، ومَنْ أعمل جِدَّه بلغ كُنهَ أمانيه».

(٢٢٨٧) وقال بعضُ الأدباء: «مَن عرف مَعابه، فلا يلُم مَن عابه».

(٢٢٨٨) وأنشدني أبو ثابتٍ النحوي، لبعض الشُّعراء:

ومَصروفةٍ عَيْناه عن عيبِ نفسِهِ ... ولو بان عيبٌ من أخيه لأبصَرَا
ولو كان ذا الإنسانُ يُنصِفُ نفسَه ... لَأَمْسكَ عن عيبِ الصَّديق وقصَّرَا

فهذِّبْ ـ أيها الإنسان ـ نفسَك بإنكار عيوبك، وانفَعْها كنفعِك لعدوِّك؛ فإنَّ من لم يكن له من نفسِه واعظ، لم تَنفعه المواعظ.

أعاننا اللَّه وإيَّاك على القول بالعمل، وعلى النُّصح بالقبول، وحسبُنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حولَ ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليِّ العظيم.

❀ ❀ ❀

= عليه بما تيسَّر، ونسأله تعالى القبول والسداد، والحمد للَّهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

*** جاء في آخر النسخة [أ]:**

تم الكتاب بحمد اللَّه ومنِّه وحسن توفيقه، وفرغ من نسخه لنفسه العبدُ الفقير إلى رحمة اللَّه تعالى وعفوه سعيد بن عبدالمنعم بن هبة اللَّه بن علي بن الثقفي العامري النسب، الشافعي المذهب، نفعه اللَّه به وجميع المسلمين، يوم الثلاثاء ثاني صفر من شهور سنة خمس وثمانين وخَمْسمِئة، بمدينة حماة المحروسة، غفر اللَّه له ولوالديه ولمن قرأ فيه ودعا له ولجميع المسلمين، والحمد للَّه وحده وصلوات على سيدنا محمد النَّبِي الأمي خير خلقه وسلم تسليمًا، وعلى آله وصحبه وسلم. قوبل على أصله بحسب الإمكان، والحمد للَّه وصلواته على سيدنا محمد ﷺ.

*** جاء في آخر النسخة [ب]:**

فُرِغ من تحريره قبل الظهر من يوم... تاسع شهر رجب الحرام من شهور سنة... بعد الألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بعناية الأخ في اللَّه تعالى.. تيمور بن.. تولَّى اللَّه تعالى إعانته في الدارين، وأناله ما تقر به العين، وختم لنا وله بالحسنى، آمين.

*** جاء في آخر النسخة [ط]:**

تم كتاب أدب الدين والدنيا، والحمد للَّه رب العالمين، وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد النَّبِي وآله وأصحابه وسلم تسليمًا، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل. نفع اللَّه تعالى به العلماء والعاملين والمتعلمين والقراء والمحدِّثين والمتفقهين في الدين إلى يوم الدين، ولمن صنف وأوعى ووعى وسمع وقرأ وعمل به، جعلنا اللَّه تعالى ممن استوعظه ووعظه وسار على فنون علومه ومعلومه.

وكان الفراغ من نسخه في يوم الخميس المبارك عشر من شهر ذي القعدة سنة (١٠٥١) على يد أحمد بن موسى الملطاني لطف اللَّه به[١].

---

(١) تم بحمد اللَّه تعالى وتوفيقه تحقيق كتاب «آداب الدين والدنيا»، لأبي الحسن عليٍّ بن محمد الماوردي، وكان الفراغ من تحقيقه يوم الجمعة (الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٤٣٣)، الموافق (١٥ يونيو ٢٠١٢م)، وكتبه عليُّ بن عبد المقصود بن رضوان، وصلَّى اللَّه وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ﷺ كُلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.



فهارس الكتاب

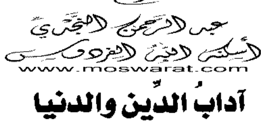


١ ـ فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيبها في المصحف

الآيـة	السورة	رقمها	الفقرة
﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	البقرة	٤١	٤١٦
﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾	البقرة	٤٢	١٦١٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾	البقرة	١٥٩	٣٨٢
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	البقرة	٢٠١	١٣٠٧
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	البقرة	٢٦١	٣١٢
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	البقرة	٢٦٤	١٢٠٦
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾	البقرة	٢٦٩	٢٦٥
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	البقرة	٢٨١	٢٠٥٤
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة	٢٨٦	٤٢٢
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾	آل عمران	٧	١٤٠
﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾	آل عمران	٦١	١٦٠٨
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾	آل عمران	٧٥	٢٠٧٢
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾	آل عمران	١٠٣	٨٠١
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	آل عمران	١٥٩	١٣٣٨
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	آل عمران	١٨٠	١٠٦٧
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾	آل عمران	١٨٧	١٢٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾	آل عمران	٢٠٠	١٧٨٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	النساء	١	٨٥٩
﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾	النساء	٢٧	٧٩٦
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء	٢٨	١٩٧
﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	النساء	١٢٢	٤٣٦

❁ ❁ ❁



٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية





٣ ـ فهرس الآثار والحِكَم والأمثال

طاعته

إذا سكتّ عن الجاهل فقد أوسعتهُ جَوابًا	بعض الحكماء	١٥٦٨
إذا سلم الناس منك، فلا عليك ألاَّ تسلم منهم	بعض الحكماء	٤٩٦
إذا ضحك العالم ضحكة، مَجَّ من العِلم مَجَّة	علي بن أبي طالب	١٩٩٠
إذا طلب رجلان أمرًا، ظفر به أعظمهما مُروءة	بعض العلماء	٢٠٢٥
إذا طلبتَ العزَّ فاطلبه بالطَّاعة	بعض البلغاء	١٣٦٠
إذا عصتكَ نفسُك فيما كرِهَتْ، فلا تُطِعها	عون بن عبد الله	١٤١٢
إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل	عامر بن عبد القيس	١٣
إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال	منثور الحكم	٣٣٦
إذا غضب القائم فليجلس، أو الجالس فليقم	الفرس	١٥٩٧
إذا فقد العالم الذهن ، قل علىٰ الأضداد احتجاجه	بعض الحكماء	٢٣٩
إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب	حكماء الفرس	٣٠٤
إذا كان الذي ينبغي أن يعمله في حياته معمولا	أنو شروان	٦٤٥
إذا كان الإيجاز كافيًا، كان الإكثار عِيًّا	جعفر بن يحيىٰ	١٧٤٩
إذا كان الحلم مَفْسدة، كان العفو مَعْجَزة	المنصور	١٥٧٥
إذا كان في البيتِ بُرٌّ فتعبَّدْ، وإذا لم يكُن فاطلُبْ	سفيان الثوري	٧٢٦
إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل	بعض الحكماء	٣٨٥
إذا لم أعطِ إلا مستحقًا، فكأنىٰ أعطيتَ غريمًا	الحسن بن سهل	١١٢٢
إذا لم يُساعدنا القضاء ساعدناهُ	أردشير بن بابك	١٦٩٦
إذا لم يكن جَدَّ، ففيم الكَدّ؟ وإن لم يكن للأمر دوام	بزرجمهر	١٨٣٤
إذا مازحتَ عدوك، ظهرت عيوبك.	بعض الحكماء	١٩٨٦
أذلُّ من اللئيم سائله، وأقلُّ من البخيل نائلُه	بعض البلغاء	١١٤١
ارث لروضة توسطها خنزير، وابك لعلم حواه شرير	بعض الأدباء	٤٠٢
أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان	عمر بن عبد العزيز	١٦٠٥
ارجعوا، فإنها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع	ابن مسعود	١٤٣٢

❁ ❁ ❁

٤ ـ فهرس القوافي الشِّعرية

حسب ورودها في الكتاب

القافية	اسم الشاعر	الفقرة
حالِ	أبو العتاهية	٢
مكاسِبُهْ	إبراهيم بن حسان	١٠
ثناؤُهُ	صالح بن عبد القدوس	١١
التَّجاربِ	شاعر	٢٢
عَقْلا	شاعر	٢٣
مُعجِبا	لبيد	٢٥
السِّنينا	الحسين بن جعفر	٢٧
المطـر	الفرزدق	٣٠
ظالم	الفرزدق	٣٠
صَبا	الفرزدق	٣٠
المغارم	جرير	٣٠
التمـائمِ	الفرزدق	٣٠
مُطلقُ	أبو الهول	٣٠
فَرَطَا	شاعر	٤٠
ما فيـهِ	ابن لنكك	٥١
ثانيهـا	علي بن أبي طالب	٥٧
ومطبُـوعُ	شاعر	٦٤
رَقيـعُ	شاعر	٧٠
يُداوِيها	شاعر	٧١
هَوَانا	شاعر	٧٩





٥ ـ فهرس الأعلام



٦ ـ فهرس المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم**.

(٢) **آداب الدين والدنيا**، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق علي عبد المقصود رضوان، مكتبة الآداب، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٣) **إتحاف السادة المتقين**، بشرح إحياء علوم الدين، للعلامة الزبيدي، (١-١٣) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٩.

(٤) **إثبات صفة العلو**، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦.

(٥) **أحاديث الشيوخ الكبار**، أقدم المخطوطات الحديثية، تحقيق ودراسة د/ حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٣. فيه:

* جزء أحاديث يزيد بن حبيب المصري.
* جزء أحاديث ابن جريج المكي.
* جزء غرائب شعبة بن الحجاج.
* جزء أحاديث سفيان بن عيينة الكوفي.
* جزء أحاديث الحسن بن موسىٰ.
* جزء أحاديث عفان بن مسلم الصفار.

(٦) **الأحاديث المختارة**، أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، للإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق أد/ عبد الملك عبد الله دهيش،(١-١٣) الطبعة الرابعة ١٤٢١.

(٧) **أحكام الجنائز وبدعها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولي ١٤١٢.

(٨) **أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبد الله، ابن العربي، تحقيق رضىٰ فرج الهمامي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦.

(٩) **أحكام القنطرة**، في أحكام البسملة، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي،

تحقيق صلاح محمد سالم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢.

(١٠) **إحكام الأحكام**، شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين أبي الفتح، ابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية (١-٢). وطبعة مكتبة العلوم والحكم، بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٨.

(١١) **أخبار القضاة**، لمحمد بن خلف بن حيان، المعروف بوكيع، مراجعة سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.

(١٢) **أخبار مكة**، وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، تحقيق د/ عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي ، (١-٢) الطبعة الثانية ١٤٢٩.

(١٣) **اختلاف الحديث**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(١٤) **اختلاف العلماء**، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، تحقيق السيد صبحي السامرائي، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(١٥) **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق عصام الدين، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة ١٤١٧.

(١٦) وطبعة دار المسلم، تحقيق د/ صالح بن محمد، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨.(١-٤) الرياض.

(١٧) **أدب الدنيا والدين**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩١٤. وطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، بتحقيق مصطفىٰ السقا، الطبعة الثالثة ١٩٥٥. وطبعة دار ابن كثير، بتحقيق ياسين محمد السواس.

(١٨) **أدب الكاتب**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥.

(١٩) **أدب المفتي والمستفتي**، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، تحقيق د/ موفق ابن عبد الله، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٧.

(٢٠) **إرواء الغليل**، في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي(١-٩) الطبعة الثانية ١٤٠٥.

(٢١) **أساس البلاغة**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية(١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤١٩.

(٢٢) **أسباب اختلاف المحدثين**، خلدون الأحدب، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٢٣) **أسباب نزول القرآن**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤١١.

(٢٤) **اشتقاق الأسماء**، لأبي سعيد عبد الملك الأصمعي، تحقيق/ د. رمضان عبد التواب، د. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢.

(٢٥) **إصلاح المال**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق مصطفىٰ مفلح، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤١٠.

(٢٦) **إصلاح المنطق**، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٧٨.

(٢٧) **أعلام النبوة**، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ضبط نصه الشيخ خالد عبد الرحمن، دار النفائس، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٢٨) **إعلام الساجد**، بأحكام المساجد، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفىٰ المراغي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٢٨.

(٢٩) **إعلام الموقعين**، عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي،(١-٦) الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ.

(٣٠) **إغاثة اللهفان**، من مصائد الشيطان، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، ابن قيم الجوزية، اعتنىٰ به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤.

(٣١) **إغاثة اللهفان**، في مصايد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن حسن الحلبي، (١-٢) دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠.

(٣٢) **اقتضاء العلم العمل**، لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،

مكتبة المعارف، الطبعة الأولي ١٤٢٢.

(٣٣) **إكرام الضيف**، لأبي إسحاق الحربي، تحقيق عبد الله بن عائض، مكتبة الصحابة، مصر، الطبعة الأولي ١٤٠٧.

(٣٤) **إكمال المعلم**، بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي، تحقيق د/ يحيىٰ إسماعيل ، دار الوفاء (١-٩) الطبعة الثانية، ١٤٢٥.

(٣٥) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، للقاضي البيضاوي، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات، دار الفكر(١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.

(٣٦) **أنيس الفقهاء**، تأليف قاسم القونوي، تحقيق د/ أحمد عبد الرزاق، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.

(٣٧) **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، هذبه ونقحه د/ عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩.

(٣٨) **الابتهاج**، بتخريج أحاديث المنهاج، لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، تحقيق سمير طه المجذوب، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٣٩) **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**، للحسين بن إبراهيم الجورقاني، تحقيق د/ عبد الرحمن الفريوائي، دار الصميعي(١-٢) الطبعة الرابعة ١٤٢٢.

(٤٠) **الابتهاج في أحاديث المعراج**، لأبي الخطاب بن دحية، تحقيق د/ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولي ١٤١٧.

(٤١) **الإبانة**، عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق د/ صالح مقبل عبد الله، دار الفضيلة، الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.

(٤٢) **الإتحاف**، بتخريج أحاديث الإشراف علىٰ مسائل الخلاف، د/ بدوي عبد الصمد الطاهر، والإشراف للقاضي عبد الوهاب المالكي، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، الإمارات العربية المتحدة (١-٤) الطبعة الثانية١٤٢٢.

(٤٣) **الأجوبة المرضية**، فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق د/ محمد إسحاق محمد إبراهيم، (١-٣) دار الراية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨.

(٤٤) **الأجوبة النافعة**، عن أسئلة لجنة الجامعة، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٠.

(٤٥) **الأحكام الوسطىٰ**، لمحمد عبد الحق الأشبيلي، تحقيق حمدي السلفي، وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد (١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٦.

(٤٦) **الآداب**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٤٧) **الأدب المفرد**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق علي عبد المقصود رضوان، د/ علي عبد الباسط ، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولي١٤٢٣.

(٤٨) **الأذكار**، المنتخبة من كلام سيد الأبرار، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٥.

(٤٩) **الأذكار**، حلية الأبرار، وشعار الأخيار، في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق علىٰ الشربجي، وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٥.

(٥٠) **الإجماع**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تقديم محمد فريد، المكتبة التوفيقية.

(٥١) **الآحاد والمثاني**، لأبي بكر أحمد بن عمرو الضحاك، ابن أبي عاصم، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض (١-٦) الطبعة الأولي ١٤١١.

(٥٢) **الأحاديث المائة**، المشتملة علىٰ مائة نسبة علىٰ الصنائع، للعلامة محمد بن علي بن طولون، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، الطبعة الأولي ١٩٩٤م.

(٥٣) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، للأمير علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (١-١٨) الطبعة الأولي ١٤٠٨.

(٥٤) **الاستيعاب**، في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (١-٤) الطبعة الأولي ١٤١٥.

(٥٥) **الأسماء والصفات**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد

الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة (١-٢) الطبعة الأولي ١٤١٣.

(٥٦) **الإشراف، علىٰ مذاهب العلماء**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق د/ أبو حماد الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، (١-١٠) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨.

(٥٧) **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي، (١-٨) ١٤١٥.

(٥٨) **الاعتصام**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة.

(٥٩) **الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عاصم الكاتب، دار الآفاق الجديدة، وكذلك طبعة دار الفضيلة، بتحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين، الطبعة الأولي ١٤٢٠.

(٦٠) **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢،(١-٨) دار العلم للملايين.

(٦١) **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر،(١-٢٥) الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢، .

(٦٢) **الإلزامات والتتبع**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٥.

(٦٣) **الإلمام**، بحكم القراءة خلف الإمام والجواب عما احتج به البخاري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤٠٨.

(٦٤) **الإلمام بأحاديث الأحكام**، ابن دقيق العيد، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٦٥) **الأم**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولي، (١-٨) ١٣٨٨.

(٦٦) **الأمالي المطلقة**، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٦.

(٦٧) **الأمالي**، لعبد الملك بن بشران، الجزء الأول تحقيق عادل بن يوسف العزازي، الجزء الثاني تحقيق أحمد بن سليمان، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠.

(٦٨) **الأمثال في الحديث النبوي**، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد، الدار السلفية، الهند .

(٦٩) **الأمصار ذوات الآثار**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٧٠) **الأنساب**، للسمعاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، مكتبة ابن تيمية، (١-١٢) الطبعة الثانية ١٤٠٠

(٧١) **الإيماء إلىٰ زوائد الأمالي والأجزاء**، تأليف نبيل سعد الدين، (١-٨)، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨.

(٧٢) **الإيمان**، لمحمد بن إسحاق بن يحيىٰ بن منده، تحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر، مؤسسة الرسالة، (١-٢) الطبعة الثانية ١٤٠٦.

(٧٣) **بحر الفوائد**، أو معاني الأخبار، لأبي بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي، تحقيق وجيه كمال الدين زكي، دار السلام، (١-٢) الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩.

(٧٤) **بستان العارفين**، لمحيي الدين أبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، اعتنىٰ به محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٩٩٩.

(٧٥) **بغية النقاد النقلة**، فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، لأبي عبد الله محمد بن أبي يحيىٰ ، الشهير بابن المواق، تحقيق د/ محمد خرشافي، أضواء السلف،(١-٣) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.

(٧٦) **بغية الوعاة**، في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق د/ علي محمد عمر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٤، مكتبة الخانجي.

(٧٧) **بهجة النفوس**، وتحليها بمعرفة مالها وعليها، شرح مختصر صحيح البخاري، لعبد الله ابن أبي جمرة، تحقيق د/ بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين(١-٢) الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

(٧٨) **بيان خطأ من أخطأ على الشافعي**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د/ الشريف نايف الدعيس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي ١٤٠٢.

(٧٩) **بيان الوهم والإيهام**، الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد، المعروف بابن القطان، تحقيق الحسين آيت سعيد، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨، دار طيبة، (١-٦) الرياض.

(٨٠) **البدر الطالع**، بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، (١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤١٨.

(٨١) **البدر المنير**، في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن، تحقيق مصطفىٰ أبو الغيط، دار الهجرة للنشر والتوزيع، (١-١٠) الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٤م.

(٨٢) **البعث والنشور**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٨٣) **البيان والتبيين**، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (١-٤) الطبعة الخامسة ١٤٠٥.

(٨٤) **الكامل في اللغة والأدب**، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، تحقيق نعيم زرزور، وتغاريد بيضون، دار الكتب العلمية، (١-٢) الطبعة الأولي ١٤٠٧.

(٨٥) **تأويل مختلف الحديث**، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولي ١٤٠٨.

(٨٦) **تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس**، لابن عطاء الله السكندري، شرح وتحليل د/ محمد نجدات، دار المكتبي، الطبعة الثانية ٢٠٠٨.

(٨٧) **تاريخ الإسلام**، للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق د/ عمر عبد السلام، (١-٥٣)، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٨٨) **تاريخ ابن خلدون**، أو: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون، (١-٧)،

مصورة عن الطبعة الأولىٰ بالمطبعة الكبرىٰ ببولاق، ١٢٨٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧.

(٨٩) **تاريخ أصبهان،** لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، (١-٢) الطبعة الأولي ١٤١٠ .

(٩٠) **تاريخ الثقات،** لأحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي، بترتيب نور الدين الهيثمي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٩١) **تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي،** عن أبي زكريا يحيىٰ بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولي ١٤٠٠.

(٩٢) **تاريخ مدينة السلام،** للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،(١-١٧) الطبعة الأولىٰ١٤٢٢.

(٩٣) **تاريخ مدينة دمشق،** لأبي القاسم علي بن الحسن ـ المعروف بابن عساكر ـ تحقيق محب الدين أبي سعيد، دار الفكر، بيروت، (١-٨٠) الطبعة الأولي ١٤١٥ .

(٩٤) **تاريخ واسط،** لأسلم بن سهل الرزاز الواسطي ـ بحشل ـ ، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٩٥) **تاريخ الحكماء،** أو إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين القفطي، تحقيق يوليوس ليبرت، مكتبة الآداب، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٨.

(٩٦) **تاريخ الحكماء،** أو نزهة الأرواح وروضة الأفرح، لشمس الدين الشهرزوري، تحقيق د/ عبد الكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٨.

(٩٧) **تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل،** للحافظ أبي زرعة العراقي، تحقيق د/ رفعت فوزي، وآخرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤٢٠ .

(٩٨) **تحفة الأحوذي،** بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، (١-١٠) دار الكتب العلمية .

(٩٩) **تخريج الأحاديث والآثار،** الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للإمام جمال الدين الزيلعي، تحقيق سلطان بن فهد، دار ابن خزيمة،(١-٤) الطبعة الأولي ١٤١٤ .

(١٠٠) **تخريج أحاديث،** اللمع في أصول الفقه، لعبد الله محمد بن الصديق الغماري، تحقيق

د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٥ .

(١٠١) **تخريج أحاديث**، إحياء علوم الدين، استخراج محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة للنشر، الرياض، (١-٧) الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨.

(١٠٢) **تذكرة الحفاظ**، للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، دار إحياء التراث العربي، (١-٥) ١٣٧٤.

(١٠٣) **تذكرة الحفاظ**، أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان، لمحمد بن طاهر القيسراني المقدسي، تحقيق حمدي عبد المجيد، دار الصميعي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥.

(١٠٤) **تصحيح حديث** صلاة التراويح عشرين ركعة، والرد علىٰ الألباني في تضعيفه، تأليف إسماعيل بن محمد الأنصاري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨.

(١٠٥) **تعجيل المنفعة**، بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي .

(١٠٦) **تفسير البيضاوي**، المسمىٰ بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي، دار الفكر، (١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.

(١٠٧) **تفسير الطبري**، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، (١-١٢) الطبعة الأولي ١٤١٢.

(١٠٨) **تفسير القرآن العظيم**، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة،(١-١٠) الطبعة الأولي ١٤١٧.

(١٠٩) **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة ،(١-٤) طبعة ١٣٨٨ .

(١١٠) **تفسير الكشاف**، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تصحيح/ محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٥.

(١١١) **تفصيل النشأتين**، وتحصيل السعادتين، لأبي الحسين القاسم بن محمد، الراغب الأصبهاني، تحقيق د/ عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨.

(١١٢) **تقدمة المعرفة**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، مجلس دائرة المعارف العثمانية .

(١١٣) **تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد**، لزين الدين العراقي، خرج أحاديثه ووضع هوامشه عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية،(١-٨) الطبعة الأولىٰ ١٤٢١.

(١١٤) **تقريب التهذيب**، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦.

(١١٥) **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، ومعه (تحرير تقريب التهذيب) الدكتور بشار عواد، والشيخ شعيب الأرناؤط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.

(١١٦) **تلخيص المستدرك**، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة، بيروت.

(١١٧) **تلخيص كتاب العلل المتناهية**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق ياسر إبراهيم محمد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩.

(١١٨) **تلخيص كتاب الموضوعات**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق ياسر إبراهيم محمد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩.

(١١٩) **تمام المنة**، في التعليق علىٰ فقه السنة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ .

(١٢٠) **تنبيه المسلم**، إلي تعدي الألباني علىٰ صحيح مسلم، تأليف : محمود سعيد ممدوح، الطبعة الأولي ١٤٠٨ .

(١٢١) **تنزيه الشريعة المرفوعة**، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، تحقيق/ عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية،(١-٢) الطبعة الثانية ١٤٠١.

(١٢٢) **تهذيب الآثار**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،(١-٥) الطبعة الأولي ١٩٨٢م.

(١٢٣) **تهذيب الأسماء واللغات**، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق الشيخ علىٰ محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الجواد، دار النفائس،(١-٢)

الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦.

(١٢٤) **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت،(١-١٤) الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(١٢٥) **تهذيب السنن**، للحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، المطبوع بهامش مختصر السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي،(١-٨) مكتبة السنة المحمدية .

(١٢٦) **تهذيب الكمال** في أسماء الرجال، لأبي حجاج جمال الدين يوسف المزي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (١-٣٥) الطبعة الثانية ١٤٠٣ .

(١٢٧) **تهذيب اللغة**، لأبي منصور الأزهري، ت/ عبد السلام هارون، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (١-١٥).

(١٢٨) **تنقيح التحقيق**، في أحاديث التعليق، لأبي عبد الله محمد بن عبد الهادي، تحقيق سامي محمد جاد الله، وعبد العزيز ناصر، (١-٥)، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧.

(١٢٩) **تنقيح التحقيق**، في أحاديث التعليق، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ضبط نصه، مصطفىٰ أبو الغيط، (١-٢)، دار الوطن، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٠.

(١٣٠) **التاريخ**، لأبي زكريا يحيىٰ بن معين، تحقيق د/ أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩ .

(١٣١) **التاريخ الصغير**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

(١٣٢) **التاريخ الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١-٨) طبعة ١٤٠٧ .

(١٣٣) **التبيان في آداب حملة القرآن**، ليحيىٰ بن شرف الدين النووي، تحقيق عبد العزيز عز الدين، دار النفائس .

(١٣٤) **التحفة العراقية**، في الأعمال القلبية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق د/ يحيىٰ محمد عبد الله الهنيدي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥.

(١٣٥) **التدوين في أخبار قزوين**، للمؤرخ عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، دار الباز، مكة المكرمة، (١-٤) الطبعة الأولى ١٤٠٨.

(١٣٦) **التذكرة الحمدونية**، لابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، (١-١٠) الطبعة الأولىٰ ١٩٩٦.

(١٣٧) **التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة**، للإمام القرطبي، تحقيق أحمد عبد الرازق، ومحمد عادل، دار السلام، الطبعة الثانية ٢٠٠٨.

(١٣٨) **الترغيب في الدعاء والحث عليه**، لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق فالح بن محمد بن فالح، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧.

(١٣٩) **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق صالح أحمد مصلح، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٥.

(١٤٠) **الترغيب والترهيب**، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، المعروف بقوام السنة، تحقيق أيمن صالح، دار الحديث القاهرة، (١-٤) الطبعة الأولى ١٤١٤.

(١٤١) **الترغيب والترهيب**، لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، شرحه مصطفىٰ محمد عمارة، المكتبة العصرية، (١-٤) الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(١٤٢) وطبعة المطبعة العامرية، علىٰ نفقة أحمد ناجي، ومحمد أمين الخانجي، الطبعة الأولى ١٣٢٤.

(١٤٣) وطبعة دار الحديث، بتحقيق أيمن صالح،(١-٤) الطبعة الأولى ١٤١٥.

(١٤٤) وطبعة مكتبة الإيمان، بتحقيق محمد بيومي،(١-٤) بدون تاريخ.

(١٤٥) وطبعة دار ابن كثير، بتحقيق محي الدين مستو، وسمير أحمد العطار، ويوسف علي بديوي (١-٤) الطبعة الثالثة ١٤٢٠.

(١٤٦) **التعريف** بأوهام من قسم السنن إلي صحيح وضعيف، بقلم محمود سعيد ممدوح، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (١-٦) الطبعة الأولى ١٤٢١.

(١٤٧) **التعريفات**، للإمام السيد الشريف الجرجاني، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧.

(١٤٨) **التفسير الكبير**، أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية،(١-٣٣) الطبعة الأولىٰ ١٤٢١.

(١٤٩) **التلخيص الحبير**، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٩.

(١٥٠) **التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز**،(التلخيص الحبير) لابن حجر العسقلاني، تحقيق د/ محمد الثاني عمر بن موسىٰ، (١-٧)، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧.

(١٥١) **التمهيد**، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق أسامة بن إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،(١-١٨) الطبعة الرابعة ١٤٢٨.

(١٥٢) **التهجد وقيام الليل**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق مصلح بن جزاء، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(١٥٣) **التواضع والخمول**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق لطفي محمد الصغير، دار الاعتصام، ١٩٨٨ م.

(١٥٤) **التوبيخ والتنبيه**، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق حسن أمين المندوه، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

(١٥٥) **التنوير**، شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق د/ محمد إسحاق محمد، (١-١١) الطبعة الثانية ٢٠١١.

(١٥٦) **التنوير**، في إسقاط التدبير، للإمام ابن عطاء الله السكندري، تحقيق محمد عبد الرحمن، المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٢.

(١٥٧) **التيسير**، بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي،(١-٢) الطبعة الثالثة ١٤٠٨.

(١٥٨) **الثقات**، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي، مصورة دار الفكر عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،(١-١٠) الطبعة الأولى ١٣٩٣.

(١٥٩) **جامع الأصول**، في أحاديث الرسول ﷺ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك، ابن

الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر،(١-١٣) الطبعة الثانية ١٤٠٣.

(١٦٠) **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، لصلاح الدين أبو سعيد بن خليل العلائي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٧.

(١٦١) **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، (١-٢) الطبعة الأولى ١٤١٤.

(١٦٢) **جامع العلوم والحكم**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب بن رجب الحنبلي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(١٦٣) وطبعة دار السلام، بتحقيق د/ محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الثانية ١٤٢٤.

(١٦٤) **جزء الألف دينار**، الفوائد المنتقاة والأفراد والغرائب الحسان، لأبي بكر أحمد بن جعفر القطيعي، تحقيق بدر البدر، دار النفائس، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤.

(١٦٥) **جزء**، فيه من حديث المصيصي لوين، لأبي جعفر محمد بن سليمان المصيصي، تحقيق مسعد بن عبد الحميد السعدني، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(١٦٦) **جزء**، فيه من فوائد أبي عبد الله محمد بن مخلد العطار، تحقيق صلاح عايض، الكويت.

(١٦٧) **جماع العلم**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(١٦٨) **جمع الجوامع**، المعروف بالجامع الكبير، للإمام جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية ٢٠٠٥، مطبعة الأزهر الشريف (١-٢٥).

(١٦٩) **جلاء الأفهام**، في فضل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام ﷺ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، اعتنىٰ به مصطفىٰ الشيخ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(١٧٠) **جلاء العينين**، بتخريج روايات البخاري في جزء رفع اليدين، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صنفه أبي محمد بديع الدين شاه الراشدي السندي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٩.

(١٧١) **جواب الحافظ**، أبي عبد الله محمد عبد العظيم المنذري، عن أسئلة في الجرح

والتعديل، اعتنىٰ به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٢٦.

(١٧٢) **جواهر العقدين،** في فضل الشرفين :شرف العلم الجلي ، والنسب النبوي، للإمام نور الدين السمهودي، تحقيق مصطفىٰ عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤.

(١٧٣) **الجامع الصحيح،** سنن الترمذي، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي،(١-٥) بيروت .

(١٧٤) وطبعة دار الغرب الإسلامي (**الجامع الكبير**)، بتحقيق د/ بشار عواد معروف، (١-٦) الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.

(١٧٥) **الجامع في الحديث،** لأبي محمد عبد الله بن وهب، تحقيق د/ مصطفىٰ حسن، دار ابن الجوزي،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤١٦.

(١٧٦) **الجامع لأحكام القرآن،** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،(١-٢٥) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.

(١٧٧) **الجامع** لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف، الرياض،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(١٧٨) **الجامع لشعب الإيمان،** للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي (١-١٤) مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة ٢٠١١.

(١٧٩) **الجرح والتعديل،** لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مصورة دار إحياء التراث العربي عن طبعة دائرة المعارف العثمانية،(١-٩) الطبعة الأولى ١٢٧١.

(١٨٠) **الجواب الكافي،** لمن سأل عن الدواء الشافي. الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤.

(١٨١) **الجوع،** لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، مكتبة القرآن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

(١٨٢) **خلق أفعال العباد،** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٢٣.

(١٨٣) **خير الكلام في القراءة خلف الإمام،** لأبي عبد الله البخاري، تحقيق د/ علي عبد الباسط

مزيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولي ١٤٢١.

(١٨٤) **حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق علي الشربجي، وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٢٤.

(١٨٥) **حاشية السيد الشريف الجرجاني**، علىٰ تفسير الكشاف، بهامش الكشاف، دار الفكر، ١٤٢٦.

(١٨٦) **حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي** علىٰ تفسير الكشاف، بهامش الكشاف، دار الكتب العلمية ١٤١٥.

(١٨٧) **حاشية العلامة الكازروني** علىٰ تفسير البيضاوي، بهامش تفسير البيضاوي، دار الفكر، ١٤٢٥.

(١٨٨) **حديث الزهري**، لأبي الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن، تحقيق د/ محمد حسن علي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(١٨٩) **حديث علي بن حجر**، عن إسماعيل بن جعفر، تحقيق عمر بن رفود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(١٩٠) **حسن المحاضرة**، في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق د/ علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨.

(١٩١) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتب العلمية، (١-١٠) بدون تاريخ.

(١٩٢) **حلية الفقهاء**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(١٩٣) **حياة الحيوان الكبرىٰ**، كمال الدين محمد بن موسىٰ الدميري، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦.

(١٩٤) **دلائل النبوة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث،(١-٧) الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨.

(١٩٥) **دلائل النبوة**، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق عامر حسن، دار حراء.

(١٩٦) **دلائل النبوة**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس، وعبد البر عباس ، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٤٠٦.

(١٩٧) **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، لمحمد بن علان الصديقي، دار الفكر، (١-٤)، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥.

(١٩٨) **الداء والدواء**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن حسن الأثري، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٣٠.

(١٩٩) **الدر المنثور**، في التفسير المأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية،(١-٦) الطبعة الأولى ١٤١١.

(٢٠٠) **الدراية**، في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ ابن حجر العسقلاني، صححه وعلق عليه السيد عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة، بيروت.

(٢٠١) **الدعاء**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣.

(٢٠٢) **الدعاء**، لمحمد بن فضيل، تحقيق أحمد البزرة، مكتبة لينة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥.

(٢٠٣) **الدعوات الكبير**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق بدر البدر، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩.

(٢٠٤) **ذم التأويل**، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦.

(٢٠٥) **ذم الملاهي**، لأبن أبي الدنيا، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦.

(٢٠٦) وطبعة دار الاعتصام ، بتحقيق محمد عبد القادر عطا، ١٩٨٧ م.

(٢٠٧) **ذيل تاريخ مدينة السلام**، لأبي عبد الله الدبيثي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، (١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.

(٢٠٨) **ذيل تذكرة الحفاظ**، لأبي المحاسن الحسيني الدمشقي، مطبوع مع تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي.

(٢٠٩) **ذيل طبقات الحفاظ**، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء التراث العربي.

(٢١٠) **ذيل اللآلئ المصنوعة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق رامز خالد حاج حسن، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٢١١) **الذخائر والأعلاق**، في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي الحسن الأشبيلي، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٢١٢) **الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، الطبعة الثانية ١٤٠٨.

(٢١٣) **ربيع الأبرار**، وفصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق د/ عبد المجيد دياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١-٣) الطبعة الأولىٰ ١٩٩٢م.

(٢١٤) **رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ**، تأليف شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢.

(٢١٥) **رسالة المسترشدين**، للحارث المحاسبي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية عشر ٢٠١٠.

(٢١٦) **رسوخ الأحبار في منسوخ الأخبار**، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم الجعبري، تحقيق د/ حسن محمد مقبولي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٩.

(٢١٧) **رفع الأستار**، لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٥.

(٢١٨) **رفع اليدين في الصلاة**، لابن قيم الجوزية، تحقيق إياد عبد اللطيف إبراهيم، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٢١٩) **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين، ومحمد عبد الرزاق عفيفي، ومحمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

(٢٢٠) وطبعة الهيئة العامة السورية للكتاب، تحقيق عبد العليم محمد الدرويش، (١-٢)، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩.

(٢٢١) **رواة الحديث**، الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل، تأليف

عذاب محمود الحمش، دار حسان للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧.

(٢٢٢) **رياض الصالحين**، من كلام سيد المرسلين ﷺ، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق عبد الله أبو زينة، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٩٠.

(٢٢٣) **رياض الصالحين**، للنووي، دار المنهاج، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٦.

(٢٢٤) **الرد علىٰ الجهمية**، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٢٢٥) **الرسالة**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٨.

(٢٢٦) **الرسالة القشيرية**، في علم التصوف، لأبي القاسم القشيري، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٩٢، وعليها هوامش من شرح الشيخ زكريا الأنصاري.

(٢٢٧) **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم القشيري، تحقيق معروف مصطفىٰ زريق، وعلي عبد الحميد أبو الخير، طبعة دار الخير، الطبعة الثالثة ١٤١٨.

(٢٢٨) **الرفع والتكميل**، في الجرح والتعديل، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

(٢٢٩) **الرقة والبكاء**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ١٤١٩.

(٢٣٠) **الروح**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(٢٣١) **الروح**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق د/ بسام علىٰ سلامة، دار الفضيلة، الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.

(٢٣٢) **الروض الأُنُف**، لأبي القاسم عبد الرحمن السُهيلي، تحقيق عبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(٢٣٣) **الروض البسام**، بترتيب وتخريج فوائد تمام، تأليف جاسم بن سليمان الدوسري، دار البشائر الإسلامية،(١-٥) الطبعة الأولى ١٤٠٨.

(٢٣٤) **الرياض المستطابة**، في جملة من روىٰ في الصحيحين من الصحابة ، ليحيىٰ بن أبي بكر العامري اليمني، تحقيق عمر الديراوي أبو حجلة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

(٢٣٥) **زاد المعاد**، في هدي خير العباد ﷺ، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،(١-٥) الطبعة الثالثة ١٤٢٣ .

(٢٣٦) **زوائد الأجزاء المنثورة**، علىٰ الكتب الستة المشهورة، تأليف عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ . **فيه:**

(٢٣٧) جزء محمد بن عاصم الثقفي الأصبهاني .

(٢٣٨) مسند عبد الرحمن بن عوف، لأحمد بن محمد بن عيسىٰ البرتي .

(٢٣٩) العرش وما روي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة .

(٢٤٠) البعث، لأبي داود السجستاني .

(٢٤١) القناعة، لأبي بكر بن السني .

(٢٤٢) الفوائد، لأبي الشيخ الأصبهاني .

(٢٤٣) الفوائد، لأبي القاسم الرازي، أبي تمام .

(٢٤٤) الأربعين الصوفية،لأبي نعيم الأصبهاني .

(٢٤٥) الأربعون الصغرىٰ، لأبي بكر البيهقي .

(٢٤٦) فضل التهليل وثوابه الجزيل، لأبي علي البغدادي، ابن البناء .

(٢٤٧) جزء الأربعين في فضل الدعاء والداعين، لأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي.

(٢٤٨) جزء الأربعين في الجهاد والمجاهدين، لأبي الفرج محمد بن عبد الرحمن المقرئ.

(٢٤٩) الأربعين العشارية، لأبي الفضل عبد الرحيم العراقي .

(٢٥٠) **زوائد تاريخ بغداد**، علىٰ الكتب الستة، تأليف د/ خلدون الأحدب، دار القلم، (١-١٠) الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ .

(٢٥١) **زهر الرياض**، في رد ما شنعه القاضي عياض علىٰ من أوجب الصلاة علىٰ البشير النذير ﷺ في التشهد الأخير، للعلامة محمد بن محمد بن محمد بن خيضر، الشافعي، تحقيق د/ أحمد حاج محمد عثمان، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥ .

(٢٥٢) **الزاهر**، في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن، دار البشائر،(١-٢) الطبعة الثالثة ١٤٢٤.

(٢٥٣) **الزهد**، لأبي بكر أحمد بن أبي عاصم، تحقيق د/ عبد العلىٰ عبد الحميد، الدار السلفية، الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٨ .

(٢٥٤) **الزهد**، للإمام وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة،(١-٣) الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

(٢٥٥) **الزهد والرقائق**، للإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩.

(٢٥٦) **الزهد والرقائق**، تحقيق أحمد فريد، طبعة الدار السلفية بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٩

(٢٥٧) **الزهد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٢٥٨) **الزهد الكبير**، لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق د/ تقي الدين الندوي، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٣.

(٢٥٩) **سبل السلام**، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، وفواز أحمد زمرلي، دار الكتب العلمية، (١-٤) الطبعة الثانية ١٤٠٦.

(٢٦٠) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، (١-١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧.

(٢٦١) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض،(١-٢٠) الطبعة الأولى ١٤١٢ .

(٢٦٢) **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،(١-٤) دار إحياء التراث العربي .

(٢٦٣) **سنن الدارقطني**، للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت،(١-٣) الطبعة الأولى ١٤٢٢.

(٢٦٤) **سنن الدارمي** (مسند الدارمي) للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني، دار ابن حزم، (١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢١ .

(٢٦٥) **سنن ابن ماجة**، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق د/ بشار عواد معروف، دار الجيل، (١-٦) الطبعة الأولى ١٩٩٨ .

(٢٦٦) **سنن سعيد بن منصور**، تحقيق د/ سعد عبد الله عبد العزيز، دار الصميعي،(١-٦) الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧ .

(٢٦٧) **سنن النسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار الجيل (١-٩).

(٢٦٨) **سير أعلام النبلاء**، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق مجموعة من العلماء، تحت إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، (١-٢٥) الطبعة الثالثة ١٤٠٥ .

(٢٦٩) **السنة**، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق د/ عطية بن عتيق، دار الراية،(١-٣) الطبعة الثانية ١٤١٥ .

(٢٧٠) **السنة**، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، تحقيق سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٨ .

(٢٧١) **السنن الكبرىٰ**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د/ عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، (١-٧) الطبعة الأولى ١٤١١ .

(٢٧٢) **السنن الكبرىٰ**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية،(١-١٠) الطبعة الأولى ١٤١١ .

(٢٧٣) **السنن الواردة**، في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د/ رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، (١-٣) دار العاصمة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٦.

(٢٧٤) **السيف المسلول**، علىٰ من سب الرسول ﷺ، لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق إياد أحمد الغوج، دار الفتح، عمان الأردن، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١.

(٢٧٥) **شجرة المعارف والأحوال**، وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبد السلام، اعتنىٰ به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ.

(٢٧٦) **شذرات الذهب**، في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين، ابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير،(١-١٠) الطبعة الأولىٰ ١٤١٦.

(٢٧٧) **شرح أسماء الله الحسنىٰ**، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق خالد الجندي، دار المعرفة، الطبعة الثانية ٢٠١١.

(٢٧٨) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق نشأت بن كمال المصري، دار البصيرة، الإسكندرية (١-٢).

(٢٧٩) **شرح سنن ابن ماجة** ، للحافظ علاء الدين مغلطاىٰ، تحقيق كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، (١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٤١٩.

(٢٨٠) **شرح السنة**، لأبي محمد بن الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،(١-٨) الطبعة الأولى ١٤١٢.

(٢٨١) **شرح الطيبي**، علىٰ مشكاة المصابيح، للإمام شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، اعتنىٰ به أبو عبد الله محمد علي سمك، دار الكتب العلمية،(١-١٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.

(٢٨٢) **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،(١-١٦) الطبعة الثانية ١٤٢٧.

(٢٨٣) **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة ١٤٠٤.

(٢٨٤) **شرح علل الترمذي**، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق د/ همام عبد الرحيم، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٢٨٥) **شرح معاني الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب،(١-٥) الطبعة الأولى ١٤١٤.

(٢٨٦) **شرح المقاصد**، لمسعود بن عمر بن عبد الله، الشهير بسعد الدين التفتازاني، تقديم إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (١-٣) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.

(٢٨٧) **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (١-١١)،

المكتبة العصرية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.
(٢٨٨) **شُعب الإيمان**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية،(١-٩) الطبعة الأولى ١٤١٠.
(٢٨٩) **شمائل الرسول ﷺ**، ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، لأبي الفداء إسماعيل بن أبي كثير، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد، عيسىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٦.
(٢٩٠) **شمائل النبي ﷺ**، للحافظ أبي عيسىٰ الترمذي، تحقيق الشيخ ماهر ياسين فحل، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.
(٢٩١) **الشريعة**، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، تحقيق د/ عبد الله بن عمر بن سليمان،(١-٦)، طبعة دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤٢٠.
(٢٩٢) **الشفا**، بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ، للقاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسىٰ البابي الحلبي، بالقاهرة،(١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٩٧٧.
(٢٩٣) **الشكر لله عز وجل**، لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٥.
(٢٩٤) **صحيح الأدب المفرد**، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤١٥.
(٢٩٥) **صحيح الترغيب والترهيب**، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، (١-٣) الطبعة الأولى ١٤٢١.
(٢٩٦) **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (١-٣) الطبعة الثالثة ١٤٠٢.
(٢٩٧) **صحيح مسلم بشرح النووي** (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام أبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق عبد الله أبو زينة، دار الشعب، القاهرة (١-٥).
(٢٩٨) **صحيح مسلم بشرح النووي**، طبعة دار الخير، بإعداد مجموعة أساتذة مختصين، بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير،(١-٧) الطبعة الثالثة ١٤١٦.
(٢٩٩) **صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د/ محمد مصطفىٰ الأعظمي،(١-٤) الطبعة الثانية ١٤١٢.

(٣٠٠) **صفحات من صبر العلماء**، علىٰ شدائد العلم والتحصيل، تأليف عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة التاسعة ٢٠٠٧.

(٣٠١) **صيد الخاطر**، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق يوسف علي بديوي، اليمامة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨.

(٣٠٢) **صفة الجنة**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق علي رضا، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية ١٤١٥.

(٣٠٣) **صفة الجنة**، وما أعده الله لأهلها من النعيم، لأبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، تحقيق عبد الرحيم أحمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧.

(٣٠٤) **صفة صلاة النبي ﷺ**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٨.

(٣٠٥) **صفة النار**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق مسعد عبد الحميد، مكتبة القرآن، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٣٠٦) **صفة النفاق وذم المنافقين**، لأبي بكر الفريابي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٧.

(٣٠٧) **الصارم المنكي**، في الرد علىٰ السبكي، لابن عبد الهادي، دار الكتب العلمية.

(٣٠٨) **الصبر والثواب عليه**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٢٣.

(٣٠٩) **الصحاح**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنىٰ به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٤٢٨.

(٣١٠) **الصمت وآداب اللسان**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٣١١) **الصلاة خلف الإمام**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سعيد زغلول، دار الحديث القاهرة .

(٣١٢) **ضعيف الأدب المفرد** ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤١٥.

(٣١٣) **ضعيف الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٢١ .

(٣١٤) **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٠.

(٣١٥) **الضعفاء الصغير**، لأبي عبد البخاري، تحقيق بوران الضناوي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٤.

(٣١٦) **الضعفاء الكبير**، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسىٰ العقيلي، تحقيق د/ عبد المعطي أمين، دار الكتب العلمية،(١-٤) الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

(٣١٧) **الضعفاء والمتروكين**، للإمام الدارقطني، تحقيق صبحي البدري السامرائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦.

(٣١٨) **طبقات علماء الحديث**، لابن عبد الهادي، تحقيق أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، (١-٤) الطبعة الثانية.

(٣١٩) **طبقات الحفاظ**، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(٣٢٠) **طبقات الشافعية الكبرىٰ**، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر،(١-١١) الطبعة الثانية ١٤١٣.

(٣٢١) **طبقات الفقهاء**، لأبي إسحاق الشيرازي ، تصحيح الشيخ خليل الميس، دار القلم.

(٣٢٢) **طبقات المدلسين**، للإمام ابن حجر العسقلاني ، تحقيق د/ محمد زينهم ، دار الصحوة، القاهرة.

(٣٢٣) **طبقات الصوفية**، لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٨.

(٣٢٤) **طرح التثريب**، في شرح التقريب، لزين الدين عبد الرحيم العراقي، دار الكتب العلمية، عناية عبد القادر محمد علي،(١-٨) الطبعة الأولىٰ ١٤٢١.

(٣٢٥) **طريق الهجرتين**، وباب السعادتين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤.

(٣٢٦) **طريق الهجرتين**، وباب السعادتين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق عايد بن مسفر،

عبد الله بن عايض، خالد بن علي، دار الفضيلة السعودية، الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.
(٣٢٧) **طيب الكلام بفوائد السلام،** تأليف نور الدين علي السمهودي، عني به أنور أبي بكر الشيخي ، دار المنهاج، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩.
(٣٢٨) **الطب النبوي،** لأبي نعيم الأصبهاني، دراسة وتحقيق د/ مصطفىٰ خضر التركي، دار ابن حزم،(١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.
(٣٢٩) **الطبقات الكبرىٰ،** لمحمد بن سعد، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، (١ -٩) الطبعة الأولى ١٤١٠.
(٣٣٠) **الطيوريات،** انتخاب أبي طاهر الأصبهاني من أصول كتب الشيخ المبارك بن عبد الجبار الطيوري، تحقيق دسمان يحيىٰ معالي، عباس صخر الحسن، أضواء السلف، (١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.
(٣٣١) **عارضة الأحوذي،** بشرح صحيح الترمذي، للحافظ ابن العربي المكي، دار الباز للطباعة والنشر، بدون تاريخ (١-١٣).
(٣٣٢) **عجالة الراغب المتمني،** في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، تأليف سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم،(١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.
(٣٣٣) **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،** لابن قيم الجوزية، تحقيق سليم عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ.
(٣٣٤) **علل الحديث،** لابن أبي حاتم، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة،(١-٣) الطبعة الأولي ١٤٠٥.
(٣٣٥) **علل الحديث ومعرفة الرجال،** لعلي بن المديني، تحقيق د/ عبد المعطي أمين، دار الوعي، الطبعة الأولى ١٤٠٠.
(٣٣٦) **علل الترمذي الكبير،** رتبه علىٰ كتب الجامع: أبو طالب القاضي، تحقيق السيد صبحي السامرائي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٩.
(٣٣٧) **عمدة الحفاظ،** في تفسير أشرف الألفاظ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بشهاب الدين السمين الحلبي، تحقيق د/ محمد التونجي، عالم الكتب، (١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٣٣٨) **عمل اليوم والليلة**، لأبي بكر بن السني، تحقيق عبد القادر أحمد، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣٣٩) **عوارف المعارف**، لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي، تحقيق د/ سمير شمس، دار صادر، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٣٤٠) **عون المعبود**، شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف العظيم آبادي، دار الكتب العلمية،(١-١٦) الطبعة الأولى ١٤١٩ .

(٣٤١) **عيون الأخبار**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق د/ يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، (١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٣٤٢) وكذلك، طبعة المكتب الإسلامي، تحقيق منذر محمد سعيد، (١-٤)، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(٣٤٣) **العاقبة**، في ذكر الموت والآخرة، لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصىٰ، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٣٤٤) **العزلة**، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٣٤٥) **العقوبات** الإلهية للأفراد والجماعات والأمم، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦.

(٣٤٦) **العلل المتناهية**، في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، تحقيق الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(٣٤٧) **العلل ومعرفة الرجال**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق د/ طلعت قوج بيكيت، د/ إسماعيل جراح، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٧ م.

(٣٤٨) **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق خالد إبراهيم المصري، دار طيبة ، (١-١٤) الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.

(٣٤٩) **العمدة الكبرىٰ**، في أحاديث الأحكام، لعبد الغني المقدسي، تحقيق د/ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

(٣٥٠) **العمدة**، من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب، في مشيخة شهدة، تحقيق د/ رفعت

فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٤٢٠.

(٣٥١) **العواصم من القواصم**، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لأبي بكر بن العربي المكي، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٠٨.

(٣٥٢) **غاية المرام**، في تخريج أحاديث الحلال والحرام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤١٤ .

(٣٥٣) **غاية المنة على شرح السنة**، لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق جمعة صالح، شركة ألفا للنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠٩.

(٣٥٤) **غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق حسين محمد شرف، (١-٦) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣٥٥) **غريب الحديث**، لأبي إسحاق الحربي، تحقيق د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد، (١-٣)، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٣٥٦) **غرائب مالك بن أنس**، أو ما وصلة مالك مما ليس في الموطأ، لأبي الحسين محمد بن المظفر، تحقيق طه علي بوسريح، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

(٣٥٧) **غوث المكدود**، بتخريج منتقى ابن الجارود، تأليف أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣.

(٣٥٨) **الغريب المصنف**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د/ صفوان عدنان داوودي، (١-٣)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦.

(٣٥٩) **فتاوى ابن الصلاح**، في التفسير والحديث والأصول والفقه، تحقيق د/ عبد المعطي أمين، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(٣٦٠) **فتح الباري**، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،(١-١٣) الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

(٣٦١) **فتح الباري**، لابن حجر ، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، (١-١٧) طبعة دار طيبة، الطبعة الثالثة ١٤٣١.

(٣٦٢) **فتح القدير**، لابن الهمام الحنفي، الطبعة الأولى ١٤١٥، المطبعة الكبرى الأميرية

ببولاق (١-٨).

(٣٦٣) **فتح الوهاب**، بتخريج أحاديث الشهاب، لأحمد الصديق الغماري، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨.

(٣٦٤) **فضائل شهر رمضان**، لعبد الغني المقدسي، تحقيق د/ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤٢٤.

(٣٦٥) **فضائل الصحابة**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(٣٦٦) **فضائل القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس، تحقيق غزوة بدير، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

(٣٦٧) **فضائل القرآن**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وهبي سليمان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١.

(٣٦٨) **فقه الزكاة**، تأليف د/ يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة،(١-٢) الطبعة الرابعة ١٤٠٠.

(٣٦٩) **فهارس**، كتاب الجرح والتعديل، إعداد محمد صالح بن عبد العزيز، مكتبة دار الوفاء، جدة، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧.

(٣٧٠) **فهارس**، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد إعداد محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (١-٣)، بدون تاريخ.

(٣٧١) **فهارس**، معجم تهذيب اللغة، تأليف عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٦.

(٣٧٢) **فوائد ابن أخي ميمي الدقاق**، لمحمد بن عبد الله بن الحسين البغدادي، تحقيق نبيل سعد الدين، دار أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦.

(٣٧٣) **فوائد أبي بكر الشافعي**، الغيلانيات، تحقيق د/ فاروق عبد العليم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولي ١٤١٦. وطبعة دار ابن الجوزي، بتحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧.

(٣٧٤) **فوائد أبي محمد الفاكهي**، المسمىٰ: بحديث أبي محمد عبد الله بن محمد بن إسحاق

الفاكهي، تحقيق محمد عبد الله عايض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٩.

(٣٧٥) **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير، للمناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية،(١-٦) الطبعة الأولى ١٤١٥.

(٣٧٦) **فوات الوفيات، والذيل عليها**، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر (١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٩٧٣م.

(٣٧٧) **الفائق في غريب الحديث**، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٣٧٨) **الفتاوىٰ**، للإمام العز بن عبد السلام، تحقيق عبد الرحمن عبد الفتاح، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

(٣٧٩) **الفتن**، للإمام نعيم بن حماد، تحقيق مجدي منصور سيد الشورىٰ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(٣٨٠) **الفتوحات الربانية**، علىٰ الأذكار النواوية، لمحمد بن علان، دار إحياء التراث العربي، (١-٧).

(٣٨١) **الفرج بعد الشدة**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق عبيد الله بن عالية، دار المشرق العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٣٨٢) **الفردوس بمأثور الخطاب**،لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية،(١-٦) الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٣٨٣) **الفرق بين النصحية والتعيير**، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، الطبعة الثالثة ١٤٠٥.

(٣٨٤) **الفروق في اللغة**، لأبي هلال العسكري، تحقيق/ جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.

(٣٨٥) **الفصول**، في سيرة الرسول ﷺ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد العيد، ومحي الدين، دار ابن كثير، الطبعة الرابعة ١٤٠٥.

(٣٨٦) **الفقيه والمتفقه**، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، حققه عادل يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠.

(٣٨٧) **الفوائد**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، ابن قيم الجوزية، تحقيق سليم عيد الهلالي، مكتبة الرشد، الطبعة الرابعة ١٤٢٨.

(٣٨٨) **الفوائد المنتخبة**، الصحاح والغرائب، لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق خليل محمد العربي، مكتبة التوعية الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٥.

(٣٨٩) **الفهرست**، لابن النديم ، دار المعرفة، بدون تاريخ.

(٣٩٠) **قانون التأويل**، للإمام أبي بكر بن العربي، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٠.

(٣٩١) **قصر الأمل**، لأبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦.

(٣٩٢) **قضاء الحوائج**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤١٤.

(٣٩٣) **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٧.

(٣٩٤) **القبس**، في شرح موطأ مالك بن أنس، للإمام أبي بكر بن العربي، (١-٢) تحقيق د/ محمد عبد الله كريم، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(٣٩٥) **القواعد الكبرىٰ**، أو قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، لشيخ الإسلام، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق د/ نزيه كمال، ود/ عثمان جمعة، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤٢٨.

(٣٩٦) **القول البديع**، في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع ﷺ، للإمام الحافظ السخاوي، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

(٣٩٧) **القول المسدد**، في الذب عن المسند للإمام أحمد، لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٠١.

(٣٩٨) **القول المفيد**، علىٰ كتاب التوحيد، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

(٣٩٩) **كتاب أمثال الحديث**، المروية عن النبي ﷺ، لأبي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق أحمد عبد الفتاح، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٩.

(٤٠٠) **كتاب الأدب**، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق د/ محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٠.

(٤٠١) **كتاب الأربعين**، لأبي الحسن محمد بن أسلم الطوسي، تحقيق مشعل بن باني الجبرين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢١.

(٤٠٢) **كتاب الأربعين**، للقاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني، تحقيق مشعل بن باني الجبرين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢١.

(٤٠٣) **كتاب الإخوان**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد الرحمن، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(٤٠٤) **كتاب الأمثال**، في الحديث النبوي، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد، الدار السلفية، الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٨.

(٤٠٥) **كتاب الإيمان**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٢.

(٤٠٦) **كتاب الإيمان**، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣.

(٤٠٧) **كتاب التوحيد**، وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم، مكتبة الرشد، (١-٢)، الطبعة السابعة ١٤٢٩.

(٤٠٨) **كتاب الجهاد**، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد، مكتبة العلوم والحكم، (١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٩.

(٤٠٩) **كتاب الرد** علىٰ من أخلد إلىٰ الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، لجلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣.

(٤١٠) **كتاب السنة**، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣.

(٤١١) **كتاب الصلاة**، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق د/ مصطفىٰ عثمان محمد، دار

الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧.
(٤١٢) **كتاب العرش**، وما روي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق محمد بن حمد، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
(٤١٣) **كتاب العظمة**، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض،(١-٥) الطبعة الثانية ١٤١٩.
(٤١٤) **كتاب العلل**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق فريق من الباحثين، بإشراف د/ سعد بن عبد الله الحميد ، د/ خالد بن عبد الرحمن، (١-٧) الطبعة الأولىٰ١٤٢٧.
(٤١٥) **كتاب العلم**، لأبي خيثمة بن زهير، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣.
(٤١٦) **كتاب العيال**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق مسعد عبد الحميد، مكتبة القرآن، الطبعة الأولى ١٩٩٤.
(٤١٧) **كتاب الفوائد**، الشهير بالغيلانيات، لأبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي، تحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧.
(٤١٨) **كتاب القدر**، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق عبد الله بن حمد، أضواء السلف.
(٤١٩) **كتاب المتمنين**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨.
(٤٢٠) **كتاب المحتضرين**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٧.
(٤٢١) **كتاب المختلطين**، لصلاح الدين أبو سعيد العلائي، تحقيق أ. د/ رفعت فوزي، د/ علي عبد الباسط مزيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧.
(٤٢٢) **كتاب المصاحف**، لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ابن أبي داود، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، مؤسسة غراس للنشر، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.
(٤٢٣) **كتاب المعجم**، لأبي بكر أحمد الإسماعيلي، تحقيق د/ زياد محمد منصور، دار

العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤١٠.
(٤٢٤) **كتاب المعجم**، لأبي سعيد أحمد بن محمد، ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن إبراهيم، دار ابن الجوزي، (١-٣) الطبعة الأولى ١٤١٨.
(٤٢٥) **كتاب النزول**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق د/ محي الدين، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.
(٤٢٦) **كتاب اليقين**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧.
(٤٢٧) **كشف الأستار عن زوائد البزار**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة،(١-٤) الطبعة الثانية ١٤٠٤.
(٤٢٨) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥.
(٤٢٩) **كشف الإيهام**، لما تضمنه تحرير التقريب من الأوهام، تأليف د/ ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧.
(٤٣٠) **كفاية الأخيار**، في حل غاية الاختصار، لأبي بكر تقي الدين الحسيني، مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٦.
(٤٣١) **كنز العمال**، في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، اعتنىٰ به إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، الأردن (١-٢).
(٤٣٢) **الكافي الشاف** في تخريج أحاديث الكشاف، للحافظ ابن حجر، بحاشية الكشاف، دار الكتب العلمية ١٤١٥.
(٤٣٣) **الكامل في ضعفاء الرجال**، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،(١-٩) الطبعة الأولى ١٤١٨.
(٤٣٤) **الكاشف عن حقائق السنن**، للإمام شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، اعتنىٰ به أبو عبد الله محمد علي، دار الكتب العلمية،(١-١٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢.
(٤٣٥) **الكاشف**، في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق

محمد عوامة، وأحمد محمد الخطيب، دار اليسر، ودار المنهاج، الطبعة الثانية ٢٠٠٩.
(٤٣٦) **الكشاف عن حقائق التنزيل**، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، ضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العملية،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٥.
(٤٣٧) **الكشاف عن حقائق التنزيل**، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، دار الفكر،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦.
(٤٣٨) **الكلم الطيب**، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق د/ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤٢٤.
(٤٣٩) **الكواكب النيرات**، في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، لأبي البركات محمد بن أحمد، المعروف بابن الكيال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠١.
(٤٤٠) **الكنىٰ والأسماء**، لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٢٠ .
(٤٤١) **لسان العرب**، لابن منظور ، دار صادر، (١-٧) الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧.
(٤٤٢) **لسان الميزان**، لأحمد بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.(١-٧).
(٤٤٣) **لحظ الألحاظ**، ، لتقي الدين محمد بن فهد المكي، دار إحياء التراث العربي.
(٤٤٤) **اللآلئ المصنوعة**، في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية،(١-٣) الطبعة الأولىٰ ١٤١٧.
(٤٤٥) **اللآلئ المنثورة**، في الأحاديث المشهور، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق د/ محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧.
(٤٤٦) **لطائف المعارف**، فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، تحقيق طارق عوض الله، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧.
(٤٤٧) **لمعة الاعتقاد والهادي إلىٰ سبيل الرشاد**، لأبي محمد موفق الدين أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦.
(٤٤٨) **مجابوا الدعوة**، لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

(٤٤٩) **مجلسان** من مجالس الحافظ ابن عساكر، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٩.

(٤٥٠) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي،(١-١٠) القاهرة.

(٤٥١) **مختصر سنن أبي داود**، للحافظ المنذري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، ومكتبة ابن تيمية.(١-٩).

(٤٥٢) **مجموع فيه مصنفات**، أبي الحسن ابن الحمامي، علي بن أحمد بن عمر البغدادي، تحقيق نبيل سعد الدين جرار. مكتبة أضواء السلف. الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥. **فيه:**

(٤٥٣) جزء أبي أحمد البخاري.

(٤٥٤) فوائد ابن البطر.

(٤٥٥) جزء المخرمي والمروزي.

(٤٥٦) حديث حماد بن سلمة للبغوي.

(٤٥٧) حديث أبي القاسم الحامض.

(٤٥٨) الثامنون للآجري.

(٤٥٩) **مجموع فيه مصنفات**، أبي العباس الأصم، محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابوري، وإسماعيل الصفار، أبي علي إسماعيل بن محمد البغدادي، تحقيق نبيل سعد الدين جرار، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.

(٤٦٠) **مجموعة أجزاء حديثية**، تعليق وتخريج أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢. **فيه:**

(٤٦١) فنون العجائب، لأبي سعيد النقاش.

(٤٦٢) فضائل الرمي في سبيل الله، لأبي يعقوب إسحاق القراب.

(٤٦٣) جزء القاضي الأشناني، لأبي الحسين عمر بن الحسن.

(٤٦٤) ذكر أبي بكر بن أبي الدنيا وما وقع عاليا من حديثه، لأبي موسىٰ المديني.

(٤٦٥) مسألة سبحان، لإبراهيم بن محمد العتكي.

(٤٦٦) طرق حديث «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» لأبي نعيم الأصبهاني.

(٤٦٧) حديث أحمد بن عبد الله الجويباري، للبيهقي.

(٤٦٨) منتقىٰ حديث أبي الحسن العبدوي، لضياء الدين المقدسي.

(٤٦٩) منتقىٰ حديث أبي نعيم، لضياء الدين المقدسي.

(٤٧٠) **محاضرات الأدباء**، ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصبهاني، تحقيق د/ رياض عبد الحميد مراد، دار صادر،(١-٥) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.

(٤٧١) **مختار الصحاح**، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، طبعة دار الحديث، بدون تاريخ.

(٤٧٢) **مختصر الأباطيل والموضوعات**، لأبي عبد الله الذهبي، تحقيق د/ محمد حسن الغماري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣.

(٤٧٣) **مختصر الترغيب والترهيب**، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة عام ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة، عن طبعة إدارة إحياء المعارف، الهند.

(٤٧٤) **مختصر الشمائل المحمدية**، لأبي عيسىٰ الترمذي، اختصره محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية ١٤٠٦.

(٤٧٥) **مختصر العلو للعلي الغفار**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، اختصره محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠١.

(٤٧٦) **مختصر قيام الليل**، لأبي عبد الله محمد نصر المروزي، اختصرها أحمد بن علي المقريزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤، عن الطبعة الأولى لحديث اكادمي فيصل آباد، باكستان.

(٤٧٧) **مداراة الناس**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨.

(٤٧٨) **مدارج السالكين**، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق د/ محمد عبد الله الخضيري، دار الصميعي، (١-٦) الطبعة الأولىٰ ٢٠١١.

(٤٧٩) **مرقاة المفاتيح**، شرح مشكاة المصابيح، للعلامة الملا علي القاري، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، (١-١١) الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٤٨٠) **مساوئ الأخلاق وطرائق مكروهها**، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق مصطفىٰ عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٣.

(٤٨١) **مسند أبي بكر الصديق**، لأبي بكر أحمد المروزي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٩.

(٤٨٢) **مسند أبي داود الطيالسي**، لسليمان بن داود بن الجارود الفارسي، تحقيق د/ محمد عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر (١-٤) الطبعة الأولى ١٤١٩.

(٤٨٣) **مسند أبي يعلىٰ**، لأبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثني الموصلي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار القبلة للثقافة الإسلامية،(١-٦) الطبعة الأولى ١٤٠٨.

(٤٨٤) **مسند أبي يعلىٰ**، لأبي يعلىٰ الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، (١-١٦) الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩.

(٤٨٥) **مسند ابن الجعد**، لأبي الحسن علي بن الجعد، تحقيق د/ عبد المهدي عبد القادر، مكتبة الفلاح،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٤٨٦) **مسند الشهاب**، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٤٨٧) **مسند الإمام أحمد**، لأبي عبد الله **أحمد** بن محمد بن حنبل، المكتب الإسلامي. (١-٦).

(٤٨٨) وطبعة مؤسسة الرسالة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، (١-٥٠) الطبعة الثانية ١٤٢٠.

(٤٨٩) **مسند الصحابة**، المعروف بمسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الروياني الرازي، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٧.

(٤٩٠) **مسند المقلين**، لأبي القاسم تمام بن محمد الدمشقي، تحقيق مجدي فتحي، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٠.

(٤٩١) **مسند عبد الله بن عمر**، لأبي أمية الطرسوسي، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة الرابعة ١٤٠٣.

(٤٩٢) **مسند عمر بن الخطاب**، لأبي يعقوب بن شيبة، تحقيق كمال يوسف، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٤٩٣) **مسند عمر بن عبد العزيز،** لأبي بكر محمد بن سليمان الباغندي، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية ١٤٠٤.

(٤٩٤) **مصباح الزجاجة،** في زوائد ابن ماجة، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسىٰ محمد علي، د/ عزت علي عطية، (١-٣) طبعة دار السلام.

(٤٩٥) **معالم السنن،** شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، بعناية عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤١١.

(٤٩٦) **معالم السنن،** بهامش مختصر السنن، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد الفقي.(١-٩) طبعة مكتبة السنة المحمدية.

(٤٩٧) **معجم الأدباء،** أو إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (١-٨) الطبعة الأولىٰ ١٩٩٣.

(٤٩٨) **معجم السفر،** لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٤.

(٤٩٩) **معجم الشيوخ،** لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُميع الصيداوي، تحقيق د/ عمر عبد السلام ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٥٠٠) **معجم الصحابة،** لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع، تحقيق صلاح بن سالم، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، (١-٤) الطبعة الأولى ١٤١٨.

(٥٠١) **معجم المؤلفين،** تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة،(١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٤١٤.

(٥٠٢) **معرفة الخصال المكفرة للذنوب،** المقدمة والمؤخرة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق جاسم الفهيد الدوسري، الطبعة الثانية ٢٠٠٥.

(٥٠٣) **معرفة الرجال،** لأبي زكريا يحيىٰ بن معين، تحقيق محمد كامل القصار، مجمع اللغة العربية دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

(٥٠٤) **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد،** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة، بيروت.

(٥٠٥) **معرفة الصحابة،** لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عادل يوسف العزازي، دار الوطن،

الرياض،(١-٧) الطبعة الأولى ١٤١٩.
(٥٠٦) **معيد النعم، ومبيد النقم**، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، تحقيق محمد فتحي النادي، مؤسسة العلياء، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.
(٥٠٧) **مفتاح دار السعادة**، ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، فاروق حسن الترك، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.
(٥٠٨) **مقدمة ابن الصلاح**، لأبي عمرو عثمان بن الصلاح، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٩.
(٥٠٩) **مقدمة تحفة الأحوذي**، شرح جامع الترمذي ،لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية.
(٥١٠) **مكارم الأخلاق**، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٩.
(٥١١) **مكارم الأخلاق**، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٩.
(٥١٢) **مكارم الأخلاق ومعاليها**، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي، تحقيق أيمن عبد الجابر، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩.
(٥١٣) **من عاش بعد الموت**، لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق علي أحمد جاب الله، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧.
(٥١٤) **من كلام أبي زكريا يحيىٰ بن معين في الرجال**، تحقيق د/ أحمد محمد، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٠.
(٥١٥) **مناهج تحقيق التراث**، بين القدامىٰ والمحدثين، تأليف د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦.
(٥١٦) **موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد الرازق، دار الكتب العلمية.
(٥١٧) **موضح أوهام الجمع والتفريق**، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د/ عبد المعطي أمين، دار المعرفة،(١-٢) الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٥١٨) **موعظة المؤمنين**، من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم بهجة البيطار، دار النفائس.

(٥١٩) **منال الطالب**، في شرح طوال الغرائب، لمجد الدين أبي السعادات، ابن الأثير، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي، جامعة أم القرىٰ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

(٥٢٠) **منهاج اليقين**، شرح أدب الدنيا والدين، تأليف أويس وفا الأرزنجاني، الطبعة الأولىٰ ١٣٢٨.

(٥٢١) **منهاج العابدين**، إلىٰ جنة رب العالمين، للإمام أبي حامد الغزالي، عني به بوجمعة عبد القادر مكري، دار المنهاج، الطبعة الرابعة ٢٠١١.

(٥٢٢) **منهاج القاصدين**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق كامل محمد الخراط، دار التوفيق، الطبعة الأولىٰ ٢٠١٠.

(٥٢٣) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي،(١-٤) دار المعرفة.

(٥٢٤) **ميزان الاعتدال**، تحقيق محمد رضوان عرقوسسي، طبعة الرسالة العالمية، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٩.

(٥٢٥) **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصبهاني، تحقيق/ صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٣.

(٥٢٦) **المجالسة وجواهر العلم**، لأبي بكر الدينوري، (١-٣) تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١.

(٥٢٧) **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق حسن سليمان (١-١٠) طبعة جمعية التربية الإسلامية، البحرين.

(٥٢٨) **المجروحين**، من المحدثين، لأبي حاتم بن حبان، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض،(١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠.

(٥٢٩) **المجموع**، شرح مهذب الشيرازي، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، حققه وأكمله الشيخ محمد نجيب المطيعي، توزيع المكتبة العالمية بالفجالة،(١-٢٥) الطبعة

الأولي ١٩٧١ م.
(٥٣٠) **المجموع المغيث**، في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسىٰ محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني، تحقيق عبد الكريم العزباوي، (١-٥) جامعة أم القرىٰ، الطبعة الأولىٰ ١٤١٠هـ.
(٥٣١) **المحلىٰ**، شرح المجلىٰ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،(١-٨) الطبعة الثانية ١٤٢٢.
(٥٣٢) **المختارة**، للإمام ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد، تحقيق أد/ عبد الملك عبد الله دهيش،(١-١٣) الطبعة الرابعة ١٤٢١.
(٥٣٣) **المدخل إلىٰ الصحيح**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدوية الحاكم النيسابوري، تحقيق د/ ربيع بن هادي، مؤسسة الرسالة.
(٥٣٤) **المداوي**، لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأحمد محمد الصديق الغماري، دار الكتبي، (١-٤) الطبعة الأولىٰ ١٩٩٦.
(٥٣٥) **المراسيل**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٨.
(٥٣٦) **المراسيل**، لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق أحمد عاصم الكاتب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤٠٣.
(٥٣٧) **المرض والكفارات**، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق مسعد عبد الحميد، مكتبة القرآن، الطبعة الأولي ١٩٩٦.
(٥٣٨) **المزكيات**، الفوائد المنتخبة الغرائب والعوالي، من حديث أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيىٰ المزكىٰ النيسابوري، انتقاء علي بن عمر الدارقطني، تحقيق د/ أحمد بن فارس السلوم، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥ .
(٥٣٩) **المستدرك**، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة،(١-٥) بيروت .
(٥٤٠) **المسند**، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب.

(٥٤١) **المصباح المنير**، في غريب الشرح الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق د/ عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
(٥٤٢) **المصباح المنير**، تحقيق عادل مرشد، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥.
(٥٤٣) **المصنف**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، بعناية محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،(١-٩) الطبعة الأولي ١٤١٦.
(٥٤٤) **المصنف**، لابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، دار المنهاج (١-٢٦) الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٦.
(٥٤٥) **المصنف**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، (١-١٢) الطبعة الثانية ١٤٠٣.
(٥٤٦) **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، الموضوعات الصغرىٰ، لعلىٰ القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة ٢٠٠٥.
(٥٤٧) **المطالب العالية**، بزوائد المسانيد الثمانية ـ النسخة المسندة ـ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق أيمن علي، وأشرف صلاح، مؤسسة قرطبة،(١-١٠) الطبعة الأولي ١٤١٨.
(٥٤٨) **المعارف**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة، تحقيق د/ ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨١ .
(٥٤٩) **المعجم**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم، ابن المقرئ، تحقيق عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض .
(٥٥٠) **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق عبد المحسن إبراهيم، وطارق عوض الله، دار الحرمين، القاهرة،(١-١٠) الطبعة الأولي ١٤١٥.
(٥٥١) **المعجم الصغير**، لأبي القاسم الطبراني، تقديم كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولي ١٤٠٦.
(٥٥٢) **المعجم الكبير**، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي،(١-٢٥) الطبعة الأولي ١٤٠٠.
(٥٥٣) **المعجم المفهرس**، لألفاظ الحديث النبوي، عمل لفيف من المستشرقين، مكتبة

بريل،(١-٧) الطبعة الأولىٰ ١٩٣٦.

(٥٥٤) **المعجم المفهرس**، لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة ١٤٠٧.

(٥٥٥) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة،(١-٢) الطبعة الثانية ١٣٩٢.

(٥٥٦) **المعرب**، من الكلام الأعجمي، علىٰ حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، تعليق خليل عمران المنصور، الطبعة الأولىٰ (١٤١٩) دار الكتب العلمية.

(٥٥٧) **المغني في الضعفاء**، للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق نور الدين عتر، (١-٢) إدارة إحياء التراث الإسلامي، بقطر، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٧.

(٥٥٨) **المغني**، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، (١-١٥)، الطبعة الثالثة ١٤١٧، دار عالم الكتب، الرياض.

(٥٥٩) **المغير**، علىٰ الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، لأحمد الغماري، تحقيق الشيخ ربيع شاتيلا، شركة دار المشاريع، الطبعة الأولىٰ١٤٢٩.

(٥٦٠) **المفهم** لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق مجموعة من العلماء، دار ابن كثير، (١-٧) الطبعة الرابعة ١٤٢٩.

(٥٦١) **المقاصد الحسنة**، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٥٦٢) **المنار المنيف**، في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٠.

(٥٦٣) **المنار المنيف**، لابن قيم الجوزية، تحقيق يحيىٰ عبد الله الثمالي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨.

(٥٦٤) **المنتخب من مسند عبد بن حُميد**، لأبي محمد عبد بن حُميد، تحقيق السيد صبحي البدري، ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب، الطبعة الأولي ١٤٠٨.

(٥٦٥) **المنتقىٰ**، من مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر

الخرائطي، انتقاء الحافظ الأصبهاني، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، دار الفكر، الطبعة الأولي ١٤٠٦.

(٥٦٦) **المنثورات**، وعيون المسائل المهمات، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولي ١٤٠٢ .

(٥٦٧) **المنهاج**، في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحسين الحليمي، تحقيق حلمي محمد فوده، دار الفكر (١-٣)، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٩.

(٥٦٨) **الموضوعات**، من الأحاديث المرفوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق د/ نور الدين شكري، مكتبة أضواء السلف، (١-٤) الطبعة الأولي ١٤١٨.

(٥٦٩) **الموطأ** لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، رواية أبي مصعب الزهري، تحقيق د/ بشار عواد معروف، ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة،(١-٢) الطبعة الأولي ١٤١٣.

(٥٧٠) **الموطأ**، رواية يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، تحقيق د/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، (١-٢) الطبعة الأولي ١٤١٧.

(٥٧١) **الموطأ**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة التاسعة ١٤٢٦.

(٥٧٢) **الموقظة**، في علم مصطلح الحديث، لشمس الدين محمد أحمد الذهبي، اعتنىٰ به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٥٧٣) **المهذب**، اختصار السنن الكبير، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (١-١٠) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢، دار الوطن للنشر.

(٥٧٤) **نتائج الأفكار**، في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ ابن حجر، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، (١-٥)، الطبعة الثانية ١٤٢٩.

(٥٧٥) **نصب الراية**، لأحاديث الهداية، للحافظ جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، تصوير دار إحياء التراث العربي عن طبعة إدارة المجلس العلمي بالهند،(١-٤) الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

(٥٧٦) **نوادر الأصول**، في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي ،

تحقيق أحمد عبد الرحيم، والسيد الجميلي، دار الريان للتراث، (١-٢) القاهرة.

(٥٧٧) **نوادر الأصول**، في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، للحكيم الترمذي، النسخة المسندة، اعتنىٰ به إسماعيل إبراهيم متولي عوض، مكتبة الإمام البخاري (١-٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩.

(٥٧٨) **نيل الأوطار**، شرح منتقىٰ الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ﷺ، لمحمد بن علي الشوكاني، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، القاهرة،(١-٨) الطبعة الأخيرة.

(٥٧٩) **النقد الصحيح**، لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح، لصلاح الدين خليل العلائي، تحقيق د/ عبد الرحيم القشقري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولي ١٤٠٥.

(٥٨٠) **النقد الصريح**، لأجوبة الحافظ ابن حجر عن أحاديث المصابيح، تأليف عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولي ١٤١٤.

(٥٨١) **النكت**، علىٰ العمدة في الأحكام، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠٧.

(٥٨٢) **نهج البلاغة**، من كلام علي بن أبي طالب، شرح الإمام محمد عبده، الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٠٧.

(٥٨٣) **النهاية**، في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن السعادات المبارك، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة،(١-٦) ١٣٨٣.

(٥٨٤) **هدي الساري**، مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

(٥٨٥) وطبعة دار طيبة، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي (١-٢)، الطبعة الثالثة ٢٠١٠.

(٥٨٦) **وفاء الوفا**، بأخبار دار المصطفىٰ ﷺ، لنور الدين علي بن أحمد السمهودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية،(١-٤) الطبعة الرابعة ١٤٠٤.

(٥٨٧) **وفيات الأعيان**، وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس، (١-٨)، دار صادر، الطبعة الخامسة ٢٠٠٩.

(٥٨٨) **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين الصفدي، يصدرها جمعية المستشرقين الألمانية، (١-٣٠)، الطبعة الثانية ١٩٦٢.





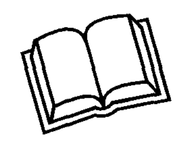
٧ ـ فهرس الفوائد المنثورة والردود والتعقُّبات[(١)]

(١) ما مضى من الفهارس كانت صنعةَ المحقق ـ حفظه اللَّه ـ ، وما يأتي من صنع مخرِّج الأحاديث والمعلِّق على الكتاب ـ عفا اللَّهُ عنه ـ ، وهي تشمل أهم التعليقات والتنبيهات التي وضعت في الحواشي. [ط]



٨ ـ فهرس الموضوعات التفصيلي



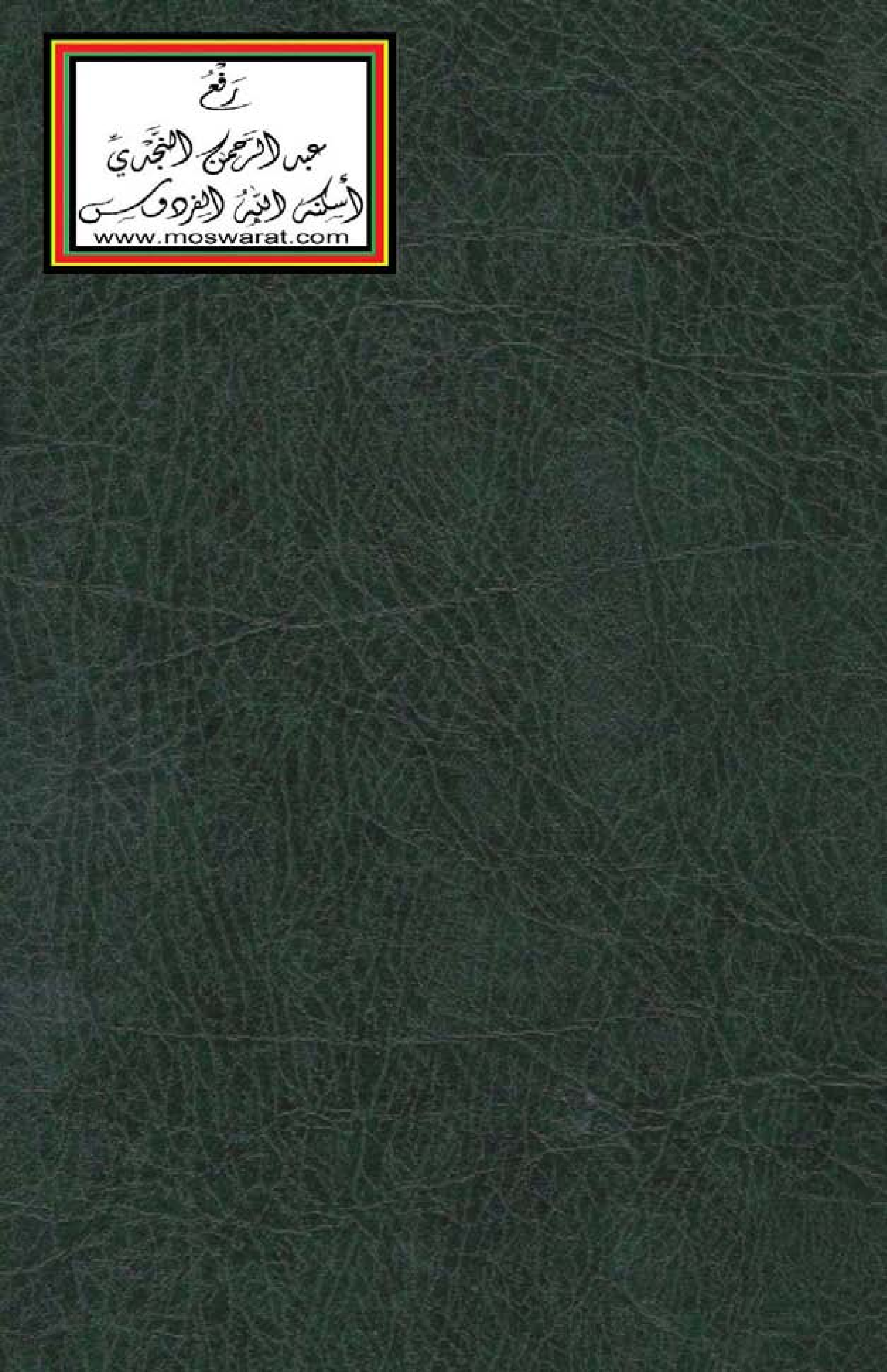


مفكرة



دار ابن الجوزي 8428146
183553


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com